کتب خانۂ آصفیہ سرکار عالی حیدرآباد دکن

نمبر داخلہ ٨/١/١

تاریخ ادخال در دفتر ... آبان ۱۳۳۱ف

نام کتاب نتایج الافکار جلد سوم و چہارم

فن کتاب تصوف

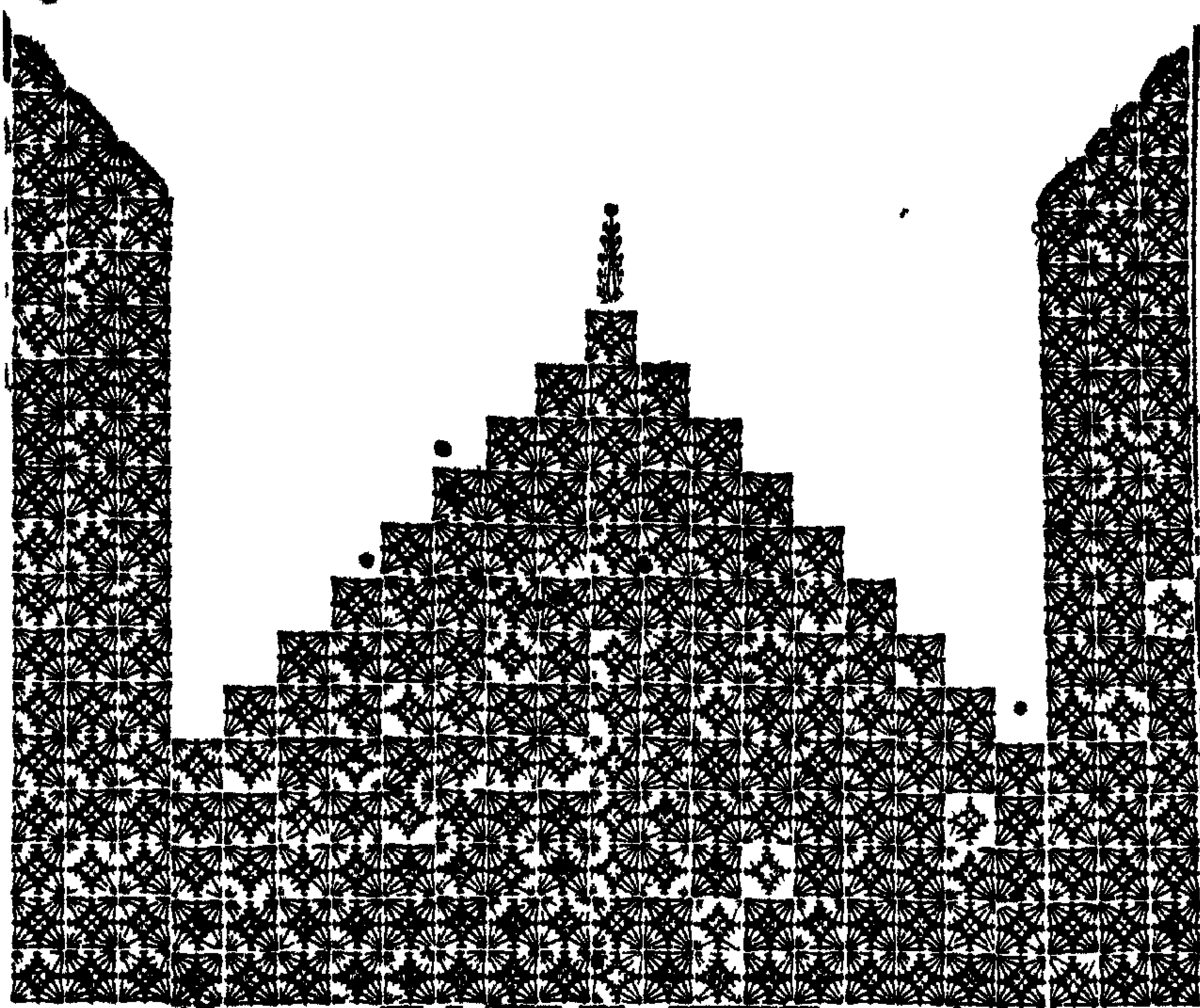
نمبر کتاب و فن مذکور

241241

الجزء الثالث من حاشية العالم العلامة الحبر البحر الفهامة امام
الفضلاء العظام وشيخ مشايخ الاسلام مظهر الفيض
القدوسي الاستاذ السيد مصطفى العروسي المسماة
بنتائج الافكار القدسية في بيان معاني شرح
الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام
زكريا الانصاري نفع الله
بها كما نفع باصلها
آمين

م

(وبهامشها الشرح المذكور)



بسم الله الرحمن الرحيم

(باب الجوع وترك الشهوة)

اعلم أن الجوع مندوب اليه بآيات القرآن الشريفة وأخباره صلى الله عليه وسلم الصريحة وبأفعاله بموافقة القريحة وحقيقته حبس النفس عن داء الامتلاء والبطنة وذلك من منازل العوام فى ابتداء سيرهم لحاجتهم الى النشاط فى الارادة ورقة القلب بترك العادة ليحصلوا بذلك الحسنى وزيادة أما الجوع عند الخواص فهو تفرق وبقاء للاحساس ووقوف مع البشرية وكل ذلك نقص عندهم فهم رضى الله تعالى عنهم غذاء نفوسهم بالذكر وراحة أرواحهم بالفكر فهم دائما على موائد المعارف وشراب طوارق اللطائف رضى الله عنهم ورضوا عنه فافهم ولله درّ الرازى حيث قال من استفتح باب المعاش بغير مفاتيح الاقدار وكل الى المخلوقين فتدبره فانه من لطف الحكمة (قوله ولنبلونكم بشئ) أى لاظهار الشرف عند الخلق فيتميز المبطل من المحق وعبارة أبي السعود ولنبلونكم لنصيبنكم اصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشئ من الخوف والجوع أى بقليل من ذلك فانه ما وقاهم منه أكثر بالنسبة الى ما أصابهم بألف مرة وكذا ما يصيب به معانديهم واخبارهم بذلك قبل الوقوع ليوطنوا انفسهم عليه ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به وليعلموا أنه يسير له عاقبة حميدة (قوله فبشرهم فيها بجميل الثواب على الصبر الخ) اى فدل ذلك على أن الجوع مطلوب كما اشار له الشارح واعلم أن الصبر على ثلاثة مقامات بعضها فوق بعض تحمل مشقة وتجرع غصة فى الثبات على ما يجرى به القضاء وهو صبر لله وذلك من أخلاق

(باب الجوع وترك الشهوة)

قال الله تعالى ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ثم قال فى آخر الآية وبشر الصابرين فبشرهم) فيها (بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع

العوام وحبس النفس على شهود تصاريف الحق وهو يسهل طرق التحمل وهو من اخلاق المريدين ويقال له صبر بالله وحبس النفس على شهود المبلى فى البلاء والمعذب فى العذاب وهو يفيد التلذذ بالبلوى ويقال له الصبر على الله وهو من اخلاق العارفين ولذا قال قائلهم شعرا

ألفت الشئ حتى تطاول مكثه * فلو زال عن جسمى بكته الجوارح

(قوله ويؤثرون على انفسهم الخ) اى يقدمون غيرهم على انفسهم بما يحتاجون اليه (قوله وفى ذلك) أى فى هذا الايثار المذكور من اخلاقهم مدح أى ثناء عليهم بالجوع وترك الشهوة وهو يقتضى طلبهما ضمنا (قوله وقد طلبا صريحا فى الصوم) أى لحكمة قمع النفس ورياضتها لتطهر من رجس حظوظها وما ألوفاتها ثم اذا علمت ذلك تعلم قبح ما ظهر فى هذا الوقت من تبديل هذه الحكمة بسبب البدعة المذمومة التى هى تكثير المأكولات والمشروبات لغرض المباهاة والعجب والفخر بالدنيا حتى صار الانسان لا يدعو الامثاله أو أعلى منه ليفتخر عليه بما أعده من ذلك التوسع فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله وروى الترمذى خبرا الخ) أى فقد جمع صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر طب الاجسام وطب الارواح كيف وهو عليه الصلاة والسلام طب القلوب والمعول عليه فى هول الخطوب ما تقدم منها بتقدير العزيز فى الدنيا وما تأخر بحكمة الحكيم فى الاخرى فالله تعالى يرزقنا شرف متابعته ولا يحرمنا فضل شفاعته انه جواد كريم رؤف رحيم (قوله حسب ابن آدم) أى كافيه وقوله فان كان لا محالة أى لا غنى له عن الاكل فيكفيه ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه بفتح الفاء لا غير (قوله ومن ثم) اى مما دلت عليه الآيات والاخبار كان التقلل فى الدنيا ممدوحا أى مثنى على فاعله موعودا عليه بالاجر (قوله ولذلك) أى لكون التقلل ممدوحا زهد الله نبيه فى الدنيا أى دله عليه وهداه اليه حين عرضت عليه الخ (قوله ان جعت تضرعت) أى دعوتك مبتهلا وان شبعت شكرت أى بصرف ما أنعمت به على من القوى فى طاعتك لأنال ما وعدت به الشاكرين من عبادك (قوله وفوائد ذلك) أى التقلل المذكور كثيرة (قوله وأقلها زوال المشغلات الخ) أى التى تنشأ غالبا عن التوسع فى الدنيا (قوله ليعلم صبرهم) أى ليظهر علمه للملائكة والا فهو تعالى العالم بالعلم المطلق (قوله وقد قال تعالى الم أحسب الناس الخ) اعلم أن الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعانى المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شئ لشئ أو انتفائه عن شئ بحيث يتحصل منها مفعولاه اما بالفعل كما فى عامة المواقع واما بنوع تصرف فيها كما فى الجمل المصدرة بأن والواقعة صلة للموصول الاسمى أو الحرفى فان كلا منها صالحة لأن يسبك منها مفعولاه لان قوله تعالى أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون فى قوة أن يقال أحسبوا انفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أن يقولوا آمنا او أن يقال أحسبوا تركهم غير مفتونين بقولهم آمنا

وقال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة اليهما يؤثرون به وفى ذلك مدح على الجوع وترك الشهوة فهما مطلوبان وقد طلبا صريحا فى الصوم وروى الترمذى خبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات أى لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ومن ثم كان التقلل من الدنيا ممدوحا ولذلك زهد الله نبيه فى الدنيا لما عرضت عليه جبال تهامة تسير معه ذهبا وفضة حيث شاء فقال يارب أجوع يوما وأشبع يوما ان جعت تضرعت وان شبعت شكرت وفوائد ذلك كثيرة واقلها زوال المشغلات والغفلة عن الطاعات والتلذذ بالمناجاة وسائر العبادات اخذا من الادلة وقد تضمنت الآية الاولى ان الله يبتلى عباده بالجوع ليعلم صبرهم وقيامهم بحقه حالة الشدة والرخاء وقد قال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا الآيتين

(أخبرنا علي بن احمد الاهوازي قال أخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبد الله ابن أيوب قال حدثنا ابو الوليد الطيالسي قال حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني قال حدثنا محمد بن عبد الله عن انس بن مالك) رضي الله عنه (انه حدثه قال جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال) لها (أما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام) وفي بعض الروايات جاءت فاطمة رضي الله عنها بقرص شعير) فيه دلالة على طلب الجوع وليس المراد منه تعذيب النفس به بل تعويدها الكف عن الشهوات وخفة الجوارح للطاعات ولهذا كان (الجوع من صفات القوم) اي الصوفية (وهو أحد اركان المجاهدة) في الطاعة (فان ارباب السلوك تدرجوا الى اعتياد الجوع والامساك عن الاكل) الزائد على ما تقوم به البنية (ووجدوا ينابيع الحكمة) الحاصلة بالطاعة (في الجوع وكثرت الحكايات عنهم في ذلك

حاصلا متحققا والمعنى على انكار الحسبان المذكور واستبعاده وتحقيق انه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض ما تشتهيه النفس ووظائف الطاعات وفنون المصائب في الانفس والاموال ليتميز المخلص من المنافق والراسخ في الدين من المتزلزل فيه ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من النار خلودا روي انها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جزعوا من أذية المشركين وقيل في عمار قد عذب في الله وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبوه وامرأته وهو أول من استشهد يومئذ من المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة وقوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم متصل بقوله أحسب أو بقوله لا يفتنون والمعنى ان ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الامم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه (قوله فقال لها أما انه اول طعام الخ) تدبر ما تضمنه هذا الخبر من حال تقلل السيد الكامل وما تحمله لنيل زيادة الفضائل مع ما منحه الله تعالى من الكمالات ومعالي المقامات بل هو السر في كمال الانسان والواسطة العظمى في سابق علم الرحيم الرحمن وتفكر في شفقة الولد على الوالد وبذل المقل الواجد لتحقق ما انت عليه من القسوة وغاية التقصير وذلك منك على خطر خطير فعسى أن تتأثر نفسك الخبيثة وتنزجر عن عاداتها الخسيسة فتتأسى بسيد الكائنات لتندرج مع كمل أهل السعادات رضي الله عنهم وأرضاهم عنا (قوله وليس المراد منه تعذيب النفس به الخ) احترز بذلك عن قيام الانسان على نفسه بغير شاهد العلم بأن يخلقها بغير المشروع مما يوجب تعذيبها اما سياستها بشاهد العلم فمندوب اليه مرغب فيه مثاب فاعله (قوله ولهذا) أي لما علم من طلب الجوع والتقلل وانه خلق محمدي وطريق احمدي كان الجوع من صفات القوم ونعوتهم التي لا ينفكون عنها (قوله وهو أحد أركان المجاهدة) اي فهي لا تتحقق الا بواسطته حيث هو السبب الاعظم في النشاط للعبادة وتنوير القلوب وافاضته على الاسرار واشراق النور على مرآة القلوب ولهذا زاد القوم فيه حتى اقتصروا على ما تقوم به البنية من الغذاء طلبا للخيرات والحق الارادات (قوله تدرجوا الخ) اشار به الى انه ينبغي القيام على النفس تدريجا لا بغتة اذ هي بطبعها حرون رواغة والله أعلم (قوله ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع) أي لما تخلقوا بالجوع المشروع أشرقت لهم انوار القلوب وانصقلت مرائي بصائرهم ونبع وتفجر من اعينها ينابيع الحكمة التي هي ثمرة العبادة والرياضة فاخرجها من مكامن الصدور ترجمان الاشواق فاثر العمل بهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فكانوا ممن يرزق بهم اهل الارض ويباهي بهم أهل السماء فهم القوم لا يشقى جليسهم ولا يمل حديثهم رضي الله

سمعت محمد بن احمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمي يقول سمعت ابن سالم يقول ادب الجوع أن لا ينقص) العبد (من عادته) وفى نسخة عادته (الا مثل اذن السنور) كان بعضهم يزن قوته بقطعة خشب خضراء كل ليلة وهي تنقص كل يوم نقصا يسيرا ينتفع به ولا يؤثر فيه اثرا يضره فاذا وصل الى حد اعتاده واستمر عليه (وقيل كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام الا فى كل خمسة عشر يوما) تقليلا للاكل (فاذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل) طعاما (حتى يرى الهلال) ليلة شوال (وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح) اى الخالص الذى لا يشوبه شئ طلبا للخفة فى الطاعة وتحرزا من كراهة الوصال (وقال يحيى بن معاذ لو أن الجوع يباع فى السوق) مثلا (لما كان ينبغي لطلاب الآخرة ٥ اذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره) لما يترتب عليه من الحكم التى منها الاستغناء عن كثير من المزاحمة فى الاسواق والمعاداة لمن زاحمه فيها والقنع بما قسم الله به والسلامة فى البدن فان غالب الامراض انما تكون من كثرة الاكل والتمتع باللذائذ (اخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال حدثنا على بن الحسين الارجانى قال حدثنا ابو محمد عبد الله ابن احمد الاصطخرى بمكة حرسها الله تعالى قال قال سهل بن عبد الله لما خلق الله تعالى الدنيا جعل فى الشبع المعصية والجهل وجعل فى الجوع العلم والحكمة) لان العبد اذا شبع تحركت شهواته واذا جاع ذل وفترت همته عن كثير من الامور الدنيويات وتفرغ القلب للاجتهاد فى الطاعات ونال العلم والحكمة بفضل خالق الارض والسموات (وقال يحيى ابن معاذ الجوع للمريدين رياضة) اى تقوية على رياضة انفسهم (وللتائبين تجربة) بتعود انفسهم الجوع وامتنانهم به (وللزهاد سياسة) لانفسهم حتى لا يلتفتوا للحاجات الدنيوية (وللعارفين مكرمة) يكرمهم الله بها ليشغلهم بمناجاته وبالتلذذ بها عن المطاعم والمشارب فعلم أن الجوع لا يستغنى عنه مريد متفرغ للطاعة ولا تائب عن الذنب ولا زاهد قد اعرض عن الدنيا ولا عارف كمل شغله بالمولى (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول دخل بعضهم على بعض الشيوخ فرآه يبكى فقال له مالك تبكى فقال انى جائع فقال ومثلك) فى جلالة القدر (يبكى من الجوع فقال) له (اسكت) لا تعترض على (أما علمت ان مراده) تعالى (من جوعى ان ابكى) اى ما جوعنى الا لابكي تارة له وتارة عليه

عنهم ورضوا عنه ورضي عنا ببركات أنفاسهم (قوله أدب الجوع الخ) المراد منه ان الرياضة لا تطلب الا على وجه التدريج لتشوف الشارع صلى الله عليه وسلم لحفظ الصحة ولخوف الملل والسآمة لو ارتاض بها دفعة واحدة (قوله فاذا وصل الى حد الخ) أى فعلى العبد أن يكرر ذلك حتى يصل الى حد تقوم به البنية فيستمر عليه لصيرورته عادة له حينئذ ولا يضره الدوام عليه (قوله وقيل كان سهل الخ) فيه تنبيه على كماله بفنائه عن كامل حظوظ نفسه رضي الله تعالى عنه (قوله وتحرزا من كراهة الوصال) أقول المنصوص فى كتب الفروع حرمة الوصال لا كراهته اذ الوصال من خصوصيات النبي صلى الله عليه وسلم نعم ان حمل كلامه على كراهة التحريم كان له وجه (قوله لما كان ينبغي الخ) أى وذلك لانه السبب فى سلوك سبيل الحق وترك معاداة الخلق (قوله والمعاداة لمن زاحمه فيها) أى وسوق الجوع قليل الزحمة لكساد بضاعته بسبب قلة الراغب فيه (قوله لما خلق الله تعالى الدنيا الخ) الغرض الحث على الجوع والزجر عن الشبع مع بيان ما ينشأ عن كل بمقتضى حكمة الايجاد فقال جعل أى خلق فى الشبع أى فيما زاد عن المشروع منه المعصية كبيرها وصغيرها والجهل بالنافع دينا ودنيا وجعل أى خلق فى الجوع المشروع العلم والحكمة أى العلم النقلي والذوقي والحكمة الناشئة عن العمل بذلك فيترقى بذلك الى حالات المشاهدات والمكاشفات (قوله أى تقوية الخ) أى فالجوع من سبل الرياضة الجارية على سنن متابعة سيد الكاملين وامام المرسلين صلى الله عليه وسلم (قوله وللتائبين تجربة) أى بامتحان النفس بمشاق الجوع ليسهل عليها بعده الاشق منه لتمرنها به (قوله وللزهاد سياسة) أى لقيامهم به على النفس تدريجا (قوله ليشغلهم بمناجاته الخ) أى فالذكر والفكر غذاء أرواحهم وحياة أنفسهم فبه يقوم ناسوتهم ويقوى لاهوتهم نفعنا الله ببركة أنفاسهم (قوله فقال اسكت أما علمت الخ) أى فهو يشير الى انه دائما على شهود تصاريف الحق تعالى فى الخلق فهو حينئذ بالله وفى الله ولله فطبعه قد غلب على طبيعته ودوام اشتغاله قد أفنى بشريته (قوله تارة له الخ) أى تارة من أجل تصاريف

وفى هذا دلالة على رضاه بما يجرى به الله عليه فى وقته لانه اذا ابتلاه بالجوع وصبره عليه فهو راض به (سمعت أبا عبد الله الشيرازى رحمه الله يقول حدثنا محمد بن بشر قال حدثنا الحسين بن منصور قال حدثنا داود بن معاذ قال سمعت مجاهدا يقول كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشام فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شئ يأكله) اذ العبد قد يستغنى عن الماء مدة طويلة بخلاف الطعام لان فيه من البلة وما تشربه من الماء ما يكفيه (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الغزالى يقول سمعت محمد بن على يقول سمعت ابا عبد الله احمد بن يحيى الجلاء يقول دخل ابو تراب النخشبى من بادية البصرة مكة حرسها الله تعالى فسألناه عن اكله فقال خرجت ٦ من البصرة واكلت بنباج) بكسر النون قرية بالبادية احياها عبد الله بن عامر قاله الجوهرى (ثم اكلت ايضا (بذات عرق و) خرجت (من ذات عرق اليكم فقطع) ابو تراب (البادية باكلتين) لطى الارض له او لكونه لم يأكل الطعام وكل منهما خارق للعادة فهو كرامة (وسمعته) ايضا (يقول حدثنا على بن الحسن المصرى قال حدثنا هارون بن محمد الدقاق قال حدثنا ابو عبد الرحمن بن الدرقش قال حدثنا احمد بن ابى الحوارى قال سمعت عبد العزيز بن عمير يقول تجوع صنف من الطير اربعين صباحا ثم طار وافى الهواء فرجعوا بعد ايام فكان يفوح منهم رائحة المسك) فيه اشارة الى ان من طال جوعه تطهر من دنسه وفاحت منه رائحة طيبة لما ادركه من كثرة شغله بربه والطير فى كلامه نزله فى منزلة من يعقل فأعاد عليه ضميره (وكان سهل بن عبد الله اذا جاع قوى) لتعوده الجوع (واذا اكل شيأ) زائدا على ما تقوم به البنية (ضعف) لضعف أمعائه عن حملها الطعام

(وقال ابو عثمان المغربى الربانى) اى المنسوب الى الرب اى المالك (لا يأكل فى اربعين يوما والصمدانى) اى المنسوب الى الصمد أى المقصود فى الحوائج على الدوام او الذى لا يطعم لا يأكل (فى ثمانين يوما) فى ذلك دلالة على شرف الهمة وعلو الدرجة (وسمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن على العلوى يقول سمعت على بن ابراهيم القاضى بدمشق يقول سمعت محمد بن على بن خلف يقول سمعت احمد بن ابى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان الدارانى يقول مفتاح) أعمال (الدنيا الشبع) لانه يحرك شهوته التى منها شهوة الفرج وللعبد اذا تزوج وسلم من الفساد كثرت كلفته وان جاءه اولاد فقد حصلت عنده الاعداء وتوالت عليه جهة الفساد قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم

احكام الحق وتارة من أجل عدم الوصول الى درجة الوصال والقرب (قوله وفى هذا دلالة الخ) أى ووجه ذلك أنه قد فنى فى صفات أفعال الحق تعالى (قوله فمكث خمسين ليلة الخ) فيه تنبيه على فناء بشريته اذ حياته بالذكر والفكر (قوله دخل أبو تراب الخ) قد تقدمت هذه القصة فلا تغفل (قوله صنف من الطير الخ) يشير الى تنبيه النوع العاقل بافادة خلق غيره مما لا يعقل عسى ان يتخلق بمثل خلقه ولاسيما اذا تأمل ما يترتب على ذلك من ذكاء الرائحة وخفة الطيران لتكثر أعماله ويسمو مقداره والله هو الموفق لمن يشاء من عباده (قوله وكان سهل بن عبد الله الخ) أقول وهكذا شأن النفس فى كامل أوقاتها اذا استرسل معها صاحبها تزيد شهواتها وتكثر غفلاتها وتفحش بطالتها ثم اذا قام عليها بالسياسة والرياضة انكفت عن ذلك وعظم انقيادها ودام تسديدها ويصرح بذلك قول صاحب البردة

والنفس كالطفل ان تهمله شب على * حب الرضاع وان تفطمه ينفطم

(قوله الربانى لا يأكل الخ) أى وذلك لحسن تربيته بألطاف ربه وقوله والصمدانى لا يأكل الخ أى باعانة من له الامر كله فالله تعالى يرزقنا التوفيق على يد أحسن رفيق (قوله مفتاح اعمال الدنيا الشبع) أى وذلك لانه اذا شبع بابلاغ نفسه ما تتمنى من ملذوذاتها قويت شهواتها وعمت حركاتها لطلب تحصيل الالذ ولا نهاية لذلك باعتبار رغبتها ثم بعد ذلك تقوى على طلب حظ الفرج وغاية ثمرته نيل الاولاد بعد قضاء الوطر وذلك وهذا من دنى الثمرات بل قد يكون من أكبر المضار حيث الشبع مع كونه من حظ النفس الحيوانية قد يوجب الطغيان والبعد عن رحمة الرحيم الرحمن وثمرة الولد قد تضر كذلك بشهادة قوله تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم الآية فاذا تأملت بعين الاعتبار ونظرت بنور الاستبصار ترجع عن هذا الحظ الحيوانى الفانى الى ما به حياة الروح الرحمانى فتأخذ من الاولى ما به نعيم الاخرى فتشمر ساعد الجد على الطريق الاحرى ثم أقول وحيث

كان

(ومفتاح) أعمال (الآخرة الجوع) لانه يحرك الطاعة (سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت على بن الحسين الاربانى يقول سمعت ابا محمد الاصطخرى يقول سمعت سهل بن عبد الله و) قد (قيل له الرجل يأكل فى اليوم اكلة) واحدة (فقال) هذا (اكل الصديقين) وهم من كملت رغبتهم فى احوال الآخرة (قال فاكلتين) يأكل (قال) هذا (اكل) سائر (المؤمنين قال فثلاثة) يأكل (قال قل لاهلك) اذا اكلت ثلاث اكلات (يبنون لك معلفا) شبهه بالدواب التى لاهمة لها الا فى كثرة الاكل والشرب التى هى سبب قلة الفهم (وسمعته) ايضا (يقول حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا ابو بكر السائح قال سمعت يحيى ابن معاذ يقول الجوع نور) لانه يسوق اليه بتفرغ القلب به للخيرات ٧ (والشبع نار) لانه يسوق اليها لانه انما يكون عن قوة الشهوة الحاملة غالبا على تناول الحرام (والشهوة مثل الحطب) مع النار (يتولد منه) معها (الاحراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسى يقول دخل يوما رجل من الصوفية) وعليه ثياب (على شيخ فقدم اليه طعاما) يأكله فأكل فرأى قوة همته فيه فعلم أنه جائع (ثم قال له منذ كم) يوما (لم تأكل فقال منذ خمسة أيام فقال م فالذى حملك على جوع خمسة ايام وعليك ثياب وانت شره فى الاكل (جوعك جوع بخل عليك ثياب وانت تجوع ليس هذا جوع فقر) وهو ما يختار معه الجوع على الشبع فوظيفة العبد اذا قدم له طعام ان يأكل منه بأدب وقلة شره فأدبه الشيخ بأن يكون جوعه جوع المساكين المختارين لا جوع المضطرين (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن احمد بن سعيد الرازى يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت احمد بن أبى الحوارى يقول قال أبو سليمان الدارانى لأن اترك من عشائى لقمة احب الى من ان اقوم الليل) من اوله (الى آخره) لان حال العبد مع الجوع فى عبادته بعض الليل اقرب الى الخشوع والتلذذ بها من قيامه وهو شبعان كل الليل كما هو معروف عند اهله (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا القاسم جعفر بن احمد الرازى يقول اشتهى أبو الخير العسقلانى السمك سنين) وقد كان ترك شهوته له ليعود نفسه ترك شهواتها ودام على ذلك مدة وهو يجاهد نفسه فى أن لا يعطيها شهوتها ولا يحل عهده مع الله تعالى (ثم ظهر له ذلك) أى السمك (من موضع) أى وجه (حلال) فأراد أن يأكل منه (فلما مد يده اليه ليأكل) منه (أخذت شوكة من عظامه اصبعه فذهبت فى ذلك يده) تأديبا له لعدم وفائه بما عزم عليه من ترك شهوته (فقال يا رب هذا) جزاء (لمن مد يده بشهوة الى حلال فكيف) والعياذ بالله (بمن مد يده بشهوة الى حرام

كان الامر كله لله فلا اعتماد فى شئ الا على الله (قوله ومفتاح اعمال الآخرة الجوع) أى لانه يرقق القلب ويوجب زيادة أنواره ويكثر فى تواردات الحكم عليه ويثمر خفة البدن والنشاط للعبادة (قوله فقال هذا أكل الصديقين) أى لانه من الاخلاق المحمدية ومن التوسط فى الاحوال البشرية (قوله قال هذا أكل سائر المؤمنين) أى ممن فترت همتهم عن المتابعة بقوة ما ثبت لهم من العادة (قوله قل لاهلك الخ) أى لان ذلك من شأن الحيوان اذ هو الذى يطلب الاكل فى كل الاحيان أقول ومن أقبح البدع ما احدثه أهل زماننا من التوسع فى الاطعمة المختلفة فى المطعوم والطبائع وجمعها فى وقت واحد وتناولها على الترتيب شيأ بعد شئ ويتناولونها على هذه الكيفية حتى لا يدعون فراغا لشرب ماء ولتنفس ضرورى فيصلون بعد ذلك الى درجة من لا يعقل ويقعون فى امراض خطرة دينية وبدنية وصار ذلك الحال هو الغالب عند أرباب المظاهر ومن تشبه بهم من غيرهم وأضر شئ ما أحدثه أهل الوقت من آلات وأوانى لا يحل استعمالها ولا اتخاذها فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله الجوع نور والشبع نار) أى فليأخذ العبد لنفسه ما يختاره من ذلك فان الجوع يثمر خفة البدن وهى تعين على كثرة العبادة والذكر وهى تثمر الانوار فى القلوب والشبع بضد ذلك فانه يثقل البدن ويفتر عن العبادة ويقسى القلب ويقوى الشهوة المؤدية لنيل الحرام الموصل الى النار (قوله يتولد منه معها الاحراق) أى فكما أن النار الحسية بملابسة الحطب ومماسته يحصل بها الاحراق المحسوس فكذا ما شابههما من الشهوة مع الشبع فثمرتهما لصاحبهما الاحراق وهو معنوى فى الدنيا حقيقى فى الاخرى (قوله دخل يوما رجل الخ) محصله الحث على عدم الشح وملازمة العفة وطرق الادب فى تناول المأكولات فى حالة الانفراد والاجتماع حيث ذلك من محاسن الاتباع (قوله أقرب الى الخشوع) أى لان فراغ البطن يوجب زيادة نور الباطن الذى به ينال التلذذ بالعبادات والمناجاة (قوله لعدم وفائه بما عزم عليه) أى وقد قال

سمعت الاستاذ) الامام (أبا بكر بن فورك) رحمه الله (يقول شغل العيال) اى الاشتغال بهم بكسب المال والقيام بحقوقهم (نتيجة متابعة الشهوة) بكسرها (بالحلال) من التزوج ونحوه (فما ظنك بقضية شهوة الحرام) اى اذا اشغلت العبد شهوة الحلال فى أعمال الدنيا عن أعمال الآخرة فما ظنك بمن أشغلته فيها عن ذلك شهوة الحرام (سمعت رستم الشيرازى الصوفى) رحمه الله (يقول كان ابو عبد الله بن خفيف فى دعوة) الى طعام (فمد واحد من اصحابه يده الى طعام) وفى نسخة الى الطعام ليأكل منه (قبل الشيخ لما كان به من الفاقة) اى الحاجة (فأراد بعض اصحاب الشيخ أن ينكر) وفى نسخة ينكت (عليه لسوء أدبه حيث مد يده الى الطعام قبل الشيخ فوضع) بعض اصحابه (شيأ بين يدى هذا الفقير فعلم الفقير أنه انكر) وفى نسخة نكت (عليه لسوء أدبه) بمد يده الى الطعام قبل الشيخ (فاعتقد) اى عزم (أن لا يأكل خمسة عشر يوما عقوبة لنفسه وتأديبا لها واظهارا لتوبته) وفى نسخة للتوبة (من سوء ادبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك) حملته على مد يده قبل الشيخ ولا حاجة لهذا ٨ فقد قدم ما يغنى عنه (سمعت محمد ابن عبد الله الصوفى يقول حدثنا ابو الفرج الورثانى قال حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحرث قال حدثنا سليمان بن داود قال حدثنا جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول من غلب شهوات الدنيا) بكمال شغله بربه (فذلك) هو (الذى يفرق) بفتح الراء اى يخاف وفى نسخة يفر (الشيطان من ظله) كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك (وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصبهانى يقول سمعت اباعلى الروذبارى يقول اذا قال الصوفى بعد خمسة ايام أنا جائع) فلا صبر له على الجوع (فألزموه السوق وأمروه بالكسب) بخلاف من لم يقل ذلك اما لتعوده الصبر على الجوع (قوله) او لخرق العادة له فى حصول قوته من غير كسب وهو المعبر عنه بغير حساب كما قالت مريم عليها السلام لما قيل لها أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق) رحمه الله (يقول حاكيا عن بعض المشايخ انه قال ان اهل النار غلبت شهوتهم حميتهم) عن المطاعم (فلذلك افتضحوا) بارتكابهم شهواتهم لان حمى الله محارمه فمن غلبت شهوته تقواه افتضح ومن غلبت تقواه شهوته نجح (وسمعته) ايضا (يقول قيل لبعضهم ألا تشتهى فقال) نعم (أشتهى ولكن) مع ذلك (أحتمى) عن المشتهيات فأخاف شهوتى (قال وقيل لبعضهم ألا تشتهى فقال) نعم (أشتهى أن لا أشتهى) ليس هذا تمنيا لرجوعه الى شهوة الدنيا عما هو فيه من طاعة ربه فانه نقص وانما هو اخبار عن حسن حاله وبعده عن شهوات نفسه وقلة خطورها بباله لكمال شغله بربه عن شهواته الدنيوية وهذا كقول أبى يزيد لما سئل أين ابو يزيد فقال أين ابو يزيد أنا فى طلب ابى يزيد رحم الله أبا يزيد فانه اخبار عن كونه مشغولا بربه عن نفسه (وهذا اتم) مما قبله لانه اخبار عن عدم شهوته وذلك اخبار عنها ولكنه احتمى عنها

تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا ان قلت لم يجب الوفاء فى هذه الحالة للاباحة بشاهد العلم قلت نعم بالنسبة للعوام أما بالنسبة للخواص فيعاملون بالاشق لعلو همتهم ودوام رعايتهم (قوله شغل العيال) المراد الحث على علو الهمة بافادة ان النفس اذا اشتغلت بالمباحات بل بالمطلوبات بنوع الحظ كان ذلك من متابعة الشهوة فما ظنك اذا اشتغلت بالمحرم (قوله من غلب شهوات الدنيا الخ) مراده بشهوات الدنيا ما يعم التشوف الى جزاء الاعمال اذ هو من نوع الحظوظ وتلك الغلبة تمرته الرضا بما يجريه الحق تعالى من عطاء ومنع وصحة وبلاء وغير ذلك اذ لا ينفك قدر الحق عن لطف وانكار ذلك جهل بالعقليات والعاديات والشرعيات اذ ما من بلاء الا والعقل قاض بامكان ما فوقه مع شهوده اعظم من بلائه فى غيره ولا تجتمع البلايا بشخص واحد قط وما من بلية الا وهى مكفرة من ذنوب صاحبها أو موجبة له ثوابا أو مخففة عنه عقابا (قوله من غلب شهوات الدنيا) أى بان قام على نفسه بسياسة التقوى وراضها على احسن الاخلاق حتى فنيت شهواتها وحظوظها ودام اشتغالها بعبادة مولاها فكان ممن يخافه الشيطان (قوله اذا قال الصوفى الخ) أقول ذلك من المبالغة فى حمل النفس على تحمل المشاق طلبا لرضا الحق تبارك وتعالى (قوله غلبت شهوتهم حميتهم) أى حيث ارخوا لانفسهم العنان ولم يراقبوا وعيد الديان ولذا كان جزاؤهم الافتضاح على رؤس الاشهاد (قوله ليس هذا تمنيا الخ) أى فما يظهر من العبارة غير مراد بل الغرض الاخبار عما صار اليه تحدثا بالنعمة (قوله وهذا أتم) أى لفقد حظ النفس فيه ووجوده فى الاول ممنوعا منه

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول أخبرنا احمد بن منصور قال اخبرنا ابن مخلد قال حدثنا ابو الحسين الحسن ابن عمرو بن الجهم قال سمعت أبا نصر التمار يقول اتاني بشر ليلة فقلت الحمد لله الذي جاء بك) الينا (جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحما) وطبخناه (فتفطر عندنا فقال) له (لو أكلت عند احد أكلت عندكم ثم قال اني لا أشتهي الباذنجان منذ سنين ولم يتفق لي اكله فقلت) له (ان فيها) اي الطبخة (الباذنجان من الحلال فقال حتى يصفو لي حب الباذنجان) بحيث يكون اكلي له طاعة فانه كله (سمعت ابا عبد الله بن باكويه الصوفي رحمه الله ٩ يقول سمعت ابا احمد الصغير يقول امرني ابو عبد الله بن خفيف أن اقدم اليه كل ليلة عشر حبات زبيب لافطاره فليلة) من الليالي (اشفقت عليه) من ألم الجوع (فحملت اليه خمس عشرة حبة فنظر الي كالمنكر علي (وقال) لي (من امرك بهذا) اي بحمل الزائد على العشر (وا كل) مما حمله (عشر حبات وترك الباقي) فيه دلالة على كمال محافظته على ما حصل له من الاستقامة في ادب النفوس والاكتفاء باليسير واعتياد التقلل من الطعام وان كان شهيا لذيذا حيث اكتفى بعشر حبات زبيب في وقت افطاره قيل وربما كان يتسحر ايضا بمثلها (سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول سمعت ابا العباس احمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت ابا الحسين الرازي يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ابا تراب النخشبي يقول ما تمنت نفسي) علي شيأ (من الشهوات الا مرة واحدة تمنت علي (خبزا وبيضا وأنا في سفر

٢ ج ث فعدلت الى قرية) لاقضي فيها ما تمنته نفسي (فقام) لي (واحد) من اهلها (وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة) فعرفت انه تأديب من ربي لميلي الى شهوتي (ثم عرفني رجل منهم) سخره الله تعالى له لحسن سيرته وكمال معرفته به (فقال هذا ابو تراب النخشبي فاعتذروا الي) في ضربهم لي (فحملني رجل) منهم (الى منزله) اكراما لي وشفقة علي (وقدم الي خبزا وبيضا فقلت لنفسي كلي) ما تمنيته وفي نسخة كل (بعد سبعين درة) قاله توبيخا لها والله أعلم

(باب الخشوع والتواضع)

وسيأتي بيانهما وكل منهما محمود (قال الله عز وجل قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون)

(قوله اتاني بشر الخ) فيه تنبيه على كماله في القيام على النفس حتى لم يأكل عند احد ولا يقدم على مباح من الافعال (قوله فتنظر الى الخ) أقول مثل هذا غذاؤه الذكر والفكر لا ضعف لا لبشريته والله ذو الفضل العظيم (قوله سمعت ابا تراب الخ) تقدمت هذه الحكاية بغير أن في ذكرها هنا نوع مغايرة وهي في قوله ما تمنت نفسي الخ المفيد انه لم يقع ذلك منه غير هذه المرة ولم يصرح بذلك فيما تقدم (قوله فقلت لنفسي كلي الخ) ان قلت كان من حقه عدم الاكل قلت لعله علم بالاذن له فيه بعد القصاص عليه

(باب الخشوع والتواضع)

أقول هو انما يكون بجمع القلب على مراقبة الرب ومن له الامر فيثمر ذلك له تصاغر النفس في حال انقيادها ومناجاتها بارئها ولاسيما عند ورود قوارع الاوامر والنواهي وتجليات جلال الحق على عباده الكاملين واعلم ان حالة الخشوع قد تتوالى على العبد فتصير من منازلاته فيدوم على استصغار النفس مع كل طارق الحق تعالى والخلق وفائدة مثل هذا الحال الرفعة في الدارين باشارة خبر من تواضع لله رفعه الله ومع هذا المقام البسط بمشاهدات جمال الحق لا يجامعه بل يكون بدله هذا وقيل الخشوع اطراق السريرة بشرط الادب بمشهد الحق والتواضع الانقياد الى الحق وعدم الاعتراض والفرق ان الاول خاص بالحق والثاني عام له وللخلق اه *(فائدة)* من اسباب الخشوع والتواضع شهود احاطة العلم القديم بسائر الكائنات وشهود جلال عظمة الذات والصفات (قوله قد أفلح المؤمنون الخ) الفلاح الفوز بالمرام والنجاة من المكروه والافلاح الدخول في ذلك وقد يجيء متعديا بمعنى الادخال فيه وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول وكلمة قد هنا للافادة ما كان متوقع الثبوت من قبل فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعا من حالهم والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت والمراد بالمؤمنين اما المصدقون بما علم ضرورة انه من دين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد والنبوة والبعث والجزاء ونظائرها فقوله تعالى الذين هم في صلاتهم خاشعون وما عطف عليه صفات مخصصة لهم واما الآتون

وقال تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين اى فى الصلاة وغيرها (أخبرنا ابو الحسن عبد الرحيم بن ابراهيم بن محمد بن يحيى المزكى قال أخبرنا ابو الفضل سفيان بن محمد الجوهرى قال حدثنا على بن الحسن قال حدثنا يحيى بن حماد قال حدثنا شعبة عن ابان بن تغلب عن فضيل الفقيمى ١٠ عن ابراهيم النخعى عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لايدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر) اى لايدخلها أبدا ان كان الكبر كفرا كأن تكبر على نبى والا فلا يدخلها مع الفائزين (ولايدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان) أى لايدخلها دخول خلود لما صح أن طائفة من المؤمنين يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة (فقال رجل) لما سمع ذلك (يارسول الله ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا) ونعله حسنة أى أهو من الكبر (فقال ان الله تعالى جميل يحب الجمال) فليس ذلك بكبر اذ (الكبر) كائن (من بطر الحق) بفتح الباء والطاء المهملة أى رده وابطاله (وغمص الناس) بصاد مهملة أى احتقارهم ولانه عبارة عن تعاظم العبد على غيره وماذكر ليس كذلك بل فيه اظهار النعمة وهو مطلوب والخبر رواه مسلم بلفظ الكبر بطر الحق وغمط الناس بطاء مهملة وهو بمعنى غمص والكبر ضد التواضع ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (وأخبرنا على بن احمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد ابن الفضل بن جابر قال حدثنا أبو ابراهيم قال حدثنا على بن مسهر عن مسلم الاعور عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير) راكبا (على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه اكاف) اى برذعة (من ليف) ثم بين الخشوع والتواضع بقوله (الخشوع الانقياد للحق) أى السكون اليه وقبوله اذا سمعه من أى قائل كان

بفروعه أيضا كما ينبئ عنه اضافة الصلاة اليهم فهى صفات موضحة والخشوع الخوف والتذلل أى خائفون من الله تعالى متذللون له ملزمون ابصارهم مساجدهم روى انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى رفع بصره الى السماء فلما نزلت رمى ببصره نحو مسجده وانه رأى مصليا يعبث بلحيته فقال عليه الصلاة والسلام لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (قوله يدعوننا رغبا ورهبا) أى رغبة فى وعدنا وخوفا من وعيدنا وبذلك تعلم ان الاعتدال فى استواء صفة الخوف والرجاء حيث امتدح الله تعالى عباده المؤمنين بذلك والاعتدال ان يستعمل العبد كلا منهما على حسب ماجاء عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم بان يقدم الخوف فى حال الصحة والرجاء فى حال المرض والله اعلم (قوله أى فى الصلاة وغيرها) أقول فالخشوع فى الصلاة بجمع الهمة بشاهد أدب المتابعة على ماهم بشأنه وهو مقام الاحسان فى العبادة ودرجة الكاملين من العبيد التواضع مع وجود الرفعة فى المقام والوضيع لايتم له ذلك الا اذا استقام من كان الرضا فهو لله ارضى ومن تعالى لايقال له تعالى تواضع أهل التحقق ذهاب وصفهم فى الطريق وتواضع الظاهر مع النفس استشراف وتواضع الباطن ذلة وصغار واعتراف من قبل الحق بالانصاف فهذا هو المتواضع بلاخلاف فافهم (قوله لايدخل الجنة الخ) أقول وذلك من الوعيد الشديد المفيد ان الكبر وان قل فهو من الكبائر وهى خطرة بالعبد فعلى العاقل سلوك سبيل التواضع مع الحق ومع الخلق ليسلم من هذه المخاوف العظيمة (قوله والا فلا يدخلها مع الفائزين) أى بالسبق الى دخول الجنة بل بعد التطهير ان لم يساعد بالعفو والاحسان (قوله فليس ذلك بكبر) أى بل هو من اظهار نعمة الله تعالى بابداء أثرها وذلك مندوب اليه مالم يؤد الى خيلاء فى النفس والا كان من أسباب العطب (قوله ومن تواضع لله) أى بتمام الانقياد بشاهد المتابعة رفعه الله أى رقاه الى الدرجات الرفيعة الحسية والمعنوية الدنيوية والاخروية وبالضد يعلم حكم ضده (قوله يعود المريض الخ) هذه جملة من اخلاقه صلى الله عليه وسلم ذكرت لتتبعه فيها من سبقت له السعادة فى الدنيا والدين وعيادة المريض ان تزوره فى مرضه وتشييع الجنائز تبعيتها الى أن تدفن وقوله ويركب الحمار أى وهو عريان كما ورد كذلك وقوله مخطوم الخ أى به مقود من ليف وقوله أى برذعة هى مايجعل على ظهر الحمار ليركب عليها (قوله الانقياد للحق) أى تلقيه بالقبول والقيام على النفس به سمعه من أى انسان كبيرا كان أو صغيرا حرا أو عبدا ذكرا أو انثى (قوله

(والتواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم) من الحاكم (وهو أعم من الخشوع) لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الرب بخلاف الخشوع لا يستعمل إلا في الثاني فلا يقال خشع العبد لمثله ويقال تواضع له (وقال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع) في العبادة وقد ظهر ذلك ظهورا كثيرا حتى صارت أكثر الصلوات تجرى على حكم العادات (و) قد (سئل بعضهم عن الخشوع فقال الخشوع قيام القلب بين يدي الحق) تعالى (بهم مجموع) أي بهمة عظيمة بحيث يعبد الله كأنه يراه (وقال سهل بن عبد الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان) بل يفر منه كما كان يفر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه (وقيل من علامات الخشوع للعبد أنه إذا غضب أو خولف أو رد عليه) في شيء لم يتغير عن حاله بل يبادر إلى (أن يستقبل ذلك بالقبول) ممن فعل به ذلك (وقال بعضهم خشوع القلب) لكونه مفضيا إلى معرفة العبد رؤية الله إياه (قيد العيون) بل وجميع الجوارح (عن النظر) إلى المشتهيات والوقوع في المنهيات وشغلها بأنواع الطاعات (وقال محمد بن علي الترمذي الخاشع من خمدت نيران شهواته) وانكسرت جوارحه عن السعي فيما لا يرضاه ربه (وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت) بذلك (شهواته وحيي قلبه فخشعت) أي من اتصف بذلك خشعت (جوارحه) لكمال معرفته بربه وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم لمن رآه يعبث في الصلاة بلحيته

والتواضع هو الاستسلام الخ) أي فلا يعامل وقته إلا بما اقتضاه أمره فإن كان تكليفا فيطلبه وإن كان تعريفا فيرضى به ولذا قال عمر بن عبد العزيز أصبحت مالي سرور إلا في مواقع القدر وقال أبو مدين احرص على أن تصبح مفوضا مستسلما لعله ينظر إليك فيرحمك وقال عبد الواحد الرضا باب الله الأعظم ومستراح العابدين وجنة الدنيا قال بعضهم شعرا

رياح القضا اتبع * ودر حيث دارت
وسلم لسلمى * وسر حيث سارت

فافهم (قوله وهو أعم الخ) أقول التفرقة عموما وخصوصا مرجعها اللفظ والإطلاق مع قرب المعنى (قوله أول ما تفقدون الخ) أقول لما كان الخشوع من مكملات العبادة ومن أعظم أسباب قبولها كان أول مفقود فهو من أمارات نقص الدين ومن أسباب قلة الخيرات بشاهد قوله جل جلاله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله قيام القلب) أي دوامه على مراقبة من له العبادة وقوله بين يدي الحق يريد باليدين القدرة والإرادة ولو عبر بهما لكان أظهر (قوله من خشع قلبه) أي دام على مراقبة جلال الحق باستحضار سلطان الخوف منه تعالى لم يقرب منه الشيطان أي لأن من خاف الله أخاف الله منه كل شيء فافهم (قوله أن يستقبل ذلك بالقبول) أي لأن الغافل ينظر ماذا يفعل والعارف الكامل ينظر ماذا يفعل الله به قال صاحب الحكم العطائية إنما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء قلت بل كانوا يستأنسون بكل شيء لرؤية مطلوبهم في كل شيء قال أبو العباس ليس الرجل الذي لا يدخل الظلمة ولا الذي يدخل الظلمة بالظلمة إنما الرجل الذي يدخل الظلمة بالنور فافهم (قوله قيد العيون) أي يكون سببا في منعها عن التطلع والاستشراف بالنظر إلى شيء ما من مشتهيات النفس ولذا قيل إذا أردت أن تعصي مولاك فاعصه بحيث لا يراك وحيث كان هو الرقيب والحسيب فعلى العاقل أن يكف عن المخالفات كما أشار إلى ذلك كله بقوله قيد العيون وإنما خصها بالذكر لأن معظم المهالك بسببها وإلا فالغرض كف سائر الجوارح والله أعلم (قوله الخاشع من خمدت نيران شهواته الخ) أقول ومثله لا ينفر من شيء ولا يستوحش لشيء ولا تضره المخالطة ولا تزيده العزلة ولا تغيره الدنيا ولا يكترث بالأخرى فهو حينئذ مصداق قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف إذ من مشاهدة الخلق توحيد الملك الحق فالرؤية في هذه الدار بالبصر على قدرها فيها بالبصيرة فأعظم الناس معرفة أكثرهم في الآخرة رؤية فلزم مراعاة السبب لتحصيل المسبب فافهم (قوله الخاشع من خمدت الخ) أي فقد بين رضي الله عنه ثمرة الخشوع لينبه على أن الخشوع إذا لم يثمر مثل ذلك فلا عبرة به إذ هو حينئذ دعوى بلا دليل (قوله وسكن دخان صدره) مراده بذلك ما بقي من حظ النفس بعد خمود نار الشهوة القوية وقوله وأشرق نور التعظيم في قلبه أي تعظيم الآمر والناهي

لوخشع قلب هـذا لخشعت جوارحه اى لو استشعر انه تعالى يسمع و يراه تأدب فى نفسه وقلبه وجوارحه (وقال الحسن البصرى الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب) هذا انما هو سبب الخشوع فان العبد اذا خاف سببا بعد عنه وخشع أى سكن عن طلبه (وسئل الجنيد عن الخشوع فقال) هو (تذلل القلوب لعلام الغيوب) وانما تذلل لمن علمت كماله واقتداره على نفعها وضررها والتواضع يحصل بالرفق ١٢ (قال الله عز وجل وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا) أى برفق بلا تكبر ولا اعجاب وهو المراد بما ذكره بقوله (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول معناه متواضعين متخاشعين وسمعته أيضا يقول هم الذين لا يستحسنون) استحسان تعجب (شسع نعالهم اذا مشوا) الشسع احد سيور النعل وهو مثال (واتفقوا على ان الخشوع محله القلب ورأى بعضهم رجلا منقبض الظاهر منكسر الشاهد) اى غاض البصر (قد زوى) أى جمع (منكبيه فقال له يا فلان الخشوع ههنا واشار الى صدره لاها هنا واشار الى منكبيه) فالمطلوب خشوع القلب لا تكلف الجوارح كما دل عليه حال الرجل المذكور ومتى خشع قلب العبد تبعه الجوارح بالانكسار والتذلل (و) لهذا (روى أن النبى صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يعبث فى صلاته بلحيته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقيل شرط الخشوع) أى الكامل بان يحضر العبد قلبه ويستغرق (فى الصلاة أن لا يعرف المصلى (من على يمينه ومن على شماله) ومن على غيرهما ومن كمل حضور قلبه فى صلاته ومناجاته لربه حسن منه أن يقول لمن معه فى الصلاة السلام فيشهد عليكم لانه كان غائبا ثم قدم عليهم والاذن هو حاضر بدنه بين يدى الله وقلبه مغرق فيما يحبه ويهواه فلم يغب عن نفسه ولا عما معه فهو حاضر معهم فلا يحسن معه ذلك (ويحتمل ان يقال الخشوع اطراق السريرة بشرط الادب بمشهد الحق تعالى) والحضور معه

الناشئ من جلاء البصيرة بعد ذهاب نار الشهوة ودخانها المقتضى موت النفس الحيوانية وحياة الروح الانسانية (قوله لو خشع قلب هذا الخ) أى فقد أشار سيد اطباء القلوب الى حمل العاقل على الخشوع بالقلب لتتبعه الجوارح الباقية حتى يصل بذلك الى درجة الكمال اذ صلاح الجوارح بصلاح القلب وفسادها بفساده وقد اشير الى ذلك فى خبر آخر حيث قال فيه الا وهى القلب (قوله فقال هو تذلل القلوب) اقول لما كان بها تذلل باقى الجوارح اقتصر عليها (قوله وعباد الرحمن الخ) كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلق عباد الرحمن واحوالهم الدنيوية والاخروية بعد بيان حال المنافقين والاضافة للتشريف وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول وما عطف عليه الى آخر السورة الذين يمشون على الارض هونا أى بسكينة وتواضع وهونا مصدر وصف به ونصبه اما على انه حال من فاعل يمشون أو على انه نعت لمصدره أى يمشون هينين لينين من غير فظاظة أو مشيا هينا (قوله وعباد الرحمن الخ) اقول وجه امتداحهم بذلك كونه من الاخلاق المحمدية اذ كان صلى الله عليه وسلم مشيه الهوينى والعفو والصفح عن زلة الجاهل والامر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ قد ورد انه قال ادبنى ربى فاحسن تأديبى فقال خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين والخير كله فى متابعته عليه الصلاة والسلام (قوله ورأى بعضهم رجلا الخ) أقول لعله قد اطلع على عدم خشوعه القلبى بسبب ما ظهر على جوارحه مما لم تشهد له ادلة المتابعة فانكر عليه بما ذكر ورؤيته كذلك كانت وهو فى الصلاة بدليل قوله بعد ولهذا الخ (قوله ولهذا) أى لكون الخشوع محله القلب روى الخ أقول لما كان خلاف الخشوع قد يكون تارة بالزيادة عن الوارد فى هيئة الجوارح بالتكلف وتارة يكون بالعبث والحركة قال ولهذا الخ (قوله لو خشع قلب هذا الخ) أى لان اسرار القلوب تبدو على صفحات الوجوه فاذا تأدب القلب تأدبت سائر الجوارح (قوله شرط الخشوع الخ) يشير بذلك كما صرح به الشارح الى أن الخشوع لا يتم الا اذا ادى الى غيبة المصلى عن معه بواسطة استغراقه فى لذة مناجاته ولذا شرع له السلام فى التحلل من الصلاة لشبهه بمن قدم على جماعة بعد غيبته عنهم (قوله اطراق السريرة الخ) أى عدم التفاتها الى غير الحق بشرط الادب بمراعاة طرق المتابعة بمشهد الحق وحضور القلب بمراقبة احاطة العلم بحركاته وسكناته الظاهرة والباطنة وذلك يزيد بكثرة شهود الآثار العجيبة ومن اجل ذلك كان بعض العارفين يختار سكنى المدن الواسعة لكثرة الآثار فيها

(أو يقال الخشوع ذبول يرد على) البدن ناشئا عن (القلب عند اطلاع الرب أو يقال الخشوع ذوبان القلب وانخناسه عند سلطان الحقيقة) أى كمال الحال (أو يقال الخشوع مقدمات غلبات الهيبة) من الحق (أو يقال الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة) وكلها ترجع الى تغير القلب وتذلله وسكونه بان يستشعر نظر الحق اليه حتى لم يبق فيه وسع لغير ما هو فيه وهذه الحالة أعلى رتب الخاشعين (وقال الفضيل بن عياض كان) الشأن عند السلف (يكره أن يرى الرجل غيره من الخشوع) أى خشوعه (اكثر مما فى قلبه) اذا لم يعجز عن اظهاره والا فلا يكره ذلك لعجزه عن كتمه فالعبد متى كان قادرا على كتم الاحوال الغالبة على القلوب ولم يكتمها كان مرتكبا مكروها بل ان اظهرها رياء أو تشبعا بما لم ينله فهو مراء كذاب وقد قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبى ١٣ زور ومتى لم يقدر على كتمها بان غلبت عليه بحيث أثرت فى جوارحه بغشيان او صياح او بكاء لم يكره له عدم كتمها لعجزه (وقال أبو سليمان الدارانى لو اجتمع الناس على أن يضعونى) عن قدرى (كاتضاعى عند نفسى لما قدروا عليه) لان اتضاعى مع الحق والخلق فى غاية الكمال وهذا انما قاله ليقتدى به فيه لا لرياء ونحوه (وقيل من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره) لان من لم يتضع لم يعرف قدر نفسه وربما ظهر منه الكبر على الناس فينزل قدره عندهم بخلاف من اتضع عند نفسه فانه يرتفع عند غيره لخبر من تواضع لله رفعه الله (وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد) فى الصلاة (الا على التراب) لكمال تواضعه لربه حيث وضع أرفع ما فيه وهو وجهه على التراب تذللا لربه ورجاء لقبول عمله والعفو عن خطئه وزلله (أخبرنا على بن احمد الاهوازى قال حدثنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله قال حدثنا ابو الحسن على بن يزيد الفرائضى قال حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصى عن هرون بن حيان عن خصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر) تقدم الكلام عليه (وقال مجاهد رحمه الله لما اغرق الله سبحانه قوم نوح شمخت الجبال) غير الجودى اى ترفعت (وتواضع الجودى) جبل بالجزيرة بقرب الموصل أى قصر الى وجه الارض (فجعله الله سبحانه وتعالى) بتواضعه (قرار السفينة نوح عليه السلام) بقوله تعالى واستوت على الجودى أى وقفت على الجودى لان من تواضع لله رفعه فالجودى لما لم يرفع نفسه اهلا لحلول النبى والمؤمنين عليه اعطاه الله تلك المنزلة وفيه دلالة على جواز خلق الحركات فى الجمادات (وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

فيشهد المؤثر فيها وقد سئل بعضهم عن رؤية الله فى الآخرة فقال هى رؤية وجود لا انه فى محدود فافهم (قوله أو يقال الخشوع ذبول) أى انقباض وهيئة انكسار يرد على البدن والجوارح الظاهرة ناشئا ذلك من خشوع القلب باجتماع همه على مراقبة ربه فيما قام به من حقه (قوله أو يقال الخشوع ذوبان القلب) بشهود سطوات القهر مع انفراد الحق بالافعال وانخناسه وصموته بسبب الحيرة فى التخلص مما هو فيه الناشئ من غلبات طوارق الحقيقة فتدبر (قوله أو يقال الخشوع قشعريرة الخ) اقول كل قد تكلم بحسب ذوقه من صافى شرابه يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (قوله كان الشأن الخ) محصله ان الذى ينبغى للعبد كتم الحال الذى يتعبد به اذ هو من الاسرار ما دام قادرا على كتمه والا فلا حرج عليه اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها فان اظهره مع القدرة على اخفائه كره له ذلك ومحله فى حال الصدق وعدم المرآة والا حرم للرياء أو التشبع بما لم ينل والله اعلم (قوله المتشبع بما لم ينل) هو كناية عمن ادعى شيأ لم يثبت له فهو فى هذه الحالة كلابس ثوبى زور أى كمن جعل لكمه كمين آخرين وصلهما بهما ليوهم غيره أنهما ثوبان مع انه واحد فى الحقيقة وفعل مثل ذلك من الزور والبهتان (قوله لو اجتمع الناس الخ) فيه تنبيه على انه قد بلغ غاية التواضع والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده (قوله لم يرتفع عند غيره) أى لكونه يزاحمهم فى الرياسة (قوله بخلاف من اتضع عند نفسه فانه يرتفع الخ) أى لنزاهته عما من شأنهم التزاحم عليه فيكون ذلك منه سببا فى اقبالهم عليه (قوله وكان عمر بن عبد العزيز الخ) اقول وبمثله يقتدى فالله يرزقنا الاهتداء ببركة احبته اجمعين (قوله تقدم الكلام عليه) أى وحاصله انه قد يكون كفرا أو فسقا فعلى الاول لا يدخل الجنة أصلا لخلوده فى النار وعلى الثانى لا يدخلها مع السابقين بل بعد نار التطهير ان لم يصادفه العفو (قوله وقال مجاهد الخ) غرضه بيان ان

يسرع فى المشى ويقول انه اسرع للحاجة وأبعد من الزهو) والعجب ولا ينافى ذلك مدحه تعالى من يمشى على الارض هونا أى
بسكينة وتواضع لان اسراع عمر رضى الله عنه كان كذلك (وكان) امير المؤمنين (عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يكتب ليلة شيأ
وعنده ضيف فكاد السراج يطفى فقال الضيف أقوم الى المصباح فأصلحه) أستأذنه فى ذلك لانه لا ينبغى الضيف ان يتصرف فى
دار من اضافه الا باذنه (فقال) له (لا) اذ (ليس من الكرم) والاخلاق المحمودة (استعمال الضيف) بل اكرامه لخبر من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه (قال فانبه الغلام) يصلحه (قال لا هى) أى نومته (أول نومة نامها) الليلة فلا تشوش عليه
نومه (فقام) عمر (الى البطة) التى ١٤ فيها الدهن (وجعل الدهن) أى الذى افرغه منها (فى المصباح) وردها مكانها ثم جلس
(فقال له الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين) متعجبا من ذلك لمخالفته عادة الولاة فضلا عن الخلفاء (فقال له) عمر (ذهبت وأنا عمر ورجعت وانا عمر) اى ما نقص مما انا عليه شئ وفيه دلالة على كمال تواضعه وبعده عن رؤية النفس وكمالها (وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلف البعير ويقم البيت) أى يكنسه (ويخصف النعل) أى يخرزها (ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه اذا اعيا) أى تعب (وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئا) على من يستقبله من حر او عبد (ولا يحقر ما دعى اليه) من المطاعم ونحوها (ولو الى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم
الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسة) بوجهه (متواضعا من
غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع) لانه لم يشبع قط (ولم يمد يده) ولا فيرها (الى
الطمع) فى ذلك دلالة على كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم مع انه اشرف الخلق وعلى أن تعاطى الاسباب لا ينافى التوكل ولا
المقامات العالية (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازى يقول سمعت محمد بن نصر
الصائغ يقول سمعت مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول قراء الرحمن عز وجل اصحاب خشوع وتواضع)
العالمين بالله وبانفسهم وبما كلفهم به مولاهم من القيام بحقه وبعجزهم عن ذلك (وقراء القضاة) أى الولاة (اصحاب عجب وتكبر) غالبا

سر من تواضع لله رفعه الله سلم فى الجماد كالانسان فاذا تأمله العاقل حمل نفسه على
التواضع لانه يحقق الالفة والاجتماع ودوام الانتظام وذلك هو المقصود من العالم
(قوله يسرع فى المشى) اقول لما كان الاسراع قد لا ينافى الهوينى بان كان بسعة الخطوة
من غير اسراع نقلها تمدح به فى اخلاق عمر رضى الله عنه (قوله وكان أمير المؤمنين الخ)
(اقول فيما ذكر من اخلاقه رضى الله عنه ما يفيد سبق عناية الله به حيث طهرت
نفسه من رجس الحظوظ (قوله ذهبت وانا عمر الخ) اقول بل يزداد بزيادة الاجر فى
خدمته بنفسه لاجل زيادة اكرام ضيفه فذهب مأجورا وعاد محبورا (قوله كان
يعلف البعير الخ) ذكر جملة من اخلاقه صلى الله عليه وسلم الدالة على زيادة كمال خلقه
ليقتدى به كامل العقل فيندرج فى جملة المقربين المحبين له عليه الصلاة والسلام (قوله
ويرقع الثوب) أى يخيط عليه ما يسد به خرقه من لونه أو من غير لونه (قوله اذا أعيا)
أى حصل له عى وتعب (قوله أن يحمل بضاعته) أى ما يلزم له أو لاهله (قوله وكان
يصافح الغنى والفقير) أى بان يسوى بينهما فيها (قوله ولا يحقر الخ) كيف وقد
ثبت انه ما عاب طعاما قط (قوله ولو الى حشف التمر) أى رديئه (قوله وكان هين المؤنة)
أى يرضى بما تيسر منها ولا يتكلف الزيادة (قوله لين الخلق) أى سهل الخلق قريب الرضا
(قوله كريم الطبيعة) أى كرما جبليا بدون تكلف (قوله طلق الوجه) أى غير عبوسة
(قوله من غير ضحك) أى من غير اظهار صوت (قوله محزونا من غير عبوسة) لعل حزنه
باعتبار اطلاعه على حال امته والا فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعصمه من كل
شر (قوله متواضعا) أى مخفوض الجناح كرما من غير مذلة كيف والعز فى متابعته (قوله
جوادا) أى واسع البذل على ما ينبغى (قوله رقيق القلب) أى رحيمه كيف وهو رحمة
للعالمين (قوله لم يتجشأ الخ) التجشؤ هو تنفس المعدة بصوت من زيادة الامتلاء مع انه صلى
الله عليه وسلم ما شبع من طعام قط وما أكل مرققا قط أى طعاما منخولا (قوله قراء الرحمن
الخ)

لان غالبهم يتقرب منهم لينال من دنياهم ويعظم جاهه وينفذ كلمته (وقال الفضيل) أيضا (من رأى لنفسه قيمة) يفضل بها غيره ليتكبر عليه (فليس له في التواضع نصيب وسئل الفضيل عن التواضع فقال تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله) صغيرا او كبيرا شريفا أو وضيعا حرا او عبدا ذكرا او غيره نظرا للقول لا للقائل فهو انما يتواضع للحق وينقاد له (وقال الفضيل) أيضا (أوحى الله سبحانه الى الجبال انى مكلم على واحد منكم نبيا فتطاولت الجبال) اى ترفعت غير طور سيناء (وتواضع طور) اى جبل (سيناء فكلم الله سبحانه عليه موسى لتواضعه) فيه دلالة على جواز خلق الحياة والفهم والاخبار والحركات في الجمادات (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت على بن احمد بن على بن جعفر يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سئل الجنيد عن التواضع فقال) هو (خفض الجناح) للخلق (ولين الجانب) لهم ليقتبسوا منه فينتفعوا به ويكون بحيث انه ان آذاه غيره بأذية حلمها فلا يؤاخذه بها (وقال وهب مكتوب في بعض ما انزل الله تعالى من الكتب انى أخرجت الذر) بالمعجمة أي بنى آدم (من صلب آدم فلم أجد قلبا أشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته) أي اخترته نبيا (وكلمته) بما ميزه تعالى على امته وخصه بكلامه الا لما اختص به من كمال تواضعه (وقال ابن المبارك التكبر على الاغنياء والتواضع للفقراء من التواضع) الغرض منه التنفير عن التواضع للاغنياء لدنياهم والا فالتكبر مذموم لكل أحد فقيرا كان أو غنيا والتواضع محمود لكل أحد فالمذموم منه التواضع للاغنياء لدنياهم وللفقراء لفقرهم والمحمود التواضع لله سواء كان مع الاغنياء أم الفقراء (وقيل لابي يزيد) البسطامي (متى يكون الرجل متواضعا) كاملا (فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا) يفضل بهما غيره (ولا يرى ان في الخلق من هو شر منه) لكمال شغله بربه فلا يرى لنفسه قدرا (وقيل التواضع نعمة) عظيمة لما يترتب عليها في الآخرة والدنيا لكن أكثر الناس لا يعدونه نعمة بل مذلة وقلة همة ولهذا (لا يحسد عليها) اذ الحسد لا يكون الا على النعم المعروفة للحاسد (والكبر) لكونه مذموما (محنة) وبلية (لا يرحم عليها) اذ الرحمة انما تكون على المصاب المتواضع

الخ) يشير الى ان رتبة العبد بحسب ما اضيف اليه فمن انتسب الى الرحمن وانقطع اليه عما سواه كان صاحب خشوع وتواضع بحسب ما ناله من شاهد علمه بربه وبنفسه ومن انتسب الى غيره تعالى من أولى المظاهر لزمه غالبا العجب والكبر بواسطة كثرة غفلاته لعدم المنبه له فاختر لنفسك ما يحلو (قوله لان غالبهم يتقرب الخ) أي فيكون اقل كسبه حينئذ اقراره لهم على منكرات الاخلاق بل وتغرير جهالهم بتمويهات الاباطيل (قوله من رأى لنفسه قيمة الخ) اى فمن ظن انه على شئ له به مقدار يفضل به غيره يكون من المتكبرين الجاهلين فليس له في التواضع الذي هو اكبر اسباب الرفعة نصيب (قوله تخضع للحق الخ) اى فالموفق من اذا سمع الحق رجع اليه على اى لسان كان سماعه (قوله على جواز خلق الحياة الخ) اى ولا مانع من ذلك فقد ثبت تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم (قوله فقال هو خفض الجناح الخ) أي امتثالا للشارع عليه الصلاة والسلام (قوله حلمها فلا يؤاخذه بها) أي ويسهل هذا السبيل الرجوع الى مصدر الكائنات مع احتمال حكمة التأديب والتربية (قوله مكتوب الخ) أي فالتواضع مندوب اليه وسبب لنيل الدرجات الكاملة حتى في الشرائع القديمة (قوله فلم أجد قلبا الخ) فيه ان ذلك ينافى ما نقل عن بعضهم انه كان فيه شدة بخلاف أخيه هرون فانه كان محببا في قومه ولهذا طلب سيدنا موسى ارساله معه ليصل به الى ما هو المراد منه ويمكن ان يقال لا منافاة لكون تواضعه وشدته عليه السلام انما هو للحق وبالحق والله أعلم (قوله التكبر على الاغنياء الخ) المراد والله أعلم ان الذي ينبغى للانسان انه لا يرجو الفضل الا من الله ولا يعول في شئ على ما سواه وفي ذلك حمل على علو الهمة بما يظهر منه التكبر والا فالكبر مذموم وكبيرة مطلقا (قوله فلا يرى لنفسه قدرا) أقول هذا من الشارح بيان للمراد من قوله ولا يرى ان في الخلق الخ اذ اعتقاد الشر به في نفسه أو غيره غير مقصود وغير مراد (قوله وقيل التواضع نعمة) أى بشاهد العلم وقوله لا يحسد عليها أى بغلبة الجهالات على الانسان وقوله والكبر لكونه مذموما محنة الخ ذلك مبالغة في التنفير عن الكبر والا فكل مصيبة ينبغى رحمة المصاب عليها

(والعزفي التواضع) لا في الكبر (فمن طلبه في الكبر لم يجده سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبابكر محمد ابن عبد الله يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول الشرف في التواضع) وان كان صاحبه جليل القدر لاعترافه بكمال العبودية وكبر من تواضع لله رفعه (والعزفي التقوى) لانها سببه (والحرية) التي توجب عدم المزاحمة على الاراذل في الارزاق (في القناعة) بما في اليد وفي ذلك أنشدوا أطمعت مطامعي فاستعبدتني * ولو اني قنعت لكنت حرا (وسمعته أيضا يقول سمعت الحسن الساوي يقول سمعت ابن الاعرابي يقول بلغني ان سفيان الثوري قال أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد) في الدنيا (وفقيه صوفي وغني متواضع وفقير شاكر وشريف سني) لان من غلب عليه شئ امتنع عليه المصير عادة الى ضده فالجمع بينهما عزيز شريف فالغالب على العالم معرفة وجوه الاستدلال فهو كامل معظم عند الناس ومن كان كذلك بعد عن الزهد في الدنيا لانه غارق في معظمها وهو الجاه ولهذا قيل آخر ما يخرج من رؤس الصديقين حب الرياسة والغالب على الفقيه معرفة الاحكام ورجوع الناس اليه فيها فيغلب اختلاطه بهم والصوفي منقطع بقلبه عنهم مشغول بربه والغالب على الغني الشرف والتكبر فيبعد عليه التواضع والغالب على الفقير الصبر على عدم النعم الدنيوية مع المشقة فيبعد عن الشكر عليها لفقده لها والغالب على الشريف المنتسب لاولاد النبي صلى الله عليه وسلم من أولاد فاطمة انه لا يعظم أبابكر وعمر رضي الله عنهما حق تعظيمهما فلا يكون سنيا (وقال يحيى بن معاذ التواضع حسن في كل أحد لكنه في الاغنياء أحسن والتكبر سمج) باسكان الميم وكسرها أي قبيح (في كل أحد لكنه في الفقراء اسمج) أي أقبح وذلك لوجود أسباب التكبر في الاغنياء من المال والجاه وغيرهما وفقدهما في الفقير فكان تواضع الاغنياء أحسن من تواضع الفقراء وتكبر الفقراء أقبح من تكبر الاغنياء (وقال ابن عطاء التواضع قبول الحق ممن كان) صغيرا أو كبيرا الى غير ذلك مما مر نظيره وهذا معلوم من ذلك (وقيل ركب زيد بن ثابت) بغلته بعدما صلى على جنازة (فدنا ابن عباس منه (ليأخذ بركابه فقال له مه) أي اكفف عن هذا (يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بعلمائنا) اى نكرمهم ونجلهم (فاخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس) وفي نسخة فقال زيد بن ثابت ارني يدك فاخرجها اليه (فقبلها وقال هكذا أمرنا أن نفعل باهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم) ظاهره انه فعل ذلك مكافأة لما فعل معه حيث قبل يده التي امسك بها الركاب

ولاسيما اذا كانت دينية والله أعلم (قوله والعز في التواضع) أقول وشاهده اما العيان أو قريب منه (قوله الشرف في التواضع) قد أشار الشارح الى وجه ذلك حيث قال لاعترافه بكمال العبودية أي وهي من أشرف ردا آت الانسان ولهذا قد نوه بها في أشرف المواطن عنه صلى الله عليه وسلم كقوله جل شأنه سبحان الذى أسرى بعبده ليلا الآية (قوله والعز في التقوى) أي ومن أجل ذلك كانت خير الزاد أي أفضل ما يعده الانسان للشدائد في المعاد (قوله في القناعة) أي الرضا بالمقسوم وعدم التشوف الى زائد ووقوفا مع مراد الحق تعالى (قوله أطمعت مطامعي) أي استرسلت مع شهوات نفسي فاستعبدتني أي صيرتني عبدا بل الرق في ذلك أقوى وقوله ولو اني قنعت أي رضيت بما قسمه الله لي بحكمته لكنت حرا أي لكنت تخلصت من رق شهواتي (قوله أعز الخلق خمسة) أقول قد تكفل الشارح ببيان الوجه على أحسن منوال (قوله حب الرياسة) أي التقدم على الغير وسبب ذلك رؤية الفضيلة للنفس وهي من أقوى الحجب المانعة من نيل القرب (قوله فيغلب اختلاطه بهم) أي ويلزم من ذلك غالبا ميل قلبه اليهم (قوله والغالب على الفقير الصبر الخ) أي اذا كان موفقا والا فلا يصبر بل يقلق ويشكو (قوله انه لا يعظم أبابكر وعمر) أقول ولعل السبب حنو الطبع الى الاصل فلما ثبت تقدمهما رضي الله تعالى عنهما بارادة الحق واشارة الصدق على أصلهم كان ذلك سببا في عدم زيادة تعظيمهما كما ينبغي والله أعلم (قوله فلا يكون سنيا) أي بل بدعيا لتركه سنة الجماعة وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم خبر انما يأكل الذئب من الغنم القاصية فالله تعالى يوفقنا لما عليه أهل السنة والجماعة (قوله التواضع حسن) أقول لا يطلب على وجود الشمس دليل (قوله لوجود أسباب التكبر الخ) أي وان كانت ناشئة عن حمق وغفلة اذ المال والجاه لا يفتخر بهما الا مع التوفيق في بذلهما بما شاهد علم الشرع (قوله وقيل ركب زيد بن ثابت

أو يحتمل انه فعل ذلك خوفا من دخول آفة الكبر والعجب عليه فيكون تعظيما لاكافأة ويحتمل انه فعل ذلك للامرين معا (وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت يا امير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال لما اتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت في نفسي نخوة) اى كبر وعظمة (فاحببت ان اكسرها) وأؤدبها وهكذا ادأب الصالحين اذا رأوا من أنفسهم شيأ لا يليق ادبوها بمخالفة الهوى وتحميلها الامور الشاقة (ومضى بالقربة الى حجرة امرأة من الانصار فافرغها فى انائها سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج الطوسى يقول رؤى أبو هريرة وهو أمير المدينة وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول طرقوا) اى وسعوا الطريق (للامير) هو نظير ما مر عن عمر آنفا (وقال عبد الله الرازى التواضع ترك التمييز فى الخدمة) بان لا يميز بين الصنعة الرفيعة والوضيعة ولا بين كون المخدوم حرا وكونه عبدا ولا بين كونه فقيرا وكونه غنيا سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن أحمد بن هرون يقول سمعت محمد بن العباس الدمشقى يقول سمعت احمد بن ابى الحوارى يقول سمعت اباسليمان الدارانى يقول من رأى ١٧ لنفسه قيمة) يفضل بها غيره (لم يذق حلاوة الخدمة) اذ لا يذوقها الا من كمل اخلاصه ورأى توفيقه للخدمة من جملة النعم عليه وذلك مفقود فيمن رأى لنفسه قيمة (وقال يحيى ابن معاذ التكبر على من تكبر عليك بماله) اى اعراضك عنه (تواضع) لانك صغرت ما صغره الله تعالى حيث لم تلتفت الى تكبر المتكبرين (وقال الشبلى رحمه الله ذلى) فى نفسى بمعرفتى بقدرها وبقلة ما يحصل لى من الخير منها وبعجزها عن قيامها بما عليها لربها وبسرعة نقضها العهد (عطل ذل اليهود) المذكور فى قوله تعالى ضربت عليهم الذلة الآية سائقة فهم اذل الخلق والمعنى ذلى فى نفسى اعظم من ذل اليهود فى انفسهم لان ذلهم قهرى وذلى عن علم بما عليه نفسى من النقص

وهذا لا يلزم منه جحده أفضل ربه عليه لان ما ذكر من الذل بالنظر لنفسه وما هو فيه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل عزيز (وجاءه) اى الشبلى (رجل فقال له الشبلى ما انت) اى ما حالك وفى نسخة من انت (فقال يا سيدى النقطة) اى حالى او انا كالنقطة (التى تحت الباء) فكما انها دليل على معرفتها وتمييزها عن غيرها كذلك حالى او انا كسائر المخلوقات دليل على محدثى (فقال له انت شاهدى) اى حاضرى بمعنى حالك مستقيم (مالم تجعل لنفسك مقاما) دخول هذا فى التواضع من حيث ان المسؤل جعل نفسه كالنقطة التى تحت الباء دون التى فوق الحروف فنزل نفسه ولم يرلها قدرا (وقال ابن عباس رضى الله عنهما من التواضع ان يشرب الرجل من سؤر) اى بقية مشروب (اخيه) اذ لا يأنف من ذلك الا المتكبرون ولو حسن ظن العبد لشرب من سؤر كل شارب من المسلمين لان الولاية مختفية فيهم (وقال بشر) تأديبا لبعض اصحابه لما رآهم يسلمون على ابناء الدنيا لدنياهم ويعتلون بانهم انما يقصدون الزيارة

ثابت الخ) تامل يا أخى انصاف أهل الشرف تعلم سبب ما خصهم الله به من المزايا والتحف فالله يوفقنا لمتابعتهم ولا يحرمنا من بركاتهم (قوله ويحتمل انه فعل ذلك للامرين معا) أ اول وذلك هو اللائق بمثله نفعنا الله به (قوله رأيت عمر بن الخطاب الخ) انظر ما كان عليه رضى الله عنه وعنايه من قوة مراقبته أحواله تحفظا على مقامه وما أهل له من الفضل حيث كان دائم القيام على نفسه خشية اعجابها بما ظهر لها بسبب الرياسة وهذا يكون من الكمال والله تعالى ولى الافضال (قوله ترك التمييز فى الخدمة الخ) محصله ان التواضع فناء المراد من العبد بواسطة شهود مراد الرب تعالى (قوله من رأى لنفسه قيمة) هو قريب مما قبله (قوله التكبر على من تكبر عليك الخ) مراده كما قدمناه حث الانسان على علو الهمة بقصرها على من أوجدها وعدم التفاتها الى ما سواه لاحملها على الكبر على الاغنياء اذ الكبر قبيح ومذموم مطلقا (قوله ذلى الخ) الغرض المبالغة فيما حصل له من مقام التواضع تحدثا بنعمة ربه وليقتدى به فى ذلك (قوله وذلى عن علم) أى فقد تحلقت به اختيارا بشاهد ذوق العلم وذلك لما رأيت من خيره وشرضده (قوله أى حالى أو انا الخ) مراده ان حاله يتعرف به نفسه كالنقطة تميز بها الحرف المعلوم او ان ذاته ونفسه دليل على الصانع المبدع هذا محصل ما اشار له الشارح لكن قوله فقال له انت شاهدى الخ يرجح الاول (قوله لان الولاية مختفية فيهم) اى والله ولاية الايمان

(سلوا على ابناء الدنيا بترك السلام عليهم) يعنى تركـكم السلام عليهم اسلم لكم من السلام عليهم على الوجه المذكور لانه حينئذ ليس بطاعة بل فيه خطر (وقال) ابو صالح (شعيب بن حرب بينا انا فى الطواف اذ لكزنى انسان بمرفقه فالتفت اليه فاذا هو الفضيل بن عياض فقال يا ابا صالح ان كنت تظن انه شهد الموسم شر منى ومنك فبئس ما ظننت) انتهى فيه دلالة على كمال معرفة الفضيل بنفسه وبانه لا يعتمد على عمله فلما كان بهذه الصفة وظنه بالناس حسنا نبه أخاه شعيبا على ذلك ليكمل تواضعه مامع كمال أعمالهما (وقال بعضهم رأيت فى الطواف انسانا) من عمال الخليفة (بين يديه) جماعة (شاكرية) يشكرونه ويمدحونه وهم بامره (يمنعون الناس لاجله عن الطواف) أمرهم بذلك تكبرا لئلا يختلط بالفقراء (ثم رأيته بعد ذلك بمدة على جسر ببغداد يسأل الناس شيأ فعجبت منه) ففهم عنى ذلك وبينى لى السبب (فقال لى انا تكبرت فى موضع يتواضع الناس هنالك) يعنى فيه (فابتلانى الله سبحانه بالتذلل فى موضع يترفع فيه الناس) حيث نقم عليه الخليفة لما وصل اليه ببغداد وسلبه جميع ما هو فيه وصار فقيرا ١٨ يسأل الناس (وبلغ عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان ابنا له اشترى فصا) فى خاتم يلبسه (بألف درهم فكتب اليه عمر بلغنى أنك اشتريت فصا بألف درهم) فهذا حال المتكبرين (فاذا أتاك كتابى هذا فبع الخاتم واشبع بثمنه (ألف بطن) فانه أفضل لك عند الله (واتخذ خاتما من درهمين) فاقل (واجعل فصه حديدا صينيا) بكسر المهملة نسبة الى صين بلدة وذلك لانه أثبت للنقش عليه لصلابته (واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه) لتتذكر به كلما رأيته قدرها وتتواضع لربك وأمره بالامور المذكورة من مقابلة الشئ بضده لانه لما نوى الكبر أمره بفعل الخير الذى فيه تواضع ليقابل الشر بالخير فيمحو أثره (وقيل عرض على بعض الامراء مملوك) ليشتريه (بألوف دراهم فلما أحضر الثمن) للبائع (استكثره فبدا له فى شرائه) أى نشأ له والا فيه رأى وهو عدم شرائه (فرد الثمن الى الخزانة) بكسر الخاء (فقال له العبد يا مولاى اشترنى فان فى بكل ألف درهم من هذه الدراهم خصلة تساوى أكثر من ألف درهم فقال وما هى فقال أقلها وأدناها انك لو اشتريتنى وقدمتنى متكلما (على جميع مماليكك لا أغلط فى نفسى واعلم أنى عبدك) فلا أتكبر (فاشتراه) فيه دلالة على أن معرفة قدر النفس من أفضل الخصال التى تقصد فى الانسان وهى أصل التواضع (وحكى عن رجاء بن حيوة انه قال قومت ثياب عمر بن عبد العزيز) مع رفعة قدره (وهو يخطب باثنى عشر درهما وكان) ملبوسه (قباء وعمامة وقميصا وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة) فيه دلالة على كمال تواضعه (وقيل مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشيا لا يحمد) أى متبخترا فى مشيته وهى مشية يبغضها الله الا فى الحرب (فقال له أبوه) كلاما يعرفه به أصله (و) هو (تدرى بكم اشتريت امك) اشتريت (بثلاثمائة درهم وأبوك لا كثر الله مثله فى المسلمين ابا وأنت) أى والحالة انك (تمشى هذه المشية) ليس هذا منه دعاء على المسلمين بل فى كلامه

ثم العرفان ثم الكشف ثم العيان (قوله سلوا على ابناء الدنيا الخ) يشير بذلك الى ان السلامة مقدمة على الغنيمة فحثهم على ترك السلام لذلك قال بعضهم شعرا

وقائلة مالى اراك مجانبا * امورا وفيها للتجارة مربح

فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن اناس بالسلامة نفرح

(قوله نبه اخاه الخ) اى بذلا للنصح اذ المؤمن أخو المؤمن يحب له مثل ما يحب لنفسه (قوله ثم رايته بعد ذلك الخ) اى وهذا حال من اعتاد المخالفات وترفع بالخيالات فعلى العاقل الرجوع الى سبيل المتابعات لتدوم له معالى الكرامات اذ العاقبة للمتقين والدرجات للمتواضعين من العارفين (قوله فقال لى الخ) اقول ومثله يرجى له الخير حيث قد اعترف بذنبه وتقصيره والله اعلم (قوله واكتب عليه الخ) اى ليدوم على علم مبداه ومنتهاه حيث هو من عدم الى عدم وما بين ذلك عجز وتعرض لكل شئ مما سبق به القضاء والقدر ثم هو اذا دام على استحضار ذلك دام له احسان الله وانعامه (قوله فيه دلالة على ان معرفة قدر النفس الخ) اى وتنبيه على ان هذا العبد قد وثق بحفظ نفسه وذلك من الدرجات الرفيعة (قوله فيه دلالة على كمال تواضعه) اى وفيه تنبيه ايضا على نزاهة نفسه وغاية اعراضه عن الدنيا فى حال التمكن منها (قوله اى متبخترا الخ) اقول وسبب ذلك غفلته عما منه بدا واليه يصير وما بين ذلك من العجز عن جلب ما ينفع ودفع ما يضر

اشارة الى التقصير فى تاديبه لولده فى الصغر حتى تصير فى مشيه فى الكبر والعقوق لأكثر الله فيهم مثله من الآباء الذين لا يؤدبون
أولادهم فى الصغر حتى يتعودوا ذلك فى الكبر فهو دعاء للمسلمين بأن يجعلهم الله ممن يؤدبون أولادهم كما أمروا به (سمعت
محمد بن الحسين يقول سمعت أحمد بن محمد الفراء يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون القصار يقول التواضع أن
لا ترى لأحد الى نفسك حاجة لا فى الدين ولا فى الدنيا) بأن لا ترى لنفسك قدرا ولا فعلا مع علمك بأن مولاك منفرد بالأفعال فان
أجرى عليك شيئا مما ينتفع الناس به فى الآخرة أو فى الدنيا فعليك أن ترى الفضل لمجريه لا لنفسك وفيه دلالة على كمال معرفة
حمدون بعجز نفسه وبقدرة مولاه وبأنه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع له ولغيره الا اياه فمن استقر ذلك فى قلبه عرف عدم احتياج
الناس اليه (وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما سررت فى) زمن (اسلامى الا ثلاث مرات مرة كنت فى سفينة وفيها رجل
مضحاك) اى كثير الضحك منه (كان يقول كنا نأخذ العلج) وهو الرجل من الكفار (فى بلاد الترك هكذا وكان يأخذ بشعر
رأسى ويهزنى) ويقول ذلك (فيسرنى ذلك لانه لم يكن فى تلك السفينة أحد أحقر فى عينه منى) حتى فعل بى ذلك (و) المرة (الاخرى
كنت عليلا) اى مريضا (فى مسجد) فى ليلة مطيرة (فدخل) الى (المؤذن ١٩ وقال لى اخرج فلم أطق) الخروج (فاخذ برجلى
وجرنى الى خارج المسجد) فطلبت موضعا أستكن فيه فاتيت الى قيم حمام اى موضع كانسه فدخلت فيه فاذا رجل يوقد فيه النار وهو مشغول بذلك فسلمت عليه فلم يلتفت الى ولا كلمنى فلما فرغ من شغله أقبل وسلم على واعتذر عن ذلك بانه أجير ولا يمكنه تبطيل ما هو فيه وانبسط معى ورأيت عنده فضلا وخيرا فكان من جملة ما ذكر لى انه سمع بفتى من العباد والزهاد يقال له ابراهيم بن ادهم وان له زمانا يسأل الله ان يجمع به قال فقلت فى نفسى قد ساقنى اليك مجرورا وعرفته بنفسى (و) المرة
(الثالثة كنت بالشام وعلى فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته فسرنى ذلك) فسروره فى الاولين بكونه لم يجد
فى نفسه كبرا ولا له قدرا حيث صبر على ذلك ولم يطلب الانتقام ممن فعل به ذلك مع انه من أبناء الملوك الذين عادتهم الانتقام وفى
الاخيرة بكمال شغله بربه وكثرة عبادته واعراضه عن راحة نفسه وبالجملة سره فى الجميع بصنع الله به فبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون (وفى حكاية أخرى عنه قال ما سررت بشئ كسرورى) بما وقع لى فى يوم وذلك (انى كنت يوما جالسا فجاء انسان وبال على)
وجهه سروره بذلك علم مما مر آنفا أو كل ذلك لكمال معرفته بربه ورؤيته ان الافعال كلها منه لا من غيره ولا يعترض على ما ذكر
بان المتعاطى لذلك عاص فكيف سكت هو له ولم يغير المنكر لانه يحتمل انه كان عاجزا عن التغيير بفعله ولسانه وانه غير بقلبه ولم
يظهر ويحتمل انه غير بلسانه ولا حاجة به الى ان يذكره لغيره حتى ينقل عنه وانما ذكر ما ذكر لمعرفته بنعم الله عليه حيث نقله من
شرف الملكة الى شرف الطاعة (وقيل تشاجر ابوذر وبلال رضى الله عنهما فعير أبوذر بلالا بالسواد) حيث قال له يا ابن
السوداء (فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

والا فما كان له سبيل سوى التواضع (قوله اشارة الى التقصير الخ) اى لان من ادب ولده
صغيرا سر به كبيرا (قوله التواضع ان لا ترى الخ) مراده حث الانسان على فنائه عن
نفسه بما ظهر من افعال الحق على يدها من حاجات الخلق ليدوم عبدا لله مشاهدا
تصاريفه فيه وفى غيره وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (قوله بان لا ترى
لنفسك قدرا الخ) اى بل ترجع فى جميع ما تراه من الكائنات الى انه مظاهر اسمائه تعالى
وصفاته لا تأثير لغيره فيها ولو شاء ربك ما فعلوه (قوله وقال ابراهيم بن ادهم الخ) اقول
يدل ذلك على انه قد تجرد عن ملاحظة البشر بشهود تصاريفه تعالى فى عبيده بل ربما
ترقى عن ذلك الى درجة شهود الفاعل على الحقيقة فى الفعل فسر بذلك رضى الله تعالى
عنه (قوله فاذا رجل الخ) يعلم من ذلك انه ينبغى للانسان أن لا يحتقر غيره بدناءة حرفته
اذ الخلق محل اسرار الحق ولا يدرى المقبول من المخذول بل الذى ينبغى استعماله الاكرام
والتعظيم لجميع المسلمين اذ لا أقل من شرف الايمان وهو لا يضاهى ولا يقدر قدره (قوله
بكونه لم يجد الخ) أى وبستر حاله الذى بينه وبين مولاه عن الغير (قوله وبالجملة سره الخ) اى
بواسطة ذوق لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع لانه لا يخلو عن الحكم والمصالح
(قوله ولا يعترض على ما ذكر الخ) اى مع ان مثل هذا الاعتراض وقوف مع الظاهر

فقال يا اباذر انه) وفي نسخة ما علمت انه وفي ٠ ٢ اخرى اما علمت انه (بقي في قلبك من كبر الجاهلية شيء) وفي رواية يا اباذر ليس لابن

بيضاء على ابن سوداء فضل الناس من آدم وآدم من تراب (فالقى ابوذر نفسه) على الارض (وحلف ان لا يرفع) وفي نسخة يحمل (رأسه) عنها (حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع) راسه (حتى فعل بلال) ذلك ابرارا لقسمه (ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه) ادبا معه (فنزل واكل معهم) وان كان ذا جاه وحرمة تواضعا ولخبر من دعي فليجب ولو الى كراع (ثم حملهم الى منزله واطعمهم وكساهم وقال اليد) اى النعمة (لهم) حيث احسنوا اولا وبذلوا ما امكنهم (لانهم لم يجدوا غير ما اطعموني ونحن نجد اكثر منه وقيل قسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحلل بين الصحابة) الحاصلة (من غنيمة فبعث الى معاذ حلة يمنية فباعها واشترى) بثمنها (ستة اعبد واعتقهم فبلغ ذلك عمر) رضي الله عنه (فكان يقسم الحلل بعده فبعث اليه حلة دون تلك) الحلة (فعاتبه معاذ فقال له عمر) لا معاتبة (لانك بعت الاولى فقال معاذ وما عليك) في ذلك (ادفع الى نصيبي) ودعني اتصرف فيه بما شئت (وقد حلفت) بسبب ذلك (لاضربن بها) اى بالحلة (راسك فقال عمر) رضي الله عنه (هذا رأسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ) فيه دلالة على كمال تواضع عمر رضي الله عنه مع كونه خليفته * (باب مخالفة النفس وذكر عيوبها) * مخالفة النفس مطلوبة وقال الله عز وجل وزيادة

ولا يجترأ به على مثل هذا مما ترقى الى الاحوال الكاملة (قوله فقال يا اباذر الخ) تأمل فيما ادب به سيد الكمل صلى الله عليه وسلم اباذر بما محصله ان الشرف انما هو في حسن الخلق لا في حسن الخلق اذ الانسان باعتبار الذات مجردة عن الاخلاق لا فرق بينه و بين غيره اذ الكل اولاد أب وأم فحينئذ من الحمق النظر الى حسن الذات مع الغفلة عن التخلق بجميل الصفات (قوله فالقى ابوذر نفسه الخ) اقول وبمثل هذا ثبتت سيادتهم وعلت درجتهم لتمام انقيادهم لسيد المرشدين وامام العارفين من النبيين والمرسلين (قوله حيث احسنوا اولا) أى فلهم فضيلة التقدم بفعل جهد المقل

* (باب مخالفة النفس) *

اعلم ان النفس ثلاثة امارة ولوامة ومطمئنة فالامارة تمازج صاحب مقام الاسلام واللوامة تمازج صاحب مقام الايمان والمطمئنة تمازج صاحب مقام الاحسان شعر

هذب النفس بالعلوم لترقى * وترى الكل فهي للكل بيت

انما النفس كالزجاجة والعقـل سراج وحكمة الله زيت

فاذا أشرقت فانك حي * واذا اظلمت فانك ميت

واعلم ان القوم اذا اطلقوا النفس فانما يريدون الروح الوضيعة الحيوانية المباينة للروح الرفيعة النورانية حيث أفادوا ان رضا القدوس في مخالفة النفوس شعر

اذا طالبتك النفس يوما بحاجة * وكان لها نحو الهواء طريق

فخالف هواها ما استطعت فانما * هواها عدو والخلاف صديق

وقال بعضهم النفس تطلق على حقيقة الشيء وذاته ووجوده وعلى ما يفارق الانسان بالموت وعلى الدم وعلى الاخلاق المذمومة وهذا هو المراد عند أهل هذا الشان غير ان الاصل في اطلاقها ان يراد فيها العين والذات والوجود قال تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك والبارى تعالى منزه عن الدم وعن الاخلاق المذمومة وعن الانفصال والاتصال فالمراد بنفسه وجوده وذاته بما لها من الصفات (قوله وذكر عيوبها) اعلم ان عيوب النفس جلية وخفية والنظر في الجلية سهل قريب وازالة الخفية والنظر فيها مشكل صعب فمنها الاعتماد على العمل وارادة غير ما أقيم فيه العبد وحب التدبير مع الله تعالى والاستعجال في الدعاء والتشكك في الوعد والوعيد والاعتراض عند فوات المراد وفقد الاخلاص وحب الشهرة وايثار الخلطة وانطباع الاكوان في مرآة القلب واسترسال القلب في أودية الغفلة وقلة المبالاة بالهفوة والاحتجاب عن الحق برؤية الاكوان وارادة حكم الوقت واحالة العمل على الفراغ وطلب حالة غير التي هو فيها والوقوف عند ما يبدو من كشف ونحوه والطلب منه ومن غيره ولغيره ورؤية صفو الدنيا وطلب الاشياء بالنفس والرجوع لغير الله في البداية والرجوع عنه في النهاية الى غير ذلك والداعي لكثرة تعداد العيوب وان كان بعضها يغني ذكره عن بعض لغرض الايضاح

وزيادة التنفير منها واعلم ان مخالفة النفس وارجاعها عن عيوبها دليله ثابت بالنقل وبدليل العقل اذ الخير كله في خلافها والشر كله في وفاقها فعلى المريد الجد وتشمير الساعد في رياضتها وقمع شهواتها ليترقى الى ذوق حلاوة العبادة فيتعذر عنده الرجوع الى العادة بواسطة ماشاهده بنور البصيرة وبما تجلى على مرآة قلبه من آيات الاعتبار على ان كل ذلك من اخلاق العوام ممن يخاف عليهم سوء الاسقام اما الخواص المقربون فهم عن نفوسهم فانون وعن عاداتها غائبون بما اسكرهم من شرب شراب المشاهدات وكرع راوق المكاشفات رضي الله تعالى عنهم وارضاهم عنا وقيل قد اوحى الله الى داود عليه السلام يا داود حذر اصحابك اكل الشهوات فان النفس المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوب عني فحينئذ مخالفة النفس والتجرد عن حظوظها رأس العبادة لانها من اعظم حجاب بين العبد وربه اذ من طلعت طوالع نفسه غربت شوارق انسه ومن رضي عن نفسه اهلكها وكيف يصح الرضا عنها وقد قال يوسف الصديق عليه السلام وما ابرئ نفسي الآية ونهاية الامر ان عيوب النفس لما كانت كثيرة ظاهرة وباطنة لزم عدها تفصيلا ليتحرز المكلف عن الوقوع فيها ومن ذلك تكفلوا انفعنا الله بهم بذكر العيوب في ابوابها مع بيان غوائلها ومهلكاتها فجزاهم الله عنا احسن الجزاء (قوله واما من خاف مقام ربه) اي احاطة علمه بحركاته وسكناته او قيامه بين يديه كما ذكره الشارح واضافة المقام للرب للتفخيم وفيه اشعار باللطف كما هو شأن الرب وصفة ذاته العلية ومقتضاها وغير ذلك فهو بحسب ما يعرض للعبد من المخالفات بالقضاء والقدر (قوله ونهى النفس عن الهوى) أي الميل الى الشهوات بدون شاهد علم المتابعة (قوله فان الجنة هي المأوى) أي لجزاؤه وذلك وأل في الجنة للجنس الشامل للاعلى وغيره (قوله أخوف ما أخاف على أمتي) أي أعظم ما أخافه عليهم اتباع الهوى أي متابعته والاسترسال على مقتضاه وانما كان ذلك أعظم ما يخافه لانه الغالب فيهم بمقتضى الطبع فقل من ينجو منه الا باعانة الحق تعالى وقوله وطول الامل عطفه على اتباع الهوى من عطف السبب على المسبب كما لا يخفى كما ان قصر الامل سبب في العدول عنه وسلوك طريق المتابعة بالتطبع والمجاهدة بشاهد العلم (قوله فيصد عن الحق) أي لان طبيعة النفس الميل الى الدنيء والباطل ولهذا احتاجت في ردها عن ذلك الى القيام عليها بسياسة الشرع (قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أقول في ذلك مبالغة ومجاز بسبب زيادة انقياد النفس الى الهوى مع الاشارة الى ان ذلك من نوع الاشراك والعياذ بالله تعالى *(تنبيه)* اعلم ان حظوظ النفس بما طبعت عليه ترجع الى الميل للذيذ والنفرة من الكريه والانسان مع ذلك مأمور منهي موعود متوعد فينبغي له حينئذ اذا خطر له لذيذان ينظر فيه بشاهد العلم والعقل أهو جائز اولا كمحرم أو مكروه فان كان الاول أقدم وشكر والا أحجم وزجر وأدب نفسه بما أدب به المتقون أنفسهم وزجرها بما زجروها به وذلك بالجد في المحظورات

واما من خاف مقام ربه) أي قيامه بين يديه (ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى

* اخبرنا علي بن احمد بن عبدان قال حدثنا احمد بن عبيد قال اخبرنا تمام قال حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن ابي لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فيصد عن الحق)

والمكروهات وبالتدريج فى غيرذلك من المألوفات (قوله قال تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى تعجب من حال من ترك متابعة الهدى الى مطاوعة الهوى فكانه عبده أى أنظرت فرأيته فان ذلك مما يفضى الى العجب كان أحد الجاهلية يستحسن حجرا فيعبده فاذا رأى أحسن منه رفضه ورجع الى الآخر فكأنه اتخذ آلهة شتى ولهذا قرئ آلهة هواه وقوله وأضله الله على علم اى خذله عالما بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (قوله وقال ولاتطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) اى لاتطع فى تنحية الفقراء من مجلسك من اغفلنا قلبه اى جعلنا غافلا لبطلان استعداده للذكر بالمرة مثل أولئك الذين يدعونك الى طرد الفقراء من مجلسك فانهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ماعليه المؤمنون وفى ذلك تنبيه على ان المشرف بحلية النفس لازينة الجد والامل وقوله واتبع هواه اى وافق مادعته نفسه الخبيثة الغافلة عن ذكر الرب وكان امره فرطا ضياعا وهلاكا والتعبير عنهم بالموصول للايذان بعلية مافى حيز الصلة للنهى عن الاطاعة لا أولئك الغافلين المتبعين هواهم (قوله وقال ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) اى ولاتتبع ياداود الهوى اى هوى النفس فى الحكومات وغيرها من امور الدين والدنيا فيضلك عن سبيل الله بالنصب على انه جواب النهى والمعنى فيكون الهوى واتباعه سببا فى ضلالك عن دلائله التى نصبها على الحق تشريعا وتكوينا (قوله وقال ولاتتبع الهوى الخ) اى ولذا قيل انه رؤى رجل جالس فى الهواء فقيل له بم نلت هذا فقال تركت الهوى فسخر لى الهواء وقال ابراهيم الخواص من ترك شهوة ولم يجد ثمرة الترك فى قلبه فهو كاذب فى تركها (قوله واما طول الامل الخ) لما ذكر دليل قبح متابعة الهوى بالآيات القرآنية شرع فى ذكر دليل قبح طول الامل بالادلة العقلية فقال واما طول الامل فينسى صاحبه الآخرة اى ينسى و يلهى عن الاشتغال باعمال الآخرة بسبب انهماكه فى شهوات الدنيا وفى ذلك كناية عن الخذلان والطرد عن مدارج السعادة (قوله راس العبادة) اى جماعها واسها وذلك لان بمخالفتها هواها يتحقق تكليفها بامرها ولاها (قوله عن الاسلام) اى الذى هو بمعنى الانقياد الظاهرى والباطنى وقوله فقالوا هو ذبح النفس الخ اقول ترجع جميع الاخلاق المذمومة تحت كلمة واحدة وهى حب الدنيا وشهواتها ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم راس كل خطيئة (قوله هو ذبح النفس الخ) فيه اشارة الى ان ارجاع النفس عن هواها الذى هو مقتضى حبيتها أمر فى غاية الصعوبة يشبه الذبح لها وحيث كان كذلك فعلى الحاذق الجد فى حالة كونه مستعينا بالله تعالى فيه حيث ان سائر الممكنات فى قبضة قدرته سبحانه وتعالى (قوله وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها) أى وذلك يشبه الذبح لصعوبة مرارته عليها فكانها به قد ذبحت وعدمت حياتها بحسب مافقدته من مألوفاتها وعاداتها (قوله واعلم ان من نجمت الخ) أى وذلك لان طوارق النفوس من الظلمات وهى

قال تعالى افرأيت من اتخذ
الهه هواه وقال ولاتطع من
أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع
هواه وقال ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله (واما طول
الامل فينسى) صاحبه (الآخرة)
لاشتغاله حينئذ غالبا بالدنيا (ثم
اعلم ان مخالفة النفس) فى هواها
(راس العبادة) لما مر من الادلة
(وقد سئل المشايخ) الصوفية
(عن الاسلام فقالوا) هو (ذبح
النفس) وفى نسخة النفوس
(بسيوف المخالفة) وهو أول
الطريق وذلك لان النفس اذا
اعتادت اللذات لاتنصرف الى
الطاعات الا بالمجاهدات
والتوبيخات الشديدة ومن ثم
سميت هذه الامور سيوفا
وذبح النفوس قهرها ونقلها
عن هواها (واعلم ان من نجمت)
أى طلعت (طوارق نفسه) أى
آثار خواطرها (أفلت) أى
غربت من قلبه (شوارق انسه)
بالله أى علاماته

قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه والدنيا والآخرة ككفتي الميزان فتى مالت احداهما ارتفعت
الاخرى (وقال ذو النون المصري مفتاح العبادة) أي سببها الذي يتوصل به اليها (الفكرة) أي التفكر
في كيفية ايقاعها فمن لم يتفكر
فيها ولم يعلمها فقد ضل عن
الهدى وعمل بمقتضى الهوى
(وعلامة الاصابة) للمأمورات
والمنهيات (مخالفة النفس
والهوى ومخالفتهما ترك
شهواتهما) وفي نسخة ومخالفتها ترك
شهواتها (وقال ابن عطاء النفس
مجبولة) أي مطبوعة (على سوء
الادب) لميلها الى كل لذيذ
ونفرتها عن كل كريه (والعبد
مأمور بملازمة الادب) بالطاعات
(فالنفس تجري بطبعها في
ميدان) بفتح الميم وكسرها أي
محل (المخالفة) لاوامر الله لسوء
عادتها (والعبد يردها بجهده
عن سوء المطالبة) أي يردها عن
سوء ماتطلبه ويحملها على
ماينفعها في الدنيا والآخرة (فمن
اطلق عنانها فهو شريكها)
ومتسبب (معها في فسادها وسمعت
الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه
الله يقول سمعت أبا بكر الرازي
يقول سمعت أبا عمر الانماطي
يقول سمعت الجنيد رحمه الله
يقول النفس الامارة بالسوء هي
الداعية الى المهالك) في دنياها
وأخراها (المعينة للاعداء) من
الشيطان والدنيا والمال والولد
والزوجة في مرادهم اذ لا يتم
مرادهم الا باعانة النفس وتزيينها لذلك (المتبعة للهوى المتهمة باصناف الاسواء) وعداوة المذكور بن ثابتة بالكتاب قال
تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا

لاتجامع انوار الطاعات التي هي من امارات الانس بالله ولان الاشتغال بشيء ينافي
الاشتغال بغيره في حين واحد (قوله قال الله تعالى ماجعل الله لرجل من قلبين في جوفه)
أي فالآية الشريفة تفيد بما تضمنته من استحالة قلبين في جوف واحد ان الاشتغال
بشيء لايجامع الاشتغال بغيره فمن اشتغل بالدنيا اعرض عن الاخرى وبالعكس فالآية
من قبيل مثل ضربه الله تعالى تمهيدا لما يعقبه من قوله وماجعل ازواجكم الخ وقيل
هو رد لما كانت العرب تزعم من ان الأديب الاريب له قلبان وذكر الجوف للتقرير كما في
قوله تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور (قوله أي التفكر في كيفية ايقاعها)
أي اللازم له الاداء بشاهد العلم وفائق المراقبة حتى يرجى القبول والا كان العمل من
الفاسد المعلول (قوله وعلامة الاصابة الخ) أي امارة اصابة العبد وموافقته لصواب
العمل الموصل الى القبول ونيل المأمول مخالفة النفس والهوى أي اجراء العمل المتعبد به
بشاهد الحق لابشاهدهما (قوله ومخالفتهما ترك شهواتهما) أي ولا يتم ذلك الا بفعل
المأمورات واجتناب المنهيات على احسن طرق السداد (قوله مجبولة الخ) أي ولهذا
المعنى اشارة الصديق بقوله وما ابرئ نفسي الآية والمعنى ان النفس مستمرة منذ عقلت
الى وقت التكليف أو وقت اليقظة من وسن الغفلة والرجوع الى الاستقامة على
الاقدام على ماخطر لها من الافعال والاحجام عما تخشاه في الاستقبال مبادرة الى الحال
وان كان فيه عطبها في المآل قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه اذا أكرم الله
عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية بين عينيه وستر عنه الحظوظ وجعله يتقلب في
عبوديته والحظوظ عنه مستورة كانه في معزل عنها واذا أهان الله عبدا في حركاته وسكناته
نصب له الحظوظ وستر عنه العبودية فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله تعالى عنه بمعزل
وان كان يجري عليه شيء منها في الظاهر (قوله أي مطبوعة على سوء الادب) اعلم ان
الادب منحصر في المتابعة على سنن الشريعة المحمدية سواء في العبادات ومحاسن الاخلاق
والعادات فمن خرج عن ذلك في حركاته وسكناته فهو قد اساء ادبه بمتابعة نفسه وهواه
المنهي عنها بشاهد العلم (قوله والعبد يردها بجهده) أي يقوم عليها بسياسة التعليم
وادب التفهيم حتى تنتقل بالتطبع عن الطبع لما تشاهده من باهر ادلة السمع فتذوق
مرارة ما كانت تستحليه فلا تعاود شيأ مما كانت تشتهيه (قوله فمن اطلق عنانها الخ)
أي والضرر العظيم في ارخاء العنان كما يوضحه دليل القرآن (قوله هي الداعية الخ) أي
لانه قد يكون هلاكها الحسي في قضاء شهوة لها في الدنيا وفي الاخرى بكون هلاكها
بارتكاب المخالفات ووقوفها مع العادات والمألوفات (قوله المعينة للاعداء) أي
وحيث كان كذلك فعلى الحاذق أن يردها قهرا عن ميلها وتزيينها الشيء القبيح المهلك

ولا يغرنكم بالله الغرور أى الشيطان ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم (وقال أبو حفص من لم يتهم نفسه) بما تبديه له من النصر (على دوام الاوقات ولم يخالفها فى جميع الاحوال) التى تميل اليها (ولم يجرها الى مكروهها فى سائر أيامه كان) باتباعها (مغرورا) بالادلة الواضحة (ومن نظر اليها باستحسان شئ) صدر (منها فقد أهلكها) فى الدنيا والآخرة (وكيف يصح لعاقل الرضا) أى رضاه (عن نفسه) وتسليمه لها ما ادعته من الخيرات (والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل يقول وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن مقسم ببغداد يقول سمعت ابن عطاء يقول قال الجنيد ارقت) بكسر الراء أى سهرت (ليلة فقمت الى وردى) من الصلاة (فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتى لربى فتحيرت) فى سببه (فاردت أن أنام فلم اقدر) عليه وأنا على هذا الحال (فقعدت) لاذكر الله فى غير صلاة (فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت) انتظر الفرج (فاذا رجل ملتف فى عباءة) بالمد (مطروح على الطريق فلما أحس بى رفع راسه وقال يا ابا القاسم) تأخرت عنى (الى الساعة) أى لم تخرج من حين تحيرت أو هذا مكاشفة بحال الجنيد (فقلت) له (يا سيدى جئتنى (من غير موعد) بوقت (فقال بلى) جئتك بموعد فانى (قد سألت محرك القلوب ان يحرك لى قلبك) اى فالوقت الذى طلبتك فيه منه هو أول ما حركك فهو الموعد (فقلت قد فعل ذلك) أى حركنى لك (فما هى حاجتك فقال متى يصير داء النفس دواءها

لها ويحملها على العمل بطريق المتابعة وسبيل الاستقامة (قوله ولا يغرنكم بالله الغرور) الغرور المبالغ فى الغرور بان يحملكم على المعاصى بتزيينها لكم وترجيكم التوبة والمغفرة (قوله من لم يتهم نفسه الخ) أى حيث هى بطبعها مائلة الى كل خلق دنىء كالرياء مثلا وهو كما قال المحاسبى ارادة العبد العباد بطاعة الله تعالى وقيل هو اظهار صور الطاعات طلبا للدنيا وفيه كالذى قبله نوع من النظر فتأمله واعلم ان النفس قد وصفها الحق تعالى فى كتابه العزيز بصفات وسماها باسماء فقال تعالى حكاية عن يوسف صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه وما ابرئ نفسى قلت قد اراد من النفس جنسها لا نفسا معينة ثم استثنى منها من رحمه الله وقال تعالى لا اقسم بيوم القيامة ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فقد اختلفت نعوتها باختلاف احوالها فسميت امارة بالنظر لما جبلت عليه من الميل الى الشهوات ولوامة لانتباهها من رقدة الغفلات ومطمئنة لما عرفته من طرق الخيرات وايقنته من الآيات البينات من انعام مولاها وفضله عليها فى دنياها وأخراها (اقول) ومن آثار النفس الاولى قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه وقوله بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل وبهذا الاعتبار كانت عدوة للانسان ومن آثار الثانية قوله تعالى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى وقوله أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ومن آثار الثالثة قوله تعالى ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين (قوله وكيف يصح لعاقل الخ) الاستفهام للانكار فالمعنى لا يصح لعاقل الرضا عن نفسه الخ (قوله وما أبرئ نفسى الخ) اقول ينبغى أن يكون الحكم باعتبار جنس النفس والا فانفس الانبياء والمرسلين بل وانفس الاولياء والعارفين مطهرة باعتبار عينها وذاتها فيجب على كل مكلف تعظيم الانبياء باسرهم وكذا الملائكة على الجميع صلوات الله وسلامه فمن قال فى أعراضهم شيأ تعريضا أو تصريحا فقد كفر والعياذ بالله تعالى قال بعضهم فى كتب الفروع من قال ان رسول الله وسخ أو يتيم أو راعى غنم أو فقير فى معرض التنقيص فهو كافر والعياذ بالله تعالى (قوله وما أبرئ نفسى) أى لا أنزهها عن السوء قاله عليه السلام هضما لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء وبعدا عن التزكية والاعجاب عند ظهور كمالات النزاهة ان النفس لامارة بالسوء أى النفس البشرية التى من جملتها نفسى فى حد ذاتها مائلة الى الشهوات الا ما رحم ربى من النفس التى يعصمها عن الوقوع فى المهالك ومن جملتها نفسى وقيل الاستثناء منقطع أى لكن رحمة ربى هى التى تصرف عنها السوء (قوله يقول قال الجنيد الخ) تقدمت هذه

الحكاية فاعادتها لمناسبة المقام (قوله فقلت اذا خالفت النفس هواها الخ) أقول ومما يجب خلافها فيه حب الرياسة وذلك يكون على وجهين وسيبين أحدهما الجهل بالنفس وماهى عليه من الخسة والنقص وبما دعت اليه وكلفت به من التعبد والتذلل لمولاها فى كل تصرفاتها اما على وجه الوجوب أو الندب وثانيهما حب الدنيا وهو أعظمهما ومن جملة اقسام حب الدنيا محبة الرياسة والعلو فلامتلاء القلب بمحبتها تظهر هذه الآثار على ظاهر العبد ومما يخلص من ذلك شهود تحقير الدنيا والرجوع الى أقدار الله تعالى وان حركاته وسكناته لاتغير شيأ مما وقع به القضاء والقدر وتفكره فى قدر نفسه وأصلها وأحوالها فى دنياها وفقرها وعجزها وذلها عن تحصيل منافعها الدنيوية والاخروية الابعونه سبحانه وتعالى واعلم ان من اخلاقها المذمومة التى يجب خلافها فيما سبقها الى ظن السوء بل الى اعتقاده فى محل تساوى الاحتمالات عند ذوى العقول والسداد فاذا رأت من شخص فعلا أو حالا محتملا من غير دليل على الترجيح سبق اليها سوء الظن بفاعله وحمله على الوجه القبيح وهذا بعيد عن الدين وأخلاق المؤمنين وقد روى الترمذى يرفعه الى أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث قال أبو عيسى حديث حسن صحيح (قوله اذا خالفت النفس الخ) أى لان موافقة النفس طاعة للشيطان فخالف نفسك واعتبر بآدم عليه السلام لما اتبع هواه فى أكله من الشجرة هبط من الفردوس الاعلى الى الحضيض الاسفل وبنوح عليه السلام لما اتبع هواه فى تخليص ولده من الغرق رد الله تعالى عليه بقوله فلا تسألن ماليس لك به علم الآية وبابراهيم عليه السلام فانه لما استراح ساعة فى مضجعه قيل له قم واذبح ولدك و بيعقوب عليه السلام لما فرح بيوسف عليه السلام ساعة حبس فى بيت الاحزان أربعين سنة و بيوسف عليه السلام لما التفت يوما الى جماله وقال لو كنت عبدا ماذا كنت أساوى فبيع بثمن بخس وحبس فى السجن بضع سنين وبموسى عليه السلام فانه لما ظن انه أعلم أهل زمانه وتاه بعلمه وفضله ابتلى بالخضر عليه السلام وبداود عليه السلام لما مال الى حظ نفسه ابتلى بالبكاء والنحيب أربعين سنة و بسليمان عليه السلام لما استعظم ملكه سلبه وألقى على كرسيه جسد وبزكريا عليه السلام لما التجأ الى غير الله واستتر فى بطن الشجرة شق بالمنشار طولا فتأمل يا أخى وخالف نفسك وهواها فان من أقبل على الله فهو له ملاطف وعليه بالبر والاحسان عاكف يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (قوله لان النفس أعظم حجاب) أى ولهذا قال ابراهيم بن أدهم على القلب ثلاثة أغطية الفرح والحزن والسرور فاذا فرحت بالموجود فانت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فانت معجب والمعجب محبط عمله أقول ويدل له قوله جل شأنه لكيلا تأسوا

فقلت اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها فاقبل على نفسه وقال اسمعى فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فابيت) ان تقبليه (الا أن تسمعيه من الجنيد وقد) وفى نسخة فقد (سمعت) ذلك منه (وانصرف عنى ولم أعرفه ولم اقف عليه بعد) فعلم ان الدواء النافع للنفس مخالفة هواها بما يرضى مولاها وانما كان دواؤها لقهرها عليه المخالف لطبعها الذى تلتذ به (وقال أبو بكر الطمستانى النعمة العظمى الخروج من النفس) اى من مشتهياتها بالاشتغال بالطاعات (لان النفس اعظم حجاب بينك وبين الله تعالى) لانها امارة بالسوء

(وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى) الذين ميلهما الى ما يسخط المولى لما فيهما من المشقة الشديدة (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا عمر الانماطي يقول سمعت ابن عطاء وقد سئل عن اقرب شيء الى مقت الله فقال رؤية النفس و) رؤية (احوالها) استحسانا (وأشد) قبحا (من ذلك مطالعة الاعواض) بان يطلب العوض من الله (على افعالها) اى النفس مع ان ما هى فيه من جملة فضل الله عليها (وسمعته) ايضا (يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول كنت في جبل اللكام) بالشام (فرأيت رمانا) وكنت عزمت على تركه لله تعالى (فاشتهيته) لما مررت به (فدنوت) منه (فاخذت منه) رمانة (واحدة فشققتها فوجدتها حامضة) فلم يأكل منها شيأ ادبا بذلك لمخالفته عزمه قال (فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير) اى الدبر (فقلت السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت له وكيف عرفتني فقال من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء) بان يسر الله له كل ما يريده تارة بالسؤال وتارة بغيره

على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (قوله ما اعظم حجاب الخ) اعلم ان الحجاب على نوعين حجاب بصر وحجاب بصيرة فحجاب البصر عيبك العارض الذى هو النقص والفناء ولا زوال لهما الا فى الآخرة فلا رؤية الا هنالك وحجاب البصيرة هو الصفات الذميمة فاذا ازالت كشفت لك الحقيقة * قال فى لطائف المنن انما الحجاب الغيوب وجود العيوب فالتطهير من العيب يفتح باب الغيب هذا والحجاب اذا اطلق فهو باعتبار العبد تعالى الرب عن ذلك علوا كبيرا (قوله ما عبد الله بشيء الخ) أى ولذا قيل ان البدن اذا سقم لا ينجع فيه طعام ولا شراب ولا نوم وكذلك القلب اذا تعلق بحب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ وكذلك نقل عن ابراهيم بن أدهم انه قال مفتاح العبادة الفكرة وعلامة الاصابة مخالفة النفس أقول ولذا قيل من عرف نفسه عرف ربه فافهم (قوله رؤية النفس) أى بشهود خير صدر عنها وقوله واشد قبحا من ذلك أى من شهود ذلك مطالعة الاعواض أى تطلع العبد الى جزاء الاعمال وانما كان أشد قبحا لما فيه من الغفلة عن تصاريف الحق فى العبيد فضلا واحسانا والكلام فى رؤية الاستحسان والاستعظام والاتكال لا رؤية العلم بايقاع الاعمال فان ذلك نور وهدى فليس بحجاب بل هو به مأمور وعلى فعله مشكور فتأمل *(تنبيه)* من آفات النفس الاغترار ببعض الاعمال وبظواهرها مع الغفلة عن بواطنها وآفاتها وأصل الاغترار خدعة النفس عما هو أولى بها واشتغالها بغيره قال تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وذلك لاغترار الخلق بجمال الظاهر مع الغفلة عن خبث الباطن فهى متاع لحظة يغتر به العبد عن الخير الدائم ثم لما كانت مقامات الدين متفاوتة ورتبه مختلفة كان الاغترار بما حصل عما لم يحصل مع امكان حصوله من جملة الخذلان ومن اغتر بما حصل من العلوم مع سعة مجالها وتفاوتها كان من الغافلين المدعين للاحاطة بكل معلوم كذلك من تيسر له بعض الاعمال ودام على ذلك فى كثير من الاحايين فاغتر بذلك وغفل عن أعمال قلبه وكذلك ان غفل عن تحصيل المعرفة واليقين والتنقل فى درجات المقربين كان مغرورا بما حصل من أعماله عما هو أفضل منها فهذه مجالات اغترار المغرورين باعمال الدنيا والدين فى الجملة (أقول) ومن ذلك الاغترار بالله عز وجل ويكون من الكافرين أو العاصين من المؤمنين وذلك بالنسبة للكافرين بسبب ما أسبغ عليهم من نعمه الدنيوية فظنوا ان ذلك لكرامتهم عنده كما حكاه سبحانه وتعالى عن بعضهم بقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن آخرين منهم بقوله ولئن رددت الى ربى لاجدن خيرا منها منقلبا فاغتروا بذلك النعيم الدنيوى حتى ظنوا حصول نعيم الآخرة لاستحقاقهم لذلك واهليتهم له واغترار المسلمين يكون من العاصى والمطيع فالمطيع يغتر بأعماله الحاصلة مع الغفلة عما لم يحصل مع امكانه واغترار العاصى بالامهال وتأخير العقوبة عن الحال مع دوام عوافيهم وتيسر ارزاقهم ورجائهم العفو منه تعالى مع تكاسلهم عن القيام بحقه تعالى وكل ذلك غرور وامانى باطلة سهل

(فقلت) له (أرى الشيخ لا يزال على صيام مع قبضه على فلوس لعله انه يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير) التي تلدغك كان خيرا لك (فقال وانا ايضا (ارى لك حالا مع الله تعالى فلو سألته ان يقيك شهوة الرمان) كان خيرا لك (فان لدغ الرمان يجد الانسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد المه في الدنيا) والم الدنيا اهون من الم الآخرة (فتركته ومضيت) ٢٧ خشية ان اشتغل به فيفسد على توكلي دل
كلام المطروح الاول على انه من
العارفين وكلامه الثاني على انه
من المكاشفين (وحكى عن ابراهيم
ابن شيبان انه قال ما بت تحت سقف
ولا في موضع عليه غلق اربعين
سنة) لان ذلك سبب للانتباه والاعانة
على قيام الليل (وكنت اشتهي في
اوقات أن اتناول شبعة عدس
فلم يتفق) لي ذلك (فكنت وقتا
بالشام فحمل الي غضارة) بمعجمتين
اي آنية من طين جوا خضرة (فيها
عدس فتناولت منه) شيأ (وخرجت
فرايت قوارير) من زجاج يحفظ
فيها الخمر ليعرف حسنه (معلقة
فيها شيء شبه نموذجات) بضم
النون وبذال معجمة اي قطرات
من مائع (فظننته خلا فقال لي
بعض الناس ايش) اي اي شيء
(تنظر هذه) التي في القوارير
(نموذجات الخمر وهذه الدنان) التي
في هذه الاماكن كلها (خمر فقلت
في نفسي لزمني فرض) وهو صب
هذا الخمر (فدخلت حانوت الخمار
ولم أزل اصب تلك الدنان وهو)
اي الخمار (يتوهم أني اصبها بأمر
السلطان) اي لما راى من جدي
واقدامي (فلما علم) أنه ليس بامره
(حملني الى ابن طولون) والي الثغر
اذ ذاك (فامر بضربي مائتي
خشبة) اي مائتي ضربة بها (وطرحني في السجن وبقيت فيه مدة حتى دخل ابو عبد الله المغربي استاذي ذلك البلد) فاخبر بما اصابني (وشفع لي) عند الوالي واخرجني (فلما وقع بصره) اي استاذي (علي قال لي ايش فعلت) حتى اصابك هذا الامر

طريق دلالة شيطانهم وخبث نفوسهم (قوله فلو سألته ان يحميك الخ) قال ذلك شفقة وخوفا عليه من ان يشتغل بالالم عن غيره من سيئ احواله (قوله ما بت تحت سقف الخ) أقول لعل ذلك بسبب غيبته عن نفسه فلا ينافي ما ندب اليه من مراعاة النفس والبدن بشاهد العلم المشار اليه بخبر وان لبدنك عليك حقا الحديث (قوله وكنت اشتهي في أوقات الخ) في هذه القصة تنبيه على رفعة مقام الشيخ وسبق عناية الله به بتعجيل عقوباته على ما يفرط منه من شهواته المباحة في حق غيره ليتنبه على دوام حسن الحال بالاستغراق في شهود الكبير المتعال (قوله فقلت شبعة عدس الخ) أقول وهكذا تصنع شهوات النفس لان شأن النفس الخلف في وعدها والنقض لعهدها فكثيرا ما تعد الصبر عند حلول المصائب والسكون عند خوف المعاطب فاذا حلت بها المصيبة جزعت واذا توهمت عطبا هلعت ونفرت ونقضت ما عليه عزمت ورفضت ما بالسكون في وقت هجومه وعدت وبهذا الاعتبار كانت النفس عدوة للانسان حيث تغره بوعدها ويسكن بجهله لقولها فاذا جاء وقت الحاجة الى الوفاء بما وعدت أخلفت أو الى الاعراض عما التزمت الاعراض عنه شرهت وطمعت وهذا كله شأن أعظم الاعداء وأكبر المخادعين فالله تعالى يقينا شرها بجاه سيد المرسلين *(فائدة)* اعلم وفقني الله واياك ان الذي تنتفي به الغرة عن المغتر يختلف بحسب ما اغتر به كل انسان فاذا كان الغرور بالعلم فدواؤه النظر في مقدار العلم بالاضافة الى ما يجوز في حقه وبالاضافة الى ما ناله غيره ممن هو ارقى منه كالانبياء والاولياء والسلف الصالح فانه اذا تفكر في ذلك علم ان الذي أوتيه بالنسبة لذلك كلاشيء على ان حق مثله ان يشكر ولا يكفر واذا كان الغرور بعمله فيداويه بالتفكر في نفسه هل قام بحق الله تعالى عليه وراقبه فيه فيما طالبه منه ونهاه عنه وذلك بالنسبة الى سائر جوارحه الظاهرة والباطنة فانه اذا اتقن التفكر في ذلك تحقق عجزه وتقصيره وتفريطه في كثير من حقوق ربه وأيضا لو نظر الى أعمال من تقدمه من الانبياء والاولياء والسلف الصالح لعلم ان أعماله كلاشيء بالنسبة لذلك *(دقيقة)* من المغترين طائفة فهمت كلام أرباب الاحوال والمقامات وعرفت بعض اشاراتهم وأدركت المعاني التي أشاروا اليها فغرها ذلك حتى اعتقدت تخلقها بتلك الاحوال وذلك لكونها لم تفرق بين العلوم والاحوال وربما قوى عليها ذلك الاغترار حتى صرحت بالاتصاف بذلك ودعت غيرها من الناس الى التخلق بمثل خلقها فيجب على مثل هؤلاء الردع عن غرتهم وتنبيههم على سنة رقدتهم بأن يمتحنوا أنفسهم في المواطن التي تحتاج الى كمال التوكل وتمام الرضا والتسليم أو الزهد والورع أو غير ذلك من مقامات الموقنين

(فقلت) فعلت (شبعة عدس) نقضت على عزمى (و) فى مقابلتها ضربت (ماتى خشبة) وصمت تلك المدة (فقال لى فجوت مجانا) اى بلا بدل يعنى بلا عقوبة فى الآخرة بل عجلت لك العقوبة فى الدنيا الشهوتك الدنيوية (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت ابا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى السقطى يقول ان نفسى تطالبنى منذ ثلاثين أو اربعين سنة أن اغمس جزرة فى دبس فما أطعمتها) ذلك وانما ذكر هذا لمن يقتدى به من أصحابه لكمل مجاهدته ٢٨ لنفسه وتعظيمه لربه ومخالفته لما تركه لوجهه (وسمعته ايضا يقول سمعت جدى يقول آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه) لان من رضى عنها فقد استحسن جميع ما يرد منها وكفى بذلك آفة ومصيبة (وسمعته) ايضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله الرازى يقول سمعت الحسن بن على القرمسينى يقول وجه عصام بن يوسف البلخى شيأ) لاشبهة فيه (الى حاتم الاصم فقبله منه فقيل له لم قبلته) منه على خلاف عادتك فى عدم قبولك شيأ من صلات الملوك (فقال وجدت فى اخذه ذلى وعزه وفى رده عزى وذله فاخترت عزه على عزى وذلى على ذله) فقبلته منه ادخالا للسرور عليه وشفقة على قلبه من انكساره بالرد عليه (وقيل لبعضهم انى اريد أن احج على التجريد فقيل له جرد اولا قلبك عن السهو) عما امرت بحضور قلبك فيه من مناجاة الله فى الصلوات بالقراءة والدعاء واخلاص النية (و) جرد (نفسك عن اللهو) وهو الميل الى الشهوات والتلذذ بالمطعومات (و) جرد (لسانك عن اللغو) وهو مالا نفع فيه (ثم اسلك) اى اذهب (حيث شئت) متى شئت فعلم العبد أن التجريد ليس هو ما يعرفه اكثر الناس من مفارقة الاهل والكسب والمال فقط بل هو التخلى مطلقا عما يخشى العبد ضرره فى دنياه واخراه (وقال ابو سليمان الدارانى من أحسن فى ليله كوفئ فى نهاره ومن أحسن فى نهاره كوفئ فى ليله) تقدم هذا لكنه ذكر ثم بلفظ كفى من الكفاية والسلامة وهنا بلفظ كوفئ من المكافأة والمجازاة (ومن صدق فى ترك شهوة كفى مؤنتها) اى مؤنة شرها وازال الله تلك الشهوة من قلبه فى الدنيا وزهده فيها ببركة صدقه فى تركها له تعالى

فان وجدوا من أنفسهم أنها راغبة عند تيسر أسباب الدنيا شديدة التوثب على ذلك علموا أن الحاصل عندهم علم الزهد لا حال الزهد وهكذا فى باقى المقامات والاحوال فيرجعون بذلك عن حال الدعوى ويرفعون أكف الضراعة الى الله تعالى بالتوبة من عظيم هذه البلوى والله أعلم (قوله فقلت فعلت شبعة الخ) اى ويدل لذلك خبر ما اصاب المؤمن من مصيبة الا بذنب ارتكبه والذنوب تختلف باختلاف مقامات المذنبين (قوله فقال لى نجوت مجانا الخ) أقول موضع الاستشهاد من هذه الحكاية أنه رأى اقدامه على فسخ عقده مع ربه وا كل شهوته التى تركها لربه نقضا منه لذلك العقد وهو صحيح ولهذا أجابه شيخه بقوله نجوت مجانا حيث كان أدبك من ربك فى عاجل دنياك ولم يؤخر ذلك لأخراك (قوله بل عجلت لك الخ) أى وفى ذلك البشارة له بأنه من جملة المحبوبين كما يشهد لذلك خبر اذا أحب الله عبدا عجل له العقوبة فى الدنيا (قوله ان نفسى تطالبنى الخ) أقول وهذا منه رضى الله تعالى عنه غاية فى التعليم والارشاد الى دفع هوى النفس وذلك أن نفسه اشتهت عليه هذه المدة غمس جزرة فى دبس وربما تكرر له ذلك فى أوقات وهو يمنع نفسه من ذلك وفاء لله بما عزم عليه (قوله لمن يقتدى به) أى أو تحدثا بنعمة ربه (قوله آفة العبد رضاه الخ) أقول ويلزم من ذلك أن أصل كل طاعة وعفة وتيقظ فى عدم رضا العبد عن نفسه ولذلك علامات ثلاث اتهامها والحذر من آفاتها وحملها على المكاره فى عموم أوقاتها كما ان لرضا العبد عن نفسه أمارات ثلاث رؤية الحق لنفسه ودوام الشفقة عليها والاغضاء عن عيوبها بواسطة حب تزكيتها من حيث انه يرى منها القبيح حسنا (قوله فاخترت الخ) أقول وهذا شأن المؤمن يحب لاخيه مثل ما يحب لنفسه بل قد يترقى الى درجة الايثار (قوله فقال له جرد أولا الخ) أقول وقريب من هذا ما يحكى أن بشرا الحافى جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه أن يحج معهم فقال لهم نعم ولكن بشروط ثلاثة أن لا نحمل معنا شيأ ولا نسأل أحدا شيأ ولا نقبل من احد شيأ فقالوا له أما الأول والثانى فنقدر عليه واما الثالث فلا نقدر عليه فقال لهم انتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج (قوله من أحسن فى ليله الخ) أقول ولهذا شاهد من العلم لما ثبت ان عمل الليل يعرض وقت الفجر وعمل النهار يعرض وقت المساء وعند القبول ينال

(والله أكرم من أن يعذب قلبا) وفى نسخة عبدا (ترك شهوة لاجله وأوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام يا داود حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات فان القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عنى محجوبة) بالشهوات لقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ولان القلوب اذا امتلأت بشيء اشتغلت عن غيره بما هى فيه لخبر حبك الشيء يعمى ويصم فمن اشتغل بالله وبمناجاته عمى عن الاشتغال بشهواته وبالعكس (وروى رجل جالسا) وفى نسخة ٢٩ جالس (فى الهواء فقيل له بم نلت هذا المقام فقال تركت الهوى) بالقصر أى العمل بمقتضاه (فسخر لى الهواء) بالمد فمن ترك الهوى شغلا بطاعة المولى صح أن تنخرق له العادات من حمله على الماء والهواء ومن غيره (وقيل لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف) الذى امتلأ قلبه به فلا يجد لها محلا تنفذ فيه (ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف) لامتلاء قلبه بها وضعف خوفه (وقيل لا تضع زمامك فى يد الهوى) الذى منشؤه ميل النفس الى ما تشتهيه (فانه يقودك الى الظلمة وقال يوسف بن اسباط لا يمحو الشهوات من القلب) ويحمله على الطاعات (الا خوف مزعج أو شوق مقلق) اى لا يحصل ذلك الا بالخوف او الرجاء فمن استقام على الطاعات ولذت له المناجاة أعرض عن الشهوات (وقال الخواص من ترك شهوة فلم يجد عوضها) كفرحه بتركها وتلذذه بقربه من ربه (فى قلبه فهو كاذب فى تركها وقال جعفر ابن محمد بن نصير دفع الى الجنيد درهما وقال اشتر لى التين الوزيرى) وهو أطيب انواع التين وكان قبل قد عزم على أن لا يأكله لتعلق قلبه به ودعاء نفسه اليه (فاشتريته له) وكان صائما (فلما افطر) اى دخل وقت افطاره (أخذ واحدة) من التين (ووضعها فى فمه) ناسيا لعزمه (ثم) تذكر فحينئذ (ألقاها) من فمه (وبكى) بكاء شديدا (وقال) لى (احمله) اى خذه واذهب به (فقلت له فى ذلك) اى ما سببه (فقال هتف فى قلبى) هاتف فقال (أما تستحى شهوة تركتها من اجله) تعالى وفى نسخة من اجلى (ثم تعود اليها) وهذا من اكرام الله له حيث نبهه على الوفاء بعزمه

العبد فوق المأمول (قوله والله أكرم الخ) اى وقد قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فوعدهم بالعون منه وهو أكرم الاكرمين واصدق المحسنين هذا وفى ذلك اشارة الى أن ترك شهوة لله تعالى قد يكون سببا فى غفران غير ذلك من الذنوب (قوله حذر وأنذر أصحابك الخ) مراده من الاصحاب من يخاف الله تعالى فانه قيل لو عرضت للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف ولو عرضت للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف فافهم (قوله فان القلوب الخ) اعلم أنهم انما يريدون من القلوب اللطيفة الانسانية المعبر عنها بالنفس البشرية وهى المرادة فى حال الاطلاق لا الروح اذ الروح جسم لطيف نورانى ليس له قبل الجسم صورة لبساطته فى عالمه العلوى فاذا حل فى الجسم اكتسب الصورة فى الحال منه وهو حادث ليس بقديم ولا يفنى بعد خلقه وهو من عالم الامر الربانى والاطلاع على حقيقته عسر لانه من الاسرار المضنون بها على كثير من الخلق وهو غريب فى السفليات اصل فى العلويات (شعر)

الروح من نور أمر الله منشؤها * والارض منشأ هذا القالب البدنى
فالروح فى غربة والجسم فى وطن * فارعوا زمام غريب نازح الوطن اهـ

(فائدة) اعلم وفقنى الله واياك انك اذا تحققت قبح صفات النفس المذمومة وعلمت ما تثمره من الآفات وتحجب عنه من الخيرات يلزمك أن تقوم عليها بالتخلص من ذلك شيأ فشيأ وتجاهدها عن هواها بالرفق قليلا قليلا فانها ان حملت الاثقال نفرت وان رفق بها فى الحمل والسير وصلت فهى دابتك ومركبك فمن رفق بدابته وأحسن سياستها وصل ومن حملها فوق طاقتها وأرغمها فى سيرها وقفت أو هلكت ومن حمل مركبه وسعها وأخذ أحسن العدة والآلة وجعل عقله حارسا لهواه فى وقت هيجان البحر وخوف الغرق نجا وسعد ومن اوسقها فوق طاقتها وأهمل عدتها واشتغل بالرغبة فى كثرة اجرتها افضى به ذلك عند هيجان البحر الى الغرق فتزل به القدم ويندم والله اعلم (قوله الذى امتلأ الخ) اشار بذلك الى ان المراد بالخوف انما هو الكامل منه لا مطلق الخوف (قوله لأخرجته من الخوف) اى لقوة شهوته بواسطة كثرة جهالته وضعف خوفه بسبب وهن بشريته بتوالى غفلته (قوله الا خوف مزعج) اى بأن كان كاملا وقوله او شوق مقلق اى بأن كان قويا فالمراد الخوف والرجاء بشاهد العلم بحيث يستعمل كلا فيما يوافقه (قوله من ترك شهوة الخ) الغرض المبالغة فى صدق الترك

(قوله نون الهوان الخ) المعنى ان الشخص ان لم يراقب ماتميل اليه نفسه بشاهد العلم وقع في الهوان دينا ودنيا اذ النفس عاجبلت عليه من الشهوات لاتدعو الاالماله اهانتها أوهلاكها فعلى العبد أن يدوم مراقبالها بالحفظ من حظوظها الان الهوى اذا غلب العبد صرعه الهوان لزومه لغلبة الهوى وذلك معنى قوله * وصريع كل هوى صريع هوان * (قوله واعلم ان للنفس الخ) مراده الدخول على كلام المصنف حيث ذكر باب الحسد (قوله اربعة انواع) القول بل ستة بزيادة الراضية والمرضية وقيل اكثر من ستة (قوله قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء) تقدم الكلام عليها (قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة) اى النفس المتبعثة التى تلوم النفوس يوم تذعلى تقصيرها فى التقوى وفائدة دخول لا النافية على فعل القسم توكيد القسم قالوا انها مثلها فى قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب وقيل هى للنفى اى لكن لا للنفى الاقسام بل لنفى ما ينبئ هو عنه من اعظام المقسم به وتفخيمه وكأن المعنى لا اقسم به لا عظمه باقسامى به فانه حقيق بأكثر من ذلك واما ماقيل من ان المعنى نفى الاقسام لوضوح الامر فقد عرفت مافيه وفى الاقسام بيوم القيامة قبل من الجزالة مالا يخفى (قوله ونفس وما سواها) اى انشأها وابدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على ان المراد نفس آدم عليه السلام او للتكثير وهو الانسب للجواب فألهمها فجورها وتقواها اى أفهمها وعرفها حالها من الحسن والقبيح وما ل كل منهما ومكنها من الاختيار لايهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل (قوله ويا ايتها النفس المطمئنة) حكاية لاحوال من اطمأن قلبه فى الدنيا وصفت سريرته فيها فترقى فى معارج الاسباب والمسببات حتى انتهى الى المبدا المؤثر بالذات فاكتفى واستغنى به دون غيره فى وجوده وسائر شؤنه وقيل هى النفس المؤمنة المطمئنة اى بقول الله ذلك بالذات كما كلم موسى بن عمران عليه السلام او المراد المقول لها ذلك على لسان الملك عند تمام حساب الناس وهو الاظهر وقيل المقول لها ذلك عند الموت وقيل عند البعث ارجعى الى ربك اى الى موعوده اوالى امره راضية بما اوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل فادخلى فى عبادى اى فى زمرتهم وادخلى جنتى معهم وانتظمى فى سلك المقربين واستضيئى بأنوارهم فان الجواهر المقدسة كالمرايا المتقابلة والله اعلم (قوله فالامارة بالسوء الخ) انظر وجه قصر الامارة بالسوء على نفس الكافر مع ان الظاهر التعميم وقوله جل شأنه ان النفس لامارة بالسوء يشهد التعميم بجعل أل فى النفس للجنس والمراد بالسوء فى الآية الكريمة الميل للشهوات وذلك عام فى جميع المخالفات فتأمل (قوله والمطمئنة نفس الانبياء الخ) اعلم ان الاطمئنان يتفاوت قوة وضعفا فلا يقال بالتسوية فى ارواح الانبياء وما عطف عليها *(خاتمة)* نسأل الله حسنها اعلم ايدك الله تعالى ان هذا المتقدم ذكره من احوال المراقبين لقلوبهم المتحسسين على اعمالهم بواسطة اعانة

(والشدوا) فذلك (نون الهوان من الهوى مسروقة) اى مسروقة من الهوى الذى هو الهوان ما لا فكان هوى وانما سرقت نونه ممن ركبه الهوى وغفل عن نونه وقع فى الهوان (وصريع كل هوى صريع هوان) فكل من اتبع هواه حصلت له الاهانة فى دنياه واخراه (واعلم ان للنفس أمثلا فاذمية من ذلك الحسد) وسيأتى ولها اربعة انواع الامارة بالسوء واللوامة والملهمة والمطمئنة قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء ولا اقسم بالنفس اللوامة ونفس وماسواها الآية ويا أيتها النفس المطمئنة فالامارة بالسوء نفس الكافر واللوامة نفس العصاة من المؤمنين والملهمة نفس عامة المؤمنين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا والمطمئنة نفس الانبياء والاولياء والصديقين وقيل غير ذلك واللوامة ان أطاعت المطمئنة لامت ذاتها فى الدنيا وان أطاعت الامارة بالسوء لامت ذاتها فى الآخرة والله اعلم

ربهم فان واعظ الله في قلب كل مسلم فهم لخواطر القلوب مراقبون ولطوارق النفس بالهوى حارسون اتهاماً لانفسهم فيما تدعو اليه عتيد وتأديبهم لها فيما اطلعوا عليه من نقص أكيد قد بعدوا عن الراحات ولذت لهم المشقات وأقبلوا بالجد على تحصيل الباقيات الصالحات وأعرضوا بقلوبهم عن أنواع الشهوات وعن أصناف المطاعم والمشارب اللذيذات وقد استعانوا على ذلك بالزهد في الدنيا حيث كان أصل جميع الخيرات فالله تعالى بفضله يوفقنا لأحسن طرق المتابعات بجاه حبيبه خاتم عقد النبوات والرسالات

(باب الحسد)

هو تمني العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها اليه أم لا وهو حرام

(باب الحسد)

اقول الحسد تمني زوال نعمة الغير عنه فهو من الكبائر أما الحسد على معنى المنافسة فهو ينقسم الى مندوب ومكروه ومباح فانه ان تمنى مثل ما للغير مما يقربه الى ربه فهو مندوب وان تمنى مثل ما للغير مما كرهه الشارع أو اباحه كان حكمه كذلك من الكراهة أو الاباحة * واعلم ان الحسد على معنى تمني زوال نعمة الغير عن ذلك الغير عظيم اثمه عند الله قد هلك به كثير قديما وحديثا وهو به هلك ابليس وجنوده من الكفار قال تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق الآية وقال تعالى ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم الآية ففي الآية الاولى تمنوا زوال النعم بعد تحققها وفي الثانية كرهوا حصول الخير لهم وعلى كل فقد تحقق فيهم معنى الحسد وحكم الحسد التحريم وسببه الاعتراض على فعل الحكيم وثمرته دوام الهم الجسيم فالله تعالى يرزقنا السلامة والتسليم بجاه الرسول العظيم وقال بعضهم سببه كثرة الجهالات وقلة اليقين ودناءة الطبع وسوء الادب وعدم القنع بالمقسوم وعدم الرضا بقضاء الحكيم والبعد عن مقامات العبودية حتى كأنه ينازع أحكام الربوبية وينسب الظلم الى الله في أحكامه في العبيد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا فهو حينئذ من الكبائر والداآت الخطرة فعلى من قام بقلبه داء الحسد المبادرة الى علاجه بالرجوع الى معرفة النفس ووقوفه تحت قهر العبودية وتسليم الكائنات الى حكمة المدبر الحكيم خصوصا ولا فائدة في المنازعة لما قضاه الحكيم بل جميع المقدرات لابد من كونها على موجب ارادته تعالى ولا يعود شؤم الحسد الا على من قام به أما في الدنيا فبالهم والغم وأما في الآخرة فبالعذاب الاليم ثم أقول مرجع الحسد الى رؤية تقديم النفس بشهود فضيلتها على الغير وربما جر ذلك الى داء الكبر أيضا وهو من الداآت القبيحة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (قوله هو تمني العبد زوال النعمة الخ) قال بعضهم وسبب ذلك حب الدنيا والحرص عليها وقد يفضي ذلك بصاحبه الى تمني زوالها عن الغير وثمرة الحسد دوام تعذيب من قام به بدوام شهوده ما تمنى زواله عما لم يكن

فى وسعه زواله وقد ينشأ الحسد عن العداوة والبغضاء وعن الكبر والعجب والرياء وذلك لكراهته فى المحسود او لحرصه على انفراده بصفات الكمال ليدوم له التعظيم من العباد (قوله لان فيه نسبة الظلم الى الله تعالى) اى يستلزم ذلك ومن المعلوم ان لازم المذهب ليس مذهبا والا كان الحاسد كافرا لانا تحابعصيانه بغير الكفر فقط والحاصل ان الحسد يلزمه نسبة الظلم كما تقدم والاعتراض على الحكيم العليم فى أحكامه وسبب ذلك الحرص والجهل وحب الدنيا والعداوة والبغضاء وحب الرياسة وحب النفس والكبر وحب التفرد بالمزايا الدنيوية وغير ذلك من الصفات والاخلاق الذميمة (قوله ان يكون له مثل ما لغيره) اى مع عدم تمنى الزوال عن ذلك الغير بل ربما تمنى زيادة ذلك الغير فيما منحه الحق تعالى والله أعلم (قوله قل اعوذ برب الفلق الخ) الفلق الصبح لانه يفلق عنه الليل وقيل كل ما يفلقه الله تعالى كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن الامطار والحب والنوى عما يخرج منها وغير ذلك وفى تعليق العياذ باسم الرب المضاف الى الفلق المنبئ عن النور عقب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة باعاذة العائذ مما يعوذ منه وانجائه منه وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره فيزيد فى الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء اليه تعالى وقوله من شر ما خلق أى من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائنا من كان وذلك كما ترى عام لجميع الشرور واضافة الشر الى المخلوقين لكونهم مما اسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون والفساد واما عالم الامر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر وقوله ومن شر غاسق تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة الى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه أى ومن شر ليل معتكر ظلامه وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين اذا امتلأت دمعا واضافة الشر الى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وقوله اذا وقب أى دخل ظلامه فى كل شئ لان حدوث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقوله ومن شر النفاثات فى العقد أى ومن شر البنات والنساء السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها وقوله ومن شر حاسد اذا حسد أى اذا أظهر ما فى نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادى الاضرار بالمحسود قولا أوفعلا * ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من قرا المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى (قوله ومن شر حاسد اذا حسد) أقول شر الحسد يكون بتقدير الله تعالى وقد ذكروا أن الشخص العائن اذا نظر للمعيون من غير طريق المتابعة مع الشره تنفصل من عينه أجزاء سمية تتصل بالمعيون يحصل عندها الضرر بتقدير الله تعالى (قوله فان ابليس حمله الكبر الخ) اى فكان ذلك سببا لطرده الابدى ولعنته السرمدية (قوله فان آدم حمله الحرص الخ) اقول ذلك بحسب الظاهر حيث الظاهر أنه من الحرص على اتباع الشهوات والا فذلك باعتبار

لان فيه نسبة الظلم الى الله تعالى وقد يطلق مجازا على الغبطة وتسمى بالمنافسة كما فى خبر لا حسد الا فى اثنين رجل آتاه الله مالا ورجل آتاه الله علما الحديث وهى تمنى العبد أن يكون له مثل ما لغيره ويستعاذ من شر الحاسد (قال الله تعالى قل أعوذ برب الفلق) اى الصبح (من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ثم قال ومن شر حاسد اذا حسد فختم السورة التى جعلها عوذة) بفتح العين وضمها اى تعويذا (بذكر الحسد أخبرنا ابو الحسين الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا اسمعيل بن الفضل قال حدثنا يحيى بن مخلد قال حدثنا معافى ابن عمران عن الحرث بن شهاب عن معبد عن ابى قلابة عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاث هن أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن) وقد بينها مع علتها بقوله (اياكم والكبر فان ابليس حمله الكبر على أن لا يسجد لآدم واياكم والحرص) على اتباع الشهوات (فان آدم حمله الحرص على ان أكل من الشجرة

وايا كم والحسد فان ابنى ادم انما قتل احدهما) وهو قابيل (صاحبه) وهو هابيل (حسدا) ولا يكاد ينجو منه أحد ثلاث
لا ينجو منهن أحد الطيرة والظن اى السيئ والحسد وسأنبئكم بالمخرج من ذلك اذا تطيرت فامض واذا ظننت فلا تحقق
واذا حسدت فلا تبغ (وقال بعضهم الحاسد جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد) تعالى لانه تعالى يريد اسباغ النعم
على عبيده والحاسد يريد زوالها
عنهم فهو لا يرضى بقضاء الواحد
(وقيل الحسود لا يسود) لا دنيا
ولا اخرى بل يعود عليه فيهما ضرر
الحسد وهو ألم الهم والحزن فى
الدنيا وألم العقوبة فى الآخرة
(وقيل فى قوله سبحانه قل انما حرم
ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن
قيل ما بطن الحسد) والمشهور أنه
معاصى القلب من حسد وغيره
كالعجب والحقد وسوء الظن (وفى
بعض الكتب الحاسد عدو نعمتى)
لانه يكره رؤيتها على غيره (وقيل
أثر الحسد يتبين فيك) ايها الحاسد
(قبل أن يتبين فى عدوك) وهو
المحسود لان الحاسد متألم فى نفسه
متنكد يظهر اثر الحسد فيه قبل
ظهوره فى المحسود بل قد لا يظهر
اثره فى المحسود اصلا لدوام النعم
عليه (وقال الاصمعى رأيت
اعرابيا أتت عليه مائة وعشرون
سنة فقلت له ما اطول عمرك فقال
تركت الحسد) الموجب للهموم
والاحزان (فبقيت) عمرا طويلا
بتجاوزى عن الهموم والاحزان
المضعفة للابدان (وقال ابن
المبارك الحمد لله الذى لم يجعل فى
قلب اميرى) الذى هو حاكم على
من الحسد (ما جعله فى قلب حاسدى) اذ لو جعل فى قلبه ذلك لضاعت مصالحى ومصالح جميع رعيته
(وفى بعض الآثار) وفى نسخة الاخبار (ان فى السماء الخامسة ملكا يمر به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك) اذا
عرف أنه مشوب بحسد (قف فأنا ملك الحسد اضرب به وجه صاحبه فانه حاسد) فيرد عمله فيه دلالة على شدة التنفير من الحسد

الباطن من اسباب ابراز المقدرات المرادات له تعالى فهو حينئذ انما حرص على
مظاهر الخيرات ولو لم يترتب عليها الا وجود الانسان الكامل والنعمة العظمى التى هى
الحقيقة المحمدية وباقى ذوات الرسالة لكفى ثمرة (قوله ولا يكاد ينجو منه احد) اى بحسب
سلطان النفوس ومساعدة الهوى واعانة الشيطان اعاذنا الله وأجبتنا من ذلك (قوله
ثلاث الخ) المراد أن ذلك بالنسبة لمن لم تسبق له عناية العصمة او الحفظ والا فكثير
من النفوس خلقت مطهرة من هذه العيوب الخسيسة (قوله اذا تطيرت فامض) أى
افعل الامر الذى ظننت شؤمه بواسطة الطيرة وقوله واذا ظننت فلا تحقق أى فلا تعمل
بمقتضى ما ظننته وقوله واذا حسدت فلا تبغ أى واذا مالت نفسك للحسد بحسب
طبعها الدنىء فقم عليها بشاهد العلم ولا تتجاوز ما امرت به ونهيت عنه (قوله الحاسد
جاحد) أى منكر ومعترض على افعال الحكيم لانه لو وقف مواقف الادب وسلم لمن له
الامر كله ما صدر منه حسد لاحد من المخلوقين (قوله لانه لا يرضى الخ) اى فهو كأنه
كذلك والا كان كافرا خالدا فى نار جهنم (قوله الحسود لا يسود) اى لا يثبت له سودد
وتقدم وحظ بل انما يثمر له الحسد مجرد الضرر والهم والغم اذ المقدر كائن لا محالة والله
أعلم (قوله وقيل فى قوله سبحانه الخ) انما حمل على ذلك لقبح الحسد وفحشه وزيادة
شؤمه وضرره بالنسبة لغيره من دا آت القلب الباطنة والا فمعنى الآية الكريمة عام
اذ المعنى قل انما حرم ربى الفواحش اى ما تفاحش قبحه من الذنوب قيل ما يتعلق منها
بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش اى جهرها وسرها وذلك كما ترى عام
فى كل ذنب (قوله والمشهور أنه معاصى القلب) اى ان ما بطن من الفواحش هو
معاصى القلب مما ذكره الشارح لا خصوص الحسد (قوله عدو نعمتى) اى عدو من
انعمت عليه ايثارا لنفسه بها وكراهة لرؤيتها على غيره (قوله وقيل أثر الحسد الخ)
الغرض الزجر عن الحسد ببيان أن ضرره لو قدر يتحقق فى الحاسد قبل المحسود بل قبل
حسده لانه ما اظهر الحسد الا بعد امتلائه بهم الحقد والحسد الكامن فى سره وكفى بذلك
مضرة (قوله بل قد لا يظهر الخ) أى اذا حفظ الله تعالى المحسود حتى لا يتأثر بالحسد
(قوله فقال تركت الحسد الخ) يفيد ذلك أن ترك الحسد من اسباب طول العمر ولا مانع
من ذلك حقيقة بالنسبة للعمر المعلق على ذلك أو المراد أنه لما خلا العمر عن اسباب
الضعف فكأنه طال بواسطة دوام الصحة ولذة العافية (قوله وفى بعض الآثار الخ)
يفيد ذلك أن قبح الحسد وذمه مما قررته الشرائع القديمة وقد أكدت ذلك الشريعة

(وقال معاوية رضي الله عنه كل انسان أقدر) أنا (على أن أرضيه الا الحاسد فانه لا يرضيه الا زوال النعمة) عن المحسود وأنا لا اقدر عليه لانه بيد الله تعالى بخلاف غيره فانه يتأتى رضاه عادة بغير مطلوبه (ويقال الحاسد ظالم غشوم لا يبقى ولا يذر) اى لا يدع شيأ عماله دخل فى ازالة النعم فلا راحة له فى الدنيا ولا فى الآخرة (وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من الحاسد) من حيث انه قام به (غم دائم ونفس متتابع) اى كتنفس الصعداء فهو بذلك فى صورة مظلوم مع أنه ظالم يطلب ما ليس له طلبه (وقيل من علامات الحاسد أن يتملق) اى يتردد الى المحسود ويتلطف به ويظهر أنه محب له (اذا شهد) اى حضر (ويغتاب اذا غاب) عنه (ويشمت بالمصيبة اذا نزلت) به وكل من الغيبة والشماتة معصية زائدة على معصية الحسد وقد قيل فى قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها ان المراد بالحسنة النعمة وبالسيئة المصيبة وانه اريد بالاول الحسد وبالثانى الشماتة ثم نبه على أنهما لا يضران المحسود ولا المشموت به اذا اتقى وصبر بقوله تعالى وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ (وقال معاوية) رضي الله عنه (ليس فى خلال الشر) اى خصاله (خلة) بفتح الخاء اى خصلة (اعدل من الحسد) حيث (يقتل الحاسد) هما وغما (قبل ان يقتل المحسود) بزوال نعمه ان زالت ولما كان الحاسد هالكا بمعصيته ورجع شؤم معصيته عليه سمى الحسد عدلا لكونه اهلك من يستحق الهلاك

(قوله

الخاتمة وكذا دليل العقل فهو مذموم شرعا وعقلا (قوله كل انسان) أى له غضب اقدر أنا على أن أرضيه بما يزول به غضبه الا الحاسد فان غضبه منشؤه ثبوت النعمة لغيره وهو لا يرضيه الا زوالها وذلك بيد الله تعالى لا قدرة لغيره عليه بخلاف غير الحاسد فانه يمكن ارضاؤه بغير مطلوبه وهو قد يتيسر للعبد (قوله الحاسد ظالم غشوم الخ) انما كان غشوما لان الظالم شأنه التعدى على مال الغير ببالة به انتفاع والحاسد ليس كذلك بل اثر حسده دوام ضرره بكمده وغمه (قوله ما رأيت ظالما الخ) أقول ذلك من اشارات الحكمة وعبارات الصدق ويشبه ذلك ما ثبت عن سيدنا الحسن السبط حيث قال ما رأيت حقا أشبه الباطل كالموت * (فائدة) * الحسد محرم لانه من عمل القلوب وان لم تساعدها الجوارح فان ساعدتها كان ذلك زيادة فى شره واثمه ويدل لما قلنا مدحه تعالى بقوله ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا فانه قد نفى عن قلوبهم الحسد على ما اوتى غيرهم ولم يذكر جوارحهم فدل على ان الحسد من اعمال القلوب خاصة (قوله من علامات الحاسد الخ) يشير بذلك الى أن معصية الحسد تجمع معاصى غيرها كالملاقة وهى من المداهنة والغيبة والشماتة أقول والكبر أيضا فان سببه حب التقدم وشهود فضيلة النفس على الغير هذا والمداهنة المذكورة من قبيل التصنع والرياء وهو محرم قال جل شأنه من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها الى قوله وباطل ما كانوا يعملون قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا الآية قال مجاهد ايضا هم اهل الرياء وقال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وقوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قال مجاهد ما قالوه بألسنتهم ولكن علمه تعالى من قلوبهم فالرياء من الكبائر محبط لثواب العمل بل لذاته ان كان اعتقاديا والعياذ بالله تعالى (قوله وكل من الغيبة الخ) أقول بل معصية الغيبة والشماتة ربما تكون اقبح من معصية الحسد اذ الغيبة من محبطات ثواب الاعمال والشماتة ترجع الى محبة ضرر الغير وهو قرين الشرك بالله تعالى فى الاثم اه * (فائدة شريفة للشفاء من داء الحسد) * وهى أن يلهم الانسان التفكر فيما يعتقده بعلم الشريعة والعادة والعقل من أنه لا فاعل غيره تعالى ولا مقدم ولا مؤخر سواه ولا تأثير لغيره فى شئ أصلا والالتفات الى أنه يعارض حكم ربه بجهله والتفكر فيما مضى له من الوقت على هذه الحالة من زيادة الآثام وعدم وصوله الى شئ من المرام فبكل ذلك ربما يرجى له الشفاء من هذا الداء العضال (قوله ليس فى خلال الشر الخ) ليس المراد مدح الحسد بل افادة أن شؤمه لو وقع بالمحسود بتقدير العزيز العليم يقع بالحاسد أيضا فهو حينئذ كقصاص الجانى فلذا جعل الحسد عدلا

(وقيل أوحى الله سبحانه الى سليمان بن داود عليهما السلام اوصيك بسبعة اشياء لا تغتابن صالح عبادى) بخلاف الفاسق المجاهر والمبتدع (ولا تحسدن احدا من عبادى فقال سليمان عليه السلام يارب حسبي) اى يكفيني هذان فى الزجر لعظم امرهما فلا تذكر لى بقية السبعة ولعله ذكرها له فى وقت آخر (وقيل رأى موسى عليه السلام رجلا عند العرش فغبطه) اى فتمنى ان ينال مثل ماناله (فقال) لمن بحضرته (ماصفته فقيل) له (كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله) فيه دلالة على ان من ترك الحسد لله رفعه الله (وقيل الحاسد) الذى (اذا رأى) على محسوده (نعمة بهت) ببنائه للمفعول افصح من بنائه للفاعل اى دهش وتحير تعجبا من حصولها لمن حلت به وذلك لكمال استحسانه لها (واذا رأى) عليه (عثرة) اى نقمة (شمت) اى فرح بها (وقيل اذا أردت ان تسلم من) شر (الحاسد) واعانتك له على حسده لك (فلبس عليه امرك) أى استر نعم الله عليك لئلا يتمنى زوالها (وقيل الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له) يعنى انه كاره للنعم عليه (بخيل بما لا يملكه) نشأ ذلك من الحسد (وقيل اياك ان تتعنى) أى تتعب نفسك (فى مودة من يحسدك) ليزول حسده لك (فانه لا يقبل احسانك) قبولا يزول به حسده لك فيضيع تعبك (وقيل اذا أراد الله سبحانه أن يسلط على عبد عدوا) له (لا يرحمه سلط عليه حاسده) لانه لا يترك ممكنا يتسبب به فى زوال النعمة ولان تمنيه لزوال النعمة طبع له لا يتغير غالبا بخلاف غيره فان عداوته انما حدثت بسبب فاذا زال زالت (وانشدوا) فى ذلك (وحسبك من حادث بامرئ * ترى) أنت (حاسديه له راحمينا) فيه دلالة على ان الحاسد لا رحمة له على غيره الا على من ابتلى ببلاء عظيم لكونه حينئذ لا يراه فى نعمة اذ الحاسد لا يرحم من هو فى نعمة بل يتمنى زوالها عنه (وانشدوا) أيضا

(قوله بخلاف الفاسق الخ) أى فانه يجوز غيبته لكن بما تجاهر وابتدع به دون غيره من المعايب التى لم يتجاهر بها *(تنبيه)* من آفات النفس حقدها على من آذاها وارادة وقوع الضرر به والشماتة به عند ذلك وهكذا وسببه جهلها بربها برؤيته صدور الافعال من غيره ومحبة استعجال الراحة للنفس والانتقام ممن وقع منه الاذى فان القلب مصر على محبة الانتصار على الغير وفيه جهله بذلك من شهود سوابق الاقدار فيبقى قلبه وهو مصر على تحصيل غرضه ودفع المدعى لنفسه وهذا معنى الحقد وعنه تكون الشماتة مع ان الفرح بوقوع البلاء بالمسلمين حرام بخلاف ما اذا تمنى الانسان أن يأخذ الله حقه ممن ظلمه على وجه القصاص فانه جائز واعلم أن دواء الحقد هو بالالتفات الى أن اضمار الحقد والسوء للغير معصية ناجزة وهو لا يدرى أيحصل ما اضمره للغير أولا وأيضا فالخلق قد أمروا بالتحابب والمودة والحقد والعداوة ضد ذلك مع أنه عذاب للنفس ناجز ودوام غم وهم مع عدم الفائدة فى ذلك عاجلا وآجلا (قوله ولعله ذكرها له فى وقت آخر) اى لان بيانها لازم لتجتنب لانه لا يستغنى عنه بالمذكور (قوله كان لا يحسد الناس الخ) منه يعلم ان ترك عظائم الجرائم يكون سببا فى الترقى الى الدرجات الرفيعة وهو الحق (قوله وقيل الحاسد الذى اذا رأى الخ) أى وذلك لزيادة حبه للدنيا وايثاره نفسه فهو لا يحب ان تكون لغيره فاذا ابصرها لغيره بهت وتحير *(فائدة)* اعلم ان الدنيا منها محمود ومنها مذموم فما أخذ من الدنيا للدنيا فمذموم وما أخذ منها للآخرة فمحمود ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا لقى الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسئلة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر (قوله وذلك لكمال استحسانه لها) أى مع استكثاره من أوتيها (قوله شمت) أى لخبث عدوانه (قوله وقيل اذا اردت الخ) فيه ارشاد لطرق التحفظ من شر العائن والحاسد (قوله وقيل الحاسد مغتاظ الخ) اى فهو اظلم ظالم وابخل بخيل (قوله اياك ان تتعنى الخ) فيه ارشاد لطريق راحة النفس عما لا يجدى تنبيها على ان داء الحسد عضال لا دواء له (قوله وحسبك من حادث الخ) أى كافيك ايها المخاطب مشاهدة هذه الصفة فى الحاسد حيث قد بالغ هذا الشاعر برحمة الحاسدين لاستبعادها فى العادة عسى ان تنكف عن التخلق بمثل خلقه كيف وهو اصل الاخلاق الذميمة مثل العجب والكبر والرياء والحرص والغضب والبخل والشح وغير ذلك من معضل الآفات فقد طرد اللعين بالعجب طردا ابديا ولعن لعنا سرمديا وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال أيضا لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر وقال حسب امرئ من الشر ان يحتقر

(كل العداوة قد ترجى اماتتها *) وفى نسخة مودتها (الا عداوة من عاداك من حسد) لما مر قبيل الباب السابق (وقال ابن المعتز قل للحسود اذا تنفس) تنفس المكروب (طعنة *) أى رزقك الله طعنة فى قلبك (ياظالما وكأنه مظلوم) فهو ظالم فى صورة مظلوم كما مر (وانشدوا) أيضا (واذا أراد الله نشر فضيلة * طويت) أى سترت بان سترها صاحبها عن غيره (اتاح) أى قدر (لها لسان حسود) ينشرها ويظهرها قصد الازالتها لان الحاسد لا يزال يذكر نعم المحسود ليتم له الحسد لانه لا يكون الا فى النعم (ومن الاخلاق المذمومة للنفس اعتياد الغيبة) والله أعلم

(باب الغيبة)

هى ذكر الانسان بما فيه مما يكره سواء كان فى بدنه أم دينه أم دنياه كماله وجماله وولده وزوجته وخادمه وحركته وبشاشته وعبوسته سواء ذكرته بلفظك ام بكتابك أم رمزت به ام اشرت اليه بعينك ام بغيرها وهى محرمة الا لامور مذكورة فى الفقهيات وسيأتى بعضها (قال الله سبحانه ولا يغتب بعضكم

انا المسلم وقال الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال البخيل بعيد من الله الحديث وقال اتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم وكل هذه الاخلاق الخبيثة ممتدة من شجرة زقوم اللعن والطرد والبعد نعوذ بالله من ذلك كله (قوله كل العداوة الخ) اى لان مرجع هذه العداوة انما هو الطبع الخبيث وهو لا يقبل التغير (قوله قل للحسود الخ) المراد انك اذا رأيت حاسدا يتنفس الصعداء كمدا بواسطة ما بطن فيه من داء الحسد قل له طعنة بقصد الدعاء عليه بها لدفع ضرره عن المسلمين وقوله ياظالما أى حيث تعدى حدود الله على غيره من ظلمه وقوله وكأنه مظلوم أى لما ظهر عليه من الكرب والحزن والسقم بما حسده لغيره بجهله وغفلته (قوله واذا أراد الله الخ) المعنى انه اذا تعلقت ارادته تعالى باظهار فضيلة عبد سترها الستر لحفظها اتاح أى قدر لها أى لاظهارها لسان حسود يكررها كرها قصدا ومحبة فى زوالها عن صاحبها (قوله اعتياد الغيبة) أقول احترز بلفظ اعتياد عن الامر الاتفاقى الواقع من فلتات اللسان ثم تداركه صاحبه بالاقلاع والعزم على عدم العود مع دوام الندم على ذلك فمثل هذا لا يعد من الاخلاق المذمومة

(باب الغيبة)

اى وهى من كبائر الذنوب لما ورد فيها من الوعيد الشديد الذى لا يقبل التأويل بل هى من اقبح الكبائر لانها سبب فى اتلاف ثمرة العمل بالطاعة ولانها انما تكون غالبا عن حسد المغتاب وكل هذا سببه الجهل والغفلة والظلم بقوة الظلمة أعاذنا الله واحبتنا من ذلك وقال بعضهم الغيبة من الاخلاق الذميمة وسببها ملاحظة الانية ومنشأ ذلك الجهل وعمى البصيرة وعدم الالتفات الى عظمة الله تعالى وعظمة اسمائه وصفاته والا فلو عرف نفسه وربه لاستحيا من الله تعالى ان يكون غافلا عنه فى وقت من الاوقات ولحظة من اللحظات فان جميع الكائنات قيامها وتدبيرها وايجادها وامدادوجودها بالله تعالى واليه مردها قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وقال تعالى بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان وقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد ابدا وقال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا الى غير ذلك من الآيات الدالة على ان الرب تعالى به وجود الاشياء واليه مردها تدبرتقهم والله أعلم (قوله هى ذكر الانسان بما فيه الخ) أى سواء كان ذلك فى غيبته او فى حضوره ومن ذلك يعلم آن ذكره بما ليس فيه مما يكرهه اقبح واعظم اثما وهذا خلق اهل زماننا فى وقت مسامرتهم وكان ذلك عندهم من المباحات وقد تطرق ذلك الى الخاصة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله وهى محرمة الا لامور الخ) أى مثل التجاهر بالمعاصى بشرط ان يكون بعين ما تجاهر به زجرا له عن ذلك وبقصد وجه الله تعالى بالانكار عليه لا لحظ النفس وبشرط امن الفتنة فى الانكار وعلم انها تترتب المعصية من ذلك المتجاهر وان لا يكون ذلك على رؤس الاشهاد ان أفاد الانكار فى السر مع من تجاهر بالمعصية دون حضور احد (قوله قال الله تعالى ولا يغتب بعضكم

بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً الآية) أى فكرهتموه والمعنى فاغتيابه فى حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثانى فكرهتموه فاكرهوا الاول (اخبرنا أبو سعيد محمد بن ابراهيم الاسماعيلى قال اخبرنا ابو بكر محمد بن الحسين بن الحسن ابن الخليل قال حدثنا على بن الحسن قال حدثنا اسحق بن عيسى ابن بنت أبى دواد بن هند قال حدثنا محمد بن ابى حميد عن موسى ابن وردان عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رجلا قام وهو مع رسول الله صلى الله عليه ٣٧ وسلم قبل ذلك المجالس فقال بعض القوم ما اعجزه فلانا فقال) له (صلى الله عليه وسلم أكلتم اخاكم) أى لحمه (واغتبتموه واوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرا عليها فهو أول من يدخل النار) فيه دلالة على شدة أمر الغيبة وعلى ان من دخل النار بسببها يطول مكثه فيها ومن تاب منها يتأخر دخوله الجنة لما تقدم له منها وللمقاصة بما عليه من الحقوق لمن اغتابه (وقال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج) أى اغتبته (فقال ابن سيرين ان الله سبحانه حكم عدل فكما يأخذ) الحق (من الحجاج) ان ظلمه (يأخذ) (للحجاج) ممن اغتابه (وانك اذا لقيت الله غدا) أى يوم القيامة (كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من أعظم ذنب اصابه الحجاج) اذ لا تزر وازرة وزر أخرى فالاولى لكل احد ان يشتغل بنفسه وان عظمت ذنوب غيره فانه انما يطالب بجرمه وان قل لا بجرم غيره وان كثر (وقيل دعى ابراهيم بن ادهم الى دعوة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا انه ثقيل فقال ابراهيم انما فعل بى هذا نفسى حيث حضرت) لشهوة الطعام (موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام) فيه دلالة على ان من حضر الغيبة ورضى بها كان شريكا فيها ولما فرط ابراهيم فى الحضور مع من لا يحترز منها ادب نفسه بالجوع ثلاثة أيام مقابلة للشئ بضده هذا مع أنه لم يرض الغيبة بل أنكرها بحسب قدرته وقام ولم يأكل

بعضا) أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان الغيبة ادام كلاب الناس وقوله تعالى أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتقرير لما يصدر عن المغتاب مما يتعلق بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وشرعا وعقلا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهامى والتقريرى وايذان اسناد الفعل الى أحد ايذانا بان أحدا لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان وجعل المأكول أخا للآكل ميتا واخراج تماثلهما مخرج أمر بين غنى عن الاخبار وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الاخ والفاء فى قوله فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل حيث كان الامر كما ذكر فقد كرهتموه أى جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم بتركه والندم على ما صدر منكم من قبل ان الله تواب رحيم مبالغ فى قبول التوبة وافاضة الرحمة حيث يجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وان كثرت ذنوبهم (قوله كأكل لحمه بعد مماته) اقول التقييد بما بعد الممات لزيادة التنفير بشاهد النفس ولانه الممكن فى الغالب (قوله واغتبتموه) عطفه على قوله أكلتم اخاكم للتفسير لان المعنى المراد من الاكل انما هو الغيبة له بذكر ما يكرهه (قوله من مات تائبا من الغيبة الخ) الغرض المبالغة والزجر وشدة التنفير من الغيبة والا فالتوبة المستوفية لشروطها تقطع اثر الذنب وفاء بالوعد الحق والخبر الصدق (قوله فقال ابن سيرين الخ) مراده الزجر عن الغيبة شفقة على المغتاب وكراهة فى الحجاج ان يصله شئ من النفع بالوقيعة فيه من غيره (قوله كان اصغر ذنب) أى فى زعمك وقوله اصبته اى فعلته وقوله أشد عليك اى لاجل ما يترتب عليه من العقوبة التى مرجعها نفسك وذاتك وقوله من أعظم ذنب الخ الغرض التنفير عن ذكر عيوب الغير والا فذنب الحجاج عظيم ولا سيما اذيته آل بيت الرسول وخيار اصحابه على ان ذلك من ورع ابن سيرين فحمل على مثل حاله ومقامه من الورع والا فلا غيبة فى الحجاج لتجاهره بالفسق والعصيان (قوله أن يشتغل بنفسه) أى لان قوله فى غيره ممن تحقق ذنبه مما لا يعنيه ولا فائدة له فيه (قوله وقيل دعى ابراهيم الخ) قد تقدمت هذه القصة وانما اعادها أولا لمناسبة المقام وثانيا للتصريح بالقول المغتاب به (قوله ولما فرط) أى فى البحث عن الحاضرين قبل حضوره ليعلم أنهم لهم به

(وقيل مثل الذى يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا) بفتح الميم والجيم (يرمى به حسناته شرقا وغربا) حيث (يغتاب واحدا خراسانيا وآخر شاميا وآخر حجازيا وآخر تركيا) وآخر غير ذلك (فيفرق حسناته فيقوم ولاشئ معه) منها لان الناس يقتص بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا بالحسنات والسيئات فمن عليه حق أخذ من حسناته فان فنيت وضع عليه من سيئات من له الحق فالذى يغتاب الناس من كل قطر يفرق حسناته يمينا وشمالا (وقيل يؤتى العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول أين صلاتى وصيامى وطاعتى فيقال ذهب عملك كله باغتيابك الناس) لما مر آنفا (وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه) لان العبد اذا فعل معصية ٣٨ كان عليه اثمها كاملا فان اغتيب بها نقص اثمها لما حصل له من الاجر باغتياب من اغتابه وجعل النقص نصفا لانه اعدل (وقال سفيان بن الحسين كنت جالسا عند اياس بن معاوية فنلت من انسان) أى اغتبته (فقال لى هل غزوت فى هذا العام الترك والروم فقلت لا فقال سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك المسلم) فيه تأديب حسن وارشاد الى تغيير المنكر فى الغيبة على الفور فانه لو قال له انك مغتاب ربما نفرت نفسه منه (وقيل يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له هذا بما اغتابك الناس) أى باغتيابهم لك (وانت لم تشعر) بذلك فيه دلالة على ان حسنات المغتاب تنقل الى صحيفة من اغتيب (وسئل سفيان الثورى عن قوله صلى الله عليه وسلم أن الله يبغض أهل البيت اللحمين) بكسر المهملة اى كثيرى اللحم فقيل من هم (فقال هم الذين يغتابون الناس فكانهم يأكلون لحومهم) وقال هم الذين يكثرون أكل اللحم كما كان عمر رضى الله عنه ينهى عن مداومة أكل اللحم خوفا من تعود الشهوات والاسراف فى النفقات ولان اهل ٢ الدين درجة والعلم قلما يكونون كثيرى اللحم والسمن فان السمن غالبا انما يكون عن كثرة الاكل وكثرة الاكل تكون عن الغفلة والتمتع بالشهوات وهذا المعنى ليس مرادا هنا (وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال لو كنت مغتابا احدا لاغتبت والدى لانهما أحق بحسناتى) لاتفاعهما بها فيه زجر عن الغيبة وانها تضر فى الدنيا والآخرة (وقال يحيى بن معاذ) مخاطبا الخطاب العام (ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه) المقصود طلب عدم الاذية بالغيبة وغيرها وفيه إشارة الى انه ينبغى للعبد ان يكون نافعا لغيره كالملائكة لا ضارا كالشياطين والحيات ونحوهما (وقيل للحسن البصرى ان فلانا اغتابك

ح

مناسبة أولا (قوله وقيل مثل الذى يغتاب الناس الخ) أقول وسبب ذلك كله المزاحمة على الدنيا وحب ايثار النفس بها مع أن الانسان لو نظر اليها بعين قلبه لابصر حقيقة فنائها وخستها قال بعضهم تركت الدنيا لسرعة فنائها وقلة غنائها وخسة شركائها وقال بعض العلماء ما سطع لى زينة الدنيا الا وكشف لى عن باطنها فظهر لى الطرد عنها قال ابو طالب المكى من شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها باطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يفتتن بعاجلتها قال تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الآية فافهم واقول يكفى هذا زاجرا اذ كيف يسهل السعى فيما حصل من الاعمال التكليفية باتلاف ثمرتها بعد مشقة تأديتها ولاسيما بايصال الثمرات للاعداء ان كانت هناك عداوة فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله يؤتى العبد الخ) هذا تأييد لما قبله (قوله لان العبد اذا فعل معصية الخ) هذا بيان المراد مما قبله بحمله على ذنب واحد فعله عبد من العبيد اغتابه غيره به فالنقص الحاصل بفعل الذنب جبر نصفه بالاجر المرتب على غيبة غيره له والا فظاهر العبارة ان الله تعالى يغفر نصف ذنوب من وقعت عليه الغيبة لا نصف ذنب واحد (قوله فقال لى هل غزوت الخ) يشير الى ان المؤمل فى الاخ المسلم نفع اخيه وضرر عدوه فالمغتاب بجهله قلب حقيقة الحال فضر الاخ وسلم منه العدو وهذا لم يكن من شأن العاقل فضلا عن المسلم (قوله وقيل يعطى الرجل الخ) هو قريب مما قبله وانما ذكره للمبالغة فى التنفير (قوله خوفا من تعود الشهوات والاسراف فى النفقات) اى وذلك خروج عما هو الافضل فى حق العبد المكلف من التقلل فى الدنيا اقتداء بسيد الكائنات ففى ذلك اجر الاقتداء بالسيد الكامل مع ما ينضاف الى ذلك من التفرغ للعبادة بالنشاط وجمع الهمة لعدم الشواغل وما يوجب التثاقل والتكاسل من التوسع (قوله وهذا المعنى الخ) أى وان كان منقولا وواردا (قوله فقال لو كنت مغتابا أحدا الخ) المراد افادة البعد عن الغيبة مطلقا وعلى الفرض البعيد لو اتفقت الغيبة تخلصت بالوالدين لانهما الاحق بالحسنات من الولد (قوله ليكن حظ المؤمن منك الخ) أى فأقل

فبعث اليه طبق حلوا وقال بلغنى انك اهديت الى حسناتك فكافأتك) بذلك هذا من احسن التأديب والارشاد الى ترك الغيبة فانه نبهه بذلك على انه اهدى اليه أحسن ما عنده مما ينتفع به فى الآخرة فكافأه على ذلك من طيبات الدنيا وهى الحلوا وبعضهم فعل أتم من ذلك بلغه ان رجلا اغتابه فقال والله لاغيظن من أمره بذلك فقيل ومن أمره بذلك فقال الشيطان ثم قال اللهم اغفر له فلم يرض بانه يكافئه بالعفو عنه فقط بل سأل الله له المغفرة ليتخلص من ذنبه ويغيظ عدوه الذى امره بذلك (اخبرنا على بن أحمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال اخبرنا أحمد بن عمرو القطوانى قال حدثنا سهل بن عثمان العسكرى قال حدثنا الربيع بن بدر عن أبان عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له) اى فلا حق له فيما فيما تجاهر به ولا غيبة فيه فلا اثم على من اغتابه فيه لانه لم يكشف سترا بل هو الذى كشف ستر نفسه ولانه لم يتألم بما يقال فيه لانه الذى استحسنه واظهره (سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت ابا طاهر محمد بن اسيد الرقى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول قال ابو القاسم الجنيد كنت جالسا فى مسجد الشونيزية) ببغداد (انتظر جنازة أصلى عليها واهل بغداد على طبقاتهم) أى مراتبهم (جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيرا عليه أثر النسك) ٣٩ أى العبادة (يسأل الناس) شيأ (فقلت فى نفسى لو عمل هذا عملا يصون به نفسه) عن ذل السؤال (كان اجمل به فلما انصرفت الى منزلى وكان لى شئ) كثير (من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل على جميع أورادى فسهرت وأنا قاعد فغلبتنى عيناى فرأيت ذلك الفقير جاؤا به على خوان) بكسر الخاء (ممدود) يؤكل عليه (وقالوا لى كل لحمه فقد اغتبته وكشف لى عن الحال فقلت ما اغتبته انما قلت فى نفسى شيأ فقيل لى ما أنت ممن يرضى منك بمثله) أى بمثل قولك هذا لكونك من أهل العلم والعمل فانت مقصر بجهلك ان ذلك غيبة بخلاف من ليس بمثلك (اذهب فاستحله فاصبحت فلم ازل اتردد حتى رأيته فى موضع يلتقط من الماء عند تراد الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال) لى مكاشفا الى بما وقع فى نفسى وتأذى به (يا ابا القاسم تعود) الى ما صدر منك (فقلت) له (لا أعود (فقال يغفر الله لنا ولك) كل ذلك اكرام للجنيد ليتخلص فى دنياه وأخراه من هذا الفقير (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت ابا طاهر الاسفراينى يقول سمعت أبا جعفر البلخى يقول كان عندنا شاب من أهل بلخ وكان يجتهد) فى الطاعة (ويتعبد الا انه كان ابدا يغتاب الناس ويقول) الاولى فيقول (فلان كذا وفلان كذا فرأيته يوما عند المخنثين) بكسر النون وبفتحها وبالمثلثة اى المتشبهين بالنساء فى افعالهم واقوالهم (الغسالين) للثياب (خرج من عندهم فقلت) له (يا فلان ما حالك) اى ما سبب ما أنت فيه من هذا الحال (فقال تلك الوقيعة فى الناس) أى اغتيابى لهم (أوقعتنى) فى بلية فقد (ابتليت بمخنث من هؤلاء المخنثين (وانا هو ذا اخدمهم من أجله) بسبب محبتى لذلك المخنث (وتلك الاحوال) والمقامات التى كنت نلتها لذلك (قد ذهبت) بسبب تلك الوقيعة (فادع الله لى لعله يرحمنى

(باب القناعة)

درجة للمؤمن ماذكره والافالكامل ينفع الاخ ويسره ويثنى عليه الخير (قوله فبعث اليه طبق حلوا الخ) أقول يدل ذلك منه على زيادة علمه وقوة يقينه وفنائه عن نفسه وبلوغه اعلى درجة فى الارشاد ومحبة الخير لاخوانه المؤمنين (قوله وبعضهم فعل اتم من ذلك) اقول وجهه غنى عن الايضاح فهو مقام رفيع ودرجة عالية ومحبة خير للاخوان زائدة (قوله من القى جلباب الحياء) أى بان كان لا يبالى من فعل الذنوب جهلا منه وحمقا فكان بذلك ممن عنى سيد الكاملين بقوله اذا لم تستح فاصنع ما شئت ومثله لا حرمة له فلا غيبة محرمة فى حقه (قوله كنت جالسا الخ) فيه تنبيه على مؤاخذة الكمل بخواطر قلوبهم تطهيرا لهم ليدوموا على بساط الانس وموائد الجمال (قوله فثقل على جميع اورادى) أى بسبب شؤم الاعتراض بالغفلة عن السر فى القضاء (قوله كل ذلك اكرام للجنيد) اى بسبب تعجيل ما يقظه ونبهه ورجعه عما لابسه من تلك الخواطر التى لا تليق بكامل مثله (قوله يقول كان عندنا شاب الخ) اقول والابتلاء اقل طرق الجزاء فى الاعتراض فنسأل الله العافية لنا ولاخواننا المؤمنين

(باب القناعة)

هى لغة الرضا بالمقسوم وعدم التشوف الى ما سواه يقال قنع الرجل يقنع قناعة فهو قنع

هى الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما وهى ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة قال كثير من أهل التفسير الحياة الطيبة فى الدنيا القناعة اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى قال اخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر ابن مطر قال حدثنا محمد بن موسى الحلوانى قال حدثنا عبد الله بن ابراهيم الغفارى عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القناعة كنز لا يفنى) وقال صلى الله عليه وسلم

وقنوع ويقال اقنعه اذا أرضاه ويقال قانع أيضا ومن ذلك قول لبيد

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه * ومنهم شقى بالمعيشة قانع

وغرتها تفريغ القلب للمناجاة والسلامة من غرر التعرض للآفات والتصبب لخالق الارض والسموات واعلم ان القناعة باعتبار حال موصوفها انواع ثلاثة الاول الرضا بالمقسوم من غير اشراف على زائد مع التوفيق فى طرق البذل وهذا النوع من اخلاق العوام والثانى الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من غير التفات لغيره وذلك من شيم الخواص والثالث الاستغناء بالذكر وسكر الفكر عن الاحساس بشئ من حظوظ النفس وهو من منازل خواص الخواص العارفين رضى الله تعالى عن الجميع ورضى عنا ببركاتهم ثم القناعة بانواعها المذكورة من اسباب المزيد وطرق الاحسان فالله يرزقنا التوفيق لمابه وسبب القناعة التكليفى حث الشارع عليها وارشاده اليها وعلم ما يقاسيه الانسان بفقدها من العذاب الناجز فى قلبه وبدنه فيكون دائم الهم متعوب الجسد لا يجد راحة ولا يكتفى بحاصل ولا يرضى عن احد من الخلق والله اعلم (قوله هى الاكتفاء بما تندفع به الحاجة) أى الرضا بذلك بذوق لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع ثم اذا انضم لذلك شهود ان الزائد عن ذلك ربما يطغى تحقق الرضا المذكور وحسن الظن بالله تعالى (قوله وهى ممدوحة) أى مثنى على المتخلق بها ومطلوبة أى طلبها الشارع من المكلفين على سبيل الندب أو الوجوب وذلك باعتبار ما استغنى عنه بوصف القناعة بما قسم له من نصيبه (قوله قال الله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة الخ) المعنى والله اعلم من عمل صالحا أى عمل كان وفيه تحريض لكل مؤمن على العمل الصالح وقوله تعالى من ذكر أو أنثى مبالغة فى بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به لانه لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاقهم الثواب وتخفيف العذاب لقوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وايثارا يراده بالجملة الاسمية الحالية على نظمه فى سلك الصلة لافادة وجوب دوامه ومقارنته للعمل الصالح وقوله فلنحيينه حياة طيبة أى فى الدنيا بان يعيش عيشا طيبا فان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا فطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة ويؤجر الاجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بنعيم ليله بخلاف الفاجر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا فلا يدعه الحرص وخوف الفوات ان يتهنأ بعيشه (قوله الحياة الطيبة فى الدنيا القناعة) أقول كيف لا تكون هى القناعة وهى سبب المزيد المرتب عليه الشكر (قوله القناعة كنز لا يفنى) أى لانها تثمر سكون القلب لمرادات الرب وتقطع عن الشواغل الدنية وتحمل على علو الهمة اهـ روى مسلم يرفعه الى حكيم بن حزام قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانى ثم سألته فأعطانى ثم سألته فأعطانى وقال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذى يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فقال حكيم فقلت

يارسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ بعدك أحدا شيأ حتى أفارق الدنيا وكان ابو بكر يدعوه فلم يقبل منه وكذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنهما فلم يقبل منه شيأ فقال عمر انى اشهد كم يامعشر المسلمين على حكيم (قوله من حسن اسلام المرء تركه الخ) منه يعلم ان اشتغال الانسان بما يزيد عن قدر حاجته بشاهد علم المتابعة بصير اسلامه غير حسن وذلك ظاهر لانه خلاف القصد من حكمة ايجاده التى هى تفرغه لعبادة ربه والله اعلم (قوله وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا) أى لازالة ما عليه مما شأنه ان يشغل عما للحق تعالى فهو حينئذ دعاء لهم رحمة بهم وشفقة عليهم (قوله السلامة من المطالبة الخ) أى مع ما فيها من نوع الاذلال وشغل الفكر بما لاضرورة اليه وقوله وما يتبعها من التعب أى اللازم فى الغالب ولاسيما لمن تهافت على التحصيل (قوله وفى الآخرة السلامة الخ) أى السلامة من طول الحساب على طرق التحصيل والبذل وقد ورد من نوقش الحساب هلك (قوله كن ورعا تكن اعبد الناس) أى من اعبدهم (قوله كن ورعا الخ) اقول قد جمع صلى الله عليه وسلم فى هذا الخبر الشريف سبل الرشاد دينا ودنيا باوجز عبارة والطف اشارة فسبحان من خصه بجوامع الكلم ومنح التوفيق من عنه فهم (قوله تكن اعبد الناس) أى تكن من أعبدهم وقوله لان الورع أى الانسان المتخلق بالورع (قوله تكن اشكر الناس) قلت والشكر ضامن لثلاثة أشياء ضبط النعم عن الزوال وتغير الحال بالانتقال وزيادتها فى الحال وبركتها فى المآل واتصال العبد بمولاه على وجه العافية بلا اخلال قالت الحكماء الشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقالوا أيضا من لم يشكر النعم سلبها من حيث لا يعلم قال تعالى واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد وقال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم أى اذا غيروا ما بانفسهم من الطاعة وهى شكر النعم غير الله ما بهم أى ما من به عليهم من الاحسان وفى ذلك انشدوا

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصى تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله * فان الاله سريع النقم
اذا تم شئ بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

(قوله لان القنع) اى القانع من الخلق يكتفى الخ اى فهو لا يتشوف الى زائد عما فتح الله به عليه بل يراه زائدا عما يستحقه فتكثر نعم الله عليه لان ذلك ثمرة شكره بوعد الصدق قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (قوله ما تحب لنفسك) اى مثل ما تحبه لها (قوله تكن مؤمنا) أى تكن كامل الايمان بمحبتك لغيرك من النعم مثل ما تحبه لنفسك واكمل من ذلك ايثارك الغير بذلك بالفعل او محبة ايثاره بالنعم (قوله تميت القلب) أى تزيده موتا والا فاصل الضحك يميته لان سبب الضحك كثرة الغفلات وعموم الجهالات وذلك باشارة لو علمتم مثل ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا اه * (فائدة) * اذا عزم العبد الموفق على القناعة واخذ الكفاف فليأخذه من وجوهه المحمودة شرعا ويبعد عن السبل المائلة

من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه أى وهو ما لا ساجة له به وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وثمرة القناعة فى الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق وما يتبعها من التعب وفى الآخرة السلامة من طول الحساب (أخبرنا أبو الحسن الاهوازى قال اخبرنا محمد بن عبد البصرى قال حدثنا عبد الله ابن ايوب المقرى قال حدثنا أبو الربيع الزهرانى قال حدثنا اسمعيل بن زكريا عن أبى رجاء عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الاسقع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس) لان الورع يجتنب ما يضره شرعا فيكون أعبد الناس (وكن قنعا تكن أشكر الناس) لان القنع يكتفى بما فتح الله به عليه فتكثر نعم الله عليه فيكون أشكر الناس بخلاف الشره لانه لا يرى من النعم الا العظائم فيقل شكره (واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا) كاملا لان محبة ذلك من اشرف الاخلاق وكمال الاخوة فى الدين (وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما) كاملا لانه صلى الله عليه وسلم قال اوصانى جبريل بالجار حتى ظننت انه سيورثه (وأقل الضحك فان كثرة الضحك تميت القلب) لتوالى الغفلات عليه عن أمر الآخرة كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه

بجعل الكفر والغفلة عن الله موتا. والايمان والطاعة والمعرفة بالله حياة (وقيل الفقراء) من الدنيا (أموات) قلوبهم بقفلها عن أمور الآخرة (الامن احياه الله بعز القناعة) ورضى بما يسره الله له فقلبه حي لانتفاء الغفلة عنه (وقال بشر الحافي القناعة ملك لايسكن الافي قلب مؤمن) كامل لانه ٤٢ محل شريف (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الشعراني يقول سمعت اسحق بن ابراهيم بن ابى حسان الانماطي يقول سمعته احمد بن ابى الحوارى يقول سمعت اباسليمان الداراني يقول

القناعة) أي منزلتها (من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا) اى القنع (أول) منازل (الرضا وهذا) أى الورع (اول) منازل (الزهد) لان القناعة هى الرضا بما قسم الله ومتى تمكن العبد فيها رضي بكل مايجرى به الله عليه والورع هو الاعراض عما فيه شبهة ومتى تمكن العبد فيه خف عليه مقام الزهد الذى هو الاعراض عما لا شبهة فيه (وقيل القناعة السكون عند عدم المألوفات) لرضاه بما اجراه الله عليه فلا يطلب زيادة عليه بما له غيره (وقال ابو بكر المراغي العاقل من دبر امر الدنيا بالقناعة والتسويف) لان العاقل يتصرف فى كل محل بما يليق به لمعرفته أن الدنيا زائلة فيكتفى بما تيسر له وان تشوفت نفسه لزيادة سوف لها الآمال تشمة لحالها كأن يقول ان عشت لوقت آخر كان كيت وكيت فيقنعها بما حصل فى الوقت (وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل وامر الدين بالعلم والاجتهاد وقال أبو عبد الله بن خفيف القناعة ترك التشوف الى المفقود والاستغناء بالموجود) لان من استغنت نفسه بما تيسر لها ذاقه لم يتشوف الى زيادة على ما حصل له (وقيل فى معنى قوله تعالى ليرزقنهم الله رزقا حسنا يعنى) بالرزق الحسن

الى الانحراف وذلك ككسبه بنفسه من صناعة بالنصح أو تجارة بالصدق أو صيد البر والبحر او مايجرى هذا المجرى واعلم ان اخس الاكتساب الاكل بالدين والتشبه بالزهاد وملازمة مواطن الصدقات مع دعوى التوكل اذ ذلك أوساخ مذمومة (قوله بجعل الكفر الخ) أقول ذلك تقريب للمعقول بما تعهد معنى الموت من عدم الاحساس لمن قام به وعدم انتفاعه بشئ لانقطاع أعماله والا فالكفر اقبح واضر (قوله والايمان والطاعة والمعرفة بالله حياة) أى فكما ان الحياة تفيد الحس بالملذوذات وبها تتم المنافع فكذلك الايمان وماعطف عليه بل فائدة ذلك المنافع الدنيوية والاخروية والمعيشة الهنية المرضية السرمدية (قوله الفقراء من الدنيا أموات) اى فالتقلل من الدنيا لايمدح وتحسن عاقبته الا اذا صاحبه القنع والرضا بالمقسوم فالمراد بالفقراء من فقرهم اضطرارى (قوله وقال بشر الخ) يريد ان وصف القنع لايكون الا لمن سبقت له العناية بطهارة القلب من دنس الشهوات مع قوة اليقين وصدق التفويض لان النور لايجامع الظلمة (قوله القناعة أى منزلتها الخ) اى فهى اساس الرضا كما ان الورع اساس الزهد وقد وضح الشارح ذلك (قوله القناعة السكون الخ) اى وذلك لايكون الا بفناء مراد العبد فى مراد الرب ويسهل ذلك ذوق لو اطلع احدكم على الغيب لاختار الواقع وماذكره نتيجة القناعة وثمرتها الا عينها كما هو واضح ((قوله العاقل من دبر الخ) أى الكيس من دبر نفسه فى الدنيا بالتخلق بالقناعة وسلاها وقت انزعاجها وقلقها بالتسويف بل وبالرضا بالمقسوم نظرا الى أن المزيد ربما كان استدراجا وذلك وخيم العاقبة قال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون قال سهل أى نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها حتى اذا ركنوا للنعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا وقيل كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار من تلك المعصية وذلك مأخوذ من قوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما (قوله وأمر الآخرة الخ) أى ودبر أمر الآخرة بالحرص اى الجد والتعجيل خوف الفوات بفجأة الاسباب ودبر أمر الدين بالعلم تعلما وتعليما والاجتهاد فى تحصيل ثمرة ذلك من العبادة عملا بقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم (قوله القناعة ترك التشوف الخ) أى وذلك بشاهد أن منع الله عين عطائه اذ لايمنع من بخل ولا من عدم مع ما يترتب على المنع من دوام اللجا اليه والاستقرار بين يديه وحسن الاختيار فيما وجهه اليه فهو تعالى انما يمنع رحمة بالعبد غير ان شهود العطاء فى المنع انما يكون من صديق هذا وقوله ترك التشوف الخ أقول ذلك من فوائد القناعة وثمرتها اذ هى الرضا وترك التدبير تسليما للحكم العليم الخبير (قوله وقيل فى معنى قوله تعالى الخ) أقول كل قد تكلم بحسب شربه من القناعة وما نصه منها وما

(القناعة وقال محمد بن على الترمذى القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق ويقال القناعة الاكتفاء بالموجود وزوال الطمع فيما ليس بحاصل) كل ذلك فسلم بما مر (وقال وهب ان العز والغنى خرجا يجولان) أى يطوفان (يطلبان رفيقا فلقيا القناعة فاستقرا) عندها فن تمكن فيها حصل له العز بالله والاستغناء به عن غيره ٤٣ (وقيل من كانت) له (قناعته سمينة) أى غزيرة (طابت له كل مرقة) فيه اشارة الى ان من كملت قناعته اكتفى بأيسر شئ من الدنيا (وقيل مر ابو حازم بقصاب) اى بجزار (معه لحم سمين فقال) له (خذ يا اباحازم) من هذا اللحم (فانه سمين فقال ليس معى درهم) آخذه به (فقال انا أنظرك فقال نفسى احسن نظرة) بكسر الظاء أى تأخيرا وصبرا (لى منك) فيه اشارة الى ان من كمل زهده فى شئ قلت رغبته فيه وقوى صبره عنه ولم يذل نفسه فى تحصيله (وقيل لبعضهم من أقنع الناس فقيل أكثرهم للناس معونة) على مقاصدهم (واقلهم عليهم مؤنة) لان من قنع بما يسره الله عليه تفرغ من هموم الدنيا وأعان الناس ومن رفع مؤنته عنهم ولم يزاحمهم فيما بأيديهم اكتفى بما يسره الله له ففى ذلك دلالة على كمال قناعته باليسير من الدنيا وهذا استدلال بثمرة القناعة عليها (وفى الزبور القانع غنى وان كان جائعا) لان غناه ليس بما يملكه أو يأكله بل بما يختاره الله له من جوع وشبع وغيرهما (وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع العز فى الطاعة والذل فى المعصية) لان المطيع عزيز فى الدنيا والآخرة والعاصى ذليل فيهما (والهيبة فى قيام الليل) لان من قامه وتذلل بمناجاته مولاه فقد أجل الله ومن أجل الله وترك راحته ولذته للتنعم بمناجاته أجله الله عنده وعند الناس وجعل له عندهم هيبة (والحكمة فى البطن الخالى)

ذائقه من معناها (قوله القناعة الاكتفاء الخ) قال الشيخ محيى الدين بن عربى قدس سره اذا منعك فذلك عطاؤه واذا اعطاك فهو منعه فاختر الترك على الاخذ (أقول) ومحل ذلك اذا كان العطاء صارفا للعبد عن باب سيده فلعله اعتبر الشأن والغالب (قوله وقال وهب الخ) مراده الحث على القناعة لاجل نيل العز والغنى بأبلغ عبارة وأوجز اشارة (قوله طابت له كل مرقة) اقول ذلك كناية عن الرضا بالقليل المتيسر سواء كان مرقا أو غيره (قوله فقال نفسى الخ) أقول ولذا قال بعض الحكماء الصبر على العدم أيسر من تقلد المنن مع ما فيه من صرف الوجه الى المخلوق والانس به وربما أدى للاعتماد عليه فكان سبب الطرد والابعاد عن باب الكريم المنان مع ما فى ذلك من شغل الوقت بهم المكافأة طلبا للسلامة والا كان ذليلا فى الخلق وقد قيل عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة وقال أبو الحسن اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان خيرهم يصيبك فى قلبك وشرهم يصيبك فى بدنك ولأن تصاب فى بدنك خير من ان تصاب فى قلبك ولعدو ترجع به الى الله خير من صديق يصدك عن الله تدبر تفهم والله سبحانه أعلم * (تنبيه) * منع الله تعالى عين عطائه وعطاء الخلق عين المنع فحيث كان كذلك وجب الاعراض عنهم بتحقق الاقبال عليه تعالى وذلك يوجب وجود اكرامه واحسانه بلا مهلة ولا تراخ ولذا قال صاحب الحكم العطائية جل ربنا ان يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة قلت فجزاء الحق جميعه معجل اذ الآتى قطعا كالموجود فى الحال وذلك لان الكريم اذا أعطى كمل واذا خول نول واذا تفضل اوصل والعبد فقير فى الحال والمآل فيقدم له بالحكمة ما يحتاج اليه ويؤخر له بها ما تفضل به عليه فافهم والله تعالى أعلم (قوله نفسى احسن نظرة) وجه ذلك البعد عن متابعة الشهوات وذل المنة والدين وحمل النفس على علو الهمة (قوله أكثرهم للناس معونة) فيه تنبيه على أن من قصر نظره على الحق ورضى بما أولاه بحكمته ثبت غناؤه وانتفع به أحباؤه وقوله واقلهم عليهم مؤنة أقول فى وصية على كرم الله وجهه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمه عليك مغرما فلله در القائل (شعرا)

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسى * ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبى

جبر الله صدع قلوبنا بالاقبال عليه ومن علينا فى كل حال بالدوام بين يديه (قوله وفى الزبور الخ) أى فهى من الشرائع القديمة وقد اكدتها الشريعة الخاتمة (قوله القانع غنى) أى كالغنى فى استغنائه عن غيره فكما ان الغنى لا ينظر الى غيره استغناء بماله فكذلك القانع اكتفاء بقناعته قال تعالى يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (قوله وقيل وضع الله خمسة أشياء الخ) أى جعلها متلازمة فى الوجود ولا يصح أن يطلب على وجود الشمس

لان خلوه أبلغ فى بلوغها وادامة الحق فيها بخلاف غير الخالى لان البطنة تذهب الفطنة (والغنى فى القناعة) لما مرّ انها كنز لا يفنى (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت نصر بن محمد يقول سمعت سليمان بن أبى سليمان يقول سمعت أبا القاسم ابن أبى نزار يقول سمعت ابراهيم المارستانى يقول انتقم من حرصك) على الدنيا (بالقناعة كما تنتقم من عدوك بالقصاص) لان من اشتد حرصه على الدنيا كان حرصه عليها عدوا له يوقعه فى الشر فاذا أراد أن ينتقم منه قنع منها باليسير زهدا فيها واعراضا عن جبالها وحبها (وقال ذو النون المصرى من قنع) وتفرغ لعبادة مولاه (استراح من) مزاحمة (أهل زمانه) فى الاسواق وغيرها (واستطال على أقرانه) أى عز فى نفسه وارتفعت مرتبته عليهم فى الدنيا والآخرة واستغنى عنهم بفضل الله عليه (و) لهذا (قيل من قنع استراح من الشغل) بغير الطاعة (واستطال على الكل) بالعز والمروأة (وقال الكتانى من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروأة) لما مرّ (وقيل من تبعت عيناه ما فى أيدى الناس طال حزنه وهمه) على امتيازهم عنه لان المقادير لا تجرى على وفق غرضه (وأنشدوا) فى ذلك

(وأحسن بالفتى من يوم عار
ينال به الغنى كرم وجوع)

أحسن مبتدأ خبره كرم وجوع والمعنى يوم يكون العبد فيه جائعا كريم النفس عن الحرص والسمرة أحسن من يوم يكون فيه ذا عار وذل لينال بذلك الغنى (وقيل رأى رجل حكيما يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال) له (لو خدمت السلطان لم تحتج الى اكل هذا) البقل المرمى لان فيه نقصا ومذلة فى الدنيا عند اربابها (فقال) له (الحكيم وأنت لو قنعت بهذا) الذى قنعت به للانحطاط أنابه (لم تحتج الى خدمة السلطان) التى فيها مذلة فى الدنيا والآخرة عند العقلاء (وقيل العقاب) لما فيه من القوة على الطيران والعلو فى الجو (عزيز فى مطاره) أى طيرانه او محل طيرانه (لا يسمو) اى يعلو (اليه طرف صياد) أى بصره (ولا طمعه) فى أن يصيده (فاذا طمع) العقاب (فى جيفة علقت على حبالة) أى شبكة يصاد بها (نزل من مطاره) اليها (فتعلق فى حباله) أى شباكه فكذلك القنوع لا يزال عزيز النفس سالما من المذلة حتى يلوح له شئ من الدنيا فيطمع فى نيلها فيزول عزه ويحصل به ذله

دليل كما هو غنى عن التوضيح (قوله لان خلوه أبلغ فى بلوغها) أى بلوغها الدرجات بالخفة لاداء العبادات (قوله والغنى فى القناعة) هو محل شاهد الباب (قوله كما تنتقم من عدوك الخ) أى فينبغى للانسان أن يقوم على نفسه حتى يقطع عنها علائق الحرص قطعا لا يبقى لها معه أثر (قوله لان من اشتد حرصه الخ) توضيح للتشبيه فى كلام المصنف وذلك ظاهر (قوله من قنع استراح الخ) ترغيب فى القناعة ببيان ثمرتها ووجهه شهود أن لا فعل لغيره سبحانه ولذا قال الشيخ الاكبر قدس سره من شهد الناس لا فعل لهم فقد فاز ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز ومن شهدهم عين العدم فقد وصل فافهم (قوله واستطال على أقرانه) أى لانه قد تفرغ لعبادة ربه وذلك أعلى ما يحصله العبد ولذا قال صاحب الحكم العطائية كفى من جزائه اياك على الطاعة أنه رضيك أهلا لها أى وذلك لانك أنت من حيث أنت لا يليق بك الا النقص اذ هو وصفك اللازم ونعتك الملازم فما جرى عليك من وجوه الكمال فمنة ورحمة واجهتك منه قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا وقال بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين وتوضيحه ان الطاعة كمال فالمنة عليك فيها بتوفيقك لها وهى أمان لك فى الدنيا والآخرة فالمنة بتأمينك فيهما وعز وغنى لك فى الدارين بسبب ما اودع الله فيها من الخواص وما وعد عليها من الثواب (قوله أى عز فى نفسه) أى ولذا قيل عز من قنع وذل من طمع (قوله وقال الكتانى الخ) هو قريب مما قبله (قوله من تبعت عيناه الخ) ذلك ترغيب فى القناعة بتوضيح غوائل ضدها ويدل لذلك قوله جل شأنه ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم الآية (قوله وأحسن بالفتى الخ) أحسن مبتدأ وقوله كرم وجوع خبره وقوله ينال به الغنى صفة ليوم عار وأنت خبير بان افعل التفضيل بحسب الظاهر فقط والا فلا حسن فى الغنى مع العار (قوله فقال له الحكيم الخ) أى فقد أشار له بان مذلة الدنيا فقط اخف من مذلة الدنيا والآخرة وهو كذلك بشاهد النقل والعقل (قوله وقيل العقاب الخ) هذا المثال الغرض منه تحذير ذى الهمة من السقوط عنها فان الحرمان بعد ذوق لذة الوصول من أقبح ما يلاقى الانسان فى الدنيا فالميل الى الشئ الدنى بعد الترفع الى منازل العز موجب

ولهذا لما دخل الحسن البصري مكة ورأى رجلاً من اولاد فاطمة قد أسند ظهره الى الكعبة وهو يعظ الناس فسأله ما ملاك الدين فقال الورع فقال وما فساده فقال الطمع فقال له مثلك يصلح أن يعظ الناس (وقيل لما نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال له الخضر) وهو عند الاكثرين نبي وقيل ولي (هذا فراق بيني وبينك) المشهور انه انما قال ذلك بحكم الشرط وهو قوله ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني مع ان ما قاله هنا قد يقال ليس فيه طمع لان أخذ الاجرة على العمل لا طمع فيه وقد تقدم في الآية أنهما استطعما أهلها لا موسى وحده (وقيل لما قال موسى عليه السلام ذلك) أي لو شئت لاتخذت عليه أجراً (وقف) خرقاً للعادة (بين يدي موسى والخضر عليهما السلام ظبي وكانا جائعين الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوي) أي ففيه تعب للطمع (والجانب الذي 45 يلي الخضر مشوي) فلا تعب فيه لعدم الطمع (وقيل في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم هو) اى النعيم (القناعة في الدنيا) وفي قوله (وان الفجار لفي جحيم هو) أي الجحيم (الحرص في) وفي نسخة على (الدنيا) هذا تفسير باللازم لان من قنع باليسير استراح سره وقل تعبه فكان منعما ومن اشتد حرصه كثر تعبه وقلت راحته وكان معذبا (وقيل في قوله فك رقبة أي فكها من ذل الطمع وقيل في قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت يعني البخل والطمع ويطهركم تطهيرا يعني بالسخاء والايثار وقيل في قوله تعالى) حكاية عن سليمان عليه السلام (هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي أي مقاما في القناعة أنفرد به من بين اشكالي واكون راضيا فيه بقضائك) وقدرك (وقيل في قوله تعالى) حكاية عن سليمان عليه السلام (لاعذبنه عذابا شديدا يعني لاسلبنه القناعة ولابتلينه بالطمع يعني أسأل الله سبحانه أن يفعل به ذلك) كل ذلك يدل بهذه التفاسير على ان القناعة باليسير من الدنيا وصف محمود وان الطمع فيها او البخل بها وصف مذموم (وقيل لابي يزيد بم وصلت الى ما وصلت) اليه من مقامك العظيم (فقال جمعت أسباب) الوصول الى (الدنيا فربطتها بحبل القناعة) باليسير منها (ووضعتها) اى الاسباب (في منجنيق الصدق) في البعد عنها (ورميت بها في بحر اليأس) من رجوعي اليها (فاسترحت) من تعبها ووصلت الى ربي اى دام شغلي به دون غيره (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي رحمه الله يقول سمعت محمد بن فرحان بسامرة) بلدة ببغداد وأصله سر من راى (يقول سمعت خالي عبد الوهاب

للانحطاط في الدركات وربما كان سببا لدوام الابعاد والعياذ بالله تعالى فالدوام على علو الهمة يوجب دوام العز وانحطاطها يوجب حلول الذل فاياك وسقوط الهمة (قوله ولهذا لما دخل الحسن الخ) قد تقدم ذكر ذلك واعاده لمناسبة المقام (قوله وقيل لما نطق موسى بذكر الطمع) اى بذكر ما هو على صورته كما يرشد اليه قوله فقال لو شئت لاتخذت عليه اجرا الا ان الاجر ليس من الطمع في شئ وحينئذ فلا حاجة لما اطال به الشارح (قوله بذكر الطمع) اقول لعل العنوان به للاشارة الى ان ما ذكره ليس من ملائمات مقامه لان شأن مثله التقى والاعراض عن سفساف الاشياء (قوله المشهور الخ) الغرض التورك على المصنف في نسبة الطمع لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام وقد علمت ما فيه (قوله ففيه تعب للطمع) لا تغفل عن كون المراد منه ما هو على صورته (قوله وقيل في قوله تعالى الخ) هو وما بعده من قبيل تكثير الادلة على طلب القناعة (قوله هو أي النعيم القناعة وقوله هو اى الجحيم الحرص) اقول انما حملا على ما ذكر تفخيما للقناعة وتقبيحا للحرص والا فالذي ذكر في معناها انها مسوقة لبيان نتيجة الحفظ والكتاب المذكورين قبلها من الثواب والعقاب يوم القيامة ومثل ذلك يقال في الآيات بعدها فتدبر معانيها عند من يعانيها (قوله استراح سره الخ) اى استراح في الدنيا والآخرة ومثل ذلك يقال في مقابله خلافا لما يظهر من كلام الشارح وان كان فيه مجاراة لكلام المؤلف (قوله اى فكها من ذل الطمع) اى من الذل الناشئ عن الطمع فهو من اضافة المسبب الى السبب (قوله كل ذلك يدل الخ) اى والشئ اذا تكرر مدحه دل على طلبه طلبا حثيثا فعلى الانسان القيام على نفسه بالتخلق بالقناعة ليفوز بالعز والشرف (قوله فقال جمعت أسباب الخ) المراد انه اتصف بالقناعة على وجه لا يمكن انفكاكه عنه فكان ذلك من أسباب وصوله الى ربه حيث قطع عن نفسه أسباب الشهوات التي هي من أقوى

يقول كنت جالسا عند الجنيد ايام الموسم وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين فجاء انسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال) مقصودى (تفرقها على هؤلاء الفقراء فقال الك غيرها فقال نعم لى دنانير كثيرة فقال اتريد غير ما عندك فقال نعم فقال له الجنيد خذها فانك احوج اليها منا ولم يقبلها) منه لانه مع جماعته الذين سلموا انقيادهم اليه هم اغنياء بالله وبذكره ومناجاته فلا حاجة لهم بالمال وفى ذلك دلالة على ان الجنيد أراد أن ينقل هذا الانسان الى أعلى من درجته وأن يعرفه ان لله عبادا اغنياء به وبمناجاته لانه لما حسنت نيته وهان عليه بذل خمسمائة دينار لواحد معه جماعة من اهل الخير دل على قوة ميله الى اهل الخير وبعده عن الدنيا فى الجملة والله اعلم

(باب التوكل)

هو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الاسباب مع تهيئتها ولهذا قال صلى الله عليه وسلم اعقل وتوكل ويقال هو كلة الامر كله الى مالكه والتعويل على وكالته يعنى عملا بقوله تعالى فاتخذه وكيلا ويقال هو ترك السعى فيما لا تسعه قدرة البشر ويقال هو ترك الكسب واخذ الله من المال ورد بأن هذا تأكل لا توكل وسيأتى شئ مما يقارب ذلك والتوكل ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل ومن

الحب بين العبد وربه (قوله يقول كنت جالسا الخ) فى ذلك تنبيه على ان سهولة الانفاق فى وجوه الخيرات لا تكفى فى شرف النفس الا اذا صاحب ذلك عدم التطلع الى زائد عما منح بوصف قناعة القلب

(باب التوكل)

اعلم ان حقيقة التوكل هى كلتك أمرك الى مولاك والتجاؤك الى علمه ومراقبته ليدبر أمرك ويكفيك همك وهو بهذا المعنى من أخلاق العوام إذ هو فى طريق الخواص عمى عن الكفاية ورجوع الى الاسباب لأنك بركضك لها ووقوفك مع التوكل صار بدلها فكأنك معلق بما رفضته من حيث اعتقادك الانفصال عن تلك الاسباب فحقيقة التوكل عند القوم كلة الامر فى تخليص القلب من علة التوكل بشاهد علمه ان الله سبحانه لم يترك شيأ هملا بل فرغ من الاشياء وقدرها وإن اختل منها شئ فى المعقول أو تشوش فى المحسوس أو اضطرب فى المعهود فهو المريد وشأنه سوق المقادير الى المواقيت فالتوكل اراحة النفس من كل النظر ومن مطالعة السبب سكونا الى ما سبق فى القسمة مع استواء العالمين فى النظر ومع علم أن الطلب لا يجمع والتوكل لا يمنع حتى طلب بتوكله عوضا كان توكله معلولا وقصده مدخولا فاذا تخلص من رق الاسباب ولم يلاحظ فى توكله سوى خالص حق الله تعالى عليه كفاه الله كل مهم والتوكل لغة اظهار العجز والاعتماد على غيرك والاسم التكلان وهذا معناه شرعا أيضا وهو ينقسم الى واجب ومندوب والثانى متفاوت فى الرتب والمقامات فالواجب ما حبس على فعل الواجبات وحجز عن فعل المحرمات ولا تخفى الصور المحققة لذلك على من له المام والمندوب اعتماد القلب على حسن صنيع الرب فى سائر الحركات والسكنات وعدم الالتفات الى الاسباب اشتغالا عنها بموجدها فى كامل الاوقات (قوله هو الاعتماد الخ) أى ثقة بالوعد الصدق وقوله وقطع النظر عن الاسباب عطف لازم وذلك يتحقق بشهود أنه لا موثر فى شئ سواه تعالى (قوله مع تهيئتها) أى مع العمل بها قياما بطلبها وذلك لا ينافى التوكل الا مع الاعتماد عليها او الركون اليها والا فكل منهما مطلوب شرعا (قوله ولهذا قال صلى الله عليه وسلم) أى فى قصة الاعرابى الذى قال له فى شأن ناقته حين سأله أدعها واتوكل فقال له ارشادا له اعقلها وتوكل اى فالتوكل لا ينافيه الاخذ بالسبب لان التوكل من أعمال القلوب والكسب من أعمال الجوارح فالمدار على ان العبد لا يعتمد على غيره تعالى فى شئ من الاشياء (قوله ويقال هو كلة الامر الخ) اى تفويضه الى مالكه وموجده ومدبره بسابق حكمته العلية (قوله والتعويل) اى الاعتماد على وكالته أى تصرفه فى خلقه من غير التفات الى غير ذلك وذلك كما ترى لا ينافى الاخذ بالاسباب (قوله ويقال هو ترك السعى الخ) أى ترك التدبير فيما غاب عنا أمره مما استأثر الله به وقوفا مع الادب فى حق الرب تبارك وتعالى (قوله بأن هذا تأكل الخ) أى لان فيه ابطال حكمة الاسباب وذلك عين الابتداع (قوله قال الله عز وجل ومن

يتوكل على الله فهو حسبه) أى من يفوض اليه أمره فهو كافيه فى جميع أموره ان الله بالغ أمره أى يبلغ ما يريده لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ بالتنوين وعدمه وأمره بالنصب والجر وقوله تعالى قد جعل الله لكل شئ قدرا أى تقديرا وتوقيتا أو مقدارا وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الامر اليه لان العبد اذا علم أن كل شئ من الرزق وغيره لا يكون الا بتقديره تعالى لا يبقى له الا التسليم للقدر والتوكل عليه تعالى ومن ذلك يؤخذ معنى الآيتين المذكورتين بعدها فتدبر (قوله من لوازم الايمان) أى من لوازم كمال الايمان كما لا يخفى نعم لو اعتقد الشخص التأثير لغير الله تعالى انتفى عنه أصل الايمان كما أشار له الشارح والحاصل ان اعتماد الاسباب مع اعتقاد أن التأثير فى كل شئ له تعالى لا يضر فى أصل الايمان وان ضر فى كماله (قوله ومن اعتمد على غير الله الخ) أقول من ذلك شهود الحسن لنفسه فالكمال فى الفناء عن النفس اعتمادا على ما للرب تعالى ولذا قال بعضهم فى دعائه اللهم امح ما فى البسك باثبات ما منك الى حتى أكون فى كل شئ بك لا بنفسى واختر لى فانى لا أملك خيرة لنفسى (قوله ان رسول الله الخ) أفاد هذا الخبر الشريف طلب التوكل ببيان ثمرته من دخول الجنة بغير حساب بل ثمرة التوكل كفاية الله عبده كل مهم دينى ودنيوى ولهذا حكى ان سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انتهى ذات يوم بأغنامه الى واد كثير الذئاب وكان قد بلغ به التعب فبقى متحيرا ان اشتغل بحفظ الاغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه وشدة التعب وان طلب الراحة والسكون ربما تعدى الذئب على غنمه فرمق بطرفه الى السماء وقال احاط علمك ونفذت ارادتك وسبق تقديرك ثم وضع رأسه فنام فلما استيقظ وجد ذئبا واضعا عصاه على عاتقه وهو يرعى الاغنام فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله اليه ياموسى كن كما أريد أكن لك كما تريد * وحكى أن الجراد وقع على زرع رابعة العدوية فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد فقالت بعد أن رمقت بطرفها الى السماء وقالت الهى رزقى قد تكفلت به فان شئت فأطعم رزقى أعداءك وان شئت فأطعمه أحبابك وأولياءك فطار عنه الجراد (قوله لا يكتوون) أى لا يفعلون ذلك معتقدين عليه بل يرجعون فيه وفى غيره الى خالق الاسباب ورب الارباب وبذلك تعلم ان فعل ذلك اذا دعا له داع لا يضر ولا يخرج عن التوكل ويشهد له خبر ابن عباس رضى الله عنهما حيث قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياغلام الا أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك الا بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف اه فقوله لا يكتوون ليس المراد منه النهى عن التداوى بالكى أو بغيره بل عن الاعتماد على شئ سواه تعالى كما يدل له خبر لكل داء دواء فاذا أصيب دواء الداء برأ باذن الله (قوله ولا يتطيرون) أى لا يعولون عليها لكراهتها

يتوكل على الله فهو حسبه) اى كافيه (وقال وعلى الله فليتوكل المؤمنون وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) وقضية هذا ان التوكل من لوازم الايمان فينتفى بانتفائه اذ الايمان هو التوحيد ومن اعتمد على غير الله لم يوحده بالحقيقة وان وحده باللسان (اخبرنا الامام ابو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله قال اخبرنا عبد الله بن جعفر بن احمد الاصبهانى قال حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال حدثنا ابو داود الطيالسى قال حدثنا حماد ابن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت الامم بالموسم) اى موسم الحاج وهو مجمعهم (فرأيت امتى قد ملؤا السهل والجبل فأعجبنى كثرتهم وهيئتهم فقيل لى أرضيت) بذلك (قلت نعم قال ومع هؤلاء سبعون الفا) أيضا (يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون) أى لغير حاجة (ولا يتطيرون) من شئ أى لا يعتقدون ما كانت تعتقده الجاهلية من التطير بالطير وغيره (ولا يسترقون)

اى برق الجاهلية (وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة) بتخفيف الكاف وتشديدها (ابن محصن الاسدى فقال يارسول الله ادع الله
أن يجعلنى منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال ادع الله أن يجعلنى منهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة) أى [illegible] بسبقه (وسمعت عبد الله بن يوسف الاصبهانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول
سمعت أبا بكر الوجيهى يقول قال
أبو على الروذبارى قلت لعمرو بن
سنان احك لى عن سهل بن عبد الله
التسترى (حكاية فقال انه قال
علامة المتوكل ثلاث لا يسأل) عن
حاجته أحدا من خلق الله الا عند
الضرورة لان السؤال ذل (ولا
يرد) شيأ أعطيه بلا سؤال لخبر
ما أتاك من غير مسئلة فخذه فانما
هو رزق رزقكه الله (ولا يحبس)
ما حصل بيده خوفا من تغير
المقسوم لمنافاته التوكل (وسمعت
الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه
الله يقول سمعت منصور بن عبد
الله يقول سمعت أبا عبد الله
الشيرازى يقول سمعت أبا موسى
الديلى يقول قيل لابى يزيد ما التوكل
فقال لى ما تقول أنت) فيه (فقلت
ان أصحابنا يقولون لو ان السباع
والافاعى) أى الحيات (عن
يمينك ويسارك) أى وغيرهما
(ما تحرك لذلك سرك) لقوة يقينك
بالله واعتمادك عليه (فقال له ابو
يزيد نعم هذا قريب ولكن لو ان
أهل الجنة فى الجنة يتنعمون
وأهل النار فى النار يعذبون ثم وقع
لك تمييز عليهما) بان ميزت احدهما
على الآخر يعنى اخترت لنفسك
شيأ (خرجت من جملة التوكل) لان الاعتماد على الله تعالى يأبى أن تنسب لنفسك فعلا لانك لا تعلم مصلحتك فى أى [illegible] مراده انه
جهة لا فى النعيم ولا فى العذاب فلا يليق بك تمييز ولا اختيار وذكر نعيم الجنة وعذاب الآخرة لانهما أشد من غيرهما والا فليسا
بمرادين بل المراد مطلق النعيم والعذاب وهذا كما فعل بابراهيم الخليل عليه السلام وابى مسلم الخولانى فقد كان دخولهما فى النار
ريحة وشرفا لهما يذكران به فى الدارين وذلك بعدم اختيارهما لانفسهما شيأ

شرعا بل يصونونه على ما عزموا عليه كما هو المطلوب شرعا * (فائدة) * التوكل هو الاعتماد على
الخالق دون رؤية الخلائق فلا يمنع الاخذ بالاسباب شهود الملك الوهاب فافهم ولا
تعول على من لم يعلم (قوله أى برق الجاهلية) احترز بذلك عن رقى الاسلام فهى جائزة
شرعا كما يدل له حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه حيث رقى بالفاتحة على قطيع من
الغنم الحديث (قوله وعلى ربهم يتوكلون) أى ولو أخذوا بالاسباب وبذلك تعلم أن
التداوى لا ينافى التوكل بل هو مأذون فيه كما يشهد له خبر شريك قال قالت الاعراب
يارسول الله ألا نتداوى قال نعم يا عباد الله تداووا فان الله لم يضع داء الا وضع له شفاء أو قال
دواء الا داء واحدا قالوا يارسول الله وما هو قال الهرم وقال فيه حديث حسن صحيح
(قوله سبقك بها عكاشة) أى فهو بسبب سبقه قد حاز الفضيلة فالسبق الى الخيرات محمود
ومندوب اليه (قوله علامة المتوكل الخ) اعلم ان الكسب لا ينافى التوكل وما ذكر هنا فهو
باعتبار حال بعض المتجردين الذين لم يتوجه عليهم الامر بالمكسب لقلة عائلتهم وقوة صبرهم
وكمال اشتغالهم بربهم واعراضهم عن الفضول فهم لا يرجعون الى الكسب الا عند
الضرورة والا فكم من تارك للكسب لم يشم رائحة التوكل وكم من مكتسب عنده من
التوكل ما لا يعلمه الا الله تعالى ولدى الامتحان بعروض ما لا يلائم النفس يتحقق الانسان
بما هو عليه من التخلق ان كان التوكل أو خلافه تدبر (قوله ثلاث الخ) أقول واسباب
تيسيرها شهود العلم بالله وبصفاته وانفراده بالتصرف فى الملك وأنه لا يكون الامر بيده ولا
ضار ولا نافع غيره وعلم أن المسبب يقع عند السبب لا به بل بقدرة رب الارباب الفاعل
المختار والتفكر فى ثمرات التوكل وما وعد الله به المتوكلين فى أخراهم وما منحهم به فى دنياهم
وغير ذلك من فوائد التوكل فان قلت هل من أسباب التوكل مجانبة الاسباب من جهة انه
اذا لم يبق للعبد سبب ولا معلوم تسكن نفسه اليه يرجع الى الله ويعتمد عليه قلت ذلك جهل
محض سببه سوء الاعتقاد اذ الاخذ بالاسباب مع عدم الاعتماد عليها تابع للايمان وقوة
اليقين بانفراد الحق تعالى بالافعال والاحكام (قوله فقلت ان أصحابنا الخ) أقول يدل
ذلك على غلبة عناية الله تعالى بهم حتى شغلهم عن الخوف من غيره واعلم ان احوال
المتوكلين منها سكون القلب عند البليات وعدم الوثوق بما هم عليه من الاسباب العاديات
والتثبت عند الاسباب المحصلة للمطلوبات ومراعاة أحسن وجوهها والاعراض عن
خسيسها فحينئذ المتوكل ساكن الفؤاد شديد الاعتقاد متحرك بالامر فيما بينه وبين ربه
والعباد (قوله ولكن لو ان اهل الجنة الخ) فيه تنبيه على وصوله الى مقام الفناء عن

(و) ابهدا (قال سهل بن عبد الله) التستري (أوّل مقام في التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير) لان من وثق بكريم واعتمد عليه سكنت نفسه له وكان معه كالميت لاحياة به ولا حركة واستراح قلبه من هم التقدير والاختيار الا ما أمر به ربه ونهاه ٤٩ . عنه (وقال حمدون) القصار (التوكل هو الاعتصام بالله تعالى) اى الاعتماد عليه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا بكر محمد بن احمد البلخى يقول سمعت محمد بن حامد يقول سمعت احمد بن خضرويه يقول قال رجل لحاتم الاصم) عن شك في مجرى أسباب الرزق او غفلة عنه (من اين تاكل فقال ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر) وهى السبب (لا تنافى توكل القلب بعد ما تحقق العبد أن التقدير) للاشياء (من قبل الله تعالى) وسيأتى بيانه (فان تعسر شئ) على عبده (فبتقديره) تعالى يحصل بسهولة (وان اتفق شئ) ويسر (فبتيسيره) عز وجل (اخبرنا على بن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال حدثنا اسمعيل بن مسعود الجدرى قال حدثنا خالد بن يحيى قال حدثنى عمى المغيرة بن أبى قرة عن أنس بن مالك قال جاء رجل على ناقة له فقال يارسول الله أدعها) أى اتركها (وأتوكل فقال) عليه الصلاة والسلام (اعقلها وتوكل) فيه دلالة على ان التسبب لكونه فعل الجارحة لا ينافى التوكل لكونه فعل القلب بل قد يجب التسبب (وقال ابراهيم الخواص من صح توكله) على الله (فى نفسه صح توكله) عليه (فى غيره) لان

مراداته فى مراد الحق سبحانه وتعالى (قوله أوّل مقام فى التوكل الخ) أقول ومما يسهل للانسان مثل هذا التخلق علمه بعجزه عن تبديل رزقه كعجزه عن تغيير خلقه وله الاشارة بقوله سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فانه قد أضاف هذه الافعال الى نفسه خاصة فلا يقدر أحد غيره على شئ منها وتفكره فى قول الحسن العز والغنى يجولان فى طلب التوكل فاذا ظفرا به أوطنا فمن قصر نظره عليه تعالى أدرك العز واستغنى عن سائر الخلق (قوله أن يكون العبد الخ) ان قلت هذا يعارض طلب التدبير فى القربات وأنواع الطاعات قلت لا معارضة لان المرجع الى تدبير الله وامره لا الى اختيار العبد وغرضه واعلم ان اعلى التوكل طلب الخلاص من الوقوف مع التوكل (قوله كالميت بين يدى الغاسل الخ) أى ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل الروح والراحة فى الرضا واليقين وقيل لله على الناس ثلاثة اتباع نبيه والتوكل عليه والصبر على ذلك الى الموت فمن لم يتبع فمبتدع ومن لم يتوكل فمدبر ومن لم يصبر فمنازع (قوله من أين تأكل) أى كيف سلوك سبيله مع ربط الاسباب والمسببات جهلا منه بان الله هو الخالق لكل شئ والقادر على الربط والفك (قوله فقال ولله خزائن السموات والارض الخ) فيه اشارة الى عدم ثقة السائل ونفاقه (قوله والحركة بالظاهر) أى بقصد الامتثال لا تنافى التوكل أى بشهود أن الله هو الفاعل المختار (قوله فان تعسر شئ فبتقديره) أى بقضائه وقدره ومن ذلك ما قيل

مالا يكون فلا يكون بحيلة * أبدا وما هو كائن سيكون
يسعى الذكى فلا ينال بسعيه * حظا ويحظى عاجز ومهين

(قوله جاء رجل) أى اعرابى كما ثبتت بذلك الرواية (قوله اعقلها وتوكل) أى فالتدبير الذى هو تقدير شئون تكون فى المستقبل مما يخاف أو يرجى اذا كان مصحوبا بالتفويض لم يكن من التدبير المنهى عنه وهو كذلك عند أهل الحق وان أطلق عليه اسم التدبير فهو مجاز بخلافه بحكم النفس والعقل والهوى فافهم (قوله فيه دلالة على ان التسبب الخ) أقول فى ذلك اشارة الى أن الذى ينبغى للعبد الموفق أن يقف مع السبب بظاهر الجوارح امتثالا ويخلص باطنه الى التفويض اعتمادا على أن الله تعالى هو الفاعل المختار لما يريد فيكون حينئذ مسلما ومؤمنا والله الموفق (قوله من صح توكله على الله فى نفسه) أى فى ذاته بان اعتمد على الله تعالى وفوض أمر صلاحها اليه بسبب علمه بالعجز والقصور عن جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها صح توكله عليه فى غيرها من سائر الخلق اذ هم مثله فى العجز والقصور فاذا ثبت قلبه على ذلك لم يثق بغيره تعالى فيلزم أن يفوض امره اليه (قوله لان

العبد اذا عرف عجزه وان افعاله كلها مخلوقة لله اطرد له ذلك فى سائر الخلق لانهم مثله فى العجز والفاقة (وقال بشر الحافى يقول أحدهم توكلت على الله تعالى (و) هو (يكذب على الله تعالى) اذ لو توكل على الله لرضى بما يفعل الله به) لان الرضا بذلك من ثمرات التوكل فمن رأى ان جميع ما هو فيه نعمة من الله عليه رضى بجميع ما يجرى به عليه فيكون صادقا فى توكله (وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلا فقال اذا رضى بالله تعالى وكيلا) عنه فانه يكفيه قال تعالى وكفى بربك وكيلا فمن علم سعة رحمته حتى عمت كل مرحوم ورضى بجريان افعاله عليه فقد اعتمد بقلبه عليه (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن على بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد بن الصامت ٥٠ يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول بينا انا أسير فى البادية واذا انا بهاتف يهتف فالتفت اليه فاذا اعرابى يسير فقال لى يا ابراهيم التوكل) يكون (عندنا) بالوادى (أقم عندنا) بها (حتى يصح توكلك الم تعلم ان رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك) على الاقامة فيه (اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل) على الله ليس المراد ان الاسباب تنافى التوكل على الله بل المراد انه ينبغى للعبد ان يمتحن نفسه فى دعوى التوكل عليه والاعراض عن الاسباب فى الاماكن التى يغلب فيها الانقطاع عن الاسباب بخلاف غيرها كالبلدان لان النفس ساكنة فيه الى المعتاد والمعارف فان راى فيها نقصا كملها او صحة شكر (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن أحمد الفارسى يقول سمعت ابن عطاء و) قد (سئل عن حقيقة التوكل) يعنى عن غاية أحوال المتوكلين على القلب (فقال) حقيقته (أن لا يظهر فيك انزعاج) وقلق وميل (الى الاسباب مع شدة فاقتك) أى حاجتك (اليها ولا تزول) أنت (عن حقيقة السكون) والميل (الى الحق) تعالى (مع وقوفك عليها) أى على الاسباب واشتغالك بها فاعتمادك يكون على ربك وان تعاطيتها (سمعت أبا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت ابا نصر السراج يقول شرط التوكل ما قاله ابو تراب النخشبى وهو طرح البدن فى) احكام (العبودية وتعلق القلب بالربوبية والطمأنينة الى الكفاية) من الله لانه تعالى وعدها بقوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه اى كافيه كما مر (فان أعطى) شيأ منها (شكر وان منع صبر وكما قال ذو النون) المصرى (التوكل ترك تدبير النفس والانخلاع) اى التبرى (من الحول والقوة

العبد الخ) محصله يعلم مما وضحناه قبله (قوله وقال بشر الحافى الخ) مراده الحث على التخلق الباطنى بالكمالات كالظاهرى بأن يكون باطن الانسان كظاهره فى الاخلاق الشريفة وذلك أقل درجات الكمال وأعلاها زيادة حال الباطن بالنسبة للظاهر (قوله فقال اذا رضى بالله تعالى وكيلا الخ) محصله الرضا بالمقادير الملائم منها وغير الملائم (قوله يقول بينا أنا اسير الخ) محصله الارشاد على طرق مراقبة حال النفس فى دعواها وصول مقام من مقامات الكمال بالتأمل فى أدلة صدقها بامتحان درجة قربها بل والحث على العزلة وقصد سبيل الغربة نعسى أن يستوحش من الخلق بواسطة الترقى الى الاستئناس بالحق (قوله لان النفس ساكنة فيه الى المعتاد والمعارف) لعله والمتعارف يعنى من وجود الاقوات وغيرها (قوله فقال أن لا يظهر فيك الخ) محصله الحث على علو الهمة بالتحلى بكمال التفويض ودوام سكون السر وعدم الالتفات الى ماسوى الحق سبحانه وتعالى من سبب أو مسبب ولو كان ذلك فى حالة الفاقات والضرورات فناء فى مرادات رب الكائنات وذلك هو مثل قول بعضهم انه سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون فانما الانزعاج الى الاسباب هو الاضطراب عند الاحتياج والسكون بلا اضطراب هو الوقوف مع الله تعالى وقت الاخذ بالاسباب (قوله وهو طرح البدن فى احكام العبودية) أى وذلك يتحقق بالتسليم والرضا باحكام الحكيم لامت النفس ام لم تلائمها وبما ذكرته له التخلق بحق عبوديته للبارئ تعالى (قوله وتعلق القلب بالربوبية) أى بأن يدوم على مراقبة الله تعالى فى كامل حركاته وسكناته (قوله والطمأنينة الى الكفاية الخ) اقول ذلك بالنسبة للمريد والا فالعارف المحقق قوته الذكر وحياته الفكر فلا التفات له الى غير ذلك (قوله فان أعطى شكر الخ) اقول وذلك من اخلاق المريدين والا فالكاملون نعتهم انهم اذا أعطوا آثروا وان منعوا شكروا لانهم يعدون البلاء من النعم والعطاء من النقم (قوله التوكل ترك تدبير النفس الخ) اقول ذلك جار على ما قدمناه من تعاطى الاسباب مع تعلق القلب بالله تعالى لا بها والاعتماد عليه لا عليها (قوله ترك تدبير الخ) أى على معنى السكون

واتما يقوى العبد على التوكل اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى) بجميع (ماهو فيه سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا الفرج الورثاني يقول سمعت احمد بن محمد القرمسيني يقول سمعت الكتاني يقول سمعت اباجعفر بن ابي الفرج يقول رأيت رجلا يعرف بجمل عائشة مع الشطار يضرب بالسياط فقلت له أي وقت يكون الم الضرب عليكم) ايها الشطار (اسهل فقال اذا كان من ضربنا لاجله يرانا) لان العبد اذا رأى انه لا يفعل به الا ماهو صلاح له قوى نشاطه لتحمل المشاق وصبره عليها بخلاف من لا يرى ذلك فان الم ماذكر في الحالة المذكورة اصعب وسمى هذا الشاطر بجمل عائشة ٥١ الكائن في الوقعة المعروفة لكثرة صبره على المشاق (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول قال الحسين بن منصور) الحلاج (لابراهيم الخواص ماذا صنعت في هذه الاسفار وقطع هذه المفاوز) بلا زاد والبعد عن الاوطان والاحباب (قال بقيت في التوكل اصحح نفسي عليه) وامتحنها به ولا التفت الى الاسباب لتعلق قلبي بربي الذي لا يفارقني فلا يتغير (فقال) له (الحسين افنيت عمرك في عمران باطنك) بالاخلاق الحميدة من زهد وتوكل ورضا ومحبة (فاين الفناء) أي فناؤك (في التوحيد) واستغراقك به واعراضك عنك نقله بذلك من حال رفيع الى حال أرفع منه كما هو شأن أهل الخير اذا اجتمعوا (سمعت ابا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت ابانصر السراج يقول التوكل ماقاله أبو بكر الدقاق وهو رد) هم (العيش الى يوم واحد واسقاط هم غد) هذا يرجع الى قصر الامل ففي قصر امله قلت حوائجه ورجعت الى حوائج وقته خاصة (قال وهو كما قال سهل بن عبد الله رحمه الله التوكل الاسترسال) في جميع احواله (مع الله تعالى على مايريد) بان يسلم لمولاه ويترك اختياره ويجرى معه راضيا بما يقدره عليه (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول سمعت ابابكر البرذعي يقول سمعت ابا يعقوب النهرجوري يقول التوكل على كمال الحقيقة ماوقع لابراهيم عليه السلام) وهو مكتوف مربوط في كفة المنجنيق بين السماء والارض يهوى الى نار لم يتمكنوا من ايصاله اليها الا بكفة المنجنيق من شدة حرها كما أشار الى ذلك بقوله (في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام) لما قال له اذ ذاك ألك حاجة (اما اليك فلا) فاعرض عنه وتعلق بالله

الى ذلك والا فالتدبير منه وبالمشيئة يذوق خبر التدبير نصف المعيشة فحينئذ المذموم من التدبير هو المجرد عن التفويض للحق تعالى واما المصحوب به فهو عين المتابعة (قوله وانما يقوى العبد على التوكل) أي على التحقق بوصفه اذا علم ان الحق سبحانه يعلم ويرى بجميع ماهو فيه أي وكون ذلك يحقق له حقيقة التوكل لانه حيث تحقق له احاطة علمه تعالى به يثبت قلبه ويفوض امره ليقين ان الحق لم يترك شيأ مهملا ولا يفعل شيأ سدى بل لحكمة علية واسرار الهية قد يغيب علمها ويدق فهمها (قوله فقال اذا كان الخ) محصله شهود ان ذلك لمصلحة التأديب لحكمة مصلحة النفس (قوله في الوقعة المعروفة) أي وهي خروج عائشة رضي الله عنها محمولة على الجمل قاصدة باجتهادها الخروج على سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه وقد اشتهرت هذه الوقعة بوقعة الجمل (قوله فقال له الحسين الخ) محصله الحث على اكمل الاحوال بالفناء عن شهود مقامات الكمال والغرض بذلك بذل النصح حتى لا يقف مع حسن الحال (قوله وهو رد هم العيش الخ) أي لان خلاف ذلك منافر لما طلب من الانسان وعكس له حيث قام بما ضمن له وكفى أمره وترك ما أمر به من وظائف وقته قال في التنوير وكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك حتى قال بعضهم ان الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا (قوله رد هم العيش الخ) المراد الحث على الاهتمام بالعبادة وترك الاشتغال بما لا يجدى من خبيث المادة كما يشير الى ذلك خبر اذا اصبحت معافى في جسدك آمنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا (قوله وهو رد هم العيش الخ) أقول هو كما قال سهل بن عبد الله التوكل هو الاسترسال مع الله على مايريد فهذان القولان من علامات التوكل فان من صح عنده ان الله سبحانه ضامن لكفايته وقت حاجته لا يهتم في غير وقتها بل الكمال ان لا يهتم أصلا (قوله بان يسلم لمولاه الخ) أي ويعبر عن ذلك بفناء مراد العبد في مراد الرب (قوله التوكل على كمال الحقيقة) أي على الحقيقة الكاملة فهو من اضافة الصفة للموصوف وفيه ان الحقيقة لا تتفاوت فرد (قوله يهوى الى نار الخ) قيل ان شدتها وحرارتها كانت تدرك من مسيرة أربعة أشهر

(لانه غابت نفسه بالله تعالى) أى فيه (فلم ير مع الله غير الله) لفنائه عن غيره (وسمعته) أيضا (يقول سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول سمعت ذا النون المصرى (و) قد (سأله) رجل فقال له ما التوكل (فقال خلع الارباب) وهو ماسوى الله مما يملك القلب عادة ويصير مسخراله من درهم ودينار وغيرهما كما قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة فجعله عبدا وجعلهم له اربابا (وقطع) الاعتماد على (الاسباب) بحيث لم يبق له معتمد سوى رب الارباب (فقال) له (السائل زدنى) فى البيان بعبارة أفهمها (فقال القاء النفس فى احكام (العبودية) بان تكون دائما مشتغلا بما امرت به ونهيت عنه (واخراجها من الربوبية) أى سلبها عن القدرة على شئ مما ينفعها أو يضرها واضافة ذلك الى خالقها وحاصل هذا اعمل بما امرك الله به ونهاك عنه وأخرج نفسك من القدرة الى ماذكر وذلك كله وما يأتى من نحوه تعريف للتوكل باللازم نظرا لما يفهمه المخاطب (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول سمعت حمدون و) قد (سئل عن التوكل فقال ان كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك فى عنقك) فعجل قضاءه ولا تغتر بكثرة ما تملكه (ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير ان تترك لها وفاء لا تياس من الله تعالى ان يقضيه عنك) فاعتمد على الله وحسن ظنك به ولا تيأس ان يقضى عنك ما عليك (وسئل أبو عبد الله القرشى عن التوكل فقال) هو (التعلق بالله) أى الاعتماد عليه (فى كل حال فقال السائل زدنى) فى البيان (فقال ترك الاعتماد على كل سبب) ولو لم يباشر المطلوب بل كان (يوصل الى سبب) آخر يباشر المطلوب (حتى يكون الحق) تعالى (هو المتولى لذلك) بحيث يكون اعتمادك عليه اعتماد لا على السبب اجابه أولا بحقيقة التوكل وعبر عنه بالتعلق بالله فلما عسر عليه فهمه قال له اترك الاسباب فى تحصيل مقصودك (وقال سهل بن عبد الله التوكل حال النبى صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن بقى على حاله) صلى الله عليه وسلم بان وصل اليه (فلا يتركن سنته) ليس المراد ان التوكل ينافى الكسب وانه ليس من سنته صلى الله عليه وسلم بل المراد بحاله صلى الله عليه وسلم ان يكون السابق لقلب العبد فى تحصيل مقصوده اعتماده على الله تعالى وبسنته ان يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور فى تحصيل مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث ان سنة الله ورسوله جرت به كما هو العادة فى ربط المسببات بالاسباب مع اعتقاد ان الفاعل هو الله تعالى وانه لا فعل للاسباب (وقال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب) فى الاسباب الواجبة على العبد بلا مؤنة (بلا سكون) اليها (وسكون) بالقلب الى الله تعالى واعتماد عليه (بلا اضطراب) والتفات بالقلب اليها عند تغيرها

(قوله لانه غابت نفسه الخ) أى ولذا لو بل بما لم يقع لغيره من الخوارق حيث قال جل جلاله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فلم تحرق النار الا حبل كتافه بل قيل انه لولا قوله تعالى وسلاما لهلك بشدة البرد (قوله فقال خلع الارباب الخ) فيه اشارة الى أن تعلق القلب بما سوى الله تعالى بالاعتماد نوع من الشرك والعياذ بالله تعالى (قوله وقطع الاعتماد على الاسباب) عطف تفسير لما قبله أى فيهيئ السبب امتثالا مع اعتماده على الفاعل المختار (قوله القاء النفس فى احكام العبودية) أى وذلك بتحقق بالرضا والتسليم وترك التدبير مشتغلا بما أمر به ونهى عنه معتمدا على اعانة مولاه متبرئا من حوله وقوته (قوله أى سلبها عن القدرة الخ) أى ويلزم من ذلك ترك التدبير والتفويض فى كل شئ للعليم الخبير (قوله فقال ان كان لك الخ) يريد الحث على التحقق بمقام العبودية والانقياد لاحكام الربوبية فلا يفوت وظيفة الحال ولا يدبر احكام المآل (قوله فقال هو التعلق بالله الخ) محصله طلب الاعتماد على الحق تعالى فى المقصود ولو مع تحقق السبب الموجود فافهم (قوله التوكل حال النبى الخ) أى التوكل صفة النبى وخلقه ومقامه وقوله والكسب سنته أى الاخذ بالاسباب شريعته وطريقته والثانى لا ينافى الاول من حيث ان مرجعه الى الانقياد والوقوف مع الحكم المعتاد فهما خلقان كاملان وان كان الاول اكمل والله بالحال اعلم فالتوكل المندوب هو دوام العلم والعمل بان الحق تعالى لا فاعل غيره حتى تغلب احكامه على القلب وتتبعه الجوارح والا فكل مؤمن متوكل (قوله والكسب سنته) أى شريعته وأحكامه التى شرعها لعباده ولم يجعلها مناقضة لتوكلهم واكتفى منهم بالتوكل الواجب الذى يمنعهم من تعاطى المحرمات او من التفريط فى الواجبات (قوله التوكل اضطراب الخ) محصله انه الاخذ بالاسباب امتثالا بدون

(وقيل التوكل) أى امارته (ان يستوى عندك الاكثار والتقلل) من الدنيا فان كثرت عليك سمحت بها وانفقتها وان قلت عنك لم تتغير ولم تتعلق (وقال ابن مسروق التوكل الاستسلام) والانقياد (لجريان القضاء والاحكام) بان تفوض امرك الى الله تعالى وتترك اختيارك وهذا من اعلى مقامات التوكل (سمعت محمد بن الحسين يقول ٥٣ سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت اباعثمان الحيرى يقول التوكل الاكتفاء بالله) أى بتدبيره تعالى (مع الاعتماد عليه) هذا اعلم مما مر (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن محمد بن غالب يحكى عن الحسين بن منصور) انه (قال المتوكل المحق) هو الذى (لا يأكل شيأ) من غير ضرورة (وفى البلد من هو أحق به منه) بل يؤثره به اعتمادا على ان الله لا يضيعه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت منصور ابن أحمد الحربى يقول حكى لنا ابن أبى شيخ انه قال سمعت عمر ابن سنان يقول اجتاز بنا ابراهيم الخواص فقلنا له حدثنا باعجب ما رأيته فى اسفارك فقال له (لقينى الخضر عليه السلام فسألنى الصحبة فخشيت) منه (ان يفسد على توكلى بسكونى اليه ففارقته) حفظا لمقام التوكل والحاصل ان الخواص لما لقى الخضر امتحنه الله به فى دعوى مقام التوكل وثبته والا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوته (وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل) أى عن حال قلب المتوكل (فقال هو قلب عاش مع الله تعالى) أى اعتمد عليه (بلا علاقة) أى تعلق بغيره (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول للمتوكل) من حيث هو (ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض) وكل من الاخيرين اعلى مما قبله كما افاده كلامه هنا وفيما يأتى (فالمتوكل يسكن الى وعده) تعالى بقوله وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها وله اختيار (وصاحب التسليم يكتفى بعلمه) تعالى بحاله فانه يعلم ما هو فيه (وصاحب التفويض يرضى بحكمه) تعالى أى بكل ما يجريه الله عليه وافق غرضه أو خالفه

اعتماد والاطمئنان القلبى بواسطة قوة الايمان وتقدم ان الحركة الجسمانية لا تنافى سكون القلب (قوله ان يستوى عندك الخ) أى فلا يكون عندك اجتهاد وتهافت فى طلب المزيد من الدنيا ولذا قال صاحب الحكم العطائية اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك أقول وفى تعبيره بالاجتهاد اشارة الى ان ما دونه من الطلب لا يقدح فى التوكل بل قد يكون مطلوبا شرعا وجوبا أو ندبا ثم اعلم ان التوكل بهذا المعنى هو بالنسبة لحال المريدين اما بالنسبة للعارفين والمحققين فيكون ميلهم الى التقلل اكثر من ميلهم الى الاكثار اعتبارا بشأن كل منهما ونهاية الحال أن التوكل لا يتم مقامه للعبد الا اذا كان نعته الرضا بما يجرى به القضاء (قوله سمحت بها) أى على طريق المواساة لاخوانك المسلمين الفقراء وذلك باعتبار حال المريدين اما العارفون فقامهم الايثار والرضا لانفسهم بحالة الاقتار (قوله وهذا من اعلى مقامات التوكل) أقول واعلى منه طلب التخلص من الوقوف مع التوكل خشية الحجاب عما هو اكمل منه من المقامات (قوله المتوكل المحق الخ) فى ذلك تنبيه على علو الهمة بالتحلى بحقيقة التوكل مع الايثار بكمال فناء النفس عن الحظوظات (قوله فقال لقينى الخضر الخ) اقول ويشهد له ما روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما عزل خالد بن الوليد عن امارة المسلمين بالشام قال له انى لم اعزلك عنهم لشئ نقمته عليك ولكنى رايت قلوب المسلمين ساكنة اليك فاردت ان ارد قلوبهم الى الله (قوله فقال لقينى الخ) اقول مرجع حاله الى الفرار من شهود غيره تعالى بالسكون اليه (قوله فخشيت منه الخ) أى وذلك لان الخضر اما نبى او ولى والنفوس فى العادة تطمئن الى وجود من هذا نعته وتسكن اليه فى حاجاتها وذلك مناف للتوكل لانه الاعتماد على الله تعالى وحده دون احد من الخلق (قوله فقال هو قلب الخ) منه يعلم انه لا يتم هذا المقام الا بتجرد القلب عن شهود غيره تعالى والسلام (قوله اى عن حال قلب المتوكل) مراده بيان معنى قول المؤلف هو قلب الخ وان الاظهر أن يقول هو عيش القلب الخ (قوله فالمتوكل يسكن الى وعده) أى يطمئن سره اعتمادا على ما وعده به الله تعالى من الكفاية وذلك أول درجات التوكل فصاحب هذا المقام متطلع الى الكفاية على حسب الوعد واثق بها ولذا قيل علامته الرضا بالواقع والتقوى فى الطلب وحفظ الادب فى الاسباب (قوله يسكن الى وعده) أى بسبب قوة الرجاء وزيادة اليقين (قوله يكتفى بعلمه) أى بواسطة زيادة مراقبته لاحاطة العلم القديم وانه لا يعزب عنه شئ (قوله وصاحب التفويض يرضى بحكمه) أى بواسطة انه يشهد المعذب فى العذاب والمبلى فى

ولا اختيار لهما لانهما سلبا وفوضا الامور اليه تعالى يفعل بهما ماهو صلاح لهما (وسمعته) أيضا (يقول التوكل بداية والتسليم وسايط والتفويض نهاية) فالتوكل اعتماد والتسليم راحة ورقاد والتفويض رضا بجريان الاحكام (وسئل الدقاق عن التوكل) أى أمارته (فقال الاكل) فى الحال ٥٤ (بلا طمع) وتشوف الى ما كل فى الاستقبال وثوقا بلطف الله به فى كل حال (وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف) اى زى الصالحين (حانوت) أى تسبب (والكلام فى) ترجيح (الزهد حرفة) لانه يدل على ان المتكلم زاهد لامال عنده فيميل الناس لاكرامه دون غيره من الفقراء وان كانوا افقر منه (وصحبة القوافل) فى الاسفار بغير زاد (تعرض) للتسبب وسكون الى من سافر معهم فانهم لايتركونه غالبا (وهذه كلها علاقات) أى تعلقات بالاسباب كما عرفت أى فينبغى للعبد قطعها لانه يكون متعلقا بها وهو لايشعر ويعتقد انه قد صح اعتماده على الله ونفسه ساكنة الى غيره (وجاء رجل الى الشبلى يشكو اليه كثرة العيال) وضيق الحال وكان موقنا بان الله هو الرزاق لكنه لما قلق وغفل حين امتحن بالفقر شكى الى الشبلى ليجد منه راحة بالدعاء أو بغيره (فقال) له (ارجع الى بيتك فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك) نبهه بهذا التنبيه الحسن ليرده الى اصل ايمانه ويذكره بما يفرغ قلبه من هم نفسه وغيره (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله من طعن بالاسباب فى الحركة) أى الكسب (فقد طعن فى السنة) أى سنة الله ورسوله فانها جرت بذلك كحفر الخندق ولبس الدرع وتحصن المسلمين وحمل الازواد فى الاسفار وقد قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وتقدم ان الحركة بالظاهر

البلاء ومن ذلك ماقيل فى هذا المعنى

الفت الضنى حتى تطاول مكثه * فلو زال عن جسمى بكته الجوارح اه

(قوله ولا اختيار لهما) أقول الفرق بين المقامين حينئذ احساس الاول بظهور التقدير من الم ولذة وفرقه بينهما ووجدان اللذة دائما حتى فيما لايلائم النفس بشهود مصدر الفعل فيه فى المقام الثانى (قوله التوكل بداية) هو قريب مما قبله (قوله الاكل فى الحال الخ) هو من البداية وقيل ان الدنيا كنهر طالوت لاينجو منه شارب الامن اغترف غرفة بيده (قوله لبس الصوف الخ) الغرض من ذلك اخفاء الحال والبعد عن اقلقة المقال وعلو الهمة عن التعرض للنوال (قوله والكلام فى الزهد حرفة) أى لان صاحبه قد قنع بنقل عبارات الزهاد ولم يتخلق بمثل اخلاقهم (قوله فيميل الناس لاكرامه) أى الشأن ذلك والا فان كان عن قصد من العبد فهو حينئذ مراء والعياذ بالله تعالى (قوله وصحبة القوافل تعرض) أى للاعتماد على زاد الحاج وكل ذلك نقص فى مقام التوكل (قوله فقال له ارجع الى بيتك الخ) فيه حسن تنبيه وتعليم للتوكل وايقاظ للغافل عن ربه المهتم برزقه وان كان اهتمامه لمؤنة العيال من جملة الطاعات ولكن انتظاره لوعد ربه وفرجه أولى (قوله ليرده الى اصل ايمانه) أى ليكسب راحة نفسه اكتفاء بشهود احاطة علم الله تعالى به فيثق بالكفاية على حسب وعد الحق عبده بها (قوله من طعن فى الحركة الخ) مراده والله اعلم انه لايطعن متسبب على غير متسبب ولا العكس فان من قال لايحصل رزق الا بسبب فقد طعن فى الايمان بان الله قادر على ايجاد الرزق بدون سبب ومن قال الاسباب تناقض التوكل فقد ابتدع وخالف السنة التى شرعها الله لعباده مع طلبه التوكل منهم (قوله من طعن فى الحركة) أى فى العمل بالاسباب واطلق فى الطعن ولم يفصل فقد طعن فى السنة أى فى الطريقة المحمدية وذلك لان الحق التفصيل بين حركة لم يصاحبها اعتماد على السبب بل كان معها تفويض اليه سبحانه وتعالى وبين ما اذا كان معها اعتماد على السبب وعدم تفويض فالاولى محمودة والثانية مذمومة ويدل لما ذكرناه قول المهدوى من لم يكن فى دعائه تاركا لاختياره راضيا باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج اه فحينئذ ينبغى للانسان الاخذ بالاسباب امتثالا مع عدم الاعتماد عليها بل مع التفويض لما يجريه الحكيم ايمانا اذ لامنافاة بين الحركة والتفويض (قوله وقد قال الله تعالى وأعدوا لهم الخ) أى فافادت الآية الكريمة طلب الاخذ بالاسباب ومقتضى الايمان بالله عدم الاعتماد على غيره تعالى فحينئذ يعلم انه لامنافاة بين التوكل المطلوب والاخذ

لا تنافى التوكل (ومن طعن فى التوكل) وقال ان المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره (فقد طعن فى الايمان) بالله حيث اشرك معه فى الفعل غيره فالفاعل انما هو الله والخلق ممتثلون أمره ناظرون الى قدره فى كسبهم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت جعفرا الخلدى يقول قال ابراهيم الخواص كنت فى طريق مكة فرأيت شخصا وحشيا فقلت) هو (جنى ام انسى فقال جنى) وكان مؤمنا (فقلت) له (الى اين تذهب (فقال الى مكة فقلت بلا زاد فقال نعم) ولا استبعاد اذ (فينا) ايضا كما فيكم ايها الانس (من يسافر على التوكل) أى معتمدا على الله لا على غيره (فقلت ايش التوكل فقال الاخذ من الله تعالى) بأن ترى ان الفعل منه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابا العباس البغدادى يقول سمعت الفرغانى يقول كان ابراهيم الخواص مجردا فى التوكل يدقق فيه و) مع ذلك (كان لا يفارقه ابرة وخيوط وركوة ٥٥ ومقراض) أى مقص لغلبة الحاجة اليها (فقيل له يا أبا اسحق لم تحمل هذا) أى ماذكر من الثلاثة (وانت تمتنع من كل شئ) من الاسباب (فقال مثل هذا لا ينقض) أى يناقض (التوكل لان لله سبحانه علينا فرائض) من صلاة ونحوها (والفقير) من المال (لا يكون عليه الا ثوب واحد فربما يتخرق) وفى نسخة يتمزق (ثوبه فاذا لم يكن معه ابرة وخيوط) فقد (تبدو) أى تظهر (عورته فتفسد عليه صلاته) واذا كانا معه تدارك ذلك بهما (واذا لم يكن معه ركوة) فقد (تفسد عليه طهارته) واذا كانت معه تدارك ذلك واذا لم يكن معه مقراض فيطول شاربه فيفوته قصد المأمور به فالامور المذكورة محتاج اليها فى تحصيل العبادة المأمور بها (فاذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا ابرة ولا خيوط فاتهمه فى كمال صلاته وسمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول التوكل صفة المؤمنين والتسليم صفة الاولياء والتفويض صفة الموحدين) لان المتوكل يرى السبب ويعتمد على الله فى أموره والولى مسلم الى الله فى سائر اموره والموحد صارت نفسه محلا لجريان قدرة الله تعالى فيه لكمال تفويضه (فالتوكل صفة العوام) لاعوام المؤمنين بل عوام الخواص السالكين لنيل مقام التوحيد فانهم على ثلاث درجات متوكل وولى وموحد كما عرفت (والتسليم صفة الخواص والتفويض صفة خواص الخواص) فكلهم فى الحقيقة خواص فطلق الخاص ينقسم الى عوام وخواص وخواص خواص ولم ينل رتبة التوكل من المؤمنين الا خواصهم (وسمعته) ايضا (يقول التوكل) اى الكامل (صفة الانبياء) جميعهم وان اختص بعضهم بصفة كما قال (والتسليم صفة ابراهيم عليه السلام) لما مر له مع جبريل (والتفويض صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) قال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية

بالاسباب المندوب (قوله لا تنافى التوكل) أى لاجل اختلاف محليهما اذ الحركة بالجوارح والتوكل بالقلوب (قوله وبفعل غيره) أى بقدرة خلقها الله تعالى فيه والا بان قال بفعل غيره تعالى استقلالا كان كافرا والعياذ بالله تعالى (قوله فقد طعن فى الايمان) أى لان مقتضى الايمان اعتقاد ان لا فاعل غيره تعالى فى شئ من الاشياء (قوله فقال جنى الخ) فيه دلالة على وقوع رؤية الجن من بنى آدم وظهورهم عليهم ولا استبعاد فيه ولا استحالة لانه جائز مع التشكل بغير الصورة الاصلية وفيه دلالة أيضا على ايمان بعضهم ويرشد اليه قوله جل شأنه انا سمعنا قرآنا عجبا الآية (قوله ولا استبعاد) أى لان المحبة تدنى البعيد وتسهل الصعب (قوله اذ فينا الخ) أى لانهم مكلفون وفيهم اصحاب مقامات واحوال (قوله فقال مثل هذا لا ينقض التوكل) اى ويؤيده ان التوكل محله القلب والاخذ بالاسباب لا يمنع منه باعتبار ذات الاسباب بل باعتبار اعتمادها على انه ذكر من وسائل الطاعات المأمور بها شرعا هذا وبالتأمل فى باقى كلامه يعلم ان هذا الاستاذ لم يكن له مباحات لنقله اياها بحسن قصده الى الطاعات (قوله فالامور المذكورة محتاج اليها) اى فهى حينئذ من الوسائل التى لها حكم المقاصد (قوله فاتهمه فى كمال صلاته) أى بتضييع ما عساه يلزم لاجلها (قوله التوكل صفة المؤمنين الخ) الغرض افادة تفاوت درجات التوكل باعتبار حال المتوكلين قوة وضعفا (قوله لان المتوكل يرى السبب) اى يعلم مدخليته بتقدير الله ويعتمد على الله تعالى بشهوده انه لا فاعل غيره ولا مؤثر الا هو والولى يسلم للاكتفاء باحاطة العلم القديم به والموحد فان عن نفسه مستغرق فى ربه (قوله لاعوام المؤمنين الخ) يريد ان تسميتهم عوام انما هو باعتبار من فوقهم فى الدرجة والا فهم فى انفسهم خواص (قوله التوكل اى الكامل الخ) أى والا فاصل التوكل ثابت لغيرهم من البشر فكل تكلم بحسب شربه وذوقه (قوله والتفويض صفة نبينا) أى خلقه ومقامه

وقال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد ثبت له الشفاعة والمقام المحمود دون غيره (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول سمعت ابا جعفر الحداد يقول مكثت بضع عشرة سنة اعتقد التوكل) على الله أي عقدته على نفسي (وأنا اعمل في السوق وآخذ كل يوم اجرتي ولا انتفع منها بشربة ماء ولا بدخلة حمام ولكن كنت اجيء بأجرتي الى الفقراء في الشونيزية) وافرقها عليهم (وأكون مستمرا على حالي) هذا مقام بالغ في التوكل لان من عرف بالكسب والاستغنا عنه بالنسبة لمن يعلم أنه يفرقه. وبه بالنسبة لمن لا يعلم ذلك انصرف الناس عن مساعدته بشيء من الدنيا (وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الخواص يقول سمعت الحسين أخا سنان يقول حججت اربع عشرة حجة حافيا على التوكل) اي متوكلا على الله (فكان يدخل في رجلي شوكة فاذكر اني قد اعتقدت التوكل) على الله أي عقدت (على نفسي) وفي نسخة اعتقدت على الله (فأحكها) أي الشوكة (في الارض وامشي) ولا اشتغل باخراجها وهذا ظاهر في الشوك الخفيف الذي لا يضره والا فليس له اهماله (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول سمعت خير النساج يقول سمعت ابا حمزة يقول ٥٦ اني لاستحي من الله تعالى ان ادخل البادية وأنا شبعان وقد اعتقدت التوكل) اي عزمت عليه (لئلا يكون سعيي اعتمادا على الشبع زادا اتزوده) لا على الله فاستحياؤه لكونه مع عزمه انه معتمد على ربه خشي ان يكون من الكذابين لكونه اعتمد على شبعه ففيه دليل على كمال معرفته بالله ودوام مراقبته له (وسئل حمدون عن التوكل فقال تلك درجة لم ابلغها بعد وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال) اي غلبة حال (الايمان) على قلبه وهذا من باب الاشفاق على النفس بان يخشى عليها انها ان ذكرت شيأ من المقامات وفهم عنها انه حالها ولم تكن كذلك كان سببا لمنع الله اياها ذلك المقام (وقيل المتوكل كالطفل لا يعرف شيأ يأوي اليه) اي مما ينفعه او يضره (الا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يهتدي) في اموره الى شيء (الا الى ربه و) روى (عن بعضهم قال كنت في البادية فتقدمت القافلة فرأيت قدامي واحدا فتسارعت) اليه (حتى ادركته فاذا هي امرأة بيدها عكازة) وفي نسخة ركوة وعكازة (تمشي على التؤدة فظننت انها اعيت فأدخلت يدي في جيبي فأخرجت) لها (عشرين درهما فقلت) لها (خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها ما تركبيه ثم ائتيني) وفي نسخة تأتيني (الليلة حتى اصلح امرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فاذا في كفها دنانير فقالت لي انت اخذت الدراهم من الجيب وانا اخذت الدنانير من الغيب) وجه تعلق ذلك بالتوكل بالنسبة للمرأة ظاهر وبالنسبة للرجل انه متوكل حيث دفع لهذه المرأة في مثل هذه البرية عشرين درهما ووعدها بأن يصلح من حالها زيادة وحسن اعتماده على ربه بأن يعوضه عن ذلك وازداد يقينا بما اخذته المرأة من الغيب (ورأى ابو سليمان الداراني بمكة رجلا لا يتناول شيأ الا شربة من ماء زمزم فمضى عليه ايام) وهو كذلك وكان يكتفي به اعتمادا على انه لما شرب له كما جاء في الحديث (فقال) له (ابو سليمان يوما ارأيت لو غارت زمزم أيش كنت تشرب

وحاله (قوله أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أي والشيء اذا اطلق انما يتبادر منه الفرد الكامل فحينئذ المراد السيادة في كل مقام وحال وبذلك يتم المقصود (قوله يقول مكثت الخ) أقول ذكره ذلك من قبيل التحدث بالنعمة أو بقصد ان يقتدي به غيره (قوله لان من عرف بالكسب الخ) محصله ان هذا الاستاذ استعمل طريقة ستر حاله عن غيره اعتمادا على ربه تعالى (قوله فأذكر أني الخ) أي والاشتغال باخراجها ينافي كمال توكله (قوله والا فليس له اهماله) أي بدليل ان لبدنك عليك حقا الحديث (قوله اني لاستحي من الله تعالى الخ) أقول ذلك منه من باب الاشفاق على النفس واتهامها في دعوى المقام فخشي من اعتماد نفسه في حالة دخوله الصحراء على ما حصلته من الشبع فتكون قد سكنت واعتمدت على غير الله تعالى وهذا شأن أولي الحزم والتمكين في الاعمال ومن هذا القبيل ما يأتي بعد هذا عن حمدون رضي الله تعالى عنهم اجمعين (قوله وهذا من باب الاشفاق الخ) أي سترا لحاله وحملا للسامع على ان لا يكون حاله نقل عبارات ذوي المقامات بل التخلق بما به نيل الكرامات (قوله فاذا هي امرأة الخ) فيه تنبيه على ان الفضل مواهب لا يختص بذكر ولا أنثى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (قوله بالنسبة للمرأة ظاهر) أي لاجل عدم قبولها منه شيأ ووثوقا بالكفاية على حسب وعد الحق سبحانه وتعالى (قوله فقال ابو سليمان الخ)

فقام وقبل رأسه وقال جزاك الله خيرا حيث ارشدتني) الى ماهو الاكمل (فاني كنت اعيد زمزم) اي متعلقا بها ساكنا الى غير الله (منذ ايام ومضى) عن ذلك الى ماهو الاكمل وهذا من اكمل الانصاف والتواضع والانقياد الى الحق وتوبيخ النفس على السكون لغير الله وعلى القنع بحاله الذي هو فيه وعلم عاذكر ان لله ان يؤدب الرجال بالنساء ليعلم كل صادق ان الطاف الله ونعمه لا تنحصر في جهة (وقال ابراهيم الخواص رأيت في طريق الشام شابا حدثا) بفتح الدال تأكيد لما قبله (حسن المراعاة فقال لي هل لك في الصحبة فقلت اني أجوع) اعتمادا على ما عودني الله به من اللطف والقوة (فقال) له (الشاب ان جعت جعت معك فبقينا أربعة ايام لم نأكل شيأ (ففتح علينا بشيء فقلت) له (هلم) اى تعال كل (فقال) لي (اعتقدت) أي عزمت (ان لا آخذ بواسطة) وانت واسطة فقلت) له (ياغلام دققت) في الكلام في التوكل (فقال لا ابراهيم لا تتبهرج) ٥٧ أى لاتطريني بالمدح (فان الناقد بصير) وانا لست بمدقق لاني في اول المقام لا في اعلاه وكيف أكون مدققا بمجرد عدم أخذي بواسطة (مالك والتوكل ثم قال اقل) درجات (التوكل) وهو اولها (ان ترد عليك موارد الفاقات) اى الحاجات (فلا تسمو) اى تعلو (نفسك الا الى من اليه الكفايات) وهو الله تعالى وفي ذلك دلالة على ان الله ارى ابراهيم مع كمال قوته ورفعة حاله من حاله اقوى من حاله ليتزايد في حاله ويتأدب مع ربه وفيه دلالة على ان لله أن يؤدب الكبار بالصغار في السن كما مر نظيره في حكاية المرأة (وقيل التوكل نفي الشكوك والتفويض الى مالك الملوك) اطلق التوكل على التفويض كما يطلق على التسليم وان كانا اعلى منه كما مر لانهما من ثمراته واعتبر نفي الشك لان التوكل انما يكون عن قوة اليقين وهو

أي والغرض الارشاد لطرق قطع علق القلب من غير الحق سبحانه وتعالى عسى ان يترقى لدرجة الكمال وذلك منه بذلا للنصيحة مع الاخوان كما هو شان الكامل منهم (قوله فقام وقبل رأسه الخ) أى لان نفسه كانت ساكنة الى ذلك وهكذا جدهم وشدة طلبهم لتحصيل رتبهم وتمكين مقاماتهم التي ندبهم اليها مليكهم فلا يسكنون الى سبب من الاسباب ولا يزالون عاكفين على الباب هاربين من كل شغل عنه أو حجاب جعلني الله واياكم منهم ولا ابعدني واياكم عنهم انه جواد كريم (قوله وعلم عاذكر ان لله الخ) أقول تأخرت هذه العبارة من تقديم فحقها ان تذكر عقب قصة المراة قبل هذه فقوله ان لله ان يؤدب الخ أى وان يرشد الى الاعلى مما عليه الانسان على لسان بعض العبيد المقربين *(فائدة)* قال لقمان لابنه يابني الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فان استطعت ان تكون سفينتك فيها الايمان بالله وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو قلت وهذا المثل من الحكمة التي شهد الله له بها حيث قال ولقد آتينا لقمان الحكمة الآية ومعاني هذا المثل لا تخفى على من له المام وذوق (قوله كما مر نظيره في حكاية المرأة) أقول وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام الكفاية (قوله فقال ان علمتم الخ) أقول هذا منه رضي الله عنه حسن في تعليم التوكل وتعريف السائل طرق الاعراض عن اعتماد الاسباب مع الاخذ بها للامر بذلك لان الرزق لا تتعين جهة تحصيله اذ هو المنتفع به على طريق أهل الحق لا ما الايملك فقط وقوله ان علمتم انه ينساكم الخ اشارة الى ان ماسبق في علمه انه يصل اليكم لابد من وصوله وقوله في جوابهم التجربة شك الخ فيه تنبيه على ان دخول البيت والقعود فيه والحركة سواء بالنظر الى حصول المقدور (قوله فقال ان علمتم الخ) أقول يحتمل انه تكلم باعتبار حاله ومقامه تحدثا بالنعمة ورجاء للاقتداء به أو لما رأى من استعداد المخاطبين فحملهم على كمال التوكل (قوله قال ترك الحيلة)

٨ ث يج بعيد عن الشك (وقيل دخل جماعة على الجنيد رحمه الله فقالوا أين نطلب الرزق فقال ان علمتم في اى موضع هو فاطلبوه منه فقالوا فنسأل الله تعالى ذلك) أى الرزق (فقال ان علمتم انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت فنتوكل فقال التجربة) بان تدخلوا البيت مجربين الله هل يرزقكم اولا (شك) في ضمانه للرزق ماقاله كلام بالغ في تعليم التوكل سواء وجدت الاسباب أم لا لان الرزق عند أهل الحق ما ينتفع به العبد لا ما يملكه بل ولا ما يأكله فانه قد يأكل شيأ ثم يقذفه من جوفه و يكون رزق غيره لا رزقه فلا قدرة له على معرفة رزقه فانه لا يعرف ما الذي ينتفع به (قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة) واعتمادكم بقلوبكم على الله واشتغالكم بما أمرتم به (وقال أبو سليمان) الداراني (لاحمد بن أبي الحواري يا احمد ان طرق الآخرة كثيرة وشيخك)

وهو أنا (عارف بكثير منها الا هذا التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة) فيه دلالة على كمال ابن سليمان واقراره على نفسه
بان اعلى مقامات التوكل وهو التفويض كما مر لم يتمكن فيه بعد اما حقيقة او تأدبا لنفسه بتقصيرها في نيلها اعلى المقامات واما
تأدبا وتبرأ من حوله وقوته وهو اللائق بحاله وكمال مرتبته (وقيل التوكل الثقة بما في يدي الله تعالى واليأس عما في ايدي الناس)
فهذا سبب التوكل الذي هو الاعتماد على الله لا نفسه (وقيل التوكل فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق) هذا من
ثمرات التوكل لا نفسه فان من توكل على الله ولم يلتفت الى غيره من الاسباب استراح قلبه من هم الاكتساب وان امر بالاكتساب
(وسئل الحرث) المحاسبي (رحمه الله عن المتوكل هل يلحقه طمع فقال يلحقه) في ابتداء تخلقه بمقام التوكل (من طريق الطباع
التي هي من عادته المتقدمه (خطرات) من الطمع (ولا تضره شيأ ويقويه على اسقاط الطمع) بالكلية حتى الخطرات (اليأس
عما في ايدي الناس) واذا قطع يأسه عما في ايديهم اعتمد قلبه على من يتفضل عليه وعليهم (وقيل جاع النوري في البادية) عشرة ايام
(فهتف به هاتف) أي صاح به صائح فقال له (ايما احب اليك سبب) من الاسباب المعتادة (او كفاية) وقوة بان يخرق الله لك العادة
فيما يغنيك عن الطعام والشراب زيادة على ما قوى الله واغناك (فقال) له الاحب الي (الكفاية) التي (ليس فوقها نهاية) اي بالنسبة
لحاله والا فغيره قد رزقه الله من الصبر عن الطعام والشراب اكثر من صبره المذكور في قوله (فبقى) بعد ذلك (سبعة عشر يوما لم
يأكل) شيأ (وقال أبو علي الروذباري أذا ٥٨ قال الفقير بعد خمسة ايام انا جائع فالزموه السوق ومروه بالعمل والكسب) لان
ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله
وعدم صبره وشدة ميله الى الطعام
ومن هذه صفته ابقاؤه مع سببه
وانتقاله شيأ فشيأ عن عاداته اولى
من خروجه عما بيده جملة وتقدمت
الاشارة الى هذا مع الاشارة الى
انه ينبغي للعبد أن لا يخلي نفسه
عن السبب الشرعي كحمل الزاد
في الاسفار الا اذا رزقه الله الصبر
عن الطعام والشراب مدة يستغني
فيها عن الناس وسؤالهم (وقيل نظر ابو تراب النخشبي الى صوفي مد يده الى قشر بطيخ) مرمى في التراب (ليأكله) بعد يتق
ثلاثة ايام) لم يأكل فيها شيأ (فقال له لا يصلح لك التصوف الزم السوق) لما مر آنفا (وقال أبو يعقوب الاقطع البصري جعت مرة
بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا) يدني من الجوع (فحدثتني نفسي بطلب شيء) آكله (فخرجت الى الوادي لعلي اجد شيأ يسكن
ضعفي فرأيت سلجمة) هي نبت (مطروحة) على الارض (فأخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قائلا يقول لي جعت عشرة
ايام وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت واذا أنا برجل أعجمي جاء بين يدي ووضع قطرة)
وهي ما يصان فيه المكاتيب (وقال هذه لك فقلت كيف) اي لم (خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة أيام واشرفت
السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا أن خلصنا الله ان يتصدق بشيء ونذرت انا ان خلصني الله عز وجل ان اتصدق بهذه) القمطرة
(على اول من يقع عليه بصري من المجاورين) بالحرم (وانت أول من لقيته فقلت افتحها ففتحها فاذا فيها كعك سميد) أي حسن
الدقيق (مصري ولوز مقشر وسكر كعاب) أي عقد (فقبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت) له (رد الباقي على
صبيانك هو) أي الباقي (هدية مني لكم) أي اصبيانكم (وقد قبلتها) اي القمطرة بما فيها فاقبل هديتي للباقي (ثم قلت في نفسي
رزقك يسير اليك من عشرة أيام وانت تطلبه من الوادي) حاصل ذلك انه لما اشرفت همته والقى السلجمة ثم رجع الى الحرم مؤدبا
نفسه في عدم صبرها عن الطعام وفي شرهها معتمدا على الله بأن يأتيه بما هو اشرف واطيب من السلجمة اتاه العجمي بالقمطرة

أي ترك السكون اليها كما اشار اليه الشارح (قوله اما حقيقة أو تأدبا بالنفسه) الاولى
الاقتصار على قوله حقيقة لما تقدم من ان التفويض مقام سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم الذي لم يشاركه فيه غيره (قوله الثقة بما في يدي الله) أي بما في تقديره على حسب
سابق علمه وحكمته (قوله من هم الاكتساب) أي من هم السكون اليه والاعتماد عليه
(قوله هل يلحقه طمع الخ) فيه بشرى بان الخطرات في ابتداء الطريق بالطبع لا تؤثر
في الضرر بل تزول بقوة الحال في دوام السلوك (قوله وقيل جاع النوري الخ) في ذلك
اشارة الى ان العبد قد يرزق قوة الطاعم والشارب بكفاية الله تعالى ولا مانع منه اذ كل
من السبب والمسبب بايجاد الله تعالى (قوله فالزموه السوق) أي لانه لم يستعمل طريق
التجرد في القيام على النفس تدريجا (قوله واذا أنا برجل أعجمي الخ) أي ولذا قيل من
ترك شيأ لله عوضه الله خيرا منه (قوله حاصل ذلك الخ) أقول ويدل على ذلك قوله تعالى ومن

واعلمه بسبب نذره منذ عشرة أيام فوبخ نفسه وقال لها الله يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة ايام وانت تطلبيه من الوادى ثم أمسك نفسه عن قبولها بشره وقال للصبى اقصها فلما قصها ووجد ما فيها ما ذكر لم يأخذها كلها بل أخذ منها ما رد جوعه فى الوقت وقال له قد قبلتها وقاسم ذلك ووهبت الباقى منهم الصبيان وهذا كمال فى كسر النفس مع شدة الحاجة الى الطعام ورفع الهمة والاعتماد على الله فى ان يأتى له بمثله أو بأرفع منه عند الحاجة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول كنت عند ممشاذ الدينورى فجرى حديث الدين فقال كان على دين) لزمنى فى طاعة كالتراض لمن رآه محتاجا من الفقراء (فاشتغل) له (قلبى فرأيت فى النوم كان قائلا يقول يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار خذ) ولا تبالى (عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا قصابا ولا غيرهم) الاولى غيرهما وذلك لائق من عامله عرف حاله وأنه لا مال له وأن معاملته محض خير وانما عامله على انه اذا فتح الله عليه بشئ أتاه به ونبه فى الرؤيا على أن الله تعالى ٥٩ ان لم يقض الدين عنه فى الدنيا أرضى عنه اربابه فى الآخرة لانه التزمه لوجهه وسماه بخيلا لانه خاف أن لا يقضى الله عنه دينه بغير سبب فكأنه بخل بمال غيره وهو أقبح البخل (ويحكى عن بنان الحمال) انه (قال كنت فى طريق مكة أجئ من مصر ومعى زاد فجاءتنى امرأة) وكانت مكاشفة أدبنى الله بها لزعمى أنى تمكنت فى التوكل وقد حملت الزاد (و) ذلك انها (قالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك) بدونه (قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث) من الايام (لم آكل) فيها شيأ (فوجدت خلخالا) بفتح الخاء (فى الطريق فقلت فى نفسى أحمله حتى يجئ صاحبه فربما يعطينى شيأ فأرده عليه فاذا أنا بتلك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول) فى الخلخال (حتى يجئ صاحبه فآخذ منه شيأ) وادفع له خلخاله ولم لا تدفعه لله فلا تأخذ منه شيأ (ثم رمت الى شيأ من الدراهم وقالت أنفقها) على نفسك (فاكتفيت) اى فأخذتها واكتفيت (بها الى قريب من مكة) وفى نسخة من مصر فادب بنان مع علو رتبته مرتين بالمرة الاولى انكارها عليه حمل الزاد مع زعمه التمكن فى التوكل والثانية قولها له انت تاجر الى آخره واعانتها له على مطالبها بما أعطته له من الدراهم (ويحكى عن بنان) أيضا (انه احتاج الى جارية تخدمه فانبسط الى اخوانه) فى تحصيلها له (فجمعوا له ثمنها وقالوا هو ذا) وحيث (يجئ النفر) الذين يبيعون الجوار (فنشترى) لك منهن (ما يوافقك فلما ورد) عليك (النفر) و (اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال انها ليست للبيع فألحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان وذكرت له هذه القصة) فى ذلك دلالة على أن الله تعالى يعتنى بمن توكل عليه ويقضى له حوائجه وهو لا يشعر وفاء بقوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا الى قوله فهو حسبه

يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (قوله بل اخذ منها الخ) أى كما هو شأن مثله فى النظر الى حاجة الحال دون الاستقبال (قوله كنت عند ممشاذ الخ) محصله ان من استدان فى طاعة يرجو له الوفاء باقداره من الله على الوفاء فى الدنيا أو بارضاء الخصوم عنه فى الآخرة (قوله فما حاسبت بعد ذلك الخ) المراد انه ما شغل نفسه بعد ذلك بطريق الوفاء اعتمادا على ما تكفل به الحق تعالى والا فالواجب على كل مكلف ان يحاسب نفسه على حق غيره ليوفيه عند القدرة عليه وهذا أولى مما أشار له الشارح نفعنا الله ببركات علومه (قوله الاولى غيرهما) أى مع انه يمكن اجراؤه على رأى من يقول ان الجمع ما فوق الواحد (قوله وذلك) أى وجه عدم محاسبته بعد ذلك بقالا ولا قصابا ومحصله أن من عامله متساهل فى حقه لعلمه حاله فلم يكن هذا الدين كغيره لا بتنائه على المساهلة وحينئذ فلو بخل به كأنه بخل بمال غيره كما ذكره الشارح (قوله ويحكى عن بنان الخ) فيه تنبيه على ان الفضل لا يختص بذكر ولا انثى وان الكامل قد يؤدب بغيره سواء كان أعلى أو ادون أو مساويا (قوله ولم لا تدفعه لله الخ) مرادها رضى الله عنها حمله على علو الهمة ليكمل له شرف نفسه حتى يترقى الى درجة قصر الامل عليه تعالى (قوله ومن يتق الله يجعل له مخرجا الخ) يحتمل أنها جملة اعتراضية مسوقة لتأكيد ما سبق من وجوب مراعاة حدود الله بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ما تقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى حينئذ ومن يتق الله فطلق للسنة

فلما علم تعالى حاجة نبيان الى من يخدمه لعجزه وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير أمره ألقى الله في قلب تلك المرأة بسمرقند ارسال هذا الجار به اليه وأعظم فوائد التوكل سلامة المتوكل من نزغات الشيطان فان الله تعالى أخبر عدوه بذلك حيث قال له بعد قوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك الى آخره ان عبادي اي خواص المعتمدين على ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن المخزومي يقول حدثنا أحمد بن محمد بن صالح قال حدثنا محمد بن عبدون قال حدثنا الحسن الخياط قال كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال من أين انتم قالوا نحن من الشام جئنا لنسلم عليك ونريد الحج فقال شكر الله تعالى لكم فقالوا) له

(تخرج معنا فقال) أخرج (بثلاث شرائط) أحدها (لا نحمل معنا شيأ) من الزاد (و) ثانيها (لا نسأل أحدا شيأ و) ثالثها (ان أعطانا أحد شيأ لا نقبله فقالوا) له (اما أن لا نحمل فنعم وأما أن لا نسأل فنعم واما أن لا نقبل ان أعطينا فهذا لا نستطيعه فقال) لهم (خرجتم متوكلين على زاد الحجيج) لانهم اذا رأوكم لا تحملون زادا علموا حاجتكم فاعطوكم (ثم قال) لي بشر (يا حسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لا يأخذ فذاك من جملة الروحانيين) بضم الراء وهو من ارتفعت همتهم عن الخلق وعاشوا بدوام ذكرهم لمولاهم (وفقير لا يسأل وان أعطى قبل فذاك ممن يوضع لهم موائد في حظائر القدس) أي الطهر فقلبه مطهر من التدنس بالاغيار ناظر الى ما يجري به الله عليه بحسن الاختيار (وفقير يسأل) عند الحاجة (وان أعطى قبل قدر الكفاية فكفارته) اي كفارة سؤاله (صدقه) بان لا يسأل حتى يصدق في جوعه واحتياجه في وعلامة صدقه فيهما أن يأخذ ما تندفع به ضرورته في وقته وفيما قاله دليل على اختلاف مقامات المتوكلين (وقيل لحبيب العجمي لم تركت التجارة فقال وجدت الكفيل) برزقي (ثقة) وهو رزق طيب لاشبهة فيه ولا منة وهو مضمون على الله بقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فادام العبد حيا لابد له من رزق اما قوت أو كفاية وقوة كما مر (وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان أكلته مت) جوعا (فوكل الله تعالى به ملكا وقال ان اكله فارزقه) غيره (وان لم يأكله فلا تعطه شيأ) غيره (فلم يزل القرص معه الى ان مات) جوعا (ولم يأكل) شيأ (وبقي عنده القرص) فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل وأقبح

ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الاشهاد وغيره من الامور يجعل له مخرجا مما عساه يقع في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويرزقه من حيث لا يحتسب أي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه ويحتمل ان يكون كلاما جيء به على نهج الاستطراد عند قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجا أوليا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله الخ فما زال يقرؤها ويعيدها وروى ان عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنه سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال صلى الله عليه وسلم اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل غفل عنها العدو فاستاقها وقوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه معناه كافيه في جميع اموره والله اعلم (قوله سلامة المتوكل الخ) اى بسبب تفويض امره الى باريه وتركه تدبير ما يعنيه (قوله الفقراء ثلاثة الخ) اقول الاول مقامه التسليم والثاني التفويض والثالث مطلق التوكل وهي مرتبة في الفضل على هذا الوجه فاعلاها الاول ثم الثاني ثم الثالث (قوله وعاشوا بدوام ذكرهم الخ) اى فقوتهم بالذكر وحياتهم بالشكر (قوله وفقير لا يسأل) اى بسبب عزته باتصافه بمقام التفويض لما يجريه العليم الحكيم (قوله فقلبه مطهر الخ) اى حيث لم يؤمل غير مولاه ولم يتطلع الى ماسواه فلذلك كان جزاؤه من جنس عمله وشرفه من مصدر امله (قوله فكفارته الخ) يشير الى ان مثل هذا من النقص الذي له جابر فهو به بعيد عن نيل هاتيك الحظائر بذوق خبر اليد العليا خير من اليد السفلى والله يختص برحمته من يشاء (قوله وقيل لحبيب العجمي الخ) ليس الغرض من ذلك ذم تعاطي الاسباب بل الاشارة الى ترقي الاحباب بانقطاعهم الى شهود تصاريف رب الارباب فافهم (قوله وقيل كان

الحرص حرص العبد على الشئ حتى لا ينتفع به فى نفسه فضلا عن غيره من المحتاجين اليه كما هنا وفائدة هذه الحكاية ان الحق
تعالى انما ضمن الكفاية للمحتاجين وهذا قد أغناه القرص فاعتمد عليه فقد تسبب فى اهلاك نفسه بحرصه عليه وفيه تنبيه
على ان المتوكل يكون وثوقه بما فى يد الله أوثق مما فى يديه (وقيل من وقع فى ميدان التفويض يزف اليه المراد) أى مراد الله
الذى له فيه صلاح وهو يريد كل ما أراده الله فما أراده الله فهو مراده بتوفيق الله له فيزف اليه (كما تزف العروس الى اهلها والفرق
بين التفويض والتضييع ان التضييع فى حق الله تعالى) بان يترك العبد ما أمره الله به أو يفعل ما نهاه عنه (وذلك مذموم
والتفويض فى حقك) أيها العبد لانه انما يكون فيما لم يامرك الله به ولم ينهك عنه بل أباحه لك وخيرك فيه فلا تعرف مصلحتك
فيه فتضيفها لمن يعرفها (وهو محمود) كما علم (وقال عبد الله بن المبارك من ٦١ أخذ فلسا من حرام فليس بمتوكل) مطلقا لانه
فوت التوكل الواجب والمندوب
(سمعت محمد بن عبد الله الصوفى
رحمه الله يقول سمعت نصر بن أبى
نصر العطار يقول سمعت على بن
محمد المصرى يقول سمعت أبا سعيد
الخراز يقول دخلت البادية مرة
بغير زاد) على عزم التوكل
(فاصابتنى) فيها (فاقة فرأيت
المرحلة) اى القرية (من بعد
فسررت بأنى قد وصلت) اى بقرب
وصولى اليها (ثم أفكرت فى نفسى
أنى سكنت) فيها (واتكلت على
غيره) تعالى فى تحصيل ما أنا محتاج
اليه فكرهت ذلك وعزمت على
مخالفة نفسى (فآليت) اى حلفت
على (أن لا أدخل المرحلة الا أن
أحمل اليها فحفرت لنفسى فى
الرمل حفيرة وواريت جسدى فيها
الى صدرى) حتى أبعد عن الاتكال
على أهل المرحلة (فسمعوا) وهم
فيها (صوتا فى نصف الليل عاليا
يقول يا أهل المرحلة ان لله تعالى وليا حبس نفسه فى هذا الرمل فالحقوه فجاءنى جماعة فأخرجونى وحملونى الى القرية) فقوى بذلك
يقينى وتمكن توكلى على ربى وهذا وأمثاله يفعلون ذلك لتعلم اليقين وهو أن يغلب على القلب ان الحق تعالى على كل شئ قدير
وفيما ذكر دلالة على مراعاة الوفاء بالعهد مع الله فيما عزم عليه العبد من نيل المقامات الرفيعة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى
رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسن المخزومى يقول سمعت ابن المالكى يقول قال أبو حمزة الخراسانى حججت سنة من السنين فبينا
أنا أمشى فى الطريق اذ وقعت فى بئر فنازعتنى نفسى أن أستغيث) باحد (فقلت لا والله لا استغيث فما استتممت هذا الخاطر حتى مر
برأس البئر رجلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) الاولى فأتيا (بقصب وبارية)
وهو ما ينسج من قصب (وطموا) الاولى وطميا وفى نسخة (رأس البئر فهممت أن أصيح ثم قلت فى نفسى أصيح) وفى نسخة

فى الزمن الاول الخ) فيه تنبيه على ان الحذر لا يمنع القدر ومن اعتمد على شئ وكل اليه فالله
تعالى يجعل اعتمادنا فى كل شئ عليه (قوله أوثق مما فى يديه) أقول بل الكمال فى عدم
الوثوق بما فى يد العبيد أصلا بشهود ان الله تعالى يفعل ما يريد (قوله وقيل من وقع فى
ميدان التفويض الخ) أى بواسطة فنائه عن جميع ماله من المرادات تحققا باسباب
السعادات وترقيا الى درجة أرباب العليات فمراده فان فى مراد الحق وهمته عالية فى
طريق الصدق (قوله يزف اليه المراد الخ) أى لان المقدر لا بد من أنه يكون ومع شرف
المقاصد يكون فوق ما تدركه الظنون وفى ذلك اشارة الى راحة سره وهنائه بطرح نفسه فى
أحكام عبوديته (قوله والفرق بين التفويض الخ) الغرض من ذلك افادة ان التفويض
المطلوب فيما اباحه الحق تعالى لعبده من المرادات لا فيما طلبه منه من العبادات
والطاعات ولا فيما نهاه عنه من أسباب الهلكات فترك ذلك بزعم التفويض تضييع
وتعرض للهلاك والذم الفظيع (قوله بل اباحه لك وخيرك فيه) أى مما خفى عنك وجه
المصلحة فيه أخذا أو تركا فحينئذ يلزمك ان ترجع فيه عن مرادك لمراده وعن اختيارك
لاختياره قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة وقال صلى الله عليه وسلم
لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع (قوله لانه فوت التوكل الواجب والمندوب)
اى والاول انما يكون بعد التحقق بالمتابعات والثانى فى المباحات والعادات (قوله يقول
دخلت البادية الخ) أقول فى ذلك اشارة الى ان كمال التوكل لا يكون ما بقى فى القلب
سكون الى ما سواه تعالى بل لا بد فى تحققه من تجريد القلب عن علق السوى بل وعن
السكون الى ذلك التجريد (قوله فسمعوا وهم فيها صوتا الخ) لعل الحكمة اظهار شرف
هذا الاستاذ فى أهل وقته والا فطرق الاسعاف كثيرة (قوله حججت سنة من السنين الخ)

أشكو (الى من هو أقرب) الى (منهما وسكنت) وفى نسخة وسكت (فبينما أنا بعد ساعة اذا أنا بشىء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله) فيها (وكأنه يقول لى تعلق بى فى همهمة) وفى نسخة بهمة (له كنت أعرف ذلك منه) اى فهمت منها أنه يقول تعلق بى (فتعلقت به فأخرجنى فاذا هو سبع) سخره الله لى (فمر) اى جاوزنى (وهتف بى هاتف) فقال (يا أبا حمزة أليس هذا أحسن من نجاتك قبل طم رأس البئر (نجيناك بالتلف من التلف) يعنى بالمتلف اي بالسبع أو بتلف تغطية البئر (فمشيت وأنا أقول نهانى حيائى منك) يا الله (ان أكتم الهوى *) اى الحب (وأغنيتنى بالفهم منك عن الكشف تلطفت فى أمرى ٦٢ فابديت شاهدى *) اى حالى الحاضر (الى غائبى) اى لحالى الغائب عنى (واللطف يدرك باللطف تراءيت لى بالغيب حتى كأنما * تبشرنى فى الغيب أنك فى الكف أراك وبى من هيبتى لك وحشة * فتؤنسنى باللطف منك وبالعطف وتحيى محبا) لك (أنت فى الحب حتفه * وذا عجب كون الحياة مع الحتف) اى الموت فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن اغراض نفسه وهواه والغرض من جملة الابيات أن الله يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكره وكشفه ومن الحكاية السابقة ان المتوكل يرى ان الافعال كلها من الله فانه المحرك له والمسكن وقد كان قادرا على أن يحفظ هذا من الوقعة فى البئر لكنه أوقعه فيها ليظهر تحقق توكله عليه ولهذا لم يصح فى البئر حين سد رأسها مع انه كان متمكنا من ازالة البارية عن رأسها بلا كلفة ان تعين عليه الطلوع (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابا سعدان التاهرتى) بفتح الهاء واسكان الراء معنى) (يقول سمعت حذيفة المرعشى يقول وكان قد خدم ابراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بقينا فى طريق مكة أياما لم نجد طعاما نأكله ثم دخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الى ابراهيم بن ادهم وقال يا حذيفة أرى بك اثر الجوع قلت هو ما رأى الشيخ فقال على) اى جئنى (بدواة وقرطاس فجئت به فكتب) فى القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطى الاسباب وهو (بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى) كما قيل

أقول شاهده قوله جل شأنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية (قوله نجيناك بالتلف من التلف) اى خلصناك بسبب التلف من سبب التلف باعتبار الشان فى كل منهما (قوله نهانى حيائى منك أن اكتم الهوى الخ) المعنى والله أعلم باسرار عباده ان ما أمر به من كتم المحبة للحق لكونها من الاسرار الواجب اخفاؤها على الغير قهره على اظهارها الحياء من الله تعالى بواسطة ترادف نعمه وألطافه الموجبة لزيادة الثناء وقوله واغنيتنى بالفهم منك عن الكشف المعنى انه بازالة حجاب الجهالات عن قلبه باشراق أنوار المعارف الالهية صار غنيا عن كشف العيان كما يشير اليه قول بعضهم لو كشف عنى الحجاب ما ازددت يقينا وقوله تلطفت فى أمرى الخ يريد رضى الله عنه ان الحق تعالى بلطفه به كان توفيقه فى اظهار ثمرات محاسن أعماله على حسب ما دلت عليه متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم فكان ذلك له امارة على ما غاب عنه مما استأثر الله بعلمه من القبول والفوز بالمأمول وهذا وذلك لطف بلطف اذ هو الفاعل لما يريد وقوله تراءيت لى بالغيب الخ معناه انه يعجزه عن الوصول الى حضرة ربه لكونه من غيب الغيب المطلق الذى لا يدرك كنهه عقل ولا يسع التعبير عنه نقل ظهر له الحق ظهورا يبشره به انه باحاطة علمه به يكفيه كل مهماته على وجه السرعة فهو تعالى باحسانه الى عبده كأن ما يحتاج اليه ذلك العبد ويسأله مولاه حاضر فى كفه وقوله اراك ولى من هيبتى الخ معناه انه بما منحه من علم جلال الله تعالى وعظمته لحقه هيبة تؤثر فيه وحشة بسبب سطوات خوفه منه تعالى فيلهم فى هذه الحالة مقام الرجا فى عموم الرحمة الالهية وسبقها مظاهر الغضب فعند ذلك يبدل الله وحشته بمظاهر الخوف انسا بتجلى بسط الرجاء والاحسان وقوله وتحيى محبا الخ معناه أن حياة المحب للحق سبحانه وتعالى فى حتفه اى هلاكه من جهة نفسه فبفنائه عن حظوظها وعن عاداتها ومألوفاتها بشاهد المتابعات والمجاهدات تكون حياته فكانت حياة النفس ووجودها بفنائها ولذلك قال * وذا عجب كون الحياة مع الحتف * تأمل المقام وعلى عليك السلام لا يكلف الله نفسا الا وسعها (قوله ليظهر تحقق توكله) أى فهو من عناية ربه به رضى الله تعالى عنه (قوله أنت المقصود بكل حال والمشار اليه بكل

وظنوني مدحتهم جميعا * وأنت بما مدحتهم مرادي (أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر) هذه مما أمر العبد بها (أنا جائع أنا نائع) اى عطشان (أنا عاري) هذه اى اضدادها مما يفتقر اليها العبد فيأتيه الله بها ٦٣ (هي) اى الامور المذكورة (ستة وأنا الضمين لنصفها *) الاول بامرك (فكن أنت (الضمين لنصفها) الثاني (يا باري) اى قريبا من المحسنين بمعنى كن مستمرا على ذلك والا فهو تعالى قد ضمن لهم ذلك واقسم عليه بقوله فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون وقوله ومامن دابة في الارض الا على الله رزقها فمعنى البيت انا نعلت ما أمرتني به فتفضل على بما ضمنته (مدحي لغيرك) يا الله كأنه (لهب) وفي نسخة وهج (نار خضتها * فأجر عبيدك من دخول النار) اى من مدح غيرك (ثم دفع الى) ابراهيم (الرقعة) المكتوبة (وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة الى أول من يلقاك) فلا يكون لك اختيار في شخص دون آخر (قال فخرجت فأول من لقيني رجل كان على بغلة فاخذ مني الرقعة و بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقعة فقلت في المسجد الفلاني فدفع الى) البشرى (صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا آخر فقلت له من صاحب هذه البغلة فقال لي هو نصراني فجئت الى ابراهيم بن ادهم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها) اى الصرة (فانه يجيء الساعة فلما كان بعد ساعة وافى النصراني) بالمجيء (واكب على رأس ابراهيم بن أدهم وأسلم) ببركة وقوفه على الرقعة التي كتبها ابراهيم وأرسلها والله أعلم

(باب الشكر)

معنى) يريد رضي الله تعالى عنه ان العبد على اختلاف أحواله بتقلبه في مظاهر الآثار تارة بعبارات وأخرى باشارات مرجع عباراته ومركز اشاراته ذات بارئه تعالى وقوفا مع ظواهر المتابعات وعملا بواجب الاحكام الشرعيات فهي وان ظنها القاصر رجوعا الى الآثار المقصود منها نور الانوار المتجلي بجلاله وجماله على أعين بصائر الاستبصار (قوله وظنوني مدحتهم الخ) معناه ان من وقف مع الظواهر ولم يترق الى طهارة السرائر يظن ان ثناءه غيره على الخلق غفلة عن الاله الحق وما درى أنه لمظاهر الاسماء والصفات فهو في الحقيقة راجع الى عين الذات فافهم (قوله وانا الضمين الخ) اى الضمين بواسطة اقدار الله اياي وتوفيقي للامتثال (قوله فكن أنت) اى بطريق الفضل والاحسان (قوله والا فهو تعالى الخ) اى ففائدة الدعاء حينئذ الامتثال والتعبد لقوله تعالى ادعوني أستجب لكم (قوله فورب السماء والارض انه لحق) الضمير عائد على ما في قوله وما توعدون اى من الثواب لان الجنة في السماء السابعة ولان الاعمال مكتوبة ومقدرة فيها وثواب الاعمال كذلك أو عائد على ما ذكر من أمر الآيات والرزق على انه مستعار لاسم الاشارة وقوله مثل ما أنكم تنطقون اى فكما انه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي ان لا تشكوا في حقيته (قوله مدحي لغيرك الخ) المراد الغير باعتبار ذاته وقطع النظر عن موجده والا اذا كان من حيث انه اثر للحق تعالى ومدحه بالطريق الصدق فلا ضرر فيه حينئذ والله اعلم * (خاتمة) * نسأل الله حسنها اعلم وفقني الله واياك انه اذا وصلك مولاك بفضله الى درجة المتوكلين ورزقك باحسانه الاعتماد عليه فيما تحتاج اليه في امر الدنيا والدين وبجسست في اوقاتك على جميل صنعه بك في كل حين استراحت نفسك من هم التدبير وعذاب التقدير فيما لم يامرك به ربك ولا ندبك اليه العليم الحكيم ولاحت لقلبك لوائح الرضا والتسليم وشممت نسيم التفويض لامره اطيب نسيم وقذفك مقام التوكل على ساحل كرم ربك وحسن الاعتماد على ما يجريه عليك من عنده أو بواسطة العباد فعليك بحقيقة التوكل ومقام الشكر لتنال بذلك أعلى مقام الذكر فتكون دائما مع اخوانك المتقين وتجلس على موائد الحبو بين المحبين فالله لا يحرمنا واياك متابعة سيد المرسلين آمين يارب العالمين

(باب الشكر)

أقول الشكر عند المحققين هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى ذلك يكون وصف الحق به من باب التوسع والمجاز على معنى انه المجازي عليه وسمى جزاء الشكر شكرا كما سمى جزاء السيئة سيئة وجزاء الاعتداء اعتداء وقيل شكر الحق تعالى هو اعطاؤه الكثير من الثواب على القليل من العمل وقيل الشكر هو الثناء على المحسن بذكر احسانه وعليه فلا اشكال لانه تعالى اثنى على عبيده الطائعين بذكر طاعتهم وهي من قبيل

*وفعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم عن الشاكر أو غيره ويقال هو الثناء على المنعم بانعامه ويكون بالقلب واللسان والاركان كما سيأتي مع زيادة وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم) اى توفيقا ونعما فمزيد شكركم على ذلك وقال اعملوا آل داود شكرا وقال اشكر لي ولوالديك وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له (وحدثنا أبو الحسن على بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أبو الحسن الصفار قال حدثنا الاسقاطي قال حدثنا منجاب قال حدثنا يحيى بن يعلى عن أبي خباب عن عطاء قال دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقلت) وفي نسخة فقال لها عبيد بن عمير (أخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وقالت واى) شئ من (شأنه لم يكن عجبا) بمعنى أعجب فان كلا من شؤنه اذا علمت به قلت انه أعجب من غيره (انه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي أو قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي ثم قال يا بنت أبي بكر ذريني) اى اتركيني (أتعبد لربي قالت قلت اني أحب قربك) منى ثم وافقته في مطلوبه (فأذنت له) نفسه (فقام الى قربة من ماء فتوضأ) منه (فاكثر صب الماء) على اعضائه فأحسن وضوءه

الاحسان والعبد يسمى شكورا الثناء على الله تعالى بذكر نعمه التي هي من أعظم أنواع الاحسان *واعلم ان الشكر من منازل الاكابر ومن صفات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يستدعي المزيد وقد أمر به الحق تعالى حيث قال فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون وفي الحديث أفلا أكون عبدا شكورا فهو واجب على كل نعمة من حركة أو سكون أو غذاء أو مطعم أو مشرب أو لباس أو فراش أو صحة أو مرض اذ كل ذلك من النعم وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فاستعمل الجد في الشكر ولا تغفل عن واجب حق الله عليك في جميع الانفاس والحركات والسكنات والخطرات والارادات ظاهرا وباطنا على الدوام والاستمرار اذ في كل زمن تتجدد عليك النعم فيه وتتوارد عليك الالطاف مع زيادات يعجز عنها الادراك وتقف العقول (قوله هو فعل ينبئ الخ) أقول وسيأتي انه رؤية المنعم لا رؤية النعم قلت ويؤيده ان أيوب عليه السلام صبر على البلاء فقيل له نعم العبد وسليمان عليه السلام شكر على النعم فقيل له نعم العبد وذلك لاتفاقهما في المقام بعدم الالتفات الى النعمة والنقمة لفقدان اللذة والالم باعتبار كمال المحو وانسلاب صفات البشرية عنهما انسلابا انقلب معه الصبر شكرا والشكر صبرا لعدم التمييز بينهما فكانا كما قيل

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(قوله هو فعل ينبئ الخ) هذا تعريف للشكر اللغوي اما هو عرفا واصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق من أجله كما لا يخفى (قوله لئن شكرتم لازيدنكم) الخطاب لبني اسرائيل والعبرة بعموم اللفظ والمعنى لئن شكرتم ما خولناكم من نعمة الانجاء واهلاك العدو وغير ذلك من النعم الفائتة عن الحصر وقابلتموه بالايمان والطاعة لازيدنكم نعمة الى نعمة ولئن كفرتم ان عذابي لشديد اى وكفران ذلك غمصه واعلم أن من عادة الكرام التصريح بالوعد والتعريض بالوعيد فما ظنك باكرم الاكرمين ويحتمل في معنى الآية الكريمة غير ذلك (قوله وقال اعملوا آل داود الخ) كرر الآيات لغرض تأكيد الطلب فافهم والله أعلم (قوله اعملوا آل داود شكرا) حكاية لما قيل لهم وشكرا نصب على انه مفعول له أو مصدر لاعملوا لان العمل للمنعم شكر له أو لفعله المحذوف اى اشكروا شكرا أو حال اى شاكرين أو مفعول به اى اعملوا اشكرا وقوله وقليل من عبادي الشكور اى المتوفر على اداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته ومع ذلك لا يوفي حقه لان التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكرا آخر لا الى نهاية ولذا قيل الشكور من يرى عجزه عن الشكر وقوله وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم تكميلا للنعمة وتذكيرا لحقوقها أو لما نطق به لسان الحال أو بيان لكونهم أحقاء ان يقال لهم ذلك (قوله فبكت الخ) اى بكت حزنا على مفارقته تلك الانوار ومشاهدة نور الابصار وقالت واى شئ من شأنه الخ ووجهه انه مع تحقق ما ثبت له من

الكرامات والكمالات وماوعده به من أرفع المقامات لم يسلك في عمره طريق الراحات ولم يختر لنفسه الكريمة خلاف الرياضات والمجاهدات اذ الكامل قابل للكمال والحق تعالى دائم الاحسان والافضال فعلى العاقل ان يقتدي بسيد الكمل ولا يقصد الا ماعليه المعول والله أعلم (قوله ثم قام يصلي فبكى الخ) يحتمل ان بكاءه صلى الله عليه وسلم لكونه في مثل هذا الوقت قد تجلى له الحق تعالى بسطوات الجبروت والعظمة فاستولى على نفسه مقام الخوف والهيبة ويحتمل انه تجلى الله عليه بمشهد الجمال والاحسان فاشرف بذلك على التقصير على حسب علو همته كما يشير اليه خبر سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ويدل لما ذكرناه قوله صلى الله عليه وسلم ولم لا أفعل الخ تأمل (قوله ثم قام يصلي فبكى الخ) أقول انما وقع له ذلك في الصلاة لانها طهرة للقلوب واستفتاح للغيوب ومحل المناجاة ومعدن المصافاة تتسع فيها ميادين الاسرار وتشرق فيها شوارق الانوار بافاضة دقائق العلوم ورقائق المعارف فيجد المصلي في كل سورة معنى بل من كل آية بل من كل حرف ويتجدد ذلك عليه على حسب القبض والقصد والهمة فهي الجامعة للاشارات واللطائف والدقائق والرقائق فيسري ذلك من القلب الى سائر الجوارح والقوالب فيظهر عليها سمت الباطن ونور العمل وأسراره حتى لقد قيل من كثرت صلاته في الليل حسن وجهه في النهار وقال الشيخ الترمذي دعا الله الموحدين الى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم وهيأ لهم ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيأ من عطاياه فالافعال كالاطعمة والاقوال كالاشربة هي عرس الموحدين الى آخر ما قال نفعنا الله ببركات علومه (قوله ولم لا أفعل) أي لا ينبغي عدم بكائي وقد أنزل الله علي ان في خلق السموات والارض الآية قال أبو السعود المفسر جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر والقدرة التامة مصدرة بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها أي في انشاء السموات على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الامور التي يحار في فهم اجلاها العقول والارض على ما هي عليه ذاتا وصفة واختلاف الليل والنهار أي في تعاقبهما في وجه الارض وكون كل منهما خلفة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات وسكون الارض أي في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة الينا قربا وبعدا بحسب الازمنة وباختلافهما وتفاوتهما بحسب الامكنة فان البلاد القريبة من القطب الشمالي أيامها الصيفية أطول ولياليها الصيفية اقصر من الايام البعيدة منه ولياليها وذلك باعتبار الطول والقصر وباعتبار نفسها فان كرية الارض تقتضي أن تكون بعض الاوقات في بعض الاماكن ليلا وفي مقابله نهارا وفي بعضها صباحا وفي بعضها ظهرا أو عصرا أو غير ذلك والليل قيل انه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كانهم توهموا انها ليلاة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس

(ثم قام يصلي فبكى) وهو قائم (حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى) وهو راكع (ثم سجد فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه) بالمد أي أعلمه (بالصلاة فقلت له يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ولم لا أفعل) اي ابكي (وقد أنزل الله علي ان في خلق السموات والارض الآية) وحقيقة الشكر عند أهل التحقيق

الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) أي الاستكانة والتذلل وهذا سبب للشكر لا نفسه لما مر (وعلى هذا القول يوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسعا) وفي نسخة فوصف الحق سبحانه بأنه شكور توسع (لا حقيقة) لانتفاء ما ذكر في حقه (ومعناه) في حقه (انه يجازي العباد على الشكر) أي يثيبهم عليه (فسمى جزاء الشكر شكرا كما قال تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها) اذ مجازاته تعالى حق لا سيئة واما على ما مر فالله تعالى شكور بمعنى انه يثني على عباده الصالحين كما سيأتي وان كان اصل الكل منه تعالى لغنى كمال فضله انه يبتدئ بالاحسان ويثني على فاعله (وقيل شكره تعالى اعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم دابة شكور اذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف) قال الجوهري رحمه الله الشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل (ويحتمل أن يقال حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه اليه فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر احسانه) أي طاعته (له) تعالى كما بين ذلك بقوله (ثم ان احسان العبد) لله (طاعته لله سبحانه واحسان الحق سبحانه) للعبد (انعامه على العبد بالتوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة انما هو نطق اللسان) وفي نسخة القلب وفي أخرى العبد (واقرار القلب بانعام الرب تعالى) وخضوع بالاركان (والشكر) من حيث هو (ينقسم الى) ثلاثة اقسام (شكر باللسان وهو اعترافه بالنعمة بنعت الاستكانة) والخضوع (وشكر بالبدن والاركان وهو اتصاف) العبد (بالوفاء والخدمة) للمشكور (وشكر رحمه بالقلب وهو اعتكاف) منه (على بساط الشهود) أي حضور الفضل ورؤيته (بادامة حفظ الحرمة) وحقيقة الشكر

قاله الراغب وتقديم الليل على النهار اما لانه الاصل فان غرر الشهور تظهر في الليالي واما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبئ عنه قوله تعالى وآية لهم الليل نسلخ منه النهار أي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم ان دخلته اللام لتأخره عن خبرها والتنكير للتفخيم كما وكيفا اي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها دالة على تعاجيب شؤنه التي من جملتها الاختصاص بالملك العظيم والقدرة التامة لاولي الالباب لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق واحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الانفس والآفاق الناظرين الى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكره غير ملتفتين الى شئ سواه الا من حيث انه مرآة لمشاهدة جماله وآلة لملاحظة صفات كماله فان كل ما ظهر من مظاهر الابداع وحضر من محاضر التكوين والاختراع سبيل الى عالم التوحيد ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته فهل من سامع واع ومخبر بانباء علمه وحكمته فهل من داع يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم يحاور تارة بأحسن عبارة ويلوح أخرى بألطف اشارة مراعيا في الجواب ابهامهم وتقريبهم وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فتأمل في هذه الشؤن والاسرار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار اهـ مع بعض تصرف (قوله الاعتراف بنعمة المنعم الخ) أي وعلى ذلك فنسبة الشكر له تعالى مجازية كما صرح به الشارح (قوله فسمى جزاء الشكر شكرا) أي من اطلاق اسم السبب الشرعي على المسبب كما هو ظاهر (قوله وأما على ما مر) أي من انه يطلق على الثناء على المنعم بانعامه فالله تعالى شكور حقيقة بمعنى انه يثني على عباده الصالحين (قوله وان كان اصل الكل منه تعالى) أي بدليل قوله سبحانه وتعالى والله خلقكم وما تعملون وقوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى فافهم (قوله طاعته لله سبحانه) أي مع الاخلاص فيها له تعالى حتى تقابل بجزائه عليها ولا يتم ذلك الا بالصدق فيها وهو لا يكون الا بالتبري من الحول والقوة بشهود المنة له تعالى بالتوفيق ومع ذلك كله لا يحسن للعبد طلب جزائه لنفسه اذ الامر منه واليه (قوله شكر باللسان الخ) وهو لغوي لا غير وقوله وشكر بالبدن هو لغوي واصطلاحي باعتبار شمول الجوارح للظاهرة والباطنة (قوله وهو اعتكاف على بساط الشهود) أي بشرط قوة الرجاء في القبول مع الدوام على مقام التحفظ ومشهد الاحترام والقيام بحقيقة المتابعة من غير تشوف الى عطاء ومنع قال خير النساج

انما تحصل بالثلاثة عند الامكان (ويقال) الشكر بالنسبة الى مقامات الصالحين ثلاثة (شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم) لانهم لا علم عندهم الا بالشكر باللسان فشكرهم انما يكون بالنطق به (وشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من أعمالهم) اى طاعتهم (وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم احوالهم) وهؤلاء انتقلوا عن اعمال الجوارح الى احوال القلوب (وقال ابو بكر الوراق شكر النعمة مشاهدة المنة) اى معرفتها (وحفظ الحرمة) اى معرفة قدرها ومنزلتها وهذا سبب للشكر لا نفسه (وقال حمدون القصار شكر النعمة ان ترى نفسك فيه طفيليا) بأن تضيف النعمة الى فاعلها وتتبرأ من اضافتها اليك وهذا قد يرجع الى الاعتراف بالنعمة واضافتها للمنعم (وقال الجنيد رحمه الله الشكر) اى من غالب الناس (فيه علة لانه) اى الشاكر (طالب لنفسه المزيد) المذكور في قوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (فهو واقف مع الله سبحانه على حظ نفسه) من طلب الزيادة (وقال ابو عثمان الشكر معرفة العجز عن الشكر) لان من رأى شكره نعمة عليه أمره بالشكر عليها وشكره الثانى نعمة فيؤمر بالشكر عليها وهكذا فيتسلسل او يقطعه عن الشكر الموت فيعجز عنه بكل حال وهذا نحو قول الصديق رضى الله عنه العجز عن درك الادراك ادراك (ويقال الشكر على الشكر أتم من الشكر) المطلق لتكرره بلا نهاية (وذلك بان ترى شكرك بتوفيقه تعالى ويكون ذلك التوفيق من اجل) اى أعظم (النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر الى ما لا يتناهى) ولا قدرة لك عليه (وقيل الشكر اضافة النعم الى موليها بنعت الاستكانة) والخضوع له

رحمه الله ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك فاطلب ميراث فضله وكرمه فهو أولى بك فافهم (قوله انما تحصل الخ) اى فيكون حينئذ من الشكر الاصطلاحى بشاهد علم الشريعة المحمدية (قوله ويقال الخ) اذا تأملت تجده يرجع لما قبله بل ما قبله اتم واظهر واكمل (قوله بالنسبة الى مقامات الخ) اقول اذا عرفت معنى الصالح من انه القائم بحق الحق وحق الخلق تعلم ما فى الشارح من النظر فتدبره (قوله باستقامتهم الخ) اى فهم يتشوفون الى السلامة فقط لان العبد من حيث هو اعماله مدخولة واحواله معلولة فهو صاحب ريبة ومن كان كذلك فرأس ماله غنيمة السلامة من عقوبة ما هو عليه فى عمله فضلا عن غيره

شعر وقائلة مالى أراك مجانبا * أمورا وفيها للتجارة مربح
فقلت لها مالى بربحك حاجة * فنحن أناس بالسلامة نفرح

(قوله مشاهدة المنة) أى بالتفضل والاحسان منه تعالى اذ لا يستحق العبد شيأ مع مالكه المطلق فحينئذ لا ينبغى له أن يطلب جزاء على عمله حيث لا عمل له فى الحقيقة ولهذا قال صاحب الحكم العطائية اذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق لك القدرة ونسبه اليك وقال لا نهاية لمذامك ان أرجعك اليك لا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك قلت لانك أنت من حيث أنت محل كل نقص وريبة ومن حيث فضله محل كل خير وافضال حدث عن البحر فى الوجهين ولا حرج (قوله ان ترى نفسك فيه طفيليا) أى بواسطة علمك أن لا استحقاق لك ولا مقابل للنعمة من جهتك بل النعمة بمحض احسان الله عليك لا غير (قوله فيه علة الخ) أى والكمال فى ايقاع الشكر لوجه الذات العلية من غير اشراف النفس على شئ فى مقابلة ذلك الشكر (قوله وهذا نحو قول الصديق الخ) أى ونقل عنه أيضا قوله سبحان من لم يجعل سبيلا الى معرفته الا العجز عن معرفته وحينئذ لا يتأتى للعبد ايقاع عبادته على الوجه الذى يليق به تعالى (قوله العجز عن درك الخ) أى فدليل صحة علم الانسان مع الجد فى العمل اعترافه بالعجز عن ادراك كنه الذات العلية فيكون علمها عنده بمظاهر الاسماء والصفات لا غير والله أعلم (قوله ويقال الشكر على الشكر أتم الخ) أقول ويؤيده ان الحمد المقيد أفضل من الحمد المطلق لانه يثاب على الاول ثواب الواجب بخلاف الثانى فانه يثاب عليه ثواب المندوب ولهذا المعنى أشار صاحب الحكم حيث قال كن بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا وأوصاف الربوبية أربعة الغنى والعز والقدرة والقوة والتعلق بها الاعتماد عليها وأوصاف العبودية أربعة الفقر والذلة والعجز والضعف والتحقق بها ان تراها لازمة لك ويختلف الحال باختلاف التعلق والتحقق فالاول موقف الادب والتعظيم والثانى موطن البسط والتكريم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم ألفا من صاع وشد على بطنه حجرا من الجوع (قوله أتم من الشكر المطلق الخ) أقول لعل وجهه ما يؤدى اليه من العجز المحقق لحقيقة العبودية التى هى من

هذا يرجع الى انه الاعتراف بنعمة المنعم مع التذلل وتقدم انه ليس بشكر (وقال الجنيد الشكر أن لاترى نفسك أهلا للنعمة) لان من لم ير ذلك ورأى أن النعمة فضل من الله استحيا من الله أن يكون شكره جزاء عليها الا انه اذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج الى شكره فهو يتبرأ من أن يكون شاكرا أبدا ٦٨ (وقال رويم الشكر) أى كماله (استفراغ الطاقة) فيه (وقيل الشاكر هو (الذي يشكر على الموجود والشكور) هو (الذي يشكر على المفقود ويقال الشاكر) هو (الذي يشكر على الرفد) اى العطاء لكونه لايعرف نعمة سواه (والشكور) هو (الذي يشكر على الرد ويقال الشاكر الذي يشكر على النفع والشكور الذي يشكر على المنع ويقال الشاكر الذي يشكر على العطاء والشكور الذي يشكر على البلاء ويقال الشاكر الذي يشكر عند البذل والشكور الذي يشكر عند المطل) وكلها متقاربة وسمى الاول فى كل منها شاكرا لكونه لايعرف نعمة سوى العطاء والثانى شكورا لانه رأى زيادة على ذلك حيث رأى البلاء والمنع والمطل نعما لكونها مختارة لله العالم بمصالحه (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدى السرى) السقطى (ألعب وأنا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون فى الشكر فقال لى يا غلام ما الشكر فقلت أن لاتعصى الله بنعمه) هذا ببركة دعاء السرى له ان يسدده الله (فقال يوشك أن يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد رحمه الله فلا ازال أبكى على هذه الكلمة التى قالها السرى) عذابى خوفا من ان لايكون لى من الله حظ الا تسديد لسانى (وقال الشبلى الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) بأن يكون السابق منهما الى القلب رؤية المنعم كما قال بعضهم ما رأيت شيأ حتى رأيت الله قبله اى الغالب على قلبه رؤية الله ومراقبته

أفضل رداآت الانسان واكمل حلية يتحلى بها (قوله هذا يرجع الخ) أى والكمال فى شهود المنعم قبل النعم وذلك من شيم الخواص والله أعلم (قوله أن لاترى نفسك أهلا للنعمة الخ) اى فيلزم أن تدوم على حفظ الحرمة وملازمة الادب وهو يرجع لثلاث اقامة الفرائض واتباع السنن ومجاملة الخلق كما قال عليه الصلاة والسلام اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذه الاصول من تركها حرم الوصول (قوله ان لاترى نفسك الخ) ومنه يعلم انه لايصح للانسان دعوى فيها حيث هى اى النعمة بالنسبة له من العوارى المملوكة لغيره وليس من الشرع ولا العقل ولا المروأة ادعاء ماليس للانسان اذ العوارى مستردة ومؤداة والمجاز مرفوع بالحقيقة فحينئذ عليه ان يلزم التذلل والافتقار فى جميع الاحوال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أحد أغير من الله الحديث والغيرة فى حقه تعالى منع ماهو له من وصف أو حق أن يكون لغيره وقد قال عليه الصلاة والسلام يقول الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قذفته فى نارى (قوله استفراغ الطاقة فيه) أى بان يصرف جميع ما انعم الله به عليه من القوى الظاهرة والباطنة فى عبادة ربه على طريق متابعة سيد الكاملين صلى الله عليه وسلم (قوله هو الذى يشكر على المفقود) أى بسبب فناء مراده فى مراد ربه وهذا المعنى قريب مما قبله ان لم يكن عينه (قوله هو الذى يشكر على المفقود) اى ويؤثر بالموجود فهو حينئذ مندرج اندراجا أوليا فيمن أثنى عليهم الحق بقوله يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله والشكور الذى يشكر على البلاء) اقول وله مقامات الاول يكون بالاشراف على ما يترتب على ذلك من الفضل ونيل الدرجات والثانى وهو الاكمل يكون بشهود المبلى فى البلاء والمعذب فى العذاب (قوله فقال يوشك ان يكون الخ) اقول لعله يقصد هضم نفس الجنيد خوفا من وقوفه مع حلاوة النطق ونشر الحكم فهو حث له على التعلق باوصاف الحق ظاهرا وباطنا والتحقق بنعوته قولا وفعلا لان الجزاء من جنس العمل ولذا قيل لبعض المختصين بم أدركت ما أدركت قال وحدته بأفضل التوحيد وخدمته خدمة العبيد واطعته فيما امرنى ونهانى فكلما سألته أعطانى وفى الاشارة عن الله تعالى عبدى انا الذى اقول للشئ كن فيكون فاطعنى اجعلك تقول للشئ كن فيكون (قوله رؤية المنعم) اى وذلك اعلى المقام فى الشكر لان من هذا نعته برضا محبوبه يطيب وقته وبغير هذا يتناهى مقته فلو علم رضاه ولو بكونه فى الجحيم كان ذلك عنده هو النعيم المقيم والنعيم مع السخط هو العذاب الاليم .

فاى شئ حدث فيه يكون مذكراله رؤية الله فانه ذاكرله غير غافل عنه وهذا أكمل من قول بعضهم مارأيت شيأ حتى رأيت الله معه لان مفاده ان رؤية النعم مذكرة للمنعم معها فيذكر المنعم مع ذكر النعمة (وقيل الشكر قيد الموجود) اى حفظه (وصيد المفقود) الممكن الموعود به من الزيادة فى قوله لئن شكرتم لأزيدنكم من توفيق وطاعتى وهذا من ثمرات الشكر لانفسه (وقال ابو عثمان شكر العامة) يكون (على المطعم والملبس) ونحوهما من النعم الظاهرة كنعمة الاسلام والعافية وتيسير الرزق والنيل والمطر (وشكر الخواص) يكون (على ما يرد على قلوبهم من المعانى) التى يعرفها الفقهاء ٦٩ والاولياء كمعرفة الاحكام وكصرف الغفلات عن القلوب بالورع والزهد وغيرهما وأعلاها معرفة الاولياء (وقيل قال داود عليه السلام الهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك) توجب شكرا فأنا عاجز عن شكرك (فأوحى الله اليه الآن قد شكرتنى وقيل قال موسى عليه السلام فى مناجاته) ربه (الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال) قد (علم ان ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكره لى) حاصل كلامهما عليهما السلام ان الله أعلمهما ان معرفتهما بالعجز عن شكر نعمته عليهما غاية فى شكره (وقيل كان لبعضهم صديق) فابتلى بكذب عليه او بغيره (فحبسه السلطان فأرسل اليه) اى الى صاحبه بذلك (فقال له صاحبه) أى كتب اليه (اشكر الله تعالى) فان هذه نعمة ساقها الله اليك لك فيها اجر (فضرب الرجل فكتب اليه) اى الى صاحبه (فقال) اى فكتب اليه (اشكر الله تعالى فجئ) اليه فى الحبس (بمجوسى مبطون وقيد وجعلت) وفى نسخة وجعل (حلقة من قيده على) بمعنى فى (رجل هذا وحلقة) من رجل هذا (على) بمعنى فى (رجل المجوسى) بحيث لايمشى أحدهما الا بمشى الآخر (فكان يقوم المجوسى) بسبب بطنه لبيت الخلاء (بالليل مرات وهذا) الصديق (يحتاج أن يقوم) معه ويقف (على رأسه حتى يفرغ) من قضاء حاجته ثم يرجعا الى مكانهما (فكتب الى صاحبه) بذلك (فقال) أى فكتب اليه صاحبه (اشكر الله فقال) اى فكتب اليه (الى متى تقول) اشكر الله (وأى بلاء فوق هذا) البلاء (فقال له) اى فكتب اليه صاحبه (لو وضع الزنار)

عذابى فيك يحلو لى * ومر الصبر احلى لى

(قوله فأى شئ حدث فيه الخ) محصله ان الواردات اذا وردت على القلب تكون مذكرة له رؤية الله على وجه جزئى وذلك لا ينافى انه ذاكر له على وجه كلى غير غافل عنه فلا يقال ان فى كلامه تدافعا (قوله وهذا أكمل من قول بعضهم الخ) اى لان فيه الغفلة عن النفس ومالها من الحظ فى ذات الحق سبحانه وتعالى (قوله قيد الموجود الخ) اى وذلك لا يكون الا بالرجوع الى الله فيه بلا علة والوقوف بين يديه بنعت المسكنة شعر

ادب العبد تذلل * والعبد لايدع الادب
فاذا تكامل ذله * نال المودة واقترب

(قوله يكون على المطعم الخ) اى وذلك لبقاء نفوسهم بكامل حظوظها (قوله كنعمة الاسلام) انما كانت من الحظوظ لان مرجعها محبة تحسين الظاهر والكامل هو من لم يعول الا على حسن السرائر (قوله كمعرفة الاحكام الخ) لف ونشر مرتب (قوله فقال قد علم الخ) افاد ان جماع كل خير شهود الرب بوصفه ووقوف العبد عند حده اذ من لوازم ذلك الاعراض عن الكل والاقبال على الحق تعالى بالكل (قوله فقال له لو وضع الزنار الخ) اى فالنعمة العظمى انه رزقك الطاعة وأهلك الغنى به عنها والقيام بحق العبودية افضل الطاعات فقد قيل النعمة العظمى الخروج من سجن النفس الى فضاء شهود المنة وقيل النعمة ما وصلك بالحقائق وقطعك عن الخلائق وقيل النعمة ما اسلاك عن دنياك وادناك من مولاك وقيل النعمة ما لا توجب ندما ولا تعقب الما والحاصل انه مادام الانسان على توفيقه واستمر على تحقيقه فهو منغمر فى اعظم النعم وان تقطع جسمه اربا ولاقى فى كل اوقاته وصبا فافهم (قوله لو وضع الزنار الخ) المراد الحث على الرضا بما قدره الحق والصبر على ما قضاه وامضاه حيث هو الفاعل المختار وهو العالم بالمصالح والقادر على ايصالها للعبد فحق العبودية التخلى عن كل شئ الا عنه والتحلى بما يرضيه عنه والدوام على ذلك حتى يلقاه بلا فترة ولا تقصير ويعبر عن ذلك بعبارات طاعة الله تعالى والفناء به عنها والصدق فى العبودية والقيام بحقوق الربوبية وامتثال أمر مولاه الاسلام

بضم الزاي (الذي في وسطه) وهو علامة الشرك (في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجله ...
على انه ما من بلاء الا وفوقه ما هو أعظم منه من بلايا الدين والدنيا وعلى ان ذلك كله بقضاء الله وقدره وقد سلمك الله من بلاء الشرك فاشكر الله تعالى على ذلك وهكذا يداوي الانسان نفسه ويتدرج في معرفة النعم ليعظم شكره ويثبت بكونه شكورا فيعرف نعم الدنيا والدين ثم ينتقل الى البلايا فيعرف انها نعمة باعتبار الاجر عليها او اختيار المولى لها بحسب درجة المبتلى وقد يستبعد ذلك ولا استبعاد عند التأمل فان المريض يفرح بالدواء الكريه لما يرجوه به من العافية ويرى تيسير حصوله من النعم عليه والصانع الذي يتعاطى الاعمال الشاقة كالبناء يفرح بتيسيرها وان كانت شاقة لما يرجوه بها من الاجرة فقد صار الشاق لذيذا لما يترتب عليه (وقيل دخل رجل على سهل بن عبد الله فقال له ان اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال له) على وجه التذكير له بما فوق ذلك من البلايا (اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد عليك (التوحيد ماذا كنت تصنع) عرفه بذلك نعمة الله عليه فيما صرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه فان بلاء الآخرة اشد من بلاء الدنيا (وقيل شكر العينين أن تستر عيبا تراه بصاحبك وشكر الاذنين أن تستر عيبا تسمعه فيه) تقدم ان الشكر يكون بالقلب واللسان وبالافعال وانه بالافعال الطاعات وهذا بيان شكر الافعال بأن يشكر الله على نعمة البصر فيطيعه به وكذلك نعمة السمع وبقية الاركان (وقيل الشكر التلذذ) من العبد (بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه) تعالى له فيه اشارة الى حقيقة الشكر بالحال ... العبد وهو زيادة على ما مر من أقسام الشكر فان العبد اذا اعترف بالنعمة للمنعم وأثنى عليه بها كان شاكرا وان لم يلتذ بها حتى تلذذ بالثناء زيادة على محبته وفي محبة العظيم للمثني عليه وهذا شكر المحبين العارفين (سمعت السلمي يقول سمعت محمد بن الحسين رحمه الله

الهوه وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يسأل الخلق عن ذاته ولا عن صفاته ولا عن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه فاطلب ربك من حيث يطالبك فافهم (قوله لو وضع الزنار الخ) اي بمقتضى قابلية الطبع من النقص الذاتي اذ الكمال عرض من تجلي نعت الجمال (قوله وعلى ان ذلك كله بقضاء الله وقدره) أي الكائن بالحكمة على طريق الابتلاء والامتحان ليكرم العبد اذ صبر او يهان عند الهيمان قال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون (قوله وقيل دخل رجل الخ) هو قريب مما قبله وقوله لو دخل اللص قلبك الخ أي من جهة انك عرضة لطوارق القضاء والقدر (قوله ان تستر عيبا الخ) أقول وقل أن يخلو أحد من عيب فانت أيها الناظر لذلك العيب احمد الله في حال طاعتك له انه وجه منك الى حاله اذا عصيته لان الشأن والغالب مصاحبة العلل للطاعات وعدم التحفظ فيها واولها الاحترام مع الغفلة عن كل ذلك والكلام مع المريدين المبتدئين والا فالكامل لا يرى خلاف الكمال بشهادة خبر المؤمن مرآة المؤمن وقد أوحى الله الى نبي من انبيائه قل لعبادي الصديقين لا تغتروا فاني ان اقم عدلي وقسطي اعذبهم غير ظالم لهم وقل لعبادي المؤمنين لا تقنطوا فانه لا يكبر علي ذنب اغفره لهم ولا تدري ايها الناظر من اي الفريقين انت ومع ذلك ثم اعلم ان الستر من عيوب النفس مما تميل اليه الطباع الا انه يختلف فمن العامة من يطلبه خشية سقوطه من نظر الخلق ومن الخاصة من يطلبه خشية سقوطه من نظر الحق فكان رجوع الفرقة الاولى حجة عليهم لا لهم ورجوع الثانية من تحقيق ايمانهم ثم هم فيه على مراتب فمنهم من يطلبه خوف العذاب ومنهم من يطلبه خوف الحجاب ومنهم من يطلبه خوف فوات الثواب ومنهم من يطلبه اشفاقا من الطرد عن الباب وكل ذلك راجع لما ذكرناه من خشية السقوط من نظر الحق فافهم (قوله وقيل شكر العينين الخ) انما اقتصر على ذلك لتأكد احترام الاخ والا فالواجب سترهما عن كل منهي عنه ثم اعلم ان من الاسباب الباعثة على ذلك النظر فيما جبل عليه الانسان من النقص الذاتي اذ لولا الفضل لم يكن اهلا لقبول بل ولا للوجود ولان النفس انما تعمل الخير بوقاية تكون بينها وبين وصفها الاصلي وبعد الدخول في العمل فهي أصل العلل على ان ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر (قوله وقيل الشكر التلذذ الخ) أقول يرجع ذلك الى شهود المنعم في النعمة ولهذا كان من نعت العارفين المحبين كما ذكره الشارح نفعنا الله بعلومه (قوله على ما لم يستوجبه الخ) اي لان

يقول سمعت الحسن بن يحيى يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول كان السرى اذا أراد أن ينفعنى) بشئ (يسألنى) عنه حتى يبينه لى على عادة المشايخ فى افتقادهم سال المريدين هل انتفعوا به وهل عزمهم قوى فى الاقتداء به (فقال لى يوما يا أبا القاسم ايش الشكر فقلت له ان لا يستعان بشئ من نعم الله تعالى على معاصيه فقال من أين لك هذا فقلت من مجالستك) فسررت بذلك ويؤخذ مما ذكر ان الشيخ اذا علم حال المريد وانه شديد الرغبة فى نيل ٧١ الفوائد منه والاقتداء به يسأله عما ينفعه ويخصه بفوائده المختصة به والنافعة له

{وقيل التزم الحسن بن على الركن فقال الهى نعمتنى فلم تجدنى شاكرا وابتليتنى فلم تجدنى صابرا) ضمن ذلك كمال الثناء على الله حيث اعترف فيه بالنعمة وبالتقصير عن الشكر وبأنه غير صابر على البلاء وبأن الله هو الفاعل للخير والشر ثم اعترف بفضل الله عليه فى حالة نقصه فقال (فلا أنت سلبت النعمة بترك الشكر ولا أدمت الشدة بترك الصبر الهى ما يكون من الكريم الا الكرم) والكرام لا يكون الا من الكريم (وقيل اذا قصرت يدك عن المكافأة) للناس بأن عجزت عنها (فليطل لسانك بالشكر) لانه الممكن والشكر الكامل عند الامكان يكون بالقلب واللسان والافعال (وقيل أربعة لا ثمرة لاعمالهم مسارة الاصم) أى من يساروه بشئ (وواضع النعمة عند من لا يشكر) المنعم (والباذر) بذره (فى) الارض (السبخة والمسرج) سراجه (فى الشمس وقيل لما بشر ادريس عليه السلام بالمغفرة) وامتلأ قلبه سرورا بذلك (سال) الله (الحياة) اى اطالتها (فقيل له فيه) أى فقال له ملك لم سألتها (فقال لاشكره) فيها (فانى كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط له الملك جناحه وحمله عليه الى السماء) الرابعة او السادسة أو السابعة وقيل الى الجنة وبالجملة لما عزم على هذا الشكر العظيم سخر الله الملك فحمله الى مقام شريف كما قال تعالى ورفعناه مكانا عليا وهو مقيم به وهذا من ثمرات الشكر وفاء بقوله تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم (وقيل مر بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه) لمخالفته العادة (فأنطقه الله معه) أى مقارنا لتعجبه

العبد من حيث هو محل لكل عيب ونقص اصلا وفصلا سواء كان طائعا او عاصيا معافى او مبتلى ولله در القائل ماهنالك الا فضله ولا نعيش الا فى ستره ولو كشف الغطاء لكشف عن امر عظيم قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا فما وصل الى العبد هو من محض فضل الحق سبحانه وتعالى اذ الامر منه واليه ولولا ذلك ما استحق العبد شيأ (قوله فقال من اين لك هذا الخ) اقول ولهذا أعاد القصة والافهى قد تقدمت (قوله فسررت بذلك) اى لانه قد شهد مرجع الامر فالحمد فى الحقيقة لمن ستر وليس هو لمن شكر فحقيقته الشكر لمن له حقيقة الفضل (قوله فقال الهى الخ) فيه اعتراف بما جبل عليه الانسان من كثرة الغفلة عن الاحسان فلله دره (قوله ما يكون من الكريم الا الكرم) فيه الثناء على الله تعالى بوصفه الحق والحق احق فلله دره (قوله والكرم لا يكون الا من الكريم) افاد الشارح بهذه الزيادة ان الكرم مختص به تعالى لانه الكريم على الحقيقة فحينئذ لا ينبغى ان يقصد غيره ولا يرجى سواه (قوله والشكر الكامل الخ) أى ولهذا قيل افادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا (قوله وقيل اربعة لا ثمرة الخ) ما كانه يعنى الا اهل زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وواضع النعمة الخ) أقول ذلك بالنسبة للثمرة الدنيوية لا الاخروية بدليل خبر فى كل كبد رطبة اجر فافهم (قوله ورفعناه مكانا عليا) قيل هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل وقيل علو الرتبة بالذكر الجميل فى الدنيا وقيل الجنة وقيل السماء السادسة أو الرابعة روى عن كعب فى سبب رفعه انه سار ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب قد مشيت فيها يوما فأصابنى ما اصابنى فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب ما الذى قضيت فيه فقال ان عبدى ادريس سألنى أن اخفف عنك حملها وحرها فأجبته فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه الى السماء (قوله وهذا من ثمرات الشكر) أقول بل من ثمرات العزم عليه والله يختص برحمته من يشاء (قوله فأنطقه الله معه الخ) فيه تنبيه على انه ينبغى للانسان ان يكون على قدم الخوف من سطوات سوابق التقدير وعلى بساط الشكر لانعام اللطيف الخبير اذ هو الاحق من الجبر بالخوف والاعتبار والاولى بمقام الشكر والاستبصار عند الامتحان والاختبار (قوله فأنطقه الله) أى بلسان القال أو مجازا على ارادة الحال فالحق على ذلك قدير يفعل

(فقال مذ سمعت الله تعالى يقول نارا وقودها الناس والحجارة فأنا أبكي من خوفه) أي من خوفي اياه أن يجعلني من تلك الحجارة (قال الحاكي لذلك (فدعا ذلك النبي ان يصير الله ذلك الحجر فأوحى الله تعالى اليه انى قد أجرته من النار) وعلم الحجر ذلك (فمر) أي جاوزه (ذلك النبي) عليه السلام بعد علمه بذلك بناء على انه لا يبكى (فلما عاد) اليه بعد مدة (وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك) التفجر الاول (فعجب منه) ايضا (فأنطق الله ذلك الحجر معه) بما يأتى فى جواب قوله (فقال له لم تبكى) ثانيا (وقد غفر الله لك) بدعائى (فقال ذلك) البكاء (كان بكاء الحزن والخوف وهذا) البكاء (بكاء الشكر والسرور) ومقصود ذلك ان كمال العبد فى شكره أن يكون متعبدا بشكر ممتد للاوقات بازيادة فضل الله عليه بالهامه لشكره مع نظره الى نقصه وعدم صلاحيته لما امتن به عليه (وقيل الشاكر) كائن (مع المزيد لانه فى شهود النعمة) اى حضورها (قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم والصابر مع الله تعالى لانه بشهود المبلى له قال الله سبحانه ان الله مع الصابرين) يجرى فى كل من الامرين على الغالب اذ ليس كل شكر لطلب المزيد فقد يشكر العبد ولا يخطر بباله المزيد فلا يكون معه وليس كل صبر يرى فيه المبلى فقد ٧٢ يصبر العبد ولا يكون مع الله أى ناظر اليه فى حال بلائه (وقيل قدم وفد على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فأخذ يخطب) ويتكلم (فقال عمر الكبر الكبر) أى قدموا للتكلم الاكبر فالاكبر (فقال له الشاب يا امير المؤمنين) الكبر قد يكون بالسن وقد يكون بالفضل والتقدم هنا انما هو بالكبر بالفضل اذ (لو كان الامر) اى التقدم هنا (بالسن لكان) غيرك مقدما عليك اذ (فى المسلمين من هو أسن منك) نعرف منه فضله ورفعته على من معه (فقال) له (تكلم فقال) يا امير المؤمنين (لسنا وفد الرغبة) اى الطلب لشئ منك (ولا وفد الرهبة) أى الخوف من شئ نطلب منك خلاصه (أما الرغبة فقد أوصلها الينا فضلك) ونحن ببلادنا (وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك) ونحن هنا ايضا (فقال له) أمير المؤمنين (فمن أنتم) اى أى وفد أنتم (فقال وفد الشكر الاحباب جئناك نشكرك وننصرف) على ما نحن عليه من فضلك وأمنك وفائدة ذلك التأكيد فى طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه فاذا كان المنعم حاضرا والنعم متوالية والقلب واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرعا (و) لذلك (أنشدوا ومن الرزية) اى البلية (ان شكرى صامت * عما فعلت) من البر (وان برك) لى (ناطق) اى ظاهر ثم وبخ نفسه بقوله (أأرى الصنيعة) لى (منك ثم أسرها *) اى أخفيها (انى اذا ليد الكريم) اى لنعمته (لسارق) فجعل اخفاء النعم سرقة وذلك مذموم فانه تعالى اذا أنعم على عبد بنعمة أحب أن يظهرها (وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ارحم عبادى المبتلى والمعافى فقال ما بال المعافى) اى لم ارحمهم (فقال الله لتركهم شكرهم على عافيتى اياهم) فالتارك للشكر محروم فيرحم على مافاته من الشكر لنعمة العافية ومن الزيادة الموعود بها عليه وجمع ضمير المعافى باعتبار الجنس الصادق بالجمع

مايشاء وهو اللطيف الخبير (قوله نارا وقودها الناس والحجارة) أى نارا يتقد بها الناس والحجارة اى قادغيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير (قوله ومقصود ذلك الخ) أى والا كان من الامتحان ونوع الغرور والله أعلم (قوله وقيل الشاكر كائن مع المزيد) أى وان كان لكماله لا يلتفت الى ذلك استغراقا فى لذة شهود المنعم فلا نظر له الى ما سواه تعالى وهذا من النادر كما أشار اليه الشارح (قوله لانه فى شهود النعمة) اقول هو باعتبار حال العوام المنعم عليهم كما لا يخفى على من له بصيرة (قوله وقيل قدم وفد الخ) فيه تنبيه على ان الفضائل لا تختص بكبير فى السن ولا بصغير لكونها بسابق عناية المولى اللطيف الخبير فمجرد كبر السن وان كان من مظان تنزل الرحمات لا يلزم أن يكون سببا فى ابلاغ معالى الكمالات لان مناطها طهارة القلب من ظلمة الجهالات وزيادة أنوار عرفان التجليات ولهذا كان الشاب المذكور ممن منح الحكم القولية الناشئة من شوارق الانوار الالهية والله أعلم (قوله وفائدة ذلك الخ) أى فائدة ذكر هذه الحكاية هنا تأكيد طلب الشكر لمن يستحقه (قوله ومن الرزية ان شكرى صامت الخ) محصله الاعتراف بتقصيره عن حق الشكر مع توارد النعم وظهورها فكان كمن كتم صنيعة كريم واسرها فأشبه حاله حال السارق وذلك وصف ذميم نشأ عن خلق سقيم (قوله احب ان يظهرها) اى لخبر ان الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده (قوله فيرحم على مافاته الخ) أى ويؤيد ذلك قولهم ليس المصاب من فقد

(وقيل الحمد) وهو الثناء على الله بذكر صفاته الجميلة وأفعاله الحسنة يكون (على الانفاس) الصالحة (والشكر) يكون (على نعم الحواس) وهي تبع للقلوب فالحمد أفضل من الشكر لانه جعل على أعظم النعم وهي الانفاس الصالحة وهي من أعمال القلوب (وقيل الحمد) سببه (ابتداء منه) تعالى بان تحمده على ما تفضل به عليك بغير سبب منك (والشكر اقتداء منك) به بان تجعله جزاء لنعمته عليك ٣ فمن أحسن اليك ينبغى له ان يحسن وان كان الجميع من فضله واحسانه (وفي الخبر الصحيح أول من يدعى الى الجنة الحمادون لله على كل حال) لكثرة خيرهم وطاعتهم لانهم يرون ان جميع ما هم فيه نعمة وافق غرضهم ام لا ومن هذه صفته هو الذي يحمد الله على كل حال. (وقيل الحمد) لله يكون (على ما دفع) من البلاء (والشكر) له يكون (على ما صنع) من نعم العطاء ففيه اشارة الى ان نعمة البلاء أفضل من نعمة ٧٣ العطاء لما مر من ان الحمد أفضل من الشكر (وحكى عن بعضهم انه قال رايت في بعض الاسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن) عند عجوز (فسألته عن حاله فقال انى كنت في ابتداء عمرى أهوى) اى أحب (ابنة عم لى و) هى (كذلك كانت تهوانى فاتفق انها زوجت منى فليلة زفافها) وفي نسخة فلما زفت الى بالليل (قلنا) اى قال كل منا لصاحبه (تعال حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله تعالى على ما جمعنا) اى على اجتماعنا على وجه حلال (فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا الى صاحبه) لينال شهوته منه (فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك) مع زيادة اى قال كل منا لصاحبه تعال حتى نحيى هذه الليلة شكرا لله على ما من علينا به من الاجتماع وما وفقناله من الشكر وصلينا تلك الليلة أيضا ودمنا على ذلك (فمذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة) وفي نسخة الحالة

١٠ يج ث

(كل ليلة) ثم قال هولها (أليس) الامر (كذلك يافلانة فقالت) له (العجوز) الامر (كما يقول الشيخ) وهذا يكون حال من عرف مقدار النعم ورغب في توالیها عليه فشكرها بالقلب والفعل واللسان وفائدة ذكر العجوز والشيخ الاعلام بانهما داما على الاشتغال بالله تعالى من حالة الصبا الى تلك الحالة

الاحباب انما المصاب من حرم الثواب (قوله وقيل الحمد الخ) المراد ابداء فرق بين الحمد والشكر باعتبار ما يقع كل بازائه وفي مقابلته وان الحمد بذلك الاعتبار أفضل من الشكر وهو كذلك في هذا المقام فتدبره وعليك السلام (قوله وفي الخبر الصحيح الخ) اى ويؤيده خبر الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار (قوله ففيه اشارة الى ان نعمة البلاء أفضل) اى باعتبار ما يترتب عليها من الاجر عند الصبر على ان العطاء قد يكون منعا (قوله وحكى عن بعضهم الخ) في ذلك تنبيه على ان الشيخ والشيخة قد بلغا أعلى درجة في قهر النفس حتى فنيت منهما فقاما بشكر المنعم طول عمرهما وليس ذلك ببعيد على من سبق له التأييد وربك يخلق ما يشاء ويختار (قوله وما وفقناله من الشكر الخ) اى وبهذا استغرقا هذه المدة شكرا ومع ذلك يفنى العمر ولا يقومان بواجب هذا المقام وفي قوله صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك كفاية وشاهد عدل على ما ذكرنا وكذا قول الصديق الاكبر العجز عن درك الادراك ادراك فلا يحمد الله ويشكره حق حمده وشكره الا هو تبارك وتعالى (قوله وهذا يكون حال من عرف مقدار النعم الخ) اى ولذا قيل

شكرت وما شكرى ببالغ قدركم * ولا همتى نهلوانه ولا قدرى

(باب اليقين)

أقول هو نور يقذف في القلب به يدرك العبد الموفق ان ما سوى الحق سبحانه وتعالى من قبيل الظل قال في لطائف المنن وأشبه شئ بالكائنات اذا نظرت اليها بعين البصيرة وجود الظل والظل لا هو موجود باعتبار مراتب الوجود ولا هو معدوم باعتبار مراتب العدم واذا ثبتت ظلمية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لان الشئ انما يشبه بمثله ويضم الى شكله فمن شهد ظلية الآثار لم يعقه ذلك عن الله تعالى فان ظل الاشجار في الانهار لا يعوق السفن عن التسيار ومن هنا يتبين لك ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله والا لكان أقرب اليك منه فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب ويؤيد ذلك قول صاحب

(باب اليقين) ٣ قوله فمن أحسن اليك الخ كذا في النسخ والصواب أحسن اليه بالبناء للمجهول وتبديل اليك باليه مصحح

الحكم العطائية لولا ظهوره فى المكونات ما وقع عليها وجود أبصارهم ويعنى بالابصار ما يشمل أبصار البصائر بل كادت أن تكون عدما محضا ونفيا صرفا ثم اعلم ان ظهوره تعالى فيها الدلالة بها عليه فلا وجود لشئ سوى أحدية الحق تعالى فافهم هذا وقال أحمد بن عاصم الانطاكى رحمه الله تعالى اليقين نور يجعله الله تعالى فى قلب العبد حتى يشاهد به أمور الآخرة ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها وقال صلى الله عليه وسلم ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح قيل يارسول الله هل لذلك من علامة يعرف بها قال التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فاليقين اذا اشرق نوره كشف عن الآخرة والدنيا فيحصل العلم بأن الآخرة خير من الدنيا وقال بعضهم علم اليقين يحصل عن قاطع البرهان وعين اليقين يحصل عن شهود العيان وحق اليقين تحقيق ضرورة العيان بالوجدان مثاله ما استفيد بالعلم المتواتر علم اليقين ورؤيته عين اليقين والحلول به حق اليقين وذلك كمكة واعلم وفقنى الله تعالى واياك ان اليقين شعبة من الايمان لانه يجمعه والمعرفة والصدق والاخلاص والشهادة وغير ذلك من أحوال القلب فاليقين جزم القلب بالمعلومات الغيبية التى جاءت على ألسنة الرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام بسبب توالى العلم بها حتى أشرقت أنوارها وسطعت شموس استبصارها فسكنت اليها القلوب ووصلت الى المطلوب من غير شك ولا ريب ولا تردد فى غيب لانها بواسطة تلك الانوار صارت كالعيان من كل ما يدرك بحواس الانسان تدبر تفهم والله أعلم (قوله هو راجع الى توالى العلم الخ) اى فسببه ومرجعه توالى العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب هذا العلم فيصير كالعلم الضرورى من كل ما لا يحتاج الى نظر واستدلال (قوله وسببه النظر الخ) اى سبب اليقين وجزم القلب بالمعلوم النظر فى مخلوقاته تعالى فيستدل بها على الصانع الاكبر دلالة الاثر على المؤثر لوجوب افتقاره اليه لثبوت امكانه (قوله قال الله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) معطوف على الموصول الاول على تقديرى وصله بما قبله وفصله عنه مندرج معه فى زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معا أو من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام اذ المراد بالاولين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الايمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام واضرابه وقوله وبالآخرة هم يوقنون الايقان العلم بالشئ بنفى الشك والشبهة عنه ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقينا اى يعلمون علما قطعيا مزيحا لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والاوهام التى من جملتها زعمهم ان الجنة لا يدخلها الا من كان هودا أو نصارى وان النار لا تمسهم الا أياما معدودات واختلافهم فى أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا وهل هو دائم أو لا وفى تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب فان اعتقادهم فى أمور الآخرة

هو راجع الى توالى العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب كالعلم الضرورى وسببه النظر فى مخلوقاته تعالى الدالة على وجوده وكمال صفاته وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون)

بمعزل

وروى فى الخبر تعلموا اليقين فانى أتعلمه (حدثنا الاستاذ الامام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الاهوازى بها قال حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال حدثنا خالد يعنى ابن يزيد قال حدثنا سفيان الثورى وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمى عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا ترضين أحدا بسخط الله تعالى) بأن تفعل معهم شيأ يسخط الله عليك فان الله يسخطهم أيضا عليك (ولا تحمدن أحدا على فضل الله عز وجل) لانه المتفضل لا غيره وهذا لا ينافى خبر من لم يشكر الناس لم يشكر الله فتأمل (ولا تذمن أحدا على مالم يؤتك الله فان رزق الله لا يسوقه) اليك (حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره وان الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح) بفتح الراء اى الراحة (والفرح فى الرضا واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك) والمراد به مطلق التردد (و) فى (السخط) و (أخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد ابن سعيد الرازى قال حدثنا عباس بن حمزة قال حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال قال ابو عبد الله الانطاكى ان أقل اليقين اذا وصل الى القلب يملأ القلب نورا) اى يصير القلب به على بصيرة من الامور بحيث يصير به المعلوم مشاهدا أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية وامتناع العلائق الطبيعية (وينفى عنه كل ريب) اى شك بالمعنى السابق (ويمتلئ القلب به) اى بما ذكر من نور الكشف ونفى الريب (شكرا) لما هو فيه من النعم (و) يمتلئ (من الله تعالى خوفا) من سقوطه عن منزلته ومن عظمة الله تعالى (ويحكى عن أبى جعفر الحداد) انه (قال رآنى أبو تراب النخشبى وأنا فى البادية جالس على بركة ماء ولى ستة عشر يوما لم آكل ولم أشرب فقال لى ما جلوسك) اى ما سببه (فقلت) له (انا بين العلم واليقين انتظر ما يغلب) على منهما (فأكون معه يعنى ان غلب على العلم شربت وان غلب) على (اليقين مررت) وصبرت لان الله قادر على ان يرويه بلا ماء أو يرسل اليه وليا أو ملكا يسقيه (فقال لى سيكون لك شان) اى ارتفاع ومن شانه مواصلته ستة عشر يوما ولم يأذن لنفسه فى الشرب بل انتظر ما يفعل الله به ليتقوى يقينه بخوارق العادات (وقال أبو عثمان الحيرى

بمعزل عن الصحة فضلا عن الوصول الى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما ان الدنيا تأنيث الادنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الاسماء (قوله قال الله تعالى والذين يؤمنون الخ) وجه الاستدلال بهذه الآية الشريفة على طلب اليقين انه تعالى اثنى به على عباده فدل على انه ممدوح ومطلوب (قوله وروى فى الخبر تعلموا اليقين الخ) معناه جاهدوا أنفسكم على تحصيل اليقين بتكرار النظر فى المعلومات حتى يغلب علمها على قلوبكم فيكون ذلك من أقوى أسباب وصولكم الى خالقكم بالايقان والعرفان بل والمشاهدة والعيان (قوله لا ترضين أحدا بسخط الله) اى لا ينبغى أن يصدر منك أمر تقصد به ارضاء أحد يكون ذلك الامر مما يسخط الله اى يوجب سخطه وغضبه لكونه مما نهى الله عنه (قوله فان الله يسخطهم أيضا عليك) اى معاملة لك بضد مقصودك حيث لم ترجع اليه سبحانه مع كونه هو الفاعل لا غيره مما سواه لاشتراك الجميع فى العجز والافتقار الذاتيين (قوله ولا تحمدن أحدا الخ) أى لا تحمدن أحدا مع الغفلة عن المنعم الحق والا فلا بأس به بل هو مندوب اليه (قوله ولا تذمن أحدا الخ) اى لا تذمنه مع شهودك ان الحق سبحانه وتعالى هو الفاعل لما يريده وان ما سواه مجار لاحكامه وتصاريفه او المعنى لا تذمن أحدا بغير شاهد العلم الشرعى (قوله فان رزق الله) اى ما قدر الله أنه يكون رزقا لك لا يسوقه اليك حرص حريص اى محبة جلبه بتهافت فى طرق الطلب ولا يرده عنك كراهة كاره وذلك بشاهد ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن (قوله فى الرضا واليقين) اى الرضا بالقسمة الازلية واليقين اى الثقة بما وعد به الحق تعالى من الكفاية (قوله فى الشك) اى التردد بسبب الغفلة عن كون جميع الاشياء لا تخرج عن قبضة قدرته تعالى وارادته (قوله وفى السخط) اى عدم الرضا بما قسمه الله تعالى بحكمته السنية (قوله يملأ القلب نورا) اى زيادة على النور الحاصل بمجرد الايمان بل هو حقيقة النور فاذا تم للعبد شاهد بعين بصيرته ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فحينئذ يسكن قلبه ويرتاح من هم التفكر وأحزان التذكر يشاهد خيره من آمن بالقدر أمن من الكدر (قوله ويمتلئ القلب شكرا) اى بواسطة شهوده انه مغمور بنعمة ربه زيادة عما يستحقه فى نفسه بسبب تقصيره ونقصه الذاتى له فافهم (قوله يعنى ان غلب على العلم الخ) اى فهو فى انتظار

اليقين قلة الاهتمام) بالمطعم ونحوه (لغد) هذا من جملة اليقين والا فلليقين متعلقات كثيرة (وقال سهل بن عبد الله اليقين) كائن (من زيادة الايمان) يعني تحقيقه وقال سهل أيضا اليقين شعبة من الايمان وهو دون التصديق) لا بمعنى أصل الايمان بأن يكون مؤمنا معتقدا ما يجب اعتقاده في الله ورسوله بل بمعنى الصديقية التي هي أعلى درجات اليقين بأن يعلم العبد حقيقة الايمان بالبرهان ويتوالى عليه حتى يغلب حكمه على قلبه (وقال بعضهم اليقين هو العلم المستودع في القلوب يشير هذا القائل) بذلك (الى انه غير مكتسب) يحتمل ان هذا القائل شبه ذلك ٧٦ بالضروري لانه يتوالى العلم على القلب يصير كالعلم الضروري ويحتمل وهو الظاهر انه لا يسمى موقنا الا من ارتفعت درجته عن العلوم المكتسبة والضرورية العادية بأن ألهم غرائب العلوم واطلع على سرائر الملك والملكوت ففيه اشارة الى ان هذا من أعلى درجات الموقنين (وقال سهل رحمه الله تعالى ابتداء اليقين مكاشفة ولذلك قال بعض السلف) هو عامر بن عبد قيس كما سيأتي (لو كشف الغطاء) عن احوال الآخرة من الحشر والنشر والوقوف بين يدي الله تعالى وغيرها (ما ازددت) فيها (يقينا) ليقيني بها فانه برهن حالته التي هو عليها من غلبة احوال الآخرة على قلبه باليقين وأخبر انه لو عاين ذلك ما ازداد يقينا لتحققه له (ثم) بعد المكاشفة (المعاينة والمشاهدة) فالمكاشفة دونهما وهما في رتبة واحدة وقيل المعاينة فوق المشاهدة لان المشاهد هو الحاضر والمعاين هو الناظر وقيل المكاشفة فوق المشاهدة ورد بان المشاهدة تقتضي الكشف التام والمكاشفة قد تكون من وراء حجاب رقيق (وقال أبو عبد الله بن خفيف اليقين تحقق الاسرار) اى تحقق العبد الاسرار المتعلقة (باحكام المغيبات) التى أخبر عنها الانبياء والاولياء ووقعت والمراد بتحقق ذلك غلبة حكمه على القلب (وقال أبو بكر بن طاهر العلم) كائن (بمعارضة الشكوك) اى الاخذ فى تحصيله يعارضه الشك (واليقين لاشك فيه بل أشار) بذلك (الى العلم الكسبي وما يجرى مجرى البديهي) باعتبار ظهور المعلوم وخفائه (وكذلك علوم القوم) الوهبية

ما يفتح الله عليه به ليعمل به فى نفسه هل هو العلم المؤدى لاعتبار الاسباب أو اليقين الذى يوجب الرجوع الى تدبير رب الارباب (قوله اليقين قلة الاهتمام الخ) اى لان العبد الموفق لا يفوت وظيفة الحال بالاشتغال بما لا يعنيه من حكم الاستقبال ويرشد الى ذلك خبر اذا أصبحت معافى فى جسدك آمنا فى سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا ولا يخفى ان قلة الاهتمام لغد من ثمرات اليقين لا نفس اليقين (قوله اليقين من زيادة الايمان) اى لانه من جملة ما يشتمل عليه ويحويه (قوله لا بمعنى أصل الايمان) اى لان التصديق المعتبر فى أصل الايمان لا يفضل اليقين بل الذى يفضله انما هو ما كان بمعنى الصديقية التى هى أعلى درجات اليقين (قوله الى انه غير مكتسب) اى يشبه غير المكتسب بغلبته على القلب بتوالى أدلته عليه أو المراد به ما وقر فى القلب من غرائب العلوم المودعة فيه من مواهب الحى القيوم هذا حاصل ما أشار اليه الشارح وهو نفيس (قوله الا من ارتفعت درجته) اى بدوام المجاهدة على طريق المتابعة فيترقى الى ما لم يعلم من الامور المغيبة ويشير الى ذلك خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (قوله ابتداء اليقين مكاشفة الخ) اى اليقين فى ابتداء الامر يساوى المكاشفة فى جزم القلب فلا يزيد علم العبد بالمكاشفة عن علمه باليقين (قوله ما ازددت يقينا) اى لانه بما حصل له من اليقين قد تحقق أمر الآخرة كالمشاهد له عيانا (قوله هو الحاضر) اى ومجرد الحضور لا يفيد مفاد النظر بالمعاينة (قوله تحقق الاسرار الخ) اى جزم السر باحكام المغيبات وعدم التردد فيها وثوقا بصدق خبر المعصوم أو المحفوظ (قوله ووقعت) فيه تأمل لانه يقتضى انها لو لم تقع بالفعل لا يتحقق يقين الاسرار وان حمل على المغيبات التى أخبر عنها انها تقع فى الدنيا كان فيه قصور (قوله العلم كائن بمعارضة الشكوك الخ) اى فالعلم فى ابتداء الامر يمكن ان يعارضه شك بتشكيك الغير لعدم التثبت فى دلائله ولا كذلك اليقين لتوالى أحواله على القلب حتى يغلب عليه فلا يمكن حينئذ ان يعارضه شك (قوله فى الابتداء كسبي الخ) اى بالنظر فى الآثار والمصنوعات له تعالى ليستدل بها عليه ويتوصل بها اليه والحذر ثم الحذر من الوقوف معها فانه أقوى حجاب قال تعالى قل انظروا ماذا فى السموات الآية فاشار الى معنى زائد على أعيانها الذى يتعلق النظر به لا على اجرامها اذ لا فائدة فيها

(فى الابتداء كسبى وفى الانتهاء بديهى) اى كالبديهى لانها فى اوائلها ترد على القلب بلا نوال فاذا توالت عليه صار المعلوم كأنه مشاهد كما قال بعضهم ما رأيت شيأ حتى رأيت الله قبله يعنى ان علمه بالله متوال على قلبه فلا يخطر له ذكر غيره الا بعد ذكره فيكون ذكره متواليا وذكر غيره من سائر الكائنات يطرأ ويزول (سمعت محمد بن الحسين يقول قال بعضهم أول المقامات) اى درجات الايمان (المعرفة) بالله بالنظر والفكر (ثم اليقين) المستغنى عنهما بوضوح المطلوب منهما (ثم التصديق) بما أخبر به الانبياء عن الله تعالى (ثم الاخلاص) لله فى العمل (ثم الشهادة) اى الاقرار باللسان شكرا (ثم الطاعة) ٧٧ لله بالاشتغال بافعالها على ما يأتى بيان ذلك

كله (والايمان اسم يجمع هذا كله اشار هذا القائل) بذلك (الى ان أول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه والمعرفة لا تحصل الا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب) وما يتوقف عليه (ثم اذا توالت الادلة) على القلب (وحصل بها) البيان صار بتوالى الانوار الحاصلة منها (وحصول الاستبصار كالمستغنى عن تأمل البرهان وهو حال اليقين ثم تصديق الحق) اى تصديق العبد الحق تعالى (فيما أخبر) به (عند اصغائه الى اجابة الامر (الداعى) له (فيما يخبر) به (عنه من أفعاله سبحانه فى المستأنف) اى المستقبل (لان التصديق انما يكون فى الاخبار) لا فى الانشاء (ثم الاخلاص فيما يعقبه) اى التصديق أو فيما يفعله العبد (من أداء الاوامر) وترك المناهى (ثم بعد ذلك اظهار الاجابة بجميل الشهادة) اى الاقرار كامر (ثم اداء الطاعات بالتوحيد) اى معه (فيما أمر به و) مع (التجرد عما زجر عنه والى هذا المعنى) يعنى المعبر عنه بالشهادة (أشار الامام أبو بكر محمد بن فورك رحمه

الله فيما سمعته يقول ذكر اللسان فضيلة يفيض عليها القلب) اى يخرج منه على اللسان لان القلب متى امتلأ بشئ انطلق ببعضه اللسان (وقال سهل بن عبد الله حرام على قلب) اى ممنوع (ان يشم رائحة اليقين) الكامل بما عند الله (وفيه سكون الى غير الله تعالى) لان القلب متى امتلأ بشئ لم يسع غيره وقد قال الله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (وقال ذو النون المصرى

بل ربما صرفت بالاشتغال بها عن عين الحقيقة ولله در القائل

ما القدما الطرف الكحيل وما اللمى ❊ لولاك تشهد فى حلاه وترمق

(قوله فى الابتداء كسبى الخ) اى بالنظر فى المكونات للاستدلال قال فى التنوير والقول الفصل فى ذلك انه لا بد من الاسباب وجودا ومن الغيبة عنها شهودا فاثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته ولا تستند اليها لعلمك باحديته اه أقول وذلك عين المراد ونخر المعرفة فى مراعاة الاسباب (قوله ما رأيت شيأ الخ) محصله غلبة حال الحق على قلبه وطرو الغير عليه نادر ويزول وفى حال طروه يكون منبها على معنى جزئى مما للحق سبحانه وتعالى (قوله أول المقامات المعرفة) اى النظر والفكر الموصل الى المعرفة والغرض من ذلك ترتيب المقامات فى ابتداء السير الى الله تعالى أقول والناس ثلاثة بحسب مقاماتهم رجل رأى نفسه مستحقا للمدح والثناء فهلك ورجل رأى نفسه ليس أهلا لذلك ولم يشعر باحسان الله اليه واشتغل بذم نفسه على ما هى متلبسة به وما فرط منها فسلم ورجل مثل نفسه كعروس قد أفضت زنا وأهلها يريدون بها الزفاف فتطلب الستر عند المواجهة وتنظر لنقصها فى الحال فغنم وما وراء هذه المراتب فهو لاهل الحقيقة (قوله ثم اليقين) أقول وامارة من تحلى بنعته وتجمل بحقيقته استحياؤه اذا امدح من غيره أو أثنى عليه أهل حسنه وذلك لانه ان كان بما فيه بحسب الظاهر استحيى من أن تكون له نسبة مع مولاه فيما من به عليه وأولاه وان كان بما ليس فيه فيستحيى منه تعالى اذ قد ستره فيما هو فيه وهو يجرى عليه ثناء الجميل بما لم يكن من شأنه فهو لا يشهد من نفسه وجودا وان كان موجودا (قوله ثم التصديق بما أخبر به الانبياء الخ) اى بما أخبروا به من الوعد والوعيد وغيرهما من بقية أحكام الشرائع (قوله ثم الاخلاص لله فى العمل) اى ايقاعه لذات الله تعالى طلبا لمرضاته ثم لا يضر فى ابتداء الامر ملاحظة الاعواض على ذلك (قوله والمعرفة لا تحصل الخ) يشير بذلك الى أن أول الواجبات على المكلف انما هو النظر الموصل للمعرفة لا نفس المعرفة وهو كذلك لتوقفها عليه (قوله ثم تصديق الحق الخ) محصله انه الاذعان القلبى لخبر الحق الوارد على ألسنة الرسل الدعاة الى الهدى فيما يتعلق باحكام المستقبل كالحشر والنشر وما بعدهما (قوله فيما يعقبه) اى يترتب عليه من أحكام الاوامر والنواهى (قوله فضيلة يفيض عليها القلب الخ) اى فالاصل وجود

اليقين) بزوال الدنيا والاقدام على الله تعالى (داع الى قصر الامل وقصر الامل يدعو الى الزهد) فى الدنيا لقلة قدرها وسرعة زوالها (والزهد) فيها المقتضى للتفرغ لعمل الآخرة (يورث الحكمة) التى هى وضع الشئ فى محله (والحكمة تورث النظر فى العواقب) اى عواقب الاعمال عما يخشى منه ما ينقصها أو يبطلها (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى يقول ثلاثة من اعلام اليقين قلة مخالطة الناس فى العشرة) اى معاشرتهم ٧٨ (وترك المدح لهم فى العطية) وان أمر الآخذ منهم بشكرهم والدعاء لهم ولا يلزم منهما المدح لانهما يحصلان بنحو جزاك الله خيرا وأكرمك الله وأعانتا على مكافاتك والمدح ذكر المحاسن الذى يقرن غالبا بدخول العجب على الممدوح (والتنزه عن ذمهم عند المنع) اى منعهم من الاعطاء لان المانع فى الحقيقة غيرهم وهو الله تعالى ولا يليق الذم بغير الفاعل وذم الفاعل هنا يخشى منه ذم الفاعل حقيقة وبالجملة من تيقن ان الله هو الرزاق له فى سائر أحواله حصلت له الثلاثة (وثلاثة من اعلام يقين اليقين) وهو أرفع درجات اليقين (النظر الى الله سبحانه فى كل شئ) بان يسبق نظر العبد اليه تعالى فى كل ما يهمه (والرجوع اليه) تعالى (فى كل أمر) من ضر أو بلاء ليكشفه (والاستعانة به) تعالى (فى كل حال) يرومه (وقال الجنيد رحمه الله اليقين هو استقرار العلم الذى لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير فى القلب) اى هو توالى العلم على القلب بحيث يستقر فيه فيصير فى قلب العبد باستشعاره نظر الحق اليه ومراقبته له كالعلم الضرورى (وقال ابن عطاء على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين) كما يشير اليه خبر ما تقرب الى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم (وأصل التقوى مباينة النهى) اى البعد عن المنهى عنه (ومباينة النهى مباينة النفس) اى البعد عنها وعن شهواتها والقيام بالمطلوب منها وان ثقل عليها (فعلى قدر مفارقتهم النفس) وشهواتها (وصلوا الى اليقين وقال بعضهم اليقين هو المكاشفة

العرفان القلبى بواسطة زيادة أنوار البصائر فيفيض ما فيه على جارحة اللسان (قوله اليقين بزوال الدنيا الخ) يريد بيان ثمرة اليقين وامارة تحققه (قوله ثلاثة من اعلام اليقين) اى فمن تحقق بها ثبت له مقام اليقين والا فهو دعوى بغير دليل (قوله قلة مخالطة الناس الخ) اى فلا تخالطهم الا لحاجة قوية أو ضرورة للبعد عن اخلاقهم ورغبة فى نيل ما وعد به على لسان سيد الكمل صلى الله عليه وسلم بسبب قوة يقينه فيه (قوله وترك المدح لهم) اى ترك المدح بغير شاهد العلم المشروع والا فهو مندوب اليه (قوله والتنزه عن ذمهم الخ) المقصود النهى عن ذمهم بمقتضى حظ النفس لا بمقتضى حق الحق تعالى بشاهد العلم (قوله وثلاثة من اعلام يقين اليقين الخ) أقول ذلك من المبالغة فى اليقين باثبات يقين له والمراد قوة اليقين (قوله وقال الجنيد الخ) هو قريب مما قبله اذ المآل واحد (قوله على قدر قربهم الخ) حاصله انه نيل الخيرات والوصول الى عالى المقامات فى مخالفة النفس فشمر الساعد واطلب الجد فى خلافها (قوله اى البعد عن المنهى عنه) اقول ومن المنهى عنه اليأس من غفران الذنب لاستعظامه عند الفاعل فحينئذ اللازم فى حق الانسان الرجوع عن ذلك وجعل مفتاح الرجوع التوبة والانابة رجاء فى الله وخوفا منه اذ اليأس من الرحمة كوجود الاغترار بالله فان الله تعالى لا يتعاظم ذنبا يغفره قال حجة الاسلام الغزالى قدس الله سره وكما اتخذت الذنب والعود اليه حرفة فاتخذ التوبة والعود اليها حرفة فما أصر من استغفر ولو عاد الى الذنب فى اليوم سبعين مرة على ان الذنب الواقع منك قد يكون آخر ذنب قدر عليك وذلك بأن يصرفه عنك أو يصرفك عنه بأن تستقيم على التوبة لوجود صدقك أو تعاجلك المنية أو تصرفك الموانع عن فعله فمن العصمة أن لا تجد ومن العصمة ان لا تقدر وان لم يكن شئ من ذلك فالذنب قد محى عنك بوجود التوبة فبرئت من الاصرار وهذا رأس الغنيمة تدبره وعض عليه بالنواجذ (قوله فعلى قدر مفارقتهم النفس الخ) اى فوصولهم على حسب خروجهم عن مألوفات النفس التى بشاهدها يتحقق الحزن وينغلق باب الفتح ولذلك قال صاحب الحكم العطائية ان أردت ان يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه اليك وان أردت ان ينفتح لك باب الحزن

والمكاشفة على ثلاثة أوجه مكاشفة) حاصلة (بالاخبار) بأن يعلم غيره بمعلومات الله تعالى التى أخبر بها الله تعالى رسوله (ومكاشفة) حاصلة (باظهار القدرة) اى قدرته تعالى بالدليل وهو الاطلاع على عجائب صنع الله تعالى وبدائع حكمته (ومكاشفة القلوب) وهى حاصلة (بحقائق الايمان) فى القلوب وهى مكاشفة بكمال الذات والصفات فهذه المراتب الثلاث تشملها المكاشفة كما تقرر فان الله تعالى كاشف عبده بها وأطلعه عليها ويختلف باختلاف مراتب الخلق فمنهم من يكاشفه الله بجميعها ومنهم من يخصه ببعضها واذا حصلت المكاشفة وتوالت على القلب حتى قلت ٧٩ الغفلة عنها سميت يقينا (واعلم ان المكاشفة) المشهورة (فى كلامهم عبارة عن ظهور الشئ للقلب باستيلاء ذكره له وغلبته عليه (من غير بقاء للريب) اى الشك والمراد به مطلق التردد الشامل للظن (وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائى بين اليقظة والنوم) بأن يطرأ عليه سنة خفيفة فيرى فيها أشخاصا ويسمع منهم كلاما (وكثيرا ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة) المسماة بالمكاشفة (بالسبات) اى الراحة للابدان لان العبد يزول احساسه بنفسه وتكون كليته مع ما يراه (سمعت الامام أبا بكر بن فورك يقول سألت أبا عثمان المغربى فقلت) له (ماهذا الذى تقول) وهو قولك (قال) لى (الاشخاص كذا وكذا) ورأيت أشخاصا قالوا لى كذا وكذا (تراهم معاينة أو مكاشفة فقال) له بل (مكاشفة) دل ذلك على ان ادراك البصر فى هذا الوقت يبطل ويبقى العبد مشغولا بالحالة التى هو فيها مع ما يراه (وقال) عامر (ابن عبد قيس لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا) تقدم تقريره (وقيل اليقين رؤية العيان بقوة الايمان) الذى محله القلب يعنى رؤية اليقين بقوة الايمان كرؤية العيان بالبصر لان الايمان اذا توالى على القلب بحيث صار غالبا عليه صار ما تضمنه من المغيبات كالمشاهد بالعين (وقيل اليقين زوال المعارضات) له لان الايمان متى غلب على القلب زال ما يعارضه لان المحل الواحد لا يقبل الضدين (وقال الجنيد رحمه الله اليقين ارتفاع الريب) اى الشك

الحزن فاشهد ما منك اليه قلت وان أردت ان ينفتح لك كل منهما فاشهد كلا منهما فى عين الآخر فيستوى دباؤك وشوخك فتكون على كمال فى حالتك (قوله والمكاشفة على ثلاثة أوجه) أقول الاولى والثانية وسيلة الى الثالثة اذ الاولى شهود علم النقل والثانية بشهود علم العقل وكل وسيلة الى علم الفيض والالهام بذوق خبر من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم (قوله وهى مكاشفة بكمال الذات) اى بمظاهر أسمائها وصفاتها (قوله ويختلف باختلاف مراتب الخلق) اى ويدل لذلك قوله تعالى وفوق كل ذى علم عليم (قوله سميت يقينا) اى وهو مختلف أيضا باختلاف درجة صاحب مقامه (قوله الشامل للظن) اى وهو ادراك الطرف الراجح (قوله وربما أرادوا بالمكاشفة الخ) اى فحينئذ هى نوع خاص من أنواعها ولذا ثبت انها جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة (قوله دل ذلك على ان ادراك البصر الخ) اى لان وظيفة الحواس الحادثة انما تحقق باعتبار حال التركيب المقيد فاذا خرج الانسان من ذلك الى فضاء الشهود المطلق بطلت تلك الحواس بحالة عموم الكشف والادراك بواسطة رجوع الروح الى عالمها الاصلى فى هذه الحالة فافهم (قوله لو كشف الغطاء) اى الحجاب عن معلوماتى بان عاينتها ما ازددت يقينا لثبوت اليقين بها من قبل بقوة الايمان (قوله يعنى رؤية اليقين) افاد بذلك ان فى المقام تجوزا وتشبيها لا حقيقة وذلك ظاهر (قوله وقيل اليقين زوال المعارضات) اى بواسطة قوة الايمان والتسليم والرضا بمشهد البسط والانبساط قال تعالى فى حق الآباء والابناء لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فالبسط من مشهد الجمال بمنزلة الاب والقبض من نتيجة أفعالنا بمنزلة الابن فافهم (قوله لا يقبل الضدين) اى فلا يكون القلب جازما مترددا فى شئ واحد فى آن واحد (قوله وقال الجنيد الخ) هو أخص مما قبله (قوله اليقين ارتفاع الريب) اى بسبب قوة فهم القلوب وعلم الاسرار بحسب النور الموضوع فى باطن القلب وحقيقة ذلك النور مختلفة نور العقل ونور الطبع ونور الروح ونور القلب ونور سويداء القلب ونور السر وهو أعظم الانوار وأجلها وأكملها ولكل من هذه الانوار نور بالتأويل والتنزيل والتحويل والتنقيل ولكل مقام فيها شرح لا تسعه العقول فضلا

(فى مشهد الغيب) لان العبد يشاهد بنور اليقين المغيبات مما أخبر به الانبياء أو وجهه الرب فيصير مشاهدة القلب مشاهدة غالبة عليه مشغلة له عن غيره فينتفى كل شك والمراد به مطلق التردد (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عيسى ابن مريم عليه السلام لو ازداد يقينا لمشى فى الهواء كما مشيت فيه قال رحمه الله أشار بهذا الى حال نفسه صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج لان فى لطائف المعراج انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت البراق قد بقى) واقفا مع جبريل (ومشيت) فى الهواء مرتفعا الى رفرف الى حيث أراد الله ان يناجيه فيه وقال له جبريل وما منا الا له مقام معلوم فاشار الاستاذ بذلك الى ما ذكر من أن النبى صلى الله عليه وسلم نال مقاما أعلى مما ناله عيسى عليه السلام وهو المشى فى الهواء ومراده صلى الله عليه وسلم ان مشى الموقنين فى الهواء لا يستعظم بفضل الله عليهم (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أحمد بن على ابن جعفر يقول سمعت ابراهيم ابن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول وقد سئل عن اليقين) اى علامته (فقال اليقين) اى علامته (سكونك) بقلبك (عند جولان الموارد) من تغير الاسباب والاحباب وزوال الحرص والجزع عند خوف فوات المحبوب ونحوها (فى صدرك لتيقنك ان حركتك فيها لا تنفعك ولا ترد عنك مقضيا) من سوء بل ذلك مختص بالله تعالى (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبد الله بن على يقول القنوع سمعت أبا جعفر الاصبهانى يقول سمعت على بن سهل يقول الحضور أفضل من اليقين لان الحضور وطنات واليقين خطرات كأنه جعل اليقين ابتداء الحضور والحضور دوام ذلك وكأنه جوز حصول اليقين خاليا من الحضور وأحال جواز الحضور بلا يقين

عن السبا ورويا بعلم جنود ربك الا هو فافهم (قوله فى مشهد الغيب) أشار بذلك الى مدد نور اليقين المودع فى القلوب فهو من خزائن الغيوب فائض من نور الميثاق يوم ألست بربكم فهو للقلب بمثابة نور العين لكن بصدور ودنور الالهام الوارد من خزائن الغيوب الذى هو بمثابة نور الشمس المنبسط على المنظور فيه وهو لا يبقى فيه ريب فافهم (قوله لو ازداد يقينا الخ) اى لو ازدادت أنوار يقينه لمشى فى الهواء وزيادة تلك الانوار ينكشف بها آثار الحق ونعوته وكلاهما باطنان وهى انما توجب ما قلناه من الكشف المذكور مع تمكنهما من القلب فيرى الآثار على ما يليق بها فى هذه الدار وفى الاخرى على حسب شاهد المتابعة ويرى نقص كل شئ بل نفيه بوجود الحق تعالى اذ لو ظهرت صفاته اضمحلت كائناته والحاصل ان المراد من الخبر الشريف ان المسيح عليه السلام لم يبلغ اليقين المحمدى والالسار على القدم الاحمدى حيث اسرى بجسمه الشريف وروحه الشريفة حتى قطع فلك الهواء وارتفع عنه بما لا يعلمه الا الله تعالى وبذلك تعلم ان المشى فى الهواء المنفى عن المسيح ليس المراد به مطلق مشى فى الهواء بل مقام مخصوص منه والله اعلم (قوله لمشى فى الهوا) اى زيادة عن المشى فى الماء فهو أقوى منه بسبب قوة الحال فافهم (قوله وقال له جبريل) اى حين تاخر عن المشى معه وعاتبه فى ذلك (قوله لا يستعظم بفضل الله عليهم) اى لثبوت خرق العوائد فى حقهم (قوله سكونك بقلبك الخ) أقول ذلك بالنسبة للمريدين والاخال العارفين التلذذ والفرح والسرور بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه وأفعاله وهذا الاختلاف بالقوة والضعف منشؤه قوة الايمان وضعفه فان الايمان اذا كان فى ظاهر القلب يعنى على الفؤاد أورث محبة متوسطة فاذا دخل باطن القلب وحل فى سويدائه أورث الحب النافع المثمر لما ذكرناه (قوله عند جولان الموارد) اى عند توارد الواردات الغير ملائمة للنفوس والملائمة لها (قوله لتيقنك ان حركتك الخ) اى تيقنك بعلمك ان المقدر كائن لا محالة ولا ينفع حذر من قدر (قوله لان الحضور وطنات الخ) اى مقامه متمكن وثابت واليقين خطرات على معنى انه ابتداء الحضور المتمكن صاحبه فيه فلا يتم اليقين الا بالحضور فكان الحضور على هذا أفضل منه (قوله وكانه جوز حصول اليقين خاليا الخ) أقول وهو وجيه لان اليقين من النور وهو قد يكون حجابا بوقوف القلوب معه كما تكون الاغيار حجبا بالنفوس بوقوفها عندها فتقف القلوب كما تقف النفوس وان كان حجاب القلوب نورانيا وحجاب النفوس ظلمانيا ووقوف القلوب بالنور سببه الانس به والتعشق بوجوده استحلاء له وحبا فيه مع

ولهذا قال النورى اليقين المشاهدة يعنى ان فى المشاهدة يقينا لاشك فيه) اى فلا تتم المشاهدة الا بيقين (لانه لا يشاهده
تعالى من لا يثق بما منه) اى
من لا يقين عنده بأعانه فمن لا يقين
له لا مشاهدة له (وقال أبو بكر
الوراق اليقين ملاك القلب)
اى استيلاؤه عليه بأن يغلب عليه
حال الايمان بحيث لم يبق فيه
متسع لغير الموقن المعلوم (وبه)
اى باليقين (كمال الايمان)
ويعبر عنه بالحقيقة كما قال صلى
الله عليه وسلم لكل حق حقيقة
فحقيقة كل شئ كماله وهو غلبته
على القلب (وباليقين) بالله
تعالى وبصفاته (عرف الله تعالى)
وجلاله وانفراده فى سلطانه
(وبالعقل) وهو غريزة يتبعها العلم
بالضروريات عند سلامة الآلات
ويقال غير ذلك كما بينته فى شرح
آداب البحث (عقل عن الله تعالى)
أمره ونهيه ووعده ووعيده
وغيرهما مما جاء به الكتاب والسنة
(وقال الجنيد رحمه الله تعالى قد
مشى رجال باليقين على الماء ومات
بالعطش أفضل منهم يقينا) فلا
ملازمة بين خوارق العادات
وقوة اليقين فقد يقوى يقين العبد
بما يخلقه الله له بلا سبب وقد
تكون خوارق العادات لزيادة
اليقين وقد يستوى اثنان فى اليقين
ويجرى الله خوارق العادات
لاحدهما لطفا به وعونا على مأربه
أو لنفع غيره بها لا لزيادة اليقين
(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن
السلمى رحمه الله يقول سمعت
الحسين بن يحيى يقول سمعت
جعفرا يقول قال ابراهيم الخواص لقيت غلاما فى التيه) أى المفازة التى يتاه فيها

القنوع به وعدم الالتفات الى ما وراءه بغلطه فى انه غاية مقصده وقد قال ابن الجلاء من
وقف بهمته على شئ دون الحق فاته الحق وبهذا علم ان اليقين الكامل ما كان معه حضور
ومشاهدة فافهم والله أعلم (قوله ولهذا قال النورى الخ) حاصله ان اليقين الكامل هو
ما كان معه مشاهدة لازم لها الحضور فمن لا يقين له لا مشاهدة له ومن لا مشاهدة له لا يقين
يكمل له ولله در ابن الفارض حيث قال

ولو رضى غيرى بطيف خياله * فانا الذى بوصاله لا اكتفى

فما اقنع رضى الله تعالى عنه بما قنع به غيره بل ولا بالوصال وكمال الشهود وذلك لعلو همته
(قوله اليقين ملاك القلب) اى فاليقين فى الحقيقة هو ما استأصل القلب بجمعه عليه
وعدم الاحساس بغيره (قوله وباليقين عرف الله) اى باليقين الكامل بالله وبصفاته
عرف الله اذ المعرفة تشمل المكاشفة والمشاهدة والمعاينة وكلها لا يتوصل اليها الا
باليقين قال التسترى قدس الله سره

تقيدت بالاوهام لما تداخلت * عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بانوار نهمنا أصولها * ومنبعها من أين كان فما همنا
فقد تحجب الانوار العبد مثلما * وأكثر من فى الناس لم يدع الامنا

تأمله فانه دقيق رقيق (قوله ويقال غير ذلك) أى فيقال هو الادراك أو المسائل (قوله
عقل عن الله) أى لانه مدار الفهم والادراك وهما قاصران لحذوهما والله أعلم (قوله
مشى رجال باليقين على الماء) أقول فصاحب القلب يؤثر من مشى على من لم يمش وصاحب
السر علم الحكمة فيما أسر وما أفشى اذ هو الذى يعلم ما يتحقق به الاولياء والعارفون من
أحوال المنازلات ومنازلات الاحوال وحقائق المعارف ومعارف الحقائق فالجاهل
بذلك قد يندفع عن الولى بجهله كما اندفع الكفار عن النبى كذلك حيث قالوا ما هذا الا بشر
مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وقالوا ما لهذا الرسول يأكل
الطعام ويمشى فى الاسواق الى غير ذلك ثم اعلم ان ما ستر الحق تعالى أولئك الا غيرة عليهم
وصيانة لهم والله أعلم (قوله ومات بالعطش أفضل منهم) أى فالخوارق قد تكون مع
زيادة نور اليقين وقد لا تكون مع ذلك فتحصل على يد المفضول دون الفاضل ومع هذا
فالمزية بخوارق العادات لهم لا تقتضى أفضليتهم على غيرهم وكلهم من أهل كهف الايواء
معرفتهم أصعب من معرفته تعالى لان الله تعالى ظاهر بكماله وجماله فاذا أراد الله تعالى ان
يعرفك وليا من أوليائه طوى عنك وجود بشريته وأشهدك وجود خصوصيته (قوله
فلا ملازمة بين خوارق العادات الخ) أقول وذلك وجه صعوبة معرفة الولى قال
فى التنوير قال بعضهم الايمان بطريقتنا هذه ولاية أى لان الايمان بالفتح لا يكون الا
بالفتح اه ثم الولى يعرف بثلاث ايثار الحق والاعراض عن الخلق والتزام السنة بالصدق
قال الجرجانى الولى الفانى فى حال الباقى تولى الله سياسته فتوالت عليه أنوار التولى

(كانه سبيكة فضة فقلت) له (الى أين) تذهب (ياغلام فقال الى مكة فقلت بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة فقال لى ياضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والارض لا يقدر أن يوصلنى الى مكة بلا علاقة) بفتح العين وهى ما يتبلغ به من العيش قال ذلك لقوة يقينه ولطف ربه به وان كانت السنة حمل الزاد فى السفر ولا يدل على ضعف اليقين مطلقا فان الانبياء والائمة حملوه فى السفر لكنهم لم يعتمدوا عليه وانما اعتمدوا على ربهم ٨٢ (قال) ابراهيم (فلما دخلت مكة اذا أنا به فى الطواف وهو يقول ياعين سحى) بالدمع (أبدا * يانفس موتى كمدا ولا تحبى أحدا * الا الجليل الصمدا فلما رآنى) الغلام وتفرس منى انى متعجب منه (قال لى ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين) أى الضعف الموجب لسؤالك له عن السفر بلا زاد (وسمعته) أيضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجورى يقول اذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة) فمن استكمل الايمان وقوى يقينه بحسن صنيع الله له عد البلاء نعمة لما يعد عليه من الثواب وعد الرخاء نقمة لما يلزمه فيه من الشكر وخوف الحساب (وقال أبو بكر الوراق اليقين على ثلاثة أوجه يقين خبر) وهو العلم الحاصل عن خبر الانبياء بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار وغيرهما من أحوال يوم القيامة (ويقين دلالة) وهو ما حصل بالنظر الدال على حدوث العالم وقدم محدثه وكماله وكمال صفاته (ويقين مشاهدة) وهو العلم الذى يخلقه الله تعالى فى قلوب أنبيائه وأوليائه ويحتمل ان يكون مراده باليقين الاول علم اليقين لحصوله عن العلم من الخبر وبالثانى عين اليقين لاطلاع العبد من نفسه على مدلوله بوضوح الدليل صدق وبالثالث حق اليقين لكون الحق تعالى ينشئه فى قلوب المتقين بلا سبب ولغلبته على قلوبهم (وقال أبو تراب النخشبى رأيت غلاما فى البادية يمشى بلا زاد فقلت ان لم يكن معه يقين فقد هلك فقلت ياغلام فى مثل هذا الموضع) تكون (بلا زاد فقال ياشيخ ارفع رأسك) وانظر (هل ترى غير الله) أى ملكا لغير الله (تعالى) ففهمت منه انه قوى اليقين بان مالك الملك هو الذى يدبره ويحفظه

وفى الاشارة عن الله انما سميت الاولياء أولياء لانهم يلون فى دون ما سواه من خلق وحاصله ان الولى من تولاه الله فلم يدعه لغيره لاظاهرا ولا باطنا وتولى الله فلم يعرج على غيره بحال وبحسب هذا فكلهم محفوظون بحفظه وواصلون اليه على قدر نصيبهم وحظهم (قوله كانه سبيكة فضة) أى ذاتا وصفة باشراق الانوار الحسية والمعنوية (قوله فقال لى ياضعيف اليقين الخ) منه يعلم سر طلب الزاد والراحلة والرفقة فى السفر من ان الغالب على الخلق ضعف اليقين فطلب منهم ما تقدم رحمة بهم وشفقة عليهم وذلك كله باعتبار المبتدئين أما العارفون من الكاملين فهم وان ظهروا بالاسباب لا يعتمدون الا على رب الارباب فاخذهم بها لكونهم أئمة لغيرهم ممن يقتدى بهم والله أعلم (قوله ياعين سحى أبدا) أى ابكى أبدا شوقا على وصال الحبيب يانفس موتى كمدا أى حزنا على ذلك ولا تحبى أحدا أى لا تميلى الى أحد ميلا بغير شاهد العلم الا الجليل أى العظيم الصمدا أى المقصود لجميع ما سواه فاحبيه بدوام عباداته وطاعاته (قوله اذا استكمل العبد حقائق اليقين الخ) اعلم ان هذا المقام انما يتم لاولياء الله تعالى الذين هم أبواب أبوابه ومعرفتهم مفاتيح تلك الابواب واسنان هذه المفاتيح حفظ الحرمة وحسن الخدمة واتساع الرحمة ودوام الحشمة وذلك كما قيل * على قدر أهل العزم تأتى العزائم * فهنيئا مريئا لمن ذاق أو شاهد بعض من ذاق فقد قيل المطر قريب عهد بربه فيستحب البروز فيه والتبرك به وقت نزوله هكذا ذكره الشارع صلى الله عليه وسلم وهو مطر من السحاب فما ظنك بالمؤمن العارف بربه فهو من الاحرى والاولى النظر اليه حيث هو الصادق بالله السائر لله وبالله اذ فى ذلك سعادة الدارين عند مصادفة المحل والتوفيق فتهيأ ايها الاخ الشفيق (قوله صار البلاء عنده نعمة الخ) أى بحيث يجد له لذة بسبب شهوده مصدر الاحكام والافعال واستغراقه فى ذلك وقوله والرخاء مصيبة أى خشية الامتحان وخوف التقصير فى الشكر على ذلك لانه كما يمتحن بالفقد يبتلى بالوجود (قوله وقال أبو بكر الخ) أقول تقدم نظيره فى كلام بعضهم فلا تغفل (قوله اليقين على ثلاثة أوجه) أى وحصولها للعبد على وفق على هذا الترتيب (قوله وهو العلم الذى يخلقه الله الخ) أى بواسطة اشراق أنوار القلوب الواردة من خزائن مكنونات الغيوب فهو العلم الالهامى الذوقى المسبب عن الفيض الالهى وذلك بالنسبة للاولياء والصالحين يكون نتيجة أعمالهم بذوق خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم فهو علم وهبى (قوله لحصوله عن العلم من الخبر) أى باعتبار وجوب

(فقلت) له (الآن اذهب حيث شئت) فهذا انما يكون لمن قوي يقينه ورأى لطفا من الله عليه به فيجري على عادته مع الله ولا يكون مغرورا بخلاف من دخل على التجربة لا ينبغي له ان يغرر بنفسه فانه مخطئ وان سلم لضعف يقينه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا نصر الاصبهاني يقول سمعت محمد بن عيسى يقول قال أبو سعيد الخراز العلم ما استعملك) في الصحة وهو العلم بالاحكام الشرعية (واليقين ما حملك) وهو العلم بانه لا فاعل الا الله ولا معين سواه ولا يجري عليك الا ما سبق لك عنده (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر الرازي يقول سمعت أبا عثمان الادمي يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول طلبت المعاش لا كل الحلال) فرأيته في اصطياد السمك (فاصطدت السمك فيوما وقعت في الشبكة سمكة فاخرجتها) منها (وطرحت الشبكة في الماء فوقعت) سمكة (أخرى فيها فرميت بها) أي بالشبكة وأخرجت منها السمكة (ثم عدت) الى طرح الشبكة في الماء (فهتف بي هاتف) فقال (لم تجد معاشا الا ان تأتي من يذكرنا) ويسبحنا (فتقتلهم) نزل السمك منزلة من يعقل فعبر عنه بما يعبر به عمن يعقل (قال فكسرت القصبة) المتصلة بالشبكة (وتركت الاصطياد) ليس ذلك انكارا للاصطياد ولا لطلب الحلال بل عادة الله تعالى ان يؤدب أولياءه بخواطر ينبههم بها على انهم لا يسكنون الى غيره تعالى فمتى علم تعالى من أحدهم سكونا الى غيره نبهه ليرجع اليه ويعتمد عليه دون الاسباب والله أعلم

(باب الصبر) هو حبس النفس على كربه يتحمله أو لذيذ يفارقه وهو ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله) وقال وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وقال واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور (واخبرنا علي بن أحمد الاهوازي) رحمه الله (قال أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال حدثنا احمد بن أحمد بن علي الخراز قال حدثنا أسيد بن زيد قال حدثنا مسعود بن سعد عن الزيات عن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها رفعته) الى النبي صلى الله عليه وسلم

صدق الخبر كما هو ظاهر (قوله ولا يكون مغرورا) أي بالقاء نفسه في الهلاك (قوله بخلاف من دخل على التجربة) أي في ابتداء سيره وقبل ان يتخلق باحكام الرياضات والمجاهدات (قوله العلم ما استعملك الخ) أي العلم النافع ما قادك الى العمل به وقوله واليقين ما حملك أي ما حملك على سكون السر بشهود ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ويحتمل ان معناه ما كان باعثا لك على الجد والاجتهاد في معاملته تعالى (قوله في اصطياد السمك الخ) انما اختاره لعدم الشبهة في حله (قوله فهتف بي هاتف) أي رحمة الى عناية به لينتبه للاعلى من ذلك بالبعد عن الوقوف مع الاسباب (قوله ويسبحنا) أي بدلالة قوله سبحانه وتعالى وان من شيء الا يسبح بحمده الآية

(باب الصبر)

قال بعضهم الصبر على أنواع بعضها أفضل من بعض الاول الثبات على الكتاب والسنة قولا وفعلا وحركة وسكونا والثاني استواء النعمة والنقمة مع وجود الاحساس بشهود مقام الرضا والثالث وجود لذة في النقمة وكراهة في النعمة بواسطة يقين وعد الاجر وخوف الامتحان والنوع الاول ثابت مع باقي الانواع التي بعده وأسباب الصبر شهود مصدر الافعال واليقين بما أعده الله للصابرين وخوف التسخط بالمقدور وتحريم الاجر ويكسب الوزر والعلم بعدم فائدة الجزع واعلم انه قيل في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ان الصبر دون المصابرة وهي دون المرابطة لان المعنى اصبروا بحبس نفوسكم على طاعة الله وصابروا بقلوبكم على الرضا بالبلوى في الله ورابطوا باسراركم على الشوق الى الله وقيل اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله وحكمه مختلف وجوبا أو ندبا بحسب اختلاف ما يتعلق به فهو تعتريه الاحكام وقيل الصبر أفضل من الشكر لان الشاكر مع المزيد والصابر مع الله بنطوق قوله تعالى ان الله مع الصابرين (قوله هو حبس النفس الخ) أي القيام عليها بمطالعة ما أعده الله تعالى للصابرين وما توعد به المتسخطين حتى يكمل لها مقام الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه الجارية على وفق علمه وارادته بحكمته الباهرة للعقول (قوله قال الله عز وجل واصبر الخ) أي وقال فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال فاصبر صبرا جميلا وقال يا أيها الذين آمنوا اصبروا الآية وقال وما يلقاها الا الذين صبروا وقال ولمن صبر وغفر وقال والصابرين في البأساء والضراء وقال ان الله مع الصابرين وقال انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب الى غير ذلك من الآيات (قوله قال الله عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله)

(قال صلى الله عليه وسلم ان الصبر عبيد قال حدثنا أحمد بن عمر قال حدثنا محمد بن مرداس قال حدثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن أبي ميمونة عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر عند الصدمة الاولى ثم الصبر) اولا وبالذات على قسمين وثانيا وبالعرض (على) ثلاثة (أقسام صبر على ماهو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له فالصبر على) الشئ (المكتسب) له (على قسمين صبر على ما امر الله تعالى به) من واجب ومندوب (وصبر على مانهى عنه) من حرام ومكروه (واما الصبر على ماليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة مايتصل به من حكم الله تعالى عليه (فيما) له (فيه مشقة) من الآلام والاسقام في نفسه وولده وخادمه ونحوها (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيى يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول المسير من الدنيا الى الآخرة سهل هين على المؤمن) وان كانت فيه صعوبة ما من حيث فراق محبوبه من ولده ونحو ذلك لكمال الجزاء لانه تعالى وعد به لمن ترك شهوات الدنيا كما قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى فهو سهل هين بالنسبة لما يأتي (وهجران الخلق في جنب الله تعالى)

المعنى واصبر على ما أصابك من بعضهم من فنون الآلام والاذية وعلى ما عاينت من اعراضهم عن الحق بالكلية وماصبرك الا بالله استثناء مفرغ من أعم الاشياء أي وماصبرك ملابسا ومصحوبا بشئ من الاشياء الا بالله أي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤنه والتبتل اليه بمجامع الهمة وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام ثم وين مشاق الصبر عليه وتشريفه بما لامزيد عليه أو المراد الا بمشيئته المبنية على الحكم البالغة المستتبعة للعواقب الحميدة فالتسلية حينئذ من حيث الاشتمال على الغايات الجميلة وقيل الا بتوفيقه ومعونته فهي من حيث تسهيله وتيسيره والله أعلم (قوله قال صلى الله عليه وسلم الخ) أي وقال أيضا ما أعطي أحد شيأ أفضل من الصبر وقال الصبر نصف الايمان وقال الصبر الاسلام والسماحة (قوله قال صلى الله عليه وسلم) أي وسببه على مارواه مسلم يرفعه الى أنس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها اتقي الله واصبري فقالت وماتبالي بمصيبتي فلما ذهب قيل لها انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت يارسول الله لم أعرفك فقال انما الصبر عند الصدمة الأولى أو عند أول صدمة (قوله ان الصبر الخ) المعنى ان الصبر الكامل أجره هو الصبر الواقع في أول وقت المصيبة لانه الاشق اذ بعد ذلك الوقت تهون المصائب كما هو مشاهد فمن ابتلى في نفسه أو في ولده أو في ماله وصبر وقت الابتلاء ولم يجزع ولم يشك لاحد شكوى فهجر كان صبره من أكمل الصبر وجزاؤه من أعظم الجزاء والله الموفق (قوله عن أنس بن مالك الخ) أي وقد روى الترمذي يرفعه الى أبي سعيد الخدري أن ناسا من الانصار سألوا النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فاعطاهم ثم قال مايكون عندي من خير فلن ادخره عنكم ومن يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد شيأ هو خير واوسع من الصبر وقال فيه حديث حسن صحيح ورواه مالك في الموطا يرفعه الى أبي سعيد (قوله ثم الصبر أولا وبالذات الخ) حاصله انه حبس النفس على فعل الطاعات واجتناب المحرمات هذا هو كسب العبد ثم حبسها على الرضا بما يجريه الحق تعالى من أحكامه التي لاتلائم النفس (قوله أولا وبالذات) مراده ان القسمة باعتبار ذات الصبر في أول النظر ثنائية وباعتبار مايعرض لاحد القسمين ثلاثية وذلك واضح (قوله على قسمين) أي وحكمه باعتبار ما أضيف اليه فتعتريه الاحكام واعلم ان درجات المندوب منه متفاوتة كما لايخفى على من تأمله (قوله المسير من الدنيا الى الآخرة سهل) أي بشاهد علم النقل والعقل (قوله وان كانت فيه صعوبة ما الخ) يظهر منه حمله على انتقال العبد بالموت من الدنيا وهو الاظهر وان تبادر من كلام الشارح خلافه (واعلم) ان درجات الصبر متفاوتة على حسب تفاوت المعرفة بالله تعالى وعظمته وجلاله والمعرفة بالآخرة وتفصيل ما أعده الله فيها للصابرين والمعرفة بفوائد الصبر وثمراته في الدنيا ومايدخل به على القلوب من الراحات ومايصرف

أى طاعته (شديد) لمخالفته هوى النفس من حظوظها وراحتها الدنيوية (والصبر من النفس) بعدم الالتفات لهواها (الى الله تعالى) بالعمل لمحض أمره (صعب شديد) للمخالفة المذكورة (والصبر مع الله) حتى لا يرجع الصابر الى الالتفات المذكور (أشد) مما ذكر (وسئل الجنيد عن الصبر فقال هو تجرع المرارة) والمشاق (من غير) ظهور (تعبيس) بخلاف التصبر فالمتصبر يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما يمنعه من التسخط وترك ما هو فيه خوف الله والنار بخلاف الصابر فانه قد زال عنه المشاق وتعود حملها فلم يبق عليه فى تحمل ذلك مشقة (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد) من حيث انه اذا أزيل عنه هلك أو ان كثر منافع العبد فى رأسه فمتى حصل الصبر للعبد حصلت له جميع منافعه الدينية والدنيوية ومتى فقد هلك دينه فلم يقم بشئ منه (وقال أبو القاسم الحكيم قوله تعالى واصبر امر) منه (بالعبادة) يعنى بالصبر (وقوله وما صبرك الا بالله عبودية) أى تذلل وافتقار من العبد لمولاه فى جميع ما هو فيه واعلام له بانه لا يقدر على القيام بالصبر بل يستعين بربه فيه (فمن ترقى من درجة لك) فى نحو أصبر أو أصلى لك (الى درجة بك) فى نحو أصبر أو اصلى بك (فقد انتقل من درجة العبادة الى درجة العبودية قال صلى الله عليه وسلم بك أحيا وبك أموت) وبك أجادل وبك أقاتل (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عياشا يقول سمعت أحمد يقول سألت أبا سليمان عن الصبر فقال والله ما نصبر على ما نحب) لانا لو كلفنا الدوام على أكل أنفس الاطعمة والذها لنفرنا من ذلك وتألمنا (فكيف) نصبر (على ما نكره) مما يخالف هوى النفس فلا نقدر على الصبر عليه الا بعون الذى أمرنا به (وقال ذو النون) المصرى (الصبر التباعد عن المخالفات) للاوامر (والسكون عند تجرع غصص البلية) وفى نسخة البليات بنزول الآلام والاسقام وذهاب الولد ونحوه (واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة) هذا حال من تمكن فى صبره (وقال ابن عطاء الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الادب) بأن لا يجزع الصابر ولا يتسخط وان بلغ أعلى مقامات الصبر نال مقام الرضا (وقيل هو) أى الصبر (الفناء فى البلوى بلا ظهور شكوى) هذا قريب من كلام الجنيد السابق ويمتاز عنه بما دل عليه الفناء من شدة البلاء (وقال أبو عثمان الصبار) هو (الذى عود نفسه الهجوم على المكاره)

بعنها من الهموم وأنواع الجزع وغير ذلك (قوله شديد) أى بالنسبة لابتداء الارادة والا فقد تحصل له الوحشة بسببهم فى النهاية (قوله صعب شديد) أى ولذا كان سر القبول ومع ذلك هو بالنسبة لغير الكامل أما هو فهو عليه هين لين (قوله والصبر مع الله الخ) أى على معنى دوام مراقبة الله فى حقه على العبد (قوله من غير ظهور تعبيس) أى بسبب تمكنه من مقام الرضا (قوله بخلاف التصبر الخ) محصل الفرق بين الصبر والتصبر ان الاول خلق والثانى تخلق بتكلف (قوله بمنزلة الراس من الجسد) اى على معنى أن كمال الايمان لا يكون الا اذا صاحبه الصبر والا فلا يكون اما اصل الايمان فثابت مطلقا ولو جامعه اثم الجزع (قوله امر منه بالعبادة) اى حث على مظهر التكليف وقوله وما صبرك الا بالله عبودية اى ارشاد لمتابعة مقاماتها من التبرى من الحول والقوة (قوله فمن ترقى من درجة لك) أى المشعرة بالاستقلال بالفعل الى درجة بك افعل كذا اى المؤذنة بالتبرى من الحول والقوة (قوله فقد انتقل من درجة العبادة) اى فعل الطاعات على جهة التكليف والاستقلال الى درجة العبودية أى التى هى الاعتراف بالعجز والتبرى من الحول والقوة (قوله قال صلى الله عليه وسلم بك احيا الخ) أى لا بغيرك كما يؤذن به تقديم المعمول وفيه الاشارة والرمز بما تقتضيه الحقيقة فافهم (قوله ما نصبر على ما نحب) محصله انه لولا نعمة التوفيق من الله تعالى لما قدر أحد على متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم (قوله الصبر التباعد عن المخالفات الخ) محصله انه حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات وعدم القلق والشكوى عند الامتحان مع اظهار شرف النفس عند الحاجات سكونا مع القناعة والتعفف (قوله بان لا يجزع الخ) أقول وليس من الجزع والشكوى ذكر المصائب لحبيب أو طبيب ليسليه أو يداويه (قوله هو الفناء فى البلوى) أى الاستهلاك فيها مع قوة شدائدها بلا ظهور شكوى اى جزع وقلق واكمل من ذلك عدم الجزع باطنا كما لا يخفى (قوله هو الذى عود نفسه الخ) ليس المراد منه التعرض

بخلاف المتصبر والصابر فالمتصبر يتكلف حمل ما أصابه ويقاسي مشقته والصابر يحمل ذلك بدون مشقة وان وجد المـا والصبار
كذلك مع زيادة في الصبر لانه للمبالغة في درجات الصبر فهو يهجم على كل مكره ومشق بلا كلفة ويجد اللذة فيه فضلا عن المرارة
والمشقة (وقيل الصبر) هو (المقام) أي القيام (مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام) أي كالاقامة (مع العافية) بان يساوي حاله
في البلاء حاله في العافية (وقال أبو عثمان ٨٦ أحسن الجزاء على عبادة) من العبادات (الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله
سبحانه ولنجزين الذين صبروا
أجرهم باحسن ما كانوا يعملون)
لان من عمل حسنة جوزي بعشر
بل بسبعمائة للحديث المشهور
فيه بل يجازي بغير حساب قال
تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم
بغير حساب (وقال عمرو بن عثمان
الصبر هو الثبات مع الله تعالى
وتلقي بلائه بالرحب والدعة) أي
السكون (وقال الخواص الصبر
هو الثبات على أحكام الكتاب
والسنة) سواء كان في البلاء ام
في غيرها (وقال يحيى بن معاذ
صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين
واعجبا كيف يصبرون) أي
المحبون (وأنشد) في ذلك (الصبر
يحمد في المواطن كلها الا عليك)
بمعنى عنك (فانه لا يحمد) لان
الصبر يكون لله وبالله وعلى الله
وكل منها محمود ويكون عن الله
وهو مذموم لدلالته على قلة
الرغبة في القرب منه وامتثال
اوامره وتجنب نواهيه فهو بعيد
عن الله وصبر المحبين عن الله محال
لانه ينافي المحبة فهو اشق عليهم
ان يجري به القدر فانه يهلكهم
لما هم فيه من تحمل الضرر
(وقال رويم الصبر ترك الشكوى) لله ولغيره هذا من علامات الصبر لا نفسه وقيل الصبر ثلاث مقامات أولها شئ
ترك الشكوى وهي للتائبين والثانية الرضا بالمقدور وهي للزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع المولى وهي للصديقين (وقال
ذو النون) المصري (الصبر هو الاستعانة بالله تعالى) عليه والصابر قسمان

للهلكات اختيارا لحرمته شرعا بل المراد انه عند دعاوابه قهر ايدوم على القيام على
نفسه بحملها على الصبر البالغ درجة الكمال (قوله بخلاف المتصبر والصابر الخ) أقول
اخذ هذا كله من جواهر الصيغ الثلاث اذ التصبر تكلف الصبر والصابر من قام به الصبر
بدون مبالغة والصبار كذلك مع المبالغة (قوله ويجد اللذة فيه الخ) يحتمل انه من المبالغة
في الصبر ويحتمل الحقيقة باعتبار شهود المبلي في البلاء والمعذب في العذاب بل هذا اقرب
ويشير الى هذا المقام قول قائلهم شعرا

الفت الضنى حتى تطاول مكثه * فلو زال عن جسمي بكته الجوارح

والله اعلم (قوله بان يساوي حاله الخ) اي بان يكون في حال البلاء صابرا وفي حال العافية
شاكرا ويحتمل عدم وجدان الالم واللذة بسبب فنائه في المبلي والمنعم (قوله احسن
الجزاء الخ) اقول وان لم يكن من جزاء الصبر الا معية الحق تعالى لكفى كما اشار الى ذلك
قوله تعالى ان الله مع الصابرين (قوله لان من عمل حسنة الخ) تعليل مع بيان لقوله تعالى
باحسن ما كانوا يعملون ومحصله مضاعفة جزاء الصبر او كونه بغير حساب (قوله الصبر هو
الثبات الخ) اي الثبات بالصبر على البلاء والشكر على العافية والله الموفق (قوله صبر
المحبين الخ) اقول يكاد أن يكون من البديهي اذ لكل شئ من مألوفات النفس بدل ترجع
اليه وتعتاده بالقيام عليها به ولا كذلك في المحبوب اذ لا بدل له ولا حياة للروح بدونه
(قوله واعجبا الخ) حكمة ذكره ايهام ما قبله امكان الصبر من المحبين مع انه قريب من
رتبة المستحيل لخفاء سببه خفاء تاما والله اعلم (قوله الصبر يحمد) اي يكون محمودا بالثناء
على من تحقق به وقوله في المواطن كلها اي في جميع المنازلات التي ينازلها العبد من
حقوق الحق المطلوبة منه الا عليك بمعنى عنك ايها المحبوب فانه ان امكن تحققه ولو على
بعد فانه لا يحمد بل يذم (قوله وصبر المحبين عن الله محال) اي عادة كما يعلم من بقية كلامه
او المراد انه مستبعد استبعادا كليا بدليل قوله بعد فهو اشق عليهم الخ (قوله الصبر ترك
الشكوى لله الخ) اي افناء مراد العبد في مراد الرب وقوله ولغيره اي على وجه التملق
لا لمثل حبيب أو طبيب (قوله وهي للتائبين) أي وذلك لانهم رجعوا الى الله ومن رجع
اليه سكن لقضائه وقوله وهي للزاهدين أي وذلك لان من زهد في الدنيا رضي بكل ما يجريه
الحق من تصاريف أحكامه وقوله وهي للصديقين أي لان من صدق في الحب التذ بكل
ما يصدر عن محبوبه (قوله الصبر هو الاستعانة بالله الخ) أي بشاهد انه لا قوة لمخلوق على

صابر متحمل لرجاء الثواب وصابر متبرئ من حوله وقوته مستغن بالله وبينهما بون (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الصبر كاسمه) في المرارة والمشقة وشدة المعاناة في التداوي به (أنشدنا) الشيخ (أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال انشدني أبو بكر الرازي قال أنشدني ابن عطاء لنفسه سأصبر كي ترضى) يارب (وأتلف حسرة * وحسبي ان ترضى ويتلفني صبري) اي مقصودي رضاك وان كان فيه تلفي مما أقاسيه ويكفيني رضاك وان كان صبري عنك يتلفني لان العبد قد يؤدبه مولاه ويزيله عن مقامه الذي قربه اليه ويبعده عنه لما اختاره له وارتضاه فاذا كان العبد متأدبا في صبره مع مولاه جرى على قلبه ما اختاره له من تلفه اذا كان فيه رضاه (وقال أبو عبد الله بن خفيف الصبر) يعني من قام به الصبر (على ثلاثة أقسام متصبر وصابر وصبار) تقدم الكلام عليها (وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الصبر مطية لا تكبو) لخبر من تأنى أصاب أو كاد ولا يمكنه التأني وترك العجلة الا بالصبر فمن جعل الصبر مطيته استقام في سيره وبعد خطؤه في علمه وعمله (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت علي ابن عبد الله البصري يقول وقف رجل على الشبلي فقال أي صبر اشد على الصابرين فقال الصبر في الله تعالى) وهو الصبر على تغيير الاخلاق المذمومة والاتصاف بالمحمودة والاشتغال بانواع الطاعات (فقال لا فقال الصبر لله) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة (قال لا فقال الصبر مع الله) وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله وهو متأدب معه في جميع ما يرد منه راض بذلك (قال لا فقال فايش الصبر) الاشد (قال الصبر عن الله) وهو ان يبعد الله العبد عنه بعد تقريبه اليه فيلازم الباب ويتمرغ في التراب (فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه ان تتلف) لان قلبه لم يحتمل البعد ولا سماع ذكره فهذا الصبر مذموم كما سيأتي (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول الصبر ان لا يفرق بين حال النعمة و) حال (المحنة مع سكون الخاطر فيهما) بالنظر لاختيار الله لك لانك لا تدري أي الحالين أصلح لك في دينك وهو أعلم بما يصلحك (والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان اثقال المحنة) وتكلفها بخلاف الصبر فانه لا وجدان لذلك فيه وان وجد فيه ألم كما مر (وأنشد بعضهم) مايدل على زيادة كتم الصبر وهو

شئ الا بتوفيقه تعالى واقداره (قوله صابر متحمل لرجاء الثواب) أي ثقة بوعد الكريم وذلك من منازل العوام وقوله وصابر متبرئ من حوله وقوته أي بفنائه واستغراقه في ذات المبتلي وهو من منازل العارفين الخواص (قوله الصبر كاسمه الخ) أي وذلك بالنسبة للمريدين في ابتداء سيرهم الى الله تعالى لا بالنسبة للعارفين المحققين فهو عندهم سهل لا مشقة فيه بل ربما يجدون فيه لذتهم (قوله سأصبر كي ترضى الخ) أي أدوم على سكون قلبي وطمأنينته عند ما تجريه علي من تصاريف احكامك ولو كان في ذلك تلف نفسي حسرة وحزنا على ما فاتني من شهود جمالك وجلالك وتحقق رضاك حيث تعلقت بذلك قدرتك وارادتك ويكفيني رضاك بدلا عن كامل ما لو فاتني من الحال والمقام والقرب ولله در من قال شعرا

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

اجد الملامة في هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمني اللوم

تدبره فانه في غاية الرقة (قوله تقدم الكلام عليها) اي وانها مرتبة في الفضيلة على هذا الوجه المذكور (قوله الصبر مطية لا تكبو) اي مركب لا يخيب راكبه عن بلوغه مقصوده الدنيوي والاخروي لخبر من تأنى أصاب او كاد اي فهو بتأنيه وعدم عجلته قد يهتدي الى صواب العمل فيفعله وقد لا يهتدي اليه غير انه بتأنيه بعد عن الوقوع في الخطا وقرب من فعل الصواب وبالضد يعلم حكم ضده (قوله لخبر من تأنى الخ) تمامه ومن تعجل أخطأ او كاد وانما اقتصر على ما ذكره لانه شاهد الباب (قوله وهو الصبر على تغيير الاخلاق الخ) اي وذلك من اصعب المنازل اذ فيه مخالفة النفس وارجاعها عن مألوفاتها (قوله مع التبري الخ) اي بشهود الاعانة الالهية في جميع الحركات والسكنات (قوله راض بذلك) اي بالفناء عن مراده في مراد ربه (قوله فهذا الصبر مذموم) اي شرعا وعقلا (قوله مع سكون الخاطر فيهما) اي بسبب قوة الصبر عند المحنة والشكر وقت النعمة استغراقا في مرادات الله تعالى فيه (قوله بخلاف الصبر الخ) اي فهو افضل

(صبرت) على حبك بالله (ولم اطلع هواك) أي حبك (على صبري * وأخفيت ما بي منك) من الهوى (عن موضع الصبر مخافة ان يشكو ضميري صبابتي *) أي ما أجده من حبك وما أقاسيه من صبري في ذلك (الى دمعتي سرا فتجري ولا أدري) بها (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول فاز الصابرون بعز الدارين) دار الدنيا ودار الآخرة (لانهم نالوا من الله معيته قال الله تعالى ان الله مع الصابرين) لا بالزمان ولا بالمكان ٨٨ بل بالعلم والاحاطة مع الكل و بالحفظ مع الاولياء و بالنصر والمعونة مع الانبياء (وقيل في معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة) أي اصبروا على الطاعات وصابروا مع نبيكم في جهاد عدوكم ورابطوا الخيل واحبسوها للجهاد (وقيل) في معناه (اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله ورابطوا باسراركم على الشوق الى الله وقيل) في معنا (اصبروا في الله) أي في طاعته (وصابروا بالله) أي بعونه (ورابطوا مع الله) أي بالادب معه ودوام تعظيمه (وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام تخلق باخلاقي وان من اخلاقي انني انا الصبور) امره ان يبالغ في الصبر لان صبورا للمبالغة (وقيل تجرع الصبر فان قتلك قتلك شهيدا) لكونك مجاهدا في طاعة الله (وان احيالك احيالك عزيزا) أحمالك الاذى (وقيل الصبر لله عناء) اي مشقة وكلفة (والصبر بالله بقاء) اي عون منه (والصبر في الله بلاء) اي اختبار وامتحان بما ينزل من القضاء (والصبر مع الله وفاء) لما امتحن به (والصبر عن الله جفاء) اي بعد واعراض عنه نعوذ بالله من ذلك (وانشدوا) في ذلك ولعبوا

(والصبر عنك فمذموم عواقبه * والصبر في سائر الاشياء محمود وانشدوا) ايضا (وكيف الصبر عمن حل مني * بمنزلة اليمين من الشمال بل اعظم (اذا لعب الرجال بكل شيء * رأيت الحب يلعب بالرجال) وفي نسخة تقديم البيت الثاني على الاول

من التصبر كما هو ظاهر (قوله صبرت على حبك بالله الخ) اي حبست نفسي على كتم حبي اياك وعدم اظهاره غيرة مني عليك فلم اطلع عليه كائنا من الكائنات حتى نفس الحب الحاصل عندي مبالغة في الاخفاء وقوله واخفيت ما بي منك الخ اي سترت ما اصابني من حبك وميلي بكليتي اليك عن موضع الهوى اي عن قلبي وسري مبالغة بعد مبالغة وقوله مخافة ان يشكو ضميري صبابتي اي لاجل الخوف من طوارق غرامي وشوقي ان يغلب على فتجري مدامعي فتنم باشواقي قهرا ولا أدري لعدم اختياري لذلك ويسهل فهم هذه المبالغات الفائقة انه بواسطة قوته على عدم اظهار آثار المحبة على شاهده حتى كأنه غير حاصل له شيء من أنواع المحبة بالغ حتى جعل هذه الحالة من قبيل الاخفاء على نفسه وضميره وهذا كما ترى في غاية اللطافة والرقة والمبالغة (قوله الصبر دون المصابرة) أي لان فيها بذل النفس في مرضاة الرب وقوله والمصابرة دون المرابطة أي لزيادة المرابطة ببذل المال زيادة عن النفس مع هجر الوطن والاهل غالبا (قوله وقيل في معناه الخ) أي وهي مرتبة في الفضيلة على حسب ما تقدم (قوله وقيل في معناه اصبروا في الله الخ) أقول فكل منهم قد تكلم على الصبر بحسب ما نال من شربه على حسب استعداده (قوله تخلق باخلاقي الخ) فيه ان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا ما لم يقرره شرعنا بالكتاب والسنة (قوله تجرع الصبر) أي تحمل مشاقه فان قتلك أي فان كان سببا في قتلك مت شهيدا المجاهدة في الطاعة وان أحيالك على معنى الحفظ منه عشت عزيزا رفيع القدر في الدنيا والآخرة (قوله وقيل الصبر لله عناء) أي لان هذا المقام يبقى معه احساس النفس بعاداتها وقوله والصبر بالله بقاء أي لفناء النفس باعانة الله وشهود الافعال من مصدرها وقوله والصبر في الله بلاء أي ابتلاء منه تعالى لعبده هل يدوم على الرضا أولا وقوله والصبر مع الله وفاء اي فهو من ثمرة ما قبله ومن نتائجه وقوله والصبر عن الله جفاء أي سببه قسوة قلب العبد وعموم غفلاته حتى تعمى بصيرته وذلك بسابق القضاء الازلي نعوذ بالله من ذلك (قوله والصبر عنك الخ) هو كالدليل على ما قبله وقوله فمذموم عواقبه أي عقلا وشرعا لما يترتب عليه من الجفاء والبعد عن منازل الاخيار ومقام المقربين (قوله وكيف الصبر الخ) استفهام انكاري معناه ان ذلك لا يصح وقوعه اذ لا غنى للانسان عن يمينه ولا عن شماله بل هو الى اليمين أشد احتياجا وقوله اذا لعب الرجال الخ معناه ان الكاملين في مقامات الرجولية وان استحقوا بكل شيء وقدروا عليه

(وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر) أى علامته (والصبر فى) بمعنى على (المحن علامة الفرج) وذلك لان لكل بلاء امدا واذا
من الله على العبد بالصبر خف عليه أمره وخفته دليل الفرج (سمعت منصور بن خلف المغربى رحمه الله يقول جرّد واجد
للسياط) أى للضرب (فلما) ضرب بها ثم (رد الى السجن دعا بعض أصحابه فتفل) بالمثناة (على يده والقى من فمه فاق الفضة
على يده (فسئل) عن ذلك (فقال كان فى فى درهمان وكان على حاشية الحلقة) التى نحن فيها (لى عين) ترانى كيف أضرب فيها (فلم
أردان أصيح لرؤيته) أى لرؤية الرائى بها (اياى) بل صبرت وتحملت المشقة لرؤيته اياى (فكنت أعض على الدرهمين فتكسرا
فى فى) فى ذلك دلالة على ان من استشعر نظر الحق اليه فى صبره على ما تحمله يشتد صبره ٨٩ وهذا الصبر اعنى الصبر لرؤية المبلى
فوق الصبر لكثرة الجزاء (وقيل حالك التى أنت فيها رباطك) أى حفظك (ومادون الله تعالى اعداؤك فاحسن المرابطة فى رباط حالك) والمرابطة تجرى فى كل ملازمة تكون حراسة فى سبيل الله سواء حرست من آنس ام جن أم غيره (وقيل المصابرة هى الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر فى الصبر فيعجز الصبر عن الصبر) فغاية الصبر ان يستغرق العبد جهده فى الصبر ثم يرى صبره قليلا فى جنب ما يليق عولاه فى مقام الصبر (كما قيل صابر الصابر الصبر فاستغاث به الصبر) وطلب الخلاص منه لعجزه عن مقاومته (فصاح المحب بالصبر صبرا) أى صاح بصبره اصبر لمحبوبك على ما يريد وذلك لاستحلائه مرارة الصبر لعلمه بما فيه من الخير ولما كان الصبر مرا مكروها كان حبس النفس عليه صبرا على الصبر
١٢ يج ث وذلك يستلزم استمرار البلاء وروى الشطر الثانى * فنادى الصبور يا صبر صبرا * وروى قبل ذلك بيت آخر
وهوان صوت المحب من الم الشو * ق وخوف الفراق يورث ضرا (وقيل حبس الشبلى وقتا فى المارستان فدخل عليه جماعة
فقال) لهم (من أنتم فقالوا احباؤك جاؤك زائرين فاخذ يرميهم بالحجر) اختبارا لمحبتهم له (وأخذوا يهربون) منه (فقال) لهم
(يا كذابون لو كنتم احبائى) صادقين (لصبرتم على بلائى) اعتبارا بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن فى المارستان ونسبته الى
الجنون وليس بمجنون (وفى بعض الاخبار) قال الله (بعينى) ارى (ما يتحمل المتحملون من اجلى) فاجازيهم عليه (وقال الله تعالى
واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال بعضهم كنت بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيرا طاف بالبيت وأخرج من جيبه رقعة

ولعبوا به لاطاقة لهم على مغالبة الحب لقهره اياهم وغلبته على قلوبهم فهو الذى يلعب
بهم لانهم يصيرون معه بدون حركة ارادية ومع ذلك فالكلام من باب التقريب للعقول
القاصرة على حسب ما تعهد وتألف والافلا يمين ولا شمال بل ولا الجملة جميعها بالنسبة لاقل
اقل ما للمحبوب الحق تعالى اسمه وجلت عظمته (قوله وقيل الصبر على الطلب) أى على
عدم سرعة اجابة المطلوب بداوم الالحاح (قوله عنوان الظفر) أى أمارة على الوصول
الى المقصود وقوله والصبر فى المحن الخ اى حبس النفس وقت الامتحان والاختبار على
عدم القلق والشكوى علامة على الفرج بزوال سبب الامتحان والابتلاء (قوله
على حاشية الحلقة الخ) أقول ذلك تقريب للعقول بالمحسوس على ما يعهد من عادة
النفوس (قوله فوق الصبر لكثرة الجزاء) أى لانه وقوف مع حظ النفس من نيل ما وعد
به الحق (قوله وقيل حالك الخ) حاصل الغرض منه الحث على الاستغراق والفناء وجمع
الهمة على ما وصفك به الحق من الاحوال واقامك فيه من منازل الكمال فما دون الله
أى كل شئ سواه تعالى أعداؤك لا يجوز لك الرجوع اليه ولا الالتفات له لانه يشغل عن
المقصود ويبعد عن الرب المعبود (قوله صابر الصبر الخ) محصله المبالغة حيث جعل
للصبر صبرا وجعل له استغاثة بقوة سلطانه عليه حتى صاح المحب بالصبر صبرا وغاية
المقصود انه صبر على مرضاة الحق سبحانه وتعالى حتى فنى صبره وفنى هو عن شهوده لحسبانه
قليلا بل كالعدم فى جنب ما صبر لاجله والله أعلم بمراد أحبائه (قوله ولما كان الصبر مرا
مكروها) اى يشاهد حظ النفس كان حبس النفس الخ تسهيل للتجوز فى جعله للصبر
صبرا آخر (قوله وقيل حبس الشبلى الخ) فيه تنبيه على ان دعوى المحبة مع عدم تحمل
اعبائها والصبر على مشاقها دعوى زور وبهتان بشهادة العيان والله اعلم (قوله بعينى
الخ) اى باحاطة علمى بذلك اجازيهم على ما يعالجون من أجلى من الصبر على تحمل المشاق
(قوله واصبر لحكم ربك) باهمالهم الى اليوم الموعود وابقائك فيهم مع مقاساة الاحزان

ونظر فيها او مر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته اياما وهو يفعل مثل ذلك فيوما من الايام طاف ونظر في الرقعة وتباعد قليلا وسقط ميتا) لما غشيه من العظمة والهيبة بتأمله ما فيها (فاخرجت الرقعة من جيبه فاذا فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقيل روى حدث) أي شاب (يلطم وجه شيخ بنعله فقيل له الا تستحيي) كيف (تضرب حر وجه شيخ بمثل هذا) حر الوجه ما بدا من الوجنة (فقال جرمه) اى ذنبه عظيم (فقيل) له (وماذا) فقال هذا الشيخ يدعى انه يهواني) اى يحبني (ومنذ ثلاث) من الايام (ما رآني) الغرض من ذلك ان من يحمل المحبة لا يليق به البعد عن محبوبه وان كانت الحكاية من أقبح ما يمثل به (وقال بعضهم دخلت بلاد الهند فرأيت رجلا يفرد عين يسمى فلانا الصبور فسألت عن حاله فقيل هذا في عنفوان شبابه) أي اوله (سافر صديق له فخرج في وداعه فدمعت احدى عينيه ولم تبك الاخرى فقال للعين التى لم تدمع لم تدمعي على فراق صاحبي لاحرمنك النظر الى الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه) فيه دلالة على ان العبد اذا احس من نفسه الفتور عن الاسف والندم على ما فاته من الخير ادبها بالآداب الجائرة فيمنعها بعض مشتهياتها الناجزة ما لم يخل ذلك بشيء من امر دينه وغاية هذا الرجل انه أغلق عينه ومنعها شهواتها الناجزة (وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدرى من هو) لكمال صبره وتحمله بحيث لم يظهر على ظاهره من المشي كما قال بعضهم كنا اذا احضرنا الجنازة لاندري من نعزي

(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كان الصبر والشكر بعيرين لم ابال ايهما ركبت) لان كل ما يرد علي من الله اعده نعمة فان كان فيه المحسن صبري فيه أو راحة حسن شكري فيه فكل منهما علي سهل (وكان ابن شبرمة رحمه الله اذا نزل به بلاء قال) هذه (سحابة) تمر (ثم تنقشع) اى تنكشف فيه دلالة على كمال معرفته بقلة دوام البلاء والنعم وان كلا منهما لا يدوم في الدنيا فكل من تعود الصبر وعلم قربه سهل عليه تحمله عند اول صدمة ثم لا يزال أمره يخف حتى ينقضي (وفي خبر ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الايمان فقال) هو (الصبر) عن الشهوات المكروهة (والسماحة) بالقربات ولذلك قيل الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر فالصبر على البلايا والشكر على النعم وفيه دليل على ان الايمان يطلق على اعمال الجوارح (اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى قال اخبرنا محمد بن احمد بن طاهر الصوفي قال حدثنا محمد بن علي) التيجاني (قال حدثنا محمد بن اسمعيل البخاري قال حدثنا موسى بن اسمعيل قال حدثنا سويد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال) هو (الصبر والسماحة) كما تقدم (وسئل السري) السقطي (عن الصبر فجعل يتكلم فيه فدبت على رجله عقرب وهي تضربه بابرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له لم لم) وفي نسخة لا (تنحيها فقال استحييت من الله ان أتكلم في الصبر ولم اصبر) فيه ان العبد لا يتكلم في شيء من علوم المقامات والاحوال الصالحات حتى يكون متخلقا به ليسلم من الدخول في ذم الله لمن يقول ما لا يفعل فيسلم من مقته كما قال كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون لكن هذا المقت انما يكون للمرائي في كلامه الذي يوهم الناس انه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم وللكذاب المتشبع بما لم ينل وهو المدعى بمقام لم يبلغه (وفي بعض الاخبار الفقراء الصبر) بفتح الباء مع تشديدها (هم جلساء الله تعالى يوم القيامة) بقربه منهم بفضله ورحمته وجزائه قال تعالى وجزاهم بما صبروا الآية

والهموم فانك باعيننا أى في حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك وجمع العين للايذان بغاية الاعتناء بالحفظ (قوله بتأمله ما فيها) اى بما يدل على احاطة علم الله به مع تقصيره نفسه في عبادة ربه (قوله وان كانت الحكاية من أقبح ما يمثل به) أي بالنسبة لما فعله الشاب بالشيخ والا فلا قبح في تحمل الشيخ اذا كانت محبته لله مع العفة والكتمان اذ تقريب الغائب بالشاهد واقع وكثير على لسان الشرع والعقل (قوله ان يكون صاحب المصيبة الخ) اقول ومثل ذلك في غاية الندور ومن اغرب ما يكون (قوله لم ابال ايهما ركبت) اى لحاله رضي الله عنه دائر مع الصبر عند الابتلاء والشكر عند العطاء وهكذا تكون الكمل من عباد الله (قوله قال هذه سحابة الخ) اى فكان يسلي نفسه ويسهل لها سبيل الصبر لتدوم على ائتلافه (قوله فقال هو الصبر) أقول ذلك على حد قوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة (قوله وهو ساكن) اقول مثل ذلك من اخلاق الصوفية والاولى الذب بشاهد علم الشرع بل علمه ان أضره (قوله بقربه منهم) أى قرب مكانة لا مكان

(وأوحى الله تعالى الى بعض انبيائه انزلت بعبدى بلائى فدعانى فماطلته بالاجابة فشكانى فقلت يا عبدى كيف أرحمك من شئ به أرحمك) فى ذلك دلالة على انه سبق فى علمه تعالى ان رحمته لعبده تكون على هذا البلاء الذى هو شرط للصبر فكيف يسأل رفعه فالعبد انما ترتفع درجته بحسن صبره على ما ابتلاه به فالبلاء شرط للصبر المرتب عليه الجزاء العظيم فاذا ابتلاه ربه ببلاء فدعاه ان يعافيه منه فكانه يقول يارب ازل عنى مابه ترحمني (وقال ابن عيينة فى معنى قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا قال) زايد (لما أخذوا برأس الامر) وهو الصبر لما مر انه من الدين بمنزلة الرأس من الجسد (جعلناهم رؤساء) اى أئمة يقتدى بهم (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول ان الصبر حده ان لا تعترض) انت (على التقدير) عليك بما حل بك (فاما اظهار البلاء على غير وجه الشكوى) كان يخبر به صاحبه ممن سأله عن حاله من قريب او طبيب او نحوه (فلا ينافى الصبر قال الله تعالى فى قصة أيوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب مع ما أخبر عنه تعالى أنه قال مسنى الضر وسمعته) ايضا (يقول استخرج الله (منه) اى من ايوب مع كمال صبره (هذه المقالة يعنى قوله مسنى الضر لتكون) المقالة (متنفسا) بفتح الفاء (لضعفاء هذه الامة) ممن مسه الضر حيث يدعونه بها اقتداء فينفس كربهم ويرجون (وقال بعضهم) قال تعالى 91 (انا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا) او صبارا (لانه لم تكن جميع احواله الصبر) حتى يتوالى عليه فيها (بل كان فى بعض احواله يستلذ البلاء ويستعذبه فلم يكن فى حال الاستلذاذ صابرا) لكونه يعده نعمة ومن يعده نعمة فادبه الشكر (فلذلك لم يقل صبورا) او صبارا وهذا ثناء من الله تعالى على ايوب عليه السلام لكونه لم يكن فى بعض احوال بلائه صابرا بل كان متنعما شاكرا وحال الشكر اتم من حال الصبر (سمعت الاستاذ اباعلى رحمه الله يقول حقيقة الصبر) اى غلبة حاله على القلب (الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه) اى بقدره لان غالب جزع الناس منه انما هو عند اول صدمته ولذلك كان الصبر عند الصدمة الاولى اعظم فاذا كان العبد ناظرا الى الحق المبلى كان حاله فى اول دخوله كحاله فى آخره (مثل ايوب عليه السلام فانه قال فى آخر بلائه مسنى الضر وانت ارحم الراحمين فحفظ) لما اشتد عليه البلاء (ادب الخطاب حيث عرض) بعد قوله مسنى الضر (بقوله وانت ارحم الراحمين) اى فصبرنى لانك ارحم الراحمين ورحمتك للناس عامة وانا منهم (ولم يصرح بقوله ارحمنى) فلم يذكر مسنى الضر شكوى عن البلوى بل ذكره توطئة لطلب الصبر ولم يقل وانت ارحم الراحمين طلبا لزوال البلاء بل للصبر عليه (واعلم ان الصبر) بالنسبة للصابرين (على ضربين صبر العابدين وصبر المحبين فصبر العابدين احسنه ان يكون محفوظا) لشدة احتياجهم اليه فى الاعمال (وصبر المحبين احسنه ان يكون مرفوضا) اى متروكا لشدة قلقهم فى الوصول الى مطلوبهم ويزول عنهم صبرهم لسرعة وصولهم الى محبوبهم (وفى معناه) مما يدل على نفى صبرهم (انشدوا تبين يوم البين) اى الفراق والبعد (ان اعتزامه) اى عزمه (على الصبر من احدى الظنون الكواذب) المعنى انه فى حال قربه من محبوبه وتنعمه بانسه به اذا عزم على انه ان ابعده صبر فلما ورد وقت الامتحان

تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله فماطلته) أى لم أجبه بعين مسئلته والا فالاجابة لابد منها على حسب الوعد الحق وانما تكون الاجابة بمقتضى الحكمة العلية والله أعلم (قوله فكانه يقول الخ) الغرض الحث على الرضا والصبر والا فالدعاء مندوب اليه والاسيما فى وقت الشدائد (قوله لما مر) أى عن على كرم الله وجهه (قوله حده) أى غايته وثمرته عدم الاعتراض والشكوى بل الرضا بالبلوى (قوله استخرج الله منه الخ) أى قدر وقوع هذه المقالة منه لحكمة التنفيس على الضعفاء كما يرشد اليه قوله جل شأنه وما جعل عليكم فى الدين من حرج (قوله بل كان فى بعض احواله يستلذ البلاء) أى بواسطة شهوده المبلى فيه ولذا قال قائلهم شعرا

الفت الضنى حتى تطاول مكثه * فلو زال عن جسمى بكته الجوارح

(قوله كان حاله فى أول دخوله كحاله فى آخره) أقول بل قد يكون حاله التلذذ به فى أوله والتضرر بزواله فى آخره خوف الامتحان بالعافية (قوله أن يكون محفوظا) أى دائما لا ينفك عن ذلك (قوله تبين يوم البين الخ) حاصل معناه كما أشار اليه الشارح مع بعض ايضاح ان المحب قد يخيل اليه فى حالة قربه من محبوبه انه يمكنه الصبر على فراقه لو اتفق وهذا التخيل من الظنون الكاذبة بل من الاوهام الفاسدة اذ كيف يكون بقاء الجسم

بدون روح (قوله أصبح يعقوب عليه السلام الخ) أقول صبره وعدمه بالله وفي الله ولله راجع الفص اليعقوبي تفهم والله أعلم

(باب المراقبة)

المراقبة هي لغة الخوف منه تعالى بالنظر الى اشراف العبد على احاطة العلم القديم به وهي تنقسم الى مراقبة العلم والى مراقبة الحال وهي المقصودة هنا أما مراقبة العلم فهي الاشراف على انه تعالى المنفرد بالاحكام فيراقبه فيما أوقعه به أو زواه عنه وذلك يكون عند خواطر القلوب وأول دعاتها وعند عزوبها وعقودها وعند ابتداء الافعال بالجوارح وفي اثنائها وقبل التمام وبعد الختام وذلك يختلف باختلاف كمال العلم والجهل بالاحكام وأما مراقبة الحال فهي ان يغلب على قلب العبد انفراد الحق بالافعال ورؤيه من سواه بعين الافتقار الى النوال من غير تخلل غفلة الا اليسير الجاري مثله على الصديقين والمقربين وقال بعضهم المراقبة على ثلاث درجات مراقبة الحق في السير اليه ومراقبة نظر الحق الى العبد ومطالعة الازل بمراقبة السبق فالاولى مراقبة الاحكام والثانية مراقبة الاطلاع والثالثة مراقبة الانخلاع أي التبري من الافعال وقال بعضهم المراقبة على درجات ومقامات على حسب هم العبيد المقربين فقد يراقب العبد قلبه ويقتدي به في حكمه وذلك اذا أشرقت الانوار الاقدسية على القلب والنفس والسر فصاروا أئمة يهتدى بهديهم ويستضاء بانوارهم بالنسبة لما تحتهم من عالم هيكلهم ومملكة جسدهم وله الاشارة بقول قدوة العارفين وامام الكاملين صلى الله عليه وعلى اخوانه النبيين والمرسلين وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون وسبب المراقبة معرفة العبد صفات الحق وكمالاته ويقينه بوعده ووعيده وجزمه باحكامه وانه لا مرد لها والدليل على المراقبة كل آية وخبر دل على وجوب النية والتثبت قبل الفعل قال تعالى يخافون ربهم من فوقهم الآية وهذه الآية تقريب للاذهان وجرى على المعتاد والافهو تعالى منزه عن الجهات بل وجميع الآيات الدالة على الاسماء والصفات دليل على المراقبة واعلم ان المراقبة من أعظم أسباب الاستقامة وآداء العبادة على اكمل وجوه الطلب وغاية البعد عما به يكون العطب واعلم انه من مراقبة الحال ان يراقب العبد حاله ان يشوبه حظ نفس كما يراقب عمله ان يقع على غير وجهه فيقع في الخسران فتكون أحواله مبراة من حظوظها منعكفة على موافقة مجريها فان خطرت خطرة عجب او اعتماد على عمل او سكون الى حال كان متيقظا لها مبادرا بالاصلاح لما يكون فيها ومن المراقبة ايضا مراقبة حفظ الادب مع الله تعالى بعد حصول المقامات وبلوغ اعلى الدرجات مراقبة محفوفة بالحياء معضودة بالجد على جزيل العطاء قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وحكم المراقبة الوجوب في مراقبة القيام بالواجبات والتحفظ عن ارتكاب المحرمات والندب في مراقبة حب الراحات وتضييع الاوقات وتأخير المندوبات أو الوقوع في المكروهات

والابتلاء تبين ان عزمه كان ظنا كاذبا (وفي هذا المعنى) ايضا (سمعت الاستاذ اباعلي رحمه الله يقول اصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه) اول النهار (فقال) لبنيه (فصبر جميل اى فشأني صبر جميل ثم لم يمس حتى قال يا اسفي على يوسف) لما امتلأ قلبه من حبه

(باب المراقبة)

هى لغة دوام ملاحظة المقصود واصطلاحا دوام النظر بالقلب الى الله تعالى وترقب ما يبدو من افعاله واحكامه ويعبر عنه باستشعارك نظر الله اليك فى حركاتك وسكناتك وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده ووعيده واحكامه وثمرتها حسن الادب والسلامة من شدائد الحساب والتحلى بحلية الاولياء ذوى الالباب وهى ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا) وقال ان الله كان عليكم رقيبا أى فراقبوه أنتم أيضا (وأخبرنا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن اسحق قال حدثنا ابو عوانة يعقوب بن اسحق قال حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال حدثنا خالد بن يزيد قال حدثنا اسمعيل ابن ابى خالد عن قيس بن ابى حازم عن جرير بن عبد الله البجلى رضى الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة رجل فقال يا محمد ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره قال صدقت قال فعجبنا من تصديقه النبى صلى الله عليه وسلم وهو يسأله ويصدقه قال فاخبرنى ما الاسلام قال الاسلام ان تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال صدقت قال فاخبرنى ما الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال صدقت الحديث) أى قال فاخبرنى عن الساعة قال ليس المسؤل عنها باعلم من السائل قال فاخبرنى عن امارتها قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان ثم ذهب (هذا الذى قاله صلى الله عليه وسلم) من قوله (فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة) من العبد (لان المراقبة) اى ابتداءها (علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه)

وتضييع الاوقات فى المباحات (قوله دوام ملاحظة المقصود) أى سواء كان دينا أو دنيويا فهو أعم من المعنى الاصطلاحى (قوله دوام النظر بالقلب الخ) يحتمل ان معناه دوام استحضار القلب احاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته وترقب ما يبدو من أحكامه تعالى ويحتمل انه النظر بعين البصيرة الى كمالاته تعالى ويرجح الاول قول الشارح ويعبر عنه الخ (قوله وسببها معرفة الله الخ) هو من اضافة المصدر للمفعول أى معرفة العبد ذات الحق وصفاته ويقينه بوعده ووعيده وجزمه باحكامه وانه لا مرد لها (قوله وثمرتها) أى فائدتها ونتيجتها حسن الآداب أى بايقاع جميع الطاعات على أحسن وجوه طلبها حتى يسلم من العطب ويفوز بالارب (قوله والتحلى بحلية الاولياء) أى الاتصاف بصفاتهم والولى فعول بمعنى مفعول أى من تولى الحق امره أو بمعنى فاعل أى من قام بعبادة ربه (قوله وكان الله على كل شئ رقيبا) أى مراقبا وعالما ومطلعا لا يعزب عن علمه شئ (قوله وقال ان الله كان عليكم رقيبا) فائدتها بعد الآية التى قبلها التأكيد والتنصيص على خصوص المقام (قوله جاء جبريل الخ) الغرض من سياقه ما اشتمل عليه فى بيان الاحسان من قوله ان تعبد الله الخ فهو محل شاهد الباب ودليل طلب المراقبة من العبد وان هذا مقام العارفين المحققين اذ الحق سبحانه وتعالى لا يعامل الا بمثل هذا لانه لا يليق بكمالاته تعالى الا مثل هذا الطريق لان غيره لا يخلو عن تقصير بواجب الحق على العبد والله الموفق هذا وفى الخبر اشارة الى رؤية الأولياء كالانبياء للملائكة فان الصحابة رضى الله تعالى عنهم راوا جبريل وأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم انه جبريل (قوله فقال ان تؤمن بالله الخ) يؤخذ من الحديث مغايرة الايمان والاسلام وهو كذلك على ما عليه جمهور المتكلمين (قوله فقال الاحسان الخ) أى فدل الخبر على تقسيم الاحسان الى مرتبتين الاولى عبادة العبد ربه كانه يراه وهى اتم وأعلى والثانية ان يعبده مستشعرا ان الله تعالى يراه ولا خفاء فى تفاوت الحال بينهما فمن تصرف لشخص بحضوره ورؤيته كان تصرفه أتم وأبلغ من تصرفه لمن يعتقد انه يراه وهذه قاعدة المراقبة فى كلامهم ومقتضى الادلة المثبتة لها وهى مقام الاحسان والله يحب المحسنين (قوله كانك تراه) أى بقوة استحضارك لكمالاته تكون كانك مشاهد له فحينئذ تؤدى ما له من العبادة على أحسن حال وقوله فان لم تكن تراه الخ معناه انك بسبب كثرة غفلاتك لو انتفت رؤيتك اياه فكن على علم انه يراك ويجازيك فقم بما له من الحق عليك (قوله ان تلد الامة ربتها) أى سيدتها على معنى انه يكثر التسرى بالاماء فيصرن مستولدات فذلك من

وبعضهم جعل الاشارة الى ذلك بقوله ان تعبد الله كانك تراه لا بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك وان فى الحديث مراقبتين مراقبة العبد للحق فى القول الاول وعكسه فى القول الثانى (وهذا) أى ماذكر من مراقبة العبد للحق (أصل كل خير له ولا يكاد يصل الى هذه المرتبة) وهى المراقبة (الا بعد فراغه من المحاسبة) لنفسه وهى التثبت قبل الفعل ليزنه بميزان الشرع (فاذا حاسب نفسه على ماسلف له وأصلح حاله فى الوقت ٩٤ ولازم طريق الحق وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب وحفظ مع الله تعالى الانفاس راقب الله سبحانه فى عموم أحواله فيعلم انه سبحانه عليه رقيب ومن قلبه قريب يعلم أحواله ويرى أفعاله ويسمع أقواله ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة) به تعالى (فكيف) لا يكون بمعزل (عن حقائق القربة) منه أى المراقبة له (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول من لم يحكم) أى يتقن (بينه وبين الله التقوى والمراقبة) فى أفعاله (لم يصل الى الكشف والمشاهدة) فمن أحكم ذلك فيما ذكر وتكرر عليه قلت غفلاته وارتفعت حالاته وهو المراد بالكشف والمشاهدة (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول كان لبعض الامراء وزير فكان بين يديه يوما فالتفت) الوزير (الى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفا لا لريبة ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم فاتفق ان ذلك الامير نظر الى هذا الوزير فى تلك الحالة فخاف الوزير ان يتوهم) منه (الامير أنه نظر اليهم لريبة فجعل ينظر اليه) أى الى الامير (كذلك) أى ملتفتا الى جهة اخرى كنظره الاول (فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الامير أبدا وهو ينظر الى جانب حتى توهم) ذلك (الامير ان ذلك خلقة وحول فيه) وزال عن قلب الوزير ما توهمه من الامير (فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده) مقصود ذلك ان من علت رتبته مع مولاه ينبغى ان يكون أدبه أشرف أدب فيراعى فيها حرمة الملك ولو فى ادنى سبب خوفا من البعد والعطب

أمارات قرب الساعة (قوله وبعضهم جعل الاشارة الخ) أقول ووجه كل ظاهر (قوله وهذا أى ماذكر الخ) مراده رضى الله عنه أن درجة المراقبة شريفة ورأس كل شرف فلا تجامع بقاء الحظوظ اذ هى ظلمات والمراقبة أنوار فعلى العاقل التخلى من رجس مثل النفس والتحلى بجمال جميل الانس (قوله الا بعد فراغه من المحاسبة الخ) أى لاجل ان يقوم بما عليه للحق تعالى وللخلق فى الماضى والحال والتحفظ فى الاستقبال عسى بذلك يصل الى مقام الاتصال (قوله وحفظ مع الله تعالى الانفاس) أى بان لا يكون منه نفس الا فيما يرضاه الحق تعالى (قوله ومن قلبه قريب) أى باحاطة علمه تعالى به (قوله فهو بمعزل الخ) أى لان التحلى لا يكون الا بعد التخلى (قوله من لم يحكم الخ) أى ولذا قيل نظرت عين بصيرة المراقبة لمحة من جمال الحضرة فاشغلتها عن كل ما ينظر بنظرة وقيل قعد قلب بمرصاد المراقبة لحضرة الاحباب فسمع نغمة لذيذ الخطاب فأمن خوف المهالك حين سمعه هنالك وقيل زار الخيال فى مرآة الاوهام فاوجب الهيام فكيف لو تحقق بالوصال فى حضرات الشهود والجمال وقيل جرى بريد الفكر فى ميادين الانظار وأطلق بازى الصيد ليحصل بعض الاطيار فاذا به اثار غزالة الحى فاقتفى أثرها على كل حى حتى على سلمى وليلى ومى فافهم والله أعلم (قوله وارتفعت حالاته) أى فيترقى للعلوم الغيبية والفيوضات الرحمانية وذلك بالكشف أو المشاهدة أو المعاينة أو المكاشفة على حسب استعداد العبد المقرب اه *(تنبيه وايقاظ)* قيل من المراقبة ماروى ان على ابن بكار قال كنا جلوسا مع ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه فى المصيصة عند الجامع فقدم رجل من خراسان فقال ايكم ابراهيم بن أدهم فقال له القوم هذا فقال له انى جئتك من جهة اخوتك بعثونى اليك فلما سمع ذكر اخوته قام فاخذه بيده ونحاه وقال له ما جاء بك فقال أنا مملوك ومعى فرس وعشرة آلاف درهم وقيل دينار بعث بها اخوتك اليك فقال له ان كنت صادقا فانت حر وما معك فهو لك اذهب ولا تخبر أحدا قلت وهذا منه غاية فى مراقبة حاله وأحكام ربه وحفظ وقته واعلم ان غرضى بذكر هذه الحكاية تقريب حكم الغائب بحال الشاهد ليتنبه من هو فى الغفلات راقد لانه اذا ثبت هذا من مثل هذا الصعلوك فكيف يكون الحال مع ملك الملوك فافهم *(فائدة)* قيل انه جاء رجل الى ذى النون المصرى وقال له والله انى أحبك فقال له ذو النون ان كنت عرفت الله فحسبك الله

وان كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك عليه قلت وذلك من ذى النون غاية فى المراقبة حيث كان مراده نقله الى محبة من محبته لاجله مكافأة له ان كان قد عرف الله أو دلالته على من يعرفه الله ان لم يكن هو قد عرفه وعلى كل حال فقد راقب الله كل المراقبة نفعنا الله تعالى ببركة أسراره ثم أقول ومما يدل على كمال مراقبة ذى النون قوله فيما نقل عنه انه قال نظرت فى الامر فوجدت رأس الدين ان يعرف الانسان نفسه ونظرت فاذا معرفة الله تعالى ان يعرف المرء قدره ونظرت فاذا الأيصل العبد الى الله تعالى وعليه لغيره بقية قلت وذلك بالغ فى المراقبة لان قوله ان يعرف الانسان نفسه صحيح فان من عرف نفسه عرف ربه أى من عرفها بعجزها وضعفها وانها متعبدة مأمورة منهية موعودة متوعدة كان ذلك اصلا فى قيامها بحق ربها وهو رأس الدين وسبب يوصل الى معرفة الرب جل جلاله وقوله ونظرت فاذا معرفة الله ان يعرف المرء قدره يعنى بالذل والمسكنة والفقر الذاتى والنقص الطبيعى وعرف ربه بجلاله وعظمته وعزه وغناه الذاتى وكماله الحقيقى فاذا استقر هذا كله فى نفسه كان عارفا بربه خالصا من ذمهم الحق تعالى بقوله وما قدروا الله حق قدره وقوله ونظرت فاذا الايصل أحد وعليه بقية لغيره يعنى لا يتصرف احد على حسب الامر والنهى فى سائر حركاته وسكناته وفى قلبه تعلق بالحظوظ العاجلة فانها حجاب تمنعه من الوصول الى ربه فتأمل والله الموفق (قوله وسمعت بعض الفقراء يقول الخ) اقول هى مثل ماقبلها فى الغرض والمراد التأكيد والتقريب لتشوق من رام وصوله الى الحبيب اه * (لطيفة) * من باب شهود ان لا فاعل غيره تعالى وعدم الالتفات الى غيره ماروى عن أحمد بن خضرويه البلخى انه اقترض من رجل مائة ألف درهم لامر عرض له فقال له الرجل الست الزاهد فى الدنيا ماتصنع بهذه الدراهم فقال له أشترى بها القمة واضعها فى فم مؤمن ولا اجترئ على الله ان اسأله ثوابها فقال له الرجل ولم قال لان الدنيا كلها لاتزن عند الله جناح بعوضة فما مائة الف درهم من الدنيا فى جناح بعوضة وما قدرها قلت وذلك بالغ فى المعرفة لانه وقع من متثبت مراقب لمولاه لم يحمله ماسمعه من التوبيخ بالزهد والاعتراض على كثرة الاقتراض على النفور والخروج عن حد الاعتدال فى الجواب اذ قوله اشترى بها القمة الخ تقليل للدنيا وتحقيرا لها وتنبيه على ان كل مايعامل به الله تعالى ليس بعظيم اذا صحت فيه النية وزاد قوله ولا اجترئ الخ لاجل زيادة بيان التحقير للدنيا حيث علله بانه جزء يسير من جناح بعوضة فافهم (قوله وهى تنقسم الى مراقبة الافعال) اى لاجل ان يوقعها على احسن حالاتها وقوله ومراقبة النوازل أى ماينزل ويجرى من احكام الرب جل جلاله فان كان ملائما شكر أو غيره صبر ورجع فى شأنه اليه وقوله ومراقبة الله تعالى اى لاجل ان يدوم على استحضار احاطة العلم القديم بسائر الكائنات وهذه المراقبة نعم ماقبلها من المراقبات والله اعلم (قوله من راقب الله تعالى

(سمعت بعض الفقراء يقول كان امير له غلام يقبل عليه أكثر من اقباله على غيره من غلمانه ولم يكن أكثرهم قيمة ولا أحسنهم صورة فقالوا له فى ذلك) أى ما السبب فيه (فاراد الامير ان يبين لهم فضل الغلام فى الخدمة على غيره فيوما من الايام كان راكبا ومعه الحشم) أى الخدم (وبالبعد منهم جبل عليه ثلج فنظر الامير الى ذلك الثلج واطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض فلم يلبث الايسيرا حتى جاء ومعه شئ من الثلج فقال له الامير ما أدراك انى أردت الثلج فقال الغلام لانك نظرت اليه ونظر السلطان الى شئ لايكون عن غير قصد صحيح فقال) لهم (الامير انما اخصه باكرامى له (واقبالى) عليه (لان لكل أحد شغلا وشغله) أى الغلام (مراعاة لحظاتى ومراقبة أحوالى) المقصود ان المراقبة أصل كل خير وهى تنقسم الى مراقبة الافعال ومراقبة النوازل ومراقبة الله تعالى وان المراقب هو المبادر لرضا مولاه وان من دامت مراقبته لمولاه قربه واصطفاه وميزه على غيره ووالاه (وقال بعضهم من راقب الله) تعالى

(فى خواطره) الواردة على قلبه (عصمه الله فى جوارحه) لان أول عامل من الانسان قلبه والخواطر تدعو الى أعمال القلوب والجوارح فتارة تكون من الشيطان وتارة تكون من النفس وتارة بواسطة الملك وتارة من الله بلا واسطة بان يخلقها فى قلب العبد فمن تثبت عند خواطره وعلم حكم مادعت اليه ووزنه بالشرع وقبل ما ينبغى قبوله ونفى عن قلبه ما ينبغى نفيه سلم فى عقود قلبه وفى افعال جوارحه (وسئل أبو الحسين بن هند متى يهش) اى يخبط ويسوق (الراعى غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكة) الى مراتع السلامة بان ينقلها من الحشيش المضر لها الى النافع لها (فقال اذا علم ان عليه رقيبا) قال صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالعبد مامور بان يراعى جميع افعاله فلا يفعل شيأ منها الا اذا كان مأمورا به او مأذونا له فيه ولا تتم هذه الرعاية الا باستشعاره نظر الحق اليه (وقيل كان ابن عمر رضى الله عنه فى سفر فراى غلاما يرعى غنما) فاعجبه حسن رعايته لها فى الظاهر فاراد ان يختبر باطنه هل ذلك عن دين او عادة (فقال له تبيع من هذه الغنم واحدة فقال) له (انها ليست لى فقال قل لصاحبها ان الذئب اخذ منها واحدة ٩٦ فقال) له (العبد فاين الله) فانه يعلم ذلك ويؤاخذنى به (فكان ابن عمر يقول بعد ذلك الى مدة قال ذلك العبد فاين الله) لانه اعلم بذلك دينه ومراقبته لله اعجبه حاله وصار عبرة له يتذكر به زمانا وروى انه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم واعتقه ووهبها له (وقال الجنيد من تحقق) أى ثبت (فى المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غير) لان المراقبة على درجات فقد يراقب العبد أحكام ربه ليسلم عن العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب وقد يراقبها ليرتفع الحجاب وقد يراقبها ليكون من الاحباب فاذا وصل الى هذا الحال الشريف راقب ربه وادام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التى يفوت بسببها حظه من مولاه فمراقبته له بهذا التقدير خوفا من فوات حظه منه أفضل المراقبات (وكان بعض المشايخ له تلامذة بالفعل فكان يخص واحدا منهم باقباله عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له فى ذلك) أى ما السبب فيه (فقال ابين لكم ذلك فدفع الى كل واحد من تلامذته طائرا) الاولى طيرا (وقال له اذبحه بحيث لا يراه أحد ودفع الى هذا) الواحد طيرا وقال له مثل ذلك (أيضا فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره) لكونه لم ير بمكان الذبح أحدا من بنى آدم (وجاء هذا) الواحد (بالطائر) معه (حيا فقال) له (هلا ذبحته فقال أمرتنى ان أذبحه بحيث لا يراه احد ولم أجد موضعا لا يراه فيه أحد) اذ لم اجد موضعا الا والله يراه فيه (فقال لهذا أخصه باقبالى عليه) فيه دلالة على ان مقام المراقبة لله تعالى أفضل المقامات وان ارتفعت مقامات العابدين وقوى اجتهادهم فانهم مشغولون بصلاح قلوبهم وأحوالهم والمراقب لله قد غلب على قلبه نظره اليه فى سائر تصرفاته وكان الشيخ يعرف فضيلة هذا التلميذ ورفعة مقامه عن بقية تلامذته فكان يقربه لذلك ويخصه باسراره دونهم فلما بلغه تغيرهم لذلك عرفهم بما ذكر رفعة مقامه عليهم ثم علمه بعدم امكان ما أمره به شيخه يحتمل أن يكون خطر له وقت الامر به لكنه اتبع أمر شيخه لاقامة الحجة على بقية التلامذة وان يكون خطر له ذلك بعد مضيه وتفتيشه

(قوله فى خواطره الخ) اعلم ان الخواطر هى ما يرد على قلب العبد من الواردات التى تصدر تارة من ظلمة الشيطان والنفس واخرى من نور الملك وفيوضات القدر وان الكامل من ثبت قلبه حالة ورودها حتى علم الحق من الباطل بمراعاة ميزان السيد الكامل فنفى الخبيث وأقبل على الطيب فسلم بذلك من خطا العزم وزلة الفعل كما وضحه الشارح (قوله سلم فى عقود قلبه) اى فى عزماته وتصميماته التى تكون بشاهد العلم الشرعى (قوله متى يهش الخ) المراد تشبيه حال العبد مع نفسه بحال الراعى مع غنمه فكما ان الراعى لولا مراقبته لمالك الغنم ما هشها عن مراتع الهلكة فكذلك الانسان لولا مراقبة الحق تعالى فى جميع أفعاله وما يجرى من احكامه لما سلم من القواطع عن الوصول ولما بلغ غاية المأمول (قوله فقال له قل لصاحبك الخ) فيه ان ذلك حمل على الكذب وهو لا يجوز قلت لعله رضى الله عنه رأى ذلك مسوغا بالتعريض أو غيره (قوله فكان ابن عمر يقول الخ) أى لان الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها (قوله فاشتراه الخ) انظر ثمرة الصدق والمراقبة العاجلة كى تعلم كيف يكون الحال فى الآجلة (قوله ليكون من الاحباب) أى وذلك أعلى مقامات المراقبة (قوله التى يفوت بسببها حظه من مولاه) أى والحظ لمثل هذا هو القرب والفناء فى مرادات الرب (قوله وكان بعض المشايخ الخ) قد تقدم ذكر هذه القصة وانما اعادها لرعاية المقام (قوله الاولى طيرا) اى لان الطائر حقيقة المتلبس بالطيران

(وقال ذو النون المصري رحمه الله علامة المراقبة ايثار ما آثر الله تعالى وتعظيم ما عظم الله تعالى وتصغير ما صغر الله تعالى) ولا يتم للعبد ذلك الا باستشعاره نظر الله اليه في حركاته وسكناته واليه أشار خبر أن تعبد الله كأنك تراه والعبادة في حالة كأنك تراه اتم منها في حالة فانه يراك (وقال النصراباذي الرجاء يحركك الى الطاعات) اى يحمل عليها لان العبد اذا رجا شيأ ينفعه تحركت نفسه الى تحصيله (والخوف) من الله (يبعدك عن المعاصي) لان من خاف ٩٧ شيأ هرب منه فمن خاف المعاصي التي هي أسباب استحقاق العقاب هرب منها (والمراقبة) لله تعالى في حركاتك وسكناتك (تؤديك) أي توصلك (الى طرق) أي درجات (الحقائق) التي هي عندهم غلبة ما أنت فيه على قلبك حتى لا تشتغل بغيره بل وربما شغلك ذلك عن نفسك (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال) هي (مراعاة السر) وهو ما يقع في قلب العبد من الاوامر والنواهي (لملاحظة نظر الحق تعالى) اليه بان يستشعر نظره اليه (مع كل خطرة) تخطر له (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول أمرنا هذا مبني على فصلين وهو) الاولى وهما (أن تلزم نفسك المراقبة لله تعالى) في حركاتك وسكناتك كما مر (و) ان (يكون العلم على ظاهرك قائما) بأن تكون حركاتك وسكناتك موزونة بالشرع (وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابا القاسم البغدادي

بالفعل وليس مرادا (قوله علامة المراقبة ايثار ما آثر الله تعالى) أي ولذا قيل سوق الشوق به تطيب المحبة والذوق وبهذا ترى الاشباح تابعة للارواح شعر

وما زال لي شوق اليك يقودني * يذلل مني كل ممتنع صعب
اذا كان قلبي سائرا بزمامه * فكيف جسمي بالمقام بلا قلب

وقيل روح المحب المشوق كالغصن الممشوق كلما مرت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة شعر

اهتز عند تمني وصلها طربا * ورب امنية أحلى من الظفر

وقيل المحب أبدا يخاف فوت الوصال وينشد لسان حاله قول من قال

وكم فرصة فاتت فاصبحت نادما * تعض عليها الكف أو تقرع السنا

والحاصل ان علامة المراقبة محصورة في متابعة سيد الكاملين صلى الله عليه وسلم (قوله أتم منها في حالة فانه يراك) أي لانها قد تجامع الغفلة فتأمل (قوله أي يحمل عليها) أي ولذا سمي سائقا (قوله يبعدك عن المعاصي) أي بواسطة سطوات وعيده (قوله الى طرف ٣) أي غاية الحقائق فالمراد اطراف النهايات (قوله مراعاة السر الخ) أي ولذا قيل اذا نزل المحبوب للصب في عالم الغيب زاد الهيام وامتنع الكلام الا عند الشكوى من ألم البلوى وذلك بشهادة قول بعضهم شعرا

الحب ما منع الكلام الالسنا * وألذ شكوى عاشق ما اعلنا

وقيل حضر المحب مع الحبيب المقام فسكر بسكر أهل الهوى والغرام شعر

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فمتى يفيق فتى به سكران

وقيل دخل المحب ليلة حي الحبيب عند غفلة الواشي والرقيب فالتذ بسماع الخطاب في حضرة الاحباب شعر

يا ليلة بالحي ما كان أطربها * من طيبها رقصت من تحتها النجب

(قوله وهو ما يقع في قلب العبد) اشار بذلك الى تقدير مضاف في كلام المصنف اى مراعاة وارد السر (قوله لملاحظة نظر الحق الخ) علة لقوله هي مراعاة السر (قوله مبني على فصلين الخ) محصله المتابعة في الجوارح الظاهرة والمراقبة في السرائر الباطنة (قوله مراعاة السر الخ) حاصله انها الوقوف مع الادب والتسليم لفعل العظيم الحكيم (قوله

١٣ يج ث يقول سمعت المرتعش يقول المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب) اى بملاحظة الغائب عنك من الحكم التي تظهر عند وجودها (مع كل لحظة ولفظة وسئل ابن عطاء ما افضل الطاعات فقال مراقبة الحق) تعالى (على دوام الاوقات) كما اشار اليه الخبر السابق فأفضل العبادات رؤية المعبود في وقت العبادة فانه ابعد من الزلل كما مرت الاشارة اليه

٣ قول المحشي حفظه الله تعالى قوله الى طرف الخ النسخ التي بأيدينا طرق بالقاف والمعنى عليها اوضح

(وقال ابراهيم الخواص المراعاة) للاحكام (تورث المراقبة والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى) أي في افعال القلب والجوارح (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت اباعثمان المغربي يقول افضل مايلزم به الانسان نفسه في هذه الطريقة) اى طريقة الصوفية (المحاسبة والمراقبة) وتقدم بيانهما (وسياسة عمله بالعلم) بأن يزن ماهو فيه بالعلم الشرعى وهو يجرى في الاعمال والاحوال والحقائق فوزن الاعمال أن تقع على مقتضى الطلب ووزن الاحوال أن يلازمها شرط الادب ووزن الحقائق ان يغلب ٩٨ الحق على القلب حتى لا يلتفت الى غيره (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبدالله الرازى يقول سمعت اباعثمان يقول قال لى ابوحفص اذا جلست للناس) اى لوعظهم (فكن واعظا لقلبك ولنفسك) لينتفعوا بوعظك فانه اذا صلحت نيتك في وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك وله وقع في قلب السامع (ولا يغرنك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله) سبحانه (يراقب باطنك) وفي نسخة رقيب باطنك (وسمعته أيضا) (يقول سمعت محمد بن عبدالله يقول سمعت أباجعفر الصيدلانى يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول قال لى بعض مشايخى عليك بمراعاة سرك) في الافعال (والمراقبة) لله فامتثل أمره ولهذا (قال فبينا أنا يوما أسير في البادية اذا انا بخشخشة خلفى) لا ادرى ماهى (فهالنى) أى أفزعنى (ذلك فأردت ان التفت فلم التفت) حفظا لسرى مع الله وهو أن لا افزع من غيره (فرأيت شيأ واقفا على كتفى فانصرف) عنى (وانا مراع لسرى ثم التفت) اليه (فاذا انا بسبع عظيم) أفاد بذلك انه ينبغى للعبد مراعاة سره لله ليقوى به ايقينه بانه لاضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع الا الله (وقال الواسطى أفضل الطاعات حفظ الاوقات) أى الاحوال التى فيها العبد (وهو أن لا يطالع العبد غير حده) بان لا يطلب غير حاله الذى هو فيه قبل ان يحكمه ويقف حيث أوقفه الله الى ان ينقله (ولا يراقب) فيه (غير ربه ولا يقارن غير وقته) أى غير حاله الذى هو فيه فيتعدى

(باب الرضا) هو مصدر رضيت يقال رضيت عنه وبه وعليه وكلها بمعنى

المراعاة للاحكام الخ) أى فالمراعاة للاحكام بالمتابعة تورث المراقبة فهى من أسبابها والمراقبة تورث خلوص السر أى عن الاغيار بواسطة جمع الهمة على نظر القلب لعظمة الرب (قوله المحاسبة والمراقبة) أى المحاسبة على مايصدر من الاقوال والافعال بل وعلى الانفاس أيضا (قوله شرط الادب) أى وهو التحقق بمقام الرضا والتسليم (قوله فكن واعظا لقلبك ونفسك) اى كن واعظا لذلك قبل ان تعظ غيرك ليسمع ويفيد وعظك لغيرك وتتخلص ممن قال تعالى في حقهم يقولون مالا يفعلون الآية وقيل شعرا

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

الى آخر ماقيل (قوله فانهم يراقبون ظاهرك الخ) أى ولهذا ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعددت جوابا للعمر فأعدد جوابا لله أوكما قال (قوله قال فبينا انا يوما أسير الخ) فيه تنبيه على قوة التأثير والتأثر من الاستاذ والتلميذ نفعنا الله بهما (قوله افضل الطاعات حفظ الاوقات) محصله الحث على الاجتهاد في احكام حاله وعدم التطلع الى غيره حتى ينقله الحق باشارة الصدق

(باب الرضا)

قال بعضهم الرضا هو عدم الاعتراض على مايجريه الحق تعالى من الاحكام بشهود أن افعاله واحكامه تعالى لا تخلو عن الحكم فهو نهاية التوكل وأول أحواله من المقامات الكسبية وآخره ونهايته من الاحوال الغير مكتسبة وقيل الرضا هو سرور القلب بأقضية الرب وقيل غير ذلك والدليل عليه مارواه الترمذى يرفعه الى أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال ماعاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط كان اذا اشتهاه اكله والا تركه وروى الترمذى أيضا يرفعه الى أنس رضى الله عنه انه قال خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط وما قال لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا ولا مسست خزا قط ولا حريرا ولا شيأ كان الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطرا كان أطيب من عرق النبى صلى الله عليه وسلم وقال فيه هذا حديث حسن صحيح (قوله يقال رضيت الخ) أى

فيتعدى بالحروف الثلاثة (قوله فهو مرضى) أى عنه وقوله ويقال مرضو أى به فيستعمل يائيا وواويا (قوله وهو لغة المراقبة الخ) أى انتظار ما يجريه الحق من تصاريف أحكامه فاذا وقع تلقاها بالقبول والبشر لائمه أم لم يلائمه (قوله واصطلاحا ترك الاختيار الخ) أى ترك الاختيار بواسطة نظر القلب الى قديم اختيار الحق تعالى اقول وذلك من أسباب الرضا لا من حقيقته فان من علم ان المقدور مفروغ منه وان التسخط لا يفيد شيأ كان ذلك سبب رضاه بما قدره مولاه (قوله ترك الاختيار) أى بالنسبة للمتمكن فى مقام التفويض ولذلك كان أول الرضا نهاية التوكل كما قدمناه (قوله ويقال الوقوف الصادق الخ) أى ولذلك أشار بعضهم حيث قال شعرا

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمنى اللوم

فالرضا هو فناء مراد العبد فى مراد سيده (قوله تفكر العبد فى تفاصيل الخ) أى وفى كمال معرفته بماله تعالى من الصفات وعموم تعلقها بالكائنات وقدرته وارادته لسائر الممكنات فمن تقررت هذه المعارف فى قلبه أذعنت نفسه الى معروفه وحكمه وأمره وسلمت ورضيت خصوصا اذا علم أن التسخط لا يجدى بل يفوت الخيرات العاجلة والآجلة فلا يسعه الا أن يسلم ويرضى اذ غير ذلك شأن العاجز المحروم الخاسر (قوله تفكر العبد) أى بشهود أن الخير فيما اختاره الله بحكمته فيسكن وينشرح قلبه لجميع ما يجريه الحق تعالى من تصاريفه فى خلقه (قوله وهذا لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات) أى حيث كان من الممكن وقوعه نعم انما يكون ذلك بقصد الامتثال لامر الحق سبحانه بالدعاء والطلب (قوله رضى الله عنهم) استئناف آخر بعد ما حكى من حال الصادقين فى التوحيد وفى الاحكام الشرعية وأن صدقهم المستمر ينفعهم يوم القيامة وأن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا جئ به لبيان أنه عز وجل افاض عليهم غير ماذكر من الجنات مما لا قدر لها عنده وهو رضوانه الذى لا غاية وراءه كما ينبئ عنه قوله تعالى ورضوا عنه اذ لا شئ أعز منه حتى تمتد اليه اعناق الهمم وقوله جل جلاله ذلك هو الفوز العظيم اشارة الى نيل رضوانه وقيل الى نيل الكل وانما كان هذا الفوز عظيما لانه على حسب المفوز به ولا أعظم من رضوان الله (قوله رضى الله عنهم الخ) أى حيث تجلى عليهم بالتوفيق لطاعته وأجزل احسانه اليهم وقوله ورضوا عنه أى حيث داموا على عبادته وامتثال أمر طاعته وقال تعالى لقد رضى الله عن المؤمنين وقال فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وقال حكاية عن الذى آمن وأفوض أمرى الى الله وقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية الى غير ذلك من الآيات (قوله اذ سطع لهم نور الخ) ذلك عبارة عن تجل خاص للحق سبحانه وتعالى لاتحاف عبده المؤمنين معه فى هذا المشهد العظيم والله أعلم (قوله فقال يا أهل الجنة سلونى الخ) أى قال ذلك لهم

فهو مرضى ويقال مرضو على الاصل وهو لغة المراقبة والقبول للامر بسهولة واصطلاحا ترك الاختيار ويقال الوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدما ولا متأخرا ولا يستزيد مزيدا ولا يستبدل حالا ويقال غير ذلك كما سيأتى وسببه تفكر العبد فى تفاصيل منن الله تعالى عليه وما خصه به من غير عمل منه وثمرته عدم الاعتراض على شئ من المقدور والسلامة من كراهته فلا يتمنى أنه لم يقع ولا زواله بعد وقوعه وهذا لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات اذ الدعاء بالممكن لا يمنع الرضا بالحاصل وان زال ضمنا فانه غير مقصود والرضا ممدوح ومطلوب (قال الله سبحانه وتعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه الآية وأخبرنا على بن أحمد الاهوازى رحمه الله قال أخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا الكريمى قال حدثنا يعقوب بن اسمعيل السلال قال حدثنا أبو عاصم العبادانى عن الفضل ابن عيسى الرقاشى عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أهل الجنة فى مجلس لهم اذ سطع) أى ارتفع (لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤسهم) اليه (فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم) بنوره (فقال يا أهل الجنة سلونى قالوا نسألك الرضا عنا قال تعالى رضاى) عنكم (قد أحلكم دارى

وأنالكم كرامتى هذا أوانها فسلوني قالوا أنسألك الزيادة) على ذلك (قال فيؤتون بنجائب) كنجائب الابل (من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر نجاؤا) راكبين (عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها) باسكان الراء أي بصرها

(فيأمر الله سبحانه باشجار عليها الثمار وتجيء جوار من الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبؤس) أي فلا نجد عندنا شدة من بأس الرجل يبؤس بؤسا اذا كان شديد البأس أي الشدة (ونحن الخالدات) أي الدائمات البقاء (فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام ويأمر الله سبحانه بكثبان) اي تلال (من مسك أبيض اذفر) بالمعجمة أي بين الذفر بفتح الفاء أي الرائحة الطيبة (فتثير) الكثبان (عليهم ريحا) اي رائحة (يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم الى جنة عدن وهي قصبة الجنة) أي وسطها (فتقول الملائكة يا ربنا قد جاء القوم فيقول) الله (تعالى مرحبا بالصادقين مرحبا بالطائعين قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضا) لاشتغال كل بتمتعه بذلك (ثم يقول) الله تعالى للملائكة (ارجعوهم الى القصور بالتحف قال فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى نزلا من غفور رحيم وقد اختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال أو من المقامات فأهل خراسان قالوا الرضا من جملة المقامات

بواسطة ملك أو بلا واسطة مع التنزيه عن الحروف والاصوات تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله وانالكم كرامتي) أي اكرامي اياكم (قوله فيأمر الله سبحانه باشجار الخ) أي يأمر أن تدنو منهم لتفكههم بثمارها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قوله أزواج قوم مؤمنين الخ) أي مصدقين بما جاء على ألسنة الرسل كرام اي ذوي كرامة (قوله اي الرائحة الطيبة) هذا بحسب المقام والا فالاذفر شديد الرائحة مطلقا طيبة أولا (قوله اي وسطها) المراد خيارها وأحسنها (قوله فيكشف لهم الحجاب) اللام بمعنى عن اذ لا يحجب الحق شيء تعالى عن ذلك علوا كبيرا (قوله حتى لا يبصر بعضهم بعضا) أي لما يغشاهم من الجمال والجلال اه *(فائدة)* اعلم ان فوائد الرضا لا تدخل تحت حصر وذلك لان الآفات المعثورة على قلب العبد وبدنه مما يكرهه ويخافه في سائر الاوقات بل وفي سائر الانفاس لا تنحصر فاذا حل في مقام الرضا وتمكن فيه أمن من التسخط بشيء منها وحفظ من فتنتها وعاش عيش الاحرار ولم يكن عليه سلطان لغير الواحد القهار ويكفيه التخلي في العبودية عن شهواته والتحلي بالحرية في سائر أوقاته وحالاته فيتخلص من قول سيد البشر تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث لانه كلما كثرار بابه والملاك توالت عليه طرق الهلكات وكلما تحرر عن رق الاغيار طاب عيشه في هذه الدار وفي تلك الدار (قوله وقد اختلف العراقيون الخ) أقول هذا الخلاف ان رجع الى الاحوال الكائنة عن المعاني القائمة بالقلوب ككون العبد خائفا وراضيا وراجيا أو غير ذلك فهذه المعاني اذا قامت بالقلوب توجب لها احكاما وهي احوال على رأى مثبتها والصحيح انها ليست من متعلقات القدرة بل تابعة للمعنى الموجود بالقدرة وان كان الخلاف في نفس المعاني الطارئة على القلوب الموجبة للاحوال كالخوف والرجاء والزهد والتوكل وغيرها هل هي مقدورة للعبد او المقدور أسبابها فالذي ذهب اليه أبو بكر بن الطيب انها مقدورة له واستدل عليه بتعلق الطلب به وخالف في ذلك أبو المعالي وقال المقدور والذي هو مرتبط التكليف هو النظر واليه ميل المحاسبي لما تكلم على الخوف فذكر ان العبد اذا خوف نفسه هاج منه الخوف لا يملكه والذي يظهر من كلام أهل التصوف انهم يريدون بالاحوال غير ما يريده أرباب الاصول فان الاحوال عند أهل الاصول كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود على حيالها والاحوال عند القوم عبارة عما يعتور القلوب من المعاني ولا يثبت فيها والمقام ما يدوم قالوا فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال بروق فان بقيت فحديث نفس وقالوا الاحوال كاسمها تحول عن القلب ولا تدوم فيه والمقامات ما تحقق العبد فيه من الاخلاق فقام كل أحد موضع اقامته فافهم والله أعلم (قوله هل هو من الاحوال) أي الغير مكتسبة وقوله

أو

وهونهاية التوكل ومعناه أنه يؤل الى انه مما يتوصل اليه العبد باكتسابه واما العراقيون فانهم قالوا الرضا من جملة الاحوال وليس ذلك كسبا للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الاحوال ويمكن الجمع بين اللسانين) أى قولى الفريقين (فيقال بداية الرضا مكتسبة للعبد وهى من المقامات ونهايته من جملة الاحوال وليست بمكتسبة) له كالنوازل الضرورية كالرعشة والرعدة بالحمى وتقدم ذلك (وتكلم الناس فى الرضا فكل عبر) بما قاله (عن حاله وشربه)

بكسر الشين اى نصيبه (فهم فى العبارة عنه مختلفون كما انهم فى الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون) عطف النصيب على الشرب للتفسير (فاما شرط العلم) بكون العبد راضيا (والذى هو لابد منه) فيعلم من قوله (فالراضى بالله تعالى هو الذى لا يعترض على تقديره) عطفه على الشرط تفسير له (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق) رحمه الله (يقول ليس) ثمرة (الرضا ان لا تحس) أنت (بالبلاء) ولا بالالم (انما) ثمرة (الرضا ان لا تعترض على الحكم والقضا) وان أحسست بالبلاء والالم موافقا كان لهواك او مخالفا له لجهلك بعاقبة ذلك الحكم وحسن ظنك باختيار الله لك وتقريبه ان الطبيب اذا سقى العليل مرا من الادوية فهو يجد مرارته ويتألم لشربه الا انه راض بشربه محب له لما يرجوه من العافية وثوقا بعلم الطبيب (واعلم ان الواجب على العبد ان يرضى بالقضاء الذى أمر بالرضا به) ويرضى ببعض المقضيات لا بكلها (اذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصى وفنون محن المسلمين) قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر فلا يجوز للعبد الرضا بسائر المعاصى وان كانت مرادة لله بناء على المشهور من ان الامر غير الارادة وان الله يأمر بما لا يريد وقوعه من العبد وينهى عما يريد وقوعه منه فاذا قدر الله عليه بمعصية فلا يجوز له الرضا بها بل يبكى ويتألم ويسأل السلامة منها ومن قال ان الرضا الارادة حمل العباد فى الآية على المؤمنين كما حملوا على الخلص فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان

أو من المقامات يعنى المكتسبة هذا مراده (قوله وهو نهاية التوكل) أى التفويض (قوله بل هو نازلة) اى بطريق الفيض الالهى (قوله ويمكن الجمع الخ) محصله جعل الاحوال ثمرة المقامات (قوله فاما شرط العلم الخ) المراد بيان ما يحقق اتصاف العبد بالرضا والعلم بكونه راضيا وهو عدم اعتراضه على شئ من المقدرات (قوله ليس ثمرة الرضا ان لا تحس الخ) أى اصل تحقق الرضا لا يشترط فى ثمرته عدم الاحساس بالبلاء اما كماله فيشترط فى ثمرته ذلك بل قد تكون اللذة بالبلاء خلقا عن وجدان الالم فى هذه الحالة (قوله واعلم ان الواجب الخ) أقول الذى يلزم العبد الرضا به هى الافعال الجارية عليه من ربه فى دنياه التى لم يأمر بتجنبها فان الله لم يرض لعباده الكفر ولا الفسوق ولا تعاطى المكروهات بل ندبهم الى البعد عنها وهذا هو المعلوم من أدلة الشرع مع ان جميع الافعال والحركات والسكنات واقعة بارادته تعالى خيرها وشرها اذ الحامل على الرضا وعدمه الامر والنهى وهو تعالى يأمر بما لا يريد وقوعه عند أهل الحق لانه قد أمر الكفار بالايمان ولم يرده منهم والا لم يكونوا كفارا ولا سبيل الى انكار كونه مريد الكفرهم اذ لا فاعل غيره فالعلم بانفراده تعالى بالافعال قائم بالقلوب والعبيد مصرفون باوامره ونواهيه عالمون بأنهم لا يجرى عليهم ولا على غيرهم الا ما أراده فاذا رسخت فى قلوبهم هذه العلوم رضوا باختيار مولاهم وتركوا ما يختارونه لانفسهم واعلم ان الرضا ينقسم الى واجب ومندوب فالواجب ما حجز عن التسخط وكراهية القضاء منه تعالى والمندوب ما حجز عما لم يمنع الشارع منه كالتوسع فى المأكل والمشرب والملبس والمنكح وغير ذلك من بقية الشهوات الجائزة أو يقال فى الرضا المندوب هو سكون القلب تحت مجارى الاقدار المخالفة للهوى الذى لم يمنع الشرع ارتكابه كالتوسع فى المعيشة زمن الحياة والحاصل انه يجب الرضا بقضاء الله تعالى وقدره اذا دل عليه شاهد علم الشرع لا مطلق قضاء وقدر الشامل للكفر والمعاصى فالقضاء والقدر باعتبار مصدرهما يجب الرضا بهما مطلقا سواء كان متعلقهما خيرا أو شرا والمقضى به يجب الرضا به بشاهد علم الشريعة لا كالكفر والمعاصى *(فائدة)* هل يمكن العبد الرضا بما فتح الله عليه به من الخيرات مع طلبه لما ندبه الشرع اليه من الزيادات أو يكون رضاؤه بما هو فيه مانعا له من النظر الى ما سواه قلت الاول هو الصحيح ولا يمنع الرضا بالحاصل طلب ما لم يحصل لان متعلق الرضا هو الحاصل ومتعلق الطلب هو ما لم يحصل

وقد تكلمت على هذه المسئلة بما يتعين الوقوف عليه في أوائل الكتاب قبل باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة (وقال المشايخ الرضا باب الله الأعظم يعنون أن من أكرم بالرضا ١٠٢ فقد لقى بالترحيب الأوفى وأكرم بالتقريب الأعلى) لأن من أكرم بالرضا صار جميع أفعال الله عنده مرضية نعما يشكره عليها فقد فتح له باب عظيم في تيسير الطاعات (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول أخبرنا أبو جعفر الرازي قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن أبي الحواري قال قال عبد الواحد بن زيد الرضا باب الله الأعظم) لأنه سبب لتيسير الطاعات على العبد ولرؤيته أن جميع ما ينزل عليه من الله نعم فيشكره في جميع أحواله (وجنة الدنيا) لأنه سبب لراحة القلب من هموم التقديرات (واعلم أن العبد لا يكاد يرضى عن الحق تعالى) أي لا يتصف بالرضا عنه تعالى (إلا بعد أن يرضى عنه الحق تعالى لأن الله عز وجل) لو لم يرض عنه لم يخلق له الرضا بقضائه ولأنه تعالى (قال رضي الله عنهم ورضوا عنه) فقدم رضاه في الذكر على رضاهم وهو يدل على الاهتمام برضاه وأنه المقدم لأنه تعالى هو المريد للأفعال (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق) رحمه الله (يقول قال تلميذ لأستاذه هل يعرف العبد أن الله تعالى راض عنه فقال لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب) عنه (فقال) له (التلميذ بل يعلم ذلك فقال كيف) يعلمه (فقال إذا وجدت قلبي راضيا عن الله تعالى علمت أنه راض عني) لأنه لو لم يكن راضيا عني لم يخلق لي الرضا بالأمر المرضي به (فقال) له (الأستاذ أحسنت يا غلام وقيل بالقضاء قال موسى عليه السلام إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت به عني فقال إنك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجدا متضرعا

وإذا اختلف المتعلق وتعدد أمكن القيام بالنفس وإنما غير الممكن كون الفعل الواحد مسخوطا مرضيا باعتبار حال واحد كيف وسادات الراضين لا يزالون طالبين ثم قولنا الأول هو الصحيح يشهد له قوله تعالى وقل رب زدني علما فمعرفة الإنسان صلاحية تعلق القدرة القديمة بكل ممكن واستغناء نهايات كمالات الحق وإحسانه تحمله على الطلب من ربه جل شأنه وعلمه بحسن نظره له والاختيار له مع ما يعاينه من إحسانه في الحال يوجب له الرضا بما جرت به الأقدار وإذا اختلف الموجب والموجب فلا بعد في الرضا والطلب (قوله وقد تكلمت على هذه المسئلة الخ) محصله إجمالا أنه فرق بين القضاء والمقضي فنفس القضاء باعتبار مصدره يجب على العبد الرضا به وإن تعلق بكفر أو معصية أما المقضي فإن كان من قبيل المحن والبلايا الدنيوية فكذلك يجب الرضا به أما الدينية كالكفر والفسق فلا يجب الرضا به بل لا يجوز (قوله الرضا باب الله الأعظم) أي وذلك لأن من أوصله الله إليه جرت عليه الخيرات بسهولة وبعدت عنه القواطع والشواغل لرؤيته ذلك صادرا من مولاه فهو حينئذ باب أعظم يدخل منه إلى الخيرات لسعة صدر المتصف به والفضل لله سبحانه وتعالى لأن رضاه قد سبق الرضا ولولا ذلك ما خرج عبد من عذاب الضيق إلى رحمة الفضاء ولذا نقل عن بشر الحافي أنه ذهب إلى أن الرضا أفضل من الزهد لأن الراضي لا يتمنى فوق منزلته والزاهد يتمنى فوق منزلته ومراده الرضا الواقع حاصل ولذا قيل في معنى قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الرضا بعد القضاء أنه لما كان الرضا بما سيقع عزما على الرضا ولا يدرى تحققه بعد قال النبي ذلك والحاصل أن الرضا جامع كل الخيرات فمن منح الرضا توصل به إلى سائر الخيرات الدنيوية والأخروية (قوله لأنه سبب راحة القلب الخ) أي وذلك لما تقدم من أن أول الرضا غاية التوكل والتفويض (قوله واعلم أن العبد لا يكاد الخ) حاصله أن نعت العبد تابع لتوفيق الرب فحينئذ لا يكون رضا العبد إلا بعد رضا الرب كما يدل عليه قوله عز سلطانه ثم تاب عليهم ليتوبوا (قوله قال رضي الله عنهم الخ) أي وقال قائلهم شعرا

رضيت وقد أرضى إذا كان مسخطي * من الأمر ما فيه رضا من له الأمر اهـ

(قوله قال تلميذ لأستاذه الخ) فيه تنبيه على أن الفضل مواهب لا يختص بشيخ ولا بتلميذ قال جل شأنه يختص برحمته من يشاء وأن الله تعالى قد يؤدب الأكابر بالأصاغر ليدوموا على الوقوف مع الأدب وأن المزية لا توجب الأفضلية (قوله فقال إذا وجدت قلبي راضيا الخ) إن قلت قد يقع العبد بعد ذلك في المخالفات قلت معلومات الله تعالى متعددة يعلمها بعلم واحد قديم فهو عالم بمعصيته أيضا وخالق لها (قوله فقال له الأستاذ أحسنت الخ) أي لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما قضاه وقدره فمن أراد به خيرا في وقته خلق له الخير والرضا بما يجوز الرضا به شرعا (قوله فقال إنك لا تطيق ذلك) فيه إشارة إلى صعوبة الرضا

فأوحى الله تعالى اليه يا ابن عمران ان رضاى فى رضاك بقضائى) فاذا رضيت بقضائى فاعلم انى رضيت عنك لانى أنا الخالق لرضاك (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أخبرنا ابو جعفر الرازى قال حدثنا العباس بن حمزة قال حدثنا ابن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى يقول اذا سلا العبد) أى صرف (عن الشهوات فهو راض) لانها اذا صرفت عنه وحسن ظنه بربه دائما وأنه انما يجرى عليه ما فيه صلاحه فقد رضى بجميع ما يجريه عليه مما يجوز الرضا به (وسمعته) أيضا (يقول سمعت النصراباذى يقول من أراد ان يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله تعالى رضاه فيه) اذ لا يتوصل الى رضا مولاه الا بفعل ما امره به (وقال محمد ابن خفيف الرضا) أى بالنسبة الى متعلقه (على قسمين رضا به ورضا عنه فالرضا به ان يرضاه) العبد (مدبرا له) بأن يفعل ما أمره به مولاه واختاره ودبره له فيكون راضيا به (والرضا عنه) رضاه (فيما يقضى) به عليه من النوازل فى نفسه أو ولده أو ماله او نحوها (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق) رحمه الله (يقول طريق السالكين) الى الله (أطول وهو طريق الرياضة) لان عمل المريد مترتب على ما وضحت ادلته وعلمت فضيلته شرعا من الاخلاق الحميدة والبعد عن الاخلاق الذميمة فهو يتكلف ذلك فكانت طريقه طويلة بدوام المجاهدة والرياضة والاعراض عن العوائد السابقة (وطريق الخواص اقرب) وايسر لمن يسر عليه (لكنه أشق) على النفوس لسرعة مفارقة الهوى دفعة والرضا بالمر من القضاء جملة كما اشار الى ذلك بقوله (وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك) مقرونا (بالقضا) وهذا كمن يبحث عن مطلب فان صادفه استغنى به والا فقد تعرض لهلاك نفسه اذ الرضا بما يجريه الحق مع مخالفته للهوى عظيم عند الله لكنه مخوف لانه يعرض العبد لتسخطه بما يفعله مولاه فان سلم من ذلك ورضى بما يجوز رضاه به فقد نال غاية الطاعات (وقال رويم الرضا) هو (أن لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل ان يحولها الى يساره) مراده ان الرضا هو من اذا نزل به اشد البلاء وهو حر النار لا يكرهه ولا يتمنى زواله عنه لان العاقبة مغيبة عنه ولم يرد نار الآخرة اذ نارها وجميع اسباب دخولها من كفر ومعصية لا يرضاه العبد بل يبكى ويتألم ويتضرع ان لا يبتلى به (وقال ابو بكر بن طاهر الرضا اخراج الكراهية من القلب) فيما نزل به من البلا (حتى لا يكون فيه الا فرح وسرور) لعلمه بان ما نزل به اختيار مولاه له وان جهل حسن عاقبته (وقال الواسطى رحمه الله تعالى استعمل الرضا جهدك) بان تجعل همتك بعد الرضا بما نزل بك من البلا متعلقة بالرضا بذلك

بالقضاء وانه لا يكون الا بالتوفيق الالهى (قوله اذا سلا العبد) أى فالسبب الاعظم فى الوصول الى مقام الرضا هو مخالفة النفس وزجرها عما تألفه وتعتاده (قوله من أراد ان يبلغ الخ) محصله ان ذلك انما يكون بالعمل بالاوامر والبعد عن المناهى اذ الخير كله فى الاتباع والشر كله فى الابتداع (قوله على قسمين) الظاهر ان كلا يلزم الآخر (قوله يقول طريق السالكين الخ) الغرض من ذلك ان المريدين فى أول الارادة يتكلفون تبديل الاخلاق الذميمة بالحميدة فيشق ذلك عليهم لبقاء حياة نفوسهم ولا كذلك الخواص فانهم بواسطة فناء نفوسهم يكون عزمهم قويا فيسهل ذلك عليهم بهجومهم دفعة واحدة (قوله وهو ان يكون الخ) أقول يسهل ذلك بالنسبة لمن فنى عن مراداته فى مرادات الحق سبحانه وتعالى لا بالنسبة لغيره ممن له بقايا فى نفسه ومراده (قوله وقال رويم الرضا الخ) المراد بالرضا هذا الفرد الكامل منه وقوله ان لو جعل الخ أقول وهذا لا يتم الا لمن بلغ مقام التفويض للرب سبحانه وتعالى (قوله ما سأل ان يحولها الخ) أى لان الراضى لا اختيار له فيما قضاه مولاه ولا كراهة عنده من حيث نفسه وغرضه وهواه ولا يمنع ذلك من استعاذته من جهنم امتثالا (قوله حتى لا يكون فيه الا فرح وسرور) قلت وذلك معنى قول المحاسبى فى كتاب القصد فى سؤالاته لشيخه أبى جعفر محمد بن موسى قلت رحمك الله ما معنى الرضا قال سرور القلب بمر القضا وقاله النورى أيضا لما سئل عن الرضا وكل يرجع الى قول رويم استقبال الاحكام بالفرح ثم قال المحاسبى فى الكتاب المذكور قلت فما ضد الرضا قال السخط قلت وما معنى السخط قال تبرم القلب وكراهته لحلول القضاء وكثرة الاختيار منه بالتملك (قوله حتى لا يكون الخ) قلت وذلك أتم أحوال الراضين وهو السرور فى مبادى الاقدار ولو لم تلائم وذلك لكمال المعرفة بحسن اختيار الله تعالى فى كل حال وذلك باعتبار كمال الرضا الا باعتبار

(ولا تدع الرضا يستعملك) بحسن لذته وشرف منزلته بحيث تسكن نفسك لما نلته من شريف الحال والمقال وتشتغل به عن التطلع لما بعده من المقامات (فتكون محجوبا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع) بما يتفضل الله به عليك (واعلم ان هذا الكلام الذى قاله الواسطى شئ عظيم وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية) تقطعهم عن بلوغ مرادهم من الحق تعالى (فان السكون عندهم الى الاحوال حجاب عن محول الاحوال فاذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله) الذى سكن اليه (عن شهود حقه) اى ربه تعالى أو حقه الذى فوق حاله فلا ينبغى للنفس ان تسكن الى حال وتقف معه بل حقها ان تعرف النعم وتشكر عليها وترقب المزيد من الحق ناظرة اليه (ولقد قال الواسطى أيضا اياكم واستحلاء الطاعات) اى التلذذ بنوع منها والوقوف معه (فانها سموم قاتلة) الاولى فانه سم قاتل اى استحلاء الطاعات (وقال ابن خفيف الرضا سكون القلب الى أحكامه) تعالى اى نوازله بأن لا يقلق منها (وموافقة القلب بما رضى الله به واختاره له وسئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضيا فقالت اذا سرته المصيبة كما سرته النعمة) هذا بالغ وانما يتم للعبد ذلك اذا حسن ظنه بربه ولطفه به وانه لا يجرى عليه الا ما فيه صلاحه فيسر حينئذ بجميع ما يجرى به عليه ومتى سر بذلك كان راضيا به (وقيل قال الشبلى بين يدى الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله فقال له الجنيد) لفهمه عنه انه قال ذلك لثقل ما ورد عليه حتى استعان بلا حول ولا قوة الا بالله (قولك ذا) اى لا حول ولا قوة الا بالله (ضيق صدر) اى يدل عليه (وضيق الصدر) انما يكون (لترك الرضا بالقضاء فسكت الشبلى) اما لما فهمه الجنيد أو لانه كان راضيا مع ولكنه تبرأ من دعوى هذا المقام ورآه انما هو بحول الله وقوته وعونه فان كل مقام لا قوة للعبد على القيام به الا بعون ربه (وقال أبو سليمان الدارانى الرضا) الكامل (ان لا تسأل الله تعالى الجنة ولا تستعيذ به من النار) بل تكل أمرك الى ربك لعلمه بحالك ولطفه بك فى سائر أحوالك وتعتمد على الله تعالى فى أن يأتيك بما يصلحك فتسكن نفسك لذلك وتفتر عن سؤال المصلحة لعلمك بأنها تحصل لك منه لطفه بك ووصفه للراضى بترك ما ذكر لا من حيث انه عبادة بل من حيث انه رضا بحسن ما أجراه عليه مولاه فلا ينافى ان يسأل الله ذلك عبادة لامر مولاه به (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت محمد بن احمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون المصرى رحمه الله

أصله (قوله ولا تدع الرضا يستعملك) اى بوقوفك معه باستحسانك له فتكون محجوبا بذلك عما وراءه من المقامات وهكذا كل مقام لا ينبغى الوقوف معه لما تقدم من أنه يصير حجابا عن للاعلى منه (قوله حجاب عن محول الاحوال) اى ما التفات العبد الى هذا النعت المقدس يذيبه بسطوات خوف التغيير اذ الرب على كل شئ قدير (قوله وترقب المزيد الخ) أقول ذلك انما يكون لضعيف السير اما قويه ممن سبقت له العناية فلا يقصد غيره تعالى (قوله الاولى فانه سم الخ) اى لان المحدث عنه الاستحلاء (قوله الرضا سكون القلب الخ) أقول ذلك حقيقة الرضا بما يقع من القضاء مع زوال الجزع من القلب وسلب الاختيار وذلك لان الموافقة فى سائر الاحوال شان الراضين عن الله الذى بيده الامر لا اله سواه قال قائلهم شعرا

اذا شئت ان ترضى وأرضى وتملكى * زمامى ما عشنا معا وعنانيا

الا فارمق الدنيا بعينى واسمعى * باذنى دوما وانطقى بلسانيا

(قوله فقالت اذا سرته المصيبة الخ) أقول هذا أمر يستبعده كثير من الناس من حيث العادة وسببه نظرهم الى احدى جهتى الفعل وغفلتهم عن الجهة الاخرى وذلك لان الفعل قد يكون متعبا للبدن منعما للقلب فمن نظره من جهة اتعابه للبدن عده مؤلما ومن نظره من حيث منفعته وفائدته رآه موافقا خفيفا ملذا للقلوب واذا خفت الاعمال على القلوب تبعها البدن بجوارحه وهذا امر جار فى سائر التصرفات العادية كالصناعات والتجارات فانهم يهون عليهم تحمل الاثقال لما يرجونه من حسن الثمرات والفوائد هذا وقولها اذا سرته الخ لعله مراعاة حال السائل ومقامه والا فمقامها نفعنا الله ببركاتها كراهة النعمة خوف الفتنة والسرور والمصائب طلبا لرضا الحبائب (قوله اما لما فهمه الجنيد الخ) الاولى عدم الترديد والاقتصار على الاول حيث هو اللائق بمقام الجنيد لانه امام العارفين وقدوة السالكين (قوله الرضا أن لا تسأل الله الجنة) اى حال كونك واقفا

يقول ثلاثة من اعلام الرضا ترك الاختيار قبل) نزول (القضاء وفقدان المرارة) والمشقة (بعد) نزول (القضاء وهيجان الحب) والتنعم بما نزل من البلاء (فى حشو البلاء) لان الراضى بحسن ما يجرى الله عليه لا اختيار له وانما هو مذعن لما يختاره الله له لعلمه بفضل ربه عليه وحسن اختياره له فيما يجرى به عليه ومتى كان له اختيار فى نفسه فهو مع نفسه راض بحكمها لا بحكم ربه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن جعفر البغدادى يقول سمعت اسمعيل بن محمد الصفار يقول سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول قيل للحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ان أباذر يقول (الفقر) الذى يفر منه الناس (أحب الىّ من الغنى) لقلة قدر الدنيا عنده (والسقم) الذى يتألمون منه (أحب الىّ من الصحة) لما يرجوه من كثرة الثواب على الصبر على السقم (فقال) الحسين (رحم الله أباذر) حيث قال ما قال (اما أنا فأقول من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله له) فأبو ذر له اختيار والحسين لا اختيار له بل رضى بما اختاره الله له وهو أسلم وأبعد من تطرق الآفات المقرونة بالاختيارات فكلامه فى الرضا وكلام أبى ذر فى الزهد والصبر (وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافى الرضا أفضل من الزهد فى الدنيا لان الراضى) بمنزلة هو فيها (لا يتمنى فوق منزلته) بخلاف الزاهد واعترض على التعليل بأنه ان أريد بأنه لا يتمنى خلاف ما وقع به القدر فصحيح والا فلا اذ لا منافاة كما مر بين الرضا بما وقع وسؤال ما لم يقع فكذا تمنيه له وقد يجاب بأن المراد انه لا يتمنى فوق منزلته لكراهته لها (وسئل أبو عثمان عن قول النبى صلى الله عليه وسلم أسألك الرضا بعد القضاء) اى لم قيد الرضا ببعد القضاء (فقال لان الرضا) بما ينزل به القضاء (قبل) نزول (القضاء عزم على الرضا) لا نفسه (والرضا بعد) نزول (القضاء هو الرضا) وهذا جار فى سائر المقامات من الزهد والتوكل وغيرهما فالعزم على كل مقام ليس هو نيله وبلوغه فكم من شخص يزعم انه زاهد والذى عنده معرفة الزهد فاذا لاح له شئ من الدنيا ظهر له من نفسه من الرغبة فيه خلاف ما كان يظنه

مع حظك والعفلة عن مراد ربك اما اذا كان بقصد العبادة فهو غير مضار بل هو من أسباب الحسنى وزيادة (قوله ثلاثة من اعلام الرضا الخ) مراده بالرضا الفرد الكامل منه كما هو ظاهر اذ لا يتم ذلك الا للعارفين من المحققين (قوله ترك الاختيار الخ) اى لان الراضى لا تدبير له الا ما دبره مولاه فيما أمره به أو نهاه عنه فاقدامه واحجامه لمولاه لا لهواه وكذلك يكون الحال بعد وقوع المقدر فلا يتمنى زواله ولا يريده لعلمه بحسن اختيار مصرف الامور فيكون قلبه فى حال البلاء ناظرا الى الله فرحا بحسن اختياره مسرورا بمقاديره (قوله قيل للحسين بن على الخ) أقول كلام أبى ذر بالغ فى الزهد والاعراض عن الدنيا حتى صار ما يكره لغيره لذيذا عنده وذلك لما يرجوه من الجزاء وكلام الحسين رضى الله عنه بالغ فى الرضا وفيه اشارة الى أن من كمل توكله على الله تعالى لعلمه بحسن اختياره له نقله ذلك الى مقام الرضا (قوله لقلة قدر الدنيا الخ) اى ولكراهة ما كرهه الله تعالى (قوله لما يرجوه من كثرة الثواب الخ) اى وذلك بسبب قوة يقينه فى صدق وعد الحق وقول الصدق (قوله فكلامه) اى الحسين فى الرضا اى ومقام الرضا أعلى من مقام الزهد (قوله بخلاف الزاهد) اى فهو يتمنى قطع الشواغل ليتنعم بالمناجاة فهو يطلب انتقاله عما هو فيه (قوله اذ لا منافاة الخ) اى لان متعلق الرضا انما هو الواقع والذى ينافيه تمنى زواله ولا ينافيه سؤاله ما لم يقع فالراضى لا يتمنى زوال ما أجراه الله عليه وان سأل وطلب وتمنى ما هو ارفع منه فليس الزوال مطلوبا له وان كان يلزم من وقوع مطلوبه زوال ما هو فيه ان كان مما يضاده والا فالمسئلة واضحة (قوله فقال لان الرضا الخ) محصله ان الفعل اى الوقوع بالفعل أقوى على التحقق من العزم لانه قد لا يتيسر وان كان صاحب العزم مأجورا على عزمه *(فائدة)* من أحوال الراضين نفعنا الله ببركاتهم أنفاسهم طيب القلوب وموافقة المحبوب وسرعة جريان البركات عليهم من الغيوب وذلك لانهم استراحوا من خطور الاعتراض والالتفات الى الاعراض وسكنت منهم دواعى الاغراض قد تنعموا بدوام نظرهم الى جميل الالطاف من مولاهم وانشرحت صدورهم بحسن الاسعاف ممن رضى عنهم وأرضاهم فكيف يجدون لقلوبهم الما والآلام محجوبة عنهم اشغلهم به وباختياره عن حظوظ أنفسهم فضلا عن دنياهم وموافقة محبوبهم هى السبب

ولذلك قال الجنيد علم التوحيد ووجوده متباينان لان علم التوحيد ان يعرف بالدليل ان الله واحد ووجوده غلبته على القلب وتحققه فيه بحيث يشاهد فيه كل فعل (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابن أبي حسان الانماطي يقول سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول سمعت أبا سليمان يقول ارجو أن أكون عرفت طرفا من الرضا) بحيث (لو أنه لو أدخلني النار) يعني الشدة العظيمة لا النار الكبرى (لكنت بذلك راضيا) لعلمي بانه تعالى يفعل بي ما هو أنفع لي وأصلح لما جربته من أفعاله وتكرر علي من افضاله (وقال أبو عمر الدمشقي الرضا ارتفاع الجزع) من العبد (في أي حكم كان) من الاحكام الموافقة والمخالفة له من البلايا التي تجري عليه مما يجوز الرضا به وذلك بان يتلقاه بالقبول لما يرجوه من الثواب (وقال الجنيد رحمه الله الرضا رفع الاختيار) بان لم يبق للعبد بعد نزول القضاء به اختيار في زواله (وقال ابن عطاء الرضا نظر القلب الى قديم اختيار الله تعالى للعبد وهو ترك التسخط) فاذا غلب على قلبه ان ما سبق به القضاء لا بد من وقوعه لم يبق لاختياره فائدة بل يختشي من اختياره ان يقع بسببه في التسخط لقضاء الله (وقال رويم الرضا استقبال الاحكام) يعني البلايا التي يجوز الرضا بها (بالفرح) والسرور فيه زيادة على الرضا الذي يكتفي فيه عدم تغير القلب وان لم يكن فرح (وقال المحاسبي الرضا سكون القلب تحت مجاري الاحكام) ١٠٦ يعني البلايا لعلمه ان المقادير لا تبديل لها (وقال النوري) وفي نسخة ذو النون (الرضا سرور القلب بمر القضاء) وهو المخالف لهوى النفس فحلوه مفهوم بالاولى وهذا قريب مما قاله رويم لكن في ذلك زيادة وهي الاستقبال فانه يقتضي تقديم السرور على نزول القضاء (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت الجريري يقول من رضي بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته) أخذا من خبر من تواضع لله رفعه الله ومن هنا جاز للراضي بمنزلة أن يدعو بأرفع منها ويسأله ويتمناها (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت الحسن بن علوية يقول قال أبو تراب النخشبي ليس ينال الرضا من للدنيا في قلبه مقدار) لان من أحبها حبا شديدا تألم لفقدانها فهو يكره زوالها والراضي لا بد ان يرضى بكل ما يجريه الله تعالى عليه وافق غرضه أو خالفه كما مر (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال أخبرنا أبو عمرو بن حمدان قال حدثنا عبد الله بن شيرويه قال حدثنا بشر بن الحكم قال حدثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهادي عن محمد بن ابراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله) لا بغيره (ربا) فلا ينال المقامات العالية من الايمان والمحبة والرضا وغيرها الا من لم يبق في قلبه ربوبية لغير الله ولذلك قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة فكل من أحب شيأ من الدنيا حبا شديدا حتى تعلق قلبه به واشتغل بحفظه جاز أن يسمى ربا له وهو له عبد لخدمته له ولهذا قيل للجنيد ما تقول فيمن لم يبق عليه من الدنيا الا مص نواة يتلذذ بها فقال المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فسماه عبد الشهوته وان قلت فمتى نظر العبد في أفعال الله به وجريان نعمه عليه ورضي باختياره له ذاق طعم الايمان ووجد لذته وحلاوته بخلاف من لم يصل الى هذا المقام وتعاطى الاعمال الشاقة وتحملها بالصبر وان كان أجره عظيما (وقيل كتب عمر بن الخطاب الى أبي موسى الاشعري رضي الله عنهما اما بعد فان الخير كله في الرضا

في رضاه عنهم وتعجيل البركات اليهم (قوله ولذلك قال الجنيد الخ) محصله ان المعتبر ثمرات العلم لا نفسه لان مجرده يضر بالانسان فالله تعالى يعاملنا بالفضل والاحسان (قوله يعني الشدة الخ) دفع به ما يقال النار مامور شرعا بالبعد عنها والاستعاذة بالله تعالى من ضررها وأسباب دخولها فكيف يصح الرضا بها وأقول ذلك غير لازم لان معنى كلامه انه لم يختر دخولها ولا تسبب فيه لان ذلك ينافي النهي اما سكون قلبه بعد جريان الاقدار من غير اختياره فهو من شيم صغار الراضين (قوله وقال أبو عمر الخ) أقول الذي قبله أبلغ منه فكل اناء بالذي فيه ينضح (قوله الرضا نظر القلب الخ) أقول وبواسطة التسليم تفهم حكمة الحكيم (قوله فيه زيادة الخ) اي فهو من المبالغة في التمكن من مقام الرضا (قوله فحلوه مفهوم بالاولى) أقول ذلك بالنسبة للمريدين أما العارفون والمحققون فلا فرق عندهم بين مره وحلوه بل شأنهم كراهة حلوه خوف المحنة اذا كان مما يلائم النفس (قوله ومن هنا الخ) تامله فانه دقيق والله ولي التوفيق (قوله ذاق طعم الايمان الخ) تامل ما نبهه صلى الله

فان استطعت ان ترضى فارض والا فاصبر) وكل منهما خير (وقيل ان عتبة الغلام بات ليلة يقول الى الصباح ان تعذبنى فانا لك محب وان ترحمنى فانا لك محب) فهو محب لكل ما يرد عليه منه مؤلما كان أو غير مؤلم وهو معنى الرضا فان المحب أبدا راض بكل ما يرد من محبوبه (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الانسان خزف) ١٠٧ اى فخار خلق من طين (وليس للخزف من الخطر) أى القدر والمنزلة (ما يعارض فيه حكم الحق تعالى) فيه دلالة على أن من لم يبلغ مقام الرضا كره ما يجريه الله عليه من الاقدار وصار فى صورة المعارض لرضا الله تعالى وقدره (وقال أبو عثمان الحيرى منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى فى حال) قال (فكرهته) وان كان ثم أعلى منه (وما نقلنى الى غيره) عما هو دونه (فسخطته) فهو راض بكل ما يجريه عليه مما يجرى الرضا به (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول غضب رجل على عبده فاستشفع العبد الى سيده انسانا) فشفع له عنده (فعفا عنه فاخذ العبد يبكى فقال له الشفيع لم تبكى وقد عفا عنك سيدك فقال له السيد انما يطلب الرضا) منى (ولا سبيل له اليه فانما يبكى لاجله) ولا يلزم من عفوه عنه رضاه عنه وهو اسباغه عليه النعم وما تعوده منه من اللطف والاكرام قال بعضهم فتح على باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامى كذا كذا سنة فلم يؤاخذ ولم يعاقب وانما سلب ما كان فى من الاكرام والانعام

(باب العبودية)

هى تذلل وتبرؤ من الحول والقوة فى عبادته ويقال غير ذلك كما سيأتى وأصلها العبادة وهى القيام بالفعل المطلوب شرعا وهى محمودة ومطلوبة (قال الله عز وجل واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وأخبرنا أبو الحسن الاهوازى رحمه الله قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن أبى سعيد الخدرى وأبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله

عليه وسلم من اشارات الحكم وجوامع الكلم لانه يتأمل معنى الرب وانه من التربية وان الحق تعالى هو المربى والعبد هو المربى ولا اختيار للثانى مع الاول تفهم تخصيص اسم الرب بالذكر وانه ينبغى للعبد الفناء عن كامل مراداته واختياراته فى مرادات الرب واختياراته (قوله فان استطعت أن ترضى الخ) ذلك يفيد ان مقام الرضا أشق وأعلى من مقام الصبر وهو كذلك (قوله بات ليلة الخ) أقول يدل ذلك على قوة تمكنه من مقام الرضا (قوله فيه دلالة) اى وتنبيه بتذكير الاصل على ان مثله لا يصح ان يكون فى صور المعارضات للحق سبحانه وتعالى (قوله غضب رجل على عبد له الخ) اعلم ان العبودية انقياد مع التسليم ومشى على الصراط المستقيم وان شئت قلت العبودية هى وصف العبد الفانى بمحبوبه المستعذب من الالام لاجل قصده ومرغوبه

وهان علىّ اللوم فى جنب حبها * وقول الاعادى انه لخليع
أصم اذا نوديت باسمى واننى * اذا قيل لى يا عبدها لسميع

فحينئذ العبودية هنا فناء الشاهد فى المشهود مع وصف البقاء على أدب الحدود فالعبد من لا براح له عن الباب ولا شئ يزعجه عن الاعتاب فهو دائما باكى العين خشية البين فافهم (قوله ولا يلزم من عفوه عنه الخ) اى ولذا ثبت عن الشافعى رضى الله عنه انه قال رضا الله أحب الى من عفوه انتهى

(باب العبودية)

قوله العبودية من أشرف مقامات العبد وأس جميع الكمالات وأنواع التسديد ولهذا نعت بها صلى الله عليه وسلم فى أشرف المواطن قال تعالى سبحان الذى أسرى بعبده الآية وقال فاوحى الى عبده ما اوحى والفرق بين العبودية والعبادة ان العبادة رضا العبد باحكام الرب والعبودية رضا الرب بما يفعله العبد (قوله هى تذلل الخ) اعلم ان العبودية لله اذا صح مقامها للعبد حصلت له الحرية عن كل ما سواه تعالى واذا بقى للنفس سكون ما لبعض الحظوظ فهو عبد لما سكن اليه ومنه تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الحديث (قوله وأصلها العبادة) اى فتى قام العبد باعباء العبادة مخلصا فيها متبرئا من حوله وقوته وصل الى مقام العبودية التى هى أشرف المقامات (قوله حتى يأتيك اليقين) اعلم ان المراد باليقين الموت فما دام العبد حيا عاقلا قادرا فهو مكلف بعبادة ربه على ما ذهب اليه جماعة الموحدين خلافا لمن أضله الله تعالى وطمس عين بصيرته (قوله فى ظله) اى ظل عرشه أو المراد بذلك رعايتهم بالاكرام والحفظ من هول هذا اليوم (قوله

امام عادل وشاب نشا بعبادة) وفى رواية في عبادة الله تعالى ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال انى أخاف الله رب العالمين ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) لانهم بذلك خالفوا أهويتهم ولازموا طاعة ربهم (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول العبودية أتم من العبادة فاولا) الفعل المطلوب (عبادة ثم عبودية ثم عبودة فالعبادة للعوام من المؤمنين) لان غايتهم ان يعلموا من الشرع ما أمروا به ونهوا عنه ويقوموا بمقتضاهما وهذه صفة العابدين (والعبودية للخواص) لما فيها من زيادة التذلل والتبرئ من الحول والقوة (والعبودة لخاص الخاص) لكمال معرفته بربه حيث أتى بما طلب منه ورأى نفسه محلا لجريان قضاء الله فيه والتوفيقه له فى فعل ما طلب منه فقلبه أقرب الى مقام الجمع وهو افراد الحق بالفعل من الثانى لان الثانى شاهد لنفسه كسبا واختيارا وان كان مفتقرا لعون ربه فيما يختاره والاول أقرب الى مقام التفرقة لكونه يرى نفسه عابدا محسنا مطيعا ويطلب الجزاء على عمله والحاصل ان الاول واقف مع الاعمال والثالث مستغرق فى الجلال والجمال والثانى متبرئ لما هو فيه نظار بالعون الكبير المتعال (وسمعته) أيضا (يقول العبادة لمن له علم اليقين والعبودية لمن له عين اليقين والعبودة لمن له حق اليقين)

امام عادل) اى فى أحكام رعيته وقوله وشاب نشا الخ اى لانه ممن يعجب منه ربنا كما فى خبر عجب ربك من شاب لا صبوة له ومن شيخ يتصابا وقوله قلبه معلق بالمسجد المراد به اشتغال قلبه بعبادة ربه وقوله ورجلان تحابا فى الله اى أحب كل منهما صاحبه لغرض دينى لا دنيوى وقوله ورجل ذكر الله خاليا أى بعيدا عن الناس بقلبه وان خالطهم بجسده وقوله ففاضت عيناه اى وجلا وهيبة وقوله ورجل دعته امرأة اى بغية وقوله حتى لا تعلم شماله الخ هو مبالغة فى اخفاء الصدقة وسترها عن الغير (قوله فاولا الفعل المطلوب عبادة الخ) اعلم ان من جملة المطلوب الدعاء والطلب منه تعالى على حسب أمر الشرع وتكليفه غير انه لا يكون على وجه التسبب بأن يرى العبد وقوع ما يريده ملزوما للطلب أو لازما له على وجه التسبب فهو وان كان يقتضيه ظاهر النصوص فباطن الحقيقة يدفعه وهى الاصل فوجب مراعاتها وتاويل النصوص بان ذلك على وجه المقارنة والتوقيت بان يعتقد ان الدعاء عبودية اقترنت بسبب الحاجة كاقتران الصلاة بوقتها وترتيب الاجابة كترتيب ثواب الاعمال على الاعمال فالعطاء من وجه الفضل والعمل لمحض العبودية واقترانهما لاظهار الحكمة ولذلك قال بعضهم فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه تعالى والا فالرب يفعل ما يشاء ثم أقول انتفاء الفهم باعتقاد السببية انه ان أعطى لم يشكر وان شكر كان على ضعف فى شكره لملاحظة السبب فى التحصيل لان الفرح بالمنة من غير استشعار سبب أقوى منه مع استشعاره وان منع لم يرض وان رضى فلا يكون من حيث رؤية اختيار الحق بل من حيث رؤية تقصيره وهو نقص (قوله لكمال معرفته بربه) اى حيث شهد سبق عناية الحق به حيث أوجده من العدم وآثره بالنعم وخصصه بالكرم وعرفه بانفراده بالوحدانية واتصافه بالصفات العلية بما هو محتاج اليه وهو غنى عنه فيه وفى غيره وكل ذلك جرى من غير استحقاق ولا وسيلة سابقة اذ كان عدما محضا (قوله حيث أتى بما طلبه منه الخ) اى فقد قام بالطلب لاظهار العبودية وللقيام بحق الربوبية وعلامة ذلك التفويض فى القصد والتوكل فى التوجه والرضا بالواقع من عطاء أو منع فيشكر فى العطاء ويقابل المنع بالقبول ويبنى ذلك على التحقق بخالص التوحيد وعقد القلب بالامتثال فى كل وجه قال أبو الحسن رحمه الله لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة مولاك فتكون من المحجوبين (قوله ورأى نفسه محلا لجريان الخ) اى بشهود معنى خبر قد جف القلم بما أنت لاق قال الواسطى رحمه الله أقسام سبقت ونعوت أجريت كيف تنال باعمال وتكتسب بسعايات فافهم (قوله فقلبه أقرب الى مقام الجمع) اى لانه فى عين التفرقة بشهود ان له نفسا هى محل لجريان فعل الحق تعالى أما المتحقق بمقام الجمع فهو الفانى عن شهود نفسه بل هو الفانى عن هذا الفناء (قوله العبادة لمن له علم اليقين الخ) محصله ان العبادة للمريدين السائرين والعبودية للمقربين والعبودة للعارفين يختص الله برحمته من يشاء (قوله والعبودية لمن له حق

اليقين) وتقدم بيانها (وسمعته) أيضا (يقول العبادة لاصحاب المجاهدات) لأنهم أصحاب أعمال (والعبودية لارباب المكابدات) لانهم أصحاب أحوال (والعبودة صفة اهل المشاهدات) لانهم اصحاب مراقبة ١٠٩ واقبال والى ذلك اشار بقوله (فمن لم يدخر عنه) تعالى (نفسه) بأن أتعبها في أعمال البدن من الصبر والصلاة وغيرهما من سائر القربات (فهو صاحب عبادة ومن لم يضن) أي يبخل (عليه) تعالى (بقلبه) بأن أتعبه في الفكر في الملك والملكوت وسائر المخلوقات (فهو صاحب عبودية ومن لم يبخل عليه) تعالى (بروحه) بأن أتعبها في طلب العون منه والاستغراق في جماله وكماله (فهو صاحب عبودة ويقال العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفير) اى موفرة كاملة (و) بشرط (النظر الى ما) حصل (منك) من الطاعات (بعين التقصير) بأن تراها مع كمالها لا تصلح لجلاله تعالى وعظمته (و) بشرط (شهود ما يحصل من مناقبك) اى انه انما يحصل (من التقدير) اى تقدير الله تعالى وفعله وذلك لان من كملت عبوديته لربه أوقع طاعاته على الوجه المذكور (ويقال العبودية ترك الاختيار فيما يبدو من الاقدار) هذه صفة أرباب الاحوال من حيث انهم نالوا درجة الرضا فكأنه قال العبودية الارتفاع عن الاعمال الى درجات الاحوال (ويقال العبودية التبرؤ من الحول والقوة والاقرار بما يعطيك) الله (ويوليك من الطول) اى الغنى (والمنة) اى النعمة هذه أيضا صفة أرباب الاحوال وهو ان يتبرأ العبد مما ذكر ويرى نفسه محلا لما يجريه الله عليه وان الله هو الفاعل

اليقين) اى ممن شهد ان الثواب يتعلق بالاعمال والاحوال ببساط الكرامات فهما في الظاهر وسائل عند الطلب ولم يكونا في محل القسمة الازلية ولا في وقتها اذ لا وقت فعله كل شيء احسانه وكرمه وكيف يدخل في افعاله العلل وهو الفاعل المختار الغني عن الكل ويرحم الله القائل

بلا عمل مني اليها اكتسبته ... سوى محض فضل لا بشيء يعلل

(قوله وتقدم بيانها) اى من ان علم اليقين هو الحاصل عن النظر في البرهان وعين اليقين هو الحاصل من توالي ذلك البرهان على الجنان وحق اليقين هو استقرار ذلك العلم في القلب حتى كأنه عيان (قوله بأن أتعبها في طلب العون الخ) أقول ذلك بالنسبة للمريدين اما بالنسبة للعارفين من المحققين فهو انما يكون بفنائهم عن أنفسهم استغراقا في محبته سبحانه وتعالى (قوله العبودية القيام الخ) محصله انها لا تتحقق لعبد الا اذا قام بما أمر به من العبادة حالة كونها كاملة قد شهد نفسه مقصرا فيها وانها من محض المنة عليه من البارئ تعالى (قوله العبودية القيام بحق الطاعات الخ) اى وذلك لان شأن العباد معرفة الاشياء باصولها وتعرف الاسباب الموصلة ليتوصلوا بها الى مراداتهم لكن لما تضمن ذلك الدعاوى بأن لهم قوة يتوصلون بها الى ما يريدونه ردوا العلم له تعالى ومشيئته حتى لم يبق لهم دعوى ولا تصح لهم أسباب ولا يجري لهم نظر في تصريف الحق تعالى فتصرفهم بحكم التصريف وتعرفهم بحكم التعريف دائمين على أوجه التكليف والحاصل ان العبودية هي حقيقة المتابعة لسيد الكاملين مع التبري من الحول والقوة بذوق ان الفضل بيده تعالى والله أعلم (قوله ترك الاختيار الخ) اى تركه بواسطة فنائهم عن مراداتهم واختياراتهم في مرادات الحق واختياراته فرارا من شؤم اختيارهم الى حسن اختياره تعالى (قوله الارتفاع عن الاعمال) اى البعد عن استحسانها وعن الوقوف مع كمالها بالترقي الى شهود درجات الاحوال الواردة على القلوب من فيض كنز الافضال (قوله العبودية التبرؤ من الحول والقوة) اى لان مستند الاشياء باسرها انما هو مشيئته تعالى وعلى ظهور أثرها ترتبت الاحكام فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فاذا قاعدة التحقيق ليس الا سابقة التوفيق وكل شريعة حقيقة ولا ينعكس فالشريعة من عين الحكمة والحقيقة من عين الحكم والحاصل ان عباداتهم وطاعاتهم نفعنا الله ببركاتهم من عين الرحمة الالهية فرحمة الله هي الوسيلة الى رحمته وقد أشار قوله تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين الى ذلك فانهم كتبوها بالتاء الطويلة قيل لما دخل عليها من رائحة الفعل وهو المقدرة لها أعني قولهم ان وجود رحمة الله قريب من المحسنين والداعي لهذا التقدير وصف الرحمة بالتذكير في قوله قريب فالاعمال علامات لا موجبات فانهم (قوله والاقرار الخ) المراد بذلك تحقق العبد بمقام الشكر بشهود ان

(ويقال العبودية معانقة ما امرت به ومفارقة ما زجرت) اى نهيت (عنه) هذه عبادة لا عبودية لان صاحبها مع الاعمال ولم يرتق
الى الاحوال (وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية فقال اذا طرح) العبد (كله) اى ثقله (على مولاه وصبر معه على
بلواه) هذا يشمل التوكل والصبر والرضا وذلك صفة أرباب الاحوال أيضا (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصح) اى لا يصلح (التعبد لاحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء من الجوع والعرى والفقر والذل) لان الاحوال والمقامات انما تنال بكمال الجد من التفرغ من المشغلات والعبد انما يمنعه من التفرغ منها للطاعات هذه الاربع فكل منها يؤلم وتنفر منه النفس فاذا لم يخف العبد منها لكمال زهده فى الدنيا وصبره على المشاق نال العبودية (وقيل العبودية ان تسلم اليه) تعالى (كلك وتحمل عليه كلك) اى ثقلك لما فى ذلك من التوكل والتفويض وذلك من أشرف المقامات (وقيل من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير) هذه أيضا صفة أرباب الاحوال لان ترك التدبير من علامات التوكل والتفويض وشهود التقدير من علامات المراقبة وهما من علامات العبودية (وقال ذو النون المصرى رحمه الله العبودية ان تكون أنت عبده)
تعالى (فى كل حال كما انه ربك فى كل حال) بأن تكون معه راضيا متذللا لما يجرى به عليك (وقال الجريرى الحديث
عبيد النعم كثير عددهم) اى عددهم لتغيرهم بتغيرها فان طيب أحوالهم مع العوافى وتوالى النعم عليهم وضده مع ضدها

المنة له تعالى (قوله العبودية معانقة الخ) اى وذلك لان الحق تعالى متصف بالقدرة والحكمة ولكل منهما تعلق فى الوجود يتعين باعتباره ولا يصح نفيه بحاله فاثبات أحدهما دون الآخر نقص فى النظر وخطا فى العرفان وزلة فى الادراك فلزم اثبات الجميع لثبوتهما والا فهو ضلال أو قريب منه اعملوا فكل ميسر لما خلق له فاعرف ذلك حقه والله ولى هدايتك (قوله فهو اذا طرح العبد كله) اى تحقق بمقام التوكل والرضا والتسليم (قوله اى ثقله) أشار به الى ان الكاف فى كله بالفتح (قوله لا يصح التعبد لاحد الخ) اى فلا يتحقق معنى العبودية لاحد الا اذا ثبت له مقام التوكل والصبر والزهد والرضا حتى يتفرغ عن الشواغل فى عبادة ربه (قوله ان تسلم اليه تعالى كلك) اى اعتمادا على سابق قسمته واشتغالا بذكره قال سيد الكاملين فيما يرويه عن ربه من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين (قوله ان تسلم اليه تعالى كلك) اى وذلك يتحقق بمقام التفويض والتسليم وقوله وتحمل عليه كلك بفتح الكاف على معنى قصد المعونة الالهية (قوله من علامات العبودية ترك التدبير الخ) اعلم ان التخلق بالادب تارة يحمل على ترك الطلب والتدبير بشهود احاطة علم اللطيف الخبير وقد يحمل على الطلب بتجلى صفات الجود والكرم وقد يحمل على التفويض بمحاسن رجاء التعويض فهو اى الادب اذا بدل محلى الطلب وعلى الموافقة عند جريان العوائد وعلى ملاحظة الاسباب وظهور أثر الكسب والاكتساب وعلى التفويض وموقعه عند تعذر الاسباب ورجحان الحقيقة بلمعان أنوار المشاهدة الموجب لملاحظة العبودية فى عين تعظيم الربوبية وعلى السكون وهو عند غلبة الحقيقة ونفى شواهد الخليقة وقد وقعت هذه جميعها من أنبياء الله تعالى مختلفة فهذا ابراهيم سال لسان صدق فى الآخرين وغير ذلك من مصالح الدنيا والدين واكتفى بعلمه تعالى عند ما زج به فى المنجنيق حيث قال حسبى من سؤالى علمه بحالى فافهم (قوله ان تكون أنت عبده الخ) اى فتدعو امتثالا او تقصد تفويضا لانه كما لا يصح ان يكون السؤال سببا لا يصح ان يكون تذكيرا قال صاحب الحكم ان قلت بالسببية نجل حكم الازل ان ينضاف الى العلل وان قلت تذكيرا فالتذكير للاغفال ولا اغفال وان قلت تنبيها فالتنبيه للاهمال ولا اهمال وكيف يصح شئ من ذلك وهو غنى كريم رحيم عالم فافهم (قوله ان تكون أنت عبده الخ) اى فتكون كالطفل مع مربيه لا حركة ولا اختيار ولا يكون ذلك الا لمن تمكن فى مقام الرضا والتسليم (قوله فان طيب أحوالهم الخ) اى محبتهم وعبادتهم للاحسان لا للمحسن اذ لو كانت لذات المحسن ما حصل لهم تغير فى صفاتهم بتغير النعم مع انه قد ورد ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ومثل هؤلاء عبيد لما تعلقت به قلوبهم كما يشير اليه خبر تعس عبد الدينار

(وعبيد النعم عزيز وجودهم) لقلة الراضي بكل ما يجريه الله عليه وحاصل ما قاله الاشارة الى أن العبودية حال يثمرها النظر الى الله تعالى وكمال المعرفة بجلاله وعظمته فيذل العبد في نفسه ويكمل انقياده لاوامره ويرضى بكل ما يجريه الله عليه بخلاف عبيد النعم الذين اذا تغيرت النعم تغير حالهم (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول أنت عبد من أنت في رقه واسره فان كنت في أسر نفسك فانت عبد نفسك وان كنت في أسر دنياك فانت عبد دنياك) لاشتغالك بحفظ من أنت في اسره ولهذا (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة) ان اعطي رضي وان لم يعط لم يرض والخميصة كساء اسود مربع له أعلام قاله الجوهري وتقدم في رواية مع الخميصة القطيفة وهي دثار مخمل قاله الجوهري (ورأى ابو يزيد رجلا) عليه علامة الغفلة عن شغله بآخرته (فقال له ما حرفتك فقال خربنده) لفظة اعجمية خادم حماري (فقال) داعيا له بأن يزول عنه شغله بخدمة حماره ويرجع الى خدمة مولاه (أمات الله تعالى حمارك) الذي شغلك عن آخرتك (لتكون عبد الله) ومشغولا بأوامره (لا عبد الحمار سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول

سمعت جدي ابا عمرو بن نجيد يقول لا تصفو لاحد قدم في العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى) مع سلامتهما في الواقع من ذلك بأن يتبرأ من اضافتهما اليه فانه ان أضاف اليه الاعمال كان مرائيا لكونه نظر فيها لغير الله أو الاحوال كان مدعيا لما لا يملكه فاذا شاهد أعماله عنده رياء وأحواله دعاوى كان مخلصا لاضافته ذلك الى الله كما مر (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت عبد الله بن منازل يقول العبد عبد ما لم يطلب لنفسه) من غير حاجة (خادما فاذا طلب لنفسه) حينئذ (خادما فقد سقط عن حد العبودية وترك آدابها) لكونه عظم نفسه ورآها أهلا لأن تخدم وحقها ان تكون خادمة اما من طلبه لحاجة كعجزه فلا يسقط عن حد العبودية ويرى الفضل لمولاه عليه في لطفه به في حال عجزه حتى سخر له من يخدمه ويعينه على طاعته (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت ابن مسروق يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم ولا أثر الغنى في الوجود) لان حقيقة العبودية عدم تعلق القلب بالمحبوبات ورؤية الفضل لخالق البريات فان ابتلي بفقر فلا يرى عليه أثر الذلة والمسكنة لفوات ما عدمه من نعم الدنيا وان أجريت عليه النعم فلا يظهر عنده افتخار لعدم قدر نعم الدنيا في قلبه للزهد فيها ورؤية جميع ما هو فيه من ربه (وقيل العبودية شهود الربوبية) وهو سبب عظيم في دوام العبودية لان العبد اذا توالت عليه مراقبته لجلال مولاه ذل في نفسه بالنظر لما هي عليه من جهة طبعها لا بالنظر لما خصها به ربها من كرامته

الحديث (قوله وعبيد النعم عزيز) اي نادر وجودهم اذ من شيمهم التوكل والرضا والتسليم مع المراقبة لما يجريه العليم الحكيم (قوله أنت عبد من أنت في رقه الخ) اي فكل شخص عبد لما تعلق قلبه به اتفاقه وجمع همته عليه (قوله فقال داعيا له الخ) اي فليس القصد الدعاء باهلاك الحمار بل بنقل قلبه عن الاشتغال به ليتفرغ لعبادة ربه (قوله لا تصفو لاحد قدم الخ) محصله طلب التبري من الحول والقوة بشهود ان الفضل للحق تعالى حيث من عليه بنعمة التوفيق مع دوام النظر بالنقص لما يبدو من نفسه (قوله كان مرائيا) أي مع ما فيه من الاشراك الخفي الحاصل بنسبة شئ من الافعال لغيره تعالى (قوله كان مدعيا لما لا يملكه) اي وذلك لان الاحوال من الهبة لا من الكسب على ان الحال لا بقاء لها (قوله ما لم يطلب لنفسه الخ) اي لان العبودية التذلل والخضوع وفي طلب الخادم من غير حاجة اليه نوع اعزاز للنفس وهما متنافيان (قوله لا يصلح للعبد التعبد الخ) محصله الحث على الرضا والقناعة ليدوم له الشرف في الدنيا والآخرة (قوله عدم تعلق القلب بالمحبوبات) اي من حيث ما للنفس فيها من الحظ وقوله ورؤية الفضل لخالق البريات اي بذوق معنى قوله سبحانه وتعالى والله خلقكم وما تعملون (قوله فلا يظهر عليه افتخار) اي بل الذي ينبغي أن يظهر عليه الانكسار خشية الامتحان بما يلائم حظ النفس (قوله وقيل العبودية شهود الربوبية) اي فلا يتحقق معنى العبودية للانسان الا اذا شهد نعوت الربوبية ومن نعت العبد اللازم له

(سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول سمعت النصر اباذى يقول قيمة العابد بمعبوده كما ان شرف العارف بمعروفه) فكل من عبد شيأ يعنى أحبه فرفعته وقيمته على حسب معبوده فمن عبد زوجته أو ولده أو قماشه والشيطان أو نحوه فهو عبده وقيمته على قدر من عبده ومن عبد الله خالصا فرفعته فى الدنيا والآخرة على حسب جلال الله كما ان رفعة العبد من رفعة سيده وكذا العارف ورفعته على حسب معروفه فليس من عرف الشر كمن عرف الخير وليس من عرف غير الله كمن عرف الله (وقال أبو حفص رحمه الله تعالى العبودية زينة العبد) لما فيها من التذلل والافتقار والتبرئ من الحول والاقتدار (فمن تركها تعطل من الزينة) بهذه الامور (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا جعفر الرازى يقول سمعت عباس بن حمزة يقول حدثنا أحمد بن أبى الحوارى قال سمعت النباجى) بكسر النون (يقول أصل العبادة) وهو الاخلاص فيها الذى لا يتم الا بكمال المعرفة بانفراد الحق بوجوب الطاعة وانه لا فعل لغيره منحصر (فى ثلاثة أشياء لا ترد) أنت (من أحكامه) تعالى من بلاياه وغيرها (شيأ ولا تدخر عنه شيأ) من أعمالك (ولا يسمعك تسأل غيره حاجة) اذ لا فعل لغيره (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول العبودية) منحصرة (فى أربع خصال) تجمع أسباب الدنيا والآخرة (الوفاء بالعهود) من كل مأمور به قال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (والحفظ للحدود) من كل منهى عنه (والرضا بالموجود) مما فتح الله به من أمور الدنيا والآخرة (والصبر عن المفقود) مما تالف ومما لم يفتح الله به من ذلك (وسمعته) ايضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الكتانى يقول سمعت عمرو بن عثمان المكى يقول ما رأيت أحدا من المتعبدين فى كثرة من لقيت بمكة ولا غيرها

الفاقة الدائمة فاذا وردت على قلبه مذاكرتها أثارت له شهود نعوت الربوبية فخير أوقات العبد وقت شهد فيه فاقته الى مولاه دون غيره لان ذلك يقطع عن الخلق ويوصل الى الملك الحق (قوله شهود الربوبية) اى بما لها من الجمال والكمال والجلال فيذل فى نفسه اعتبارا أصلها والمآل (قوله قيمة العابد بمعبوده) اى ولذا قيل من أراد أن ينظر مقامه فليتأمل فيما الحق فيه أقامه فحينئذ ما للعبد من المنازل والمنازلات على حسب عبادته على وجه مراقبة معبوده وشهوده له فيها على ما يليق به من النعوت والصفات وعبادته أيضا هى حلية زينته اذ بها تحقق عبوديته المحققة لدوام افتقاره لربه فالعبادة والعبودية والفاقة الدائمة زينة المريد السالك وقائده وعيده الذى يفطر فيه على صوم المجاهدة وينصر فيه نفسه بسيف التبرى من الحول والقوة والمخالفة شعر

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا

(قوله زينة العبد) اى لما فيها من تحقيق ما للرب سبحانه من العز والكمال والجمال والجلال (قوله فمن تركها تعطل الخ) اى تخلف عن المقصود من حكمة ايجاده (قوله يقول أصل العبادة الخ) اى سر قبولها فى ثلاثة أشياء فى تحقق العبد بحقيقة هذه الثلاثة ومحصلها التخلق بمقام الرضا والتحلى بجمال القناعة والتزين بزينة الشكر (قوله لا ترد أنت من أحكامه الخ) اى وذلك لانها قد تظهر الفاقة والعبد قد يجد بها من مزيد الايمان والعلم والمعرفة والحقيقة ما لم يجده بغيرها اذ العبودية فيها أظهر والدعوى فيها أبعد والنفس فيها أقرب الى الحق والصوم والصلاة تعرض لهما الدعوى ونواقص الشوائب من الرياء وغيره (قوله من بلاياه وغيرها شيأ) قال فى التنوير وفى البلايا والفاقات من أسرار الالطاف ما لا يفهمه الا ذوو البصائر ألم تر أن البلاء يخمد النفس ويذلها ويحرسها عن طلب حظوظها ومن أثر البلايا وجود الذلة ومعها يكون النصر ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وبذلك يتبين الفرح بالبلاء كما كان من حال أرباب الهمم العالية (قوله العبودية منحصرة فى أربع خصال) اى لا تتم ولا يوصف صاحبها بأنه عبد الله الا بها ومحصلها متابعة سيد الكاملين وامام المرسلين صلى الله عليه وسلم فى فعل المأمورات والبعد عن المنهيات والرضا بالقسمة الالهية (قوله والصبر عن المفقود) اى لان فى ذلك بسط المواهب من الفتوحات العرفانية وغيرها قال تعالى أمن يجيب المضطر

اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض (قوله من المزني) هو من أصحاب امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم بفضله وكرمه (قوله ولا أشد توسعة على الناس الخ) اى عملا بقول سيد الكاملين لامام المحبين على بن أبي طالب رضي الله عنه لأن يهدى الله بك رجلا خير لك من حمر النعم (قوله يقول ليس شئ أشرف من العبودية) اى وذلك لما فيها من دوام الذلة قال أبو يزيد قيل لى خزائننا مملوأة فان أردتنا فعليك بالذلة والافتقار وقال الكيلاني أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خاليا فدخلت منه فالتفت فاذا أنا قد سبقت القوم وتركت الناس على الابواب قال قائلهم

لا يبعدنك عتبنا عن بابنا * فالعهد باق والوداد مصان
فحبنا وبلطفنا وجاهنا * شاع الحديث وسارت الركبان
فاذا ذللت لعزنا ولجاهنا * ذلت لعزتك الملوك وهانوا

وبالجملة فظهر العبودية هو من مجالى نعوت الربوبية كما يشير اليه خبر كنت كنزا مخفيا فتأمل (قوله سبحان الذى أسرى الخ) اعلم ان سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عينا وجنس الاشخاص لم تكن اضافته من قبيل زيد المعارك وحاتم طيء ونصبه بفعل متروك الاظهار تقديره أسبح الله سبحان وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من التسبيح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض ومنه فرس سبوح اى واسع الجرى ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة وهو علم يشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل وقيل هو مصدر كغفران بمعنى التنزيه ففيه مبالغة من حيث اضافته الى ذاته المقدسة والاسراء السير بالليل خاصة كالسرى وقوله ليلا لافادة قلة زمان الاسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الافراد ويؤيده قراءة من الليل اى بعضه وايثار لفظ العبد للايذان بتمحضه عليه الصلاة والسلام فى عبادته تعالى وبلوغه فى ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات حسبما يلوح به مبدأ الاسراء ومنتهاه واضافة التنزيه أو التنزه الى الموصول المذكور للاشعار بعلية ما فى حيز الصلة للمضاف فان ذلك من أدلة كمال قدرته تعالى وبالغ حكمته ونهاية تنزيهه عن صفات المخلوقين وقوله من المسجد الحرام اعلم انه اختلف فى مبدا الاسراء فقيل هو المسجد الحرام بعينه عند الحجر كما ورد عنه صلى الله عليه وسلم وقيل هو دار ام هانئ بنت أبي طالب كما رواه ابن عباس وعليه فالمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد واعلم أنه اختلف فى وقت الاسراء وفى كونه فى اليقظة أو فى المنام والحق انه كان فى المنام قبل البعثة وفى اليقظة بعدها واختلف أيضا انه كان جسمانيا أو روحانيا والحق انه كان جسمانيا كما ينبئ عنه التصدير بالتنزيه وما فى ضمنه من التعجب على ان الروحانى ليس

ولا أحدا ممن قدم علينا فى المواسم أشد اجتهادا ولا أدوم على العبادة من المزنى رحمه الله تعالى) لكمال معرفته بوعد ربه ووعيده وما أعده الله للمطيعين وحذر منه المخالفين (ولا رأيت أحدا أشد تعظيما لاوامر الله تعالى منه) لكمال معرفته بربه وتعظيمه لاوامره ونواهيه (وما رأيت أحدا أشد تضييقا على نفسه) منه من حيث سلوك الورع والزهد والتوكل والرضا والمحبة وغيرها من المقامات (و) لا أشد (توسعة على الناس منه) من حيث انه يأمرهم بما أمروا به وينهاهم عما نهوا عنه (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول ليس شئ أشرف من العبودية ولا اسم) اى وصف (أتم للمؤمن من الاسم) اى الوصف (له بالعبودية ولذلك قال سبحانه فى وصف النبى صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته فى الدنيا سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام

وقال) فيه (فأوحى الى عبده ما أوحى) مع انه دعا غيره من الانبياء بأسمائهم كياموسى ياعيسى ياصالح ودعاه بيا أيها النبى يا أيها الرسول ونحوهما تشريفا له (فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به) فى هذه الحالة (وفى معناه أنشدوا

ياعمرو ثارى عند زهرائى * ١١٤ يعرفه السامع والرائى لاتدعنى الا بياعبدها * فانه أشرف أسمائى)

فان ذلك يدل على ان عادة العرب فى اكرام بعضهم بعضا ان يدعو كل منهم غيره بأشرف الاسماء عنده وأحبها اليه (وقال بعضهم انما هو) يعنى المسقط للعبودية (شيئان سكونك الى اللذة) اى استحسانك لها ووقوفك معها (واعتمادك على الحركة) المقتضية للغفلة عن المحرك ولفقد ان التوكل (فاذا أسقطت عنك هذين) الشيئين (فقد أديت العبودية حقها) لتبريك من الحول والقوة (كما قال الواسطى احذروا لذة العطاء) اى لذة وصول النعم اليكم (فانه اغطاء) اى ستر (لاهل الصفاء) عن وصولهم الى مقاصدهم (وقال أبو على الجوزجانى الرضا دار العبودية والصبر بابه والتفويض بيته) لان أول العبودية العبادة وهى القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات ولا يقوم العبد بذلك الا بالصبر فهو باب الخيرات والوصول الى أعلى الدرجات فاذا وصل العبد الى هذه الدرجات الرفيعات رضى بكل ما يرد عليه من الله ولو بغاية المشقات واذا تمكن فى هذا فوض أمره الى الله واستراح من هم التقديرات (فالصوت على الباب والفراغة فى الدار والراحة فى البيت) بنى هذا القائل العبودية على ثلاثة أركان الصبر والرضا والتفويض مقامات والصبر أولها وهو الباب وعليه يكون الصوت والدعاء فان أذن له دخل الدار وهى مقام الرضا الواسع ولهذا اشبهه بالدار فاذا تمكن فى الرضا دخل البيت وهو التفويض وهو محل الراحة والدار موضع الفراغ من الاعمال الشاقة التى كانت على الباب

عرضة للانكار كما وقع لقريش وليس هو من خوارق العادات هذا وعلى كونه جسمانيا لا استحالة فيه فانه قد ثبت فى الهندسة ان قطر الشمس ضعف قطر الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل الى موضع طرفها الاعلى بحركة الفلك الاعظم مع معاوقة حركة فلكها لها فى أقل من ثانية وقد تقرر ان الاجسام متساوية فى قبول الاعراض التى من جملتها الحركة وان الله قادر على كل ما لم يحط به حيطة الامكان فيقدر على ان يخلق مثل تلك الحركة أو أسرع منها فى جسد النبى صلى الله عليه وسلم وباقى تفصيل هذه القصة يطلب من محله فلا نطيل بذكره (قوله وقال فيه فاوحى الى عبده ما أوحى) اى فاوحى جبريل الى عبده عبد الله تعالى واضماره لغاية ظهوره ما أوحى اى من الامور العظيمة التى لا تفى بها العبارة قيل أوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (قوله وفى معناه أنشدوا ياعمرو الخ) أقول ولذا قال صاحب الحكم اذا أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك قلت وتصحيح ذلك بتقدير عدمك واستشعار ألمك وتتبع ذلك بالتفصيل فى شواهد أحوالك قال تعالى انما الصدقات للفقراء فافهم (قوله وقال بعضهم الخ) محصله ان المعطل للعبودية شهود النعمة مع الغفلة عن حق المنعم فيها والوقوف مع آثار القدرة مع الذهول عن الفاعل القادر (قوله فاذا أسقطت عنك هذين الخ) قال الشاذلى نفعنا الله ببركات معارفه تصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز والذل والضعف لله تعالى واضدادها أوصافه تعالى فمالك ولها فلازم أوصافك وتعلق بأوصافه ومن بساط العجز الحقيقى ياقديرمن للعاجز سواك ياعزيز من للذليل سواك تجد الاجابة طوع يدك واستعينوا بالله واصبروا ان الله مع الصابرين أقول ولله در من قال فى دعائه الهى قد صح افلاسنا من طاعتك فمن أحق منا بصدقات عفوك (قوله احذروا لذة العطاء الخ) المراد النهى عن الاشتغال بالنعم مع الغفلة عن المنعم كما لا يخفى (قوله الرضا دار العبودية الخ) محصل ذلك ان طريق الوصول الى الحق سبحانه منحصر فى حبس النفس على فعل المأمورات وترك المنهيات والرضا بأحكام الرب والتسليم لما يجريه فى الخلق (قوله بنى هذا القائل الخ) اى فهى المحققة للعبودية التى هى أشرف نعوت الانسان وعند التحقق بذلك يمدا العبد بأوصاف الرب فيصير قادرا به غنيا به عزيزا به قويا به فيعود الفقر غنى والعجز قدرة والضعف قوة والذل عزا أمن يجيب المضطر اذا دعاه فى مقام الرضا والصبر والتفويض (قوله فاذا تمكن فى الرضا الخ) لا يخفى عليك انه تقدم عن بعضهم ان أول مقامات الرضا غاية

(سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول كما ان الربوبية نعت للحق لا تزول عنه فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه مادام) في الدنيا والآخرة (وأنشد بعضهم) في هذا (فان تسألوني) عني بالنسبة الى الله (قلت ها أنا عبده * وان سألوه) اي الله عني (قال هذاك مولائي) اي عبدي ومملوكي أو وان سألوا العبد عن الله قال هذاك مولاي ويكون فيه التفات ومقصود أبي علي بما قاله ان العبد اذا علم ان العبودية وصفه اللازم له فينبغي له أن يعطي هذا الوصف حقه من القيام بوصف العبودية وهو أن يقوم بحقوق الربوبية (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول) في صاحب العبادات (العبادات الى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها الى طلب الاعواض والجزاء عليها) لانها لكون صاحبها معتنيا باتقانها وايقاعها على وجهها تحتاج الى الاخلاص وأنى للعبد به فهو أحوج الى الصفح والعفو منه الى ان يطلب العوض والجزاء والثواب على عمله (وسمعته) أيضا (يقول سمعت النصراباذي يقول العبودية اسقاط رؤية التعبد في مشاهدة المعبود) فصاحبها بعيد عن الآفات لانه مخلص اذ أعماله وسائر أحواله يجريها الحق عليه خالصة مبرأة من العلل وهو يراها فضلا من ربه عليه فيستحيي من دعواها لنفسه فضلا عن طلبه الجزاء عليها منه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر محمد ابن عبد الله بن شاذان يقول سمعت الجريري يقول سمعت الجنيد يقول العبودية ترك الاشغال) التي لا تعين على الآخرة (والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة) من كل ما يضر بان يشتغل العبد بالطاعات ويرى الفضل لمجريها عليه في عموم الاوقات فاذا وصل الى هذه الحالة استراح قلبه من هم التقديرات ورضي وفوض أمره الى خالق البريات وهذه هي الفراغة من كل ما يضر والاستراحة فيما ينفع ويسر والله أعلم

(باب الارادة)

هي عندهم التجرد لله في السلوك الى كمال التوحيد وهي ممدوحة ومطلوبة (قال الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) وقال من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه وقال ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين

مقامات التوكل وما هنا ربما ينافيه فلعل كلا تكلم بحسب شربه (قوله فالعبودية صفة للعبد الخ) اي صفة ذاتية له لا تقبل الانفكاك كما أشار له الشارح (قوله أو وان سألوا الخ) لان المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد غير ان ما قبله أولى (قوله العبادات الى طلب الصفح الخ) محصل ذلك ان سر القبول والجزاء هو اخلاص النية وذلك من النادر لزيادة المشقة فيه فحينئذ الاقرب لصاحب العبادة انما هو طلب العفو والصفح للزوم تقصيره في عبادة ربه (قوله وصاحبها بعيد عن الآفات) اي فهو من أعلى المقامات لان صاحبه دائما في لذة المشاهدة لله تعالى (قوله العبودية ترك الاشغال الخ) حاصله انها المتابعة للشريعة مع الفناء عن كامل مألوفات الطبيعة

(باب الارادة)

اي سلوك طريق العبادة وهو لا يكون الا بالمتابعة لسيد الكائنات صلى الله عليه وسلم وذلك لا يتم الا بعد معرفة أحكام شريعته التي هي خير الشرائع وهي لا تحسن الا بالجد في التلقي عن شيخ محقق حتى يصح أن يعبد رب الانام وبغير هذا لا يمكن الوصول ولا يحصل نيل المأمول فاياك والاهمال فتحرم الافضال ولا تغتر بفقراء الوقت فان حالهم من جملة المقت فلا توافقهم في كثير ولا قليل بل تابع صاحب الخلق الجميل واعلم ان للعبادة دسائس لان للنفس فيها حظا خفيا لانها ربما احتوت على رياء وتصنع وتزين وقصد غرض أو عوض والاطلاع عليها ربما يجر لتزكية النفس واظهار سر المطلع عليه وتعظيمه لاجله الى غير ذلك من الدسائس التي لا يطلع عليها الا أولو البصائر والحاصل ان الطاعة قد تحتوي على حظ كما تحتوي عليه المعصية بل ربما كان هذا أضر لخفائه وظهور حظ المعصية فيمكن دفعه دون ذلك فاياك والدسائس لتغنم النفائس هذا والارادة انما يعنون بها ملازمة الطاعات والتجرد عن المألوفات (قوله هي عندهم) اي معاشر الصوفية التجرد لله الخ وقيل هي نهوض القلب في طلب الحق تعالى (قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) اي مثل صهيب وعمار وخبيب ونحوهم وقيل المراد بهم أهل الصفة وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل انه قال قوم من رؤساء المشركين الكفرة لرسول الله

(وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا هشام بن علي قال أخبرنا الحكم بن أسلم

قال اخبرنا اسمعيل بن جعفر
عن حميد عن أنس رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اذا أراد الله بعبد خيرا استعمله
فقيل له كيف يستعمله يارسول
الله فقال يوفقه لعمل صالح قبل
الموت) ومن وفقه الله للتجرد
تجرد (والارادة بدء طريق
السالكين) يعني التجرد السابق
(وهي اسم لاول منزلة القاصدين
الى الله تعالى وانما سميت هذه
الصفة) المسماة بذلك (ارادة) مع
انه لا ارادة فيها للعبد (لان الارادة
مقدمة كل أمر فما لم يرد العبد
شيأ لم يفعله فلما كان هذا) البدء
(أول الامر لمن سلك طريق
التوصل الى (الله تعالى سمي ارادة
تشبيها بالقصد) اي الارادة (في
الامور الذي هو مقدمتها والمريد
على موجب الاشتقاق) بفتح
الجيم (من له ارادة كما ان العالم
من له علم لانه من الاسماء المشتقة
ولكن المريد في عرف هذه
الطائفة من لا ارادة له) اي
لا اختيار له في نفسه ولا تمييز لمراده
وانما تجرد لمراد الحق تعالى به
ومنه (فمن لم يتجرد عن ارادته
لا يكون مريدا) على طريقة
هؤلاء (كما ان من لا ارادة له على
موجب الاشتقاق لا يكون مريدا
وتكلم الناس في معنى الارادة
فكل عبر على حسب مالاح لقلبه

صلى الله عليه وسلم مع هؤلاء القوم الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى مع السلك كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت والتعبير عنهم بالموصول لتعليل النهي بما في حيز الصلة ومعنى قوله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني دائبين على الدعاء في جميع الاوقات وقيل في طرفي النهار وقوله يريدون وجهه اي يقصدون بالدعاء والطلب ذاته تعالى فلا يلتفتون الى غيره (قوله فقال يوفقه لعمل صالح) اي بعيد عن المبطلات للاجور وهو لا يكون الا بالصدق والاخلاص في العمل ومن الصدق محبة العبد أن لا يرى عمله غير من له العمل قال أحمد بن أبي الحواري من أحب أن يعرف بشيء من الخير ويذكر به فقد أشرك في عبادته وقال ابن أدهم ما صدق الله من أحب الشهرة (قوله ومن وفقه الله للتجرد تجرد) اي فالاعتماد على ما سبق من التقدير بحكمة الرب الخبير ونهاية الامر أن الارادة امارة على الارادة فهي من قبيل قول سيد الكمل اعقل وتوكل (قوله وانما سميت هذه الصفة) اي التي هي التجرد ارادة اي على معنى انها مرادة له لان الارادة اي بمعنى القصد والعزم مقدمة كل أمر لسبقها واشتراط تقدمها في كل عبادة تعتبر لها نية على ان قصد كل شيء لا بد منه في تحقق ذلك الشيء لانه اذا لم يقصد لم يفعل كما صرح به الشارح والحاصل ان تسمية ذلك التجرد ارادة فيه توسع باطلاق اسم السبب على المسبب (قوله ولكن المريد الخ) اي وذلك لان العبادة من غير تجرد لا تثمر نفعا قال في لطائف المنن اعلم ان مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه والاغتناء بشهوده قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال أليس الله بكاف عبده وقال ألم يعلم بأن الله يرى وقال أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد فبنى أمورهم في بدايتهم على الفرار من الخلق والانفراد بالملك الحق واخفاء الاعمال وكتم الاحوال تحقيقا لفنائهم وتثبيتا لزهدهم وعملا على سلامة قلوبهم وحبا في اخلاص أعمالهم حتى اذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين وتحققوا بحقيقة الفناء وردوا الى وجود البقاء فهنالك ان شاء الله سبحانه أظهرهم هادين لعباده وان شاء سترهم فاقتطعهم من كل شيء اليه (قوله وانما تجرد لما اراد الحق به ومنه) اي فلا ينظر الى ماسواه بشاهد أنه لو نظر له الحق بالرضا لا يضره نظر ماسواه بغيره ولو نظر اليه بغير الرضا لا ينفعه نظر ماسواه به قال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله الآية قال بعضهم يا مرائي قلب من ترائيه في يد من تعصيه فافهم (قوله فمن لم يتجرد عن ارادته) اي اختياره بأن يتبرأ من حوله وقوته ويشهد الفضل لربه المحسن له لا يكون مريدا على طريقة هؤلاء اي في اصطلاح الصوفية وعرفهم وقوله كما ان من لا ارادة له اي لا تجرد له على موجب الاشتقاق اي الاخذ على ما تقدم لا يكون مريدا اي متجردا والحاصل أن المتابعة وصف العبد والتجرد عن الاختيار والحول والقوة رسمه وحقه المطلوب منه (قوله على حسب مالاح لقلبه) اي على قدر شربه وحظه بمقتضى

استعداده

فأكثر المشايخ قالوا الارادة ترك ما عليه العادة) لأن من اجتهد فى طلب الحق أعرض عن عاداته (وعادة الناس فى الغالب التعريج فى) اى الاقامة على (أوطان الغفلة والركون الى اتباع الشهوة والاخلاد) اى ادامة البقاء (الى مادعت اليه المنية) اى البغية (والمريد منسلخ عن هذه الجملة) أى التعريج والركون والاخلاد الى ماذكر (فصار خروجه) عن عاداته (امارة ودلالة على صحة الارادة فسميت تلك الحالة) التى هو فيها (ارادة وهى خروج عن العادة فاذن ترك العادة امارة الارادة) لا حقيقتها (فأما حقيقتها فهى نهوض القلب فى طلب الحق سبحانه ولهذا يقال انها) اى الارادة (لوعة) أى حرقة فى الفؤاد (تهون كل روعة) اى فزعة (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول حاكيا عن ممشاد الدينورى انه قال مذ علمت ان أحوال الفقراء جد كلها لا هزل فيها (لم أمازح فقيرا وذلك ان فقيرا قدم على فقال) وكان به جوع (أيها الشيخ اريد أن تتخذ لى عصيدة فجرى على لسانى ارادة) اى تشتهى ارادة (وعصيدة فتأخر الفقير)

أى فلما سمع منه الفقير ذلك أخذته غيرة وقوى حاله وتأخر وانصرف (ولم أشعر به فأمرت باتخاذ عصيدة وطلبت الفقير فلم أجده فتعرفت خبره فقيل لى انه انصرف من فوره وكان) عند انصرافه (يقول فى نفسه) اى مخاطبا لها (ارادة وعصيدة ارادة وعصيدة وهام على وجهه حتى دخل البادية ولم يزل يقول هذه الكلمة حتى مات) مقصوده بذلك أن الفقراء قلوبهم صافية مترقبة لما يرد عليها من الله ولهذا قيل اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق لا بالعلم لغلبة الاحوال عليه فاذا رفق العبد به حتى ينجلى عنه ما هو فيه نفعه وانتفع به واذا طالبه بالعلم وهو فى غلبة الحال أهلكه وهذا الفقير كان جائعا واحتاج الى طعام وعرف من نفسه انه لا يمكنه ابتلاع الخشن فقصد هذا الشيخ معتمدا على معرفته بعادات الفقراء وطلب منه ما يوافق جوعه وهو العصيدة فأجرى الله على لسان الشيخ ارادة وعصيدة فسمعه الفقير فهام على وجهه فكان ذلك مع جوعه السابق سبب موته (وعن بعض المشايخ قال كنت بالبادية وحدى فضاق صدرى فقلت يا انس كلمونى يا جن كلمونى فهتف بى هاتف ايش تريد) من كلامهم (فقلت أريد الله تعالى فقال) الهاتف (متى تريد الله تعالى) يعنى ان من قال للانس والجن كلمونى متى يكون مريدا لله تعالى) لأن من كان قلبه مجموعا مع الحق لم يلتفت لانس ولا جن ولا غيرهما من سائر المخلوقات فعلم ان الارادة افراد الحق بالقصد والطلب والاعراض عن كل مشغل (والمريد لا يفتر) عن الاجتهاد فى الطاعات (آناء الليل والنهار فهو فى الظاهر) متصف (بنعت المجاهدات وفى الباطن) متصف (بوصف المكابدات) قد (فارق الفراش

استعداده (قوله قالوا الارادة ترك ما عليه العادة) أقول سيأتى ان ذلك من اماراتها لا لبيان حقيقتها والا فهى نهوض القلب فى طلب الحق (قوله وعادة الناس الخ) اى عادتهم بحسب ما جبلوا عليه من حب الراحات بموجب عمى الغفلات واتباع الشهوات بدنى البشريات (قوله والمريد منسلخ الخ) اى وانسلاخه باعتبار تحققه بحقيقة أمره ونعته (قوله فهى نهوض القلب الخ) اى وسبب ذلك فى الحقيقة سبق العناية الالهية والا فهو كما اشار صاحب الحكم حيث قال سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار (قوله نهوض القلب فى طلب الحق) اى عزمه وتصميمه وتوجهه بكليته الى القيام فى طلب مرضاة الحق تعالى (قوله لوعة الخ) اى وسببها تجلى جلال أو جمال على ما لا يخفى (قوله مذ علمت الخ) محصله ان الفقراء الصادقين فى سيرهم الى الله تعالى لا هزل عندهم بل كل ما سمعوه أخذوه على وجه الجد وان كان فى ذلك هلاكهم فلا ينبغى معهم استعمال الهزل أصلا (قوله فالقه بالرفق) اى الترفق وقوله لا بالعلم اى المجرد عن الرفق (قوله فهام على وجهه) اى لما فهمه من بقاء حظوظ النفس التى لا تجامع الارادة (قوله فقال الهاتف الخ) يشير الى أن من العطب التعرض لغير الحق بالطلب فافهم (قوله فعلم ان الارادة الخ) مراده الكامل منها (قوله لا يفتر) اى كل منهما وذلك باعتبار الشأن فيهما (قوله فهو فى الظاهر) محصله انه مستعمل للجوارح الظاهرة منه فى جهاد العبادة وللباطنة فى مكابدتها فراق المألوف والعادة مع اخلاص الصدق له تعالى فيهما (قوله فارق الفراش) اى عملا بقوله جل جلاله تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية وقوله

ولازم الانكماش) اى الاسراع الى الطاعات أو التذلل والاستكانة (وتحمل المصاعب وركب المتاعب وعالج الاخلاق ومارس المشاق وعانق الاهوال وفارق الاشكال كما قيل) فى معنى ذلك (ثم قطعت الليل فى مهمه *) اى مفازة بعيدة (لا أسدا أخشى ولا ذيبا يغلبنى شوقى فاطوى السرى *) اى السير ليلا (ولم يزل ذو الشوق مغلوبا سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله تعالى يقول الارادة لوعة) اى حرقة (فى الفؤاد لدغة) بالمهملة ثم المعجمة اى حرقة (فى القلب غرام فى الضمير انزعاج فى الباطن نيران تتأجج) اى تلتهب (فى القلوب) كل من هذه المذكورات يصلح أن يعبر به عن الارادة لانه يدل على كمال الاحتراق فى الطلب وكمال الشوق فى تحصيل الارب والاعراض عن كل قاطع من حظ أو سبب (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت أبا بكر السباك يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول كان بين أبى سليمان) الدارانى (وأحمد بن أبى الحوارى عقد لا يخالفه أحمد فى شئ يأمره به فجاءه يوما وهو يتكلم فى مجلسه) بالمواعظ (فقال) له (ان التنور) وهو ما يخبز فيه (قد سجر) ببنائه للمفعول اى حمى (فما تأمر) بما يفعل فيه (فلم يجبه فقال) له ذلك أحمد (مرتين أو ثلاثة فقال) له (أبو سليمان اذهب فاقعد فيه كأنه) اى أباسليمان (ضاق به) أى بما قاله أحمد (قلبه) اى قلب أبى سليمان حتى قال اذهب فاقعد فيه أو كان أحمد ضاق قلبه بقول أبى سليمان ذلك (وتغافل عنه ابو سليمان ساعة ثم ذكر) اى تذكره (فقال ادركوا) وفى نسخة اطلبوا (أحمد فانه فى التنور لانه آلى) اى حلف (على نفسه ان لا يخالفنى) فى شئ (فنظروا فاذا هو فى التنور لم تحترق منه شعرة) كأنه كان يعلم من حال أحمد أن العادة بشاهد انخرقت له فى ان النار لا تؤثر فيه فأمره بذلك وامتثل أحمد وفائدة حكاية ذلك تعريف الناس منزلة أحمد ورفعة مقامه ليقتدى به من بعده وطلب كمال الجد والامتثال لاوامر المشايخ فى السلوك (وسمعت الاستاذ أباعلى رحمه الله يقول كنت فى ابتداء صباى محترقا) اى شديد الطلب (فى الارادة وكنت أقول فى نفسى ليت شعرى ما معنى الارادة) حتى نالنى منها طرف فاستلذ طلبى لها (وقيل لى) (من صفات المريدين) عشرة أشياء (التحبب اليه) تعالى (بالنوافل) لانها الموعود عليها بالمحبة منه فى خبر ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه

ولازم الانكماش اى استعمل طريق الخفاء بعداعن الظهور والشهرة وذلك أظهر مما درج عليه الشارح كالايخفاك (قوله وعالج الاخلاق) اى عالج تبديل الذميم منها بالحمد وقوله ومارس المشاق اى تحملها واصطبر على مضارها ومؤلماتها وعانق الاهوال أى لابسها ولم يجزع منها وقوله وفارق الاشكال اى الامثال شغلا عنها بخالقها وقوله كما قيل الخ التشبيه فى مطلق ترك المألوف وعدم المبالاة بأسباب الفزع والخوف (قوله ثم قطعت الليل فى مهمه الخ) انما خص الليل بالذكر لان الفزع والوحشة فيه أشد منهما فى النهار وقوله لا أسدا أخشى الخ اى على ما هو شأن أمثاله ممن غلب عليهم جلال الحق تعالى حتى لم يخافوا غيره وقوله يغلبنى شوقى أى يزيد اشتياقى وغرامى حتى لا تقوى طبيعتى على تحمله فاطوى السرى اى السير ليلا وذلك فى طلب وصولى الى من أحبه غيرانه لما كان شأن أمثالى عدم المصابرة لبعد منازل الاحبة وعدم الاستعداد بالزاد وغير ذلك لزم الاعتراف بالانقطاع عن اللحوق قلت ولم يزل ذو الشوق مغلوبا فافهم (قوله الارادة لوعة) اى سببها لوعة اى حرقة فى الفؤاد وشغاف القلب وقوله لدغة اى احتراق بنار الشوق الى لقاء المحبوب وقوله غرام فى الضمير اى هيام واضطراب وقلق سببه محبة مشاهدة الاحباب وقوله نيران تتأجج اى نيران أشواق يزيد توقدها ولهبها فى القلوب وسببها الشوق الى الوصول وبلوغ المأمول (قوله يقول كان بين أبى سليمان الخ) أقول القصد من ايرادها بيان ان ثمرة الصدق فى الارادة هى خرق العادة وبيان قوة الامتثال حتى وصل بذلك الى مقام الكمال (قوله كأنه كان يعلم الخ) اى فلا يقال انه قد أمره بجرم (قوله كنت فى ابتداء صباى الخ) الغرض من ذكر هذه القصة بيان ما يلزم المريد فى ابتداء سيره اليه سبحانه وتعالى (قوله عشرة أشياء الخ) الحصر فيها اضافى بالنسبة لبعضهم فلا ينافى اعتبار زيادة عليها بالنسبة لبعض آخر (قوله التحبب اليه تعالى بالنوافل) أى زيادة عن اداء الفرائض كما هو معلوم

(والخلوص فى نصيحة الامة) المترتب عليه ثواب نفعهم (والانس بالخلوة) لخلوص الطاعة من التفات القلب الى ما يطرق الاذن
من الاخبار (والصبر على مقاساة الاحكام) ليتحقق به مخالفة عادات العبد (والايثار) منه (لامره) تعالى على ما يميل اليه هواه
(والحيا من نظره) تعالى اليه وذلك حيث يستشعر نظره اليه فى سائر احواله فيسلم من ان يراه مولاه فى حالة لا يرضاها (وبذل
المجهود فى) طلب (محبوبه) تعالى من فعل ما أموراته بان يجتهد فى أن لا يخطر

بقلبه فى سائر تصرفاته غيره به تعالى

بشاهد علم الشريعة (قوله والخلوص) اى الاخلاص فى نصيحة الامة اى بلا فرق بين قريب وحبيب وغيرهما (قوله والانس بالخلوة) اى الاستئناس بها والوحشة من الاجتماع مع الامثال الشاغلين عن الحق تعالى (قوله والصبر الخ) اى حبس النفس على الرضاء بما يجرى به القضاء بالحكمة العلية (قوله ليتحقق به مخالفة عادات العبد) اى من مثل النفرة من الكره بشاهد بقاء النفوس (قوله والايثار منه لامره تعالى) اى فلا يكون له مراد فى ذاته ولا رجوع الى ما أوقاته وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة لا تطلب الامارة فانك ان أعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان أعطيتها عن مسئلة وكلت اليها والعبرة فيه بعموم الطلب حيث هو من مظان العطب فمن تحقق بالعبودية لله لم يطلب شيأ غير ما أراده مولاه والحاصل ان معنى الايثار لامره تعالى تقديم ما للحق تعالى على ما للنفس والهوى (قوله والحيا من نظره تعالى اليه) اى بواسطة التمكن فى مقام المراقبة له تعالى والله أعلم (قوله وبذل المجهود فى طلب محبوبه) اى غاية الاجتهاد والجهد فى فنائه عن نفسه ليصل الى فضل ربه (قوله والتعرض لكل سبب الخ) اى تعاطى الاسباب الموصلة اليه تعالى مع البعد عمن يبعده عنه (قوله والقناعة بالخمول) اى الرضا بالخمول والخفاء ليسلم من شر الظهور والشهرة ولان كل شئ عند الله وله وبحسب ذلك فلا ينظر العبد الشئ سواه تعالى اذ من المحال ان تراه وتشهد معه سواه ولله در من قال

مذ عرفت الاله لم أر غيرا * وكذا الغير عندنا ممنوع

مذ تجمعت ما خشيت افتراقا * فانا اليوم واصل مجموع

فالمعرفة تحقق العارف بما يقتضيه جلال معروفه حتى يصير ذلك التحقق كأنه صفة له لا يتحول عنه ولا يتزحزح وبحسب ذلك فيكون نصب قلبه فى كل وقت وعلى كل حال (قوله وعدم القرار بالقلب) أى عدم استقرار القلب وسكونه لمقام من المقامات لان السكون لكل كمال حجاب عما وراءه من الكمالات (قوله آفة المريد ثلاثة أشياء) اى من حيث ما للنفس فى ذلك من الحظ اما اذا صدرت للامتثال مع مراعاة حق الحق تعالى فلا بأس ولا ضرر بل فيها الجزاء الجميل (قوله لما بينهما من المنافاة الخ) قد علمت انه لا منافاة مع انتفاء حظ النفس (قوله اذا رأيت المريد الخ) مراده الحث على طريق

(والتعرض لكل سبب يوصل اليه) اى الى محبوبه (والقناعة بالخمول) ليسلم من آفات الشهرة وما يدخل عليه من تشويش الخلق وتعلقهم به اذا عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه (وعدم القرار بالقلب) بان يكون خائفا من ربه (الى أن يصل الى الرب) سبحانه (وقال أبو بكر الوراق آفة المريد) القاطعة له عن الارادة (ثلاثة أشياء التزويج) بمعنى التزوج لانه اذا تعلق قلبه بالزوجة فربما أسرع اليه الفساد لا سيما اذا حدث بينهما أولاد (وكتبة الحديث) يعنى التفرغ لكتابته وقراءته ودرسه وان كان فيها فضل لانها تشغله عن القيام بما يخصه من اصلاح قلبه وجوارحه واستقامته مع ربه فى اخلاصه (والاسفار) لانها تشغل القلب سواء لاقى فيها الاشرار لان ملاقاتهم تورث التغيير وفساد القلب أم الاخيار لان ملاقاتهم تورث التزين لهم والمراآة باظهار أعمالهم (وقيل له لم تركت كتابة الحديث فقال منعنى عنها

الارادة) لما بينهما من المنافاة كما علم مما مر (وقال حاتم الاصم اذا رأيت المريد يريد غير مراده) بان نسب نفسه الى شئ وزعم انه من أهله ثم تبين من باطنه خلاف ما أظهر وسلك طريقا غير موصلة الى مقصوده الذى أظهره (فاعلم انه قد أظهر نذالته) اى خبث باطنه وسوء سريرته التى أخفاها وأظهر غيرها فاذا ادّعى الارادة وسلك ضد طريقه من التوانى والكسل والمحبة للدنيا وطول الامل فقد اظهر من اخلاقه ما لا يحسن ظهوره واطلع الناس على سوء سريرته (سمعت محمد بن الحسين) رحمه الله (يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الكتانى يقول من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء

نومه غلبة وأكله فاقة وكلامه ضرورة) لان المريد المجتهد ينصرف عنه كل ما لا حاجة له به لخبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والذى لا يعنيه هو الذى لا حاجة له به فى تحصيل مراده الذى يبغيه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجنيد يقول اذا أراد الله تعالى بالمريد خيرا أوقعه الى الصوفية) الذين صفوا وخلصوا من الاخلاق الذميمة واتصفوا بالحميدة (ومنعه صحبة القراء) المقتصرين على التعبد من غير اعتناء بتغيير أخلاقهم الذميمة بالحميدة (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن على (١٢٠) يقول سمعت الرقى يقول سمعت الدقاق يقول نهاية الارادة أن تشير الى الله تعالى فتجده مع الاشارة) بان يجرى عليك ما أراده وما أشرت اليه فيه (فقلت) له (فأيش) أى فأى شئ (يستوعب الارادة) بحيث لا يكون للعبد فى حصول مطالبه اختيار ولا اشارة (فقال ان تجد الله تعالى بلا اشارة) بان يجرى عليك جميع ما تحتاجه من غير طلب أو بان يكون دائم النظر اليك والمراقبة لك فى سائر احوالك بلا سبب (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى) رحمه الله (يقول سمعت عباس بن أبى الصحو يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول لا يكون المريد مريدا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال) ذنبا (عشرين سنة) مثلا بان يحفظ من الزلل أو يعقبها بالتوبة قبل أن تكتب عليه فقد جاء فى خبر ان كاتب اليمين له نظر على كاتب الشمال فان زل العبد زلة أمره ان يمهل عليه فان تاب لم يكتب والا كتبها (وقال أبو عثمان الحيرى من لم

مساواة الباطن للظاهر لان خلاف ذلك من شيم المنافقين قال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على امتى المنافق عليم اللسان (قوله نومه غلبة الخ) أى لاجل ان يتفرغ لما خلق له وقوله وأكله فاقة أى بعد ميق جوع يشبه الفاقة وذلك لما فى كثرة الاكل من قسوة القلب وفتور البدن عن العبادة وقوله وكلامه ضرورة اى لان من كثر لغطه كثر سقطه مع ان آفة اللسان أشد الآفات فهو وان صغر جرما غير انه عظيم جرما (قوله اذا أراد الله تعالى الخ) أقول وذلك مسلم فان للقرين والصاحب تأثيرا فى التخلق أى تأثير كما هو مشاهد فعلى العاقل أن يتخير له قرينا يعينه على ما به صلاحه فى العاجل والآجل (قوله ومنعه صحبة القراء الخ) أنت خبير بان المراد بالقراء المحافظون على أحكام الشريعة والعمل بها كما ذكره الشارح وحينئذ فكيف يكون الحال فى قراء الزمن الذى نحن فيه فيلزم الفرار منهم كالفرار من المجذوم وكالفرار من الاسد (قوله نهاية الارادة الخ) أقول ويدل على ذلك قول الله تعالى لموسى فيما حكى عنه كن كما أريد اكن لك كما تريد (قوله فقال ان تجد الله تعالى بلا اشارة) أقول ولا يتم ذلك الا بالغنى عن غيره تعالى بحيث يشهد الحق بلا خلق لاندراج حكم الفعل فى الصفة من حيث انه أثرها وبذلك لا يبقى خبر عن الفعل من حيث هو والصفة مضافة لموصوفها فليس الا هو وحده وذلك عين الغيبة عن كل شئ به تعالى لرجوع كل شئ اليه واذا كان كذلك فيجد العبد ربه بلا اشارة فافهم (قوله حتى لا يكتب عليه الخ) اى وذلك لقوة محافظته وشدة مراقبته لجلاله تعالى (قوله بان يحفظ من الزلل) اى وذلك لا يكون الا بمعونته تعالى لعبده وحفظه له (قوله من لم تصح ارادته الخ) اى فالاعتبار فى النهايات انما هو احكام البدايات فمن قوى عزمه فى التجرد ابتداء ثبت تحققه انتهاء (قوله على الخوف والرجاء) أى حتى لا يقنط بغلبة سطوات الخوف ولا يفرط بانس بسط الرجاء فيستعمل كلا من الخوف والرجاء بشاهد علم الشريعة (قوله المريد اذا سمع شيأ الخ) حاصله ان حقيقة الحكمة لا تثبت لغير عامل بعلمه على متن الطريقة أما العامل بعلمه المذكور فيثبت له ذلك

تصح ارادته ابتداء) اى ابتداء (لا يزيده مرور الايام عليه الا ادبارا) لان البناء انما يكون على أساس صحيح فمن لم يكن اساس طاعاته على الخوف والرجاء والصدق والاخلاص وكمال المعرفة بالله ونحوها لم يزده طول الايام الا خروجا عن الطريق (وقال أبو عثمان) أيضا (المريد اذا سمع شيأ من علوم القوم فعمل به صار) مسموعه (حكمة فى قلبه الى آخر عمره ينتفع به) لان عمل العبد بالعلم يطلعه على ما فيه من الآفات فيصير زمنها فينتفع بعلمه (ولو تكلم به) أى بمسموعه (انتفع به من سمعه ومن سمع شيأ من علومهم ولم يعمل به كان) ما سمعه (حكاية يحفظها أياما ثم ينساها) فلا يفيده ذلك شيأ

بواسطة

(وقال الواسطى اول مقام المريد ارادة) اى اختيار ارادة (الحق سبحانه باسقاط ارادته) اى اختياره بان يرضى باختيار ربه له لما مر من ان المريد من لا ارادة له (وقال يحيى بن معاذ أشد شئ على المريدين معاشرة الاضداد) لان ضدك من لا يجامعك على مقصود لانه يريد خلاف ما تريده (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا القاسم الرازى يقول قال يوسف بن الحسين اذا رأيت المريد يشتغل بالرخص) التى فيها ترك مندوب أو فعل مكروه (والكسب فليس يجئ منه شئ) يعتد به وان كان ذلك جائزا لا اثم فيه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت جعفر الخالدى يقول سئل الجنيد ما للمريدين فى مجاراة الحكايات) الخارقة للعادة مما وقع للصالحين (فقال الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوى بها قلوب المريدين) فانها تتأثر بها وتقوى بها على اليقين (فقيل له فهل لك فى ذلك شاهد فقال نعم قوله عز وجل وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك) وقد قص الله فى كتابه على نبيه صلى الله عليه وسلم ما جرى لآدم وابراهيم (١٢١) ونوح وعاد وثمود وغيرهم وان العاقبة لهم

(وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد ابن خالد يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد يقول المريد الصادق) فى الارادة (غنى عن علم العلماء) الذى لم تدعه اليه حاجة فى اصلاح دينه اما ما دعت اليه حاجته فى ذلك فهو واجب عليه وأما علوم الشريعة التى هى فرض كفاية فان قام بها غيره سقط عنه القيام بها والا فلا هذا فى بيان المريد (فاما الفرق بين المريد والمراد) بالنظر الى اصطلاحهم فهو ما يأتى عقب بيان ما بينهما بالنظر الى الوجود وهو ما ذكره بقوله (فكل مريد على الحقيقة مراد اذ لو لم يكن مراد الله تعالى بان يريده) اى بارادته له (لم يكن مريدا اذ لا يكون) أى يوجد (الا ما أراده الله عز وجل وكل مراد مريد

١٦ يج ث لانه) أى المراد (اذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للارادة) وفى نسخة بالارادة فبينهما تلازم فى الوجود (ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد فالمريد عندهم هو المبتدئ والمراد هو المنتهى و) يقال ايضا (المريد) هو (الذى نصب بعين التعب وألقى فى مقاساة المشاق والمراد) هو (الذى كفى بالامر من غير مشقة فالمريد) على هذا (متعن والمراد مرفوق به مرفه) ويعبر عن هذا بان المريد هو المتعنى فى السلوك والمراد هو الملطوف به المعان (وسنة الله تعالى مع القاصدين) رضى الله عنهم (مختلفة فاكثرهم يوفقون) اولا (للمجاهدات) فى سلوكهم (ثم يصلون بعد مقاساة البيا واللتى) هما اسمان للداهية قاله الجوهرى (الى سنى المعالى) أى رفيعها (وكثير منهم يكاشفون) بفتح الشين (فى الابتداء بجليل المعانى) اى عظيمها بما يخلقه الله فى قلوبهم من المعرفة والشوق (ويصلون الى ما لم يصل اليه كثير من أصحاب الرياضات الا ان اكثرهم يردون الى المجاهدات بعد هذه الارفاق)=

بواسطة زيادة أنوار الاعمال الواقعة منه حسبما مع (قوله اول مقام المريد) اى الكامل المتحقق بمقام الرضا والتسليم لما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه (قوله معاشرة الاضداد) أى ولا سيما اذا كان لا بد من معاشرتهم وأشق من ذلك اذا كلف مصادقتهم ولذا أشار المتنبى حيث قال

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى * عدوا له ما من صداقته بد

(قوله والكسب) مراده به الكسب المشغل عن طريق الحق لا مطلق الكسب (قوله فقال الحكايات جند الخ) يؤخذ منه ان مجرد حفظها ونقلها مع سكون القلب ودوام نومه وغفلته والبقاء مع حظوظ الشهوة من القواطع للعبيد اذ لا فائدة فى ذلك بل فيه الضرر بزيادة قيام الحجج (قوله غنى عن علم العلماء) اى لتقدم اشتغاله به حتى صح عمله وتحقق اسم المريد له فشغله بالعمل بعلمه المتقدم يثمر له علوما أخر بطريق الفيض كما يشير الى ذلك خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم فحينئذ يستغنى عن علم العلماء (قوله فاما الفرق بين المريد والمراد) محصل الفرق مختلف بحسب اختلاف مذاهبهم فكل قد تكلم على قدر شربه وذوقه فيه كما سيتضح من بقية كلامه وقوله عقب بيان ما بينهما اى ما بين المريد والمراد بالنظر الى الوجود أى من التلازم عند تحقق حقيقة المريد والتباين عند خلاف ذلك (قوله ويقال أيضا المريد هو الذى الخ) أى فالمريد هو المبتدئ الباقى احساسه بالعادات والمألوفات والمراد هو الفانى عن النفس وعن عاداتها ومألوفاتها وبذلك كان مرفوقا به تسهل عليه المكابدات والمجاهدات بخلاف المريد كما لا يخفى (قوله وكثير منهم الخ) أى والسبب فى ذلك مجرد العناية الالهية لحكمة يعلمها الله تعالى

جمع رفق (ليستوفى منهم ما فاتهم من احكام اهل الرياضة) ليس مراده انهم يردون الى ما خرجوا منه من الاخلاق الذميمة والاعمال الشاقة بل مراده انهم يلقون فى مقاماتهم العالية من المجاهدات وملازمة الآداب والامتحان فى ذلك ما لقيه ارباب البدايات فى بدايتهم فان كل مقام عال لابد له من موانع تصد عنه (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول) فى الفرق بين المريد والمراد (المريد متحمل) للمشاق لانه فى طريق المجاهدات (والمراد محمول) عنه تلك المشاق (وسمعته) أيضا (يقول) فى الفرق بينهما (كان موسى عليه السلام مريدا فقال) أى فانه قال (رب اشرح لى صدرى) الآية سأله ذلك لما لقيه عند اجتماعه بفرعون وما يعرفه من غلظته كما قال فى محل آخر اننا نخاف أن يفرط علينا أو ان يطغى (وكان نبينا صلى الله عليه وسلم مرادا فقال الله) أى فان الله (تعالى) قال له (ألم نشرح لك صدرك و وضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك و رفعنا لك ذكرك) أى شرحناه لك بالنبوة وغيرها فشرحه له ولم يسأله فيه (وكذلك قال موسى عليه السلام) لما تقدم له من سماع الكلام الازلى ونيل تلك الحالة العظيمة (رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى) سأله الرؤية لكمال النعمة فاعلمه انه لا قدرة له عليها (وقال لنبينا صلى الله عليه وسلم ألم تر الى ربك كيف مد الظل) فرآه ولم يسأله (وكان أبو على يقول ان المقصود) بالاستدلال (قوله ألم تر الى ربك وقوله كيف مد الظل ستر للقصة وتحصين للحالة) اى لحالة الرؤية وظاهر ان الآية ليست صريحة فى أنه رآه لاحتمال ان المراد ألم تر الى فعل ربك وقد اختلفوا فى رؤيته له ليلة المعراج والصحيح انه رآه وبالجملة فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق وان لم تدل الآية على رؤيته وأما قوله لا تفضلوا بين الانبياء وقوله لا تفضلونى على يونس بن متى ونحوهما فاجيب عنها بانه نهى عن تفضيل يؤدى الى تنقيص بعضهم أو عن تفضيل فى نفس النبوة التى الفضل لا يتفاوت فيها الا فى ذوات الانبياء المتفاوتين بالخصائص وقد قال تعالى فضلنا بعضهم على بعض أو نهى عن ذلك تأدبا وتواضعا أو نهى عنه قبل علمه بانه أفضل ولهذا لما علم قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر والمراد آدم و ولده وسائر الخلق (وسئل الجنيد رحمه الله عن) الفرق بين (المريد والمراد فقال المريد تتولاه سياسة العلم) بان يجاهد نفسه و يروضها فى اعمال قلبه وجوارحه بعلم الشريعة و بذلك يكون محفوظا عن الزيغ (والمراد تتولاه رعاية الحق) تعالى بان يلطف به ويحفظه من الكسل والفتور ومعلوم ان من حفظ بالشريعة فقد حفظ برعاية الحق لكن المراد ان رعاية الحق للمراد أبلغ واعانته له أعم وأسبغ (لان المريد يسير) فى مجاهداته

(قوله لابد له من موانع) اى فيستعين عليها صاحب المقام بالمجاهدات (قوله والمراد محمول) اقول وسبب ذلك انه آثر الله تعالى على ما سواه فاستحق الاعانة منه تعالى على مقاصده وسبب ذلك الايثار غرس الله محبته فى سويداء قلبه اذ حقيقة المحبة أخذ جمال المحبوب لحبة القلب حتى لا يبقى فيه بقية لغيره فى حال من الاحوال ولذا قال بعضهم المحبة الايثار مع دوام الحنين الى المحبوب فالولى هو العارف بالله الفانى فيه المحب له فمن ليس له نصيب من هذه فليس له فى الولاية من نصيب (قوله كان موسى الخ) منه يعلم ان العبرة بعناية الحق بعبده لا بعلو الهمة والقصد وربك فعال لما يريد يختص برحمته من يشاء قال أبو العباس فى بعض مناجاته يا قريب انت القريب وأنا البعيد قربك منى آيسنى من غيرك و بعدى عنك ردنى للطلب منك فكن لى بفضلك حتى تمحو ارادتى بارادتك يا قوى يا عزيز اه والغرض بيان فضله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بان نبينا منح المطالب العالية بدون طلب منه افتنانه فى مرادات ربه ولم يكن كذلك موسى (قوله وكان أبو على يقول الخ) محصله ان المقصود حمله صلى الله عليه وسلم على الاقرار بالرؤية الثابتة له وقوله كيف مد الظل من قبيل ستر القصة عن غير الاهل لاجل تحصين حالته عليه الصلاة والسلام عن المعارضات الباطلة (قوله لاحتمال الخ) أقول التقدير خلاف الظاهر وان كان محتملا (قوله والصحيح انه رآه) اى بعينى رأسه بلا كيف (قوله عن تفضيل يؤدى الخ) أى لانه حينئذ يكون محرما وربما كان كفرا (قوله أنا سيد ولد آدم) اى وكذا آدم بالاولى اذ فى أولاده من هو أفضل منه (قوله والمراد تتولاه الخ) أى لترقيه الى التبرى من الحول والقوة وشهود

من خط مؤلف الحاشية عقب البيت والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم (قد تم الجزء الاول من النتائج الفكرية على الرسالة القشيرية بحمد الله وعونه ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الثاني منها ومبدؤه الكلام على الاستقامة انتهى وهذه تسويد للتجريد فمن اطلع فيها على تحريف أو خطا فليصلح ما اطلع عليه حيث المشغلات كثيرة والهمم ضعيفة أو عدمية والحول والقوة لله والعصمة والحفظ لرسول الله وأولياء الله كاتبه عروسي عفى عنه) وهذا على تقسيمه اه

الفضل لربه سبحانه وتعالى (قوله والمراد يطير) أي لان العبد قد يترقى بفكر ساعة الى ما لا يصل اليه غيره في أعوام مع الجد في العمل (قوله من ينام الليل كله الخ) أي نخلقه كان محمد يأوله الاشارة بخبر نحن معاشر الانبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا (قوله ولا تقله علومنا) أي لا تحمله لعدم ذوقه لنا (قوله فذو النون الخ) أي فكل قد اصاب حيث سلك طريق الاحباب وان اختلفت المنازل على حسب منح الفضائل ولله در البوصيري حيث قال

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(باب الاستقامة)

(قوله باب الاستقامة) أقول سئل بعضهم عن الطريق المقربة منه سبحانه وتعالى فاجاب بقوله اعلم ان الامور ممبتدؤها والذي لا ينتفع بشئ الا به العقل الذي جعله الله نورا لخلقه وزينة لهم فبه يعرف العباد خالقهم وانهم مخلوقون وانه المدبر وهم المدبرون وانه الباقي وهم الفانون واستدلوا به فعرفوا الحسن من القبيح وعلموا ان الظلمة في الجهل والنور في العلم واستدلوا به على ان الخالق لم يخلق عبثا ولا العباد به علموا ان للخالق محبة وكراهية وطاعة ومعصية وعلموا به انهم لا يتوصلون الا بالعلم أعني علم ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه من الامر والنهي والوعد والوعيد وغير ذلك وعلموا انهم لا ينتفعون بالعلم دون الايمان فيعلم ان الله هو الحق وما سواه باطل وعلموا انهم لا ينتفعون بالايمان بدون طاعة وبعد عن معصية وعلموا ان كلفة الاعمال لا تخف على الانفس الا بالصبر عليها وعلموا به ان ثقل الصبر انما يخففه الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بهم واختاره لهم وساقه اليهم وعلموا به ان الرضا انما يتم لهم بالزهد في الدنيا والورع فيها وعلموا به ان ذلك لا يتم لهم الا بالصدق وعلموا به ان الصدق لا يقوى الا باليقين والثقة بما وعد به سبحانه وتعالى على لسان رسله فعلم من كلامه نفعنا الله ببركات علومه ان رأس امر العبادة العقل والدليل العلم والنور الايمان والسائق العمل والمقرب الصبر فمن لم تكن له قوة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل ومن لم يعمل لم يتم نوره وبقي في ظلمة ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق ومن لم يبصر فليتبع الدليل وهو القرآن يهدي الله لنوره من يشاء والله أعلم واعلم ان الاستقامة قد تكون مما طبع عليها بعض العبيد لسبق عناية الله تعالى بهم لكونهم سابق القضاء على وجه الحكمة من سعداء الدارين المحبين المحبوبين وقد نظر ما بعد نفوذ القضاء والقدر بالنسبة للبعض الآخر وعلى كل حال فدوامها من اكبر

(والمراد يطير) في حسن اعانة الله له (فتى يلحق السائر الطائر) لا يلحقه (وقيل ارسل ذو النون) المصري رحمه الله (الى أبي يزيد رجلا وقال له قل له الى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال) له (أبو يزيد قل لاخي ذي النون الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل) وصول (القافلة) اليه (فقال ذو النون هنيئا له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا) ولا تقله علومنا اذ علو الدرجة انما يحصل بحفظ الله ورعايته فذو النون حرض على كمال المجاهدة في الاعمال ليدرك السابقين وأبو يزيد أشار الى التوحيد وجمع الهمة الى الله تعالى في السلوك والتبري من الحول والقوة وبذلك علم ما بين المقامين وان الاول واقف مع نفسه ومجاهدته والثاني متبرئ مما ذكر وكلام الاول اشارة الى المريد وكلام الثاني اشارة الى المراد والله أعلم

(باب الاستقامة)

أسباب السعادة رزقنا الله تعالى وأحبتنا الاستقامة ودوامها حتى نلقاه آمنين من جميع
المخاوف ثم اعلم ان الامام الاجل أبابكر عتيق السمنطاري نفعنا الله ببركات علومه ذكر
فصلا جامعا فى الاستقامة وكيفية السلوك رأيت نقله لكثرة فرائده وفوائده قال رضى الله
عنه فصل جامع فى السير الى المولى عز وعلا فأول الاستقامة انهم بدأهم الله تعالى بالارادة
لهم فى سابق علمه قبل أن يخلقهم فعلم منهم انهم أولياؤه واحباؤه واصفياؤه وهو الذى
لذلك أهلهم ولم يزل بعد راض عنهم لسابق اصطفائه لهم وان كان بعضهم معرضا عنه
زمانا ومشتغلا بغيره أحيانا فمنهم من أنشأه برا طاهرا وأحسن شأنه باطنا وظاهرا ثم
أقامه على ما كمل الطاعات الى أن قبضه اليه ومنهم من أنشأه كافرا ودون ذلك أو قضى
ببعض الذنوب عليه كذلك فلما ان جاء أجل التوبة عليهم جرت الخيرات مسرعة اليهم
فكشف لهم مولاهم عن قلوبهم صداها وأنزل فيها نورهداها ففتحوا أبصار القلوب
ومدوها الى علام الغيوب وأدركهم الخجل والحياء وحل فيهم الخوف والرجاء
وعندها رفع لهم الكريم مولاهم علما من أعلام التوبة أولاهم فقصدوا اليه طائرين
حتى بلغوا اليه راضين راغبين بصدق النيات والقلوب فباؤا اليه بالذنوب فأقاموا به
حتى عرفوه وأنسوا به وألفوه انتهى أقول والله ولى السول يعنى نفعنا الله به انهم
تمكنوا فى مقام التوبة ثم أشرفوا منها على عدة اعلام فبنوها بالاهتمام وسموا اليها
بنهضتهم طمعا فى كمال توبتهم فارتقوا منها الى علم منها بالتوبة الصادقة من كل جريمة
عرفوها أولاحقة حتى عادت لذنوبهم حالقة ثم على علم منها فأدوا المظالم وعزموا على ترك
الذنوب والمحارم ثم الى علم باجتناب الشهوات وترك الحظوظ والمألوفات مع سائر
ما يولد الآفات ثم الى علم منها أزهر مضىء بنور أقر فايقنوا هنالك ايمانهم وأحسنوا
به اسلامهم ثم الى مثله فعرفوا به صدق نيتهم بالدليل فاشرفوه وأحسنوا قبولهم منه
واتبعوه فهنالك عرفوا افضل أصحاب الرسول وحق أزواجه وأولاده والمرشدين من
الفحول فعرفهم الله تعالى بنفسه فى سائر المقامات بدلائل الخلق والآيات البينات
أعنى نقلهم الحق سبحانه وتعالى من الاعتقاد الى العلم بالادلة والبراهين فنالوا درجة
الموقنين وهم فى ذلك ينظرون بعين الاعتبار الى خلق العزيز الجبار وان منهم كيسا
مستعملا وعاجزا مستكسلا ومدققا سديدا وعالما سعيدا فعلموا ان الله هو المعطى
والمانع وهو الضار والنافع منه مصدر الاشياء جميعا واليه يعودون ذريعا ووجدوه
ملجأ لحاجتهم ورجوه لتمام توبتهم فرغبوا فى ذلك اليه وخضعوا بالذل لديه فألهمهم
التفكر فى ملكوته فى خلق أرضه وسمواته وما أودع بينهما من عجائب خليقته الدالة
على وحدانيته فى ملكه وربوبيته ثم اعتبروا افضل أحبابه وأوليائه وأصفيائه وكيف
جعل فيهم من كرامته مايميزهم به على الوجه الذى بداهم على ذلك ويبلغهم الى ماهنالك
فطلبوا بذلك الاخلاق المرضية والشيم الفاخرة السنية فوجدوا أقصى الاعلام

التى

هى لغة ضد الاعوجاج واصطلاحا
الاعتدال فى السلوك عن الميل
الى جهة من الجهات ويقال هى
ان لا يختار العبد على الله شيأ
ويقال غير ذلك ولكل سالك

التى رفعت لهم قد انتهت فى ذلك بهم الى علم دين الله تجلت قدرته الذى بأله خاصته فعلوا انه الدليل على مقصدهم ومبلغهم الى مرصدهم فدعوا الله وسألوه أن يثبتهم بالقول الثابت فيما أملوه ورجوه فاسعفهم بالتوفيق لطلب العلم وأيدهم فى طلبه بالحلم فمازال يبصرهم فهما قدما قدما حتى أقامهم على المحجة الواضحة الدالة على كل صالحة فلما جعلوا فى قارعة الطريق وظهر لهم مسلك الفريق جعلوا الصدق والاخلاص رواحلهم والخوف والرجاء سائقهم وقائدهم والعلم الذى دلهم على ذلك رائدهم والجد والاجتهاد رفيقهم والتسليم الى الله والتوكل عليه ملجأهم والتبرى من الحول والقوة نعتهم وابتغاء وجه الله مقصدهم والاستعانة على جميع ذلك بالحق مرصدهم ولم يزالوا مستقيمين على الطريقة بهذه الازواد الوثيقة حتى أشرفوا على منازل القبول وانكشفت لهم أعلام الوصول فجعلوا الرعاية لذلك حاديهم والاعراض عن كل مادون مولاهم هاديهم فلما انتهوا الى عرصات المعرفة وصارت الاشواق لهم مألفة ارتقوا هنالك الى معارج اليقين فتنسموا أخبار أحسن الخالقين فعند ذلك حولوا السير الى السرى فى طى مناهلهم وامتطوا نجب سرائرهم فى قطع حجب بصائرهم حتى علوا بذلك الى عرصات المشاهدة فخفت عليهم المكابدة فجعلوا طلب المداومة جليسهم ولزوم القرب والبسط أنيسهم حتى ظفروا بمذاق طعم التوحيد وتلذذوا باعتناق التجريد والتفريد فحطوا بفناء الراحة واستوطنوا منازل السكينة والاستراحة فصار الطبع منهم مراقبة الجليل مولاهم وأعلى فراديس الجنان مأواهم فاجتمعوا باحبابهم ودخلوا أجمعين من بابهم هذا هو السير الى الرحمن جل وعلا فان عزمت على رشد أمرك فهب لمولاك مابقى من عمرك اهـ (قوله هى لغة ضد الاعوجاج) أى سواء فى المحسوسات أم فى المعقولات دينيات أو دنيويات (قوله الاعتدال فى السلوك الخ) السلوك عند القوم هو السير الى الله تعالى بمتابعة سنة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم وقوله عن الميل الخ أى عن الانحراف الى جهة من الجهات التى فيها مخالفة لما ورد عن سيد الرسل وابتداع مذموم لم تشهد له سنته واعلم انه قد ثبت عن عبد الله بن الشخير انه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل وقال ابن أبى هالة كان صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وثبت انه صلى الله عليه وسلم قال انه ليغان على قلبى فاستغفر الله فى اليوم مائة مرة وفى رواية سبعين مرة وعن على رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالى والعقل أصل دينى والحب أساسه والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز فخرى والزهد حرفتى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرة عينى فى الصلاة فهذا ما كان عليه من الاخلاق فتابعه بالوفاق (قوله أن لا يختار العبد على الله شيأ) أى ان لا يختار

اعتدال يخصه في مرتبته وسيأتي بيانه وسببها كمال العلم بالاحكام ومجاهدة النفس في كسر الهوى وثمرتها السلامة من الحساب والتخلق بشريف الآداب وهي ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الآية) وقال فاستقم كما أمرت (أخبرنا الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الاصبهاني قال حدثنا أبو يونس بن حبيب قال حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا شعبة عن الاعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن ثوبان مولى النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال استقيموا ولن تحصوا) أي تستطيعوا الاستقامة المخالفة للمعتاد

على ما يرضيه لما جاء على لسان رسوله شيأ مما تميل اليه النفوس من الحظوظ والعادات (قوله اعتدال يخصه الخ) أشار بذلك الى أن الاعتدال مختلف باختلاف همم العبيد المقربين (قوله وسببها كمال العلم الخ) أي السبب بحسب الظاهر كمال العلم الخ أما في الواقع فالسبب سبق عناية الله تعالى بحكمته العلية فالامر من الله والى الله (قوله وثمرتها السلامة من الحساب) أي وما يترتب عليه من أليم العذاب اذ من نوقش الحساب هلك (قوله قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله الخ) أي فثناؤه تعالى على الموحدين المستقيمين بالآية الاولى مع ما أعد لهم من الثمرات وأمره تعالى نبيه الاكرم بالاستقامة في الآية الثانية يفيد انها ممدوحة ومطلوبة والآية الثانية هي المعنية بقوله صلى الله عليه وسلم في الخبر الصحيح شيبتني هود وأخواتها (قوله قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) قال أبو السعود المفسر هذا شروع في بيان حسن حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكافرين فيهما اي قالوا ذلك اعترافا بربوبيته واقرارا بوحدانيته ثم استقاموا أي ثبتوا على الاقرار ومقتضياته على ان ثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة فان الاستقامة لها الشأن كله وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات في الايمان واخلاص العمل واداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته يمدونهم فيما تعين لهم من الامور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الالهام كما ان الكفرة يقيض لهم قرناء السوء تزين لهم القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت وفي القبر وعند البعث والاظهر هو العموم والاطلاق اه (قوله وقال فاستقم كما أمرت) قال ابو السعود المفسر لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الامم الماضية سوء عاقبة الكفر وعصيان الرسل وأشير الى أن حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذبين وان نصيبهم من العذاب واصل اليهم من غير نقص وان تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه الصلاة والسلام للتوراة وانه لولم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة الى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل وانهم يوفون نصيبهم غير منقوص وان كل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين يؤتى جزاء عمله أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة كما أمر بها في العقائد والاعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين لاسيما الاعمال الخاصة به من تبليغ الاحكام الشرعية والقيام بوظائف النبوة وتحمل أعباء الرسالة وبالجملة فهذا الامر شامل لجميع الاحكام الاصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيبتني سورة هود انتهى كلام المفسر (قوله استقيموا ولن تحصوا) يشير بذلك صلى الله عليه وسلم الى أن حق الاستقامة غير مقدور للبشر

لخروجها

وتمامها وبوجودها حصول الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت) اى أفسدت (غزلها من بعد قوة) أى احكام له وبرم (ومن لم يكن مستقيما في صفته لم يرتق من مقامه الى غيره ولم يبن سلوكه على صحة فمن شرط المستأنف) أي المستقبل للعمل (الاستقامة في احكام البداية كما ان من حق العارف الاستقامة في آداب النهاية) وقد أشار الى بيان درجات أهل الاستقامة في البداية والوسائط والنهاية بقوله (فمن امارات استقامة أهل البداية أن لا تشوب معاملتهم) مع الله (فترة) أى فتور عنها والا منعهم ذلك من الزيادة في مراتبهم والترقي عنها الى ما هو أعلى منها (ومن امارات استقامة أهل الوسائط أن لا يصحب منازلهم) أى ان لا يمازج أحوالهم (وقفة) معها أى استحسان لها (ومن امارات استقامة أهل النهاية أن لا يتداخل) وفي نسخة يداخل (مواصلتهم) اى مشاهدتهم لمولاهم (حجبة) تمنعهم المواصلة بل يدومون عليها وبما ذكر علم ان الاستقامة لا يستغني عنها أحد من السالكين وان كان لها أعلى وأوسط وادنى (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول)

نحو بها عن المألوف بالطبع فحينئذ المطلوب من الاستقامة ما هو مقدور ومستطاع على حسب الطاقة وذلك من الرحمة والرأفة بالعبيد (قوله واعلموا الخ) اى ويؤكده خبر الصلاة خير موضوع فاستكثر أو أقل (قوله ولن يحافظ على الوضوء الخ) أى وورد الوضوء سلاح المؤمن (قوله والاستقامة درجة) أى صفة وحالة بها كمال الامور والشرعية وذلك لان من اتى بما أمر به حسبما أمر فقد استقام في الائتمار اى ومن كانت ونزلت به الاخلاط وأراد نيل الاستقامة فليستخرجها بشربة خوف الفوت بعد الاغتسال بماء عين الندامة ثم يقصد العزلة في كهف جبل الانقطاع آيسا من الانس بما دون الله تعالى ثم يشرب من منقوع ماء شوم حنظل العبرة ويستنشق بدهن اشجار الحزن ويطعم من غذاء التوكل ويكتحل من قشر عود الغرام ولا ينام حتى يرى أنوار التوفيق ثم يجلس على بساط قدم الصدق والتصديق منتظر المبارى من عجائب ابريز التحقيق فحينئذ يبرأ من العلل ويأمن طروق الزلل فتكون حياته لله وموته في الله (قوله ضاع سعيه) أى لانه بانتفاء الاستقامة يتحقق الابتداع المذموم وهو لا يجامع الخير اذ هو جماع الشر اعاذنا الله واحبتنا من ذلك بفضله وكرمه (قوله قال الله تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) أى ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها أى ما غزلته فهو مصدر بمعنى المفعول وقوله من بعد قوة متعلق بنقضت أى كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد ابرامه واحكامه انكاثا أى طاقات وانتصابه على الحال من غزلها أو على انه مفعول ثان لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد تقبيح النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل أنها ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن (قوله لم يرتق من مقامه الى غيره) أى بل ربما يكون لا مقام له أصلا بقطع النظر عن مقام الايمان وان كان عظيم المنزلة اذ شرط الترقي مصاحبة الاعمال مع الاخلاص (قوله فمن شرط المستأنف الخ) مراده ان من شرط صحة الاعمال وكمالها تحقق الاستقامة فيها التي تكون على طريقة متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم (قوله الاستقامة في آداب النهاية) أى بان يكون دائم التوجه بالاخلاص والصدق مع التبرى من الحول والقوة دائم المجاهدة فارغ القلب عما سوى الحق تعالى (قوله أن لا تشوب الخ) اى فلا يتم لهم معنى الاستقامة التي هي من أعظم أسباب الترقي الى على المقامات الا بدوام الجد والاجتهاد (قوله أن لا يصحب الخ) محصله انتفاء شهود حسن العمل بالرجوع الى شهود مصدر الافعال المنعم بالتوفيق والافضال (قوله ان لا يتداخل الخ) حاصله عدم الاكتفاء بما شاهدوه من الكمالات وذلك لتمحض القصد منهم لرب البريات (قوله حجبة) أى حجاب ومنع وذلك يكون بالرضا بشيء من السوى استحسانا له اذ بذلك تنحط هممهم وتنقص درجتهم ويقفون عن

الاستقامة لها ثلاثة مدارج اولها التقويم ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم) يكون (من حيث تاديب النفوس) لانه عبارة عن اصلاح الجوارح وتعديلها بنيران الخوف والرجاء لتسلم من المنهيات وتستقيم على فعل الطاعات والاقامة) تكون (من حيث تهذيب القلوب) أى تطهيرها من الاخلاق الذمية (والاستقامة) تكون (من حيث تقريب الاسرار) من القلوب بان تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة فالمعنى الاول تمحيص والثانى تحقيق والثالث توفيق والاستقامة بالنظر الى محالها خمسة أنواع استقامة اللسان واستقامة القلب واستقامة النفس واستقامة الروح واستقامة السر فالاولى بالنطق بالحكمة والثانية بصدق الهمة والثالثة بحسن الخدمة والرابعة بتعظيم الحرمة والخامسة بالاشتغال بالمنعم دون النعمة (وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى معنى قوله) تعالى (ثم استقاموا لم يشركوا) بالله شيأ (وقال عمر رضى الله عنه) فى معناه (لم يزوغوا زوغات الثعالب) فى استقامتهم (فقول الصديق رضى الله عنه محمول على مراعات الاصول فى التوحيد) بان لا يشركوا مع الله غيره (وقول عمر رضى الله عنه محمول على طلب التأويل) فى الآية (والقيام بشروط العهود) أى باستقامتها يعنى ان كلامه جار على ظاهر الآية المبدوءة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله من انهم أقروا بالوحدانية ثم استقاموا الاية

الترقى عما شاهده من الكمالات (قوله الاستقامة لها ثلاثة مدارج الخ) أى وحاصلها اجمالا اصلاح الجوارح الظاهرة وتعديلها وحملها على القيام باعمال التكاليف ثم اصلاح الباطنة بحملها على اخلاص المقاصد لله تعالى وحده ثم وزن واردات القلوب بميزان السنة المحمدية فما وافقها عمل عليه والا أحجم عنه واعلم أن الاستقامة صفة الخواص من المحبين المحبوبين الذين لولاهم لعجل الله العقوبة لمن عصاه قال تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية فقد تفضل الحق تعالى بوجود الخواص ليكون ذلك سببا فى تأجيل العقوبة بل ربما كان سببا فى العفو عنها قال الشاعر

ألا ان وادى الجزع أضحى ترابه * من المسك كافورا وأعواده رندا
وماذاك الا أن هندا عشية * تمشت وجرت فى جوانبها بردا

(قوله اولها التقويم) أى التعديل على موافقة الاحكام الشرعية وقوله ثم الاقامة اى المنزلة التى ينازلها العبد وقوله ثم الاستقامة أى الدوام على ما نازله بالجد والصدق والاخلاص مع التبرى من الحول والقوة (قوله فالتقويم يكون الخ) أى وهو لا يتم الا بعد علم الاحكام الشرعية والعمل به فقوله وتعديلها اى تقويمها بنيران الخوف أى بالخوف الذى هو كالنار وقوله والرجاء أى الرجاء المخمد لشدة هذه النيران بما فيه من الحنان والرحمة والحاصل ان اصلاح الجوارح وتعديلها يكون باستعمال الخوف فيما يناسبه والرجاء كذلك حتى لا يقع فى الافراط أو التفريط (قوله والاقامة تكون الخ) اى وذلك يتحقق بالقيام على النفس وردها عن مألوفاتها بالطبع حتى تتهيأ للترقى والقرب من احسان الرب جل جلاله (قوله فالمعنى الاول تمحيص) أى من اسباب غفران ذنوب التقصير وقوله والثانى تحقيق أى من اسباب تحقيق ما وعدنا ربنا من الاجور وقوله والثالث توفيق أى ناشئ عنه ومترتب عليه وذلك لموافقة ما يرد على القلوب ما قرره حكم الشرع (قوله خمسة أنواع الخ) الظاهر انها مرتبة على طريق التدلى وذلك لان استقامة اللسان انما تنشأ عن استقامة القلب واستقامته انما تنشأ عن استقامة النفس واستقامتها انما تنشأ عن استقامة الروح وقوتها وهى انما تنشأ وتقوى عن استقامة السر فتدبر والله الموفق (قوله فالاولى بالنطق بالحكمة) أى فامارة استقامة اللسان ذلك وهو انما ينشأ من اخلاص القلب فى عبادة الرب جل جلاله (قوله بصدق الهمة) أى باخلاص المقاصد وقوله بحسن الخدمة أى بموافقة الوارد فى السنة وقوله بتعظيم الحرمة اى بتجلى صفات الجلال وقوله بالاشتغال بالمنعم اى بعدم الوقوف مع شئ من السوى (قوله فى معنى قوله ثم استقاموا) أى من آية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا (قوله فقول الصديق الخ) محصله ان الصديق الاكبر رضى الله عنه حمل على الظاهر فى

(وقال ابن عطاء) فى معناه (استقاموا على انفراد) شغل (القلب بالله تعالى) وحده (وقال أبو على الجوزجانى كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة فى طلب الكرامة وربك يطالبك بالاستقامة) فاستقم تكن آتيا بما طلبه منك ربك بخلاف من عمل لحصول الكرامة فانه عمل لغير الله تعالى فلا يكون مخلصا وهو مأمور بالاخلاص قال تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا على ١٢٩ الشبوى) بفتح المعجمة وضم الموحدة وكسر الواو المشددات (يقول رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت له روى عنك يا رسول الله انك قلت شيبتنى هود فما الذى شيبك منها) اشيبك منها (قصص الانبياء وهلاك الامم فقال لا ولكن) انما شيبنى منها (قوله تعالى فاستقم كما أمرت) اذ قوله كما أمرت يدل على ان الاستقامة تكون بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه فاذا سمع كما أمرت علم انه طولب باستقامة تليق بمعرفته بكمال الامر له وحقيق لمن فهم ذلك ان يشيب اذ لا يطيق أحد ان يأتى بعبادة على حسب ما يعرف من عظمة ربه بل لا بد ان يستصغر جميع ما يأتى به وان كان كاملا بالاضافة الى عظمة ربه ولذلك لما نزل اتقوا الله حق تقاته قلقت الصحابة خوفا من كونهم لا يقدرون على القيام بمعنى ذلك فانزل الله رحمة لهم فاتقوا الله ما استطعتم (وقيل ان الاستقامة لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات) من

١٧ يج ث حظوظ النفس (والقيام بين يدى الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا) وتقدم بيانه (وقال الواسطى الخصلة التى بها كملت المحاسن وبفقدها قبحت المحاسن) هى (الاستقامة) حتى لو فقدت من أحد ثم ادعى كرامة

الآية الشريفة لمراعاة الاصول فى التوحيد والفاروق طلب التفسير والتأويل لمراعاة العطف والقيام بشرط العهود ولكل وجهة هو موليها فرضى الله عن الجميع فقوله بعد يعنى ان كلامه الضمير فيه عائد على الصديق وانما كان كلامه جاريا على ظاهر الآية لان قوله تعالى ثم استقاموا انهم استقاموا على التوحيد بان لم يشركوا به غيره (قوله وقال ابن عطاء الخ) أى فحمل الاستقامة على استقامة السر وهى أعلاها (قوله استقاموا على انفراد شغل القلب الخ) أى وذلك يا عمشا لسان حال قائل ان أعمى الله عين عقلك عن نظر غيره فى الدنيا فقد جعل جزاء ذلك فى الآخرة وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وان قتلك بسيف حبه فى العاجل فقد جعل ديتك فى الآجل أحياء عند ربهم يرزقون فافهم (قوله كن صاحب الاستقامة الخ) أقول لما كانت الكرامة قد تكون من حظ النفس نهى عن طلبها وحث على طلب الاستقامة لكونها مطلوب الحق من العبد ولبعدها عن حظ النفس (قوله قال تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوه أى والحال انهم ما أمروا فى كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى وجاعلين أنفسهم خالصة له فى الدين (قوله اذ قوله كما أمرت الخ) غرضه بيان وجه زيادة الخوف المؤدى الى الشيب من الآية الكريمة وحاصله ان المراد بقوله كما أمرت فعل الطاعة على حسب معرفة العبد بربه بان يوقع فعله على وجه يليق بمعروفه وذلك كما لا يخفى بعيد عن الطاقة البشرية بل لا يمكن لوجوب استصغار جميع ما يأتى به العبد بالنسبة لما يعرفه من عظمة مولاه سبحانه وتعالى (قوله تكون بحسب المعرفة) أى على قدر شرب العبد المقرب والا فقد قيل الهوية بحر يغرق به شامخ كل عقل وتنتكس فيه سفينة كل فكر نعم ان سار العقل على مطية الفكر على ساحل هذا البحر بدليل الايقان قذفت اليه أمواجه جواهر أسرار الازل واتحفته بلطائف انباء الغيوب فيرى الهداية بحق اليقين فتسير به نجائب العناية الى جبل قاف القرب فيغسل حظيرة سره فى عين ماء الحياة فيخرج من الظلمات الى النور (قوله اذ لا يطيق أحد الخ) أى ولذا ورد سبحانك ما عبدناك حق عبادتك الحديث (قوله بالاضافة الخ) متعلق بقوله ان يستصغر الخ (قوله وقيل ان الاستقامة لا يطيقها الا الاكابر) أى وذلك مع قطع النظر عن قوله تعالى كما أمرت والا فهى لا تطاق أصلا ولا بالنسبة للاكابر فلا تغفل (قوله وتقدم بيانه) أى بقوله لن تستطيعوا الاستقامة

قبح منه ذلك وعد نقصا في حاله ولو جرى ذلك له كان استدراجا ومكرا نعوذ بالله من بلائه وفتنته وقد قال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة (وحكي عن الشبلي رحمه الله انه قال الاستقامة ان تشهد الوقت) الذي أنت فيه (قيامة) قامت بان تشعر قيامك بين يدي مولاك فتحسن استقامتك له في دنياك (و يقال الاستقامة في الاقوال بترك الغيبة) ونحوها كالنميمة والكذب ١٣٠ (وفي الافعال بنفي البدعة وفي الاعمال) أي الطاعات (بنفي الفترة) أي الفتور عنها (وفي الاحوال بنفي الحجبة) التي تمنع من بقائها (سمعت الاستاذ الامام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله يقول السين في الاستقامة سين الطلب) فقوله ثم استقاموا (اي طلبوا من الحق تعالى ان يقيمهم) اولا (على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم قال الاستاذ واعلم ان الاستقامة) وهي أعظم الكرامات (توجب دوام الكرامات قال الله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة) اي طريقة الاسلام (لاسقيناهم ماء غدقا) أي كثيرا من السماء (ولم يقل سقيناهم بل قال لاسقيناهم يقال اسقيته اذا جعلت) أي هيأت (له سقيا) وسقيته اذا ناولته ليشرب (فهو يشير) بما قاله وعدا للمستقيمين (الى الدوام) أي دوام الخير من المطر وما يترتب عليه وما قاله جار على قول من فرق بين سقاه وأسقاه والمشهور انهما بمعنى ويقال سقيته لشفته وأسقيته لماشيته وارضه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسن بن أحمد يقول سمعت أبا العباس الفرغاني يقول

المخالفة للمعتاد (قوله قبح منه ذلك) أي لانه زور وبهتان اذ دعوى الكرامة مع فقد الاستقامة كذب صرف (قوله وقد قال تعالى الخ) دليل على ثبوت الاستدراج (قوله الاستقامة ان تشهد الوقت الخ) محصل ذلك دوام استحضار المراقبة له تعالى في أداء عبادته لتقع على أكمل وجوهها وحينئذ فتندرج في جملة يحبهم ويحبونه ممن أحدقوا احداق البصائر وكشفوا براقع الغفلة عن وجوه السرائر وقابلوا اشخاص عالم الغيب بصقال مرايا القلوب والتقطوا جواهر المعاني من نثار عقود كلم الوحي فخضروا بقلوب غير ملتفتة الى القوالب وخرجوا بعقولهم من ديارها كل الصلصال الى اطوار مراتب القدس وطلبوا بجاذب الهم جناب جلال الوحدانية ومالوا بمشام أرواحهم الى انتشاق نسمات الفردانية تدبر تفهم والله أعلم (قوله ويقال الاستقامة الخ) بيان لها باعتبار متعلقاتها وحال المبتدئ (قوله بنفي الحجبة) أي بنفي أسبابها كشهود حسن الاعمال والوقوف مع ذلك من كل ما يشغل عنه تعالى (قوله يقول السين الخ) اقول هو وجيه جدا لان الاستقامة لا تكون الا بمعونة الهية وهداية قيومية (قوله واعلم ان الاستقامة الخ) أقول لما كان ما أراد التنبيه له من ان الاستقامة توجب دوام الكرامة من مهم الاشياء قدم قوله اعلم ليتوجه المخاطب بكليته الى هذه الفائدة الجليلة بل ربما يقال ان الاستقامة من أعظم الكرامات لانه لا يمنحها عبد الا سابق العنايات (قوله قال الله تعالى وأن لو استقاموا الخ) ان مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة على انه استمع أي ان الجن أو الانس أو كلاهما لو استقاموا على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا أي لوسعنا عليهم الرزق وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لانه أصل المعاش والسعة ولعزة وجوده بين العرب وقيل لو استقام الجن على الطريقة التي هي ملة الاسلام لاسقيناهم ماء غدقا وقيل لو استقام الجن على الطريقة المثلى أو لو استقام أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة ربه وطاعته ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام ولم يكفر وتبعه ولده في الاسلام لانعمنا عليهم ووسعنا عليهم رزقهم (قوله ولم يقل سقيناهم) محصله الجري على الفرق ما بين سقى واسقى وان الثاني الرباعي يفيد الدوام المناسب لكون الثمرات المترتبة على الاستقامة دائمة لا تنقطع بخلاف الاول الثلاثي فهو لا يفيد تكرارا ولا دواما (قوله وما قاله جار الخ) أقول يكفي في مثل ذلك القول به وان لم يكن مشهورا (قوله قال الجنيد الخ) حاصله

قال الجنيد لقيت) وانا سائر الى الحج (شابا من المريدين في البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت) له استعظام (ما أجلسك ههنا فقال حال افتقدته) أي فقدته (فمضيت وتركته فلما انصرفت من الحج اذا أنا بالشاب قد انتقل الى موضع قريب من الشجرة فقلت) له (ما جلوسك) أي ما اجلسك (ههنا فقال وجدت ما كنت اطلبه في هذا الموضع فلزمته

قال الجنيد فلا ادرى ايهما) اى حاليه (كان اشرف) هل هو (لزومه لافتقاد حاله او لزومه للموضع الذى نال فيه مراده) فائدة هذه الحكاية ان المستقيم اذا تعذرت عليه استقامته ففقه التثبت ودوام الطلب واذا فتح عليه بما كان فقده ففقه الشكر والثناء وحفظ الادب وكلاهما من الاستقامة ولهذا قيل الصوفى ابن وقته لا التفات له الى ماض ولا الى مستقبل فهذا كان فى حال مع الله وهو سائر الى الحجاز طيب العيش مع مولاه فلما ادركه التغير فى حاله جلس الى الارض متفكرا باحثا عن السبب فلما مر به الجنيد سأله عن جلوسه فقال حال فقدته فلما رجع الجنيد وجده قد انتقل الى موضع قريب من ذلك الموضع فسأله عن ذلك فاجابه بانه وجد ما كان فقده فقال الجنيد لا ادرى اى حاليه اشرف هل هو تثبته وطلبه لما فقده او ادبه وشكره على ما وجده وهكذا يكون حال المستقيمين مع مولاهم فى حالتى المنع والعطاء لا يحجبهم منعه لهم عن دوام التضرع والطلب ولا يشغلهم احسانه اليهم عن دوام الشكر لنعمه والادب

(باب الاخلاص)

هو ما يأتى فى كلامه وسببه علم العبد باحتياجه اليه فى العمل النافع له فى دنياه واخراه وثمرته السلامة من العقاب والعتاب ونيل علو الدرجات فى الجنات وهو ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل ألا لله الدين الخالص) وقال وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين (أخبرنا على بن احمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا جعفر بن محمد الفريابى قال حدثنا ابو طالوت قال حدثنى هانى بن عبد الرحمن بن ابى عقبة عن ابراهيم بن ابى عبلة العقيلى قال حدثنى عطية بن وشاح عن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل) بفتح الياء مع ضم الغين اى لا يخون ومع كسرها اى لا يحقد (عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله ومناصحة ولاة الامر ولزوم جماعة المسلمين) فمن تعمر قلبه بالثلاثة سلم من الخيانة والحقد (وقال الاستاذ الاخلاص) اى الكامل (افراد الحق) تعالى (فى الطاعة بالقصد) اى الارادة (وهو ان يريد بطاعته التقرب الى الله) تعالى (دون شئ آخر

استعظام ما عليه الشاب فى حالتى الفقد والوجود حيث لما امتحن بالفقد صبر وطاب ودام على الجد والاجتهاد ولما وجد شكر ولزم وهكذا حال الكمل من المحبين المحبوبين رضى الله عنا بهم أجمعين (قوله ففقه التثبت الخ) أى ولذا قيل قف على الباب لا ليفتح لك الباب يفتح لك الباب (قوله لا التفات له الخ) أى لانه تضييع للوقت بلا فائدة مع ان الامر ليس اليه فافهم (قوله وهكذا يكون حال المستقيمين الخ) أى افناء مراداتهم فى مراد مولاهم جل شأنه

(باب الاخلاص)

أقول هو روح سر القبول ومن أعظم أسباب بلوغ المأمول ومن أملدات السعادة الابدية حيث هو يحقق الرضا من رب البرية اذ الموصوف به من أهل العنايات ومن منح أعظم الكرامات وقد أشار صاحب الحكم العطائية الى ذلك حيث قال الاعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الاخلاص فيها اقات فلا عبرة حينئذ بصورة لا روح فيها كما انه لا قيام لروح دون صورتها هذا ويحتمل ان اضافة سر الى الاخلاص بيانية ويحتمل ارادة ما هو أخص من الاخلاص وهو الصدق المعبر عنه بالتبرى من الحول والقوة وكلاهما مطلوب الاخلاص لنفى الرياء والصدق لنفى العجب (قوله هو ما يأتى فى كلامه) أى من أنه افراد الحق فى الطاعة بالقصد فانظره ان شئت (قوله وسببه علم العبد الخ) مراده السبب الظاهر أما هو فى الباطن فهو عناية الحق بالعبد أزلا (قوله وثمرته السلامة من العقاب) أى لمن راآى بطاعته وقوله والعتاب أى بالنسبة لمن قصد الثواب مثلا (قوله ألا لله الدين الخالص) استفهام تقريرى وتقديم المعمول لافادة الاختصاص به تعالى وخلوصه تجريده من المعطلات كالرياء والنفاق والشك والريب ونحو ذلك (قوله وقال وما أمروا الا ليعبدوا الله) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أى والحال انهم ما أمروا فى كتابهم الا لاجل ان يعبدوا الله مخلصين له الدين أى جاعلين دينهم خالصا له تعالى وجاعلين أنفسهم خالصة له فى الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة الى الاسلام انظر بقية الآية (قوله بفتح الياء الخ) أى وعلى كل فالمعنى ظاهر وهو البعد عن الخيانة والحقد (قوله وهو ان يريد الخ) أى فيكون عمله امتثالا للامر بقصد التقرب اليه تعالى

من تصنع لمخلوق اوا كتساب محمدة عند الناس او محبة مدح من الخلق لو معنى من) سائر (المعانى سوى التقرب به الى الله تعالى)
كأن يريد بعبادته ثواب الآخرة او اكرامه فى الدنيا او سلامته من آفاتها أو استعانته على امور دينه كمن يرائى والديه ليدعوا له
بالخير او شيخه ليعينه على مقاصده الدينية ١٣٢ فليس ذلك من الاخلاص الكامل بل ولا من مطلق الاخلاص الافيما يريد به
ثواب الآخرة والاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها فلا يخرج عن حد الاخلاص خلافا لما افهمه كلامه فدرجات الاخلاص ثلاث عليا ووسطى ودنيا فالعليا ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته والوسطى ان يعمل لثواب الآخرة والدنيا ان يعمل للاكرام فى الدنيا والسلامة من آفاتها وما عدا الثلاث من الرياء وان تفاوتت افراده (ويصح ان يقال الاخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين) بان لا يلتفت العبد الى مدحهم ولا الى ذمهم ولا الى ما فى أيديهم (ويصح ان يقال الاخلاص التوقى عن ملاحظة الاشخاص) هو قريب مما قبله (وقد ورد خبر مسند ان النبى صلى الله عليه وسلم اخبر عن جبريل عن الله سبحانه انه قال الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من احببته من عبادى) وذلك لا يحصل الالمن بعد عنه الاغيار فى معاملة الحق تعالى حتى حصل بينه وبين الحق تعالى فى السر مناجاة ومحادثات فهذا هو الذى بينه وبين الله سر
اى معاملة خفية وقد قيل من لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر اى على شغل قلبه بغير ربه فلم يتب عنه (سمعت لبعده
الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول وقد سألته عن الاخلاص ما هو فقال سمعت على بن سعيد واحمد بن محمد بن زكريا
وقد سألتهما عن الاخلاص فقالا سمعنا على بن ابراهيم الشقيقى وقد سألناه عن الاخلاص

(قوله من تصنع الخ) هو وما عطف عليه من الرياء وان كان بعض صوره لا يحبط عملا فتدبر (قوله كأن يريد بعبادته الخ) أقول هو وان لم يكن من الرياء المحبط للعمل غير انه مما يدل على انحطاط الهمة عن درجة الكمال (قوله خلافا لما أفهمه كلامه) أى قبل تقدير الشارح قوله أى الكامل فى حد الاخلاص (قوله فالعليا ان يعمل العبد الخ) أقول وأعلى منها ان يعمل محبة له تعالى واجلالا (قوله والوسطى ان يعمل الخ) أقول وأعلى منها ان يعمل امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته ولذا نقل عن رابعة العدوية انها قالت

عبدوك خوفا من لظى * عبدوا لظى لا ربنا

(قوله والدنيا ان يعمل الخ) أى وأعلى منها ان يعمل لثواب الآخرة (قوله وان تفاوتت افراده) أى فى عظم الاثم وضده وذلك كالتصنع لمخلوق لغرض دنيوى أو لغرض دينى (قوله تصفية الفعل الخ) أى ولذا قيل من أفرد الحق بالطاعة كان هو المخلص عند الجماعة اخلاص المخلص يظهر بحاله دون ترجمة قاله المخلص تراه يخفى الاعمال ويسترها برداء الحال واذا سئل عما لم يخبر بقال بل يثنى وصفه عند السؤال فمن رأيته يحرص على ظهور قبائحه الخسيسة ويكتم أحواله السنية النفيسة فاستدل بذلك على مقام اختصاصه وعلو درجته فى اخلاصه تدبر (قوله الاخلاص سر من سرى الخ) قال بعضهم السر ما اخفته الضمائر غيرة من ان يطلع عليه غير المنعم به سبحانه وتعالى وهو من روح القبول ومن أعظم أسباب بلوغ المأمول وقال بعضهم أيضا المخلص لا يخفى حاله على الخاصة النقاد وان التبس على العوام بحسب الاعتقاد لان ما استودع فى غيب الجنان قد يظهر على ظاهر الانسان وما عساه ان يكتمه اللسان قد تفضحه فراسة الاذهان فلابس خلعة الاخلاص متوج عند العوام والخواص فكلامه مقبول وحاله معقول فمن رأيته يكسل عن العبادة فى الخلا وينشط لها فى الملا فاعلم انه بعيد عن الاخلاص لم يحم حومة الخواص فالمخلص هو من يزداد نشاطا اذا خلا بالحق وبعد عن مواطن الخلق ان قام قام بالله وان قعد قعد بالله ومع الله وان تحرك فلا يقصد غير الله وان سكن اطمأن بالله وان سأل سأل من الله وان عمل عمل لله وان أعطى أخذ من يد الله فجميع شؤنه بالله وفى الله والى الله فلا حول له ولا قوة الا بالله (قوله وذلك لا يحصل الالمن بعد عنه الخ) أى فهو بواسطة فنائه من جميع الاغيار نه تعالى تشرق فى قلبه شمس الانوار الالهية فتكون جميع حركاته وسكناته من الله وفى الله والى الله وذكره وفكره وحديثه وسمعه كذلك بالواردات والالهامات بواسطة ملك أو بدون ذلك (قوله اى على شغل قلبه) اى ومن حاله كذلك لا يتم له السير الى الله تعالى

فقال سمعت محمد بن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص فقال سألت احمد بن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت ابا يعقوب الشريطى عن الاخلاص ما هو قال سألت احمد بن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سألت الحسن عن الاخلاص ما هو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ما هو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم عن الاخلاص ما هو قال سألت جبريل عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ما هو قال هو سر من سرى استودعته قلب من احببته من عبادى) هذا الخبر تأكيد لما قبله بزيادة ذكر السند (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول الاخلاص التوقى عن ملاحظة الخلق) بان لا يفرح برؤيتهم لما هو فيه من العمل ليمدحوه ويصلوه ولئلا

يستنقصوه (والصدق التنقى من مطالعة النفس) بان يتخلص من الاعجاب بان لا يستحسن عمله ولا يضيفه الى نفسه (فالمخلص لا رياء له والصادق لا اعجاب له) ماذكره هو ادنى مراتب الاخلاص والصدق فان اعلاها ان لا يسكن العبد الى عمله وحسنه وان كان صحيحا ويراه فضلا من ربه (وقال ذو النون المصرى الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص فيه والمداومة عليه) فبين الاخلاص والصدق تلازم فمن اخلص فى مقام وصدق فى سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله الله الى ما فوقه وسئل الجنيد عنهما اهما واحد او بينهما فرق فقال بينهما فرق الصدق اصل والاخلاص فرع والصدق اصل كل شئ والاخلاص لا يكون الا بعد الدخول فى الاعمال

ليبعده عن منازل القرب (قوله بزيادة ذكر السند) اى المنتهى الى رب العزة وكفاه بذلك شرفا وفخرا (قوله الاخلاص التوقى الخ) اقول واكمل من ذلك التوقى عن ملاحظة ماسوى الحق تبارك وتعالى (قوله بان لا يفرح الخ) تصوير لبعض ماصدقات عدم ملاحظة الخلق (قوله والصدق التنقى من مطالعة النفس) اى بواسطة شهود ان الحق تعالى هو المنفرد بالاحكام بدليل ولو شاء ربك ما فعلوه وبرهان قل كل من عند الله وبشاهد وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وبغير ذلك من الآيات البينات (قوله ماذكره هو ادنى مراتب الاخلاص والصدق) اى لانه يصدق بسكون العبد الى عمله وحسنه وذلك من الهمة الدنية (قوله الاخلاص لا يتم الخ) اى لا تتم سببيته فى الترقى من مقام الى اعلى منه الا بذلك وقوله والصدق لا يتم الخ اى لا تتم ثمرته من القبول وبلوغ المأمول الا كذلك وقوله فبين الاخلاص والصدق تلازم معناه انه متى تحقق الاخلاص لزمته مصاحبة الصدق وكذا اذا ثبت الصدق لزمه مقارنة الاخلاص فيما يكون الترقى (قوله الصدق اصل) اى لعمومه للاقوال والافعال لكل من الجوارح الظاهرة او الباطنة بخلاف الاخلاص حيث هو يخص القلوب فكان كالفرع لذلك (قوله متى شهدوا الخ) اى ولذلك تقدم عن ذى النون ان الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه فما هنا تقدم علمه مما تقدم عن ذى النون فذكره لزيادة الايضاح (قوله رياء العارفين افضل الخ) اى لان اخلاص المريدين قد يجامع بعض الحظوظ ولو رجعت الى الدين كالعمل مع استحسانه او مع التصنع به لامر دينى او مع طلب الجزاء عليه (قوله ثلاث من علامات الاخلاص الخ) اى الكامل منه كما هو واضح وان كان لا يكمل مما ذكره من استواء المدح والذم الميل الى الذم منهم اكثر من المدح كما لا يخفى على من له بصيرة (قوله لمعنى يخصه) اى ككونه اصله او فرعه او شيخه او محبه مثلا (قوله ونسيان رؤية الاعمال الخ) اى نسيان ذلك بواسطة ذوق معنى قوله جل وعز ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحد أبدا فيشهد حينئذ انه لم يصدر منه عمل الا بمعونة الحق تعالى فيوجب له ذلك ان يستحى من طلب الجزاء على عمله حيث الامر منه

والاعمال لا تكون مقبولة الا بهما (وقال أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى اخلاصهم الاخلاص احتاج اخلاصهم الى اخلاص) لحق المخلص ان لا يرى اخلاصه ولا يسكن اليه فمتى خالف ذلك لم يكمل اخلاصه بل سماه بعضهم رياء فقال رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين وسيأتى مع بيانه (وقال ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص استواء المدح والذم من العامة) أى جميع الناس لا من بعضهم فقط لمعنى يخصه وهذا أول درجات الاخلاص وهو السلامة من الرياء (ونسيان رؤية الاعمال فى الاعمال) بان لا ينظر الى نفعها ولا الى ضررها

حتى تنسى مدح الخلق لك اوذمهم على عملك لكمال شغلك باخلاصك (ونسيان اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة) بان لايخطر لك على عملك جزاء دنيوى ولا اخروى (سمعت الشيخ أباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أباعثمان المغربى يقول الاخلاص مالايكون للنفس فيه حظ بحال) بان لايكون فيه رياء ولا عجب (وهذا اخلاص العوام وأما اخلاص الخواص فهو مايجرى (عليهم) من ربهم (لابهم) من الاعمال خالصة كاملة (فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد) وانما اعتدادهم برحمة ربهم وفضله عليهم (فذلك اخلاص الخواص) فى اعمالهم الجارية عليهم من ربهم وماذكره حد للعمل الخالص لا للاخلاص (وقال أبو بكر الدقاق ١٣٤ نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه) فى عمله رؤية استحسان له لارؤية كمال وصحة (فاذا أراد الله تعالى) لعبد (أن يخلص اخلاصه) من الرياء والعجب (اسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه) رؤية استحسان (فيكون مخلصا) بفتح اللام وهو من اخلصه الله من كل شوب (لامخلصا) بكسرها وهو من أخلص فى عمله (وقال سهل لايعرف الرياء) ويتجنبه (الا مخلص) لان الاخلاص ضد الرياء فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه وهو لايشعر ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه لمعرفته به (سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أباعلى الروذبارى يقول قال لى رويم قال ابوسعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين) لان غاية المريد المبتدئ ان يخلص عمله من الرياء المبطل له ويكون مخلصا ثم يدخل فيه العجب لكونه اضافه لنفسه وقد يسلم عمله من الرياء والعجب وتسكن نفسه اليه مثل والى حسنه و يعتمد عليه فيكون نقصا والعارف يرى نفسه محلا لجريان طاعاته بشروط كمالها ويكون مشغولا بافراده بعمله الشريف عن سكون نفسه الى عمله فاذا سكنت نفسه الى عمله عده رياء لكونه خطر بباله فى عمله غير الله واذا كان هذا رياء العارفين فاين هو من اخلاص المريدين الذين تخلصت أعمالهم من الرياء المحرم خاصة وبينه وبين ماعده العارفون رياء درجات (وقال ذو النون الاخلاص ماحفظ من العدو) اى من (ان يفسده) هذا حد للعمل الخالص لا للاخلاص

واليه (قوله حتى تنسى الخ) فنسيان مدح الخلق وذمهم يترتب على نسيان رؤية الاعمال فى الاعمال (قوله ونسيان اقتضاء الخ) أى ولذا قيل من فضله عليك ان خلق ونسب اليك فهو يشير الى هذا المعنى كما لايخفى (قوله الاخلاص مالايكون للنفس الخ) أى وذلك افراغ القلب وسلامة الوقت وحضور قلب العبد فى حال عبادته وبذلك كله كان العمل الكثير من غيره قليلا لمزاحمته بالاضداد وكان من مثله القليل كثيرا باعتبار مايترتب عليه من فضل ربه سبحانه وتعالى (قوله بان لايكون فيه رياء ولا عجب) أى كمحبة الثناء من الخلق على العمل وكشهود حسن العمل والوقوف مع ذلك (قوله فهو مايجرى عليهم من ربهم) اى شهود جميع مايصدر عنهم من ربهم لابهم (قوله وهم عنها بمعزل) أى لكمال فنائهم عن أفعالهم وتمام اشتغالهم برحمة ربهم وقربهم منها (قوله وقال أبو بكر الخ) هو قريب مما قبله عن أبى يعقوب السوسى (قوله فيكون مخلصا بفتح اللام) أى وهو من تجرد عن رؤية اخلاصه ورؤية استحسان وبذلك كان أعلى درجة من المخلص بكسر اللام لصدقه بمن ثبتت له هذه الرؤية وبينهما بون بعيد (قوله لايعرف الرياء الا مخلص) أى لان الاتصاف بالاخلاص لايكون الا بعد توقى الرياء بانواعه وذلك لايتأتى الا بعد معرفته كما وضحه الشارح (قوله رياء العارفين الخ) أقول رياؤهم هو رؤيتهم الاخلاص كما تقدم فلا تغفل (قوله ان يخلص عمله من الرياء المبطل له) أى المبطل لثواب عمله مثل التصنع بالعمل للمخلوق لغرض دنيوى وذلك هو الرياء المحرم (قوله لكونه قد اضافه لنفسه) أى غفلة عمن تفضل عليه بالتوفيق (قوله وتسكن نفسه اليه) أى فيقف عن الترقى ويحجب عن درجات القرب (قوله والعارف يرى نفسه الخ) أى فيكون عمله غير منظور اليه عنده لانفعا ولا غيره فهو دائما انما يطالع احسان الحق تعالى اليه (قوله وبينه وبين ماعداه الخ) أى لوجود الفرق الظاهر بين من يجتنب المحرم ومن تجتنب خلاف الافضل (قوله الاخلاص ماحفظ الخ) يقرأ حفظ على صيغة المبنى للمجهول ويصح ان يقرأ مبنيا للفاعل (قوله الاخلاص ماحفظ الخ) ما واقعة على عمل أى عمل حفظ افساد العدو

(وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق) فى العمل (بدوام النظر الى فضل الخالق) عليك به هذا اخلاص العارفين فانهم يخلصون عملهم حتى من رؤيتهم له استحسانا (وقال حذيفة المرعشى الاخلاص ان تستوى أفعال العبد فى الظاهر والباطن) بان يكون عمله لله فى الظاهر كعمله له فى الباطن فلا يتغير بوجود الخلق ولا بعدمهم (وقيل الاخلاص ما أريد به الحق تعالى (وقصد به الصدق) هذا حد للعمل الخالص لا للاخلاص (وقيل الاخلاص الاغماض عن رؤية الاعمال) أى لا يراها استحسانا بان يكمل شغله بالله حتى لا يبقى فيه متسع لغيره من عمل ولا غيره (سمعت محمد ١٣٥ بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسين الفارسى يقول سمعت محمد ابن الحسين يقول سمعت على بن عبد الحميد يقول سمعت السرى يقول من تزين للناس بما ليس فيه) من الطاعات (سقط من عين الله تعالى) لكونه مرائيا ان كان تزينه طلبا لحمدهم وخوفا من ذمهم وكذا بامتثالها ان كان تزينه طلبا لاظهار كمال ليس فيه كما قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبى زور (وسمعته أيضا (يقول سمعت على بن بندار الصوفى) وفى نسخة الصيرفى (يقول سمعت عبد الله بن محمود يقول سمعت محمد بن عبد ربه يقول سمعت الفضيل) بن عياض (يقول ترك العمل من اجل الناس رياء) من حيث يتوهم منهم انهم ينسبونه بالعمل الى الرياء فيكره هذه النسبة ويحب دوام نظرهم له بالاخلاص فيكون مرائيا بتركه محبة لدوام نسبته الى الاخلاص لا للرياء (والعمل من اجل الناس شرك) لكونه اشرك فى عمله غيره (والاخلاص ان يعافيك الله منهما) أى من الرياء والشرك (وقال الجنيد الاخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله) فلا يؤثر فيه أحد من هؤلاء الا فى القلب المتصف به من افراد ربه بالعمل بسره وهذه الحالة انما يخص الله بها خواصه من أوليائه الذين انصرفت الدنيا عن قلوبهم ولذلك قالوا من لم يكن بينه و بين الله سر فهو مصر كامر (وقال رويم الاخلاص من العمل) أى فيه

مثل النفس والهوى والشيطان بان وقع كاملا على موافقة السنة الشريفة ولذلك قد أشار الشارح نفعنا الله به (قوله الاخلاص نسيان رؤية الخلق الخ) هو بيان للاخلاص بلازمه والا فحقيقة الاخلاص افراد المعبود بالعبادة ثم اعلم ان ذلك حال قوم شربوا بكاس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء ثم تولهت قلوبهم فى الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلوا تحت رواق الندم بسبب مطالعة صحيفة الخطايا فاورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا الى غاية الزهد بالصعود على سلم الورع فاستعذبوا مرارة ترك الدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة فسرحت أرواحهم فى العلا حتى أناخوا فى رياض النعيم فخاضوا بحر الحياة وردموا خنادق الجزع فنزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة رضى الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم (قوله الاخلاص ان تستوى الخ) هو تعريف باللازم أيضا كما لا يخفى وقريب مما قبله (قوله الاخلاص ما أريد به الحق) أى عمل أريد به الحق فما واقعة على العمل ولذلك قال الشارح هذا حد للعمل الخ (قوله هذا حد الخ) أى وان لزمه تحقق الاخلاص كما هو ظاهر (قوله الاخلاص الاغماض الخ) أى فصاحب هذا المقام يرى نفسه محلا لجريان الطاعة بشروط كمالها وهو تعريف للاخلاص باللازم (قوله لكونه مرائيا) ان قلت كيف يشمل هذا قوله بما ليس فيه قلت لان الرياء يبطل ثمرة العمل فكانه لم يلابس عملا (قوله كلابس ثوبى زور) تقدم انه وصل كمى الثوب بآخرين لايهام انهما ثوبان وليس كذلك فى الواقع (قوله فيكون مرائيا بتركه) اى بتركه للعمل وقوله محبة لدوام نسبته الخ أى نسبته المذكورة عند الناس وقوله لا للرياء أى لم يكن تركه للعمل لخوف وقوعه فى الرياء والحاصل ان ثبوت الرياء فى حقه انما هو من تركه محبة فى دوام نظر الخلق له بالاخلاص لا للرياء لانه لم يصدر منه ما يرائى به كما هو ظاهر (قوله لكونه أشرك فى عمله غيره) يشير بذلك الى ان المراد الشرك العملى لا الاعتقادى أعاذنا الله منهما (قوله الاخلاص سر بين الله تعالى و بين العبد) المراد اثبات فضيلة الاخلاص على غيره من الاعمال ولهذا كان من شيم خواص الخواص كما ذكره الشارح (قوله فهو مصر) أى

هو الذى (لا يريد عليه صاحبه عوضا من الدارين) دارى الآخرة والدنيا (ولا حظا من الملكين) ملك اليمين وملك الشمال بان يكون عمله لله لا يريد به سواه لا من دنياه ولا من اخراه وما قاله حد للعمل الخالص لا للاخلاص (وقيل لسهل بن عبد الله اى شئ أشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب) غالبا الا ان الغالب على عملها ان يكون لغرض دنيوى أو اخروى وهذا فى حق المريد السالك أما من كملت معرفته بمولاه ولم تبق له لذة فى دنياه ولا اخراه سوى مناجاته والتلذذ بقربه بكشف الحجب عنه حتى يراه فهو فى أكثر نعيم وأكثر حظ لكونه ليس له لذة فى سواه (وسئل بعضهم عن الاخلاص فقال ان لا تشهد) أى لا تطلع (على عملك) أحدا (غير الله تعالى) اكتفاء بنظره وعلمه وهذا انما يتم بكمال الزهد فى الدنيا (وقال بعضهم دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة بيتا فرأيت فى البيت حية فجعلت اقدم رجلا وأؤخر اخرى) خوفا منها فادرك سهل منى ذلك (فقال) لى (ادخل لا يبلغ) اى لا يصل (أحد حقيقة الايمان ١٣٦ وعلى وجه الارض شئ يخافه) هو لانه لا نافع ولا ضار الا الله فلا خوف فى الحقيقة الا من الله وان كان فى الوجود مخوفات عادية كالنار والحية والاسد لانها لا تفعل شيأ بنفسها بل بارادة الله وفعله فالخوف الحقيق ان يخاف العبد ان يسلط الله عليه شيأ من ذلك (ثم) كمل له سهل ذلك بان اراه شيأ من خوارق العادات حيث (قال) له (هل لك) غرض (فى صلاة الجمعة) فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم (فقلت) له (بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فاخذ بيدى) وطويت لنا الارض (فما كان الا قليل حتى رأيت المسجد) المذكور (فدخلناه وصلينا) فيه (الجمعة ثم خرجنا فوقف) هو على باب المسجد (ينظر الى الناس وهم يخرجون) عنه (فقال أهل لا اله الا الله كثير) لان منهم الخاص وغيره (والمخلصون منهم قليل) فعل كل ذلك تقوية لهذا الذى دخل عليه وتعليما له فانه قصده لينتفع به فانتفع والباطنة بجميع ذلك (أخبرنا حمزة بن يوسف الجرجانى قال حدثنا محمد بن محمد بن عبد الرحيم قال حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا المقدسى قال حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلانى قال حدثنا زكريا بن نافع قال حدثنا محمد بن يزيد القراطيسى عن اسمعيل ابن أبى خالد عن مكحول قال ما أخلص عبد) فى جميع أفعاله (قط أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) فلا ينطق لسانه الا بما حققه قلبه وأحكمه وهذا معنى الحكمة وهو وضع الشئ موضعه فاذا وزن جوارحه بالعلم واوقعها لله وحده كان مخلصا فى جميع أعماله فاذا دام على ذلك أربعين يوما صار حاله على أتم الوجوه وأحسنها (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت عبد الرزاق يقول سمعت يوسف بن الحسين

على عدم التنزه عن الالتفات الى غيره تعالى (قوله هو الذى لا يريد الخ) أى وذلك بشهود ان الله تعالى هو الفاعل لا غيره وان العبد محل لجريان فعل الحق فقط بدون مدخلية له فيه وهذا نعت العارفين بربهم ممن حفتهم العناية الالهية قبل وجودهم و بعده رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله هو الذى لا يريد) أى العمل الذى لا يريد الخ ولذلك قال الشارح وما قاله حد للعمل الخالص لا للاخلاص (قوله لكونه ليس له لذة الخ) أى مع عدم الالتفات الى الاخلاص أو غيره اللازم له سهولة الاخلاص عليه سهولة تامة (قوله ان لا تشهد الخ) أى على معنى عدم الالتفات الى غيره سبحانه وتعالى فى العمل (قوله لا يبلغ أحد الخ) أى لان من حقيقة الايمان غلبة الخوف منه تعالى اللازم له عدم الخوف من غيره لعدم الالتفات اليه (قوله وان كان فى الوجود الخ) الواو للحال وان وصلية (قوله ثم كمل له سهل ذلك الخ) أى كما هو شأن الرجال من أمة سيد الانام عليه أفضل الصلاة واتم السلام من انهم يريدون نفع اخوانهم المؤمنين ولاسيما من قصدهم ودخل حماهم وطى الارض وبسط الزمان من الكرامات المشهورة التى لا ينكرها الا بدعى أعاذنا الله من ذلك (قوله فقال أهل لا اله الا الله كثير الخ) اى ويشهد له خبر العالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم ولذلك قال قائلهم شعرا

خليلى قطاع الفيافى الى العلا * كثير وان الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة * وليس على كل الوجوه قبول

(قوله أربعين يوما الخ) تخصيص هذا العدد لسر علمه صلى الله عليه وسلم والا فهو منوط بارادة الحق تعالى ولا مدخلية للزمان قل أو كثر (قوله فاذا وزن جوارحه) أى الظاهرة

يقول أعز شئ فى الدنيا الاخلاص) لانه على خلاف ماتهواه النفس قال (وكم أجتهد فى اسقاط الرياء عن قلبى فكأنه) بعد كونه فيه على لون (ينبت فيه على لون آخر) هذا انصاف عظيم منه فهو دائم فى الاجتهاد فى دفع مايشينه (وسمعته أيضا) يقول سمعت النصر اباذى يقول سمعت أبا الجهم يقول سمعت ابن أبى الحوارى يقول سمعت أبا سليمان يقول اذا اخلص العبد) فى عمله (انقطعت) وفى نسخة انقطع (عنه كثرة الوساوس والرياء) لبعد القلب بالاخلاص عن ذلك

(باب الصدق)

هو الحكم المطابق للواقع ويقال غير ذلك كما سيأتى ومحاله اللسان والقلب والافعال وكل منها يحتاج الى لفظ يخصه فهو فى اللسان الاخبار عن الشئ على ماهو عليه وفى القلب العزم الاكيد وفى الافعال ايقاعها على وجه النشاط والجد وسببه الوثوق بخبر المتصف به وغرته مدح الله والخلق للمتصف به (قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله

والباطنة وقوله وأوقعها الله أى قصرها على الله وحده وأفناها عما سواه فما وقع جميع الاعمال خالصة له تعالى كان مخلصا أى كان متحققا بهذا النعت الشريف (قوله أعز شئ) أى اندر واقل شئ فى الدنيا الاخلاص وقوله لانه على خلاف ماتهواه النفس أى النفس الحية فى غالب الخلق التى تطالب بما فيه حظها (قوله وكم اجتهد الخ) يشير بذلك الى صعوبة حمل النفس على الاخلاص لتمكن عاداتها فتجريدها عن ذلك فيه غاية المشقة واذا كان ذلك لمثل هذا الاستاذ فغيره أولى والله الموفق (قوله ينبت فيه على لون آخر) أى لان النفس خداعة رواغة اذا زجرت عن وجه حسنته على وجه آخر فعلى العاقل الحذر من دسائسها (قوله انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء) أقول بل بالعناية الالهية ينقطع أصل كل منهما اه

(باب الصدق)

اعلم ان الصدق معتبر فى كامل العبادات وأساس فى قبولها وفى الترقى الى على درجاتها والمراد به فيها دوام الجد والاجتهاد فى ادائها على حسب مطلوب الشارع صلى الله عليه وسلم ومن أسباب ثبوته العلم بفوائده وثمراته فى الدنيا والآخرة بحسب الوعد الحق والخبر الصدق وبانه مما يرضى الرب وضده يسخطه وغير ذلك والصدق يطلق لمعان منها الاخبار عن الشئ بما هو عليه وخلافه الكذب ومنه قوله تعالى ومن أصدق من الله قيلا ومنها صدق الوفاء وهو يشمل صدق القلب والجوارح ومنه قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنه صدق الوعد وقد يطلق على الحق قاله الطبرى فى قوله تعالى فى مقعد صدق عند مليك مقتدر أى مقعد حق لالغو فيه ولا تأثيم وقد يطلق على تحقيق الظن بالفعل قاله الطبرى أيضا فى قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين أى وقع ماظنه بهم من قوله لاغوينهم أجمعين ولا تجد أكثرهم شاكرين وعلى كل وجه فالصدق فى القول الحق وفى الفعل الوقوع عقيب العزم وفى القلب التثبت والجد فى تحصيل الفعل وحكمه الوجوب أو الندب أو الجواز فى القول والفعل والنية هذا وعلامة الصادق فى الحال عند أهل الحق من الرجال ان تعلوه الهيبة والجلال كما ان صاحب المقام ترى عليه أنس الجمال (قوله هو الحكم المطابق للواقع) أى جزم القلب الموافق لما فى نفس الامر وعلم الله تعالى (قوله ومحاله اللسان الخ) أى ما يعتبر فيه الصدق ويتحقق فيه اللسان بان لايصدر منه الا ما وافق الواقع من الاخبار وقوله والقلب أى بان لايكون فيه من الجزم الا ما كان عن دليل وبرهان مع العزم وقوله والافعال أى بان لاتفترعن العمل بالاحكام (قوله والافعال) يريد مايشمل أفعال القلوب كما يعلم من باقى كلامه (قوله الاخبار عن الشئ الخ) أقول ماذكره هو حقيقة الصدق فى الظاهر والباطن والافالخالى عن الاثم يكفى فيه مطابقة الاعتقاد (قوله العزم الاكيد) أى مع قصره على مرضاة الرب تعالى (قوله على وجه النشاط والجد) أى مع موافقة

وكونوا مع الصادقين) أمر
بالكينونة معهم لشرفهم عنده
(أخبرنا الامام أبو بكر محمد بن
فورك رحمه الله قال اخبرنا عبد
الله بن جعفر بن أحمد الاصبهاني
قال حدثنا ابو بشر يونس بن
حبيب قال حدثنا ابو داود
الطيالسي قال حدثنا شعبة عن
منصور عن ابي وائل عن عبد الله
ابن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لايزال العبد
يصدق ويتحرى الصدق) اى
يقصده ويجتهد فيه (حتى يكتب
عند الله صديقا ولايزال يكذب
ويتحرى الكذب حتى يكتب
عند الله كذابا قال الاستاذ
والصدق عماد الامر وبه تمامه
وفيه نظامه) فلا يغني عنه العبد
في مقام من المقامات وان تفاوتت
اذ بالاخلاص يتحقق المقام
وبالصدق الذي هو الجد يسلك
العبد فيه فمن وزن حاله بميزان
الشرع وكان فاترا في سلوكه لم
ينتقل عن مقامه ومن من عليه
بالصدق قطع في المدة القريبة
مالا يقطعه غيره في المدة الطويلة
وكل شئ رفيع متى اعطيته بعضك
قل نيلك منه واذا اعطيته كلك
أعطاك بعضه ولذلك كان اكل
العارفين فاقة ونومهم غلبة
وكلامهم ضرورة لصرف كلهم
الى ماهم فيه (وهو) اى الصدق
(تالى درجة النبوة قال الله تعالى
فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية) عملا بالتقديم في الذكر الدال على الاهمية

فذلك

الكتاب والسنة (قوله وكونوا مع الصادقين) قال نافع مع محمد وصحبه في الجهاد في الشدة والرخاء وقال سعيد بن جبير مع ابي بكر وعمر وقال ابن جريج وابن حبان مع المهاجرين والانصار وقال قتادة يعني الصدق في النية والعمل في السر والعلانية (قوله أمر بالكينونة الخ) اى مع ما في العطف من الاهتمام بهم كما لايخفى على متأمل (قوله حتى يكتب عند الله صديقا) اى والصديق من بالغ في الصدق حتى ترقى الى مقام الصديقين ويكفي في ثبوت شرفهم عطفهم على النبيين في قوله تعالى أولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين مع تقديمهم على الشهداء فيه فتدبر (قوله والصدق عماد الامر الخ) اى ويدل عليه ما رواه مالك في الموطا رفعه الى صفوان بن سليم انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون المؤمن جبانا قال نعم فقيل له ايكون المؤمن بخيلا قال نعم فقيل له ايكون المؤمن كذابا قال فقال لا وهذا منه صلى الله عليه وسلم تشديد في امر الكذب حتى جعله ليس من صفات المؤمنين (قوله ولذلك كان اكل العارفين فاقة الخ) اى لان كلا من الثلاثة المذكورة اذا زادت كانت من الحجب المانعة عن الوصول الى درجة المقربين (قوله قال الله تعالى فأولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين) الاشارة الى المطيعين والجمع باعتبار معنى من في قوله ومن يطع الله والرسول كما ان الافراد في فعل الشرط باعتبار لفظها وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للايذان بعلو درجتهم وبعد منزلتهم في الشرف وهو مبتدأ خبره مع الذين انعم الله عليهم والجملة جواب الشرط وترك ذكر المنعم به للاشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه وقوله من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ان الكلام في بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لجريان ذكرهم في ذكر النزول مع ما فيه من الاشارة الى ان طاعته عليه الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لاتتغير بتغير الاعصار وروى ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يانبي الله ان صرنا الى الجنة تفضلنا بدرجات النبوة فلا نراك وقال الشعبي جاء رجل من الانصار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال ما يبكيك فقال يارسول الله بالله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي واهلي ومالي واني لاذكرك وانا في اهلي فيأخذني مثل الجنون حتى اراك وذكرت موتي وانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وروى ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم ارك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلتك وان لم ادخل

أو بناء على أن الواو للترتيب لكن الأصح خلافه (والصادق) أي لفظه (الاسم اللازم) المشتق (من الصدق) فهو اسم لمن قام به الصدق (والصديق المبالغة) أي اسم دال على المبالغة مشتق (منه) أي من الصدق (وهو) أي الصديق (الكثير الصدق الذي الصدق غالبه) أي غالب عليه (كالسكير) الكثير السكر من شرب المسكر (والخمير) الكثير شرب الخمر (وبابه) وهو كل ما كان بزنة فعيل كالشريب (وأقل الصدق) الذي يشتق منه صادق (استواء ١٣٩ السر والعلانية) عند من قام به الصدق (والصادق من صدق في أقواله) خاصة (والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله) هذا اصطلاح والقياس ما دل عليه كلامه السابق أن الصادق من قام به الصدق بلا كثرة والصديق من قام به الصدق بكثرة (وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فإن الله تعالى قال إن الله مع الصادقين) أي بالعون والحفظ لأنهم صدقوا فيه وفي القيام بحقه وقوله مع الصادقين سبق قلم والآية إنما هي مع الصابرين وليست مما نحن فيه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة) مثلا في أحواله ومعاملاته على ما يقتضيه الدليل مما هو الأفضل في حقه ويدور مع الدليل حيث دار (والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة) مثلا يستحسن حاله ويظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل في الحقيقة في غضب ربه وإبعاده عنه (وقال أبو سليمان الداراني لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه) من المواهب (ما نطق به لسانه) لعجزه عن نطقه به لأن العبد لا يمكنه أن يعبر بلسانه عن كل ما يدركه من المحسوسات لعسر العبارات فكيف بمواهب القلوب الحاصلة من علام الغيوب ولذلك كان صلى الله عليه وسلم أكثر ما يجري على لسانه لا ومقلب القلوب وقيل القلب أشد تقلبا من ريشة في الصحراء في الريح العاصف فمن تجسس لقلبه في وقت فراغه وجد بعض ما ذكر فقط

فذلك حين لا أراك أبدا فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين وحكى ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم وروي أن ناسا قالوا يا رسول الله الرجل يحب قوما ولم يلحق بهم قال صلى الله عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله والصديقين أي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم السلام وأماثل خواصهم المقربين كأبي بكر الصديق وقوله والشهداء أي الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله وفي إعلاء كلمته وقوله والصالحين أي الصارفين أموالهم في طاعة الله وأعمارهم في مرضاته وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر وزيارته متى أراد وإن بعد ما بينهما من المسافة وقوله وحسن أولئك رفيقا الرفيق الصاحب من الرفق وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولا وفعلا (قوله أو بناء الخ) لا حاجة إليه بعد ما قدمه (قوله المشتق من الصدق) أي من فعله إذ الاشتقاق إنما هو من الأفعال لا من المصادر (قوله فهو اسم) أي اسم فاعل وهو حقيقة فيمن قام به الفعل (قوله وأقل الصدق الخ) مراده به الشامل للصدق في الأقوال والأفعال والأحوال (قوله من صدق في أقواله خاصة) أي جريا على الحقيقة اللغوية وقوله والصديق من صدق الخ أي جريا على اصطلاح الصوفية وإلا فهو من قام به الصدق على طريق الكثرة على ما قدمه (قوله أن يكون الله معه) أي بالإعانة والنصر (قوله سبق قلم) أي ولا لوم فيه فجل من لا يسهو (قوله الصادق يتقلب الخ) أي فهو لعلو همته لا يرضى إلا بالأفضل من الأخلاق والأعمال فكلما ظهر له أكمل مما كان عليه انتقل إليه وذكر الأربعين للتكثير لا للحصر في عدد مخصوص (قوله والمرائي يثبت) أي لانحطاط همته وخسة طبعه يدوم على حالة واحدة بسبب استحسانه إياها جهلا بما خفي عنه مما وراء ذلك من الأكمل (قوله ما نطق به لسانه) أي غيرة بعدم إفشاء الأسرار بإبرازها من معادنها ولا سيما عند غير الأهل لها من المحجوبين ويحتمل كما قال الشارح أن ذلك لعجزه عن نطقه به وذلك يدل على كثرة ما يرد على قلوب الصادقين جزاء لصدقهم حتى يعجزوا عن التعبير عما يجدونه من الواردات والفيوضات (قوله وقيل القلب أشد تقلبا الخ)

(وقيل الصدق) اى فى اللسان (القول بالحق فى مواطن الهلكة) فى مواطن السلامة أولى فعلى العبدان يقول الحق وان كان مؤلما ومحله اذا غلب على ظنه نفعه والسلامة فى الدين والبدن (وقيل الصدق موافقة السر النطق) بأن يعبر اللسان عما فى القلب حقيقة (وقال القناد الصدق) اى فى الافعال (منع الحرام من الشدق) بالمعجمة اى جانب الفم لان من صدق فى طلب الحلال منعه الله من تناول الحرام وما فيه شبهة بان لا يمديده اليه أولا يمكنه ابتلاعه أو نحو ذلك (وقال عبد الواحد بن زيد الصدق) اى فيها (الوفاء لله سبحانه بالعمل) المطلوب منه ومنه قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقوله وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادى يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريرى يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول لا يشم رائحة الصدق) الكامل (عبد داهن نفسه أو غيره) بأن يسمح باختلال بعض دينه بخلاف المداراة بأن يسمح ببعض دنياه جبرا لحاله (وقال أبو سعيد القرشى الصادق) هو (الذى يتهيأله ان يموت) بأن يهجم عليه الموت (ولا يستحى من سره لو كشف) للناس بأن يستوى ظاهره وباطنه وربما يكون باطنه خيرا من ظاهره بخلاف من كان عنده نقص يخفيه عن الناس فهو يكره اطلاعهم عليه فى حياته وبعد وفاته خوفا من نزول درجته عندهم فهو يستحى من أن ينكشف سره (قال الله تعالى فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) اى فى زعمكم ان الجنة لكم خاصة (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول كان أبو على السقفى يتكلم يوما) على الناس أى يعظهم من

ولذا قيل ⁄ وما سمى الانسان الا لنسيه * وما القلب الا انه يتقلب

(قوله فى مواطن الهلكة الخ) المراد الهلكة فى الحس والظاهر والا فهى منجات فى الحقيقة ونفس الامر يعنى اذا تكلم على ظن السلامة (قوله الصدق موافقة السر النطق) أقول فكل قد تكلم على حسب شربه وذوقه يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل (قوله منع الحرام) انما اقتصر عليه فى معنى الصدق لان شهوة البطن من جماع المفاسد اذ ينشأ عنها الشهوة الغضبية والفرجية ولذا ثبت فى الخبر كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به (قوله الصدق اى فيها) مرجع الضمير الافعال المعلومة من المقام (قوله الوفاء لله سبحانه بالعمل الخ) اى الوفاء به على الوجه الذى أمر بالتأدية عليه من قبله صلى الله عليه وسلم (قوله ومنه قوله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) اى من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضوان الله عليهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق ومحل ما عاهدوا النصب اما بطرح الخافض عنه وايصال الفعل اليه كما فى قولهم صدقنى سن بكره اى فى سنه واما بجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكوماته * غرتنى الاعداء ان لم تنحرى * وقالوا الله سننفى لك وحيث وفوا به فقد صدقوه ولو كانوا نكثوه لكذبوه ولكان مكذوبا (قوله ومنه قوله تعالى الخ) اي من الصدق الذى هو الوفاء لله سبحانه بالعمل (قوله وقوله وأوفوا بعهد الله الخ) كرر الآية ليفيد بالاولى مجرد ثناء الحق على الخلق الوافين بالعهود وبالثانية ان الوفاء بالعهد من الواجب المأمور به (قوله عبد داهن نفسه الخ) الفرق بين المداهنة والمداراة ان الاولى بيع الدين بالدنيا والثانية بيع بعض الدنيا لاصلاح الحال والاولى محرمة والثانية مندوبة (قوله عبد داهن نفسه) اى فعل ما دعته اليه مما لا يشهد له حكم الشرع وما كفاه ذلك حتى ارتكب لذلك تاويلا فاسدا خادع به نفسه وداهنها به (قوله الصادق هو الذى يتهيأله الخ) اى وذلك لا يتم للعبد الا اذا قام على نفسه حتى استقامت على متابعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (قوله فهو يكره الخ) أقول ما كره لاجله أقبح مما هو فيه من النقص فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله فتمنوا الموت) قبل هذه الآية ما يصرح بالمقصود منها وهو قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة اى الجنة أو نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة اى سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون بقولكم انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا ونصب خالصة على الحال من الدار وعند ظرف الاستقرار فى الخبر أعنى لكم وقوله من دون الناس فى محل نصب بخالصة فتمنوا الموت لان

(فقال له) ابو محمد (عبد الله بن منازل يا اباعلى استعدّ للموت فلا بدّ منه فقال) له (ابو على وانت يا عبد الله استعد للموت فلا بد منه فتوسد عبد الله ذراعه و وضع رأسه) عليه وتمدد (وقال قدمت) فمات (فانقطع أبو على) عن الكلام معه (لانه لايمكنه ان يقابله بما فعل) من التهيئ للموت (لانه كان لابى على علاقات) بفتح العين اى أسباب دنيوية (وكان عبد الله مجردا لاشغل له) يمنعه عن شغله بالله وكان صادقا فى سلوك الطريق وقطع الاسباب المشغلة عنه تعالى (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم) على الناس فى المحبة وغيرها (فصاحت عجوز فى المجلس صيحة) و وجدت وجدا عظيما حتى غلب عليها حالها وظهر على ظاهرها (فقال لها أبو العباس الدينورى ١٤١ موتى) اى ان كنت صادقة فى انك مغلوبة (فقامت وخطت خطوات ثم التفتت اليه) وقد دعت الله ان لا يفضحها فاحست باستجابة الدعاء بالموت (وقالت قدمت ووقعت ميتة وقال الواسطى الصدق صحة التوحيد مع القصد) بان يفرد العبد ربه بالقصد و يجهد فى تحصيل القرب منه تعالى (وقيل نظر عبد الواحد بن زيد الى غلام من أصحابه قد نحل) بفتح النون مع فتح الحاء وكسرها اى هزل (بدنه فقال له يا غلام أتديم الصوم فقال) لا (ولا أديم الافطار) اى أصوم وأفطر (فقال أتديم القيام بالليل فقال) لا (ولا أديم النوم) اى أقوم وأنام (فقال) له لما لم يرذلك كافيا فى نحوله (فما الذى أنحلك فقال هوى) اى حب لله (دائم وكتمان) له (دائم عليه) اى لا يظهره أبدا (فقال) له (عبد الواحد اسكت) عن هذه الدعوى (فما أجرأك) على الله لقد ادعيت مقاما عظيما لا ينبغى لك ان تدعيه (فقام الغلام) وكان صادقا فى دعواه (وخطى خطوتين وقال الهى ان كنت صادقا فخذنى) اليك (فخر ميتا) ومن هنا قال بعضهم اذا لقيت فقيرا فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم فانك اذا لقيته بالعلم ذاب كما يذوب الثلج (وحكى عن أبى عمرو الزجاجى انه قال ماتت أمى فورثت منها دارا فبعتها بخمسين دينارا فخرجت الى الحج فلما بلغت بابل) موضع بالعراق (استقبلنى واحد من القناقنة) جمع قنقن وهو الدليل الهادى والبصير بالماء فى حفر القنى (وقال) لى (ايش معك فقلت فى نفسى الصدق خير) من الكذب (ثم قلت) له (خمسون دينارا فقال) له (ناولنيها فناولته الصرة فعدّها فاذا هى خمسون دينارا فقال خذها فلقد أخذنى صدقك) اى رهبته =

من أيقن بدخول الجنة اشتاق الى التخلص اليها من دار البوار وقذارة الاكدار ولاسيما ان كانت خالصة له كما قال على كرم الله وجهه لا أبالى ان سقطت على الموت أو سقط الموت على وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه يوم صفين الآن الاقى الاحبة محمدا وحزبه وقال حذيفة بن اليمان رضى الله عنه حين احتضر وكان يتمنى الموت جاء حبيب على فاقة لا أفلح من ندم اى على تمنى الموت وقوله ان كنتم صادقين تكرير الكلام لتشديد الالزام والتنبيه على ان ترتيب الجواب ليس على تحقق الشرط فى نفس الامر فقط بل فى اعتقادهم أيضا وانهم قد ادعوا ذلك والجواب محذوف ثقة بما سبق عليه اى ان كنتم صادقين فتمنوه (قوله فقال له أبو محمد الخ) فيه دليل على غاية صدقه رضى الله عنه ومن ذلك قيل انه لا ينبغى معاملة الفقير بظاهر العلم بل بالرفق كما تقدم فى كلامهم (قوله لانه كان لابى على علاقات الخ) أقول ان كان ذلك ثابتا بالنقل فسلم وان كان فهما فالتأخر عن فعل مثل ما فعل صاحبه فلا ينبغى لاحتماله وجها آخر فحرر (قوله فصاحت عجوز الخ) انظر هم النساء فى الزمان الماضى مع همم رجال زماننا الآن فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وقد دعت الله الخ) انظره هل ذلك منقول والا فما المانع من اطلاعها على اقتراب أجلها فقالت ما ذكر من غير سبق دعاء (قوله صحة التوحيد الخ) فى هذا الحمل نظر الا أن يقال المسند لازم لحقيقة الصدق التى هى افراد المعبود بالعبادة (قوله فقال له عبد الواحد الخ) أقول صدور ذلك منه لم يكن لغرض الايذاء بصريح الرد عليه بل عملا بظاهر الشرع غيرة على مقام الربوبية فهو حينئذ غير آثم بل مأجور والميت شهيد رضى الله عن الجميع (قوله فخر ميتا) اى وذلك من أقوى الادلة على الصدق ومن اماراته أيضا دوام الجد والاقبال وترك التفريط فى اليسير من الاعمال فلا يخاف الصادق لومة لائم ولا يحاذر سلطانا جائرا ولا يغتر بكثرة الجنود والعساكر ومن ذلك حال الصديق الاكبر على ما هو المشهور عنه حال وفاته صلى الله عليه وسلم حين وقع الاضطراب فى موته والاختلاف وهو ثابت القلب مطمئن الجنان على عادة الاشراف والله أعلم (قوله وحكى عن أبى عمرو الخ) فائدة ذكر هذه

= فأثرت فى ثمرة تبى (ثم نزل عن الدابة) التى هو راكبها (وقال) لى (اركبها فقلت لا أريد) الركوب (فقال) لى (لابد) منه (وألح على فيه (فركبتها فقال) اذهب (وأنا) لاحق بك (على أثرك) الى مكة (فلما كان العام المستقبل لحق بى ولازمنى) فى الخير (حتى مات) فهذه آثار الصدق وبركاته فى الدنيا قبل الاخرى (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت ابراهيم الخواص يقول الصادق لاتراه الا فى فرض يؤديه أو فضل) اى ندب (يعمل) له (فيه) لان الطاعة التى هى شغله لايخرج عنها (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول سمعت جعفر الخواص يقول سمعت الجنيد يقول حقيقة الصدق ان تصدق فى موطن لاينجيك منه الا الكذب) فى ظنك لكونك تخشى من الصدق فيه على نفسك الضرر فينطق به فيه كما فى تغيير المنكر (وقيل ثلاث لاتخطئ الصادق) اى لاتتجاوزه الى غيره كما جرت عادة الله تعالى به وهى (الحلاوة) فى منطقه لاتيانه بالحق فى رفق وسهولة (والهيبة) اى الحرمة له لدوام توقفه عما يكرهه مولاه وانكاره المنكر ولو كان فاعله اياه (والملاحة) له لضياء الطاعة على وجهه وقد قيل من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (وقيل أوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام ياداود من صدقنى ٢ ١٤٢ فى سريرته صدقته عند المخلوقين فى علانيته) لخبر من أسر سريرة ألبسه الله رداءها والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والاخلاص ان تجرى حركاته وسكناته على حسب ما فى قلبه فيظهر الصدق فى أحواله وأفعاله (وقيل دخل ابراهيم بن دوحة مع ابراهيم بن ستنبة البادية فقال ابراهيم بن ستنبة لابن دوحة اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت كل شئ ذكرت) أنه معى (الادينارا فقال) لى (ياابراهيم لاتشغل سرى اطرح ما معك من العلائق قال فطرحت الدينار) لعله طرح ذلك لمن يأخذه والا فطرحه اضاعة مال وهى حرام أو يقال انما يحرم اذا كانت لغير التداوى لا للتداوى لاسيما الامراض الدينية واذا جازت يتلف العبد مالا كثيرا للامراض البدنية وقد وهى لاتزول فكيف اذا كانت دينية وحصل بها أدب النفس وزجرها حتى لاتعود (ثم قال) لى (ياابراهيم اطرح ما معك من العلائق فذكرت ان معى شسوعا) اى سيورا احتاجها (للنعل) اى لربطه بها اذا انقطع شسعه (فطرحتها فما احتجت فى الطريق الى شسع الا وجدته بين يدى فقال ابراهيم بن ستنبة هكذا من عامل الله بالصدق) يلطف به ولا يحوجه الى سكون لسبب (وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى الصدق سيف الله ماوضع على شئ الا قطعه) لان المتصف به ان دعى الله استجاب له وان أوذى انتصر له (وقال سهل ابن عبد الله أول خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم) لان الصديق من كثر صدقه فى جميع أعماله وأحواله فاذا حدث نفسه بالتقصير فى صدقه وتمادى على ذلك فقد خان ربه فيما عزم عليه له (وسئل فتح الموصلى عن الصدق فادخل يده فى كير الحداد وأخرج الحديدة المحماة ووضعها على كفه وقال هذا هو الصدق) وهو من باب صدق الالتجاء الى الله فاذا أراد الولى ان يطلع أحدا على خوارق العادات للحاجة اليه صدق فى الالتجاء الى الله وفعل فعلا خارقا للعادة باقدار الله عليه ومن ذلك

القصة بيان ثمرة الصدق فى الدنيا قبل الآخرة فالله تعالى يوفقنا واخواننا لما يحبه ويرضاه (قوله لاتراه الا فى فرض الخ) اى وذلك لان الصدق جماع كل خير كما تقدم (قوله حقيقة الصدق الخ) انظره مع حكم الشرع فلعل الظن غير قوى (قوله ثلاث لاتخطئ الخ) الاقتصار عليها لظهور آثارها والا فلا يخطئه كل خير كما هو واضح (قوله والملاحة له) اى لاشراق نور باطنه على صفحات وجهه (قوله وقيل أوحى الله سبحانه الخ) اى وثبت فى الخبر المحمدى نية المرء خير من عمله فتدبر (قوله والغالب على من يعمر الخ) اى بسبب كثرة الانوار القلبية تتأثر الجوارح الظاهرة الانسانية فتدوم على جدها رغبة فى أجرها وقربها (قوله لعله طرح ذلك لمن يأخذه الخ) أقول ويحتمل ان المراد طرح تعلق القلب به فلا تلزم حينئذ اضاعة المال اذ الضرر فى تعلق القلب فى الدنيا لا بذاتها مجردة عن التعلق (قوله هكذا من عامل الله الخ) اى ويدل له قوله جل شأنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب (قوله الصدق سيف الله الخ) كناية عن تولى الحق أمر الصادق بالاعانة والحفظ والنصرة (قوله أول خيانة الصديقين الخ) اى وذلك لان مقتضى الصدق دوام الجد وتصميم العزم وهذا الحديث ينافى ذلك فلذا عد من الخيانة (قوله فادخل يده الخ) اى فقد يثبه ببعض كراماته وثمراته (قوله ومن ذلك ماحكى الخ) اى

كما حكى ان رجلا كان شديدا فى بطشه لا يطيقه من الناس الا القليل امسك امرأة وهى تصيح وتستغيث وبيده سكين لا يجسر أحد يقرب منه الا عقره قال فبينا الناس كذلك اذ جاءه بشر بن الحرث فحكه بكتفه وكلمه بقوله اتيه يراك وما تصنع فسقط الى الارض مغشيا عليه وذهبت المرأة فلما أفاق سأل عن الذى كلمه فقيل له هو بشر بن الحرث فقال وافضيحتاه كيف يرانى بعد اليوم فحم الرجل من يومه ومات بعد أيام قلائل (وقال يوسف بن اسباط لأن أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب الى من أن أضرب بسيفى فى سبيل الله تعالى) لان الصدق يحتاج اليه فى كل حال بخلاف الجهاد فى سبيل الله فاذا بات العبد يعامل الله بالصدق فى سائر أحواله من قيامه ومنامه وشرابه وطعامه فهو فى الجهاد الاكبر لانه جهاد النفس وهو أكبر من الجهاد فى سبيل الله لانه جهاد دائم متوال (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول الصدق ١٤٣ أن تكون مع الناس كما ترى من نفسك أو أن ترى من نفسك كما تكون) معهم بأن يستوى عندك السر والعلانية فلا تخفى عن الناس ما يعلمه الله منك حذرا من ذمهم ولا تظهر لهم ما يعلم الله خلافه من باطنك طلبا لمدحهم (وسئل الحرث المحاسبى رحمه الله عن علامة الصدق) فاجاب بعلامة الصادق التى يعرف بها علامة الصدق وفى نسخة عن علامة الصادق (فقال الصادق هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له فى قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه) هذا تعليل للايبالى (ولا يحب اطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله ولا يكره أن يطلع الناس على السيئ من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من أخلاق الصديقين) لمنافاته الصدق (وقال بعضهم من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت) بوقت كالصلوات الخمس (قيل له ما الفرض الدائم قال الصدق) كالايمان لان العبد مامور به فى كل معاملته كما قال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم (وقيل اذا طلبت الله تعالى بالصدق أعطاك مرآة تبصر فيها كل شئ من عجائب الدنيا والآخرة) قال تعالى ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا اى نورا تفرقون به بين الحق والباطل وقال ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب (وقيل عليك بالصدق حيث تخاف أنه يضرك فانه ينفعك ودع الكذب حيث ترى انه ينفعك فانه يضرك) لان الصدق يهدى الى البر والبر يهدى الى الجنة والكذب يهدى الى الفجور والفجور يهدى الى النار

وهى من نتائج الصدق وتأثيراته ولا يخفى بركة مس بشر وقوله له (قوله لان الصدق يحتاج اليه الخ) اى للزومه فيما يتقرب به اليه تعالى كما تقدم من أنه أصل كل خير فلا تتم عبادة الا به (قوله لانه جهاد دائم الخ) اى ورد العدو وقهره أسهل من قهر النفس وردها عن عاداتها ومألوفاتها (قوله الصدق أن تكون مع الناس الخ) المراد بذلك دوام العبد على التواضع بشهود التقصير لنفسه فلا يوقعه استحسان شئ من أعماله حيث ذلك من الغرور بسبب جهل المقدور وقوله أو ان ترى من نفسك الخ معناه الذى يظهر ان أو بمعنى الواو ومراده دوام العبد على قيامه على النفس فى خلواته وبعده عن الناس مثل قيامه عليها فى حال اجتماعه بهم على معنى استواء معاملته لربه فى الخلوة وغيرها (قوله فلا تخفى عن الناس الخ) ليس المراد من ذلك ذكر العيوب السرية بل المراد النهى عن التصنع باظهار الاوصاف الجيدة مع انه فى نفس الامر صفاته ذميمة (قوله فاجاب الخ) اى فكان جوابه ببيان ما يلزم من تعريفه بيان علامة الصدق (قوله فقال الصادق هو الذى لا يبالى الخ) محصله ان قلبه قد انقطع عن شهود الخلق بسبب غلبة تعلقه واشتغاله بالحق فلزم من ذلك ان حاله صار مثل ما ذكره (قوله كالايمان) انما مثل به لانه التصديق والاذعان بما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام (قوله كما قال تعالى الخ) وجه الدلالة منها حذف المعمول وهو يؤذن بالعموم فى كامل العبادات (قوله قال تعالى الخ) وجه الدلالة من الآيتين الشريفتين ان التقوى لا تتم الا بالصدق اذ هو سر قبولها والثمرة انما تترتب على وجوده وتحققه فى سائر الطاعات والعبادات (قوله اى نورا تفرقون به الخ) اى وذلك النور يقذف فى القلب بعد صقل مرآته فيزيد كشفه بقوة عين بصيرته فيفرق العبد بذلك بين الحق والباطل بامارات ربانية بواسطة ملك أو بدون واسطة (قوله حيث تخاف الخ) مراده طلب الصدق فى مظان الضرر به وتجنب الكذب فى مظان النفع به فانه قد يكون

(وقيل كل شئ شئ) يعتد به (ومصادقة الكذاب لاشئ) يعتد به اذلاخير فيها دنيا وأخرى لانك لاتثق بخبره واذا كذب لك كذب عليك (وقيل علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف) لانه لما لم يثق بخبر نفسه وخاف من ظهور كذبه بادر الى تأكيده وستره بيمينه ليتوهم صدقه (وقال ابن سيرين الكلام أوسع من أن يكذب ظريف) اى فى سعة الكلام من المعاريض ما يستغنى به الظريف الحسن التصرف عن الكذب ١٤٤ ولقد ذكر من المعاريض لمن أراد ان يستخفى من الناس أنه كان يدور دائرة في الحائط ويقول لخادمه ضع يدك في هذه الدائرة وقل ليس هو ههنا ومنها ان يخرج من باب داره بكرة ويرجع اليها ويقول لخادمه قل لطالبي ياسيدى خرج بكرة (وقيل ما أملق) اى افتقر (تاجر صدوق) لان صدقه يحمله على اظهار العيوب والنصح فى المعاملة وكل من عرف بهذا رغب الناس فى معاملته ومالوا اليه طمعا فى نصحه وحسن معاملته وبهذا يكثر رزقه قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب

(باب الحياء)

هو ما يمنعك عما يضرك ويقال تعظيم يمنع من الانبساط ويقال غير ذلك كما سيأتى وسببه ملازمة من يستحى منه كأهل العلم والادب وثمرته أمن المقت والعذاب وخفة الحساب وعدم الدعوى وكثرة الثواب ويكفى فى ذلك خبر الحياء لا يأتى الا بخير وهو ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل ألم يعلم بأن الله يرى) اى ما صدر عنه اى يعلمه فيجازيه عليه (وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى المزكى رحمه الله قال أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحوى ببغداد يريد قال حدثنا ابراهيم بن محمد بن الهيثم قال حدثنا موسى بن حيان قال حدثنا المقدمى عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما فى الواقع خلاف المظنون أو المتوهم فالصدق نافع مطلقا والكذب ضار ابدا ومع ذلك فلابد من ميزان الشرع المستقيمة (قوله كل شئ الخ) الغرض التحذير من مصادقة الكذاب حيث هى ضارة غير نافعة (قوله علامة الكذاب الخ) اى امارة تحقق كذبه مبادرته بالحلف لغير من استحلفه ومثله لاخير فيه فيحذر ويجتنب (قوله الكلام أوسع الخ) اى ان الظريف الحاذق له مندوحة عن الكذب بواسطة سعة معاريض الكلام فالكذب لا يكون الا من غبى جاهل (قوله وقيل ما أملق الخ) مراده الحث على الصدق ببيان ثمرته المألوفة فى الدنيا قبل الآخرة اه

(باب الحياء)

اعلم ان الحياء صفة وحالة توجب الانقباض والتغير عند بدو ما يستحى منه وهو نوعان حياء من الحق وحياء من الخلق فمن جمعهما فقد جمع خيرى الدنيا والآخرة وقد ورد عن السيد الكامل صلى الله عليه وسلم الحياء خير كله وورد عنه أيضا الحياء لا يأتى الا بخير وورد كذلك الحياء من الايمان وثبت فى الخبر اذا لم تستح فاصنع ما شئت الى غير ذلك فكل من الشرع والعقل قرره وأثنى على من اتصف به والحياء جبلى ومكتسب وكلامه يشملهما (قوله هو ما يمنعك الخ) ما واقعة على صفة وحالة تكون للانسان ينشأ عنها البعد عما يلام عليه شرعا وعقلا وقوله عما يضرك اى فى دينك فالمدار على ما يضر باعتبار الدين لا باعتبار الدنيا اذ قد يكون مذموما على ما لا يخفى على من له المام بالفروع (قوله ويقال تعظيم يمنع الخ) اى تعظيم من ثبت الحياء لاجله وباعتباره وقوله يمنع من الانبساط اى من استرسال النفس فيما تميل اليه مما يلام عليه (قوله وسببه ملازمة الخ) أقول يظهر ذلك فى الحياء من الخلق اما الحياء منه تعالى فسببه شهود صفات جلاله وجماله تعالى ولا يظهر فى الحياء الجبلى اذ هو صفة وحالة يخلق عليها الشخص وسببه عناية الله بالعبد الذى خلقه كذلك (قوله وثمرته أمن المقت الخ) وهذه ثمرته فى الدنيا والآخرة واعلم ان الحياء المطلوب هو على ما يلام عليه فى الشرع لا فى مجرد العقل مع حسنه فى الشرع لان ذلك نقص فى الدين (قوله ألم يعلم بأن الله يرى) المحدث عنه قيل أبو جهل روى أنه قال فى ملا من طغاة قريش لئن رأيت محمدا يصلى لأطأن عنقه أو كما قال فرآه صلى الله عليه وسلم وهو فى الصلاة فجاء ثم نكص على عقبيه فقالوا مالك فقال ان بينى وبينه لخندقا من نار وقيل هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة ومعنى قوله ألم يعلم بأن الله يرى اى يطلع على أحواله فيما

الحياء من الايمان) اى الكامل (وأخبرنا أبو سعيد محمد بن ابراهيم الاسماعيلى قال حدثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصرى قال حدثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال حدثنا يعلى بن عبيد قال لى أبان بن اسحق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا نستحى) اى حق الحياء (يارسول الله والحمد لله قال ليس ذلك) الذى تتوهمونه هو حق الحياء (ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى وليذكر الموت والبلى ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول أخبرنا أبو نصر الوزيرى قال حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال حدثنا الغلابى قال حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه قال قال بعض الحكماء أحيوا الحياء بمجالسة من يستحى منه) واحذروا ان لايمازجه رياء كان يمر بأخيه وهو محتاج الى من يساعده فى شغل له فيقف يساعده حياء لحسن خلقه ثم يعزم على المضى فيقول له الشيطان الآن يذمك فى كونك لم تثبت معه حتى يفرغ من شغله فيساعده رياء بعد أن كان حياء (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت ابن عطاء يقول العلم الاكبر) وهو معرفة الله تعالى ثمرته (الهيبة والحياء) لان من عرف الله أجله واستحى منه اى فعل به أفعال المستحين من المحبة والاكرام

 والتعظيم (فاذا ذهبت الهيبة و) ذهب (الحياء) من قلب العبد (لم يبق فيه خير وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول حدثنى محمد بن عبد الملك قال سمعت ذا النون المصرى يقول الحياء وجود الهيبة فى القلب مع وحشة ما سبق منك الى ربك تعالى) يعنى ان معرفتك بما سبق لك من المخالفة لربك توجب وحشة بينك

يريد بها حتى اجترأ على ما فعل فقوله ألم يعلم بأن الله يرى الاستفهام فيه تقريرى وقوله اى ماصدر عنه بيان للمعمول وهو عام لجميع حركات وسكنات العبد كما هو ظاهر * (فائدة) * قال وهب بن منبه رضى الله عنه الايمان عريان ولباسه التقوى وريشه الحياء ورأس ماله العفة وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه باسم التقوى يصام النهار ويقام الليل وهى ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله وقال النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن من أمن جاره بوائقه اى شروره وقال صلى الله عليه وسلم أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا فاذا رأيتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة (قوله الحياء من الايمان) اى شعبة من شعب الايمان والمراد الايمان الكامل فمن لا حياء له لا ايمان له (قوله فليحفظ الرأس وما وعى الخ) اى فليحفظ حواسه كالنظر والسمع والنطق عما لا يحل بشاهد علم الشرع وقوله وليحفظ البطن وما حوى معناه أن يحفظ نفسه من شهوة البطن والفرج وقوله وليذكر الموت والبلى اى يدوم على تذكر ذلك ليعمل للآخرة ويقل تعلقه بالدنيا وقوله ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا اى بواسطة أنهما ضرتان لا يجتمع حبهما فى قلب مؤمن وهذا كما ترى من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم الجامعة لكل خير وقوله فمن فعل ذلك فقد استحيا الخ اى بالنسبة لما تطيقه البشرية والا فالحياء اللائق بعظمة الحق تعالى فهو غير مقدور للبشر (قوله أحيوا الحياء الخ) مراده الحث على تحقيق صفة الحياء والدوام عليها وتقويتها بمجالسة من يستحى منه فان الحياء وان كان جبليا قد يزيد بالكسب بواسطة مطالعة أخلاق الكمل وحضور مجالسهم (قوله واحذروا أن لايمازجه رياء) الصواب اسقاط لفظة لا اذ المحذر منه نفس ممازجة الرياء كما هو غنى عن الشرح فلعل زيادة لا سبق قلم أو من تحريف الناسخ (قوله العلم الاكبر) اى الاعظم من كل علم اذ شرف العلم بشرف المعلوم ثمرته ونتيجته الهيبة والحياء اى بسبب غلبة جلال الحق على قلب العبد وغلبة احاطة علمه به واذا ثبت ذلك لشخص كان هو أيضا مهابا عند الخلق جميعا مستحيا منه فمن ادعى معرفة الله وتجرد عن الصفتين الشريفتين المذكورتين كانت دعواه زورا وبهتانا والله أعلم (قوله وهو معرفة الله تعالى) اى علم جلاله وعظمته وعموم قدرته واحاطة علمه بكل كائن وباقى صفات كماله فمتى استحضرها العبد أورثه ذلك وأثمر له الهيبة والحياء منه تعالى ومن كان كذلك دام على طاعته وهرب من مخالفته (قوله لم يبق فيه خير) اى لا دينى ولا دنيوى (قوله الحياء وجود الهيبة الخ)

ويته ونظره اليك في تلك الحالة مع استشعارك لنظره اليك يوجب لك انقباضا وحشمة يعبر عنهما بالحياء (وقال ذو النون المصري الحب ينطق) المحب لان من أحب شيأ أكثر من ذكره (والحياء يسكت) المستحي لان من استحى من شئ انقبض منه وسكت (والخوف يقلق) الخائف لان من خاف من شئ قلق وهرب منه (وقال أبو عثمان من تكلم في الحياء) هو (لا يستحي من الله تعالى فيما يتكلم به فهو مستدرج) اى مأخوذ ١٤٦ قليلا قليلا قال تعالى سنستدرجهم اى نأخذهم قليلا قليلا (سمعت أبا بكر ابن اشكيب رحمه الله يقول دخل الحسن الحداد على عبد الله بن منازل فقال من أين تجيء) اى جئت (قال من مجلس أبي القاسم المذكر فقال فيماذا كان يتكلم فقال في الحياء فقال عبد الله واعجبا ممن لم يستحي من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء) اذ يقبح بالعبد ان يتكلم فيه وهو مقيم على ما يسخط الله لم يقصد بذلك غيبته بل تنبيهه وتحذيره من أن يكون كذلك (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا العباس البغدادي يقول سمعت أحمد بن صالح يقول سمعت محمد بن عبدون يقول سمعت أبا العباس المؤدب يقول قال سري) السقطي (ان الحياء والانس يطرقان القلب فاذا وجدا فيه الزهد) وهو الاعراض عن الحلال الصافي (والورع) وهو الاعراض عما فيه شبهة (حطا) اى سكنا به (والا رحلا) عنه لان الحياء ثمرة دوام المراقبة والانس ثمرة دوام العبادة بالاخلاص فلا يحلان الا في محل خال عن المشغلات عن الله (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان رحمه الله يقول سمعت الجريري يقول تعامل القرن الاول من الناس فيما بينهم بالدين) أى بأوامر الله ونواهيه وأوقعوا كل فعل موقعه فوقعت الاعمال صحيحة (حتى رق الدين) اى ضعف (ثم تعامل القرن الثاني) منهم (بالوفاء)

اى من أسباب الحياء وجود الهيبة في القلب التي ينشأ عنها الوحشة من خوف المؤاخذة بسابق التقصير الذي قل التجرد عنه فاستشعار العبد بان علم الله تعالى قد أحاط به في تلك الحالة يوجب له الحياء من الله فالسبب حينئذ للحياء انما هو ذلك الاستشعار (قوله الحب ينطق الخ) اى فالمذكور من النطق والسكوت والقلق امارات تدل على تحقق المحبة والحياء والخوف (قوله من تكلم في الحياء الخ) اى من كان شربه منه القول دون التخلق فهو مستدرج لانه في هذه الحالة أشبه المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون ولذلك قيل

لا تنه عن خلق وتأتي مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

فانه يدل على ان مثل النهي وعدم التجنب للمنهي عنه كالحث على الشئ مع عدم التخلق بذلك الشئ (قوله اى مأخوذ قليلا قليلا) اى لاجل عدم استشعاره حتى لا يرجع عن غيه وما ألفه لانه حينئذ من الظالمين لانفسهم وقد قيل في حق الظالم ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته (قوله قال تعالى سنستدرجهم) من حيث لا يعلمون استئناف مسوق لبيان كيفية العذاب المستفاد من الامر السابق اجمالا والضمير لمن والجمع باعتبار معناها كما أن الافراد في يكذب باعتبار لفظها اى سنستنزلهم في العذاب درجة فدرجة بالاحسان وادامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج وهو الانعام عليهم بل يزعمون أنه ايثار لهم وتفضل على المؤمنين مع أنه سبب لهلاكهم (قوله لم يقصد بذلك غيبته الخ) المراد دفع ما عساه يقال ان ذلك من الغيبة وهي من الكبائر في هذا المقام (قوله ان الحياء والانس الخ) محصله ان أساس الخير كله الزهد والورع فمتى غلبا على العبد تحلى بكل كمال كالحياء والانس والاخلاص والمراقبة وغير ذلك من صفات الكمال (قوله فلا يحلان الا في محل خال) اى لان المشغول لا يشغل قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه (قوله تعامل القرن الاول الخ) الغرض من ذلك بيان ما كان عليه أهل القرون الاول من الاخلاق الحميدة وقوتهم فيها بسبق القدم وضعف الدين الآن بما أحدثوا فيه من البدع فلا حول ولا قوة الا بالله ويشهد له خبر بدا الدين غريبا وسيعود كما بدا فمن شاهد الانوار المحمدية كان هو الاقوى في الدين ثم من شاهد من شاهده الى حد ما أراد ربنا تبارك وتعالى فيعلم من ذلك ان أهل زماننا انما هم في عين الظلمة نسأل الله العفو والعافية وحفظ الايمان بجاه حبيبه سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم وشرف وعظم (قوله بالدين) اى بواسطة قوة أنوار مشاهدة المشرع صلى الله عليه وسلم وصدق ايمانهم بما جاء به

وهو مابقي معهم من آثار الدين الحميدة التي تعودوها في الزمن الماضي (حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث) منهم (بالمروءة) وحسن الاخلاق (حتى ذهبت المروءة ثم تعامل القرن الرابع) منهم (بالحياء) فمن كان عنده حياء انكف عن الرذائل ومن لا فلا وقد ورد اذا لم تستحي فاصنع ماشئت يعني اذا قل حياؤك صنعت ماتشاء او اذا لم يكن في عملك مايستحي منه فاصنع ماشئت فانه كله جيد (حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة) اي الرجاء (والرهبة) اي الخوف فمن رجي في نيل شيء منه أنصف في المعاملة لما يرجى منه ومن خيف ضرره أنصف ايضا خوفا من شره واما اليوم فاكثر معاملتهم وانصافهم انما هو بالرهبة خاصة الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فمن خيف شره أنصف في معاملته وقضيت حاجته ومن كان بخلاف ذلك استهين و بقيت حاجته في نفسه تتلجلج فانا لله وانا اليه راجعون (وقيل) في معنى البرهان (في قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه البرهان أنها ألقت ثوبا على وجه صنم) يعبده الكفار (في زاوية البيت فقال يوسف عليه السلام ما تفعلين فقالت أستحي منه) اذا لم يحجب عني (فقال يوسف عليه السلام انا اولى منك أن استحي من الله تعالى) وقيل البرهان انه رأى يعقوب عليه السلام عاضا على أصبعه يحذره والهم مشترك بين حديث النفس والعزم والاول معفو عنه والثاني مؤاخذ به فهمه حديث نفس وهمها عزم

به (قوله وهو مابقي معهم الخ) اي فبواسطة بعد أنوار الحبيب كانت المعاملة بذلك (قوله بالمروءة) اي فلضعف النور بالنسبة لمن قبلهم تعاملوا بالمروءة (قوله ثم تعامل القرن الرابع بالحياء) اي ولذلك قيل صفة المؤمن ان يكون كثير الحياء قليل الاذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل فيكون برا وصولا وقورا صبورا راضيا شاكرا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا لا جساسا ولا حساسا يحب في الله ويبغض في الله ويعطي لله ويمنع لله هذا وقال الفضيل المؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل وقال عمر بن عبد العزيز المؤمن قوته في قلبه والمنافق قوته في بدنه (قوله يتعاملون بالرغبة والرهبة) اي بالنسبة للمخلوقين أمثالهم وذلك نقص عظيم ونفاق كبير ثم زاد الحال حتى تعاملوا بالرهبة فقط لقلة من يرجى خيره وهو غاية النقص فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وقيل في معنى البرهان في قوله تعالى ولقد همت به) اي قصدت منه الجماع مع العزم والتصميم وهم بها اي قصد ذلك بمقتضى الطبع البشري من غير رضا ولا عزم ولا تصميم والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه وعبارة البيضاوي والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله تعالى من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم وقوله لولا أن رأى برهان ربه قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وقيل انه رأى يعقوب يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على اصبعه وقال محمد بن كعب القرظي رفع رأسه الى سقف البيت فرأى مكتوبا في حائط ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المرأة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام لم فعلت هذا فقالت استحييت منه ان يراني على معصية فقال يوسف أتستحي ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيأ فانا أحق أن أستحي من ربي وهرب فذلك قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه وجواب لولا محذوف قيل تقديره لجامعها وقيل لهم بها وعليه فما لم يقع منه جماع ولا هم على مقتضى قاعدة لولا الامتناعية وفي السمين لولا رؤيته برهان ربه لهم بها لكنه امتنع همه بها لوجود رؤيته برهان ربه فلم يحصل منه هم البتة وبهذا يتخلص من الاشكال الذي يورد هنا وهو كيف يليق بنبي أن يهم بامرأة (قوله وقيل في معنى البرهان) اي وهو احتجاج الصديق عليها بالاولى مما احتجت عليه به على ماذكره المؤلف (قوله والهم مشترك الخ) جواب عن قوله تعالى حكاية عن يوسف وهم بها مع عصمته الواجبة له

(وقيل) في حكمة الاستحياء (في قوله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء قيل انما استحيت منه لانها كانت تدعوه الى الضيافة فاستحيت ان لا يجيب) بها اليها (موسى عليه السلام) فيفوتها مقصودها (فصفة المضيف الاستحياء وذلك استحياء الكرم) وسيأتي بيانه وقيل انها دعته ليأخذ أجر ماسقى والدعاء لاخذ الاجرة عن شيمته الكريم مؤلم له فاستحيت مما في نفسها مما ذكرته له بقولها ليجزيك أجر ماسقيت لنا (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت ابا محمد البلاذري يقول سمعت أبا عبد الله العمري يقول سمعت احمد بن ابي الحواري يقول سمعت ابا سليمان الداراني يقول قال الله تعالى يا عبدي انك ما) مصدرية ظرفية (استحييت مني انسيت الناس عيوبك) لئلا يفضحوك (وأنسيت بقاع الارض ذنوبك) لئلا تشهد عليك يوم القيامة (ومحوت من ام الكتاب) اى اصله وهو اللوح المحفوظ (زلاتك) ولم أطلع عليها احدا من خلق (ولا اناقشك في الحساب يوم القيامة وقيل رؤى رجل يصلي خارج المسجد فقيل له لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه فقال استحي منه تعالى ان ادخل بيته وقد عصيته) لان العادة ان من كل حياؤه من غيره لم يقرب له موضعا (وقيل من علامات المستحي ان لا يرى بموضع يستحيا منه) اذ المستحي من مولاه لا يرى الا في فرض يأتيه او نفل يرغب فيه (وقال بعضهم خرجنا ليلة فمررنا باجمة) من قصب (فاذا رجل نائم وفرس عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له الا تخاف أن تنام في مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع) بضم الميم اى كثير السباع (فرفع راسه وقال انا استحي منه تعالى أن اخاف غيره ووضع راسه ونام) فيه دلالة على كمال حيائه من ربه حيث لم يخامر قلبه خوف من غيره حتى من الاماكن التي يخشى منها الاذية (وأوحى الله سبحانه الى عيسى عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني ان تعظ الناس) وانت لم تتعظ فوعظك لهم بعد اتعاظك ابلغ في انتفاعهم واسلم لقلوبهم من الاعتراض عليك (وقيل الحياء على) سبعة (وجوه حياء الجناية) بالاخلال بالامر والنهي (كآدم عليه السلام لما قيل له) في قصته (افرارا منا فقال لا بل حياء منك) لجنايتي (وحياء التقصير) في عدم ايفاء كمال الحق اخوانه

صلى الله على نبينا وعليه وسلم (قوله فجاءته احداهما) قيل هي كبراهما واسمها صفورا أو صفرا وقيل صغراهما واسمها صفيرا أي جاءته عقب ما رجعتا الى أبيهما روى انهما لما رجعتا الى أبيهما واغنامهما حفل بطان قال لهما ما أعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه لي وقوله تمشي حال من فاعل جاءت وقوله على استحياء متعلق بمحذوف وهو حال من ضمير تمشي اى جاءته تمشي على استحياء فمعناه انها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معا لا عند المجيء فقط وتنكير استحياء للتفخيم قيل انها جاءته متخفرة أي شديدة الحياء وقيل قد استترت بكم درعها (قوله قال الله تعالى يا عبدي الخ) انظر ثمرة الحياء دنيا واخرى بالخبر الحق والوعد الصدق فالله يوفقنا لما يحب من صفات الكمال ويهيئنا لنيل الاحسان والافضال بجاه النبي وصحبه والآل قال حاتم الاصم المؤمن مشغول في الفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامل والمؤمن آيس من كل احد الا من الله والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والمنافق يحب الخلطة والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن يأمر وينهى للسياسة والمنافق يأمر وينهى للرياسة فان كنت يا أخي جاهلا بنفسك وغافلا عنها فاعرضها على هذه الصفات فعند ذلك تعرفها حق المعرفة فقد يجهل الانسان نفسه لقلة تفقده لها فيعمى عن عيوبها كما يعمى المحب عن عيوب حبيبه والله أعلم (قوله ما مصدرية الخ) أي فالمعنى انك مدة استحيائك مني يصير شأنك ما ذكر (قوله فقال استحي منه تعالى الخ) لعل ذلك صدر لحكمة الحث على التبري من المخالفات والنهي عن التلطخ بنجس المألوفات والا فالافضل فعل العبادة في المساجد حيث هي افضل من غيرها (قوله ان لا يرى بموضع الخ) المراد بالموضع الموضع الاعتباري أي الحالة والصفة (قوله فيه دلالة على كمال حيائه) أي وعلى كمال خوفه من ربه لان من غلب عليه الخوف من ربه لم يخف غيره بل ويرزق الهيبة في نفسه (قوله عظ نفسك الخ) خطاب له عليه السلام باعتبار أمته اذ هو واجب العصمة والغرض الاشارة للبدء بالنفس كما قيل شعرا

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

(قوله كآدم الخ) التمثيل به باعتبار ظاهر الحال والا فهو واجب العصمة كغيره من

(كالملائكة) فانهم لحيائهم بتقصيرهم عندهم (يقولون سبحانك ماعبدناك حق عبادتك وحياء الاجلال) والتعظيم (كاسرافيل عليه السلام) فانه (تسربل بجناحه حياء من الله سبحانه وحياء الكرم) اى كرم الاخلاق والصفات (كالنبى صلى الله عليه وسلم) فانه (كان يستحى من امته ان يقول لهم) اذا طعموا عنده (اخرجوا) حياء من تالمهم (فقال الله عز وجل ولا مستأنسين لحديث وحياء حشمة) هو قد يرجع الى حياء الاجلال (كعلى) بن أبى طالب (رضى الله عنه حين سأل المقداد بن الاسود حتى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حكم خروج المذى) ولم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم استحياء منه (لمكان) ابنته (فاطمة رضى الله عنها) منه (وحياء الاستحقار) من العبد لنفسه بان لم يرها اهلا للخدمة من استحى هو منه (كموسى عليه السلام) فانه (قال انى لتعرض لى الحاجة من الدنيا فاستحى ان أسألكها) يا رب فقال الله عز وجل له سلنى حتى عن ملح عجينك وعلف شاتك وحياء الانعام هو) مع انه قد يرجع الى حياء الكرم (حياء الرب سبحانه) فانه (يدفع الى العبد كتابا مختوما بعدما عبر الصراط واذا فيه فعلت ما فعلت ولقد استحييت ان أظهره عليك فاذهب فانى قد غفرت لك ١٤٩ سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول فى هذا الخبر) المقول عن الرب (ان يحيى بن معاذ قال) فى تنزيه الله تعالى وبعده عن مشابهة خلقه (سبحان من يذنب العبد) اى عبده) فيستحى هو منه) فلا يفضحه ويعفو عنه (سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن احمد بن جعفر يقول سمعت زنجويه اللباد يقول سمعت على بن الحسين الهلالى يقول سمعت ابراهيم بن الاشعث يقول سمعت الفضيل بن عياض يقول خمس من علامات الشقاء القسوة فى القلب وجمود العين وقلة الحياء والرغبة فى الدنيا وطول الامل) ويجمعها كلها فى الحقيقة طول الامل لان من طال امله اشتد حرصه على الدنيا فيغفل عن الآخرة فيقسو قلبه فلا تعمل فيه المواعظ ويقل حياؤه وبكاؤه ومن قصر امله قل احتياجه للدنيا واجتهد فى عمل الآخرة فيرق قلبه وتعمل فيه المواعظ ويستحى من الله ومن الخلق ويكثر بكاؤه على تقصيره فى حق ربه فقد ارتبط الخير بقصر الامل والشر بطوله (وفى بعض الكتب) قال الله (ما انصفنى عبدى يدعونى فاستحى ان ارده ويعصينى فلا يستحى منى وقال يحيى بن معاذ من استحى من الله مطيعا استحى الله تعالى منه وهو مذنب) فبالاولى ان يستحى منه وهو مطيع (واعلم ان الحياء يوجب التذويب فيقال الحياء ذوبان الحشا لاطلاع المولى ويقال الحياء انقباض القلب لتعظيم الرب) كل منهما حياء أرباب الاحوال والسالكين لكمال الدرجات فى المعارف فاذا استشعر قلب عبد رؤية الله له مع كمال اجلاله وتعظيمه ذاب قلبه فى نفسه أو انقبض لسطوة عزة ربه واستشعار قربه (وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الناس) وفى نسخة الخلق (ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به اخاك

اخوانه النبيين والمرسلين عليهم صلاة وسلام رب العالمين (قوله كالملائكة) اى حيث لم يكن منهم وفاء بتسبيح الحق تعالى على حسب ما يليق بكماله (قوله وحياء الاجلال والتعظيم) اى الذى يحصل وقت أن يكاشف العبد بالصفات الجلالية للحق تبارك وتعالى (قوله كالنبى صلى الله عليه وسلم) أى لما ثبت من أنه كان أشد حياء من العذراء فى خدرها (قوله وحياء الاستحقار) اى استصغار النفس بالنسبة لمقام العظماء المقصودين لحوائج الخلق (قوله مع انه يرجع الى حياء الكرم) اى كرم النفس ومحاسن الصفات (قوله فيستحى هو منه الخ) أقول وذلك من حياء الكرم أيضا (قوله خمس من علامات الشقاء) اى فى الدنيا والآخرة وشاهد الباب قوله وقلة الحياء (قوله ويجمعها كلها الخ) اى فطول الامل أصل كل المفاسد والسبب الاعظم فى وجودها (قوله فقد ارتبط الخير الخ) اى ولذلك ورد فى الخبر اكثروا من ذكر هاذم اللذات فانه ما ذكر فى قليل الا كثره ولا فى كثير الا قلله (قوله ما أنصفنى عبدى الخ) اى لم يعاملنى بالانصاف حيث قابل الاحسان بالاساءة قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (قوله من استحى من الله مطيعا) اى بأن دام على شهود تقصيره فى عبادة ربه لعلمه انه غير مقدور له ان يعامله على ما يليق بجلاله تعالى (قوله يوجب التذويب) اى فهو سبب فى ذوبان القلب باستشعار اطلاع الحق تعالى على مكنون الضمائر وظاهر الاعمال مع التقصير الضرورى للبشرية (قوله كل منهما حياء أرباب الاحوال والسالكين الخ) اى وأما العارفون أصحاب المقامات فحياؤهم

والا فاستحى من سيدك فانه تراك) ويجازيك على عملك (وسئل الجنيد عن الحياء فقال رؤية الآلاء) أى النعم (ورؤية التقصير) فى العمل (فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء) فمن رأى نفسه مقصرا ورأى النعم متوالية عليه حصل له الحياء وكذا من أجل مولاه واحبه فالنعم موجبة للمحبة ورؤية التعظيم موجبة لاستحقار النفس ورؤية تقصيرها (وقال الواسطى لم يذق لذعات) بالمعجمة ثم المهملة أى طوارق واوائل وفى

نسخة طعم (الحياء من لابس خرق حد) أى ارتكب منهيا عنه حده الله بحد ومنع من ارتكابه (او) لابس (نقض عهد) فيما عاهد الله على القيام به لان من لم يستح عند ارتكابه شيأ من ذلك فلا حياء عنده فهو يفعل المحرمات ويخل بالواجبات (وقال الواسطى ايضا المستحى يسيل منه العرق وهو الفضل الذى فيه) لان المستحى يذوب قلبه من شدة مافيه من الحياء فيذهب من قلبه وجسده كل فضول (ومادام فى النفس شئ) يستحى منه ولم يخرج منها (فهو) اى صاحبها (مصروف عن الحياء) الكامل (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول الحياء ترك الدعوى بين يدى الله تعالى) لان من كمل حياؤه لم يدع مالم ينله من المقامات ولم يصل اليه من الدرجات وهذا من ثمرات الحياء لانفسه كما علم مما مر (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن عبد الله الصوفى رحمه الله يقول سمعت ابا العباس بن الوليد الزوزنى يقول سمعت محمد بن احمد الجوزجانى يقول سمعت ابا بكر الوراق يقول ربما اصلى لله تعالى ركعتين فانصرف عنهما) بالسلامة فى محله (وانا بمنزلة من ينصرف عن السرقة

يوجب لهم بسط الدوام لهم على موائد كرمه تعالى وشهود احسانه (قوله والا فاستحى من سيدك) اى بتأملك وتدبرك معنى قوله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم الآية (قوله فقال رؤية الآلاء) اى فهى سبب فى تحقق الحياء اى مع عدم القيام بواجب الشكر عليها (قوله لم يذق لذعات الخ) اى وذلك بواسطة ماتقدم من ان الزهد والورع أصل كل خير فمن لم يكن زاهدا ولا ورعا لم يتهيأ له نوع من الكمال ولا يخفى مافى قوله لذعات على من له احساس (قوله وهو الفضل الخ) أفاد به انه ليس المراد خصوص العرق المنفصل من مسام البدن بل مايشمل الفضول الذى فى قلب العبد فقوله ومادام فى النفس شئ اى مابقى فى خلقها بقية مما يستحى منه فصاحبها بعيد عن مقام الحياء (قوله الحياء ترك الدعوى الخ) اى هو سبب يترتب عليه ترك الدعوى بشهود التقصير فى أنواع العبادة للرب سبحانه وتعالى (قوله لم يدع مالم ينله) اى ومانا له كذلك لان الحياء يوجب السكوت كما ان المحبة توجب النطق على ماتقدم عن بعضهم (قوله وأنا بمنزلة الخ) اى وهكذا شأن من غلب عليه جلال الحق جلت قدرته

(باب الحرية)

اعلم ان سبب الحرية الاعظم انما هو قصر الامل على الحق تعالى وصرف القلب عن كافة الخلق فبما عتقاد أن الفاعل المختار انما هو الله تعالى لا فاعل غيره تثبت الحرية للعبد من سائر ماسواه تعالى وحينئذ تحقق عبوديته له سبحانه (قوله أن لا يكون العبد تحت رق المخلوقات الخ) اى وسبب كونه تحت رق المخلوقات الوقوف مع الطمع فيما بأيديهم اعتمادا على مظاهر الآثار مع الغفلة عن المؤثر المنعم وهذا الرق أبعد عن الانفكاك بخلاف الرق المعتاد فكل من تعلقت نفسه بشئ كان عبده ولو قل ذلك الشئ ويشهد لذلك خبر المكاتب عبد مابقى عليه درهم وخبر تعس عبد الدينار وعبد الدرهم الحديث كما ورد بخبره (قوله الاعراض عن الكل) أى عدم الاعتماد عن كل ماسواه تعالى اللازم له الاقبال على من له الكل ايجادا وخلقا وهو الحق سبحانه وتعالى فلا يكون له تعلق ولا اعتماد الا عليه (قوله ويقال أن لا يدخل قلبك سوى الله) اى أن لا يدخل قلبك سوى الله دخولا يمنع من الاشتغال به تعالى ومن القيام بحقه (قوله ويؤثرون على انفسهم) اى يقدمون المهاجرين على انفسهم فى كل شئ من اسباب المعاش حتى انه من كان عنده زوجتان ينزل عن واحدة منهما ويزوجها واحدا منهم وقوله تعالى ولو كان بهم خصاصة

من الحياء) لما اراه من تقصيرى فى القيام بحقوق الله تعالى فهو مع كمال اجتهاده وادبه فى صلاته لا يرى نفسه موقعا لها اى على حسب مايليق بجلال مولاه وعظمته والله اعلم *(باب الحرية)* هى كما سيأتى ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ويقال الاعراض عن الكل والاقبال على من له الكل ويقال ان لا يدخل قلبك سوى الله وكلها متقاربة وهى ممدوحة ومطلوبة (قال الله سبحانه ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال) الملى وهو المؤلف

(انما آثروا على انفسهم لتحررهم عما خرجوا منه) من الدنيا (وآثروا به) غيرهم على انفسهم (أخبرنا على بن احمد الاهوازى قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا ابن ابى قماش قال حدثنا محمد بن صالح ابن النطاح قال حدثنا ابراهيم بن مورع بن توبة عن اسمعيل المكى عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يكفى أحدكم ماقنعت به نفسه وانما يصير) أمره (الى أربعة اذرع وشبر) أى الى قبر ١٥١ عمقه ذلك (وانما يرجع الامر الى اخره قال) الامام المملى (الحرية ان لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ولا يجرى عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الاشياء فيتساوى عنده اخطار الاعراض) بالراء وفى نسخة الاعواض بالواو (قال حارثة رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عزفت) بالزاى أى زهدت (نفسى عن الدنيا فاستوى عندى حجرها وذهبها) ويكفى فى الزهد عنها خبر تعس عبد الدينار والدرهم فمن تحرر عن رقها شغلا بربه واعراضا عنها فهو الحر عن غير الله والعبد فى الحقيقة لله (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول من دخل الدنيا وهو عنها حر) بان دخلها من غير رغبة فيها بل امتثالا لامر ربه (ارتحل) عنها (الى الآخرة وهو عنها حر) لم يتعلق شئ منها بقلبه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا محمد المراعى يحكى عن الرقى عن الزقاق يقول من كان فى الدنيا حرا منها) بان تعاطاها لامر الله لا لهواه (كان فى الآخرة حرا منها) لكونه لم يرد بعمله الا الله وهذا قريب مما قبله (واعلم ان حقيقة الحرية) كائنة (فى كمال العبودية) لان كمالها افراغ الجهد فى الطلب بالبدن والقلب فى كل مايرد عليه من الله (فاذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الاغيار حريته فامامن توهم ان العبد يسلم له ان يخلع وقتا) أى فى وقت (عذار العبودية ويحيد بلحظه) أى ملاحظته (عن حد الامر والنهى وهو مميز فى دار التكليف) زعما منه انه مشتغل بالربوبية (فذلك انسلاخ من الدين)

اى حاجة وخلة وأصلها اخصاص البيت والجملة فى حيز الحال فهذه الآية الشريفة فى خصوص الثناء على الانصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للقتال والمهاجرين ورضاهم باختصاص النبى بهم احسن رضا وانهم اتخذوا الدار التى هى المدينة والايمان مباءة وتمكنوا فيهما اشد تمكن من قبل المهاجرين ولا ريب فى ان تقديم الانصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن اظهار بعض الاحكام لا عن اخلاصها قلبا واعتقادا اذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك (قوله انما آثروا على انفسهم الخ) الغرض منه بيان مناسبة الآية الشريفة للباب اذ الايثار من الامارات الدالة على تحررهم وخروجهم عن التعلق بشئ من الدنيا (قوله انما يكفى أحدكم ماقنعت به نفسه) أى مما يسد رمقها او يقوم بنيتها وقوله فى الخبر وانما يصير أمره الخ الغرض منه الزجر عن الطمع عما زاد على قدر الكفاية بتذكير العاقبة ومايصير أمر الانسان اليه (قوله وانما يرجع الامر الخ) أى والاعتبار انما هو بالمرجع اذ هو المعول عليه لدى العقل (قوله فيتساوى عنده الخ) أى فلا يفرق بين نفيس وخسيس فى خاطره وجودا او عدما وذلك باعتبار شهود مصدر الكائنات جل جلاله (قوله قال حارثة الخ) هو كالتفسير لما قبله (قوله ويكفى فى الزهد الخ) اى يكفى زاجرا عن التعلق بالدنيا وحاثا على الزهد فيها وذلك لان العبودية للجماد مما لا تسمح به النفوس الانسانية (قوله من دخل الدنيا) أى لابسها وهو عنها حر أى لا تعلق لقلبه بها وقوله بل امتثالا لامر ربه أى ليصرفها على حسب الاذن الشرعى وقوله ارتحل عنها الخ أى فكانت الثمرة له التحرر من التعلق بشئ (قوله ارتحل عنها الى الآخرة وهو عنها حر) اى فزهده فى الدنيا ابتداء يثمر له الزهد فيها انتهاء بحيث لا يكون له مطلب سوى مشاهدة مولاه جل جلاله (قوله وهذا قريب مما قبله) اقول الذى يظهر من كلام المؤلف ان ماقبله المراد به ان الزهد فى الدنيا ابتداء يثمر الزهد فيها انتهاء كما قدمناه وهو غير هذا الا قريب منه مع كثرة الفائدة على هذا الحل ويحتمل ماقال الشارح أيضا (قوله فى كمال العبودية) أى فمن كملت عبوديته لله تعالى ثبتت له حقيقة الحرية ووجهه ظاهر (قوله فى كل مايرد عليه من الله) اى ومن الجملة نزاهة النفس عن التعلق بالدنيا للحظوظ النفسية (قوله فاذا صدقت لله تعالى عبوديته) اى وصدقها بالدوام على الطاعة والعبادة مع الاخلاص فى ذلك (قوله فامامن توهم الخ) الغرض من ذلك الرد على من زعم ان العبد اذا كملت محبته وصل الى الله فيسقط عنه

قاله الجنيد لما قيل له ان من أهل المعرفة قوما يقولون ترك الاعمال من البر زعما منهم انهم وصلوا الذى يسرق ويزنى احسن ممن كان يقول هذا ولو بقيت الف عام لم انقص من أورادى شيأ أو كما قال غيره لما سئل عمن يقول ذلك نعم وصل ولكن الى سقر (قال الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم واعبد ربك حتى يأتيك اليقين يعنى الاجل) أى الموت (وعليه أجمع المفسرون و) اجمعوا ايضا على (ان الذى أشار اليه القوم من الحرية هو ان لا يكون العبد بقلبه تحت رق شئ من المخلوقات لا من اعراض الدنيا ولا من اعواض) وفى نسخة اعراض (الآخرة فيكون فردا الفرد) اى الله (لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوى ولا آجل منى) جمع منية (ولا سؤل) وهو ماسأله العبد (ولا قصد ولا أرب) أى حاجة (ولا حظ) أى نصيب فالحر من لم يعلق قلبه فى الدنيا بعرض ولا فى عمل الآخرة بعوض ولهذا قال (وقيل للشبلى الا تعلم انه تعالى رحمن فقال بلى) اى نعم (ولكن منذ عرفت رحمته ماسألته ان يرحمنى) لئلا يكون لى سؤال وقصد وأرب (ومقام الحرية عزيز سمعت الشيخ اباعلى رحمه الله يقول كان أبو العباس السيارى يقول لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت وهو

أتمنى على الزمان محالا

ان ترى مقلتاى طلعة حر

خالص بان لا يذل لطمع فى دنيا ولا يعمل لعوض فى أخرى (واما أقاويل المشايخ فى الحرية فقال الحسين بن منصور من أراد الحرية فليصل العبودية) أى يواصلها بان يواليها ولا يتخللها فتور فاذا كملت فيه لذت له حالة الحرية وظهرت عليه (وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا الا مقدار مص نواة فقال المكاتب عبد مابقى عليه درهم) أى فأقل فكمال الحرية عن الشهوات ان لا يبقى للعبد سكون الى شئ من المخلوقات ومتى بقيت فيه بقية منعته من كمال الحرية (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبابكر الرازى ويسكن يقول سمعت اباعمر الانماطى يقول سمعت الجنيد يقول انك لا تصل الى صريح الحرية وعليك من حقيقة عبوديته بقية) لان الحرية لا تكمل الا اذا كملت العبودية بان لا يذل لطمع فى دنيا ولا يعمل لعوض فى أخرى كامر (وقال بشر الحافى من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية) يعنى لغير الله بان تكون عبوديته لله (فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى وقال الحسين ابن منصور اذا استوفى العبد مقامات العبودية) لله (كلها يصير حرا من تعب العبودية) لغير الله (فيترسم) وفى نسخة فيتوسم أى يتصف ويتحلى (بالعبودية) لله (بلا عناء) اى تعب (ولا كلفة وذلك مقام الانبياء والصديقين يعنى يصير) لذلك (محمولا لا يلحقه بقلبه مشقة وان كان متحليا بها شرعا)

اعباء التكاليف ومثل هؤلاء من الكفرة اعاذنا الله من ذلك (قوله ان الذى يسرق ويزنى احسن الخ) أى لان غاية مثله انه فعل كبيرة وهى دون الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله قال الله سبحانه الخ) دليل لبقاء ربقة التكليف مابقى الانسان حيا عاقلا له قدرة على اداء العبادة (قوله واجمعوا أيضا الخ) مراده من ذلك بيان معنى الحرية فى كلام القوم نفعنا الله تعالى بهم ليعلم منه بطلان ماذهب اليه أهل الكفر والضلال ممن تقدمت حكايته (قوله هو ان لا يكون الخ) اقول ذلك حقيقة الحرية الكاملة (قوله وقيل للشبلى الخ) تقوية لما قبله مما ذكره فى معنى الحرية (قوله ماسألته ان يرحمنى) اى وذلك لفناء مراده فى مراد مولاه وذلك لا ينافى طلب الدعاء بالرحمة وغيرها كما لا يخفى (قوله ومقام الحرية عزيز) اى نادر لصعوبته بمخالفته لما جبلت عليه النفوس البشرية وقوله سمعت الشيخ اباعلى دليل على ذلك (قوله اتمنى على الزمان محالا الخ) أقول المراد بالمحال فى كلامه البعيد والا فهو موجود فى امته صلى الله عليه وسلم لخبر الخير فى وفى امتى الى يوم القيامة (قوله بان لا يذل الخ) أى وذلك لكون عمله بسببه محبة الله تعالى واجلاله لا غير على حد نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله اى يواصلها الخ) اى وذلك معنى الصدق فيها الذى هو سر قبولها (قوله وسئل الجنيد الخ) هو أيضا فى تحقيق حقيقة الحرية الكاملة (قوله سمعت الشيخ أباعبد الرحمن الخ) هو قريب مما قبله (قوله فليطهر السريرة الخ) أى يطهرها بالصدق والاخلاص والتنزه عن التعلق بالاغيار (قوله اذا استوفى العبد الخ) أى وذلك انما يتحقق فى فنائه فى مراد مولاه وعدم الالتفات الى ماسواه (قوله بلا عناء الخ) اى لانه بالدوام على العمل بحق العبودية كما هو معنى الصدق فيها تصير تلك الاعمال له كالسجية فلا يناله منها عناء ولا كلفة وذلك باعانة الحق تعالى له وهذا معنى قوله بعد يعنى يصير محمولا فحينئذ وان شق العمل على جسمه لا يشق على قلبه بل يتلذذ به

فالعبد مادام متكلفا فى التخلق بالمقامات العلية عليه فى الارتقاء من مقام الى مقام كلفة ومشقة واذا تمكن فى تلك المقامات لم يبق عليه فى القيام بالمقامات كلها كلفة وجرت عليه بلا مشقة فى تحملها اوصار محمولا فيها ناظرا لمن تفضل عليه بها وهذا هو المعبر عنه بالمراد وكان فيما تقدم منعوتا بالمريد فاذا تحرر عن رق تحمل اعباء كلف المقامات وعن السكون اليها وصار مشغولا بالمتفضل عليه بها صار حرا عنها وأول الحرية الخلاص من أسباب الدنيا واعراضها ١٥٣ وأوسطها خفة أعمال الآخرة والحرية عن الالتفات لاعواضها ونهايتها الحرية عن الالتفات الى هذه المقامات العلية وعن السكون اليها شغلا بالمتفضل بها وهذه حرية الحرية (انشدنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال انشدنا ابو بكر الرازى قال انشدنى منصور الفقيه لنفسه * مابقى فى الانس) وفى نسخة الناس (حر ولا ولا فى الجن حر قد مضى) أى ذهب (حر الفريقين) أى الانس والجن (فخلو العيش مر) فليس عنده فى زمانه من الفريقين حر وانما خيارهم من عمل ابتغاء الثواب لا غير (واعلم ان معظم الحرية) أى أكثر خصالها كائن (فى خدمة الفقراء) من التذلل والانكسار والادب معهم لان العبد لا يمكنه أن يخدمهم كما ينبغى ويرى الفضل لهم فى استخدامهم الا اذا زالت عنه نفسه ولم يراها قدرا (سمعت الشيخ ابا على الدقاق رحمه الله يقول اوحى الله عزوجل الى داود عليه السلام اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما وقال صلى الله عليه وسلم سيد القوم خادمهم وسمعت محمد بن

٢٠ ، يخ ث

الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن ابراهيم بن الفضل يقول سمعت محمد بن الرومى يقول سمعت يحيى ابن معاذ يقول أبناء الدنيا تخدمهم الاماء والعبيد وابناء الآخرة تخدمهم الاحرار والابرار) فى ذلك دلالة على مدح خادم الفقراء (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول سمعت على بن محمد المصرى يقول سمعت يوسف بن موسى يقول سمعت ابن خبيق يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت ابراهيم بن ادهم يقول ان الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل ان يخرج منها)

ويسكن اليه وقوله وان كان متحليا بها شرعا معناه ان ظهور الاعمال على جوارحه ونسبتها اليه بحكم الشرع لا ينافى كونه محمولا ومعانا بحكم الباطن والحقيقة (قوله فالعبد مادام متكلفا الخ) معناه ان التكلف والمشقة فى الطاعة انما يكون قبل التمكن فى حال الترقى وقطع منازل المقامات ثم هو اذا تمكن واخلص وصدق فى المقامات لم يبق عليه كلفة البتة لان الاعمال تجرى عليه حينئذ باعانة الله تعالى فيصير محمولا ومعانا ويسمى حرا بعد ان كان مريدا فافهم (قوله فاذا تحرر عن رق الخ) الغرض منه بيان درجات التحرر لاجل سهولة السير فيها والوصول الى غايتها والله أعلم (قوله مابقى فى الانس حر الخ) اقول لما كانت الحرية الكاملة عزيزة ونادرة جعل هذا الشيخ نفعنا الله به النادر كالمعدوم لان الحكم للغالب فقال مابقى الخ وهذا على ما لا يخفى لا ينافى وجود الخير واستقراره فى امة من له الشرف الى انقضاء الدنيا بمقتضى الخبر الصحيح (قوله فخلو العيش مر) أى لقلة الخير وكثرة الشر واذا كان هذا فى زمنه نفعنا الله به فما ظنك الآن فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله وانما خيارهم الخ) اقول نسأل الله العظيم ببركة نبيه الكريم ان يديم هؤلاء الاخيار وان يهلك اهل الاهواء والاشرار (قوله فى خدمة الفقراء) محصله فناء النفس فى ذلك عن الحظوظ وأنت خبير بان المراد بالفقراء الطالبون للحق تعالى على سنن الاستقامة وعلى طريق المتابعة كما يشهد لذلك ما بعده لا كفقراء زماننا ممن جعلوا ذلك وسيلة لمعاشهم وتوصلوا بذلك الى حظوظهم الفاسدة نسأل الله السلامة من مخالطتهم (قوله اذا رأيت لى طالبا) أى من اخلص فى طلبى وقصدى بان لم يخطر له سواى على بال فكن له خادما أى معينا وناصرا (قوله سيد القوم خادمهم) أقول لما كانت حقيقة السيادة لا تتم الا لمن ثبتت له العبادة والطاعة ومن الجملة اعانة الاخ المؤمن بالخدمة كان سيد اخوانه بما ناله من درجات القرب اليه تعالى فتدبر (قوله ابناء الدنيا) اى المنهمكون عليها المتهافتون على تحصيلها وملاذها تخدمهم الاماء حيث ذلك من ثمرة الدنيا وقد يكون لا خلاق لهم فى الآخرة وقوله وابناء الآخرة اى المتفرغون لاعمالها الفانون فى مرضاة خالقهم تخدمهم الاحرار والابرار اى ممن ثبتت لهم الحرية عن كامل المألوفات والحظوظ وعمن ثبت لهم عمل البر وشتان ما بين الدرجتين (قوله يخرج من الدنيا الخ) اى يتجرد من تعلق قلبه بالدنيا فى حالة اختياره قبل أن يخرج منها

قهرا واضطرارا بالموت اوغيره (قوله يسمع ولا يتكلم) أقول وذلك بيان لبعض أخلاقه الحميدة والاخفيقته من فني عن سائر حظوظ النفس

(باب الذكر)

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسير سورة الكهف في قوله تعالى اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروه لما أولاهم من نعمه ثم هاموا على وجوههم منقطعين الى ربهم وخائفين من قومهم فاذا علمت ذلك علمت ان هذه سنة الله في الرسل والانبياء والفضلاء الاولياء فأين هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام ولا سيما في هذا الزمان عند سماع الاصوات الحسان وتمايل المرد والنسوان هيهات بينهما والله مثل ما بين السماء والارض فهذا محرم عند جماعة العلماء وا كابر الفضلاء وقد علم ان الفقير لا يتصرف الا في واجب أو مندوب والمكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل الى ذكره فضلا عن فعله وعلمت ايضا ان قاعدة اهل الطريق الخروج عن الخلاف فكيف يقدمون على شئ قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم فلا حول ولا قوة الا بالله واعلم ان الذكر عبادة اللسان بموافقة الجنان الذكر اذا دام اوجب الحضور في حضرة المذكور الذكر قربة للجاهل الغافل وتقريب للعالم العاقل اذا استغرق العابد في العبادة لا يجد بالذكر زيادة الذكر بالجهر يكون مع شهود الغيبة والغفلة لعوام المؤمنين والاسرار به من شأن الخواص المقربين ذكر الفانى بالشهود هو الغاية والمقصود وشتان بين من ذكر ليستنير وبين من وجد قبل الذكر التنوير من زعم انه ذاكر للمذكور فقد غفل عن الحضور موجب وجود ذكرك بالانسان ماجبلت عليه من السهو والنسيان شعر

وانى أنا المنسي من كل ذاكر * كانى المذكور من كل نية

يالله من أمر عجيب كيف يذكر الحاضر القريب والذكر لا يختص بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير بل يشمل ذلك وكل طاعة لله تعالى على ما هو التحقيق وهو لسانى وقلبى وافضله ما جمعهما مما جاء به الكتاب العزيز ثم ما أمر الله به رسولا من رسله اونبيا من أنبيائه مما جاء به الكتاب أيضا ثم ما ورد عنه صلى الله عليه وسلم في الكتب المشهورة الصحيحة ثم ما دعا به العلماء والاولياء والصالحون ولا عبرة بمجرد النطق باللسان مع غفلة القلب عن المذكور اذ الثواب الجزيل الوارد فيه انما هو مرتب عليهما معا والذكر أفضل من الفكر لصحة نسبة الذكر اليه تعالى دون الفكر وما كان من نعوت الحق فهو افضل من غيره والحاصل ان الذكر مطلقا عبادة نعم ما جمع اللسانى والقلبى فهو أفضل ما يثاب عليه على مذهب أهل الحق واعلم ان الذكر يكون بالثناء على الله تعالى بما له من نعوت الكمال وبدعائه واستغفاره وسؤاله ولو في حاجات الدنيا وبطاعاته وأنواع عباداته وأرفعها تلاوة القرآن وبعضه أرفع من بعض من جهة ترتب الجزاء لا بالنظر لذاته اذ الكلام كلام الله

لانه عبارة عن المال والجاه وما يتبعهما فان زهد فيها خلص من ضررها وخرج عنها وان آثام معها وأحبها أخرج منها قهرا اما بالزوال أو بالموت والاول أشرف من الاخير (وقال ابراهيم بن ادهم) أيضا (لا تصحب الاحرار كريما يسمع ولا يتكلم) أى يحمل الاذى ولا يكافئ عليه ولا يحقد ليجازى وقتا آخر هذا كله مدح لمن حسنت اخلاقه وتحرر عن رق الشهوات

(باب الذكر)

تعالى وارد على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم *(فائدة)* هل الذكر على معنى الثناء على الله تعالى والتنزيه له أفضل أو الدعاء والتذلل والطلب منه الجواب الاول أفضل من حيث النقل والمعنى والله أعلم (قوله وهو ممدوح) مراده به الذكر المشروع لا ما عليه أهل هذا الزمان من اجتماعهم مع قوالين بالالحان والرقص وضرب الارض بالاقدام والتمايل والتكسر مع ما ينضم الى ذلك من الباطل المحرم كاستحضار المرد فى مجالسهم والنظر فى وجوههم مع الزينة بلبس المصبغات من الثياب واذا أنكرت على أحدهم يحتج بأن ذلك للاستدلال بالصنعة على الصانع وفى ذلك اجتراء وقول عظيم وكشف لفضائحه فهو عبد أهانه الله وخذله وكشف عورته وأبدى سوأته فى العاجل وله عند الله سوء المنقلب فى الآجل روى أبو داود فى السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من خبب زوجة امرء أو مملوكته فليس منا والامرد حكمه كحكمهما وخبب معناه أفسد من الخب وهو الخداع والافساد وقال صلى الله عليه وسلم لعلى رضى الله عنه لا تتبع النظرة النظرة فانما لك الاولى وليست لك الآخرة وقال بقية بن الوليد رحمه الله قال بعض التابعين كانوا يكرهون أن يحدق الرجل النظر الى الغلام والامرد الجميل الوجه وقال عطاء رحمه الله كل نظرة يهواها القلب لا خير فيها وقال الواسطى من كبار الصوفية اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الانتان الجيف أولم تسمعوا الى قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم وقال بعض التابعين ما أنا باخوف من الشاب الناسك من سبع ضار وما كفاهم ذلك بل ضموا الى ذلك الدف والرقص وكشف الرأس وتمزيق الثياب مع ان ذلك كما لا يخفى على ذى لب انه لعب وسخف ونبذ للمروأة وهتك للوقار ولما كان عليه الانبياء والصالحون روى أهل التفسير عن على رضى الله عنه انه قال كان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تنتهك فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعون يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب قال وكان صلى الله عليه وسلم لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما يشتهى قد ترك نفسه من ثلاث كان لا يذم أحدا ولا يعيره ولا يطلب عوراته ولا يتكلم الا فيما رجى ثوابه اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير واذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ يغضون أبصارهم ثم اذا لم يكن فى الرقص والسماع شئ يذم به الا انه مما أحدثه بنو اسرائيل حين اتخذوا العجل الهامن دون الله لكفى قبحا وضلالا حيث لم يكن اقتداؤهم الا بالكفار وما كان هذا أصله يتعين على كل ذى عقل ولب الانكار عليه والهروب منه وتولى الظهر عنه ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله وهو ممدوح الخ) أقول ويكفى فى مدحه وغرته قوله جل شأنه فاذكرونى أذكركم اذ لا يماثل ذكر الحق تعالى لعبده

هو ممدوح ومطلوب

(قال الله تعالى يا أيها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) وقال تعالى ولذكر الله أكبر وقال يسبحون الليل والنهار لا يفترون
(اخبرنا أبو الحسين على بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد رحمه الله قال أخبرنا ابو على الحسين بن صفوان البرذعى قال حدثنا
ابو بكر عبد الله بن محمد بن ابى الدنيا قال ١٥٦ حدثنا هرون بن معروف قال حدثنا أنس بن عياض قال حدثنا عبد الله بن سعيد
ابن ابى هند عن زياد بن ابى زياد عن ابى بحرية عن ابى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم) أى مليككم تعالى (وأرفعها فى درجاتكم وخير من اعطاء الذهب والورق) لكم (و) من (ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا ماذا يا رسول الله قال ذكر الله تعالى واخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن قال حدثنا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم قال حدثنا الديرى عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة على احد يقول الله الله وأخبرنا على بن احمد بن عبدان رحمه الله قال حدثنا أحمد بن عبيد قال حدثنا معاذ قال حدثنا أبى عن حميد عن انس بن مالك رضى عنه قال قال رسول صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى لا يقال فى الارض الله الله) لانها لا تقوم الا على شرار الناس واما خبر لا تزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله اى الساعة فالمراد بالساعة فيه ما قرب منها ويؤيده رواية حتى يخرج الدجال وقد روى ان الدجال يقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويخرج بعده يأجوج ومأجوج فيقتلون من اتبع الدجال الذى الجمع قبل عيسى ويتحصن عيسى ومن معه فى رؤس الجبال فيسلط الله على يأجوج ومأجوج داء فى اعناقهم فيموتون كموت رجل واحد

شئ لا دنيوى ولا أخروى والذكر مطلوب به فى جميع الاوقات لا يختص بوقت دون وقت بخلاف غيره من العبادات فقد يكون مؤقتا بوقت ويمتنع فى آخر كالصلاة مثلا (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) اى اذكروه بما هو اهله من التهليل والتحميد والتمجيد والتقديس ذكرا كثيرا يعم الاوقات وسبحوه اى نزهوه عما لا يليق به بكرة وأصيلا اى أول النهار وآخره وليس المراد القصر على هذين الوقتين فالتقييد بهما لابانة فضلهما على غيرهما من الاوقات فالمطلوب حينئذ تسبيح الاله فى جميع الاوقات (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال بعضهم واقل مراتب الكثرة عمله بما ورد عن سيد الكمل صلى الله عليه وسلم من وظائف الاوقات والمندوب اليه فى العبادات واعلى مراتبها أن لا توجد للعبد حالة غفلة عن الحق لحظة من الزمان ما دام يقظا عاقلا (قوله قال حدثنا الخ) اى ورواه ايضا مالك فى الموطا (قوله الا انبئكم) اى اخبركم بخير اعمالكم اى بافضلها واكثرها ثوابا وازكاها اى اكثرها طهرة لكم وبركة عند مليككم أى المتصرف فيكم بالامر والنهى وأرفعها فى درجاتكم أى أقوى أسباب تقربكم من رحمة ربكم واحسانه وخير من اعطاء الذهب والورق أى اكثر ثوابا منه ومن ان تلقوا أى وافضل من لقيكم العدو فتضربوا أعناقهم ويضربوا اعناقكم فى الجهاد وذلك من قبيل الترغيب والا فالجهاد أفضل من الذكر ولاسيما المفروض منه * (فائدة) * قراءة القرآن ذكر ودعاء ولاسيما هو فى نفسه عبادة يتقرب بها الى الله تعالى وقد سماه الله ذكرا حيث قال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم (قوله قال ذكر الله) اى ذكره باللسان مع حضور القلب سواء كان بالتهليل او غيره من بقية انواع الذكر (قوله واخبرنا ابو نعيم الخ) اى وروى الترمذى برفعه الى الاغر ابى مسلم انه شهد على ابى هريرة وابى سعيد الخدرى انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من قوم يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وقال هذا حديث حسن صحيح (قوله لا تقوم الساعة الخ) فيه دلالة على انه بوجود الذكر يستدل على بقاء الخير وبعدمه على وجود الاهوال * (فائدة) * حقيقة الذكر فى القلب وذلك ضد الغفلة والانسان ذاكر وغافل فهو من اعمال القلب وهو اخبار عن معلوم ونطق بمفهوم فاجمع ذكر القلب واللسان فهو الافضل والاكمل فيه خير ووسيلة الى القرب (قوله واخبرنا على بن احمد الخ) معناه قريب من معنى الحديث قبله واعلم انه ينبغى للذاكر والداعى قوة التوجه بالقلب وتصميم العزم باعتقاد الاجابة وقوة الرجاء وعدم استبطاء الاجابة كان يقول دعوت فلم يستجب لى (قوله واما خبر لا تزال طائفة الخ) الغرض منه

الجمع بين الاخبار حتى لا ينافي بعضها بعضا وهو ظاهر (قوله ثم يتناقص الامر) أي ينقص شيأ فشيأ حتى ينعدم (قوله والذكر ركن قوي) أي اصل وأس عظيم في طريق الله أي في السبيل الموصل اليه * (فائدة) * روى الترمذي يرفعه الى أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو على كل شئ قدير في يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بافضل مما جاء به الا واحد عمل أكثر من ذلك انتهى وروى الترمذي ايضا يرفعه الى أبي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال في اثر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل ان يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات ومحا عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم الا ان يشرك بالله وروى مالك في الموطأ يرفعه الى أبي هريرة انه قال من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر (قوله اى الى وجهه وفضله) يشير الى ان المراد الوصول المعنوي اذ لا مسافة بين العبد وربه تعالى (قوله والذكر على ضربين) أي على نوعين والمراد الذكر من حيث هو اما اذا اطلق الذكر في لسان الشرع فالمراد به اللساني خاصة على ان هذا بالنسبة لاول زمن الارادة اما العارفون والمحققون فذكرهم بسائر قواهم واجزاء تركيبهم لخروجهم عن قيد التركيب الجسماني الى فضاء الشهود الروحاني ولله اشار سلطان العارفين حيث قال

اذا ما بدت ليلى فكلي أعين * وان هي ناجتني فكلي مسامع

فتأمل (قوله فالثاني أفضل) أي لبعده عن الرياء والغفلة وغير ذلك وفي ذلك اشارة الى ان في مجرد اللساني فضيلة وهو كذلك حيث هو وسيلة الى ما هو أعلى منه (قوله ثم لا ينبغي ان يترك الخ) أي لان الخير المحقق لا يترك للشر المتوهم وقوله وقد تقدم الخ ترقي في عدم الانبغاء المذكور (قوله فذكر اللسان به يصل العبد الخ) أي فهو وسيلة الى ما به التأثير والوسائل حكم المقاصد (قوله والتأثير يكون لذكر القلب) أي التأثير في تنوير القلب وزيادة واردات الرحمن انما هو لذكر القلب (قوله لان ما سواه الخ) أي ويؤيده خبر ألا وان في الجسد مضغة الحديث (قوله الذكر منشور الولاية) أي كالمنشور في الدلالة على ثبوت الولاية لمن اتصف به من العباد والمنشور اصله ما يكتب لمن ولي ولاية على جهة من الجهات ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم (قوله فمن وفق للذكر) أي اللساني المقترن بالقلبي (قوله اى بحفظي واكرامي) أفاد به ان المراد بذكر الحق للعبد انما هو الحفظ والاكرام اذ الحقيقة اللغوية غير ممكنة في حقه تعالى نعم ان أريد بذكر الحق لعبده ثناؤه

ثم يتناقص الامر حتى لا يبقى في الارض الا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة (قال الاستاذ والذكر ركن قوي في طريق الله سبحانه بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد الى الله) أي الى وجهه وفضله (الا بدوام الذكر والذكر على ضربين ذكر اللسان وذكر القلب) فان اقتصر على احدهما فالثاني افضل ثم لا ينبغي ان يترك الذكر باللسان مع القلب خوفا من ان يظن به الرياء بل يذكرهما جميعا و يقصد وجه الله وقد تقدم ان ترك العمل لاجل الناس رياء (فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتأثير) يكون (لذكر القلب) لانه الاس لان ما سواه من الجوارح تابع له في الصلاح والفساد (فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه) معا (فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الذكر منشور الولاية) لانه سبب التقرب والوصول الى الله فهو يشهد بالولاية كما ان منشور الولاية بين الناس مكتوب يشهد للعبد بأنه ولي ولاية (فمن وفق للذكر فقد اعطى المنشور) كما قال تعالى اذكروني اذكركم اى بحفظي واكرامي

(ومن) فتح له باب الذكر ورزق اللذة فيه ثم (سلب الذكر) بأن ابتلى بشئ من الدنيا حتى اغفله عنه (فقد عزل) عن الولاية (وقيل ان الشبلى كان فى ابتداء أمره ينزل كل يوم سربا) أى طريقا (ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان) من الخشب (فكان اذا دخل قلبه غفلة) وفتور عن العبادة (ضرب نفسه بتلك) القضبان من (الخشب حتى يكسرها على نفسه) ويجد الالم (فربما كانت الحزمة تفنى قبل ان يمسى) من يومه (فكان) حينئذ (يضرب يديه ورجليه على الحائط) حتى يجد الالم فيزول عنه بذلك ما هو فيه من الغفلة والفتور حتى يصير الخير له عادة فيستغنى عن هذه المجاهدة (وقيل ذكر الله بالقلب) لكونه مما لا يستغنى العبد عنه فى اوّل كل عمل وحال (سيف المريدين به يقاتلون اعداءه وبه يدفعون الآفات التى تقصدهم وان البلاء اذا أظل العبد) اى دنا منه وفى نسخة قد ينزل بالعبد (فاذا فزع بقلبه الى الله) والتجأ اليه (سبحانه يحيد) أى يعدل (عنه فى الحال كل ما يكرهه وسئل الواسطى عن الذكر فقال) هو (الخروج عن ميدان الغفلة الى فضاء المشاهدة) يعنى طول الغفلة الى طول المشاهدة للمذكور بالقلب (على) نعت (غلبة الخوف) من الفتور والانقطاع عن الذكر (و) على نعت (شدة الحب له سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن الحسين يقول سمعت ابا محمد البلادرى يقول سمعت عبد الرحمن ابن بكر يقول سمعت ذا النون المصرى يقول من ذكر الله تعالى ذكرا على الحقيقة) أى الذكر الكامل وهو الاستغراق فى المذكور (نسى فى جنب ذكره كل شئ) حتى كونه ذاكرا اقول (وحفظ الله تعالى عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله المعلم يقول سمعت احمد المسجدى

عليه لم يكن بعيدا والله أعلم (قوله ومن فتح له باب الذكر) اى بان وفق للاكثار منه وقوله ورزق اللذة فيه مراده بها اللذة المعنوية العقلية لا الحسية الطبيعية على انه يمكن ان تكون اللذة حسية بالنسبة لبعض الذاكرين (قوله بحزمة) بضم الحاء لا غير (قوله فكان اذا دخل قلبه غفلة) قلبه مفعول مقدم وغفلة فاعل مؤخر وقوله ضرب نفسه الخ لعله راى ذلك اجتهادا لو انه لا ينفعه فى القيام على نفسه غير ذلك والافضل ذلك لم يرد فى تأديب النفس (قوله لكونه مما لا يستغنى العبد عنه) أى لان الشرط فى اوّل امر المريدين تحرير مقاصدهم واخلاص نياتهم وافراغ قلوبهم من الشواغل (قوله وان البلاء) أى الامتحان (قوله يحيد عنه الخ) اى ويشهد لذلك خبران الدعاء والقضاء ليعتلجان الحديث (قوله فقال هو الخروج عن ميدان الغفلة الخ) أشار به نفعنا الله به الى اعلى أنواع الذكر لانه قد يكون مع غفلة ومع يقظة ومع حضور ومع شهود ومن المعلوم ان كل نوع اعلى مما قبله واقل مما بعده غير ان الادنى يترجى معه الترقى اذ فيه تعرض لنفحات رحمة الله سبحانه وتعالى بما هو مقدور العبد قال صلى الله عليه وسلم ان لله فى ايام دهركم نفحات فتعرضوا النفحات رحمة الله وقال تعالى اذكرونى اذكركم فجعل بوجود ذكرك اياه وجود ذكره لك ومن ذكره مولاه وفقه وهداه وسمح له وتولاه وآواه فاكرم مثواه تدبر تفهم والله أعلم (قوله يعنى طول الغفلة الخ) أى فالغفلة الضارة ضررا بينا انما هى الغفلة الطويلة اما القصيرة فقل ان يخلى عنها احد والمراد بفضاء المشاهدة دوام استحضار عظمة المذكور المعبر عنه بالمراقبة (قوله على نعت غلبة الخ) المراد ان يكون الذاكر خائفا راجيا (قوله من ذكر الله تعالى الخ) يدل له قوله جل شأنه واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ومدار ذلك على ثلاثة معرفة الحق واجلاله والعبودية له ومراتب ذلك غير متناهية (قوله من ذكر الله الخ) الغرض منه بيان ثمرة الذكر اذا تجرد عن العوائق المبطلة له (قوله نسى فى جنب ذكره كل شئ) أى لان من تنبه اليه انس به ومن حضر معه خضع له ومن نسى ما سواه فنى به ومن فنى به غاب عن سواه فشهد ان الله تعالى هو الضار والنافع لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع وذلك مقام الاحسان الثابت فى صحيح مسلم لما سأله جبريل عنه فقال ان تعبد الله كانك تراه فمتى علم الذاكر سماع مولاه لخفى ذكره ونجواه نسى فى جنب ذكره ما سواه لكمال اشتغاله به ولزم من ذلك حفظه عن كل شئ يخشاه وكان الله تعالى له فى جميع احواله عوضا عما سواه (قوله وحفظ الله تعالى الخ) اى وذلك هو موقف الفناء لانه فى هذه الحالة لا يصح له فهم وجود سوى وجود الحق تعالى لا فى ذكره ولا فى غيره وذلك من ثمرات الصدق فى الذكر (قوله وكان له عوضا عن كل شئ)

يقول سئل أبو عثمان فقيل له نحن نذكر الله تعالى ولا نجد فى قلوبنا حلاوة فقال احمدوا الله) واشكروه (على ان زين جارحة من جوارحكم بطاعته) اى بالذكر فاذا اشكرتموه على ذلك نقلكم لما هو اعلى فى درجات الذكر وهو وجود اللذة به ثم الى ما هو ارفع من وجودها وهذا ارشاد بالغ وفاء بقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم (وفى الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل له وما رياض الجنة فقال مجالس الذكر) فان لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر فاذا أتوا عليهم حفوا بهم (أخبرنا أبو الحسن على بن بشران ببغداد رحمه الله قال حدثنا أبو على) الحسين (بن صفوان) البرذعى (قال حدثنا ابن أبى الدنيا قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا اسمعيل بن عياش عن عمر بن عبد الله ان خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة قلنا يا رسول الله ما رياض الجنة قال مجالس الذكر) الحديث (قال) المملى تفسير الذلك (اغدوا وروحوا واذكروا من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله سبحانه ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه) قال تعالى فاذكرونى اذكركم وقال لئن شكرتم لازيدنكم والكل من فضله وفى صحيح مسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده قال النووى ولا تنحصر فضيلة الذكر فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير ونحوها بل كل عامل لله تعالى بطاعة فهو ذاكر لله تعالى قاله سعيد ابن جبير رضى الله عنه وغيره من العلماء وقال عطاء رحمه الله مجالس الذكر مجالس الحلال والحرام كيف تشترى وتبيع وتصلى وتصوم وتنكح وتطلق وتحج واشباه هذا

اقول ومن كان الله عوض مافاته مافقد شيأ كما ان من فقد الله ما وجد شيأ اعاذنا الله من ذلك (قوله على ان زين الخ) أى وذلك من وسائل الترقى فهو بهذا الاعتبار من النعم الجليلة (قوله وهذا ارشاد بالغ الخ) المشار اليه قوله واشكروه وما وقع بازائه الشكر هو ذكر اللسان وانما طلب الشكر فى مقابلته لانه مما تعيش به القلوب وتنغرس فيها به اللذة فهو نعمة واى نعمة (قوله اذا رأيتم رياض الجنة الخ) يحتمل ان المراد التشبيه بجامع اللذة فى كل والنعيم فى كل ويحتمل انه من اطلاق اسم المسبب على السبب فتدبر (قوله يطلبون حلق الذكر) أى يطلبون اهل تلك الحلق لاتحافهم وحفظهم مثلا (قوله ارتعوا الخ) من رتعت الماشية فى الكلا كلت ماشاءت منه والمراد تفكهوا وتلذذوا بما هو كرياض الجنة فى مطلق اللذة والنعيم أو بما يوصل الى ذلك ويكون سببا فيه على ما قدمناه قبل (قوله اغدوا الخ) الغدو الذهاب أول النهار والرواح الرجوع آخره والمعنى اذكروا الله فى جميع الاوقات مع المراقبة وقوله من كان يحب الخ المراد منه الحث على دوام الذكر على الوجه الاكمل مع المراقبة والاجلال بحضور القلب وقوة توجهه الى الله وبيان الثمرة بقوله فان الله ينزل العبد منه الخ (قوله قال تعالى فاذكرونى) الفاء للدلالة على ترتيب الامر على ما قبله من موجباته اى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب وهو تحريض على الذكر بما يوجبه واشكروا لى ما انعمت به عليكم من النعم ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما امرتكم به (قوله قال تعالى فاذكرونى اذكركم) تقدم ان المراد بذكر الله لعبده احسانه اليه وتقريبه من حظائر كرمه أو ثناؤه عليه فلا تغفل (قوله وقال لئن شكرتم لازيدنكم) قال بعضهم شكر العبد لولاه دوامه على طاعته وعبادته وقوله والكل من فضله المراد بالكل توفيق العبد للشكر وما يعطيه الحق من الزيادة فى مقابلة شكر عبده جميع ذلك من فضله واحسانه سبحانه وتعالى (قوله لا يقعد قوم الخ) التعبير بالقعود نظرا للغالب والا فالثمرات المذكورة لا تختص بالقاعد بل تعمه وغيره كما لا يخفى (قوله الا حفتهم الملائكة) اى الا أحاطت بهم لاتحافهم وحفظهم وقوله وغشيتهم الرحمة أى عمتهم حتى صارت كالغشاء الساتر لجميعهم وقوله ونزلت عليهم السكينة أى طمأنينة القلب وقوله وذكرهم الله فيمن عنده أى اثنى عليهم ثناء يطلع عليه اهل الملا الاعلى والمراد أحسن اليهم على هذا الوجه (قوله قال النووى الخ) المراد منه بيان المقصود من الذكر وانه يشمل سائر الطاعات بتهليل أو تسبيح أو تحميد أو تكبير او غير ذلك (قوله الذكر مجالس الحلال والحرام الخ) مراده ان علم أحكام الله تعالى تعليما أو تعلما من قبيل الذكر

فان جميع ذلك ينقل العبد من الغفلة الى ذكر الله وطاعته (وسمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمدا الفراء يقول سمعت الشبلي يقول) لتلامذته (أليس الله تعالى يقول لى انا جليس من ذكرني ما الذى استفدتم من مجالسة الحق تعالى) نبههم بذلك على التجسس لفوائد الذكر وما يهبه الله للذاكرين من الخيرات كوجود الـلذات في الذكر وكمال الاستغراق في المذكور وسماع الخطاب (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن موسى السلامي يقول سمعت الشبلي ينشد في مجلسه

ذكرتك لا انى نسيتك لمحة
وايسر ما فى الذكر ذكر لسانى)

ودوامى عليه وان كان القلب ذاكرا (وكدت) وانا (بلا وجد أموت من الهوى) أى الحب (و) لما فتح على الوجد والاحوال (هام على القلب بالخفقان) اى ذهب بالاضطراب وشدة الطلب للمذكور (فلما أرانى الوجد) حين انتقلت منه الى الوجود المذكور بقوله (انك حاضرى * شهدتك) بالقلب (موجودا بكل مكان) أى لم اغفل عنك فى حالة من الاحوال (فخاطبت موجودا بغير تكلم *) منى له (ولاحظت) بقلبى (معلوما بغير عيان) أى بصر بعينى والمعنى لم أكلمه مع الغفلة بل مع المشاهدة واستشعار سماعه لكلامى ورؤيتى له بقلبى وهذا هو المشار اليه فى بيان الاحسان بخبر ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك

فهو يشمل ذلك كغيره فهو يؤيد ما قاله النووى رحمه الله (قوله سمعت الشبلي يقول الخ) يريد نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه ان ينبه التلامذة على ما به الترقى فى درجات الذكر والآداب فيه من ان الاولى لهم دوام ذكر القلب حتى تقل غفلاتهم وتكثر وارداتهم فانهم اذا لازموا الذكر القلبى واستولى على قلوبهم بغلبته عليها فلا تعرض لها بعد ذلك غفلة ولا فترة بواسطة ما يقذف فيها من أنوار اليقين (قوله أليس الله تعالى يقول الخ) الاستفهام فيه تقريرى وهو حمل المخاطب على الاقرار بما يعلم الذى هو تحقق ذلك وثبوته (قوله نبههم بذلك الخ) أى ليكونوا ذاكرين الله تعالى حق ذكره بواسطة دوام مراقبتهم اياه بنعت الجلال ليثمر لهم ذكرهم ما اشار الى بعضه المؤلف * (حكاية يناسب ذكرها لمناسبة المقام) * قال منصور بن عمار الواعظ خرجت ليلة من الليالى فظننت ان الفجر قد طلع واذا هو ليل فقعدت على دهليز مشرف واذا أنا بصوت انسان يدعو ويبكى ويقول وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ولقد عصيتك اذ عصيتك بجهلى وما أنا بنكالك جاهل ولا بنظرك مستخف سولت لى نفسى واعاننى عليها شقوتى وغرنى سترك المرخى على فمن عذابك من ينقذنى ومن ايدى زبانيتك من يخلصنى وبحبل من أتصل ان قطعت حبلك عنى واسوأتاه اذا قيل للمخفين جوزوا وللمثقلين حطوا فيا ليت شعرى أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ويحى كلما طال عمرى كثرت ذنوبى ويحى كلما كبر سنى كثرت خطاياى فيا ذلى كم أتوب وكم أعود ولا أستحى من ربى قال فلما سمعت كلام هذا الانسان وضعت فمى فى باب داره وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت اضطرابا عظيما ثم سكن فظهر ان الشاب قد قضى نحبه انتهى فتامل يا أخى رقة هاتيك القلوب وشدة خوف المطلوب فالله يرحمهم ويرحمنا ببركات أنفاسهم (قوله ذكرتك الخ) أى تذكرتك على معنى دام قلبى على مراقبتك لا على معنى التذكر بعد سبق الغفلة على ما يوهمه اللفظ وقوله وايسر اى اسهل وأقل ما فى أنواع الذكر ذكر لسانى مع حضور قلبى وقتا ما واعلاها الاستغراق جميع الاوقات فى الذكر على الوجه المذكور مع عدم خطور السوى على القلب وقوله وكدت أى قاربت وانا بلا وجد اى بلا شوق كامل أموت من الهوى اى افنى وانعدم مما أصابنى من هواك وحبك وقوله ولما فتح على الوجد أشار الشارح الى ان مدخول الواو محذوف قدره بقوله ولما فتح على الوجد الخ وهو ظاهر والهيمان زيادة التعلق بالمحبوب المرتب عليه حيرة المحب والخفقان داء يعترى القلب خطر بما يسرع به الموت وقوله فلما أرانى الوجد الخ محصله انتقاله منه الى الوجود على ما ذكره الشارح بوجه بليغ وقوله شهدتك جواب لما والمراد بالمشاهدة انكشاف الاسماء والصفات بمظاهرهما لعين البصيرة وقوله فخاطبت موجودا يعنى وجودا مطلقا بغير تكلم لفظى بل معنوى بلسان قلبى وقوله ولاحظت معلوما بغير عيان الملاحظة الانكشاف الحاصل باللحظ الذى هو مؤخر العين لكن المراد مطلق الانكشاف

وقوله

وقوله معلوما أى بالآيات والبراهين الدالة على تحقق ذاته ودوام صفاته وقوله بغير عيان
اى معاينة بل ببصيرة القلب بواسطة ما انكشف لها من احاطة العلم القديم بسائر الحركات
والسكنات (قوله ومن خصائص الذكر الخ) الغرض بيان شرف الذكر على غيره من باقى
العبادات قال تعالى ولذكر الله أكبر وطلبه من العبد فى غالب احيانه يدل على زيادة
فضيلته (قوله اما فرضا واما ندبا) أى كتكبيرة الاحرام ونحو الذكر فى الركوع والسجود
فى الصلاة (قوله كوقت الجلوس الخ) أى لكراهته فى مثل ذلك وما يعد مثله وقوله ووقت
الخطبة أى تقديما للاهم على المهم (قوله قال الله تعالى الذين يذكرون الله الخ) المراد بهم
الذين لا يغفلون عنه تعالى فى عامة أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره واستغراق سرائرهم
فى مراقبته لما يقنوا ان كل ما سواه فائض منه وعائد اليه فلا يشاهدون حالا من الاحوال
فى أنفسهم ولا فى غيرهم الا منه واليه وقوله تعالى قياما وقعودا وعلى جنوبهم يشير الى
ان ذلك بحسب كل شان من شؤنه سواء كان ذلك من حيث الذات أو من حيث الصفات
والافعال وسواء قارنه الذكر اللسانى اولا وقوله وعلى جنوبهم متعلق بمحذوف معطوف
على الحالين اى وكائنين على جنوبهم أى مضطجعين والمراد تعميم الذكر للاوقات كما مر
وقوله ويتفكرون فى خلق السموات والارض أى يتفكرون فى افعاله سبحانه اثر بيان
تفكرهم فى ذاته تعالى على الاطلاق فهى آيات تكوينية مرشدة للمتفكر فيها على
الوجوب الذاتى له تعالى والوحدة الذاتية والملك القاهر والقدرة التامة والعلم الشامل
والحكمة البالغة وغير ذلك من صفات الكمال ومرشدة أيضا على تحقق حقيقة المعاد لان
من قدر على هذا الانشاء العجيب بلا مثال يحتذيه وقانون ينتحيه فهو على اعادته بالبعث
اقدر فحكم المتفكر بان ذلك ليس الا لحكمة باهرة هى جزاء المكلفين بحسب أعمالهم
واعتقاداتهم التابعة لانظارهم فيما نصب لهم من الحجج والدلائل والامارات والمخايل
واعلم ان الاعمال غير مختصة بالجوارح بل متناولة للقلبى بل هو اشرف افراده كما يرشد
اليه قوله جل جلاله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون أى ليعرفون كما عبر عنه خبر
كنت كنزا مخفيا الحديث وانما طريق المعرفة النظرى التفكر فيما ذكر من شؤنه تعالى
فالفكر أشرف أنواع العبادة اذ شرف العلم بشرف المعلوم ولا أجل منه سبحانه وتعالى
(قوله قال الله تعالى الذين يذكرون الله الخ) دليل لمشروعية الذكر فى عموم الاحوال وفى
جميع الاوقات واما حمل الذكر فى الآية الكريمة على الصلاة فى هذه الاحوال بحسب
الاستطاعة كما قال صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء فمما لا يساعده سياق النظم الجليل ولا سباقه وبذلك
تعلم ما أتى للشارح نفعنا الله بعلومه من قوله ما قاله ليس تفسيرا للآية لانها انما جاءت
فى بيان الصلاة وقت الاعذار وتعلم ان فيه نظرا ظاهرا *(تنبيه)* قيل لبعضهم ما علامة
السعادة والشقاوة فقال علامة السعادة ان تطيع الله تعالى وتخاف ان تكون مردودا

(ومن خصائص الذكر انه
غير موقت) بوقت معين (بل ما من
وقت من الاوقات الا والعبد
مأمور بذكر الله اما فرضا واما ندبا)
الا فى الاوقات التى ورد الشرع
باستثنائها كوقت الجلوس
لقضاء الحاجة ووقت الجماع
ووقت الخطبة لمن سمعها (والصلاة
وان كانت اشرف العبادات)
بعد الايمان لخبران العبد اول ما
يحاسب يوم القيامة عن صلاته
فان قام بها نظر فى بقية أعماله
(فقد لا تجوز فى بعض الاوقات
والذكر بالقلب مستدام فى
عموم الحالات قال الله تعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم سمعت الاستاذ
الامام أبا بكر بن فورك رضى الله
عنه يقول قياما بحق الذكر وقعودا
عن الدعوى فيه) ما قاله ليس
تفسيرا للآية لانها انما جاءت فى
بيان الصلاة وقت الاعذار

وإنما هو من باب الاعتبار فانه جار فى سائر الاعمال فان المطلوب من العبد ان يقوم بها الله على وجهها و يتبرأ من دعوى قيامه
بها الا بعون ربه عليه (وسمعت الشيخ ١٦٣ أبا عبد الرحمن السلمى يسأل الاستاذ أبا على الدقاق فقال الذكر) للشئ
(أتم أم الفكر) فيه (فقال
الاستاذ أبو على الدقاق ما الذى
يقول الشيخ فيه فقال الشيخ أبو
عبد الرحمن عندى الذكر أتم من
الفكر لان الحق سبحانه يوصف
بالذكر) لانه ذاكر لكل شئ اذ
لايخفى عليه شئ (ولا يوصف
بالفكر) لانه وسيلة لتحصيل مالم
يحصل وهو محال على الحق تعالى
(وما وصف به الحق تعالى اتم مما
اختص به الخلق فاستحسنه الشيخ
أبو على رحمه الله) فاذا امر الله
على العبد بالذكر لشئ استغنى به
عن الفكر الذى يحصله به فكان
الذكر اتم (وسمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمى رحمه الله يقول
سمعت محمد بن عبد الله يقول
سمعت الكتانى يقول لولا ان
ذكره فرض على) بامره (لما
ذكرته اجلالا له) اى لما
رايت نفسى اهلا لان اذكره
لاجلالى له (مثلى) فى الحقارة
(يذكره ولم يغسل فمه) بعد ذكره
(بألف توبة متقبلة عن ذكره)
اى لان من اتى بما لا يليق به
فالائق به التوبة منه (وسمعت
الاستاذ ابا على رحمه الله ينشد
لبعضهم) فى معنى ذلك (ما ان)
زائدة (ذكرتك) يا الله (الا هم)
اى اراد (يزجرنى * قلبى وسرى وروحى عند ذكراكا حتى كان رقيبا منك يهتف) أى يصوت (بى * (قوله
اياك ويحك والتذكار اياكا) أى اذا خطر لى ان اذكرك قام بقلبى وسرى وروحى زجر يبعدنى عن ذكرك وكان محذرا يحذرنى
بقوله اياك ان تقرب التذكار اياك لكونى لست أهلا له

وعلامة الشقاوة ان تعصى الله تعالى وترجو ان تكون مقبولا و يؤيده قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال الجنيد رضى الله عنه يخلص الى القلوب من بره تعالى على حسب ما خلصت القلوب به اليه من ذكره فانظر ماذا يخالط قلبك وقال أيضا الانس بالمواعيد والتعويل عليها اخلال فى الشجاعة والوقت اذا فات لا يستدرك وليس شئ أعز من الوقت قلت وهذا منه تحريض على الذكر ونهى عن القنوع به فى وقت دون وقت وهى أوقات المواعيد فالشجاعة عمل الانسان بما سمع فيها وتكون المواعيد محركة له على الدوام ولذا قال الوقت اذا فات لا يستدرك فهو يريد الحث على عمارة الاوقات بالذكر (قوله وانما هو من باب الاعتبار) أى المعنى المعتبر لعدم ما ينافيه لعموم اللفظ وان كان المورد خاصا (قوله فانه جار الخ) أى فان هذا المعنى جار فى سائر الاعمال التى من جملتها الذكر (قوله فقال الذكر للشئ أتم ام الفكر فيه) اى ام الفكر فيه مجردا عن الذكر والا فمن المعلوم ان اجتماعهما من أكمل العبادات (قوله عندى الذكر أتم من الفكر) لعل المراد ذكر اللسان مع حضور القلب وقصده وتوجهه والا فمجرد ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة بالنسبة الى الفكر قال الجنيد رضى الله تعالى عنه رأيت ابليس فى المنام وهو عريان فقلت له الا تستحى من الناس فقال الناس فى مسجد الشونيزية اضنوا جسدى واحرقوا كبدى فلما انتبهت غدوت على مسجد الشونيزية فرأيت جماعة وقد وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأونى قالوا لا يغرنك حديث الخبيث قلت وفيه تنبيه للجنيد على دوام الذكر والفكر فيه فانه الذى يقصم ظهر الشيطان (قوله استغنى به عن الفكر الذى يحصله به) أى لا عن مطلق الفكر وقوله فكان أتم اى اتم من الفكر المخصوص المذكور فى كلام الشارح ووجه الاتمية ما فيه من القيام بحق العبودية بامتثال قوله جل جلاله اذكرونى مع انه من الوسيلة الى مطلق الفكر الذى به يكون الترقى الى على المقامات (قوله لولا ان ذكره فرض الخ) مراده انه لولا طلب الذكر منه شرعا لما رأى نفسه أهلا لذكره تعالى من حيث استصغار نفسه وعظم امر المذكور فى قلبه فيكون ذكره فرضا كان او نفلا لاجل الامتثال فقط (قوله مثلى فى الحقارة يذكره الخ) جملة مستأنفة ذكرت ايضاحا لما قبلها او تعليلا له (قوله ولم يغسل فمه) أى يطهره بالف توبة متقبلة عن ذكره ليس المراد حقيقة العدد بل التكثير فقط (قوله لان من أتى بما لا يليق به) أى بقطع النظر عن كونه مأمورا بالذكر اما بعد اعتبار الامر فهو من المطلوب فرضا أو نفلا (قوله ما ان ذكرتك الخ) محصله افادة انه من حيث امره بالذكر ذاكر ومن حيث استصغار نفسه مع شهود جلال ربه مستحى متذلل صاغر يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة

(ومن خصائص الذكر انه جعل فى مقابلته الذكر) من الله للذاكر حيث (قال الله تعالى فاذكرونى اذكركم) أى اثنى عليكم (وفى خبر ان جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يقول أعطيت امتك مالم اعط أمة من الامم فقال وماذاك يا جبريل قال قوله تعالى فاذكرونى اذكركم) فانه (لم يقل تعالى هذا لاحد غير هذه الامة) وهذا فى حق من أحب ربه وتوالى ذكره على قلبه حتى أحبه ربه (وقيل ان الملك) الذى يقبض الارواح (يستأمر الذاكر فى قبض روحه) اكراما وتشريفا له ويجرى الله على لسانه ما تكمل به منزلته عنده ولا يختار الا ما سبق له (وفى بعض الكتب ان موسى عليه السلام قال يارب اين تسكن فأوحى الله تعالى اليه) اسكن (فى قلب عبدى المؤمن ومعناه سكون الذكر فى القلب) فقوله تسكن أى يسكن ذكرك بحذف مضاف (فان الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل سكون) وحركة (وحلول وانما هو) أى السكون (اثبات ذكر وتحصيل) له فى قلب العبد بان يسكن الذكر ويحصل فيه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت فارسا يقول سمعت الثورى يقول سمعت ذا النون وقد سألته عن الذكر فقال هو غيبة الذاكر عن الذكر) بان يكون العبد مستغرقا فى المذكور (ثم أنشأ يقول

(قوله ومن خصائص الذكر الخ) أقول ان لم يكن له من الخصائص غير هذا لكفى فى مزيد شرف الذاكر * (تنبيه) * قال النورى حيل بينى وبين قلبى منذ اربعين سنة فلا اشتهيت شيأ ولا تمنيت شيأ منذ عرفت ربى عز وجل وانشد

ذكرت ولم اذكر حقيقة ذكره * ولكن بداوى الحق تبدو فانطق
اذا ما بدا ذكر اذكرته * يغيبنى عن ذكر ذكرى فاغرق
واغرق بالذكر الذى قد ذكرته * عن الذكر بالذكر الذى هو اسبق

قلت وفى هذا منه رضى الله تعالى عنه اشارة الى مراتب الذكر ودرجة الذاكرين فى ذكرهم فقوله ذكرت ولم اذكر الخ اشارة الى أول درجة الذاكرين من العارفين من انهم يدومون على شهود التقصير فى عبادتهم وانهم لا طاقة لهم على القيام فيها بواجب حقه تعالى بشاهد خبر سبحانك ما عبدناك حق عبادتك وقوله ولكن بداوى الحق الخ يريد بها أوائل نعمه تعالى الواردة على قلبه الباعثة فيه المحركة الى الذكر وقصده التى هى نعمة التوفيق والهداية وقوله فانطق أى فنكون سببا فى نطقى بذكره سبحانه وتعالى وقوله اذا ما بدا ذكر الخ توضيح لما ذكرنا مع زيادة انه فى هذه الحالة يستغرق فيها أو فانه ويغرق فيها اى ينعدم عن خطور السوى بقلبه وقوله واغرق بالذكر الخ يشير به الى انه فى حالة استغراقه على الوجه الذى تقدم اذا ظهر له ذكر الله اياه قبل ذكره هو غيبه فيستغرق فى شهود فضل الله تعالى عليه بالذكر له قبل ذكره فهو حينئذ قد حيل بينه وبين شعوره بذكره بواسطة استغراقه فى نظره الى فضل ربه عليه بسابق ذكره اياه فهو غريق فى درجات الذاكر واحوال المذكور محجوب عن كونه ذاكرا (قوله وهذا فى حق من أحب ربه) أى هذا الجزاء وهذه الثمرة بالنسبة لمن احب ربه بان ذكره محبة واجلالا فكان ذكره حق الذكر لا لمطلق ذاكر (قوله يستأمر الذاكر الخ) أى يستأذن الذاكر ليفعل ما يأمره به اكراما وتشريفا له وان كان فى نفس الامر لا يتم الا ما تعلقت به ارادة ربه تعالى وقوله ويجرى الله الخ أى يوفقه الا له للنطق بما تكمل به منزلته وترتفع به درجته وان كان فى الواقع ونفس الامر لا يختار الا ما سبق له فى العلم القديم على مقتضى الحكمة لباهرة انحتم ما سبق به القضاء الازلى (قوله فاوحى الله تعالى اليه اسكن فى قلب عبدى المؤمن) يشير الخبر الى ان المؤمن كامل الايمان تدوم له مراقبة الحق تبارك وتعالى ويدوم له ذكره فحينئذ أل فى المؤمن للعهد والمعهود هو الكامل (قوله فقال هو غيبة الذاكر عن الذكر) أى ويقال لمثل هذه الاحوال صوامع الذكر وهى المواطن المعنوية التى تصون الذاكر عن التفرق والشتات عن مذكوره وتجمع همته عليه بالكلية ويقال لها أيضا صورة الارادة وهى انقطاع النفس عن رؤية وقوع شئ بارادة غير الله وشهود وقوع جميع الاشياء بارادته جل شأنه وهذا هو الذكر حق الذكر (قوله ثم أنشأ يقول الخ) اقول وما انشأه من بديع القول حيث هو من الانشاء بلسان الاحبة يختص برحمته من يشاء

شيأ اكثر من ذكره (وقال سهل ابن عبد الله مامن يوم الا والجليل سبحانه ينادى ياعبدى ما انصفتنى اذكرك وتنسانى وادعوك الى وتذهب الى غيرى واذهب عنك البلايا وانت معتكف على الخطايا يا ابن آدم ماتقول غدا فى الجواب (اذا جئتنى) كل ذلك مأخوذ من ادلة وردت به (وقال ابو سليمان الدارانى ان فى الجنة قيعانا) اى امكنة مستوية من الارض (فاذا اخذ الذاكر فى الذكر اخذت الملائكة فى غرس الاشجار) فيها جزاء لعمله (فربما يقف بعض الملائكة) عن الغراس (فيقال له لم وقفت فيقول فتر صاحبى) عن العمل فجوزى بذلك لقوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون ولخبر انما هى اعمالكم ترد عليكم وهؤلاء الملائكة يحتمل انهم يطلعون على أعمال العباد ويحتمل أن تكون الملائكة الموكلون بالعباد ينقلون اليهم أحوالهم (وقال الحسن) البصرى (تفقدوا) أى اطلبوا (الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فان وجدتم) الحلاوة فذاك (والا فاعلموا أن الباب) أى باب النشاط فى الاعمال (مغلق) بسبب قسوة فى القلوب فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم

فافهم (قوله لالانى انسالك الخ) محصله مع ما فيه من الرقة واللطافة انه دائم الذكر بالقلب واللسان وانما تارة يدرك ذكر لسانه لرجوع بعض احساسه وتارة يشتغل بمذكوره ويستغرق فيه فيغيب فيه عما سواه فيجرى ذكره على لسانه من غير احساس له بذلك لفيضانه عن امتلاء القلب والله اعلم بأحوال خلقه (قوله فان من احب شيأ الخ) هو بمعنى خبر واردساقه كالدليل على مدعاه (قوله مامن يوم الا والجليل سبحانه ينادى) اى ينادى بنفسه على ما يليق به او يأمر ملكا ينادى وقوله ياعبدى ما انصفتنى الخ فى تقديم قوله ياعبدى باضافة التشريف مايقصم الظهور بالنسبة لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وبعبارة اخرى يقال فى تقديم ذلك تانيس واسترجاع بلطف على حد قوله جل شأنه عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله اذكرك وتنسانى اى احسن اليك واثنى عليك وانت تدوم على مخالفتى والاعراض عنى وتقف مع الآثار وتغفل عن المؤثر وقوله وادعوك اى اطلبك الى عبادتى على لسان رسلى وتذهب الى غيرى فتشتغل بما يفنى وترغب عما يبقى وقوله واذهب عنك البلايا اى الامتحانات فى البدن وفى غيره وانت معتكف على الخطايا ومصر على المخالفات وقوله يا ابن آدم ماتقول غدا اى يوم العرض على فماذا يكون جوابك اذا سألتك واجبتنى وفى هذا مايذيب القلوب ويوجب القيام بالحق المطلوب ولكنه غير بعيد صدوره من المحجوب نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (قوله وقال ابو سليمان الخ) المراد من نقل كلامه رضى الله عنه بيان بعض ثمرات الذكر (قوله انما تجزون ما كنتم تعملون) اى ثواب اعمالكم (قوله ترد عليكم) أى يرد عليكم ثوابها وجزاؤها (قوله تفقدوا أى اطلبوا الخ) والمراد بالحلاوة المذكورة مطلق اللذة وقد أفاد بذلك ان من امارات القبول وجود الحلاوة والنشاط ويعلم منه حكم ضد ذلك (قوله والا فاعلموا الخ) معناه ان وجود اللذة فى الاعمال يسهلها ويحمل على النشاط فيها ولذلك عبر عنه بالفتح أى فتح باب التيسير فاذا لم توجد ماذكر فالباب مغلق لم يفتح بعد * (لطيفة) * نقل فى مناجاة ابى يزيد انه قال ليس العجب من حبى لك وأنا فقير انما العجب من حبك لى وأنت ملك قدير قلت وهو بالغ وذلك لان الفقير المحتاج اذا أحب القادر الغنى المنعم لا يتعجب منه لان ذلك بمقتضى الطبع والفقر والحاجة وانما العجيب وما به الشرف والكمال حب الملك القادر الغنى للعبد الفقير الذليل مع استغنائه عنه وتنزهه عن الحاجة اليه تعالى الله علوا كبيرا ويوضح ذلك ويقويه مانقل عن أبى يزيد أيضا انه قال غلطت فى ابتداء أمرى فى أربعة أشياء توهمت انى أذكره وأعرفه وأحبه وأطلبه فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكرى ومعرفته تقدمت معرفتى ومحبته أقدم من محبتى وانه طلبنى أولا حتى طلبته أقول وذلك صحيح لان الله تعالى هو الذى اختصه فى أزله قبل ان يخلقه بجميع هذه الصفات وهو الذى

فجئنا الى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست معه فلما كان برد الليل وبرد الهوا خرجت الحيات فصحت بالشيخ) خوفا منها (فقال) لى (اذكر الله فذكرت) الله (فرجعت ثم عادت فصحت به فقال) لى (مثل ذلك) أى اذكر الله (فلم أزل الى الصباح فى مثل ذلك الحال فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة وقد تطوقت به فقلت) له (ما أحسست بها فقال لا منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة) أى الليلة فيه دلالة على ان ذكر الله من الصادق يدفع عنه كل بلاء لتوكله عليه ولانه لا ضار ولا نافع سواه وقد حكى ان عامل افريقية كتب الى عمر بن عبد العزيز يشكو اليه كثرة الهوام عنده يعنى الحيات والعقارب فكتب اليه عمر وما لنا ألا نتوكل على الله ١٦٥ وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون قيل وهى تنفع من البراغيث وقد جربت فصحت (وقال أبو عثمان من لم يذق وحشة الغفلة) عن الذكر (لم يجد طعم أنس الذكر) لان من لم يستأنس لم يستوحش اذ كيف يستوحش من الشئ من لم يستأنس به فمن من الله عليه بأنسه ولذة مناجاته ثم أغفله عن ذلك وجد فى قلبه وحشة البعد فلا يجد هذه الوحشة الا من تقدم له الانس فمن ذاق تلك الوحشة وجد طعم ذلك الانس (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الرحمن بن عبد الله الذيالى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السرى يقول مكتوب فى بعض الكتب التى أنزلها الله تعالى اذا كان الغالب على) قلب (عبدى ذكرى عشقنى وعشقته) يعنى أحبنى وأحببته قال تعالى يحبهم ويحبونه لكن اللفظ المذكور يحتاج الى توقيف (وباسناده) المذكور أيضا (انه أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام بى فافرحوا) قال تعالى فبذلك فليفرحوا أى بما فتح الله عليهم من فضله (وبذكرى) ومناجاتى والانس بى (فتنعموا) لان ذلك أفضل نعيم (وقال النورى رحمه الله تعالى لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر) لان العارف محب والمحبة اما لتوالى النعم فالعبد يحب من أنعم عليه واما لكمال المعرفة بالجلال والجمال وغيرهما من صفات الكمال فالعبد بهما مقرب وهذه محبة العارفين ومن أحب شيأ أكثر من ذكره فمتى شغل الله العبد بغيره حتى أنساه اياه أو فتر عن ذكره دل ذلك على عقوبة لجرم وقع منه

خلقها له فى وقت قيامها به وأما طلبه أولا فلان البارئ تعالى لم يزل آمرا ناهيا واعدا متوعدا مخبرا مستخبرا الى سائر أقسام الكلام الازلى (قوله فجئنا الى موضع الخ) فى ذكر هذه القصة دلالة على صدق التجاء الاستاذ الى الحق تبارك وتعالى (قوله فيه دلالة على أن ذكر الله الخ) أى ووجهه ظاهر وذلك لانه دائما يغلب عليه الخوف منه تعالى ومن كان كذلك لم يخف غيره بل يخاف منه كل شئ لما يجعل الله له من الجلالة والهيبة (قوله وهى تنفع من البراغيث) أى بشرط صدق النية وقوة العزيمة (قوله لان من لم يستأنس الخ) أى لان الشئ ان لم يدرك لا يتعقل ضده كما لا يخفى (قوله وجد فى قلبه وحشة البعد) أى من ألم فراق ما ألفه واعتاده من لذة ذكر ربه تعالى (قوله فمن ذاق تلك الوحشة الخ) أى ولذلك قال قائلهم

لا يعلم الشوق الا من يكابده * ولا الصبابة الا من يعانيها

(قوله لكن اللفظ المذكور) أى الذى هو اطلاق لفظ العشق عليه تعالى يحتاج الى توقيف أى اذن وارد من الشارع صلى الله عليه وسلم وفيه انه يكفى فى سند الجواز مثل هذا الاستاذ لان مثله لا ينقل من قبل الرأى فلعل وجه الاستدراك ان شرع من قبلنا ليس شرعا لنا وان ورد فى شرعنا ما يقرره (قوله أى بما فتح الله عليهم من فضله) أشار به الى أن معنى فبذلك فليفرحوا فبفضلى واحسانى فليفرحوا (قوله لان ذلك أفضل نعيم) أى فى الدنيا والآخرة نعم مشاهدة الحق تعالى وسماع كلامه يوم القيامة لا يماثله شئ (قوله انقطاعه عن الذكر) أى لانه قد احتجب عما به تلذذه وتنعمه (قوله والمحبة اما لتوالى النعم الخ) أقول لما كانت المحبة تستدعى نوعا جاذبا للقلب المحب بين ذلك بانه بالنسبة له تعالى اما شهود النعم وتواليها عند من قصرت همته ووقف مع الآثار واما شهود صفات الجمال والكمال عند العارفين المحققين ممن انخلع عن الآثار بشهود

وربما كان ذلك سببا لعلو درجته لشدة وجده ودوام قلقه كما جاء فى خبران العبد يذنب الذنب فيكون سبب سعادته (وفى الانجيل اذكرنى حين تغضب) ولا تتعد الحدود (أذكرك حين أغضب) ولا أؤاخذك بجرمك (وارض بنصرتى لك فان نصرتى لك خير لك من نصرتك لنفسك) فى ذلك تنبيه على السعى فى ازالة الغضب لئلا يعمل بمقتضاه وهو من الاخلاق التى تزيل العقل (وقيل لراهب أأنت صائم فقال صائم بذكره) عن ذكر غيره أى ممسك عنه كالممسك عن المفطرات (فاذا ذكرت غيره أفطرت) فى ذلك تنبيه للسائل على درجة ارفع مما سأل عنه فانه سأله عن الامساك عن الطعام الذى فيه فضيلة الصوم فأجابه بالامساك عن ذكر غير الله لدوام شغله بالله (وقيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان) بان سلطه الله عليه بواسطة عدو من الانس (صرع) الشيطان بذلك القلب الذى تمكن فيه الذكر فيفسد عليه حاله (كما يصرع الانسان اذا دنا منه الشيطان) الانسب بما قبله من الشيطان (فتجتمع عليه) أى الشيطان المصروع (الشياطين فيقولون ماله هذا) الشيطان صرع (فيقال قد مسه الانس) بقلبه بخلاف مس الجن للانس فانهم يسلكون فيه ويتكلمون على لسانه فيتحركون باعضائه ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه وصارعه فصرعه وذلك لكمال قوته وصحة عزمه واعتماده على ربه قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا (وقال سهل) بن عبد الله (ما أعرف معصية أقبح من نسيان)

انفراد المؤثر سبحانه وتعالى (قوله وربما كان ذلك سببا لعلو الخ) أى وذلك هو الاليق بمقام العارف وان صح أن يكون للتكفير أيضا (قوله اذكرنى حين تغضب الخ) المراد تذكرنى باحاطة على بك وتذكر وعيدى ووعدى تنكسر منك القوة الغضبية وتنطفئ نيرانها منك ويرشد الى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لبعض أصحابه وهو يضرب غلاما له يا فلان الله أقدر عليك منك عليه فقد نبهه بجلال الله سبحانه وتعالى وقدرته وعظمته واحاطة علمه به فانكف عن الضرب واعتق الغلام وما ضرب بعد ذلك أحدا (قوله خير من نصرتك الخ) أنت خبير بان التفضيل على غير بابه بل المقصود أصل الفعل اذ لا خير فى نصرة العبد لنفسه (قوله فى ذلك تنبيه على السعى فى ازالة الغضب) أى وحث على الحلم وايثار العفو ولا سيما مع القدرة على المؤاخذة (قوله فقال صائم بذكره عن ذكر غيره) قال بعضهم قد تكلم بعض المتأخرين فى ملازمة ذكر اسم الجلالة الذى هو الله مفردا مع تكريره طلبا لجمع الهمة وكمال الحضور وليستغرق القلب فى الخضوع والخشوع وقال قول القائل الله مفردا كلام غير مفيد ولا بد فى افادته معنى مستقلا من أنه يضاف اليه زيادة كقوله الله معى أو ناظر الى او راجى أو نحو ذلك وهذا منه وان صح معناه فى اللغة من حيث ان الاسم المفرد المبتدأ به انما تكمل فائدته بالخبر عنه فهو لا يخرج عن كونه ذكرا ومتضمنا الفائدة وهى الاعلى وجود ذات موصوفة بالالوهية باعتبار اضافة التأله اليه سبحانه وتعالى وهو التعبد أو العلو أو الرفعة فكلما كرر العبد الاسم الشريف تكررت هذه المعانى على قلبه فيحصل ما أشاروا اليه من معنى نحو هى لان ذلك ملازم للقلب لا يفارقه أبدا اذ هو معتقده تأمله فانه نفيس (قوله وقيل اذا تمكن الذكر من القلب الخ) فيه فائدة الفرق بين صرع الشيطان من الانسان وعكسه (قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الخ) من المعلوم ان الاضافة تأتى للشرف والكمال فالمراد بالعباد معهودون وهم الصادقون فى عبوديتهم بدوام جدهم فى عبادتهم فمثلهم من يقال فى شأنهم ليس لك عليهم سلطان أى تسلطك بغلبتك على قلوبهم وذلك لحفظهم بالانوار الالهية وكفاهم شرفا أى شرف بهذه الاضافة والله أعلم *(رقيقة)* قال سهل استجلب حلاوة الزهد بقصر الامل واقطع أسباب الطمع بصحة اليأس وتعرض لرقة القلب بمجالسة اهل الذكر واستجلب نور القلب بدوام الحذر واستفتح باب الحذر بطول الفكرة وتزين لله تعالى بالصدق فى جميع الاحوال وتحبب اليه بتعجيل الانتقال واياك والتسويف فانه بحر يغرق فيه الهلكى واياك والغفلة فان فيها فساد القلب واياك والتوانى فيما لا عذر فيه فانه ملجأ النادمين واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم وكثرة الاستغفار فتأمل بأشقيق اشارات الحق وامارات الصدق تعرف ثمرة عمارة القلوب بظهور حكم انوار

المحبوب

أي ترك (هذا الرب تعالى) لتركه ما ينفعه واشتغاله بما لا ينفعه (وقيل الذاكر الذي) وهو عمل القلب أو العزيز وجوده من العارف كان يستغرق في ذكره حتى يغفل عن نفسه وذكره لكمال شغله بمذكوره (لا يرفعه الملك) الى الله (لانه لا اطلاع له عليه فهو سر بين العبد وبين الله) تعالى (وقال بعضهم وصف لي ذاكر في اجمة فيها سبع (فاتيته فبينا هو جالس اذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشي عليه وعلي فلما افاق) وافقت (قلت ما هذا الامر فقال قيض الله تعالى هذا السبع علي فكلما داخلني فترة) في عبادتي (عضني عضة كما رأيت) هذا من اللطف والاعتناء بمن يريد الله دوام ذكره له وشغله به حيث يقيض له من يؤذيه ويؤلمه اذا غفل ليشتد حذره من الغفلة ويعظم أجره على صبره على ما يقاسيه والا فالله قادر على ان يخلق له ذكره ويزيل منه غفلته من غير عض السبع كما ابتلى الانبياء والاولياء بالآلام والاسقام زيادة في درجتهم وان كان قادرا على ان ينيلهم ما نالهم بغير مشقة ولكن هذه سنته لان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يحيي يقول سمعت جعفر بن نصير يقول سمعت الجريري يقول كان بين اصحابنا رجل يكثر ان يقول الله الله فوقع يوما على راسه جذع فانشج) به (رأسه فسقط الدم فاكتتب على الارض الله الله) فيه تنبيه على أن الذكر اذا توالى على العبد خالط لحمه ودمه وهو دليل على شرفه ورفعة مقامه * (باب الفتوة) *

المحبوب على لسان المراد المخطوب لتشمر عن ساعد الجد والاجتهاد فقد قرب الميعاد فلا تقنطك الذنوب بل اقرع باب الفتح تجد المطلوب لان موائد الكرم لا تبيد والمواهب الربانية دائما تزيد واسمع نصيحة اخ شفيق فقد قيل الرفيق قبل الطريق ولاسيما والسفر طويل والزاد قليل والله اعلم (قوله اي ترك هذا الرب) المراد بتركه ترك طاعته وعبادته اشتغالا عنها بالحظوظ والعادات الضارة (قوله او العزيز وجوده) ظاهر عطفه على قوله وهو عمل القلب ان مراده ما يشمل اللفظي وربما لا يوافقه قول المصنف بعد لا يرفعه الملك لانه لا اطلاع له عليه (قوله فهو سر الخ) اي فاحصاؤه كالمجازاة عليه له تعالى خاصة (قوله هذا من اللطف الخ) اي وذلك بواسطة سابق الحكمة والقضاء الازليين * خاتمة * نسأل الله تعالى حسنها قال يحيى بن معاذ الرازي لست ابكي على نفسي ان ماتت انما ابكي على حاجتي ان فاتت وقال ايضا في بعض مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الاعمال لاني اجدني مع الاعمال اعتمد على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالغدر معروف واجدني في الذنوب اعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف الهي احلى العطايا في قلبي رجاؤك واعذب الكلام على لساني ثناؤك واحب الساعات الي ساعة يكون فيها لقاؤك انتهى

(باب الفتوة)

هي ايثار الغير على النفس وهي مختلفة قوة وضعفا فادناها الايثار بالجاه والمال وأعلاها الايثار بالنفس زيادة عن المال وهي انما تنشأ من كمال المروأة وطهارة النفس من الشهوة الحيوانية ومثل هذا في زماننا صار كالحديث المفترى كيف لا وقد ثبت قول بعضهم في سالف الازمان شعرا

مررت على المروأة وهي تبكي * فقلت علام تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكي وأهلي * جميعا دون خلق الله ماتوا

هذا ويدل على الفتوة قوله جل شأنه يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة أي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الامر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانتفاع الفقراء والزجر عن الافراط في السؤال والتمييز بين الخالص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف في الامر فقيل للندب وقيل للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات لانه وان اتصل به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا ولسان حاله يقول اذا رسمنا هذا مع عبدنا الذي جعلناه دليلا علينا وهاديا الى جنابنا ومرشدا لطلاب حضرتنا فكيف يكون الامر في جنابنا فنحن أولى وأحرى فلا بد حينئذ من تقديم البذل ثم أقول بذل العوام لما به قيام

هي كما سيأتي أن تكون ساعيا في امر غيرك ويقال هي ان لا تشهد لك فضلا ولا ترى لك حقا على غيرك ويقال غير ذلك وسيأتي وهي ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى) اذ الفتية جمع فتى وهو الشاب الكامل مأخوذ من الفتوة قال المحلي (اصل الفتوة ان يكون العبد ساعيا ابدا في امر غيره) بان يقضي حاجته ويترك حظه ومنه ويتغافل عن زلته ويقرب من يؤذيه ويكرمه ويعتذر الى من يجني عليه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الله في حاجة العبد مادام العبد في حاجة اخيه المسلم أخبرنا به علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا به أحمد بن عبيد قال حدثنا به اسمعيل بن الفضل قال حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال حدثنا به ابن أبي حازم عن عبد الله بن عامر الاسلمي عن عبد الرحمن بن هرمز الاعرج عن أبي هريرة عن زيد ابن ثابت رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله في حاجة العبد مادام العبد في حاجة اخيه المسلم) التقييد به هذا جرى على الغالب (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول هذا الخلق) بضم الخاء واللام أي الفتوة (لا يكون كماله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كل أحد في القيامة يقول نفسي نفسي وهو عليه السلام يقول أمتي أمتي) كما وردت به الاخبار الصحيحة وذلك لان الشغل بالغير عن النفس في هذا المقام غاية الفتوة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول الفتوة) محلها (بالشام واللسان) أي حسن النطق به محله (بالعراق والصدق) محله (بخراسان) هذا جرى على الغالب من أهل كل اقليم من هذه الاقاليم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ يقول سمعت محمد بن مردويه الصائغ يقول سمعت الفضيل يقول من الفتوة الصفح عن عثرات الاخوان) أي زلاتهم هذا ونظيره مما يأتي بعض الفتوة (وقيل الفتوة أن لا ترى لنفسك فضلا على غيرك وان عرفت فضلك ظاهرا لخفاء باطنه وخفاء العاقبة عليك لجواز التبديل والتغيير

الاشباح وبذل الخواص للمهج والارواح فافهم وربي أعلم (قوله هي كما سيأتي أن تكون ساعيا الخ) الاولى أن يقال في معناها هي ملكة في الشخص تحمل على البذل والجود بل تقتضي قوة الايثار وهو من لطف ربنا الرحمن (قوله ويقال هي ان لا تشهد الخ) الاولى أن يقال هي قوة تقتضي البذل مع شهود الفضل له تعالى (قوله وهي ممدوحة) أي مثنى على الموصوفين بها ومطلوبة أي ندب الشارع اليها (قوله قال تعالى انهم فتية) جمع قلة للفتى كالصبية للصبي سموا بذلك لتحقق ما كانوا عليه من حال الفتوة فانهم كانوا من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فهربوا منه بدينهم وهذه الجملة استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب وقوله آمنوا بربهم أوثر الالتفات للاشعار بعلية وصف الربوبية لايمانهم ولمراعاة ما صدر منهم من المقالة حسبما سيحكى عنهم وقوله وزدناهم هدى أي ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه وفيه التفات من الغيبة الى ما عليه سبك النظم سباقا وسياقا من التكلم (قوله وهو الشاب الكامل) أي الكامل في الجود وسعة البذل (قوله من الفتوة) أي مأخوذ منها وهي ملكة تحمل صاحبها على البذل والجود بل على الايثار كما تقدم (قوله بان يقضي حاجته الخ) ويجمع هذا كله قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم وخالق الناس بخلق حسن فمن تخلق بالخلق الحسن امتثالا لهذا فقد تفتى والله أعلم (قوله لا يزال الله في حاجة العبد) أي بالاعانة والنصرة والتوفيق وقوله مادام العبد في حاجة أخيه المسلم أي مدة كونه ساعيا في قضاء حاجة أخيه المسلم (قوله التقييد بهذا) أي بقوله المسلم في الخبر جرى على الغالب أي لان قضاء حاجة الذمي كذلك (قوله هذا الخلق الخ) التخصيص لمراعاة المقام والا فكمال كل خلق لا يكون الا له صلى الله عليه وسلم (قوله غاية الفتوة) أي والسبب في ذلك فناء العبد عن نفسه طالبا لمرضاة ربه (قوله هذا جرى على الغالب الخ) أي والا فقد توجد الفتوة في غير الشام وحسن النطق في غير العراق والصدق في غير خراسان لكنه من المعلوم أن الحكم للغالب (قوله بعض الفتوة) أي وحينئذ فالاقتصار عليه للاهتمام به ومثله يقال في غيره من قول من لم يستوف حقيقتها (قوله لخفاء باطنه) أي

(وقال ابو بكر الوراق الفتى من لا خصم له) لكمال أخلاقه الحميدة وبعده عن الذميمة وذلك بان يزهد في الدنيا ما لا وجاها فلا يخاصم غيره وان خاصمه غيره أعرض عنه (وقال محمد ابن علي الترمذي الفتوة أن تكون خصما لربك) أي لاجله (على نفسك) بان تمنعها من الميل الى الشهوات والكسل والبطالات وتحثها على الاستقامة على الطاعات لا للخوف والرجاء بل لكمال المحبة والتلذذ بالمناجاة (ويقال الفتى من لا يكون خصما لاحد) هو بمعنى ما مر عن الوراق ١٦٩ (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول سمي أصحاب الكهف فتية لانهم آمنوا بربهم بلا واسطة) وقيل لكونهم فتيانا فارقوا أهلهم وخرجوا الى ربهم فارين اليه معرضين عن حظوظهم الدنيوية فدحوا بكونهم تركوها لله ولذلك خرقت لهم العادة فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ولم يتغير لهم حال (وقيل الفتى من كسر الصنم قال الله تعالى سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقال تعالى فجعلهم جذاذا وصنم كل انسان نفسه فمن خالف هواه) ونفسه (فهو فتى على الحقيقة) ليس هذا تفسيرا للآية بل هو اعتبار لان ابراهيم عليه السلام انما كسر الاصنام التي كانوا يعبدونها ولكن لما كان العبد كثير الاشتغال بشهواته ولذاته سميت نفسه صنما لكونه مسخرا لها كالعبد كما قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة فسماه عبدا لهذه الاشياء لذلك (وقال الحرث المحاسبي الفتوة أن تنصف) غيرك (ولا تنتصف منه) بان تعطي الحق الذي عليك ولا تطالب بحقك غيرك لزهدك في الدنيا وكمال عدلك وانصافك وهذا بعض الفتوة اقتصر عليه اعتبارا بحال السائل (وقال عمرو بن عثمان المكي الفتوة حسن الخلق) لاشتماله على جميع الصفات الحميدة (وسئل الجنيد عن الفتوة فقال ان لا تنافر فقيرا ولا تعارض غنيا) هذا يجمعه الزهد في الدنيا (وقال النصراباذي المروأة شعبة من الفتوة وهو) أي ما ذكر من الفتوة (الاعراض عن الكونين) أي الدنيا والآخرة (والانفة) أي الاستنكاف (منهما

من القبول أو غيره ككونه من المدخول والمعلول بوجه خفي غير ظاهر (قوله الفتى من لا خصم له) أي لقوة فنائه عن حظوظه فسبب خصومته غير موجود لان الخصومة لا تحقق الا لمن زاحم غيره على محبوب له فمن زهد في الدنيا ما لا وجاها لا خصم له فيها بل ولا خصم له في الآخرة أيضا كما لا يخفى (قوله أن تكون خصما لربك) أقول هو أبلغ مما قبله اذ من كان كذلك لم يكن له خصم ويزيد بمخاصمة نفسه وحثها على طرق الاستقامة (قوله سمي أصحاب الكهف فتية) أي سماهم الله تعالى بهذا الاسم لانهم آمنوا بربهم بلا واسطة رسول أو ملك بل كان ايمانهم بالفطرة لسابق عناية الله بهم (قوله الفتى من كسر الصنم) الصنم هو الصورة من حجر أو غيره تتخذ لتعبد من دون الله (قوله سمعنا فتى يذكرهم) أي يعيبهم فلعله فعل ذلك بها فقوله يذكرهم مفعول ثان لسمعنا لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه بها وقوله فجعلهم جذاذا أي قطعا يقال لما هو مفعول من الجذ الذي هو القطع روي ان آزر خرج به في يوم عيد لهم فبدؤا بيت الاصنام فدخلوا فسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم وقالوا الى أن ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي ابراهيم عليه السلام فنظر الى الاصنام وكانت سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفاس كان في يده ولم يبق الا الكبير وعلق الفاس في عنقه وذلك قوله تعالى الا كبيرا لهم (قوله وصنم كل انسان نفسه الخ) غرضه ان الصنم في الحقيقة انما هو النفس فمن أقدره الله تعالى على كسرها بمخالفة هواها فقد أقدره على كسر كل صنم ظاهر وباطن من كل باطل يخالف وجه الشرع (قوله انما كسر الاصنام الخ) هو وان كان كذلك باعتبار معنى الآية الشريفة الا ان السبب فيه ما تقدم من كسر النفس (قوله ولكن لما كان العبد الخ) الغرض منه بيان نكتة تسمية النفس صنما (قوله الفتوة أن تنصف غيرك الخ) أي ويشهد له خبر المؤمن هين لين سهل اذا باع سهل اذا اشترى سهل اذا قضى سهل اذا اقتضى وياء هين ولين فيه مخففة (قوله ولا تطالب بحقك غيرك) الغرض نفي الشدة في المطالبة لا مطلقا وان كان الفتى الكامل لا يتحقق الا بنفيها مطلقا (قوله الفتوة حسن الخلق) أقول قد استوعب حقيقة الفتوة فلله دره (قوله ان لا تنافر فقيرا الخ) قاله مراعاة لحال المخاطب والا فما ذكر قبله أبلغ منه (قوله الاعراض عن الكونين)

بان يعمل العبد فلا يكون له حظ شوى موافقة مولاه والعمل بما يرضاه (وقال محمد بن على الترمذى الفتوة ان يستوى عندك المقيم) عندك (والطارئ) عليك فى عدم التكلف وسرعة الاكرام وهذا يحقق فى حال الطارئ عند أكثر الناس فاذا طالت اقامته عندهم وتكلفوا له استثقل ولذلك كانت الضيافة ثلاثة أيام فمن كملت فتوته استوى اكرامه للطارئ عليه ومن طالت اقامته عنده وذلك لكمال خلقه وهوان الدنيا عليه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت على بن عمر الحافظ يقول سمعت أباسهل بن زياد يقول سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول سئل ابى ما الفتوة فقال ترك ما تهوى) أى تشتهى (لما تخشى) عواقبه (وقيل لبعضهم ما الفتوة فقال ان لا يميز) العبد (بين ان يأكل عنده ولى او كافر سمعت بعض العلماء يقول استضاف مجوسى ابراهيم الخليل عليه السلام) اى طلب من ابراهيم ان يضيفه (فقال) أضيفك (بشرط ان تسلم فمر المجوسى) اى جاوزه ولم يطعه (فأوحى الله تعالى اليه نحن منذ خمسين سنة نطعمه) وهو مستمر (على كفره فلو ناولته لقمة من غير ان تطالبه بتغيير دينه) لكان خيرا لك (فمضى ابراهيم عليه السلام على اثره حتى ادركه واعتذر اليه فسأله عن السبب فذكر له ذلك) فانشرح صدره به (فاسلم المجوسى) فى ذلك تنبيه على حقارة الدنيا عند الله وقد حصل لابراهيم عليه السلام ماطلبه من المجوسى واجراء الحق على يديه (وقال الجنيد الفتوة كف الاذى) عن الناس (وبذل الندى) لهم يعنى الجود بالموجود (وقال سهل بن عبد الله الفتوة اتباع السنة) وهى ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وقد سئلت عائشة عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين (وقيل الفتوة الوفاء) بما عليك لله تعالى ولخلقه (والحفاظ) أى وحفظك الحدود بان لا تتعداها (وقيل الفتوة فضيلة تأتيها) أنت أى تتصف بها بان تكون أعمالك صالحة (ولا ترى نفسك فيها) بان تتبرأ فيها من حولك وقوتك وترى انها من فضل ربك عليك (وقيل الفتوة أن لا تهرب اذا أقبل) عليك (السائل وقيل ان لا تحتجب من القاصدين) اليك المال أو جاه او علم أو مساعدة بل تفرح بقدومهم عليك وتجيبهم الى قصدهم (وقيل ان لا تدخر) شيأ (ولا تعتذر) للسائل مع تمكنك من مساعدته أما اعتذارك له مع عدم تمكنك فزيادة فضل له وتطييب لخاطره كما قيل * ولا بد من شكوى الى ذى مروأة *

أى لان من علت همته وارتفعت منزلته بسابق العناية الالهية لا يلتفت الى شئ من الآثار بسبب فنائه فى المؤثر فلا شهود له لغيره وذلك أعلى درجات الفتوة واشرف منازلها (قوله بان يعمل العبد فلا يكون له حظ الخ) أى فيكون عمله للمحبة والاجلال لا غير (قوله وهذا يحقق الخ) أقول لعله باعتبار أكثر ناس زمانه والا فناس هذا الزمان لا يوجد ذلك فيهم الا بالنسبة للنادر منهم فانا لله وانا اليه راجعون (قوله ولذلك كانت الضيافة ثلاثة أيام) أى اعتبارا بغالب الاخلاق فلم تزد عن ذلك خشية الملل (قوله فقال ترك ما تهوى الخ) هو وان كان بليغا الا ان ما تقدم عن النصراباذى أبلغ منه فكل قد تكلم بحسب شربه (قوله لما تخشى عواقبه) أى ولما ترجوه مما أعده الله تعالى لمن كان كذلك (قوله فقال ان لا يميز الخ) أى وذلك لفنائه فى مرضاة ربه وسيده لمزيد محبته وهذا لا ينافى فضل أكل الولى واقل مؤمن على أكل الكافر الذمى (قوله استضاف مجوسى الخ) تقدمت هذه القصة وانما اعادها لمناسبة المقام (قوله الفتوة كف الاذى عن الناس الخ) لعل هذا قاله باعتبار حال المخاطب فلا ينافى ان أعلى من ذلك الجود بالنفس وأعلى من الجود بالنفس ترك الكونين (قوله الفتوة اتباع السنة) أى وهذا أعلى أنواع الفتوة فلله دره (قوله فقالت قوله تعالى الخ) أى فقرأت الآية الشريفة بقصد بيان خلقه صلى الله عليه وسلم أو قالت قوله تعالى خذ العفو الخ كاف فى بيان خلقه فخبر قوله تعالى محذوف كما قدرناه ولا يخفى عليك عند تامل معنى الآية الكريمة وما اشتملت عليه انك تجدها كافلة بما يعتبر فى محاسن الاخلاق وكرائم الشيم (قوله وقيل الفتوة الوفاء الخ) أى وهذا أصل كمال الفتوة فمن تخلق به ترقى الى الاعراض عن الكونين الذى هو أعلى أنواع الفتوة وعطف الحفاظ على ما قبله من عطف الخاص على العام اهتماما به (قوله وقيل الفتوة فضيلة الخ) محصله ان الفتوة التبرؤ من الحول والقوة (قوله وقيل ان لا تدخر الخ) المنهى عنه الادخار اعتمادا على المدخر وخوفا من الضرر عند عدمه والا فالادخار بدون ذلك لا بأس به بل هو مندوب اليه اقتداء به صلى الله عليه وسلم وان كان ادخاره عليه الصلاة والسلام للتشريع (قوله ولا بد من شكوى

بواسيك أو يسليك أو يتوجع * (وقيل) الفتوة (اظهار النعمة واسرار المحنة) لانه تعالى اذا أنعم على عبد نعمة أحب أن يظهرها فان اظهارها سبب لشكرها واسرار المحن دليل على الصبر واحتمال الاذى ولانه باسرارها يسلم من اطلاع الخلق على نقصه ومانزل به ففى ذلك كمال المروأة واظهار النعم وكلاهما من الفتوة (وقيل) الفتوة (أن تدعو عشرة أنفس) مثلا (فلا تتغير ان جاء تسعة أو أحد عشر) فالفتى هو الذى اذا صنع طعاما للاكل ودعا جماعة لايتألم اذا تاخر بعضهم لان تألمه دليل على انه اعتنى بطعامه وقع ولم يات من دعاه ولا اذا زادوا على من دعاهم وان تكلف زيادة لمن زاد لان ذلك يدل على محبته للدنيا وأصل الفتوة الاعراض عنها (وقيل الفتوة ترك التميز) فى طعامك بين آكليه من حبيب وبغيض ومستحق وغيره لزهدك فى الدنيا وتقدم نظيرهذا (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول قال أحمد بن خضر ويه لامرأته أم على أريد أن اتخذ دعوة أدعو فيها عيارا) هو اسم للاسد أى شجاعا (شاطرا كان فى بلدهم راس الفتيان فقالت) له (امرأته انك لاتهتدى الى دعوة الفتيان) فكيف برأسهم (فقال لابد) لى منها (فقالت ان فعلت فاذبح الاغنام والبقر والحمر وألقها من باب دار والرجل الى باب دارك فقال أما الاغنام والبقر فأعلم) حكمة ذبحها والقائها فيماذكرت (فما بال الحمر) تذبح وتلقى ثم (فقالت تدعو فتى الى) باب (دارك فلا أقل من ان يكون لكلاب المحلة) فى ذلك (خير) هذا ايضا يرجع الى الزهد فى الدنيا والاعراض عنها (وقيل اتخذ بعضهم دعوة القوم (وفيهم شيخ شيرازى فلما كانوا) منها واخذوا فى السماع (وقع عليهم النوم فى حال السماع فقال الشيخ الشيرازى لصاحب الدعوة ايش السبب فى نومنا فقال لاادرى اجتهدت فى جميع ما اطعمتكم الا الباذنجان فلم اسال عنه فلما اصبحوا سألوا بائع الباذنجان) عنه (فقال لم يكن لى شئ) من المال (فسرقت الباذنجان) وكان الف واحدة (من الموضع الفلانى وبعثه فحملوه) اى بائعه (الى صاحب الارض التى سرق منها (ليجعله فى حل) منه (فقال) لهم (الرجل) تعجبا بعد ان سالوه فى ذلك (تسالون منى الف باذنجانة قد وهبته) اى السارق (تلك الارض) بما فيها من النبات (ووهبته ثورين وحمارا وآلة الحرث لئلا يعود الى مثل ما فعل) من السرقة فى ذلك دلالة على كمال فتوة صاحب الارض فانهم سالوه استحلال السارق من الباذنجان فوهبه هذه المذكورات وعلى ان الطعام الذى يؤكل من غير حل يؤثر فى الابدان والقلوب مايشوش فى الدين والفهم وعلى ما يترتب من الخيرات على طلب التوبة والاستحلال (وقيل تزوج رجل بامراة فقبل الدخول ظهر بالمراة الجدرى) بضم الجيم وفتح الدال وبفتحهما (فقال الرجل) لطفا بها فى نفى الحزن عنها بظهوره على مابها من الجدرى (اشتكت عينى ثم قال عميت) انا او عميت عينى والمراد عيناه (فزفت اليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة) وهو فيها يوهم المرأة انه اعمى لئلا تحزن (ففتح الرجل عينيه) بعد موتها (فقيل له فى ذلك فقال لم اعم ولكن تعاميت حذرا) وفى نسخة حذارا من (ان تحزن فقيل له) لكمال مروأته وشفقته على الخلق (سبقت الفتيان) هذا يشبه ماوقع لحاتم الاصم لما جاءته المراة تستفتيه فخرج منها ريح فى حال كلامها معه فاستحيت وتداركها وجبر حالها بان قال ارفعى صوتك حتى اسمع ما تقولين ففرحت لكونه لم يسمعها فتصامم كما تعامى الآخر ولذلك سمى الاصم

الخ) أى لاغنى للانسان عن ذلك على هذا الوجه انما الممتنع منها ما كان على وجه الضجر والقلق (قوله أحب أن يظهرها) أى بدليل ما ثبت فى ذلك من الخبر الصحيح (قوله وقيل الفتوة أن تدعو الخ) الغرض الحث على أن يكون محض القصد مطلق البذل لمطلق الاخوان من غير التفات الى المبذول والمبذول له (قوله لزهدك فى الدنيا) أى فالقصد انما هو فعل ما يرضيه سبحانه (قوله قال أحمد الخ) تأمل فتوة نساء أهل الزمن الماضى فما بالك برجاله وتدبر ما عليه أهل زمننا نساء ورجالا فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله فاذبح الخ) لعل المراد بقولها وألقها الخ فتوة البذل للمأكول من غير التفات الى الآكل فكأنه والحالة هذه ملقى لغير آكل فلا يقال ان فى ذلك اضاعة مال (قوله فقال الشيخ الشيرازى الخ) فى ذلك دلالة على صدقهم فى معاملتهم لربهم حيث داموا على التجسس لحركاتهم الظاهرة والباطنة رضى الله تعالى عنهم ورضى عنا ببركاتهم (قوله فقال لهم الرجل الخ) تأمل سوقة الزمان الماضى وصدقهم والمزارعين وتفتيشهم وحبهم للخير مع خاصة أهل زمننا فضلا عن عامتهم تعلم سر فضيلة السبق والله أعلم (قوله ولكن تعاميت)

(وقال ذو النون المصري من أراد الظرف) اى كمال الظرف والفتوة (فعليه بسقاة الماء ببغداد) ليتعلم منهم ذلك (فقيل له كيف هو) اى حالهم (فقال لما حملت الى الخليفة فيما نسب الى من الزندقة رايت سقاء عليه عمامة وهو متردّ بمنديل مصري وبيده كيزان خزف رقاق فقلت) لما رايت من ظرفه في لباسه وكيزانه بحيث توهمت انه ساقي السلطان (هذا) اى اهذا (ساقي السلطان فقالوا لا هذا ساقي العامة فاخذت) منه (الكوز وشربت) منه (وقلت لمن معي أعطه دينارا) فاعطاه دينارا (فلم يأخذه وقال) له (انت اسير قد استدعيت للخليفة ومعك من يحفظك من قبله ليوصلك اليه (وليس من الفتوة) والمروأة (ان آخذ منك شيأ) وأضيق عليك فرأى منه ذو النون بذلك كمال أخلاقه ومروأته في باطنه مع ظرف ظاهره (وقيل ليس من الفتوة أن تربح على صديقك قاله بعض اصدقائنا رحمه الله تعالى وكان) هذا البعض (فتى يسمى احمد بن سهل التاجر وقد اشتريت منه خرقة بياض فاخذ مني (الثمن) الذي كان (رأس ماله فقلت له الا تأخذ ربحا فقال اما الثمن فآخذه ولا احملك) به (منة) بان اتركه لك (لانه ليس له من الخطر) اى القدر عندي (ما اتخلق به معك ولكن لا آخذ الربح اذ ليس من الفتوة ان تربح على صديقك) ففي ذلك وجهان من الفتوة استقلال رأس المال فلم يرَ أن يهبه لاخيه لاستقذاره وكونه لم يربح عليه (وقيل خرج انسان يدعي الفتوة من نيسابور الى نسا) اسم لبلدة (فاستضافه رجل) منها (ومعه جماعة من الفتيان فلما فرغوا من اكل الطعام خرجت جارية تصب الماء على ايديهم فانقبض النيسابوري عن غسل اليد وقال ليس من الفتوة ان تصب النسوان الماء على ايدي الرجال فقال واحد منهم أنا منذ سنين ادخل هذه الدار لم اعلم ان امرأة تصب الماء على ايدينا ام رجلا) كل منهما كلامه يقتضي انه متصف بالفتوة وان كان الثاني اكمل فيها لتركه فضول النظر الذي لا حاجة اليه اذ من الفضول تمييز العبد ما في دار غيره من متاع وخادم وغيرهما مما لا حاجة به اليه (سمعت منصورا المغربي يقول اراد واحد ان يمتحن نوحا النيسابوري العيار) اى الشجاع (فباع منه جارية في زي غلام وشرط انه غلام وكانت وضيئة الوجه) اى حسنة (فاشتراها نوح على انها غلام وليثت عنده شهورا الخدم كثيرة فقيل للجارية هل علم) نوح (انك جارية فقالت لا انه ما مسني وتوهم اني غلام) فيه اشارة الى انه فتى حيث منع نفسه من الميل الى الشهوات الدنيوية (وقيل ان بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه الى السلطان فأبى) لحسن خدمته له (فضربه الف سوط فلم يسلم) اليه الغلام (فاتفق انه احتلم تلك الليلة وكان) بردها (برد اشديدا فلما أصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت بروحك باغتسالك في هذا البرد بالماء البارد (فقال استحييت من الله تعالى أن أصبر على ضرب ألف سوط لاجل) فوات منفعة تحصل لي من (مخلوق) وهي خدمة هذا الخادم (ولا أصبر على مقاساة برد الاغتسال لاجله) تعالى ولاجل القيام بطاعته رجاء فضله ورحمته ففي ذلك من الفتوة انه آثر ما ينبغي ايثاره وترك حفظ نفسه من المخاطرة بروحه بما فعله (وقيل قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعي الفتوة فقال الرجل) المزور لغلامه (يا غلام قدم السفرة) للجماعة (فلم يقدم فقال له الرجل ذلك ثانيا وثالثا فنظر بعضهم الى بعض فقالوا ليس من الفتوة) والمروأة (أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كل هذا) التعاصي اذ من أخلاق الخادم أن يبادر لما لم يؤمر به من الخير فكيف لما أمر به (فقال الرجل) لغلامه (لم أبطأت بالسفرة) أى بتقديمها (فقال الغلام كان عليها نمل فلم يكن من الادب تقديم السفرة الى الفتيان مع) وجود (النمل) فيها

أى تكافت الصمي ويرشد اليه قول بعضهم

ليس الغبي بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي

(قوله وليس من الفتوة ان آخذ منك شيأ) أقول واذا كان هذا الخلق لسقاة الماء ببغداد فما ظنك بظرفائها وأعيانها وخواصها (قوله وقيل ليس من الفتوة أن تربح الخ) أى فالربح على الصديق خلاف المروءة ولذا كان مما ترد به الشهادة على مذهب امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه (قوله فقال واحد منهم) انظر كمال الاخلاق والفناء عن كامل الحظوظ ولكن اذا تم الاصطفاء بعد العبد عما به يكون الجفاء (قوله فباع منه جارية) أي باع له فمن بمعنى اللام وهو كثير في كلامهم (قوله حيث منع نفسه الخ) أي فهو كامل العفة وشرف النفس (قوله فقال استحييت من الله الخ) أقول لعله ظن السلامة والا فالقاء النفس في الهلكة غير جائز شرعا (قوله فقال الرجل المزور الخ) تأمل اخلاق

(ولم يكن من الفتوة القاء النمل من السفرة فلبثت حتى دب النمل) منها (فقالوا له) لما اطلعوا على باطن امره (دققت يا غلام) في الفتوة والادب (مثالك من يخدم الفتيان) في ذلك من الفتوة ان الخادم لا ينبغي له أن يتعاصى أو يتخلف عما أمر به في حق المكرمين لكونه يشوش عليهم وأن لا يحضر السفرة والنمل عليها وأن لا يزعج النمل بالقتل والرمي (وقيل ان رجلا نام بالمدينة المشرفة من الحاج فتوهم ان هميانه) أي كيسه (سرق فخرج فرأى جعفرا الصادق) وهو لا يعرفه (فتعلق به وقال له أنت أخذت هميانى فقال له ايش كان فيه فقال ألف دينار فادخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل الى منزله ودخل بيته فرأى هميانه في بيته وكان قد توهم أنه) حمله معه على عادته من حرصه عليه وانه (سرق) منه (فخرج الى جعفر معتذرا) مستغفرا مما جرى منه (ورد عليه الدنانير فأبى أن يقبلها وقال شيء أخرجته من يدى) لله تعالى (لا استرده فقال الرجل من هذا فقيل جعفر) بن محمد (الصادق) في ذلك دلالة على كرم جعفر الصادق وحفظه لمرأوته وصيانته لعرضه واعانته للملهوف وشفقته على عباد الله (وقيل سأل شقيق البلخى جعفر بن محمد عن الفتوة فقال) له جعفر (ما تقول انت فقال شقيق) هي (ان أعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الفتوة عندكم فقال) هي (ان أعطينا آثرنا وان منعنا شكرنا) على المنع لانا نعد البلايا نعمة فنشكر عليها وفي ذلك تنبيه على تفاوت منازل السالكين وفي نسخة بعد ما ذكر فقال شقيق الله أعلم حيث يجعل رسالته (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر (١٧٣) الرازى يقول سمعت الجريرى يقول دعانا الشيخ أبو العباس بن مسروق ليلة الى بيته) لضيافة (فاستقبلنا صديق لنا فقلنا له ارجع معنا فنحن في ضيافة الشيخ فقال انه لم يدعني فقلنا نحن نستثنى) لك أى نستأذن لك عند الدخول (كما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها) حيث صنع له صلى الله عليه وسلم رجل من الصحابة طعاما وأتى اليه ليدعوه بالاشارة فأشار صلى الله عليه وسلم اليه وهذه يعنى عائشة فسكت ثم أشار الى النبي مرة أخرى فاشار النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهذه يعنى عائشة فقال نعم وتشبيه الحكاية بقصة عائشة في مطلق الاستئذان والا فالاستئذان في الحكاية كان بعد الدعاء والاجابة وفي قصة (عائشة كان بينهما) فأخذناه اى صديقنا (معنا فلما بلغ باب الشيخ اخبرناه بما قال) صديقنا لنا (وقلنا) له (فقال) قد (جعلت انت (موضعى) وفي نسخة جعلت بالبناء للمفعول اى جعلت انا بموضع (من قلبك ان تجيء) أى لاجل انك جئت (الى منزلى من غير دعوة) ولاحسن ظنك بى (على كذا وكذا ان) اى ما (مشيت) انت من باب منزلى (الى الموضع الذى تقعد فيه منه الا على خدى والح عليه) في اجابته لذلك فاجاب (ووضع) هو (خده على) حصير على (الارض وحمل الرجل فوضع) وهو محمول (قدمه على خده من غير ان يوجعه) اى حمل حتى صارت قدمه على خده بحيث لا يضره ثقله ويمكنه سحب وجهه (وسحب الشيخ وجهه على) الحصير التى على (الارض) وقدم المحمول على خده (الى ان بلغ موضع جلوسه) ووجه فتوته كمال سروره وتواضعه بفرحه بقدوم هذا الزائر عليه من غير دعوة ولذلك لما سمع بعضهم من يتكلم في الاخوة فقال هل فيكم من تطيب نفسه ان يدخل يده في كم اخيه فيأخذ من دراهمه ما شاء من غير استئذان قالوا لا قال فلم تكمل اخوتكم ولا فتوتكم (واعلم ان من الفتوة الستر على عيوب الاصدقاء لاسيما اذا كان لهم فيه) اى في عدم الستر (شماتة الاعداء سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان يقال للنصراباذى كثيرا)

الخدم والمخدومين تعلم انهم كانوا محبين ومحبوبين وتدبر تأثر الخادم باخلاق المخدوم يظهر لك انك وخادمك في غاية الذم والشؤم (قوله في ذلك دلالة على كرم جعفر الخ) كيف لا يكون كذلك وهو ممن اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (قوله لانا نعد البلايا نعمة) أى نظرا الى أن أفعاله تعالى لا تخلو عن الحكم والمصالح للعباد وان لم تظهر للبشر في الخارج ويشهد له خبر لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع (قوله فقلنا له ارجع معنا) أى لقوة رجائهم في الاجابة قالوا ذلك (قوله فقال من قلبك) محصله ان ما فعلته من المجيء بدون سابق دعوة منى لك بجعلك موضعى من قلبك اذ هذا شأن المحب مع المحبوب حقيقة أو تنزيلا على قراءة جعلت بالبناء للمفعول (قوله الستر على عيوب الاصدقاء الخ) لعل المراد بالصديق مطلق الاخ في الدين فالمراد مطلق المحبوبين ولو

نصحا الاغيبة (أن عليا القوال يشرب بالليل) وينشد عند الشربة (ويحضر مجلسك بالنهار) وكان ينشد عنده الابيات المتضمنة للمحبة والشوق ونحوهما مما يطيب به قلوب المريدين (وكان لا يسمع فيه ما يقال) له فيه (فاتفق انه كان يمشي يوما ومعه واحد ممن يذكر عليا بذلك عنده فوجد عليا مطروحا فى موضع وقد ظهر عليه اثر السكر وصار بحيث يغسل فمه) مما خرج عليه من باطنه (فقال الرجل) فى نفسه (الى كم نقول فيه للشيخ ولا يسمع) فيه كلاما (هذا على على الوصف الذى نقول) له (فنظر اليه النصراباذى) وكره اطلاعه على ذلك طلبا للستر (وقال) تاديبا (للعذول) اى اللائم له (احمله على رقبتك وانقله الى منزله) ولا تكشفه فسترك له افضل من اظهارك لى نقصه واذ قد كشفته لى فلا تتركه مكشوفا لكل الناس (فلم يجد بدا من طاعته فيه) ووجه الفتوة فى ذلك ما اشار اليه النصراباذى من كونه لم يصدق ذلك اولا ولا يحب ان يطلع عليه آخرا (وسمعته) ايضا (يقول سمعت أبا على الفارسى يقول سمعت المرتعش يقول دخلنا مع أبى حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال) ابو حفص للمريض (أتحب ان تبرأ) من مرضك (فقال نعم فقال لاصحابه تحملوا عنه) بان تقتسم ما هو فيه من الالم فتحملوا عنه بان دعوا الله فيه فأجابهم كعادة الاولياء (فقام العليل) من علته (وخرج معنا واصبحنا كلنا) مرضى (اصحاب فراش نعاد) وقد اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل اعمى فقال يا رسول الله ادع الله ان يرد بصرى فقال ان شئت دعوت لك وان شئت صبرت فهو خير لك فاختار الدعاء فامره ان يصلى ويدعو ويتشفع به صلى الله عليه وسلم ففعل فرد الله تعالى بصره

(باب الفراسة)

بكسر الفاء مأخوذة من التفرس وهو التثبت والنظر يقال تفرست فيه الخير اذا تثبت فيه ونظرت اليه احذروها والتفرس يطلق ايضا على التوسم من السمة وهى العلامة والفراسة قد تكون عادية تعرف بقرائن الاحوال وقد تكون موهبة الهامية يخلقها الله فى القلب وهى المراد غالبا عند القوم وعرفت بانها الاطلاع على ما فى ضمائر الناس وبغير ذلك كما سيأتى فى كلامه وهى ممدوحة (قال الله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين قيل للمتفرسين أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله تعالى قال اخبرنا أحمد بن على بن الحسين الرازى قال حدثنا محمد بن أحمد بن السكن قال حدثنا موسى بن داود قال حدثنا محمد بن

بالقوة ويؤكده خبر ان الله ستير يحب من عباده الستيرين (قوله نصحا الاغيبة) ذكر ذلك نظرا لظاهر الحال من العدالة والا فلا غيبة فى فاسق تجاهر بفسقه فى ذكر ما فسق به (قوله فسترك له أفضل) أى ولاسيما اذا كان معذورا فى سكره (قوله دخلنا مع أبى حفص الخ) فيه دلالة على كمال رأفتهم باخوانهم وصدقهم فى معاملتهم لربهم حيث أجاب تعالى سؤالهم رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا

(باب الفراسة)

سببها ذكاء القريحة وقوة الادراك وكثرة الاختبار للاشياء الخفية بقرائن دقيقة يستند اليها فيما يظن أو يتوهم مع زيادة نور بصيرة الناظر بسبب تجرد نفسه عن الامور المظلمة للقلوب فبواسطة ما ذكر يدرك الاشياء على ما هى عليه بالهام بواسطة ملك أو بدونها وعلى كل فهى من كمال الخلق وطهارة النفس يختص برحمته من يشاء وهى نوعان فراسة حكمية وفراسة شرعية الاولى تعلم بالعلامات والثانية تحقق بالمكاشفات فراسة الحكيم تعليمية وفراسة المؤمن نورانية اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله (قوله مأخوذة من التفرس الخ) أى فسببها النظر بامعان ودقة حتى يصل به الى ادراك ما خفى عن غيره عادة وحينئذ فمعنى الفراسة لغة أخص منه اصطلاحا اذ المعنى اللغوى خاص بالفراسة العادية والاصطلاحى يعمها والوهبية الالهية ومثل ذلك يقال فى قوله بعده والتفرس يطلق أيضا على التوسم (قوله يطلق أيضا على التوسم) اى الذى ينشأ عن امعان النظر فى العلامات (قوله وهى المرادة الخ) أى وهى اصدق فى افادة علم القلب لان الاولى قد لا تفيد علما من اجل تخلف العلامات والقرائن العادية (قوله وعرفت بانها الاطلاع الخ) أى وذلك الاطلاع بقوة ادراك البصائر بواسطة زيادة أنوار القلوب الالهية (قوله قال الله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) أى ان فيما ذكر من القصة لآيات لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق للمتوسمين اى المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ على ما هو عليه (قوله اتقوا فراسة المؤمن) اى

كثير الكوفي قال حدثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله عز وجل والفراسة خاطر يهجم على القلب) بصدق يفيد العلم (فينفي ما يضاده) من ظن وشك ووهم (وله على القلب حكم) وقهر (اشتقاقا) اى أخذا (من فريسة السبع) يقال فرس الاسد بفتح الراء فريسته وافترسها اى دق عنقها (وليس في مقابلة الفراسة) لكونها تفيد العلم بخلاق الله كما علم (مجوزات النفس) اى احتمالات من ظن وغيره كما علم (وهي) اى الفراسة اى قوتها (على حسب قوة الايمان) بتواليه على قلب العبد وكثرة ذكره له وغلبته على

قلبه حتى صار حالا له وذلك يحصل بصغر الدنيا في عينه وغلبة ذكر الجنة والنار والحساب والعرش وأمر الله ونهيه ووعده ووعيده ونحوها (فكل من كان أقوى ايمانا كان أحد فراسة) فاذا وصل العبد الى تلك الحالة كان ايمانه قويا وقلبه هو الذي نسخ فيه الخواطر الصحيحة المعبر عنها بالفراسة وبالالهام وبالمكاشفة (وقال أبو سعيد الخراز من نظر بنور الفراسة نظر بنور الحق) تعالى ولهذا كان نورها أفضل أنوار المقامات (وتكون مواد علمه) الحاصل بها بواسطة الفراسة (من الحق) تعالى (بلا سهو ولا غفلة بل) هو (حكم حق جرى على لسان عبد) اكرمه الله (وقوله) اى أبي سعيد (نظر بنور الحق يعني بنور خصه به الحق تعالى) اى بغير واسطة بل أنشأه في قلبه بغير كسب منه والا فنور العقل ونور الشرع هو نور الحق ايضا (وقال الواسطي ان الفراسة سواطع أنوار) اى أنوار مرتفعة يدرك بها علوم ومعارف (لمعت) اى أضاءت (في القلوب وتمكين معرفة) اى ومعرفة متمكنة (حملت السرائر) الكائنة (في الغيوب) اى نقلتها (من غيب الى غيب حتى يشهد) من اتصف بذلك (الاشياء من حيث أشهده الحق سبحانه اياها فيتكلم على ضمير الخلق) بما وهبه الحق له من علم مالم يعلمه غيره من المغيبات (ويحكى عن أبي الحسن الديلمي) وكان له مقصود في الاطلاع على أرباب الفراسة (انه قال دخلت انطاكية لاجل) رجل (أسود قيل لي انه يتكلم على الاسرار) بالفراسة (فاقمت فيها الى أن خرج من جبل لكام) بكسر اللام جبل بالشام (ومعه شئ من المباح يبيعه وكنت جائعا منذ يومين لم آكل شيا)

احذروها وهي بكسر الفاء من التفرس وهي ملكة في النفس ينشأ عنها قوة عين البصيرة فيدرك بها العبد ما خفي وهي لا تخطئ أصلا (قوله والفراسة خاطر الخ) مراده الفراسة المذكورة في الخبر (قوله يفيد العلم) اى جزم القلب بالشئ الذي تفرسه (قوله من ظن وشك ووهم) الاول هو ادراك الطرف الراجح والثاني ادراك الطرفين على السواء والثالث ادراك الطرف المرجوح (قوله وله على القلب حكم الخ) أي بسبب غلبته على القلب بدون اختيار (قوله اشتقاقا) أي اشتقت اشتقاقا وأخذت اخذا من فريسة السبع فهو مصدر لفعل محذوف (قوله وليس في مقابلة الفراسة الخ) توضيح لما قبله من قوله وله على القلب حكم (قوله مجوزات) هو بصيغة المفعول اى أشياء تجوزها النفس وقوله من ظن وغيره بيان لتلك الاشياء (قوله وذلك يحصل الخ) بيان للسبب في قوة الايمان التي هي سبب في قوة الفراسة (قوله فكل من كان اقوى ايمانا الخ) أي وقوة الايمان بسبب كثرة طوارق علوم الادلة النقلية والعقلية على القلب والتأمل فيها (قوله المعبر عنها بالفراسة الخ) افاد ان العبارات الثلاثة عن معبر عنه واحد وهو علم القلوب باعين البصائر (قوله ولهذا كان نورها الخ) انت خبير بان جميع أنوار المقامات من نور الحق تبارك وتعالى نعم له تعالى أن يفضل بعض خلقه على بعض لحكمة يعلمها (قوله وتكون مواد علمه الخ) المراد بالمواد الاصل والمنشا وما به الامداد كما لا يخفى (قوله بلا سهو ولا غفلة) اى كائنة تلك المواد للمتفرس حالة كونه متجردا من السهو والغفلة (قوله بغير كسب منه الخ) جعله غير مكسوب للعبد لا ينافي ان قوتها تابعة لزيادة الايمان الذي قوته بقوة العلم ودوام العمل (قوله سواطع أنوار) اى انوار ساطعة فهو من اضافة الصفة للموصوف وهي كناية عن العلوم والمعارف التي من الله بها على صاحب الفراسة وقوله لمعت اى أضاءت تلك الانوار بواسطة زيادة التمكين في العلم وقوله وتمكين معرفة اى معرفة متمكنة فاضافته من اضافة الصفة للموصوف أيضا وعطفه على ما قبله من عطف السبب على المسبب لان تمكين المعرفة هو السبب في تلك الانوار وقوله حملت السرائر أي ما كنته ضمائر الخلق وقوله الكائنة في الغيوب اى

فأتيته لامتحنه فى صورة مشتر (فقلت له بكم) تبيع (هذا وأوهمته إنى اشترى) منه (مابين يديه فقال اقعد ثم) وأشار الى مكان (حتى اذا بعنا نعطيك) من ثمنه (ماتشترى به شيأ) فدلنى ذلك على فراسته (فتركته وسرت الى غيره وأوهمه أنى أساومه) كأنى مافهمت ماقاله (ثم رجعت اليه وقلت (١٧٦) له ان كنت تبيع هذا فقل لى بكم) تبيعه (فقال أنما جعت يومين اقعد ثم حتى اذا بعناه نعطيك) من ثمنه (ماتشترى به شيأ) فزادنى ذلك بيانا لصحة فراسته (فقعدت) حيث أشار (فلما باعه أعطانى شيأ ومشى فتبعته فالتفت الى وقال لى اذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله تعالى) وحده فلا تحجب عنها بل تقضى فكانت أبلغ موعظة وأحسن ارشادا (الا أن يكون لنفسك فيها حظ) بان تلتفت الى نفسك وتسكن الى عملها (فتحجب عن حاجتك) التى طلبتها من الله تعالى فلا تقضى (وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت الكتانى يقول الفراسة مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب) اى ليست بظن ولاشك ولا وهم وانما هى علم موهبى لخبر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله (وهو) اى مقام الفراسة (من مقامات الايمان) كما أشار اليه فى الخبر بتخصيصها بالمؤمن (وقيل كان الشافعى ومحمد بن الحسن رحمهما الله فى المسجد الحرام فدخل رجل) عليهما (فقال محمد بن الحسن أتفرس) فيه (انه نجار وقال الشافعى اتفرس) فيه (انه حداد فسألاه) عن صفته (فقال كنت قبل هذا حدادا و) أما (الساعة أنجر) هذه الفراسة من قسم الفراسة العادية التى تعرف بقرائن الاحوال لكنها لاتتمحض له اذ لابد فيها من اشراق ونور (وقال ابو البصراء سعيد الخراز المستنبط) المشار اليه فى الآية الآتية (من يلاحظ الغيب أبدا ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شئ) مما ألهمه الله وهو الذى دل عليه قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم والمتوسم) المذكور فى الآية الآتية (هو الذى يعرف الوسم) أى العلامة

المحققة والحاصلة فيه بالنسبة للمتفرس قبل تفرسه وقوله من غيب الى غيب الغيب الاول هو ضمائر الخلق المعلومة له تعالى مما هو غائب عن المتفرس والغيب الثانى هو قلب المتفرس قبل تفرسه ويحتمل ان الغيب الاول عالم الملكوت والغيب الثانى عالم الملك وباقى كلامه ظاهر والله أعلم (قوله فأتيته لامتحنه الخ) ان قلت هذا من التجسس الذى لايعنى وقد منع الشارع منه قلت بل يعنى لقصد الانتفاع والتبرك بمثل هذا الاستاذ على انه ليس من التجسس فى شئ (قوله الا أن يكون لنفسك فيها حظ الخ) فيه ارشاد الى أن من اراد قضاء حاجته فليمحض قصده لله سبحانه وتعالى مع التفويض له سبحانه والتبرى من الحول والقوة (قوله الفراسة مكاشفة اليقين) اى ثمرتها ذلك اذ المستفاد منها علوم الهية متلقاة بواسطة اشراق النور فى بصائر القلوب وذلك لايحتمل التردد (قوله من مقامات الايمان) أى لانه قد تقدم انها تنشأ عن قوته ودوام الجد فى الاعمال (قوله فقال كنت قبل هذا حدادا الخ) فيه دلالة على ان فراسة الشافعى رضى الله تعالى عنه أقوى من فراسة محمد بن الحسن لبعد مايستدل به على كونه حدادا وقرب مايستدل به على كونه نجارا (قوله المستنبط) اى المأخوذ من قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم وقوله من يلاحظ الغيب أبدا اى وذلك لفراغ سره عن الاغيار وامتلاء قلبه بالانوار فهو لايغيب عنه شئ ولا يخفى عليه شئ لتوالى واردات الحق على قلبه وظهور أمارات الصدق على سره (قوله المستنبط الخ) أنت خبير بان المستنبط والمتوسم والمتفرس لابد لكل منهم من مدد نور الحق وان استند علم كل فى ظاهر الحال الى استدلال وعلامات غير ان المتفرس قد لا يكون له مستند الا نور الحق تعالى (قوله وهو الذى دل عليه قوله تعالى لعلمه الذين يستنبطونه منهم) اى يستكشفونه من كبار الصحابة الخبراء العلماء بالتجاريب وشرائط الوعد والوعيد المأخوذ ذلك من أخباره صلى الله عليه وسلم الصادرة منه بالوحى كوعد بالظفر أو تخويف من الكفرة والسبب فى الآية الشريفة ان ناسا من ضعفة المسلمين الذين لاخبرة لهم بالاحوال كانوا اذا أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما أوحى اليه من وعد الظفر بالعدو أو تخويف منه يذيعونه ويفشونه من غير فهم لمعناه ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم منهم قد يكون مشروطا بامور تفوت بالاذاعة فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ الاختلاف المتوهم فقيل لهم ولو ردوه أى الامر الذى جاءهم الى الرسول اى عرضوه عليه مستكشفين لمعناه والى أولى الامر منهم مثل كبار الصحابة

(وهو العارف بمعانى سويداء القلوب) اى حبتها (بالاستدلال والعلامات قال الله تعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين اى العارفين بالعلامات التى يبديها) أى يظهرها الله (على الفريقين من أوليائه وأعدائه والمتفرس ينظر بنور الله تعالى وذلك سواطع أنوار لمعت فى قلبه فادرك بها المعانى وهو) اى نور الله (من خواص الايمان) كما عرف (والذين هم اكبر منه) اى من المتوسم (حظا الربانيون) المنسوبون الى الرب تعالى بمعاملتهم له وهم الذين (قال الله تعالى) فيهم (ولكن كونوا ربانيين يعنى علماء حكماء متخلقين باخلاق الحق نظرا) فى مصالح العباد (وخلقا) بالاتصاف بالصفات الجميلة كالكرم والحلم والعفو (وهم فارغون عن الاخبار عن الخلق والنظر اليهم والاشتغال بهم) لاشتغالهم بربهم (وقيل كان أبو القاسم المنادى) سمى مناديا لما يأتى (مريضا وكان كبير الشأن من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجى والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحا فى الطريق نسيئة وحملاه اليه) لكون المريض يجد بذلك راحة (فلما قعدا قال أبو القاسم) وقد رأى عليهما ظلمة (ما هذه الظلمة) التى عليكما (فخرجا وقالا ايش فعلنا وتفكرا فقالا لعلنا) أصبنا بذلك لكوننا (لم نؤد ثمن التفاح) بأنه (فاعطياه الثمن وعادا اليه) اى الى أبى القاسم (فلما وقع بصره عليهما قال هذا عجب يمكن الانسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبرانى عن شأنكما فذكرا له القصة) اى قصة شراء التفاح نسيئة وكيفية القضاء (فقال نعم) اى صدقتما (كان يعتمد) أى يتكل (كل واحد منكما على صاحبه فى اعطاء الثمن) فيتأخر قضاء حق الرجل فيتضرر (والرجل يستحى منكما فى التقاضى فكان) اى الشأن (تبقى التبعة) عليهما (وأنا السبب) فى شرائكما منه نسيئة فانا (انما رأيت ذلك فيكم)

فى ذلك فضيلة للثلاثة فانه كاشفهما وهما تفطنا الوجه الظلمة ثم تخلصا منها (وكان أبو القاسم المنادى هذا يدخل السوق كل يوم ينادى) أى يدلل على الامتعة (فاذا وقع بيده ما فيه كفايته من دانق) ذهبا (الى نصف درهم) فضة (خرج منه وعاد الى رأس وقته) وهو مراعاته (ومراعاة قلبه) فيه دلالة على ان مراعاة وقته وقلبه أهم اموره وانه انما يرجع الى كسبه لدفع ضرورته وان ما يأكله من أحل ما يقدر عليه فان أحل ما اكل المؤمن من كسبه (وقال الحسين بن منصور الحلاج تعالى اذا استولى على سر) أى قلب

البصراء فى الامور ولعلمه الذين يستنبطونه منهم فالمراد بالمستنبطين الراذون وضميرمنهم لكبار الصحابة والحاصل ان الغرض بيان جناية تلك الطائفة وسوء تدبيرهم اثر بيان جناية المنافقين ومكرهم وارشادهم الى وجه الصواب فى مثل هذه الامور (قوله وهو العارف الخ) أى وعرفانه بواسطة تمكنه من المقام وبعد قلبه عن الاسقام فهو حينئذ لا يخفى عليه الحق حيث هو فلا يعول الا على الصدق (قوله وذلك) أى المذكور من نور الله هو سواطع أنوار اى انوار ساطعة لمعت اى اضاءت باشراقها فى قلبه فاطلع بسببها على المعانى الغائبة التى هى من أحكام ضمائر الخلق ولا يخفى ما فى التعبير بالسطوع فى جانب الانوار من الاشارة الى قوة تأثيرها فى القلب (قوله اى من المتوسم) اهل الاولى أن يقول اى من المتفرس الا ان يقال هو بمعناه (قوله المنسوبون الى الرب) ان قلت السكل منسوب اليه تعالى قلت لهم زيادة تمكين فافهم (قوله يعنى علماء حكماء الخ) اى علماء بعلم النقل والذوق وقوله حكماء من الحكمة التى هى تحقيق العلم واتقان العمل وقوله متخلقين باخلاق الله اى قائمين بما أمروا به ونهوا عنه لا تلحقهم فترة ولا غفلة لا بالنسبة للخالق ولا بالنسبة للمخلوق وقوله وخلقا اى باستجماع صفات الكمال وقوله وهم فارغون الخ اى لاشتغالهم به تعالى لا يلتفتون الى ما سواه (قوله وهم فارغون عن الاخبار عن الخلق الخ) اى عن الاخبار التى مرجعها حظ النفس وعن الاشتغال بهم كذلك فلا ينافى التفاتهم اليهم بوجه الحق (قوله كان أبو القاسم الخ) أقول وان كانت الفراسة نوعا من الكرامة الا ان هذه القصة لحقيقة الكرامة أقرب (قوله سمى مناديا لما يأتى) اى من كونه يدال على الامتعة كل يوم فى السوق (قوله وعادا اليه) فيه التفات الى الغيبة من الحضور (قوله كان يعتمد الخ) أى ربما كان ذلك فيتضرر البائع (قوله والرجل يستحى منكما) اى قد يستحى منكما فى التقاضى الذى هو طلب الحق (قوله تبقى التبعة عليهما) لعل الانسب عليكما (قوله خرج منه) أى صرفه على موجب الاذن الشرعى بالوجه الاكمل (قوله فان أحل الخ) النظر مع

بان اشتغل به تعالى العبد حتى صار غالبا على قلبه (ملكه الاسرار) كلها (فيعاينها) العبد (ويخبر عنها) فيصير مملوكا مالكا وهو المتفرس والمكاشف (وسئل بعضهم عن الفراسة فقال) هى (أرواح) اى نفوس بمعنى خواطر نفوس (تتقلب فى الملكوت) اى لاشغل لاربابها الا النظر فى كمال الله وجلاله وفى أمره ونهيه ووعده ووعيده ومراقبته (فتشرف على معانى الغيوب فتنطق) ينطق أربابها (عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لانطق ظن وحسبان) خصها الله بذلك لكمال شغلها به وانقطاع همها عن غيره (وقيل كان ابن زكريا الشختنى) نسبة الى شختن قرية بنيسابور (و بين امرأة سبب) مكروه (قبل توبته فكان يوما واقفا على رأس ابى عثمان الحيرى بعدما صار من خواص تلامذته فتفكر فى شأنها) اى المرأة (فرفع ابو عثمان رأسه اليه) لكونه اطلع على تفكره فيما تاب عنه (وقال له أما تستحى) من ربك اذ لا يليق بمن تاب واستقامت أحواله ان يذكر ما كان متلذذا به بل كمال توبته انه اذا خطر له ذلك استحى من ربه وتألم لما كان من ذلك (قال الاستاذ الامام) المملى (رحمه الله كنت فى ابتداء وصلتى بالاستاذ أبى على الدقاق رحمه الله تعالى عقد لى المجلس فى مسجد المطرز) بنيسابور (فاستأذنته وقتا فى الخروج الى نسا فاذن لى فيه فكنت أمشى معه يوما فى طريق مجلسه فخطر ببالى ليته ينوب عنى فى مجالسى أيام غيبتى فالتفت الىّ وقال لى أنوب عنك ايام غيبتك فى عقد المجالس فمشيت) معه (قليلا فخطر ببالى) لاجل (انه عليل يشق عليه انه ينوب عنى فى الاسبوع يومين) فقلت فى نفسى (فليته يقتصر على يوم واحد فى الاسبوع فالتفت الىّ وقال ان لم يمكنى فى الاسبوع يومان انوب عنك فى الاسبوع مرة واحدة فمشيت معه قليلا فخطر ببالى شئ ثالث فالتفت الىّ وصرح بالاخبار عنه على القطع) به من غير احتمال هذا كالصريح فى أنه مكاشفة وأما ما قبله فيحتمل انه كذلك ويحتمل انه موافقه ومصادفة فيظنها التلميذ مكاشفة وهى بكل حال ألطاف من الله وتنبيهات يجريها الله على لسان الشيخ لينتفع بها من أراد سعادته ويقوى بها نيته فى اقتدائه بشيخه وانتفاعه بما يرد عليه منه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت جدى أبا عمرو بن نجيد يقول كان شاه الكرمانى حاد الفراسة) بتشديد الدال أى حديدها (لا تخطئ) فراسته (ويقول من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات) من الحلال وغيره (وعمر باطنه بدوام المراقبة) لله واستشعار نظره اليه فى سائر أحواله (و) عمر (ظاهره باتباع السنة) بان لا يلابس فى عبادته بدعة (وتعود أكل الحلال) للتقوى على عبادته لا لشهوته (لم تخطئ فراسته) لكماله فى درجات الايمان (وسئل أبو الحسن النورى من أين تولدت) اى نشأت (فراسة المتفرسين) فى القلوب (فقال من قوله تعالى) فاذا سويته (ونفخت فيه) أى خلقت فى آدم (من روحى) اى خلق

ماهم عليه فقراء زماننا فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله بان اشتغل الخ) تصوير لاستيلاء الحق على أسرار عباده وقلوبهم (قوله فيصير مملوكا الخ) اما كونه مملوكا فلتحقق عبوديته وأما كونه مالكا فللاسرار (قوله فقال هى أرواح الخ) اذا تأملت التعبير عن الخواطر بالارواح تعلم ما هو غنى عن الايضاح (قوله تتقلب فى الملكوت) اى الذى هو عالم الغيب الذى هو مقابل لعالم الملك (قوله وفى أمره ونهيه الخ) تأمل وجه شمول الملكوت لذلك فانه ربما يخفى الا ان اعتبر المنشأ او الحكمة (قوله فتفكر فى شأنها الخ) منه يعلم ان ذلك التفكر كان ملابسا لبعض حظوظ النفس الشهوانية فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله الى نسا) هى بفتح النون مع المد أو القصر (قوله فيحتمل انه كذلك) أقول وهو الاقرب والذى بعده وان احتمل فهو بعيد (قوله ويقول من غض بصره الخ) الغرض بيان أسباب صدق الفراسة لاجل سلوك سبيلها (قوله فقال من قوله تعالى فاذا سويته الخ) محصله الاشارة الى ان أصل الفراسة ايجاد الله تعالى وخلقه لا دخل لكسب العبد فيها لكونها ترد على القلوب القدسية قهرا فهى من متعلقات الروح (قوله فاذا سويته) اى صورته بالصورة الانسانية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه ونفخت فيه من روحى هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة ولا نفخ ولا منفوخ ولا يخفى أن الروح من عالم الامر وهو لا يفتقر فى ايجاده الى مدة ولا الى مادة (قوله من قوله تعالى الخ) وجهه ان الفراسة هى الاطلاع على ما فى الضمائر بواسطة اشراق انوار البصائر وهذا الاطلاع من وظائف الروح التى هى من عالم

الامر

وبه سمي عيسى عليه السلام روح الله اى خلقه بلا ذكر ولما كانت الفراسة ينشئها الله فى قلوب أوليائه سميت روحا ونورا كما فى خبر اتقوا فراسة المؤمن (فمن كان حظه من ذلك النور أتم كانت مشاهدته أحكم) اى أتقن (وحكمه بالفراسة أصدق) لانها تفيد العلم (ألاترى كيف أوجب نفخ الروح فيه) اى فى آدم (السجود له بقوله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وهذا الكلام من أبي الحسن النوري فيه ادنى غموض وايهام بذكر نفخ الروح) فى استدلاله به على تولد الفراسة منه لامرين أحدهما ايهام جعله الموجب لسجود الملائكة لآدم نفخ الروح والموجب له انما هو أمره تعالى به لكنه لم يأمرهم به حتى خلق فيه الروح ثانيهما ايهام (لتصويب) قول (من يقول بقدم الارواح ولا) اى وليس الامر (كما يلوح لقلوب المستضعفين) من انها قديمة بل هى حادثة (فان الذى يصح عليه النفخ والاتصال) بالاجسام

(والانفصال) عنها (فهو قابل للتأثير والتغير وذلك من سمات الحدوث) اى علاماته (وان الله سبحانه خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرسون وهى فى الحقيقة معارف) مخلوقة (وعليه يحمل قوله صلى الله عليه وسلم فانه ينظر بنور الله أى بعلم وبصيرة) منه تعالى (يخصه الله تعالى) به (ويفرده به من دون) أى غير (اشكاله وتسمية العلوم والبصائر أنوارا غير مستبدع ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ والمراد منه الخلق) كما تقرر (وقال الحسين بن منصور المتفرس هو المصيب بأول مرماة الى مقصده ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان) لان الفراسة مما يخلقه الله فى قلب العبد من غير كسب منه وهو من ثمرات الايمان الكامل فلابد أن يكون متعلقه معلوما لانه موهبة يدركها العبد قطعا فاين هو من الظن والحسبان الذى هو من آثار المنجمين (وقيل فراسة المريدين تكون ظنا) لانها لاتثبت لكنها اذا تكررت وصارت حالا لصاحبها (يوجب) له (تحقيقا) أى يقينا (وفراسة العارفين) لتمكنهم بالمراقبة واشتغالهم بالله (تحقيق) اى يقين (يوجب) لهم (حقيقة) وهى كما مر حال غالب على القلب ومن تمكن فى الفراسة وتوالت عليه أنواعها حصلت له المكاشفة والمعاينة (وقال أحمد بن عاصم الانطاكى اذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فانهم جواسيس القلوب) اى متفحصون عن أحوالها (يدخلون فى قلوبكم ويخرجون منها من حيث لاتحسون) بهم فانه تعالى يطلعهم على مالا يطلع عليه غيرهم لتسلم قلوبهم من المشوشات ومن جالسهم بالصدق رجى له الانتفاع وما قاله بالغ فى النصح فان الصادق من عامل الله بالصدق فى سائر أعماله فمن جالس من هذه حاله بغير الصدق خشى عليه من الآفات ومن مقت قلوب الصالحين له

الامر والنور المضافة اليه تعالى فى الآية الكريمة للتشريف فحينئذ اتضح ان الفراسة علوم ومعارف مختصة بالروح المحققة بخلقه تعالى (قوله وبه سمي عيسى الخ) اى بكونه خلق بدون أب ذكر سمى روح الله وبكون الفراسة ينشئها الله فى قلوب أوليائه بدون واسطة سميت روحا ايضا (قوله فمن كان حظه من ذلك النور) اى الذى هو اصل الروح أتم اى اقوى كانت مشاهدته واطلاعه احكم واعلم ان قوة الروح لاتكون الاعن فناء النفس (قوله الاترى الخ) استدلال على قوله من قوله تعالى الخ (قوله فيه ادنى غموض) اى خفاء (قوله لتصويب قول من يقول بقدم الارواح) اى مع ان ذلك طريق فاسد وضلال مبين ذهب اليه بعض المعتزلة (قوله فان الذى يصح عليه النفخ الخ) أى فان كل ما يصح أن يكون اثرا عن قدرة الله تعالى فهو متغير وكل متغير حادث لا يصح له القدم (قوله معارف مخلوقة) اى تطرق القلوب بدون كسب من العبد (قوله غير مستبدع) اى لان اطلاق اسم السبب على المسبب شائع وكثير (قوله هو المصيب الخ) أقول لا يظهر ذلك فى الفراسة العادية بل فى الالهية بوسايط الانوار القدسية (قوله الذى هو من آثار المنجمين) اى وهى تخطئ كثيرا وقد تصيب اتفاقا (قوله تكون ظنا) اى لانها من العاديات الناشئة عن تحكيم القرائن (قوله اى يقين) اى وذلك لانها علوم الهية تطرق القلوب لاتحتمل التردد (قوله فجالسوهم بالصدق) اى بالصدق فى التسليم لما يبدو منهم من الاقوال والافعال وغاية التباعد عن شوائب الاعتراض عليهم فى حركاتهم وسكناتهم وقوله فانهم جواسيس الخ تعليل لذلك (قوله يدخلون فى قلوبكم الخ) اى يشرفون على ما فى القلوب بعلم مكاشفاتهم ويرجعون كذلك من غير شعور بذلك منكم (قوله خشى عليه من الآفات) اى من آفات الاعتراض وعدم

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الخلدى يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول الفراسة
أول خاطر بلا معارض فان عارض) الخاطر (معارض من جنسه فهو خاطر وحديث نفس) تقدم ان الخواطر تارة ينشئها الحق
تعالى بغير واسطة ويسمى الربانى وهو المسمى بالفراسة فلا يكون الا حقا وصدقا فلا يعارضه شئ لانه كرامة وتارة ينشئها بواسطة
الملك أو الشيطان أو النفس لان القلب عليه ملك ونفس وما نشأ بواسطة الملك يعارضه فيه الشيطان والنفس فكلما أمر
الملك بخير عارضه الشيطان والنفس بشر وكلما أمر الشيطان أو النفس بشر عارضه الملك بخير الى أن يقوى الله العبد ويزين له
ما يدعو اليه الملك كما قال تعالى وحبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ممتنا على عباده بذلك (ويحكى عن أبى عبد الله الرازى نزيل
نيسابور قال كسانى ابن الانبارى صوفا ورأيت على رأس) شيخى (الشبلى قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف فتمنيت فى نفسى أن
يكونا جميعا لى فلما قام الشبلى من مجلسه التفت الى) اى اتبعنى (فتبعته وكان عادته) انه (اذا أراد ان أتبعه يلتفت) وفى نسخة
التفت (الى فلما دخل داره دخلت) معه (فقال لى انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه ودعا بنار فاحرقهما) بها اقتداء
بموسى عليه السلام فى تحريقه ما كان (۱۸۰) فتنة لبنى اسرائيل فى دينهم وبسليمان عليه السلام فيما فعله بالخيل فانه لما شغلته
عن عبادته حتى توارت الشمس
بالحجاب فقال ردوها على فطفق
مسحا بالسوق والاعناق وروى
ان أحمد بن ابى الحوارى غرق
كتبه فى البحر وقال انما اردتك
لمعرفة الله تعالى واذا عرفته فلا
حاجة لى بك وروى ان أحمد بن
حنبل دفن كتبه واحتملت هذه
الافعال وان كان فيها اضاعة
مال وهى منهى عنها فى شريعتنا
لان محل النهى عنها اذا كانت
لغير التداوى لا للتداوى لاسيما
الامراض الدينية كما هنا اذ فيه
قطع النفس عن شهوات مضرة
فى الدين (وقال أبو حفص النيسابورى ليس لاحد أن يدعى الفراسة ولكن يتقى الفراسة من الغير لان النبى صلى الارشاد
الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن ولم يقل تفرسوا فكيف يصح دعوى الفراسة لمن) اى ممن (هو فى محل اتقاء الفراسة) يعنى
ليس لاحد أن يدعيها كاذبا والا فلو من الله عليه بها كان له دعواها وذكرها لمن ينتفع بها وقد نقل ان الجنيد وغيره بلغهم عمن اشتهر
بالفراسة فقصدوه وامتحنوه ووجدوه كما قيل وقد تقدمت قصة الانطاكى الذى أتى من الجبل ومعه شئ يبيعه مع من جاء واختبره
وأما انه صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن ولم يقل تفرسوا فلان الفراسة غير مكتسبة كما مر فلا تطلب (وقال أبو العباس
ابن مسروق دخلت على شيخ) مريض (من اصحابنا أعوده فوجدته على حالة رثة فقلت فى نفسى من أين يرتفق هذا الشيخ فقال لى
يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيئة فان لله تعالى ألطافا خفية) فلا تنظر لظاهر الحال فقد تكون نعم الله على بعض عبيده
فى قلوبهم وان كانت خفية عن الخلق أعظم من نعمه الظاهرة (ويحكى عن الزبيدى قال كنت فى مسجد ببغداد مع جماعة من
الفقراء فلم يفتح علينا بشئ أياما فأتيت الخواص لاسأله شيأ فلما وقع بصره على قال الحاجة التى جئت لاجلها يعلمها الله أم لا
فقلت بلى) يعلمها (فقال اسكت ولا تبدها) أى تظهرها (لمخلوق فرجعت ولم ألبث الا قليلا حتى فتح علينا بما فوق الكفاية) فيسه

التسليم وقوله ومن مقت الخ اى ومن غضب قلوب الصالحين والضمير فى قوله له يعود على
المعترض (قوله الفراسة أول خاطر الخ) غرضه بيان الفرق بين الخاطر الربانى الحاصل
بدون واسطة وبين غيره مما يكون بواسطة ملك أو غيره (قوله الى أن يقوى الله العبد)
اى السابق عناية الحق له (قوله ودعا بنار فاحرقهما بها) أقول لما كان الشيخ من
أطباء القلوب وشأن الطبيب أن يعالج كل مريض بما يصلح له فقد ساغ له مثل هذا الاحراق
(قوله ليس لاحد أن يدعى الفراسة) أى ولا غيرها من باقى المقامات اذ الدعوى من
مطفئات النور ولو كانت بحق فدعوة المرء نطفئ نور بهجته ولو بحق فكيف المدعى زللا
فالكمال كله فى التبرى من الحول والقوة بشهود المنعم دون النعم (قوله وذكرها لمن
ينتفع بها) اى أو للتحدث بالنعمة اذا اقتضاه الحال وأمن على نفسه من الاغترار (قوله
غير مكتسبة) اى لكونها من غير مقدورات العبد اذ هى خواطر ربانية وهذا ظاهر فى
الفراسة الالهية أما العادية الناشئة عن تحكيم القرائن فلا يظهر فيها ذلك (قوله فقد
تكون نعم الله الخ) بل لك أن تقول انها هى النعم فى الحقيقة لان ما يفاض على القلوب
قد يعجز العبد عن التعبير عنه (قوله يعلمها الله أم لا) اقول دعاه الى ذلك الترديد حكم

طلب السعي فيما يقوى الله به اليقين (وقيل كان سهل بن عبد الله يوما في الجامع فوقع حمام في المسجد من شدة ما لحقه من الحر والمشقة فقال سهل ان شاها الكرماني مات الساعة ان شاء الله فكتبوا ذلك فكان) الامر (كما قال) وذلك لان وقوع الطائر في المسجد من شدة الحر خلاف عادته في كل زمن فلما رآه سهل وقع في نفسه ان شاها الكرماني الذي هو حمام مسجد بلده لكثرة ملازمته المسجد مات (وقيل خرج) الشيخ (أبو عبد الله التروغندي) نسبة الى تروغند بالغين والذال المعجمتين (وكان كبير الوقت الى طوس فلما بلغ خرو قال لصاحبه) وهو تلميذه (اشتر) لنا (الخبز فاشترى ما يكفيهما فقال اشترا كثر من ذلك فاشترى صاحبه ما يكفي عشرة أنفس تعمدا) أي قصدا (فكأنه لم يحصل لقول ذلك الشيخ تحقيقا) اى وقعا (قال فلما صعدنا الى الجبل اذا بجماعة قيدتهم اللصوص لم يأكلوا منذ مدة فسألونا الطعام فقال لى قدم اليهم السفرة) فقدمتها اليهم فيه تنبيه على اطلاع الشيخ على أحوال هؤلاء المقيدين وكونهم جياعا فامر بتكثير شراء الخبز فهذه فراسة (قال الاستاذ الامام) المملى رحمه الله (كنت بين يدى الاستاذ الامام أبي علي) الدقاق (رحمه الله يوما فجرى حديث الشيخ ابى عبد الرحمن السلمى رحمه الله وانه يقوم في السماع موافقة للفقراء فقال الاستاذ أبو علي مثله في حاله) ومقامه يفعل هذا (لعل السكون أولى) والبق (به ثم قال في ذلك المجلس امض اليه فستجده وهو قاعد في بيت كتبه وعلى وجه الكتب مجلدة) بتشديد اللام (حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين ابن منصور فاحمل تلك المجلدة ولا تقل له شيئا وجئنى بها وكان) الوقت (وقت هاجرة فدخلت عليه فاذا هو في بيت كتبه والمجلدة موضوعة بحيث ذكر) الاستاذ أبو علي (فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى رحمه الله في الحديث وقال كان بعض الناس) اى انسان (ينكر على أحد) اى واحد (من العلماء حركته في السماع فرؤى ذلك الانسان يوما خاليا في بيت وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال كانت مسئلة مشكلة على فتبين لى معناها فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور فقيل لمثل هذا يكون حالهم) أى الفقراء ومن وافقهم فلا ينكر على أحد (فلما رأيت ما أمرنى به الاستاذ أبو علي رحمه الله وما وصف لى على الوجه الذى قال وجرى على لسان الشيخ أبي عبد الرحمن ما كان قد ذكره تحيرت وقلت كيف أفعل بينهما ثم فكرت في نفسي وقلت لا وجه الا الصدق فقلت) للشيخ ابى عبد الرحمن (ان الاستاذ أبا علي وصف لى هذه المجلدة وقال لى احملها الى من غير ان تستأذن الشيخ وانا هو ذا اخافك وليس يمكننى مخالفته فاى شئ تامرنى به فاخرج) مجلدا آخر (مسدسا من كلام الحسين) بن منصور (وفيه تصنيف له) اى للشيخ أبي عبد الرحمن (سماه كتاب الصيهور في نقض الدهور) ألفه في الرد على الدهرية القائلين بقدم العالم والصيهور مشتق من الصهر بمعنى ما في قوله تعالى يصهر أى يذاب به ما في بطونهم والجلود (وقال لى) (احمل هذا) المجلد (اليه وقل له انى أطالع تلك المجلدة فانقل منها ابياتا الى مصنفاتى فخرجت) من عنده اليه وبذلك علم ان كلا من شيخى المؤلف كاشف الآخر بما جرى في مجلسه وان المؤلف فهم أن السلمى كاشف الدقاق بما قاله ولهذا تحير (ويحكى عن الحسن الحداد رحمه الله انه قال كنت عند ابى القاسم المنادى وعنده جماعة من الفقراء فقال لى اخرج واتهم بشئ) يأكلونه (فسررت حيث أذن لى في التكلف للفقراء وان آتيهم بشئ بعد ما علم فقرى قال فحملت مكتلا) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعا (وخرجت فلما اتيت سكة سيار رأيت شيخا بهيا فسلمت عليه وقلت) له (جماعة من الفقراء في موضع محتاجون الى طعام (فهل لك أن

الارشاد والافالادب واللائق تركه (قوله وقيل كان سهل الخ) ظاهر ذلك انه من الفراسة العادية الناشئة عن تحكيم القراين مع انه للكرامة أقرب كما هو ظاهر (قوله فهذه فراسة) اى وهى من نوع الكرامة (قوله لعل السكون أولى به) اى كما هو شأن الكمل من العبيد قال تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (قوله فاحمل تلك المجلدة الخ) لعله تحقق الرضا فلم يستأذن في الاخذ (قوله فقال كانت مسئلة مشكلة الخ) اى فلم تكن الحركة للعبث بل للسرور بالظفر بفهم نفيس معناها (قوله فلا ينكر على أحد) اى لان اللوم لؤم ولا ينتج خلاف الشؤم (قوله وقلت كيف أفعل بينهما) اى مع ثبوت كرامتهما (قوله فاخرج مجلدا آخر الخ) لعله رأى انه فيه الغرض للاستاذ وزيادة (قوله ويحكى عن الحسن الحداد الخ) فيه اشارة الى أن من انقطع الى الله وأراد سبيل الوصول اليه لا ينبغى له أن يتلوث بطعام أو غيره فيه شبهة (قوله سكة سيار) هو اسم رجل منسوب الى السلطنة كما يأتى (قوله فهل لك أن

تخلق معهم بشيء قاصر) خادمه باخراج ما عنده (حتى اذا أخرج الى شيأ من الخبز واللحم والعنب فلما بلغت الباب) اى باب أبى القاسم (نادى) لى (أبو القاسم المنادى من وراء الباب) بأن قال (رده الى الموضع الذى أخذته منه فرجعت واعتذرت الى الشيخ) الذى أمر باخراج ذلك (وقلت لم أجدهم وعرضت بانهم تفرقوا او رددت السبب) يعنى الطعام (عليه ثم جئت السوق ففتح على بشئ فحملته فقال) لى حين بلغت الباب (ادخل فدخلت (فقصصت عليه القصة فقال نعم) اى صدقت (ذاك ابن سيار رجل سلطانى) اى منسوب الى السلطان وطعامه ليس بصاف (اذا جئت للفقراء بشئ فأتهم بمثل هذا لا بمثل ذاك) محل الاستدلال على الفراسة أمره لا برد طعام ذلك الشيخ لما ذكر واذنه له بالدخول بما اتى به ثانيا ولم يكن رآه فى الحالين ولا علم ما معه الا بالفراسة (وقال أبو الحسين القرافى زرت ابا الخير التيناتى) وهو فى المسجد (فلما ودعته خرج معى الى باب المسجد وقال لى يا أبا الحسين أنا اعلم انك لا تحمل معك) لنفسك (معلوما) تعتمد عليه (ولكن احمل معك هاتين التفاحتين فأخذتهما ووضعتهما فى جيبى وسرت فلم يفتح لى بشئ ثلاثة أيام فاخرجت واحدة منهما) عند حاجتى الى اكلها (فأكلتها ثم أردت) عند حاجتى ثانيا الى الاكل (أن اخرج الثانية لآكلها (فاذا هما جميعا فى جيبى فكنت آكل منهما ويعودان) اى وهما باقيتان بحالهما وبقيت على ذلك (الى) أن انتهيت فى سفرى الى (باب الموصل فقلت فى نفسى انهما يفسدان على حال توكلى اذ صارتا) اى مجموعهما (معلوما لى فاخرجتهما من جيبى جملة) اى بالكلية لاستريح منهما ولئلا يسكن قلبى بغير الله (فنظرت) ثم (فاذا فقير) مريض (ملفوف فى عباءة يقول أشتهى تفاحة فناولتهما اياه فلما عبرت) اى جاوزته (وقع) اى خطر (لى ان الشيخ انما بعثهما اليه وكنت فى رفقة فى الطريق) وجاوزناه جميعا (فانصرفت) عنهم ورجعت (الى الفقير) ١٨٢ لاسأله الدعاء وانتفع به (فلم أجده) فى ذلك دلالة على ان أبا الخير كوشف بحال الفقير وانه كان يتمنى التفاح وليس هو ببلده فلما وجد أبا الحسين مسافرا الى تلك الجهة حمله التفاحتين أمانة لكنه لم يبين له المقصود منهما حتى يتبينه هو بنفسه ويعرف صدق همة أبى الخير فى الارسال وانه كان اذا أدخل يده فى جيبه ليأكل منهما اكل غيرهما وبقيتا معه أمانة (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا عمر بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد وكان يتكلم على خواطر الناس فذكر) فيه ذلك (للجنيد فقال له الجنيد ايش هذا الذى ذكر عنك فقال للجنيد اعتقد) اى اضمر فى قلبك (شيأ) اتعرف به ذلك (فقال) له (اعتقدت فقال) له (الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال) له (الجنيد لا فقال) له الشاب اعتقد) شيأ (ثانيا ففعل فقال اعتقدت كذا وكذا فقال لا فقال) له الشاب (ثالثا فقال مثله) اى كل منهما قال مثل ما قال اولا وثانيا (فقال) له (الشاب هذا عجب أنت صدوق وانا أعرف قلبى) وما فيه (فقال) له (الجنيد صدقت فى الاول والثانى والثالث ولكنى أردت ان امتحنك هل يتغير قلبك) اولا فوجدته لم يتغير وقوله لا فى كل مرة ليس بكذب وانما هو تعريض ومعناه لا يكفينى ذلك فى الامتحان ومحل الاستدلال على الفراسة اطلاع الشاب على ما اضمره الجنيد ثلاث مرات وتصديق الجنيد له على ما قال (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا عبد الله الرازى يقول اعتل ابن الرقى) اى مرض (فحمل اليه دواء فى قدح فاخذه ثم قال وقع اليوم فى المملكة حدث) اى أمر عظيم والله (لا آكل ولا اشرب) الدواء (حتى اعلم ما هو) اى الحدث (فورد الخبر بعده بايام ان القرمطى دخل مكة فى ذلك اليوم وقتل بها تلك المقتلة العظيمة سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول ذكر لابن الكاتب هذه الحكاية فقال هذا عجب فقلت هذا ليس بعجب فقال لى أبو على بن الكاتب ايش خبر مكة حرسها الله تعالى اليوم فقلت هوذا تحارب الطلحيون) اى بنو طلحة (وبنو الحسن ومقدم الطلحيين) رجل (أسود عليه عمامة حمراء وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم فكتب أبو على) بن الكاتب (الى مكة فكان) الامر (كما ذكرت له) فى ذلك مكاشفتان احداهما لابن الرقى والاخرى لابى عثمان المغربى

تخلق الخ) مراده تفعل معهم شيأ من مكارم الاخلاق (قوله فأكلتها) لعله سوغ له ذلك ظنه القوى انه المقصود مع قيام الضرورة به (قوله فقلت فى نفسى الخ) اى وهكذا ينبغى للكامل ان يقطع علاقته عما سوى الله تعالى (قوله اكل غيرهما) اى مما يوجده الحق اكراما لمن أرسل التفاح ومن قصد به من الفقراء (قوله وقوله لا الخ) المراد الجواب عما عساه يخطر بالبال فى حق الجنيد مع حفظه عن مثله (قوله فورد الخبر الخ)

(ويروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت رأيت في الطريق امرأة تأملت محاسنها فقال عثمان رضي الله عنه يدخل على أحدكم وآثار الزنا ظاهرة على عينيه فقلت له أوحي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة) سمى النظرة بشهوة زنا لخبر زنا العينين النظر والفرج يصدق ذلك ويكذبه (وقال أبو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيرا عليه خرقتان يسأل الناس شيأ فقلت في نفسي مثل هذا) في كونه عاجزا سائلا للناس (كل) أي ثقل (على الناس فنظر الى وقال واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه قال فاستغفرت) الله (في سري) وتبت اليه (فناداني وقال وهو الذي يقبل التوبة عن عباده) فيه مع دلالته على الفراسة جواز الطلب عند الحاجة لارباب الاحوال (وحكى عن ابراهيم الخواص أنه قال كنت ببغداد في جامع المدينة وهناك جماعة من الفقراء فأقبل علينا شاب ظريف طيب الرائحة حسن الحرمة) وفي نسخة الخدمة وفي أخرى الجمة وهي مجتمع شعر الرأس (حسن الوجه فقلت لاصحابنا يقع لي) في نفسي (انه يهودي فكلهم كرهوا ذلك) واستبعدوه (فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم وقال ايش قال الشيخ في فاحتشموه) أن يذكروا له ما قاله فيه (فألح عليهم) فيه (فقالوا) له (قال) فيك (انك يهودي قال فجاءني وأكب على يدي وأسلم فقيل له ما السبب) في ذلك (فقال) انا (نجد في كتبنا ان الصديق لا تخطئ فراسته فقلت) أنا (امتحن

المسلمين فتأملتهم وقلت ان كان فيهم صديق ففي هذه الطائفة) الصوفية (لانهم يقولون) وفي نسخة يتلون (حديثه) اي كلامه (سبحانه فلبست عليكم) الامر (فلما اطلع هذا الشيخ علي وتفرس في) ما قاله (علمت انه صديق وصار الشاب من كبار الصوفية) في ذلك مع دلالته على الفراسة ان من اشتغل بكلام الله وعمل به بلغه الله درجة الصديقية (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن ابراهيم بن العلاء يقول سمعت محمد بن داود يقول كنا عند الجريري فقال هل فيكم من اذا أراد الحق سبحانه أن يحدث في المملكة حدثا اعلمه) به (قبل أن يبديه) اي يظهره في الوجود (قلنا لا فقال ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيأ) لفقدها الفراسة بفقد الاستقامة التي هي الاعراض عن الخلق وكمال الشغل بالحق تعالى فلو اتصفت القلوب بذلك عاشت من موت الغفلة ووجد فيها الالهام الصحيح والخواطر الصائبة (وقال أبو موسى الديلمي سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل) فاجاب بالحال دون المقال (فقال لو أدخلت يدك في فم التنين) وهو نوع من الحيات (حتى تبلغ الرسغ) الذي هو محل القطع (لا تخاف مع الله تعالى شيأ غيره قال فخرجت لابي يزيد لاسأله عن التوكل) واسمع منه ما يقول فيه (فدققت عليه الباب فقال) لي مكاشفة (أليس لك في قول عبد الرحمن كفاية فقلت) له (افتح الباب فقال) لي مكاشفة ثانية (ما زرتني) اي ما جئتني زائرا بل سائلا قد (أتاك الجواب من وراء الباب ولم يفتح لي الباب قال فمضيت) عنه (ولبثت سنة ثم قصدته فقال) مكاشفة ثالثة (مرحبا جئتني زائرا فكنت) اي فكثت (عنده شهرا) انتفع به (فكان لا يخطر بقلبي شئ الا حدثني عنه فعند وداعه لي قلت له افدني فائدة فقال حدثتني أمي انها كانت حاملا بي فكانت اذا قدم لها طعام من حلال امتدت يدها اليه واذا كانت فيه شبهة انقبضت يدها عنه) تضمن ذلك الفراسة في مواضع كما علم والحث على طلب الحلال فانه من جملة أسباب تطهير القلب ليطلعه على المغيبات وقد حفظ الله أبا يزيد عن اكل

فيه دلالة على ثبوت كراماته نفعنا الله به (قوله قال دخلت على عثمان الخ) هو غير بعيد كيف وهو ذو النطاقين والنورين والخليفة الثالث باشارة الحق (قوله يصدق ذلك ويكذبه) اي بالفعل أو عدمه (قوله فيه مع دلالته الخ) اي وفيه اشارة الى حفظ القلوب عند الاجتماع بالفقراء كما ينبغي حفظ اللسان مع العلماء (قوله يقع لي في نفسي الخ) سبب مثل هذه الكرامة طهارة القلوب من دنس الاغيار وحينئذ فلا يقف العبد مع الآثار (قوله فقال هل فيكم الخ) الغرض بيان ثمرة الاستقامة والزهد والورع وغير ذلك من الاخلاق الحميدة فذكر ثمرة الفراسة ليحمل السامعين على الجد في المعاملة (قوله فقال لو أدخلت يدك الخ) أقول ينشأ هذا من غلبة الخوف على قلب العبد حتى اذا استولى عليه لم يخف غيره تعالى ثم قد يخاف التسليط على انه يرجع الى الخوف منه جل جلاله (قوله بل سائلا) اي مع تقدم الجواب عن غيري وهو شاف (قوله فقال حدثتني أمي الخ) مراده بيان كرامة اكرمه الله تعالى بها من زمن اجتنانه

مافيه شبهة من حين كان فى بطن أمه فان الولد يتغذى من غذاء أمه فحفظه الله وهو فى بطنها (وقال ابراهيم الخواص دخلت البادية وأنا سائر الى مكة (فأصابتنى شدة) فى الله تعالى (فلما بلغت مكة داخلنى شئ من الاعجاب) أى السرور بحالى وكونى قدوت على ما قاسيته من الشدة فى البادية فى الله (فنادتنى عجوز يا ابراهيم كنت معك فى البادية) وقاسيت كما قاسيت ولم يداخلنى شئ من الاعجاب (فلم أكلمك لانى لم أرد أن أشغل سرك) بسماع كلامى لانى كنت محجوبة عنك فلو كلمتك لسمعت صوتى ولم ترنى فتتشوش من ذلك (أخرج عنك هذا الوسواس) أى حديث نفسك بما كنت فيه مما قاسيته فى البادية (وحكى ان الفرغانى كان يخرج كل سنة الى الحج ويمر بنيسابور ولا يدخل على أبى عثمان الحيرى قال فدخلت عليه مرة وسلمت عليه فلم يرد على السلام فقلت فى نفسى مسلم يدخل عليه ويسلم عليه فلا يرد سلامه) وكان الفرغانى عاقا لامه بحجه كل سنة نفلا بغير رضاها فلهذا لم يرد عليه أبو عثمان سلامه زجرا له حتى ينكف عن ذلك كما أشار اليه (فقال أبو عثمان) مكاشفة (مثل هذا يحج ويدع امه) أى يتركها (لا يبرها قال فرجعت الى فرغانة) بلدى (ولزمتها) أى فرغانة أى أمى بالبر والخدمة (حتى ماتت ثم قصدت أبا عثمان فلما دخلت) عليه (استقبلنى وأجلسنى) عنده (ثم ان الفرغانى 184 لازمه وسأله سياسة دابته) وخدمها (فولاه ذلك) فتولاه (حتى مات أبو عثمان رحمه الله وقال خير النساج كنت جالسا فى بيتى فوقع لى) أى مكاشفة (ان الجنيد) واقف (بالباب فنفيت) ذلك (عن قلبى فوقع لى) ذلك (ثانيا) فنفيته عن قلبى (ف) وقع لى (ثالثا فخرجت فاذا أنا بالجنيد فقال) لى مكاشفة (لم لم تخرج مع الخاطر الاول) فى ذلك دلالة على ان العارفين بالله اذا علقوا هممهم بشئ فعله الله لهم بقلوبهم لان الحق تعالى يغار على قلوبهم ان تشتغل بغيره (وقال محمد بن الحسين البسطامى دخلت على أبى عثمان المغربى) بشئ فقبله وكان عن يقبل ما يأتيه بلا سؤال (فقلت فى نفسى لعله يشتهى على شيأ فيسألنى فيه فأفوز بقضائه (فقال أبو عثمان) مثلها مكاشفة (لا يكفى الناس ان آخذ منهم حتى يريدوا مسئلتى اياهم) فيه تنبيه على ان السؤال شديد الكراهة وان تركه أفضل لمن تيسر له (وقال بعض الفقراء كنت ببغداد فوقع لى) فى قلبى انى تمنيت (ان المرتعش يأتينى بخمسة عشر درهما لاشترى بها) آلة السفر الى الحج (الركوة والحبل والنعل وادخل البادية قال فدق على الباب ففتحته) (فاذا أنا بالمرتعش معه خريقة) فيها دراهم (فقال) لى (خذها فقلت) له (يا سيدى لا أريدها فقال) لى مكاشفة (فلم تؤذينا) بتمنيك ما أطلعنى الله عليك وأتيتك به (كم أردت) من الدراهم (فقلت خمسة عشر درهما فقال) لى خذها (هى خمسة عشر درهما) فيه دلالة على صحة فراسة المرتعش ومكاشفته لما وقع فى قلب الفقير وعلى صدق الفقير فيما أتاه به المرتعش حتى حرك الله قلبه وأتى به الى بابه (وقال بعضهم فى) تفسير (قوله تعالى أو من كان ميتا فأحييناه) الآية (أى ميت الذهن) وفى نسخة الذكر (فأحياه الله بنور الفراسة وجعل) وفى نسخة ويجعل (له نور التجلى والمشاهدة) وهو بذلك (لا يكون كمن يمشى بين أهل الغفلة غافلا) وذلك لان الغفلة موت واليقظة حياة والجهل موت وظلمة والفراسة حياة ونور ونور المكاشفة افضل الانوار لان الله انما يخص به أولياءه.

وهى الاقتصار على الحلال الذى هو من أسباب تنوير القلوب والتحلى بالتمكن فى كامل المقامات ليحمل السامع على مثل هذا الخلق ليصل الى المقصود (قوله فنادتنى عجوز الخ) تأمل فضل ربك فهو لا يختص بذكر ولا أنثى وتدبر تمكن هذه العجوز حتى فاقت مثل هذا الشيخ ورضى الله تعالى عن عباده الصالحين (قوله وسأله سياسة دابته الخ) انظر قوة هضمهم وخضوعهم فى طلب مرضاة وسايطهم الى الحق تبارك وتعالى (قوله فعله الله لهم بقلوبهم) أى بواسطة صفاء قلوبهم لتعلقها بربهم وذلك لتدوم على هذا النعت فلا تشتغل بغيره (قوله فيه تنبيه الخ) أى ولذا قيل

لا تسألن بنى آدم حاجة * وسل الذى أبوابه لا تحجب

الله يغضب ان تركت سؤاله * وبنى آدم حين يسئل يغضب

(قوله فلم تؤذينا الخ) لعل وجه التأذى انه ينبغى من ذلك الفقير وغيره أن يوجهوا مقاصدهم الى الله تعالى فى كامل مصالحهم الدينية والدنيوية ويكره منهم غير ذلك والا فهو من الكاملين فى حب الخير والاحسان (قوله وذلك لان الغفلة موت) أى مثله فى عدم الانتفاع بمن قام به بل الغفلة أضر وقوله واليقظة أى انتباه القلب حياة أى

(وقيل اذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها الى المشاهدة) والمعاينة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن (السلمى رحمه الله) يقول سمعت محمد ابن الحسين البغدادى يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا العباس بن مسروق يقول قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا فى هذا الشان) اى طريق الصوفية (بكلام حسن وكان عذب اللسان جيد الخاطر فقال لنا فى بعض كلامه كل ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى) لاعرف ما عندكم وأجيبكم عنه (فوقع فى قلبى انه يهودى وكان الخاطر يقوى) على بذلك (ولا يزول) عنى فذكرت ذلك للجريرى فكبر) اى عظم (عليه ذلك فقلت لابد أن اخبر الرجل) اى الشيخ (بذلك فقلت) انك (تقول لنا ما وقع لكم فى خاطركم فقولوه لى انه يقع لى) فى خاطرى (انك يهودى فاطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال صدقت اشهد أن لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وقال) بعد اسلامه (قد مارست) اى عالجت (جميع المذاهب) ۱۸۵ اى الطرق اى أهلها (وكنت أقول ان كان مع أحد) وفى نسخة مع قوم منهم (شئ فمع هؤلاء فدا خلتكم لاختبركم فانتم على الحق) فبذلك أسلم (وحسن اسلامه) هذه قرينة من الفراسة التى وقعت فى الشاب الظريف انه يهودى (ويحكى عن الجنيد انه كان يقول له) شيخه (السرى تكلم على الناس) وذكرهم (فقال) له (الجنيد) لا أستحق ذلك عندى (وكان فى قلبى حشمة) أى مهابة (من الكلام على الناس فانى كنت اتهم نفسى فى استحقاق ذلك فرأيت ليلة النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وكانت) الليلة (ليلة جمعة فقال لى تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السرى قبل أن اصبح فدققت عليه الباب فقال) لى مكاشفة (لم تصدقنا حتى قيل لك) اى قال لك النبى صلى الله عليه وسلم ما قلناه لك (فقعد للناس فى الجامع بالغد فانتشر فى الناس ان الجنيد قعد يتكلم على الناس

۲٤ يج ث فوقف عليه غلام نصرانى متنكرا وقال له أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى قال فاطرق الجنيد ثم رفع رأسه) اليه (وقال) له مكاشفة بانه نصرانى وانه حان وقت اسلامه (اسلم فقد حان) اى قرب (وقت اسلامك فاسلم الغلام) وحسن اسلامه *(باب الخلق)* هو بضم الخاء مع ضم اللام واسكانها بسط الوجه وكف الاذى وبذل الندى ويقال غير ذلك كما سيأتى وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى) فى حق النبى صلى الله عليه وسلم (وانك لعلى خلق عظيم أخبرنا على بن أحمد الاهوازى) رحمه الله (قال أخبرنا أبو الحسن الصفار البصرى قال أخبرنا هشام) وفى نسخة تمام (بن محمد بن غالب قال حدثنا معلى بن مهدى قال حدثنا بشار بن ابراهيم النميرى قال حدثنا غيلان بن جرير عن أنس

مثلها فى الانتفاع بل هى الحياة فى الحقيقة ومثل ذلك يقال فيما بعده (قوله وقيل اذا صحت الفراسة الخ) لعل المراد بها العادية والا فالالهية من نوع المشاهدة والمعاينة (قوله فوقع فى قلبى الخ) أقول لا شك ولا ريب فى كون ذلك الواقع له من قبيل الالهام الحق والانباء الصدق بواسطة قوة نور القلب (قوله هذه قرينة من الفراسة) اى وكلاهما من نوع الكرامة (قوله ويحكى عن الجنيد الخ) فى ذلك تنبيه على ان الشيخ اذا وجد فى تلامذته من يصلح للارشاد ينبغى له انه يأمره به واشارة الى صدق ما فهمه السرى فى الجنيد والى دوام اتهام الجنيد نفسه كما هو شأن الكمل من العبيد فرضى الله تعالى عن الجميع وعنا بركاتهم

(باب الخلق)

أى الخلق الحسن وهو جبلى وكسبى والثانى يقال له تخلق وعلى كل منهما فهو من أسباب سعادة الدارين كيف وقد اثنى الحق تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم بالخلق حيث قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم فعلى العبد ان يتخلق بمكارم الاخلاق ويستعين على ذلك بكثرة الجلوس مع من خلقهم كذلك فان الشئ بالتخلق قد يصير خلقا واعلم ان حسن الخلق من أعظم ما أنعم الله به على عباده المقربين المحبوبين لظهور ثمرته دنيا وأخرى (قوله بسط الوجه الخ) أقول بيان الخلق بما ذكره من قبيل الاقتصار على بعض المعنى والا فجماعه التخلى من الصفات المذمومة والتحلى بالصفات المحمودة على طريق علم الشريعة المحمدية (قوله قال الله تعالى الخ) دليل لقوله وهو ممدوح ومطلوب اذ الثناء بشئ يقتضى محبته وطلبه (قوله وانك لعلى خلق عظيم) أى لا يدرك شأوه احد من الخلق ولذلك تحمل من جهتهم ما لا يحمله أحد من البشر وسئلت عائشة رضى الله تعالى عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن الست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون وهذه الجملة

قال قيل لي يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ايمانا قال أحسنهم خلقا) بان يتخلى عن الاخلاق الذميمة كالشره والرياء والعجب والكبر والحسد ويتحلى بالاخلاق الجيدة كالقنع والورع والزهد والتوكل والرضا فيصل الى أفضل المناقب (اذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد وبه يظهر جواهر الرجال والانسان مستور بخلقه) بفتح الخاء أي بصرف أفعال أعضائه لما خلقت له (مشهور بخلقه) بضمها (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول ان الله سبحانه خص نبيه صلى الله عليه وسلم بما خصه به) مما هو معلوم (ثم لم يثن عليه بشيء

من خصاله) الجيدة التي اتصف بها (بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال عز من قائل وانك لعلى خلق عظيم وقال الواسطي وصفه) الله (بالخلق العظيم لانه جاد بالكونين) أي بحظ الدنيا وحظ الآخرة فلم يقف عنده شيء منهما لاشتغاله بربه (واكتفى بالله تعالى) ولهذا كان أفضل الخلق وقال أنا سيد ولد آدم ولا فخر وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر (وقال الواسطي أيضا الخلق العظيم ان لا يخاصم) العبد غيره (ولا يخاصم) بان يعفو عمن يخاصمه وذلك (من شدة معرفته بالله عز وجل وقال الحسين بن منصور معناه) أي الخلق العظيم انه (لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق) بان تعرض عن الاسباب وتنظر الى مسببها (وقال أبو سعيد الخراز معناه انه (لم يكن لك همة غير الله تعالى) بان يفرده تعالى باعماله في كل حال (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت الحسين بن أحمد ابن جعفر يقول سمعت الكتاني يقول التصوف خلق) حسن (من زاد عليك بالخلق) الحسن (فقد زاد عليك في التصوف) لان التصوف مأخوذ من الصفاء من الكدورات بالمقايسة والاتصاف بافضل المأمورات والخلق الحسن في معنى ذلك (ويروى) وفي نسخة وروي (عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال اذا سمعتموني أقول لمملوك لي أخزاه الله تعالى فاشهدوا) علي (انه حر) كره رضي الله عنه انه يجري على لسانه الخزي لكونه عبارة عن دخول النار والبعد من لطف الله ورحمته فاذا أراد العبد أن يداوي نفسه لكثرة سهوه فليعزم على انه متى وقع له سهو عاقب نفسه بما يؤلمها من فراق محبوبه (وقال الفضيل لو ان العبد أحسن الاحسان كله

كالتي قبلها معطوفة على جواب القسم كما لا يخفى على من له المام بالتفسير (قوله قال أحسنهم خلقا) أي أفاد صلى الله عليه وسلم بذلك ان حسن الخلق من أمارات قوة الايمان لانه مع التمسك بشاهد المتابعة للانسان الكامل يتخلى عن الذميم ويتحلى بالجيد من الاخلاق (قوله اذ الخلق الحسن الخ) تعليل لقوله قال أحسنهم خلقا (قوله وبه يظهر جواهر الرجال) أي جواهر نفوسهم لان فيها نفوسا جوهرية اصفاها من الاكدار الحيوانية الشهوانية واخرى ظلمانية لتلوثها برجس الحظوظات البشرية والذي يظهر هذه من تلك انما هو الخلق (قوله مستور بخلقه) أي لانه قد يخفى على كثير من ابناء جنسه نوع خصوصيته ومنه وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وقوله مشهور بخلقه أي لانه بالمخالطة مع الغير يصير يشتهر بالمكارم ويدل للشق الاول قول صاحب الحكم سبحان من ستر سر الخصوصية بظاهر أحكام البشرية (قوله بما خصه به الخ) انما أبهمه لان قدرة البشر لا تقوى على حصره حيث هو صلى الله عليه وسلم جماع سائر الكمالات (قوله وانك لعلى خلق عظيم) لعل الاقتصار في الثناء الحق على ذلك لانه جماع البر واصل الخير في الدين والدنيا (قوله لانه جاد بالكونين) أي على معنى ان قلبه المقدس لم يتعلق بشيء منهما ولم يشتغل به لذاته (قوله ولهذا كان أفضل الخلق) أي لكونه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى حاز هذا الفضل العظيم الذي هو فضله على ما سواه تعالى مما ابرزته القدرة بالفعل وغيره (قوله ان لا يخاصم الخ) أي لا يبتدئ غيره بالمخاصمة ولا يعامل من بدأه بها بل يعفو ويصفح فقوله بان يعفو الخ تصوير لقوله ولا ان لا يخاصم الخ (قوله انه لم يؤثر فيك جفاء الخلق الخ) اي على معنى انه لا تأخذه في الله لومة لائم بل يصدع بالحق وذلك خلق محمدي (قوله بان تعرض عن الاسباب الخ) الغرض بيان وجه سهولة الجفاء من الخلق بواسطة شهود مصدر أفعال العباد (قوله والخلق الحسن في معنى ذلك) أي لانه لا ينشأ الا عن نفس صفت عن الشهوات والحظوظ (قوله فاشهدوا علي الخ) أي فرادة تعليق عتقه على ذلك منعا لنفسه من فحش القول (قوله من فراق محبوبه) المراد ما يشمل المفارقة الحكمية المعنوية على ما لا يخفى (قوله لو ان العبد أحسن الخ) تأمل

وكانت له دجاجة فاستسا اليها لم يكن من المحسنين) الكاملين لان كمال الاحسان ان لا يكون منه اساءة على أحد فيبدأ بنفسه فيما
بينه وبين ربه ثم فيما بينه وبين خلقه وقد قيل للجنيد ما تقول فيمن لم يبق عليه من شهوات الدنيا الا مص نواة فقال المكاتب عبد

ما بقي عليه درهم (وقيل كان ابن عمر رضي الله عنهما اذا رأى واحدا من عبيده يحسن الصلاة يعتقه فعرفوا ذلك من

خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مراآة له وكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له) ولم يلتفت لقول القائل ولما نقله اليه من ان فعلهم رياء وبقي على حسن ظنه نظرا لظاهر عملهم من انهم أرادوا به الله وفيه مع ذلك دلالة على حسن خلقه وقلة قدر الدنيا في عينه وسهولة اخراجها عليه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد ابن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا محمد الجريري يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث المحاسبي يقول فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة) أي العفاف والسلامة من العجب والكبر (وحسن القول مع الامانة وحسن الاخاء) أي المؤاخاة في الله بان تخاف أخاك في غيبته وتقوم بحقه في حضرته وتنصحه ان رأيت منه زللا وتعينه ان رأيت منه خيرا ولا تبخل عليه بشيء وتحمل ما يبدو منه المأخوذ ذلك من آية خذ العفو ونحوها (مع الوفاء) بالعهد المأمور به في قوله وأوفوا بالعهد ونحوه (وسمعته أيضا (يقول سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول الخلق) الحسن

بالمقايسة لا بذاء الاخ المسلم وحينئذ فالحكيم من يكون على خلق حسن مع سائر الخلق كل بحسبه اذ الحكمة وضع كل شيء في موضعه ومن أجل ذلك نقل ان حكيما صمت زمانا فقيل له في ذلك فقال شعرا

قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم * ما طول صمتي من عي ولا خرس
أأنثر الدر فيمن ليس يعرفه * أم أنثر البز بين العمي في الغلس

فالحكيم من يطوي الغرائب عن غير أهلها وينشرها في محلها شعر

أطوي الغرائب عمن ليس يعرفها * فربما جرت الاقدام للزلل

(قوله لم يكن من المحسنين) أي ويدل له خبر كل راع مسؤل عن رعيته (قوله فيبدأ بنفسه) أي لاجل ان يتهيأ بعد ذلك لمعاملة الخلق (قوله فقال المكاتب عبد الخ) أي والضرر في استصغار الصغير لانه ينقله الى درجة الكبير (قوله انخدعنا له) أي ايثارا للخيرات ولو ظاهرا فانه قد يكون من أسباب الاخلاص ما لا (قوله فقدنا ثلاثة أشياء الخ) أي وذلك لكثرة أصحاب النفوس اللئيمة الذين من شأنهم ضد أرباب الاخلاق الكريمة وذلك لما جبلت عليه من سوء الطباع وعدم النفع والانتفاع شعر

نفوس الاراذل من طبعها * تصد الافاضل عن نفعها
ورد العقارب عن لسعها * تكاليف ما ليس في طبعها

فالحسنة بين السيئتين بين الافراط الممل والتفريط المخل شعر

توسط اذا ما شئت أمرا فانه * كلا طرفي كل الامور ذميم

(قوله حسن الوجه مع الصيانة) أي جمال الذات مع كمال الخلق وحسن القول مع الامانة أي الصدق والتخلق بمعناه بحيث لا يكون الحظ منه مجرد الحكاية وقوله وحسن الاخاء الخ أقول هو أعز من الكبريت الاحمر ولا سيما في زماننا هذا كيف وقد قيل

واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

(قوله استصغار ما يحصل منك) أي ولو في المخالفات عند ابتداء التوجه الى الحق ولذا قيل لا تقع بكثرة الذنوب في اليأس فهي لدى الغفور كالكاس شعر

لا تيأسن وان طال الصدود فقد * تجفى أناس وهم في السر احباب

فاذا ناديت وسمعت لا فلا تكن ممن أعرض وسلا بل عاق رجاءك بعولاك فانه يبلغك منالك شعر

أستشعر اليأس في لا ثم تطمعني * اشارة في اعتناق اللام بالالف

(قوله استصغار ما يحصل منك الخ) أي وأكمل منه الفناء عن جميع ما يبدو منك بشهود

استصغار ما يحصل (منك) من الطاعات (واستعظام ما يصل (منه) تعالى (اليك) لانك اذا رأيت ما منك حقيرا بالنسبة الى الله أخلصت وتبرأت من حولك وقوتك في ايقاعه واذا رأيت ما منه اليك عظيما بالغت في شكره ورأيت نفسك عاجزا عن القيام به

(وقيل للاحنف) بن قيس (ممن تعلمت الخلق) الحسن (فقال من قيس بن عاصم المنقرى قيل) له (ومابلغ من) حسن (خلقه قال بينا هو جالس فى داره اذ جاءت خادم) أى جارية (له بسفود) بتشديد الفاء حديد يشوى به اللحم (عليه شواء فسقط من يدها) وهو حار (فوقع على ابن له فمات) بذلك (فدهشت الجارية فقال) مطمئنالها (لاروعة) أى فزعة (عليك أنت حرة لوجه الله تعالى) علم سيدها انها كانت مغلوبة فعفاعنها ثم كمل لها التطمين ١٨٨ بتحريرها وهذا يدل على كمال علمه بالله وتطره اقدره وان الآجال لاتتقدم ولا تتأخر وان ولده لابدمن موته بماذكر وهذا كله من الاخلاق الحميدة (وقال شاه الكرمانى علامة حسن الخلق كف الاذى واحتمال المؤن) لان الاول يدل على الكرم والجود والثانى على الصبر والشجاعة وكل منهما من أشرف الاخلاق (وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم) لعسر ذلك عليكم فى كثير من الاوقات (فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) فينصرفون عنكم وهم راضون بخلاف من يكون معبس الوجه سيئ الخلق (وقيل لذى النون المصرى من أكثر الناس هما قال أسوأهم خلقا) لان من ساء خلقه عدم الصبر على ما بتلى به وساءت معاملته لمن يعامله من الخلق ولايزال فى هم وكرب فيما يخالف غرضه فسوء الخلق يرجع ضرره على صاحبه فى دينه ودنياه وحسن الخلق يكون صاحبه فى تنعم وراحة فى دنياه وأخراه (وقال وهب ماتخلق عبد بخلق) حسن (أربعين صباحا الا جعله الله طبيعة) يعنى عادة (فيه) لا يتغير لما وجد فيه من اللذة فمن جاهد نفسه لينقلها من خلق ذميم الى خلق حميد وصبر على ذلك والمرء اربعين يوما صار له عادة حسنة وحببها الله اليه ووجد بركة ذلك الخلق فى الدنيا والاخرى (وقال الحسن البصرى فى قول الله تعالى وثيابك فطهر اى وخلقك فحسن) ولهذا لم يزل صلى الله عليه وسلم مستعملا للخلق الشريف (وقيل كان لبعض النساك) أى العباد (شاة فرآها على ثلاث قوائم) والرابعة قطعت (فقال من فعل هذا بها فقال غلام له انا) فعلته (فقال لم) فعلته (فقال لاغمك بها

انك مجرى لافعال الحق تعالى (قوله بيناهو جالس الخ) فيه تنبيه على انه فنى عن جميع حظوظات النفس وعاداتها وعلى قوة صبره فى ابتداء المحن وعلى غاية زهده فى الدنيا وزهرتها (قوله علامة حسن الخلق الخ) ذلك من الاقتصار على بعض المعنى اعتبارا بحال المخاطب (قوله لعسر ذلك عليكم الخ) أقول ذلك باعتبار البعض مع البعض والافهو من ابعد البعيد فى كامل الاوقات (قوله فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق) أى وذلك أقل ما تحقق به مواساة الأخ المسلم ويعز مثله فى هذا الزمان فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله قال اسوأهم خلقا) أى لانه دائما فى الهم دنيا واخرى كما اوضحه الشارح فهو بعيد من الله بعيد من الخلق (قوله الاجعله الله طبيعة الخ) اى لان التخلق قد يصير خلقا باعانة الحق عبده (قوله لما وجد فيه من اللذة) اى لان من بالحق ذهب فهو ذهب ومن به وله فهو الذى به وله ومن كان بالله غناه ذهب عنه عناه لم يجد الافراح من وجد الالف راح نوريدرك اذا لاح لم يبق الشمن لاح ما كل من سار اتى بخبر سار كن مع الحق بالحق ومع الخلق بلا خلق جناب الحق فسيح فسيح اذا انتبهت انتهبت فرق بين اقوام هم باعمالهم اسرى وبين موفوق الى حضرة القرب اسرى باختلاف الاطوار اختلفت الاطيار الطريق مهمه قال الشجاع مه مه شتان بين محب فى باب محبوبه بتذلل وبين محبوب فى الحضرة على مولاه يتدلل تدبر تفهم والله اعلم (قوله اربعين يوما الخ) تقدم مرارا ان تخصيص هذا العدد لسر علمه الشارع صلى الله عليه وسلم (قوله وثيابك فطهر) اى طهر ما اليس بطاهر منها فانه واجب فى الصلاة فالمراد صيانتها وحفظها من النجاسات وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها ايضا فان طولها يؤدى الى جر الذيول على القاذورات وهو أول ما أمر به صلى الله عليه وسلم من رفض العادات المذمومة وقيل هو امر بتطهير النفس مما يستقذر من الافعال ويستهجن من الاحوال يقال فلان طاهر الذيل والاردان وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق (قوله وقيل كان لبعض النساك الخ) اقول كل قد تكلم على فيه بما فيه كالاناء لا يرشح الا بما فيه شعر

كأن فؤادى مجمر فيه عنبر * على نار فكرى واللسان يروح
تترجم عما فى ضميرى مدامعى * وكل اناء بالذى فيه ينضح

فبطرق الفخارة الانسانية تتبين الاخلاق الباطنية شعر

فقال لا) أغمهم (بل) انا (لاغمن من أمرك بذلك) وهو الشيطان فانه يأمر بالفحشاء (اذهب فانت حر) لوجه الله تعالى فاغاظ بها من أمره بذلك وهذا غاية في احتمال الاذى والعفو (وقيل لابراهيم بن أدهم هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم) فرحت (مرتين احداهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان وبال على والثانية كنت قاعدا فجاء انسان وصفعني) فرحه بذلك كان اصنع الله والرضا بما أجراه عليه مولاه لا للمعصية البائل والصافع وتقدمت المرة الاولى مع ما يتعلق بها في أواخر باب الخشوع والتواضع (وقيل كان أويس القرني اذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة) لاعتقادهم انه مجنون (فيقول) ١٨٩ لهم (ان كان لابد) من رمي (فارموني بالصغار) منها (كي لا تدقوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة) قائما هان عليه احتمال الاذى في الله لكنه خشي من أن يرموه بحجر كبير فيكسر ساقه فيتعذر عليه الصلاة قائما (وشتم رجل الاحنف بن قيس) وهو يسمعه (وكان يتبعه) ويسبه ولا يكافئه عليه (فلما قرب من الحي) أي قومه (وقف وقال) له (يافتى ان كان قد بقي في قلبك شئ) تقوله في (فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك) وفي نسخة فيؤذوك فيه دلالة على حسن خلقه واحتمال الاذى وشفقته على الخلق (وقيل لحاتم الاصم أيحتمل الرجل) الخطأ (من كل أحد فقال نعم) يحمله أي ينبغي له ان يحتمله من كل أحد ليؤجر عليه (الا الخطأ (من نفسه) فلا ينبغي له ان يحتملها منها بل ينبغي له ان يؤدبها ويزجرها عن ذلك والا قاده ذلك الى العذاب الاليم (وروى ان أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا

والمرء يختبر الاناء بطرقها * فيرى الصحيح بها من المصدوع

(قوله فقال لا الخ) فيه دلالة على استغراقه في مرضاة ربه وفناء نفسه من عاداتها
(قوله وقيل لابراهيم بن ادهم الخ) فيه دلالة على تمام استغراقه في شهود جمال ربه فلا يرى كائنا من الكائنات الا جميلا وهكذا جرت عادة الله في المحبين ممن ثبتت اقدامهم على متابعة سيد المرسلين (قوله كان اويس القرني الخ) هو نفعنا الله به من التابعين عاصر النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجتمع به ولم يره لاشتغاله بخدمة امه (قوله فارموني بالصغار الخ) فيه تنبيه ودلالة على رضاه بما قضاه مولاه وعلى دوامه على الرغبة في أداء ما طلب منه على الوجه الاكمل حيث صبر على الاذى الفاني لينال النعيم الباقي فهو دائما الدهر ما بين غيم وانقشاع وخفض بأهله وارتفاع شعر

لا تخش من غم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان يمس عن عباس حالك راويا * فكانني بك راويا عن بشره
ولقد تمر الحادثات على الفتى * وتزول حتى لا تمر بفكره

(قوله فلما قرب من الحي الخ) فيه دلالة على انه محمدي الخلق (قوله فيه دلالة على حسن خلقه) أي وعلى اتقاء المعاداة ولو من الصغير فمعظم النار من الشرر الحقير شعر

لا تحقرن صغيرا في محاربة * ان الذبابة أدمت مقلة الاسد

وعلى البعد عن الازدراء حيث قيل من ازدرى الناس وقع في الباس شعر

وما الناس الا الباس فاحذر خيارهم * وجانب شرار القوم مادمت في الدهر

(قوله ايحتمل الرجل الخطأ الخ) لعل المراد بالخطا فعل ما يخالف وجه الصواب ولو عمدا (قوله الا الخطأ من نفسه) أي وذلك منه بواسطة ما منح من العلم وأعطى من الحلم فمن رزق العلوم وفتحت له خزائن الفهوم لا تحاجيه بنقل الطروس ولا تجادله بغير ة النفوس مع ان المواهب تفوق المكاسب شعر

اذا أنكر الجهال حالي بقالهم * وقالوا طروس العلم تشهد بالنقل
أقول لهم ان العلوم مواهب * خصائصنا تغني عن النقل والعقل

(قوله اما مكافأة على اساءته الخ) أقول وان كان عدم الردع السماع اساءة غيران

وثالثا فلم يجبه فقام اليه فرآه مضطجعا فقال) له (أما تسمع يا غلام) دعائي لك (فقال نعم) وفي نسخة بلى (قال) له (فما حملك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال) له (امض فانت حر لوجه الله تعالى) أحسن اليه بتحريره اما مكافأة على اساءته لتكثير الاجر أو لئلا يفوت عليه بتكرر ذلك منه انتفاعه به في دنياه فانتفع به في أخراه (وقيل نزل معروف الكرخي الدجلة ليتوضأ ووضع مصحفه وملحفته) على شاطئ الدجلة (فجاءت امرأة) واستغفلته (وحملتهما) ومضت بهما (فتبعها معروف) برفق

(وقال) لها (يا أختى أنا معروف ولا بأس عليك) من جهتى (الك ابن يقرأ) القرآن (قالت) له (لا قال فزوج) كذلك (قالت لا قال فهات المصحف وخذى الثوب) وفى نسخة الملحفة اغلبة ظنه انها ما أخذتهما الا لحاجة ففى ذلك حسن الظن بالمسلمين انهم انما يأخذون من أموال الناس ما دعت حاجتهم اليه (ودخل اللصوص مرة دار الشيخ أبى عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (بالمكابرة) والتغلب (وحملوا ما وجدوا) فيها من الاموال ١٩٠ د (فسمعت بعض أصحابنا يقول سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول اجتزت) أى مررت مرة (بالسوق فرأيت جبتى على من يزيد) فيها ليشتريها (فاعرضت) عنه (ولم ألتفت اليه) وفى نسخة اليها فعل ذلك اما سترا على سارقها أو لكونه كان احتسبها عند الله لما سرقت فكره ان يرجع فيما تركه لله وكل منهما يدل على كمال زهده فى الدنيا وشفقته وستره على الخلق وهو غاية فى الاخلاق الحميدة (سمعت الشيخ أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت الوجيهى يقول قال الجريرى قدمت من مكة حرسها الله تعالى فبدأت بالجنيد) أى بالسلام عليه (لكى لا يتعنى) أى يتعب بمجيئه (الى فسلمت عليه ثم مضيت الى المنزل فلما صليت الصبح فى المسجد اذا أنا به خلفى فى الصف فقلت) له (انما جئتك أمس لئلا تتعنى) بمجيئك الى (فقال ذاك فضلك وهذا حقك) على اذ حق المسافر اذا قدم ان يزوره المقيم ويسلم عليه لانه معذور بوعثاء السفر فلم يترك الجنيد حقه بتفضله بابتداء السلام عليه (وسئل أبو حفص عن الخلق فقال (هو) ما اختار الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف الآية) وقد سأل صلى الله عليه وسلم جبريل عن تفسيرها فقال حتى أسأل العالم يعنى الله فسأله فقال له صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك وذلك (وقيل الخلق ان تكون) أنت (من الناس قريبا) بان تأكل مما يأكلونه وتخالطهم بيدنك فيما يحبونه (و) تكون (فيما بينهم غريبا)

فى الجواب عن ذلك منه ثناء على سيده بحسن الخلق ويحتمل ان التحرى له لذلك (قوله ففى ذلك حسن الظن الخ) فيه ان يقال كيف تحسين الظن مع السرقة التى هى من الكبائر ولو مع الحاجة والاولى ان ذلك من الرأفة منه بها من اثم السرقة لاجل ان تأخذ حلالا طيبا (قوله فاعرضت عنه الخ) أى مع مسامحته السارق فيما فعله لينتم ماذكره الشارح من الشفقة على الآخذ (قوله فبدأت بالجنيد الخ) أى وكان ممن منح بعد علم النقل علم الذوق فان قلت ما حقيقة علم الذوق قلت هو فوق الفوق وقد حده لسانى بما شهده جنانى شعر

الذوق لطف مع الارواح يبرزه * معنى اللسان بما فى القلب من حكم

فخمرة الذوق تكسب اللطافة وتمحق الكثافة كؤسها المعانى وحاناتها حضرة التدانى ودنها العارف وندمائها المعارف وراووقها الصافى ومرافقها الموافى وخلاعها العقلاء وجلاسها النبلاء فيا من بها بان بها تقلب الاعيان ويمشى المقعد ويبصر الاعمى وينطق الاخرس ويروى من الظما العطشان شعر

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا * وأعمى سقيناه سلافا فابصرا
واخرس لم ينطق ثمانين حجة * أدرنا عليه الراح يوما فاخبرا
وآخر بين الناس لا يعرفونه * سقى خمرة من خمرنا فتجبرا
وميت دعا الساقى به فاجابه * وسبح للصهباء طوعا وكبرا
فلو عاين الرهبان سرعة بعثه * لصلوا له مثل المسيح وكبرا
فخمرتنا التقوى وعاصرها الهوى * وما عصرت فى دن كسرى وقيصرا

تدبر تفهم والله أعلم (قوله فقال ذاك فضلك الخ) أقول وهذا قريب مما نسب لامامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه فى شأن أحمد بن حنبل حيث قال

قالوا يزورك أحمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله
ان زارنى فبفضله أو زرته * فلفضله فالفضل فى الحالين له

(قوله هو ما اختار الله لنبيه الخ) أى مما لا يضاهيه شئ (قوله فقال له صل من قطعك) أى لان ذلك هو الاحسان اذ وصل من واصلك مكافأة لا احسان مبتدأ مع ان فيه ارغاما للنفس والهوى والشيطان ومثل ذلك أو قريب منه يقال فيما بعده (قوله ان تكون أنت من الناس الخ) انما كان هذا من الخلق لانه مع جمعه للخير هو بعيد عما فيه الرياء

بان لا توافقهم بقلبك اذ الغريب من لا شبيه له ولا قريب وذلك بان تكون مشغولا بكليتك بالله كما هو حال العارف (وقيل الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق) تعالى بان تكون راضيا بكل ما يرد عليك منهما (بلا ضجر ولا قلق) ولا كراهة (وقيل كان أبوذر) رضى الله عنه (على حوض يسقى ابلاله فاسرع بعض الناس اليه) ابله أى أدخلها عليه عند الحوض للشرب (فانكسر الحوض) فغضب وكان قائما (فجلس ثم اضطجع فقيل له فى ذلك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا اذا غضب الرجل ان يجلس فان ذهب عنه والا فليضطجع) وذلك لينكسر غضبه كما ينكسر بالماء اذا توضأ به لان الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار ومنشأ الغضب الحدة والكبر والانفة فيقابل ذلك بالتواضع فينكسر الغضب تارة بالماء وتارة بالجلوس من قيام وتارة بالاضطجاع من جلوس كل ذلك نزول الى الارض وتنبيه على انه منها خلق واليها مآله (وقيل مكتوب فى الانجيل يا عبدى اذكرنى حين تغضب اذكرك حين أغضب) وهو يوم القيامة وذلك 191 لان العبد اذا غضب تخلل عقله وتعدى حدود الله غالبا فاذا تثبت وذكر حق الله انكسر غضبه ولم يعمل بمقتضاه فيرحمه الله عند غضبه يوم القيامة على من خالفه كما جاء فى خبر المحشر ان كل نبى اذا اتاه الناس يسألونه الشفاعة حتى يريحهم الله من المحشر فيقول كل نبى ان ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله حتى يأتوا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخر ساجدا لله تعالى فيؤذن له بالشفاعة فهذا هو يوم الغضب (وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى) وكأنه كان يعرف من التفاته الى الخلق وسكونه الى أعماله ونحوهما مما يعده العارفون رياء مالا يعرفه غيره من الناس (فقال) لها (يا هذه وجدت) أى عرفت (اسمى الذى أضله أهل البصرة) أى ضاع منهم فلم يعرفوه (وقال لقمان لابنه لا تعرف ثلاثة الا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب والاخ عند الحاجة اليه) فى ماله أو جاهه لان الغالب على النفوس الدعاوى فاذا جاء وقت التحقيق ظهر صدقها وكذبها فالعبرة بالتحقيق لا بالدعاوى (وقال موسى عليه السلام) يا (الهى أسألك ان لا يقال لى ما ليس فى فاوحى الله سبحانه اليه ما فعلت ذلك لنفسى فكيف أفعله لك) ليس ذلك لقصور قدرته تعالى عن ذلك علوا كبيرا بل لان ما سبق فى علم الله لا بد من وقوعه فذلك انما هو اخبار منه عما سبق فى علمه لا غير وعليه يحمل قوله وما تشاؤن الا أن يشاء الله وقوله ولو شاء ربك ما فعلوه فلو أراد تعالى ان لا يكفر به أحد لصح ولم يقع كفر لكن لما سبق علمه انه لا بد من الكلام فيه وفى رسوله ومن الكفر به ما استحال ان يقع خلافه ومحل الاستدلال ان موسى عليه السلام سأل ربه تعالى ان يكون كامل الاخلاق حتى لا يتكلم فيه فاعلمه الله انه قد سبق فى علمه انه لا بد ان يتكلم فيك وان كملت أخلاقك فاعرض عن الخلق واشتغل بى فهو أكرم أخلاقك والله قادر على كل ممكن

وذلك قريب من قولهم الصوفى كائن بائن أى كائن بجسمه مع ابناء جنسه بائن بسره لاتقاء شره (قوله قبول ما يرد عليك) اى بشهود مصدر الافعال جل شأنه وفى ذلك الحث على فناء النفس عن مألوفاتها وعن عاداتها وحينئذ يكون من جملة المحبين المتخلقين باخلاق المحبوبين (قوله فقال ان رسول الله الخ) اى والخير كله فى اتباعه عليه الصلاة والسلام (قوله وقيل مكتوب فى الانجيل الخ) تقدم ذكره وانما أعاده لمناسبة ذكر الغضب هنا (قوله فقال لها يا هذه الخ) فيه منه انصاف عظيم حيث اعترف لها بما علمه من نفسه وهكذا من فنى عن نفسه فى محبة مرضاة ربه فيا أيها المغتر بعقل الحجاب بنور الكشف الحجاب آب فشتان بين من باعتقاده نار وبين من هو باعتقاده ثار لا يستوى اللاه واهل الله هذا بطاعته بار وذاك بمعصيته بار فالله تعالى لم يخيب من امله فيما امله طابت خمرة الذوق فزاد بها الغرام ولاعج الشوق وطيبت النفوس حين شربتها بحضرة القدوس شعر

شربنا شرابا طيبا عند طيب * كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الارض فضلة * وللارض من زاد الكرام نصيب

(قوله لا تعرف ثلاثة الخ) اى ولذا قيل عند الامتحان يكرم المرء او يهان (قوله وقال موسى الخ) محصله ان الاخلاق وان كملت لا يمنع كمالها من الوقوع فيما لا يليق فالكامل المطلق هو من لا ينظر الى ما يصدر من الخلق لاستغراقه دائما فى شهود الملك الحق (قوله ليس ذلك لقصور قدرته الخ) محصله ان ذلك وان كان فى نفسه من الممكن الجائز تعلق

(وقيل ليحيى بن زياد الحارثى وكان له غلام سوء) أى سيئ الخلق (لم تمسك هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم) بان اتعود الصبر بصبرى على اخلاقه والعفو عن زلته وهذا عند الحاجة الى خدمته والافالبعد عن مخالطته أولى فانه ربما انجر الى الوقوع فى العطب عند تحرك الغضب مع عدم الحاجة (وقيل فى) معنى (قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة) النعم (الظاهرة تسوية الخلق) بفتح الخاء (والباطنة تصفية الخلق) بضمها وهذا مدح لمن كمل الله له النعمتين والثانية هى الاصل لخبر ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وانما كانت تلك ظاهرة وهذه باطنة لان تلك مكشوفة ينظرها كل راء ببصره ١٩٢ وهذه لايعرفها ويتصف بها الا العلماء الراسخون (وقال الفضيل) بن عياض (لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سيئ الخلق) لان الاول عاص فاذا امرته بالطاعة وزجرته عن المعصية كان فى حسن خلقه مايحمل مايرد عليه منى ويرجع الى الحق اذا عرفه والثانى حظه من عبادته الذكر وكثرة الصوم والصلاة ونحوها وحرصه على الدنيا وغضبه على مايخالف هواه شديدان فاذا نهيته عما هو عليه من سوء الخلق فى ذلك اغتر بظاهر عبادته ولا يقبل مادعى اليه مما ينفعه وربما قبل فى وقت واذا خولف فى اخر فى بعض اغراضه بارتضاء شهوته وشدة غضبه ثوران الاسد وأقل أحواله العناد وعدم رجوعه الى الحق وعسر السلامة معه عكس الاول (وقيل الخلق الحسن احتمال المكروه) الذى ينزل به (بحسن المداراة) بترك حظه من الدنيا لغيره وتحمله اذاه من غير افراط ولاتفريط لانه متى أفرط فى المداراة حتى وقع فى المداهنه وقع فى الضرر الاخروى ومتى فرط فيها وقع فى الضرر الدنيوى فالمداهنة تشبه المداراة من حيث كونها سياسة الا انها تكون مع التفريط فى الدين والمداراة مع الاهمال لبعض الدنيا فلا (وحكى ان ابراهيم بن ادهم خرج الى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال) له (أين العمران فاشار الى المقبرة) لانها أول منازل الآخرة وهى التى تعمر بالاعمال الصالحة فظن الجندى ان ذلك استهزاء به (فضرب رأسه وأوضحه فلما جاوزه قيل له انه) أى الذى ضربته (ابراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاء يعتذر اليه) من جنايته عليه لكونه لم يعرفه (فقال) له (انك لما ضربتنى سألت الله تعالى لك الجنة فقال) له (لم

القدرة القديمة به الا انه بسابق العلم والقضاء الازليين بخلافه على مقتضى الحكمة الباهرة يستحيل تعلق القدرة به شرعا وعقلا حينئذ (قوله والافالبعد الخ) ولذلك ندب طلاق سيئة الخلق من النساء (قوله والباطنة تصفية الخلق) أقول كيف لاتكون من أشرف النعم ومن تحلى بها صار محبوب ولى الكرم وان كان مقام الوصال فى حضرة الاتصال يتفاوت بحسب الاحوال شعر

ليس من لوح بالوصل له * مثل من سير به حتى وصل
لاولا الواصل عندى كالذى * صار اياهم فدع عنك العلل
محوه عن سواهم فانمحى * ثم لما اثبتوه لم يزل *
ذاك شئ علق القلب به * لو تجلى منه للخلق قتل

فاذا أردت التجلى فاحرص على الجلا تفز بحلية التحلى بالحلا شعر

جلالى صفو مرآة التجلى * جمالا جل عن شبه ومثل
فزاد القلب فى فرحى سرورا * وحلانى به فحليت كلى

(قوله لان يصحبنى فاجر الخ) أقول وربما يستأنس له بقول صاحب الحكم العطائية رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا (قوله لان الاول عاص الخ) محصله ان المعصية مع حسن الخلق قريب صاحبها الى الرجوع والانقياد لغلبة انكسار نفسه بذل معصيته والعبادة مع سوء الخلق بعيد صاحبها من ذلك لغروره بها طاعته لحمقه وجهله فلذلك أحب الاول دون الثانى (قوله الخلق الحسن احتمال المكروه الخ) ذلك من قبيل الاختصار على بعض المعنى لمراعاة المخاطب مثلا (قوله بترك حظه فى الدنيا لغيره الخ) أى لان حقيقة المداراة المطلوبة ترك بعض الدنيا لاصلاح الدين وحقيقة المداهنة المنهى عنها ترك بعض الدين لاصلاح الدنيا وقوله من غير افراط ولاتفريط أقول ذلك معتبر فى كل شئ كما يدل له حديث خير الامور اوساطها (قوله وحكى ان ابراهيم الخ) يدل ذلك على ان النفس البشرية قد قنيت منه بسائر عاداتها

فقال علمت انى أوجر عليه فلم أردان يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر) هذا من حسن الاخلاق حيث أحسن لمن أساء اليه فضلا عن العفو عنه وهذا كما نقل عن بعضهم انه قيل له فلان اغتابك فاخذ طبقا وجعل فيه فاكهة وأهداها اليه ثم قال له انقلبت منك بخير فكرهت ان تنقلب منى بشر وهذا هو الذى قصده ابراهيم (وحكى ان أبا عثمان الحيرى دعاه انسان الى ضيافة فلما وافى باب داره) دخلها الداعى فى صورة من يهيئ لابى عثمان الدخول ثم خرج فلما وصل اليه (قال) له (يا استاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمت) على دعائى لك فى هذا الوقت (فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد اليه الرجل) مرة أخرى (وقال) له (يا أستاذ ندمت) على قولى لك ليس الآن وقت دخولك الى آخره (وأخذ يعتذر اليه وقال احضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى) معه (فلما وافى باب داره قال) له (مثل ما قال فى الاولى ثم كذلك فعل 193 فى الثالثة والرابعة) أى قال مثل ذلك (وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات) كاذكر (قال يا استاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه) بانه حسن الخلق (فقال) له (أبو عثمان لا تمدحنى على خلق تجد مثله مع) وفى نسخة فى (الكلاب) اذ (الكلب اذا دعى) الى طعام (حضر واذا زجر انزجر) فى ذلك دلالة على كمال رؤيته الافعال من الله تعالى فانه لما دعى لم يتأخر عن الاجابة لما فيها من الفضل وادخال المسرة على قلب الداعى ولما رده واعتذر اليه قبل اعتذاره (وقيل ان أبا عثمان اجتاز بسكة) أى زقاق (وقت الهاجرة) أى شدة الحر (فالقى عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم فى الملقى) للرماد (فقال) لهم (أبو عثمان لا تقولوا شيأ من استحق) عند نفسه (ان يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجزله) يعنى لم يلق به (ان يغضب) وأنا عند نفسى استحق النار فاذا

صولحت بالرماد كان لله الفضل على وهذا منه بالغ فى احتمال الاذى (وقيل نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة) ضيفا (فكان جعفر يخدمه جدا والفقير يقول) له (نعم الرجل أنت لولم تكن يهوديا فقال جعفر عقيدتى لا تقدح وما تحتاج اليه من الخدمة) أى لا تمنعنى من اجتهادى فى خدمتك فان أردت مكافأتى (فسل لنفسك الشفاء) من جهلك وعجلتك بالحكم على مالا تحققه حيث زعمت انى يهودى (و) سل (لى الهداية) أى الدلالة على الخير فى ذلك دلالة على كمال خلقه

فلا يستبعد حينئذ ذلك منه (قوله فقال علمت الخ) أى فكان محمدى الخلق حيث تخلق بالرأفة والرحمة والضمير فى قوله أوجر عليه عائد على الضرب المفهوم من قوله ضربنى (قوله ثم قال انقلبت منك بخير) اى لانه يؤجر على الغيبة منه اما بنقل سيأته اليه أو برفع درجاته وقوله فكرهت ان تنقلب منى بشر أى وهو اثم الغيبة والحاصل انه بعد ان سامحه من وقوعه فيه بالغيبة اتحفه بطبق فيه فاكهة وهكذا يكون من تخلق بالاخلاق المحمدية ومن تابع السنة المصطفوية (قوله وحكى ان اباعثمان الخ) فيه تنبيه على فناء الاستاذ عن نفسه وعلى مافى هذا الامتحان من اساءة الادب فلا حول ولا قوة الا بالله وهذه الحكاية قد تقدمت وانما اعيدت لمناسبة المقام (قوله على كمال رؤيته الافعال من الله تعالى) اى على معنى ان الخلق محل لجريان الاحكام الالهية لا كسب لهم فيها الا ما خفى مما ذهب اليه الاشعرى (قوله وقيل ان اباعثمان الخ) فيه انه قد رحل عن نفسه وفنى عنها كما هو المقصود فى طريق القوم واعلم ان الرحلة رحلتان رحلة الارواح ورحلة الاشباح فرحلة الارواح انتقال من الكثافة الى اللطافة ورحلة الاشباح تكون من مسافة الى مسافة شعر

الا أيها العانى برحلة جسمه * تدور على الاكوان فى تيه حيرة
ترحل الى جسم بذاتك يافتى * فانت هو المقصود فى كل رحلة

فاذا أنت أيها الانسان اذا كنت جامعا لمعانى الاكوان فلا تحجب بك عنك بل افهم حقائق العرفان ترق لحضرة العيان شعر

اذا كنت كرسيا وعرشا وجنة * ونارا وأفلاكا تدور واملاكا
وكنت من الكلى نسخة كله * وأدركت هذا بالحقيقة ادراكا
فقيم التأنى بالحضيض مثبطا * مقيما مع الاسرى أما آن إسراكا

(قوله وهذا منه بالغ فى احتمال الاذى) أى وشهود التقصير فى عبادة ربه (قوله لولم تكن يهوديا الخ) تأمل مقابلة الاحسان بغاية الاساءة * وكل اناء بالذى فيه ينضح * فلا حول

وكان الحامل له على تحمل ما قاله الفقير حمله على جهله مع حسن ظنه به لما رأى من شمائل الخير عليه وفي سؤاله الهداية له ستر لما هو عليه لانها صالحة لكل أحد فهداية تكون بحسب حاله ومقامه وعون ربه له (وقيل كان لعبد الله الخياط حريف) بفتح الحاء أي معامل (مجوسى يخيط له ثيابا و يدفع اليه) بدل خياطته (دراهم زيوفا وكان عبد الله يأخذها) منه (فاتفق) له (أنه قام من حانوته يوما الشغل فجاء المجوسى بالدراهم الزيوف فدفعها الى تلميذه فلم يقبلها فدفع اليه الصحاح فلما رجع عبد الله الى حانوته (قال لتلميذه أين قميص المجوسى ١٩٤ فذكر له القصة فقال بئسما عملت انه منذ مدة يعاملنى بمثلها وأنا أصبر عليه) وآخذها منه (والقيها فى بئر لئلا يغتر بها غيرى) وان احتمل ان يدفع مثلها الغير وأيضا فان هذا الاحتمال لا يرتفع باخذه لها ولا بعدم أخذه وفيما ذكره دلالة على حسن خلقه حيث أشفق على غيره وعمل بلا أجرة ينتفع بها (وقيل الخلق السيئ يضيق قلب صاحبه) فقلما ينشرح قلبه لشئ مما يعامل به لان الامور كلها لا تجرى على مراده فهو يشبه الحاسد (لانه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه) فسوء الخلق كان ضرره على صاحبه وبذلك يعرف حكم حسن الخلق (وقيل حسن الخلق ان لا تتغير) أنت (ممن يقف فى الصف بجنبك) من كونه عبدا أو حرا فقيرا أو غنيا جاهلا أو عالما لان تغيرك منه يدل على الكبر والانفة فلم يحسن خلقك (وقيل من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق غيرك) وذلك اما لعدم حسن ظنك بالخلق اذ لو حسن ظنك بهم لحملت أفعالهم على جهة حسنة كما أشار اليه خبر اذا ظننت فلا تحقق أي بل اول الافعال واحملها على احسن الوجوه واما لعدم كمال اشتغالك بنفسك اذ لو كمل لك ذلك واهتممت بعمارة أوقاتك كان لك فى ذلك شغل شاغل عن غيرك فلا تطلع على نقص فيه ولا كمال (وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشؤم فقال) هو (سوء الخلق) فما أكثر ما يضر العبد فى حياته ومعيشته سوء خلقه لان ما يلازم العبد اذا خالف هواه ومصلحته كان فيه شؤم كما أشار اليه خبر ان كان الشؤم فى شئ ففى المرأة والدار والفرس فاذا كان الشؤم فى الزوجة المخالفة لغرض الزوج والدار الضيقة السيئة الجوار والدابة العسرة

ولا قوة الا بالله (قوله وكان عبد الله يأخذها الخ) فى ذلك دلالة على شفقته على خلق الله وطهارة نفسه من دنس ما تهواه وكيف لا يكون كذلك والحضرة الالهية مطهرة مقدسة لا يدخلها من له أوصاف مدنسة فلذلك لم يطرقها من غير أهلها طارق ولا يصل اليها لص ولا فاسق شعر

وليس جناب القدس الا لاهله * وما كل انسان بواديه يسرح

ومن ذلك تعلم ومن اشارته تفهم ان تستر أصحاب الكمال من الرجال هو الذى أوجب ظهور الجهال الانذال شعر

لما اباح الليث غابة عرسه * طنّ البعوض وزمزم الذبان

(قوله انه منذ مدة الخ) أقول انما الاعمال بالنيات ولكل من العبيد درجات وذلك بحسب المقاصد والمطالب لكل قاصد وطالب ان الله لا ينظر الى صوركم وأعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم فالله تعالى يطهر مقاصدنا ويعفو بجوده وكرمه عن مفاسدنا (قوله لا يرتفع بأخذه لها الخ) هو وان كان كذلك الا انه ينقص الضرر باتلاف ما كان يأخذه ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فافعله هذا العارف هو المقدور له (قوله ان لا تتغير الخ) فيه مراعاة لحال المخاطب والا فحسن الخلق أعم من ذلك (قوله بل أول الافعال الخ) أى ولذا قيل لا تنظر القذى فى عين غيرك وانظر الجذع فى عينك تكن ممن سلك الطريق واتبع السلف بالتوفيق الموفق البر لا يؤذى الذر بل يتأدب مع الكبير ويرحم الصغير شعر

ارحم أخى عباد الله كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه

وقر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراع فى كل خلق وجه من خلقه

على انه قد يكون العيب المنظور فى الغير من انحراف الذوق عن الاعتدال فمن ذلك يكون الطعن فى الرجال شعر

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله فى حياته الخ) انما اقتصر على ذلك لانه من العاجل المحسوس وهو لا ينافى ثبوت

الانقياد فهو في سوء الخلق عظيم لشدة ملازمته لصاحبه مع احتياجه الى اصلاحه ليستقيم له امر دنياه وأخراه (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الاهوازي) رحمه الله (قال حدثنا أبو الحسن الصفار البصري قال حدثنا معاذ بن المثنى قال حدثنا يحيى ابن معين قال حدثنا مروان الفزاري قال حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قيل يارسول الله ادع الله تعالى على المشركين قال انما بعثت رحمة ولم أبعث عذابا) فيه دلالة على كمال خلقه صلى الله عليه وسلم فهو انما بعث ليرد الخلق الى الله ويعرفهم فضله عليهم لينشط قلوبهم لطاعته فيسعدوا دنيا وأخرى فلو دعا عليهم لهلكوا عن آخرهم على ضلالهم فتفوتهم الدنيا والاخرى

(باب الجود والسخاء)

هما عند كثير بمعنى وفرق القوم بينهما كما سيأتي بأن السخاء اخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة والجود اخراجه اكثر ما يملكه بسهولة والايثار المذكور في الآية الآتية اخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته اليه فحقيقته تقديمك غيرك على نفسك ومنه بل تؤثرون الحياة الدنيا أي تقدمون العمل لها على العمل للآخرة والآخرة خير وأبقى وقريب مما قاله السماحة والكرم وكل منهما ممدوح ومطلوب (قال الله سبحانه ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) اى حاجة (أخبرنا على بن احمد بن عبدان) رحمه الله (قال اخبرنا احمد بن عبيد قال حدثنا الحسن بن العباس قال حدثنا سهل قال حدثنا سعيد بن مسلم عن يحيى بن سعيد عن محمد ابن ابراهيم عن علقمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي) اى بماله وجاهه

المضروب في الآجل أيضا (قوله انما بعثت رحمة الخ) اعلم ان الرحمة رحمتان رحمة مختصة بوصف النعمة ورحمة مرتبة بوضع الحكمة فالاولى صرف وجود الفضل والثانية قد مازجها حكمة العدل فمثال الاولى كمن أدخل الجنة بغير حساب والثانية كمن دخلها بعد نار التطهير فالرحمة المطلقة احسان الربوبية لكل البرية والرحمة الخاصة تكون للخواص على بساط مجالى التحقيق وحينئذ فالرحيم من الخلق من تخلق بوصف الرحمن الحق والمرحوم من العباد من حفظ في الدنيا من العار ووقي في الآخرة من النار

(باب الجود والسخاء)

اعلم ان الجود على ما تقدم يشمل الجود بالمال وبالجاه وبالنفس وبالكونين والاخير ارفع الانواع رتبة لانه خلقه صلى الله عليه وسلم وكل من الجود والسخاء لا يتحلى به الا من كانت نفسه شريفة قانعة فانية في حب الخير راغبة فيما عنده تعالى مما وعد به على لسان سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ويقال لمن اتصف بالجود على طريقة القوم صبيح الوجه وهو عندهم المتحقق بحقيقة الاسم الجواد ومظهريته وأحق رسول الله صلى الله عليه وسلم به روى جابر انه ما سئل عن شئ قط فقال لا ومن استشفع به الى الله تعالى لم يرد سؤاله كما أشار اليه أمير المؤمنين على بن ابي طالب كرم الله وجهه في قوله اذا كان لك الى الله تعالى حاجة فابدأ المسئلة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم سل حاجتك فان الله تعالى اكرم من ان يسئل حاجتين فيقضي احداهما ويمنع الاخرى والوارث له صلى الله عليه وسلم في هذا النعت هو الاشعث من الاخفياء الذي ورد فيه رب أشعث مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره (قوله وفرق القوم بينهما) أى وبين الايثار كذلك على ما يأتي في كلامهم فالفضل مواهب على مقتضى حكمة الباري تعالى (قوله ومنه بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى تقدمون اللذات العاجلة الفانية والخطاب اما للكفرة وعليه فالمراد بايثار الدنيا هو الرضا والاطمئنان بها والاعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها أو للكل وعليه فالمراد ايثار ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس في الغالب من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة وقوله والآخرة خير وأبقى حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ أى تؤثرونها والحال ان الآخرة خير في نفسها لكون نعيمها مع كونه في غاية اللذة خالصا من شائبة الغائلة أبديا لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره (قوله أى حاجة) أى وسواء كانت مجاعة أو غيرها فاذ كره أعم مما قاله غيره

وبيان ما طلب منه شرعا (قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل) أي بعكس ذكر (بعيد من الله تعالى بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار والجاهل السخي احب الى الله تعالى من العابد البخيل) لان الاول سريع الانقياد الى ما يؤمر به من تعلم وغيره والى ما ينهى عنه بخلاف الثاني فانه ببخله عصى الله على علم بما يضره (قال الاستاذ ولا فرق على لسان القوم) فى تحصيل الاحبية المذكورة (بين الجود والسخاء) وان كان بينهما فرق معنوي كما مر وكما يأتى (ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء) والسماحة (لعدم التوقيف) عليهما منه تعالى (وحقيقة الجود) ممن اتصف به (ان لا يصعب عليه البذل) على ما تقدم بيانه (وعند القوم السخاء هى الرتبة الاولى) فى البذل (ثم الجود) لانه يشعر بزيادة البذل والسرعة اليه (بعده) تأكيد لما افادته ثم (ثم الايثار فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ فهو صاحب جود والذى قاسى الضرر وآثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار كذلك سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول) وتقدم بيان ذلك (قال أسماء بن خارجة ما احب ان ارد أحدا عن حاجة طلبها منى لانه ان كان كريما أصون عرضه) عن ان يذله لغيرى بسؤاله له فلا أرده خائبا بعد سؤاله الى (وان كان لئيما أصون عنه عرضى) بأن يتكلم فى وينسبنى الى البخل (وقيل كان مورق العجلي يتلطف فى ادخال الرفق على اخوانه) بحيث انه اذا عرف منهم حاجة الى شئ ولا يأتيهم به على وجه الصدقة خوفا من انكسار قلوبهم وقت ذكرهم له كما بل (يضع عندهم الف درهم) مثلا بصورة الامانة (فيقول أمسكوها عندكم حتى اعود اليكم) ثم يتركهم زمانا (ثم يرسل اليهم) من يقول لهم (انتم منها فى حل) فأنفقوها فلم يباشرهم بانها صدقة كل ذلك شفقة على قلوبهم وفى ذلك صيانة لماء وجه الفقير ورفعة لقدره (وقيل لقى رجل من اهل منبج رجلا من اهل المدينة) المشرفة (فقال ممن الرجل) اى من اهل اى بلد (فقال من اهل المدينة فقال (له) لقد أتانا رجل منكم يقال له الحكم بن المطلب فأغنانا فقال له المدنى وكيف) أغناكم (وما أتاكم الا فى جبة صوف

من تفسير الخاصة بانها الجماعة (قوله وبيان ما طلب منه الخ) هو من عطف الاعم وفيه التصريح بكيفية السخاء اذ هو اعطاء ما ينبغى لمن ينبغى على الوجه الذى ينبغى (قوله قريب من الله) اى من رحمته وقوله قريب من الناس أى من محبتهم وميلهم اليه بقلوبهم ومثله يقال فيما بعده (قوله لان الاول سريع الخ) أى مع ما فيه من الفضيلة المتعدى نفعها (قوله فانه ببخله عصى الله الخ) أى وذلك بسبب صدا قلبه المتراكم عليه من ظلمة نفسه ووقوفه مع صور الاكوان فحجب بذلك عن قبول الحقائق وتجليات الانوار فان رسخ هذا الوصف فيه غاية الرسوخ وصل الى الحرمان والحجاب الكلى المسمى رينا ورانا المذكور فى قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم الآية (قوله ولا فرق على لسان القوم فى تحصيل الاحبية المذكورة) أى فى تحصيل أصلها والا فهى تتفاوت على حسب تفاوت مرتبتى الجود والسخاء على ما لا يخفى على ذى بصيرة (قوله والذى قاسى الضرر الخ) ان قلت من اى وجه فضيلة الايثار مع المنع مما يضر بالنفس وقد ثبت فى الخبر ابدأ بنفسك قلت من وجه قوة صبر المؤثر فكأنه حينئذ لا ضرر والحديث فيمن لم يثق بنفسه صبرا (قوله أصون عرضه وقوله بعد أصون عنه عرضى) أى وكل منهما من المقاصد الشريفة الصحيحة (قوله يتلطف فى ادخال الرفق الخ) أى يستعمل طريق الرفق فى حالة مواساة الخلق بالمال بوجه لا يكون معه انكسار نفوسهم (قوله بل يضع الخ) منه يعلم انه جدير بان يكون من المشايخ الموصلين الى الطريقة ومن الاساتذة فى فنون الحقيقة فقد قيل الشيخ من علمك بقاله ونهضك بحاله الشيخ من افاد الطالب وفتح المطالب الشيخ من كمل فى ذاته وكمل بصفاته الشيخ من اذا حلت حماه وجدت به الغنى عما سواه الشيخ من يفيدك فى الشهادة والغيب ويطهرك بسره من العيب الشيخ من ستره الله بحجاب البشرية غيرة على خاصة الخصوصية والاستاذ من وهب المواهب وأراح نفسه من نعت المكاسب الاستاذ اكمل من الشيخ فى الاحوال وأعلى منه فى المعارف والاقوال الاستاذ من جمع دين الانبياء وتدبير الاطباء وسياسة الملوك وافتقر لغناه الملك والصعلوك الاستاذ له تصريف التمكين وايضاح التبيين الاستاذ من كمل الدوائر وانطوى فى نشره الاوائل والاواخر الاستاذ عارف مطلق وسيد سند محقق الاستاذ فى الاخلاق حبيب الخلاق فكل أستاذ شيخ ولا ينعكس

فقال لما اغنانا بالمال ولكنه علمنا الكرم فعاد بعضنا على بعض) اى واسى غنينا فقيرنا (حتى استغنينا) كلنا اذ الغنى غنى النفس
نلقولهن الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وذلك لان من استغنت نفسه بالله ووثق به هان عليه بذل ما في يده في البر
ومن كثر ماله ولم يهن عليه بذله وربما اشتد حرصه على الزيادة فيه فهو فقير فهذا المدنى لما أتى الى منبج وجد فيها الفقير والغنى
دالهم على غنى النفس فزهد ذو المال وهان عليه بذله وقنع الفقير فاستغنى بما تيسر له فاستغنوا كلهم (سمعت الاستاذ ابا على
الدقاق يقول لما سعى) اى وشى (غلام الخليل) بن احمد (بالصوفية الى الخليفة) وسكنت نفسه الى قوله بأنهم يستحقون القتل بما
هم عليه من الزندقة (امر بضرب اعناقهم فاما الجنيد فانه تستر بالفقه) فخلى سبيله (وكان يفتى على مذهب ابى ثور واما الشحام
والرقام والنورى وجماعة) غيرهم (فقبض عليهم) للقتل (فبسط النطع لضرب اعناقهم فتقدم النورى فقال له السياف تدرى
لماذا تبادر فقال نعم) أبادر للقتل (فقال وما يعجلك فقال أوثر على اصحابى بحياة ساعة) هذا من اشد الايثار فان الايثار قد يكون
بالمال وقد يكون بالنكاح وقد يكون باتلاف عضو ومنفعة وقد يكون بالنفس وهو اعظمها (فتحير السياف) بان القى الله
الرعب والحيرة في قلبه لما علم صدق النورى (وأنهى الخبر الى الخليفة فردهم) اى توقف عن قتلهم ورد أمرهم (الى القاضى
ليتعرف حالهم فالقى القاضى على ابى الحسين النورى مسائل فقهية) لينظر أجاهل أم عالم (فاجابه عن الكل ثم اخذ يقول)
زيادة حسنة تليق بالمقام وهى (وبعد فان لله عبادا اذا قاموا قاموا 197 بالله) اى باعانته لا بانفسهم
(واذا نطقوا نطقوا بالله وسرد الفاظا) حسنة (ابكى بها القاضى) وعرف بها فضله في الاصول والفروع (فارسل القاضى الى الخليفة وقال ان كان هؤلاء زنادقة فما على وجه الارض مسلم) أى فالذى هم عليه هو الحق وهو الاسلام فخلى سبيلهم (وقيل كان على بن الفضيل) بن عياض (يشترى من باعة المحلة)
جمع بائع أى من البائعين في الحارة القريبة من منزله (فقيل له لو دخلت السوق) البعيد عن منزلك (فاسترخصت) أى فاشتريت
بارخص مما تشتريه من المحلة لكان انفع لك (فقال هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا) لهم وفضلنا عليهم فاذا مضينا الى السوق
وتركناهم فاتهم مرادهم وفيما قاله كرم النفس وقلة الحرص على طلب الزيادة وعلى نفع الناس المطلوب شرعا ولهذا منع
الشرع من تلقى الركبان ومن بيع حاضر لباد وقال دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض كل ذلك للتوسعة على الخلق
وانتفاع بعضهم من بعض (وقيل بعث رجل الى جبلة) بن سحيم (بجارية) هدية (وكان) اذ ذاك (بين اصحابه فقال قبيح أن
اتخذها لنفسى وأنتم حضور وأكره ان اخص بها واحدا) منكم لان الهدية في العرف لمن حضر (وكلكم له حق وحرمة
وهذه) الجارية (لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين) نفسا (فامر لكل واحد) منهم (بجارية او وصيف) يشترى له وهذا يدل
على كرم نفسه وسهولة اخراج الدنيا عليه والوصيف الخادم ذكرا كان او أنثى فقوله او وصيف يحتمل ان يكون شكا من الراوى
وان يكون جبلة خير بين الامرين وأراد بالوصيف الذكر (وقيل عطش عبيد الله بن ابى بكرة يوما في طريقه فاستسقى) ماء
(من منزل امرأة فاخرجت له كوزا من ماء وقامت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض علمانكم فانى امرأة
من العرب مات خادمى منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال لغلامه احمل اليها عشرة آلاف درهم) اعانة لها ففهمت انه يسخر بها
(فقالت) له (سبحان الله تسخر بى)

كما أن كل مريد تلميذ ولا ينعكس (قوله ولكنه علمنا الكرم) أى فكان الكرم انما صدر
منه وأخذ عنه وله الاشارة بضمير الدال على الخبر كفاعله (قوله هان عليه بذل ما في يده
في البر) أى ورضى بكل شئ تيسر له وان قل (قوله فانه تستر بالفقه) أى اتخذه ساترا
لحاله الباطنى (قوله وأما الشحام الخ) أى فكانوا ممن كل الله لهم مقام الرضا والتسليم
لما يجريه العليم الحكيم ولذلك قيض الله لهم النورى وثبت منه القدم فآثرهم بالحياة
وللقتل تقدم ووفق السياف فكان السبب في براءة الاشراف وألهم القاضى
الامتحان فكان في الحقيقة احسان وهكذا حال من تجرد عن نفسه ورجع الى الله
حيث يجازيه بالوقاية من شر ما سواه (قوله فقال هؤلاء نزلوا الخ) أى وعملا بخبر الخلق
عيال الله وأحبهم اليه انفعهم لعياله (قوله وأراد بالوصيف الذكر) هو الظاهر

فنهم انها ما رضيت بذلك وانها لكونها من العرب لا تواجه بمثله (فقال) لغلامه (احمل اليها عشرين الف درهم) فزاد تعجبها بحسب ما تهمت (فقالت له اسأل الله تعالى) لك (العافية) مما بتليت به من السخرية (فقال) لغلامه (يا غلام احمل اليها ثلاثين الف درهم فردت الباب وقالت) له بناء على ما فهمته من انه يسخر بها (أف لك تحمل اليها ثلاثين الف درهم فاخذتها) فشاع ان عبيد الله ارسل اليها ثلاثين الف درهم وكانت ذات شرف في نفسها وبيتها فزاد شرفها بالمال (فما أمست حتى كثر خطابها) ورغبوا في نكاحها وفي ذلك دلالة على كرم عبيد الله وحسن نيته وعدم تأثره بما قابلته به (وقيل الجود اجابة الخاطر الاول) لانه لو لم يجب يخف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه (سمعت بعض اصحاب ابي الحسن البوشنجي رحمه الله يقول كان ابو الحسن البوشنجي في الخلاء) يقضي حاجته فوقع في خاطره أن فقيرا يعرفه محتاجا الى قميص (فدعا تلميذا له وقال له انزع عني هذا القميص وادفعه الى فلان فقيل له هلا صبرت) الى فراغك من قضاء حاجتك (حتى تخرج من الخلاء فقال لم آمن على نفسي) من ان يكون نيابتي (ان يتغير على ما وقع لي من

الخلف منه بذلك القميص) فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذر رجوعها وهذا غاية الجود (وقيل لقيس بن سعد بن عبادة هل رأيت احدا أسخى منك فقال له نعم نزلنا بالبادية على امرأة) كان زوجها غائبا (فحضر زوجها) بعد نزولهم (فقالت له انه) قد (نزل بك ضيفان فجاء بناقة ونحرها) لهم (وقال) لهم بعد طبخها (شأنكم بها فلما كان بالغد جاء باخرى ونحرها وقال) لهم بعد طبخها (شأنكم بها فقلنا كيف نحرت لنا و(ما أكلنا من التي نحرت لنا البارحة الا اليسير فقال اني لا أطعم أضيافي الغاب) بالمعجمة وبالموحدة المشددة اى البائت (فبقينا عنده) في الضيافة (يومين او ثلاثة) وكان ذلك في الشتاء (والسماء تمطر وهو يفعل كذلك) اى مثل ذلك الفعل المذكور (فلما أردنا الرحيل) من عنده وكان الرجل اى اذ ذاك غائبا (وضعنا له مائة دينار في بيته) يعنى بها على شأنه (وقلنا للمرأة) ادفعيها له و (اعتذري لنا اليه ومضينا) الى جهة مقصدنا (فلما متع النهار) بتخفيف التاء اى ارتفع وسرنا زمانا (اذا نحن برجل) فارس (يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام اعطيتموني ثمن قراي ثم انه لحقنا وقال) لنا (لتأخذنه والا طعنتكم برمحي هذا فاخذناه) منه (وانصرف عنا فانشأ يقول

وإذا اخذت ثواب ما أعطيته * فكفى بذاك لنائل تكديرا) | في ذلك دلالة على الكرم من الجانبين (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول دخل ابو عبد الله الروذباري دار بعض اصحابه فوجده غائبا) عنها (وباب بيت له) بها (مقفل فقال) منكرا عليه (صوفي وله باب بيت مقفل) اى لا ينبغي لصوفي ان يكون عنده حرص على الدنيا ولهذا قال (اكسروا القفل فكسر والقفل وأمر بجميع) اى باخراج جميع (ما وجد في الدار والبيت وانفذه) اى اخرجه وارسله (الى السوق) فنقلوه (وباعوه واصلحوا وقتا) لهم (من الثمن) الذي باعوا به (وقعدوا في الدار) لوثوقهم برضا صاحبها بذلك ومحبته لهم وشكره لله تعالى على ما من به عليه من عدم اعتبار الدنيا عنده (فدخل صاحب المنزل) فوجدهم فيه (ولم يمكنه ان يقول شيأ) مع سروره بذلك

و يرجحه عطفه على الجارية باو (قوله اجابة الخاطر الاول) اعلم ان الخواطر واردات حق وطوارق باطل فان ورد بتنزيه الحق وتوحيده فرباني وان حرك أنواع الطاعة فلكي والوارد الباطل ما يرد باضطراب ومسارعة لانواع المعاصي ومثله شيطاني فان طرق بغرض وجهة معينة فنفسي والحاصل ان الوارد يرد عن حضرة اسمه القهار ولهذا يمحق الاوصاف والآثار وهو يكون للسالك بتسميع الاوراد ولاهل العناية بلا اختيار ولا مراد فهو ما أفاد الفوائد وعلم غرائب الفرائد ويحصل من كلامه ان سرعة اجابة الخاطر الاول من أمارات الجود (قوله فدعا تلميذا له الخ) اعلم ان التلميذ والمريد حقيقته على مصطلح القوم هو من فنيت حظوظه النفسية وخمدت شهواته البشرية فقام برسوم الآداب بعد تصحيح مقام المتاب فهو الميت في حضرة أستاذه المنفعل بأمره به من مراده القائم بمقام التجريد على نفسه بغاية التشديد فهو حينئذ طالب للافادة مع البقاء على العادة يحضر ويغيب ويخطئ ويصيب غير ان التلميذ التحرير دائما بقصد التحرير فهو اذا بين النجباء قد يفوق الالباء (قوله فقال اني لا أطعم أضيافي الغاب) فيه ان الغاب لا خير فيه وهو كذلك ولا سيما ما يبيت فيما من شأنه انه يصدأ من الاواني (قوله أيها الركب اللئام الخ) سماهم بذلك لانهم بذلوا في مقابلة اكرامهم مائة دينار وهو مما ينافي الكرم عنده (قوله صوفي وله باب بيت مقفل الخ)

(فدخلت امرأة بعدهم الدار) اى بعد ان دخلوها وفعلوا ما فعلوا (وعليها كساء) وأعلمها زوجها بما جرى وبمن الداخل عليهم (فدخلت بيتا) من بيوت الدار (ورمت) اليهم (بالكساء) الذى كانت ملتحفة به (وقالت يا اصحابنا هذا) ايضا (من جملة المتاع) الذى فى الدار (فبيعوه) وكلوا بثمنه وفى نسخة فبيعوها بتأنيث الكساء باعتبار انه ملحفة للمرأة (فقال الزوج لها) ليعرفهم فضلها (لم تكلفت هذا باختيارك فقالت له اسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم) ويدل (علينا) ويتصرف فى أموالنا (و يبقى لنا شئ ندخره عنه وقال بشر بن الحرث النظر الى البخيل) على نفسه وغيره (يقسى القلب) لقساوة قلبه فيؤثر فى قلب الناظر اليه ما يتطرق منه فيصير من حزبه (وقيل مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه) فى العيادة له (فسأل عنهم فقيل له) وفى نسخة فقالوا (انهم يستحيون) من عيادتك (مما لك عليهم من الدين) الذى لك باقراض اوغيره (فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة) والعيادة (ثم أمر من) وفى نسخة مناديا (ينادى من كان لقيس عليه دين فهو منه فى حل فكسرت عتبته) وفى نسخة عتبة بابه (بالعشى لكثرة من عاده) فى ذلك دلالة على صدقه وزهده فى الدنيا وهوانها عليه (وقيل لعبد الله بن جعفر انك تبذل) اى تعطى (الكثير اذا سئلت وتضن) أى تبخل (فى القليل اذا تُوجرت) أى شوححت (فقال انى ابذل مالى واضن بعقلى وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم) فيها للاستظلال بها اولغيره (وفيها غلام اسود يعمل فيها) بالسقى وغيره فبينما هو فى عمله (اذ أتى الغلام) أى جئ له (بقوته) ثلاثة أقراص (فدخل كلب الحائط) أى غيط النخل (ودنا من الغلام) لما رأى الاقراص فرأى به أثر الجوع (فرمى اليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى اليه بالثانى والثالث) لما رآه متشوقا جائعا (فأكله) أى ما رماه اليه وفى نسخة فأكلها (وعبد الله بن جعفر ينظر اليه) فتعجب منه (فقال له يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال فلم آثرت) به (هذا الكلب قال ما هى) اى هذه الارض (بارض كلاب) غير (انه جاء) تبعا للناس (من مسافة بعيدة) ورأيته اليوم (جائعا فكرهت رده قال فما أنت صانع فقال له اطوى يومى هذا فقال عبد الله بن جعفر) فى نفسه (أألام على السخاء ان هذا) الغلام (لاسخى منى فاشترى الحائط) اى حائط النخيل (والغلام وما فيها) اى النخيل وحائطها (من الآلات فاعتق الغلام) أولا لصبره واعلائك (ووهبها له) وفى نسخة ووهبها منه فلما آثر الغلام الله بالكل حولته قلب عبد الله حتى حصل له كل هذا الخير فما عامل الله أحد بصدق فخاب وفى ذلك دلالة على كرم عبد الله بن جعفر (وقيل أتى رجل صديقا له ودق عليه الباب فلما خرج اليه قال له لماذا جئتنى قال) جئتك (لاربعمائة درهم دين ركبتنى فدخل الدار و وزن له) من ماله (أربعمائة درهم وأخرجها اليه ودخل الدار باكيا فقالت له امرأته) ظنا منها ان بكاءه على كثرة الدراهم التى أخرجها (هلا تعللت) واعتذرت للرجل وامسكتها عنه (حين شق عليك الاجابة فقال) لها ما هذا الذى أبكى عليه (انما أبكى لانى لم أتفقد حاله حتى احتاج الى مفاتحتى به) اى بحاله وهذا غاية الكرم والجود حيث اعطى الكثير وتألم من التقصير (وقال مطرف بن الشخير) لاصحابه (اذا أراد أحدكم منى حاجة فليرفعها) الى (فى رقعة فانى أكره ان أرى فى وجهه ذل الحاجة) بسؤاله لى مباشرة فيه دلالة على كرمه واستحيائه من سؤال السائل واشارة الى انه لو أمكنه الاطلاع على حوائج اصحابه بدون مذاكرة لقضاها ولم يحوجهم الى رفع رقعة (وقيل أراد رجل ان يضار عبد الله بن العباس) حسدا لما شاع من كرمه وسخائه وذلك بان يعجزه ويزيل عنه هذه النعمة الشريفة

أى ولذا قيل من أقبح القبيح صوفى شحيح (قوله ورمت اليهم بالكساء الخ) أى لاجل ايثارهم على نفسها وهو من اقوى الجود فرضى الله تعالى عنها وعن زوجها ومن نحا نحوهم وسلك سبيلهم (قوله ويبقى لنا شئ ندخره) أى وذلك لا ينبغى (قوله النظر الى البخيل الخ) هو من المبالغة فى الزجر عن مصاحبته خشية التأثر بنعته (قوله فى ذلك دلالة على صدقه) أى وعلى انه ينبغى للانسان ان يزيل أسباب الحياء منه وأسباب الوحشة بالاولى من ذلك (قوله فقال انى أبذل مالى الخ) أى وذلك من أدلة قوة العقل (قوله غير انه جاء تبعا الخ) أى فاشبه النزيل فكان من حقه الاكرام (قوله وفى ذلك دلالة على كرم عبد الله الخ) أى وعلى ايثار الغلام الكلب على نفسه المعلوم منه بالاولى ايثار اخوانه المؤمنين (قوله حتى احتاج الخ) أى وفى ذلك كسر لقلبه ونوع ذل له نشأ كل منهما من تقصيرى بعدم البحث عن حاله (قوله وقال مطرف الخ) تأمل مثل هذا منه مع أخلاق خاصة أهل زماننا فضلا عن عامتهم فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وقيل أراد رجل الخ)

(فاتّق) في غفلة منه (وجوه البلد) اى اعيانه (وقال لهم يقول لكم ابن العياش تغدّوا واعتدى اليوم قاموا وملئوا الدار فقال) لهم (اطلعوا الا خبز الخبز) فتفهم القضية (تأمر) وكلامه (بشراء القنوا كذا في الوقت وأمر بالخبز والطبخ وأصلح) لهم (أمرا) يليق بهم فما فرغوا من أكل الخوان حتى تهيأت بقية الاطعمة فقدمها اليهم (فلما فرغوا) من اكلها (قال لو كلاته أمونا ولنا كل يوم هذا) اى هل يأتي في حلنا كل يوم مثل ما اتفق اليوم (فقالوا انعم فقال) اهم (فليتخذ هؤلاء كلهم) أي من واهؤلاء فليتغدوا (عندنا كل يوم) فقابل الحاسد بنقيض قصده فاراد ان ينقص درجته فرفعها الله (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول كان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي يتوضأ يوما في صحن داره) من قمقمة (فدخل اليه انسان وسأله شيأ من الدنيا ولم يحضره شئ) يعطيه له (فقال) له (اصبر حتى افرغ) من وضوئي (فصبر فلما فرغ قال له خذ القمقمة واخرج فاخذها وخرج ثم صبر حتى علم انه بعد) وأيس من ان يلحقه احد (فصاح وقال دخل انسان) على (وأخذ القمقمة) يوهم انه اختلسها (فمشوا خلفه فلم يدركوه وانما فعل ذلك) اى اوهمهم اختلاس القمقمة (لان اهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل وسمعته) ايضا (يقول وهب الاستاذ أبو سهل الصعلوكي) جبته من انسان في الشتاء) مع احتياجه اليها (وكان يلبس) بدلها (جبة النساء حين يخرج الى التدريس) مع انها تزرى بقدره (اذلم يكن له جبة أخرى فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم من كل نوع امام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين فارسل اليه صاحب الجيش ابو الحسن وأمره بان يركب للاستقبال) للوفد (فلبس دراعة) بضم المهملة (فوق تلك الجبة التي للنساء وركب فقال ٢٠٠ صاحب الجيش انه يستخف بي) ولم يجعل لنفسه حرمة (امام البلد يركب في جبة النسوان) ويليق بها من اقبل علينا من العلماء (ثم انه ناظرهم اجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم) وارتفع عليهم (في كل فن) تكلموا معه فيه فتبين ان حرمته دينية لادنيوية وان درجته علمية وقلبية لاقالبية (وسمعته) ايضا (يقول لم يناول الاستاذ ابو سهل احدا شيأ بيده) على وجه الصدقة (و) انما (كان يطرحه على الارض ليأخذه الآخذ من الارض) لكمال زهده في الدنيا وقلة قدرها في عينه (وكان يقول الدنيا اقل خطرا) اى قدرا (من ان أرى لاجلها يدي فوق يد احد) فانا افعل ذلك حتى لا تكون يد الآخذ سفلى (وقد قال صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى) والعليا هي المنفقة والسفلى هي الآخذة فلم ير لنفسه قدرا في كونه منفقا لحقارة الدنيا في عينه ولم يهن عليه ان تكون يده فوق يد من يأخذ صدقته ويد الآخذ اسفل يده وفي ذلك دلالة على فضيلته وكمال جوده وسخائه وزهده في الدنيا (وقيل كان ابو مرثد رحمه الله احد الكرام فمدحه بعض الشعراء) بقصيدة (فقال ما عندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادع علي بعشرة آلاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان أهلي لا يتركوني مسجونا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن) في يومه وانما التزم هذا المال العظيم مكافأة لمن مدحه كما جرت به عادة العرب وخشية ان تلحقه النقيصة في كونه لم يكافئ مادحه (وقيل سأل رجل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه شيأ) من الدنيا (فاعطاه خمسين الف درهم وخمسمائة دينار وقال ائت بحمال يحمله) اى ما اعطيته (لك فاتى بحمال فاعطاه) اى الحمال (طيلسانه وقال يكون كراء الحمال من قبلي) في ذلك دلالة على ان الحسن دفع للسائل جميع ماله من النقد بدليل انه دفع للحمال طيلسانه اذ لو كان عنده من النقد ما يعطيه في أجرة الحمل لم يعطه طيلسانه أجرة

انظر ذلك مع انه من الكبائر ولكن لا يبعد على المحسود مثله (قوله فرفعها الله) أي على جري العادة الالهية في المحسود مع الحاسد والله أعلم (قوله وانما فعل ذلك الخ) أي ولامتثال الامر باخفاء الصدقة (قوله امام البلد) أي المقدم على أهلها اركب الخ أي ومثله لا يليق به ذلك ولكن يبقى النظر في غفلة صاحب الجيش عن التفتيش عن السبب في ذلك (قوله فتبين ان حرمته دينية الخ) أي ومثله هو الانسان اذ المرء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه (قوله والعليا هي المنفقة) العلو والسفل معنوي وافقه الخارج أولا فتأمل (قوله وفي ذلك دلالة على فضيلته) أي بواسطة متابعة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم (قوله ولكن قدمني الى القاضي الخ) أقول وذلك من أعلى مراتب الجود والكرم (قوله فاعطاه خمسين الف درهم الخ) غير بعيد ذلك من مثله رضي الله تعالى

(وسألت امرأة) فقيرة (الليث بن سعد سكرجة عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له فى ذلك) أى انها طلبت شيأ قليلا فأعطيتها هذا كله (فقال انها سألت على قدر حاجتها ونحن نعطيها على قدر نعمتنا) اى نعم الله علينا ليتخلق بخلق الله تعالى فانه يعطى الحسنة اذا هم العبد بها البر اخان عملها اعطاه عشرة أمثالها الى سبعمائة والله يضاعف لمن يشاء (وقال بعضهم صليت فى مسجد الاشعث ابن قيس (بالكوفة الصبح اطلب غريما لى فلما سلمت) من الصلاة (وضع بين يدى كل واحد حلة ونعلين) وفى نسخة ونعلان والحلة ثوبان يتزر باحدهما ويرتدى بالآخر (وكذلك وضع بين يدى) مثل ذلك (فقلت ماهذا فقالوا ان الاشعث قدم من مكة) فأمر بهذا (فهذا الاهل جماعة مسجده فقلت انما جئت اطلب غريما لى ولست) من جيرانه فلست (من جماعته فقالوا هو لكل من حضر) وأنت قد حضرت فى ذلك دلالة على كرم الاشعث (وقيل لما قربت وفاة الشافعى رضى الله تعالى عنه قال مروا فلانا يغسلنى وكان الرجل غائبا فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته) اى بدفتر الشافعى (فوجد عليه سبعين الف درهم دينا فقضاها وقال هذا غسلى اياه) فى ذلك دلالة على فراسة الشافعى فى هذا الرجل وعلى كرم الرجل وسرعة تفطنه لان الشافعى من الائمة فلا يرضى بمن يغسله الا من كان متصفا بالفضل والدين ولما عدل عنه ومال الى اهل الكرم المتسعين فى الدنيا وبلغ الموصى له بغسله ذلك ظهر له ان مراد الشافعى بغسله طهارته من المطالبة بدينه وانه اهل لذلك واختاره له فنظر فى دفتره فاذا عليه سبعون الف درهم فقضاها عنه (وقيل لما قدم الشافعى رضى الله عنه من صنعاء الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقيل له تشترى بها قنية فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت

٢٠١

الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق منها (شئ) وقد فعل الشافعى بذلك ما أشير عليه به فاشترى بالدنانير قنية لان ما يشترى للقنية هو ما يشترى للانتفاع به دنيويا كان أو أخرويا وقد اختار الاخروى وشتان ما بين قصور الجنة والدنيا وخدمهما وثيابهما وأنهارهما وأشجارهما وغيرهما وفى ذلك دلالة على زهد الشافعى رضى الله عنه (وقيل خرج السرى يوم عيد فاستقبله رجل كبير الشان فسلم السرى عليه سلاما ناقصا) بان قبض نفسه عن البشر له واظهر الرجل له البشر (فقيل له هذا رجل كبير الشان فقال قد عرفته ولكن روى مسندا انه اذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لابشهما فاردت أن يكون معه الاكثر) رغبة له فيما يعظم نفعه الاخروى والتبسم من حيث هو ليس هو بطاعة والافكيف آثره به مع ان الايثار به مكروه ولعله آثره به لان امساكه عنه لا يستلزم بشر الآخر وان كان الظاهر انه فهم منه ذلك (وقيل بكى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه يوما فقيل له ما يبكيك فقال) مع كمال زهده فى الدنيا وانفاقه جميع ما فى بيت المال (لم يأتنى ضيف منذ سبعة أيام و) أنا (أخاف ان يكون الله تعالى قد أهاننى) ونقص درجتى (و) قد (روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه قال زكاة الدار) أى بركتها ونموها (ان يتخذ فيها بيت الضيافة) لان اهل الدار لا بد ان يحتجبوا عن الضيوف غالبا والمرادات البركات والخيرات انما تنمو فى الدار اذا تكرر عليها الضيوف (وقيل فى قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) ماسبب وصفهم بذلك (قيل قيامه) عليه السلام (عليهم بنفسه) لابوكلائه (وقيل) انما كانوا مكرمين عنده (لان ضيف الكريم كريم وقال ابراهيم بن الجنيد كان يقال أربعة لا ينبغى للشريف) أى شريف الهمة الطالب لمعالى الامور (أن يأنف منهن

تعالى عنه كيف وهو بضعة محمدية ونتيجة علوية فالكرم انما يتلقى من قبله (قوله وفى نسخة ونعلان) أى والنسختان صحيحتان كما هو ظاهر لمن له اطلاع والمام (قوله وعلى كرم الرجل) أى وعلى حل كسبه وماله كما هو اللائق بنظر مثل هذا الامام رضى الله تعالى عنه (قوله قنية) أى شيأ تقتنيه لاجل الانتفاع به (قوله وقد اختار الاخروى) أى ايثار الماباقى على ما يفنى (قوله والافكيف الخ) أى الانقل انه ليس بطاعة بل قلنا انه طاعة فكيف الخ (قوله وقيل بكى أمير المؤمنين الخ) تأمل تأثره وتضرره من عدم وجود الضيف بالتضرر من وجوده باعتبار حال أهل زماننا تحقق تأخر الزمان وفقد أهل الاحسان فالله تعالى يعوضنا خيرا (قوله ان يأنف منهن) أى بل عليه ان يقوم على

وان كان أميرا قيامه من مجلسه لابيه) لان ذلك يزيده شرفا عند الله وعند الخلق (وخدمته لضيفه) لانها تدل على كمال شرفه وشدة رغبته فى الخير (وخدمته لعالم يتعلم منه) وليقتدى به غيره ولانها كمال فى درجته وتحمل العالم على ان يخصه بفوائد (والسؤال عما لم يعلم) مما طلب منه شرعا لانه اما واجب او مندوب (وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا أو اشتاتا انهم كانوا يتحرجون) اى يرون الحرج اى الاثم (فى ان يأكل احدهم وحده فرخص لهم) بالآية (فى ذلك) توسعة لهم فنفت عنهم الحرج والجناح فى اكلهم مجتمعين أو متفرقين (وقيل اضافه عبد الله بن عامر بن كريز رجلا فاحسن) هو وغلمانه (قراه) بحسن القول والفعل له ولمن معه (فلما اراد الرجل ان يرحل عنهم لم يعنه غلمانه) فاستنكر الرجل منهم ذلك ورآه مباينا لما فعلوه معه عند قدومه عليهم (فقيل له) اى لعبد الله (فى ذلك) اى ما السبب فيه (فقال عبد الله انهم) وفى نسخة لانهم (لا يعينون من يرحل عنا) لحبهم لدوام اقامته عندهم وكراهتهم لرحيله عنهم وهذا غاية فى الكرم (انشد عبد الله بن باكويه الصوفى قال انشدنا المتنبى فى معناه

(اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا *) على (أن لا تفارقهم فالراحلون هم) اى القوم فكان القوم

هم الراحلون لكراهتهم ارتحاله من وطنهم وفى ذلك تحريض على ان لا تدع من نزل بك يرتحل عنك وأنت متمكن من بقائه عندك فان ذلك من الكرم (وقال عبد الله بن المبارك سخاء النفس عما فى ايدى الناس) اى عدم طلبه منهم وعدم الرغبة فيه وهو الزهد فى الدنيا (أفضل من سخاء النفس بالبذل) لما فى يدها فالزهد فى الدنيا افضل من بذل ما فى اليد (وقال بعضهم دخلت على بشر بن الحرث فى يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب) ما يدفع عنه من ألم البرد ودفعه الى فقير (وهو ينتفض) من البرد (فقلت) له (يا أبا نصر الناس يزيدون فى الثياب فى مثل هذا اليوم وأنت قد نقصت) منها (فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه) من البرد (ولم يكن لى ما أواسيهم به فاردت ان أوافقهم بنفسى فى مقاساة البرد) بان اخرجت من ثيابى ما كان يدفع عنى ألم البرد لفقير ولم أقدر ان اعمهم فوافقتهم بان قاسيت الم البرد مثلهم وفيه دلالة على كمال ايثاره بما يحتاجه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الدقاق يقول ليس السخاء أن يعطى الواجد) للشئ (المعدم) له (انما السخاء ان يعطى المعدم) للشئ (الواجد) له بان يتركه له اذا أتاه بان لا يقبله منه كما هو طريقة ابراهيم بن ادهم فانه انما كان يأكل من عمل يده من حراسة البساتين وغيرها مما عرف حاله

نفسه حتى تتخلق بذلك لانه يزيد الشريف شرفا فى دنياه وفى أخراه (قوله فقال عبد الله انهم الخ) أى لان العبيد على ما تهوى ساداتهم غالبا (قوله أفضل من سخاء النفس الخ) هذا مرجعه الى الخلاف فى الغنى الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل والذى عليه الفقهاء الاول والصوفية الثانى ولكل وجهة هو موليها

* (باب الغيرة) *

اعلم انها هى كراهية مشاركة الغير فيما للنفس فيه حظ من مال أو جاه أو غيرهما وهى بهذا المعنى مذمومة لانها لا تنشأ الا عن نحو الحسد كحب الرياسة اما اذا كانت الغيرة للحق تعالى بان لا يرضى العبد من قلبه ان يميل الى غير ما يرضيه تعالى فهى ممدوحة ومطلوبة وهذا كله اذا أسندت الغيرة للعبد أما اذا أسندت للرب تعالى فالمراد منها ارجاع العبد الى ما يرضيه عند صدور التفاته الى غيره غيرة عليه وحفظا له اهـ (قوله هى سقوط الاحتمال) أى التحمل وما عطف عليه تفسير له وقوله وضيق الصدر عن الصبر اى على مشاركة الغير فيما فيه حظ له (قوله وهى ان لم تكن فى مباح) أى فيما خير فيه الشارع المكلف فعلا أو تركا وقوله فهى مذمومة اى لان منشأها اما الحسد واما حب الرياسة وهما مذمومان (قوله لا تمنعوا اماء الله الخ) هذا باعتبار ما كان والا فيجب الآن منعهن من مجامع الرجال مطلقا

* (باب الغيرة) * هى سقوط الاحتمال وضيق الصدر عن الصبر ويقال غير ذلك كما سيأتى وهى ان لم تكن فى مباح فهى مذمومة ولهذا قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله وان كانت فى مباح فهى ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى قل انما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن) اى علانيتها وسرها

وانما حرمها لغيرته كما سيأتي (اخبرنا أبو بكر محمد بن احمد بن عبدوس المزكي رحمه الله قال اخبرنا ابو احمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال حدثنا عبد الله بن مسلم قال حدثنا محمد بن الفرات عن ابراهيم الهجري عن أبي الاحوص عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحد أغير من الله و من) اجل (غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن اخبرنا علي بن احمد الاهوازي رحمه الله قال اخبرنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا علي بن الحسن بن بنان قال حدثنا عبد الله بن رجاء قال اخبرنا حرب بن شداد قال حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة ان اباهريرة رضي الله عنه حدثهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يغار وان المؤمن يغار وغيرة الله تعالى) على عبده المؤمن (أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله تعالى عليه) ويبعد الله عنه ذلك ويحميه عنه ولا يرضاه له (والغيرة كراهية مشاركة الغير) أي كراهية من قامت به الغيرة مشاركة غيره له في حقه كان يكره الرجل مشاركة غيره له في درجته قيل وينشأ من ذلك انقسام الناس اربعة اقسام قوم لا يغارون على شئ أصلا وهم الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله أو لا يغارون على بعض المحرمات كالديوث والقواد وقوم يغارون على كل شئ حتى على ما امر الله به مما هو من نوع الحسد وقوم يغارون على ما امر الله به دون ما حرمه فيكرهون العبادات ويحبون الفواحش وقوم يغارون على ما يكرهه الله ويحبون ما يحبه وهم اهل الايمان وقد يتوقف في تسمية بعض ذلك غيرة (واذا وصف الحق سبحانه بالغيرة) على عبده (فمعناه انه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له) فهو تعالى يصرفه عنه ويحميه عن الوقوع فيه (حكي عن السري) (السقطي انه رئي بين يديه واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فقال السري لاصحابه أتدرون ماهذا الحجاب هذا حجاب الغيرة ولا احد اغير من الله تعالى) قال المملي (ومعنى قوله هذا حجاب الغيرة يعني انه لم يجعل الكافرين اهلا لمعرفة صدق الدين) بل ابعدهم عنه لارادة اشقاوتهم (وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رضي الله عنه يقول ان اصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق باقدامهم مثقلة الخذلان) يعني ربط اقدامهم بمثقلات الخذلان عن العبادة بحيث يمنعونها اولا يجدون عليها عونا (فاختار لهم البعد عنه) تعالى (فاخرهم عن محل القرب ولذلك تأخروا) عن خدمته تعالى (و) في معناه (انشدوا انا صب) اي مشتاق محب (لمن هويت) أي احببته (ولكن ما احتيالي لسوء رأي الموالي) الذين حكموا علي وهم هواه وشهوته ونفسه وشيطانه فهؤلاء هم الذين عاقوه عن خدمة مولاه كما قال تعالى افرأيت من اتخذ الهه هواه (وفي معناه أيضا قالوا) هو (سقيم) أي مريض على تخلفه عن طاعة ربه (ليس يعاد) أي لا يقصد بالعيادة (ومريد) للمنازل الرفيعة (ولا يراد) لها هذا من قائله ذم لنفسه وتمن لعافيته من مرضه وكسله (سمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول سمعت العباس الزوزني يقول كان لي بداية حسنة وكنت اعرف كم بقي بيني وبين الوصول الى مقصودي من الظفر بمرادي) من بعض المقامات العالية (فرأيت ليلة من الليالي في المنام كأني اتدهده) أي اتدحرج (من حالق جبل) أي من جبل مرتفع قال الجوهري الحالق هو الجبل المرتفع (فاردت الوصول الى ذروته) بكسر الذال وضمها أي علوه

مطلقا لما يترتب على اجتماعهن معهم من الفتن (قوله وانما حرمها لغيرته) المراد لحكمة المنع من الفعل أو الترك (قوله ان الله يغار الخ) المراد عدم رضاه تعالى ومنعه من الشئ كما هو ظاهر (قوله والغيرة كراهية الخ) هذا المعنى يعم غيرة الحق وغيرة الخلق كما هو واضح (قوله كان يكره الرجل الخ) فيه انه قاصر على غيرة الخلق المذمومة (قوله وينشأ من ذلك) أي من وجود الغيرة وعدمها (قوله والقواد) عطفه على ما قبله من عطف الاعم (قوله حتى على ما أمر الله به) أي فلا يفعلونه وذلك لما قام عندهم من الحسد (قوله وقد يتوقف الخ) أي لان حقيقة الغيرة كراهية مشاركة الغير وذلك يقتضي قيام المغار منه بالشخص ذي الغيرة (قوله فهو يصرفه عنه) أي لسبق عنايته به أما غيره فلا يصرفه بل يعاقبه على الفعل وسبحان من له الحكمة البالغة (قوله هم الذين ربط الحق الخ) منه يعلم ان الامر من الله والى الله فلا حول ولا قوة الا بالله وقوله مثقلة الخذلان أي مثقلة هي الخذلان (قوله وانشدوا انا صب الخ) هو قريب مما قاله الاستاذ غير انه فيه جرى على ظاهر الحال من نسبة الفعل للمكلف (قوله هو سقيم) أي بالسقم المعنوي لمرض همته وضعف سريرته عن اللحوق باهل العنايات (قوله يقول كان لي بداية حسنة الخ)

(قال فحزنت) بعد استيقاظي على تقصيري عن مطلوبي من ذروة الجبل (فاخذني النوم) أيضا (فرأيت) ما يدل على ما اختاره الله لي دون ما اخترته من ان (قائلا يقول يا عباس الحق) تعالى (لم يرد منك ان تصل الى ما كنت تطلب ولكنه فتح على لسانك الحكمة) لينتفع بك من تعظه فيتزايد فضلك واجرك (قال فاصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة) في ذلك تحريض على رضا العبد بالمقام الذي اقامه الله فيه وان علم ان فوقه أرفع منه لانه تعالى عالم بما يصلح عبيده وبما اهلهم له ولا يمنعه ذلك من سؤال المقامات العالية فالممنوع انما هو كراهة المقام الذي هو فيه لا سؤال ما هو ارفع منه فهذا الرائي كانت نفسه متعلقة بذروة الجبل الذي رآه وهي حالة رفيعة في الدين والقدر يمنعه من ذلك فحزن على تقصيره عن مطلوبه فرآى في نومه ما دله على ما اختاره الله له من فتح الحكمة على لسانه كما تقرر (وسمعت الاستاذ ابا علي رحمه الله يقول كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله فخفي) عن الناس (مدة لم) أي لم يظهر (بين الفقراء ثم انه ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت فسئل عنه فقال آه وقع حجاب) يحتمل ان يكون ما انتقل اليه دون ما كان عليه ويحتمل ٥٠٤ أن يكون أرفع منه والحجاب على الاول نقص وعلى الثاني حجاب كمال وهو شغله عن الناس بربه (وكان الاستاذ ابو علي رحمه الله تعالى اذا وقع شئ في خلال المجلس يشوش) ويكدر (قلوب الحاضرين يقول هذا من غيرة الحق سبحانه) عليهم حيث (يريد ان لا يجري عليهم ما يجري من صفاء هذا الوقت) لعدم اهليتهم له بل اجرى عليهم ما يشوش عليهم ويحجبهم عن ذلك (و) قد (انشدوا في معناه هذا) أي المحبوبة او الفوائد التي كانت تجري عليهم لو كانوا اهلا لها (باتيانا) وفي نسخة باتيانها (حتى اذا نظرت * الى المرآة نهاها وجهها الحسن) وفي نسخة بعد هذا البيت ما كان هذا جزائي من محاسنها * عذبت بالهجر حتى شفني أي أضناني الحزن وقد يكون ذلك رحمة وقد يكون عقابا وابعادا (وقيل لبعضهم تريد) أي اتحب (ان تراه) تعالى حتى (فقال لا فقيل لم فقال لاني انزه ذلك الجمال عن نظر مثلي) من حيث انه لا يصلح اهلا لهذه المنزلة في القرب والرؤية او لاني لا اطيق رؤيته لضعفي عن حمل بغتتها كما جرى لصواحبات يوسف عليه السلام لما اخرجته امرأة العزيز عليهن فلم يطقن رؤيته لكمال جماله فقطعن ايديهن وهن لا يشعرن وامرأة العزيز تنظر اليه معهن فلم تتأثر برؤيته لتمكنها في ذلك (وفي معناه انشدوا اني لاحسد ناظري عليكا *) يارب لعدم صلاحية نظري لنعمة الرؤية (حتى اغض) اجفاني محبة لزوالها ولهذا سماه حسدا (اذا نظرت اليكا) قد يحسد ناظريه (وأراك تخطر في شمائلك) يعني افعالك الدالة على كمالك وجلالك (التي * هي فتنتي) بان يغشى علي اكون لا اطيق حمله (فاغار منك عليكا) فلا احب ان يظهر لي من جلالك وعظمتك ما لا احتمله (وسئل الشبلي متى تستريح) من الغيرة (فقال اذا لم ار له) تعالى ذاكرا فاني اذا رأيت له (ذاكرا) يذكره فغيرتي عليه باقية لاني لا احب بريا ان ذكر محبوبي على لسان غيري

حصل له ان الغيرة لله سبحانه وتعالى ويشهد له وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية (قوله في ذلك تحريض الخ) حاصله وجوب الرضا بما اعطاه الحق تعالى من المقامات ومع هذا فللعبد ان يسأل الارفع مما ناله على حسب شاهد الشريعة أما بالنسبة لمقام الحقيقة ففي سؤال الارفع نوع معارضة على انه لا معارضة اذ الغرض الرضا بما منحه وعدم كراهيته وذلك لا ينافي سؤال غيره (قوله لا على ما كان عليه) أي بل على اقل منه كما يفيده قوله آه وقع حجاب اذ لا يتوجع الا من مثل ذلك (قوله ويحتمل ان يكون ارفع منه) فيه بعد ظاهر فالاولى الاقتصار على ما قبله (قوله يريد ان لا يجري الخ) أي لحكمته الباهرة يصرف عنهم الاكمل من المقامات والاصفى من الاحوال لعلمه بعدم استعدادهم له (قوله أو الفوائد الخ) المراد بها ففيه مجاز بالحذف أو نفس الفوائد على طريق المجاز العقلي وذلك واضح (قوله فقال لاني انزه ذلك الجمال) أي بواسطة اعتقادي لذلك لا على معنى احداث التنزيه له تعالى لانه منزه ازلا وابدا (قوله كما جرى لصواحبات يوسف الخ) أي وكما جرى لسيدنا موسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم حيث تلثم موسى ستر التأثر ذاته بتجلي التكليم واصبح محمد صلى الله عليه وسلم صبيحة الاسراء وهو مسفر عن طلعته البهية والله اعلم (قوله لنعمة الرؤية) أي لنعمة هي الرؤية (قوله ولهذا) أي لمحبة زوال نعمة الرؤية (قوله اذا نظرت اليكا) أي أردت ذلك (قوله يعني افعالك الخ) أي بواسطة شهود مجالي الصفات العلية (قوله فلا أحب ان يظهر لي الخ) أي لا ادوم متماسكا يقظا

ويحتمل انه اراد اذا الم ارلهذا كراعاة الإيقانى لا احتمل من يذكره غافلا كالعتالين والمنادين على معايشهم اوذا كرا صادقا فانى اذا رايته
وقد اثر ذكره فى ظاهره فتجدد على احوال عظيمة لا اطيق حملها وكنت مستتر بحاقبل رؤيتى له وهذا يجرى فى مجالس الذكر كثيرا
فقد يكون فيها من ارباب الاحوال من يسرع اليه الحال لسماع بعض المقال فيؤثر حاله فى كثير ممن حضر معهم ويتجدد عليهم
احوال وتظهر عليهم غلبة وهم يريدون سترها وماذاك الا المشاهدتهم ارباب الاحوال الشديدة فيؤثر صدقهم فى غيرهم (سمعت
الاستاذ اباعلى رحمه الله يقول فى قول النبى صلى الله عليه وسلم فى مبايعته فرسا من اعرابى وانه استقاله فاقاله فقال الاعرابى
عمرك الله تعالى ممن انت فقال له النبى صلى الله عليه وسلم امرؤ من قريش فقال بعض اصحابه من الحاضرين للاعرابى كفاك جفاء
ان لاتعرف نبيك) وكانه كان لايعرف شخصه (وكان) الاستاذ ابوعلى (رحمه الله يقول انما قال امرؤ من قريش غيرة) على مقام
النبوة من ان يتعرف به الى غير اهله أو من ان يشاركه فى معرفته غير اهله (والا كان واجبا عليه التعرف الى كل احد أنه من هو)
ليتعرف كل احد انه نبى (ثم ان الله سبحانه اجرى على لسان ذلك الصحابى التعريف للاعرابى) بان المسؤل نبى الله (بقوله كفاك
جفاء أن لاتعرف نبيك) الاوجه أنه لا انكار على الاعرابى حتى يحتاج الى الاعتذار عنه بما ذكر لان قوله ممن
انت سؤال عن القبيلة فاجابه بانه
امرؤ من قريش وهو صحيح حسن
ولو قال من أنت لاجابه بقوله نبى الله
اونحوه (ومن الناس من قال
ان الغيرة من صفات اهل البداية
وان الموحد) الذى تمكن فى
التوحيد (لا يشهد الغيرة ولا يتصف
بالاختيار) فلا غيرة له لانه لا يرى
غيرا لواحد وربما اشتغل به عن
نفسه فلا يذكرها (وليس له فيما يجرى
فى المملكة تحكم) فى شئ (بل الحق
تعالى (اولى) من غيره (بالاشياء
كلها (فيما يقضى) أى يحكم به
(على ما يقضى سمعت الشيخ اباعبد
الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت اباعثمان المغربى يقول الغيرة من عمل المريدين) الذين لم يتمكنوا فى التوحيد (فاما اهل
الحقائق فلا) غيرة لهم لتمكنهم فى التوحيد فلا يروا غير الله كما مر فلا تفرقة عندهم وصاحب الغيرة عنده تفرقة لانه يرى المغار والمغار
عليه (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابانصر الاصبهانى يقول سمعت الشبلى يقول الغيرة) من العبد (غيرتان) غيرة البشرية وغيرة
الالهية والاولى مذمومة والثانية ممدوحة (فغيرة البشرية) أى حظوظ النفس تكون (على النفوس) بان يغار العبد على حظوظ
نفسه ان يشاركه غيره (وغيرة الالهية) أى الدينية تكون (على القلوب) بان يغار ذو القلب المعتنى بدينه على قلبه أن يراه متفكرا
فى غير ما ينفعه فى دينه وكلما رآه مال الى خطا وغفل عما خلق له ثارت من قلبه الغيرة الالهية لتكفه عما مال اليه ويحتمل أن لا تقيد
الغيرة بالعبد ويراد بالغيرة الالهية غيرة الله بان يغار على قلب من اختصه فيحفظه عن ان يشتغل بغيره لكن كلام الامام القشيرى
فيما يأتى قد يقتضى انه فهم من كلام الشبلى خلاف هذا (وقال الشبلى أيضا غيرة الالهية على الانفاس ان تضيع) الانفاس (فيما
سوى الله تعالى) بان لا يكون له ميل الى غير الله تعالى قال القشيرى رحمه الله تعالى (والواجب أن يقال) فى بيان الغيرة (الغيرة غيرتان
غيرة الحق سبحانه على العبد وهو أن لا يجعله) الحق تعالى (للخلق فيضن) أى يبخل بمعنى انه لا يجود (به عليهم) بأن يشغله تعالى عنهم

حتى اقوى على متابعة سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام (قوله ويحتمل انه أراد
الخ) ذلك هو المتعين فى الحمل عليه ولو اقتصر الشارح على ذلك لكان أولى (قوله وكانه كان
لا يعرف شخصه) ظاهره انه يعرف وصفه مع كونه لا يعرف شخصه لكن يبعده قوله بعد
غيرة على مقام النبوة من أن يتعرف به الى غير اهله الخ (قوله والا كان واجبا عليه الخ)
أى والا نقل غيرة فكان الواجب عليه التعرف الخ (قوله ثم ان الله الخ) أى فلم يفت
التعرف الواجب عليه (قوله الاوجه انه لا انكار الخ) أى لا انكار على اجابته بما ذكر
اذ الجواب على حسب سؤاله للنبى صلى الله عليه وسلم وهو جواب صحيح حسن لا يحتاج الى
الاعتذار عنه بما تقدم (قوله من صفات أهل البداية) أى السائرين الى طلب الحق تعالى
(قوله وان الموحد) أى المحقق العارف لا يشهد الغيرة لفنائه عن نفسه مع صفاتها (قوله
الغيرة من عمل المريدين الخ) هو بمعنى ماقبله فذكره لزيادة الايضاح (قوله فغيرة البشرية
على النفوس الخ) أى ومنشؤها كما تقدم اما الحسد واما حب الرياسة وكل مذموم (قوله
تكون على القلوب) أى ويقال للمتصف بها انه يغار لله ولا يقال يغار على الله (قوله غيرة
الالهية على الانفاس) أى وهى من اعلى أنواع الغيرة (قوله والواجب ان يقال الخ) هو

(وغيرة العبد للحق وهو أن لا يجعل شيأ من احواله وانفاسه لغير الحق تعالى) فالحق يغار على عبده الذى حفظه واصطفاه أن يجد قلبه لغيره والعبد يغار على اعماله واحواله ان يقع منها شئ لغير الله اذ اعلم ذلك (فلا يقال انا اغار على الله تعالى) لاقتضائه ذلك انه يكره مشاركة غيره له فى طاعة الله (ولكن يقال أنا أغار لله فاذن الغيرة على الله تعالى جهل وربما تؤدى الى ترك الدين والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الاعمال له) وذلك حسن (واعلموا أن من سنة الحق تعالى) أى طريقته (مع اوليائه انهم اذا ساكنوا غيره او لاحظوا شيأ او ضاجعوا بقلوبهم شيأ شوش عليهم ذلك) احوالهم (فيغار على قلوبهم بان يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما ساكنوه او لاحظوه او ضاجعوه كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود فى الجنة) وسكن له (اخرجه) الله (منها وابراهيم عليه السلام لما اعجبه اسمعيل عليه السلام أمر بذبحه حتى اخرجه) أى اعجابه (من قلبه فلما أسلما) أى خضعا وانقادا لامر الله (وتله للجبين) أى صرعه عليه (وصفا سره منه امره سبحانه بالفداء عنه) ففداه بذبح عظيم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا زيد) الفقيه (المروزى رحمه الله يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول سمعت محمد بن حسان يقول بينا) وفى نسخة بينما (انا ادور فى جبل لبنان اذ خرج علينا رجل شاب قد احرقته السموم والرياح) والسموم بفتح السين الريح الحارة قاله الجوهرى فعطف الرياح عليه مع ان المراد بها المحرقة ايضا الاختلاف اللفظ ورعاية التفخيم كما فى قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة (فلما انظر الى ولى ها ربا فتبعته وقلت له) غرضى (تعظنى بكلمة) انتفع بها (فقال لى احذر) من تعلقك بى او بغيرى من سائر المخلوقات لئلا يبعدك عنه تعالى (فانه غيور لا يحب ان يرى فى قلب عبده سواه وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن رحمه الله) ايضا (يقول قال النصر اباذى الحق تعالى غيور ومن غيرته انه لم يجعل اليه طريقا سواه) اذ لا فعل لغيره حقيقة فكل ما وصل اليه من طاعة انما يناله عبده بعونه ٢٠٦ وفضله (وقيل اوحى الله سبحانه الى بعض انبيائه ان لفلان الى حاجة ولى ايضا اليه حاجة فان قضى حاجتى قضيت حاجته فقال ذلك النبى عليه السلام فى مناجاته الهى كيف يكون لك حاجة فقال انه ساكن بقلبه غيرى فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته) والا فلا اقضيها الماهر انه غيور لا يحب انه يساكن غيره ولا يخفى ان الحق تعالى غنى عن العالمين فلا يحتاج الى احد فاطلاق الحاجة عليه تعالى من باب المشاكلة والمعنى انى ما اقضى حاجته الا اذا غير قلبه عما هو عليه كما قال تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (وقيل ان ابا يزيد البسطامى رأى جماعة من الحور العين فى منامه فنظر) ومال (اليهن) لكونه فى اليقظة يميل الى المستحسنات من المخلوقات (فسلب وقته) أى حاله (اياما) عقوبة له وزجرا له عن العود لمثله وفى ذلك من الغيرة انه تعالى لم يرض لقلبه الشريف ان يلتفت الى مخلوقاته (ثم انه رأى فى منامه جماعة منهن فلم يلتفت اليهن وقال انكن شواغل) عن الشغل بالله (وقيل مرضت رابعة العدوية فقيل لها ما سبب علتك) اى مرضك (فقالت نظرت بقلبى الى الجنة فادبنى) به على ذلك (فله العتبى) على لكونه لا يرضى ذلك (لا اعود) لمثله هذا يدل على شريف حالها فانها لما زهدت فى الدنيا واشتغلت بالآخرة اعرضت عما سوى الله شغلا به فلما التفتت بقلبها الى الجنة وما فيها فى بعض الاوقات ادبها الحق تعالى بما شاء من الادب فعرفت ذلك منه فتابت ورجعت اليه وفيه من الغيرة ما مر آنفا (ويحكى عن السرى انه قال كنت اطلب رجلا صديقا لى مدة من الاوقات فمررت فى بعض الجبال فاذا انا بجماعة زمنى وعميان ومرضى فسألت عن حالهم) من جماعة (فقالوا ههنا رجل يخرج فى السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء فصبرت حتى خرج فدعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت) أى تبعت (اثره وتعلقت به وقلت له بى علة باطنة فداوها فقال يا سرى خل عنى فانه تعالى غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه) لانه يغار على قلوب اوليائه ان تسكن او تتعلق بشئ من مخلوقاته (قال الاستاذ ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه) تعالى (بالغفلة) أى معها (فلا يمكنه رؤية ذلك وتشق عليه) الرؤية كما مر ذلك

عما يعض عليه بالنواجذ (قوله واعلموا ان من سنة الحق الخ) الغرض توضيح معنى غيرة الحق تعالى على قلوب من احبه من العبيد (قوله لاختلاف اللفظ الخ) بيان لسر عطف الرياح على السموم مع انهما بمعنى واحد (قوله من باب المشاكلة) اى فهو من التوسع وسهله المشاكلة (قوله يميل الى المستحسنات من المخلوقات) أى لاجل مشاهدة صنع

(سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول لما دخل الاعرابى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبال فيه وتبادر اليه الصحابة لاخراجه قال رحمه الله انما اساء الاعرابى الادب) ببوله فى المسجد بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وان كان جاهلا بالحرمة (ولكن الخجل وقع على اصحابه والمشقة حصلت لهم حين راوا من وضع حشمته) ما رأوا (كذلك العبد اذا عرف جلال قدره سبحانه يشق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة وطاعة) أى ورؤية طاعة (من لا يعبده بالحرمة) كما علم ذلك وانما بادر اصحابه الى الانكار غيرة على شرف المكان لئلا يناله نقص او زيادة خبث ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم اثبت منهم وارحم وعلم ان الاعرابى انما فعل ذلك جهلا نهاهم عن منعهم له من اتمام بوله لانه اما ان يتضرر بقيته او ينجس امكنة اخرى غلبة ثم امرهم بان يصبوا عليه ذنوبا من ماء ليطهره وقوله لما دخل ظرف لاساء وجملة انما اساء الاعرابى الادب مقول القول (حكى ان ابابكر الشبلى مات له ابن كان اسمه اباالحسن فجزعت امه عليه وقطعت شعر رأسها فدخل الشبلى الحمام وتنور) أى استعمل النورة (بلحيته) أى فيها (فكان كل من اتاه معزيا قال ايش هذا) الذى فعلته (ياابابكر فكان يقول) فعلته (موافقة لاهلى) وتطييبا لقلبها (فقال له بعضهم اخبرنى ياابابكر لم فعلت هذا) فان قلبى لم يمل الى انك فعلته موافقة لاهلك (فقال) فعلته لانى (علمت انهم يعزوننى على الغفلة) أى غافلين عن تعظيم الله (ويقولون) لى (آجرك الله تعالى) فى مصيبتك ورزقك الصبر على ما ابتلاك به ونحو ذلك (ففديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة) اى معها (بلحيتى) يعنى ان قلب العارفين لا يحتمل شيأ من ذلك فانه مسرور بفعل الله راض به فهو يتألم بسماع خلاف ماهو فيه فازال لحيته ليشتغلوا عن تعزيته بما يرون من تغيير هيئته وهذا فعله مداواة لعلل قلبه فلا يكون مذموما فى حقه (وسمع النورى رجلا يؤذن فقال) له عند تشهده (طعنة) أى طعنك الله طعنة (وسم الموت) ٢٠٧ اى معه (وسمع كلبا ينبح فقال له لبيك وسعديك فقيل له ان هذا) القول (ترك للدين فانه يقول للمؤذن فى حال تشهده طعنة وسم الموت ويلبى عند نباح الكلب) وفى نسخة ويقول للكلب لبيك (فسئل عن ذلك فقال اما ذلك المؤذن (فكان ذكره لله على راس الغفلة) عن تعظيم الله اى كان على حكم العادة من غير تعظيم فجزاؤه على ذلك ماقلته له (واما الكلب) فانه دعا الى خير وطاعة لله بحسب مافهمه الله تعالى ذلك عنه فان نباح الكلب منه خير وطاعة (فقال تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده) وقد علم الله سليمان عليه السلام كلام الطير وكلام النمل لما سمعها تقول ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده ووجه دخول ذلك فى الغيرة كون النورى لم يحتمل ذكر المؤذن مع الغفلة (وأذن الشبلى مرة فلما انتهى الى الشهادتين قال لولا انك) يارب (أمرتنى) بذكره صلى الله عليه وسلم (ماذكرت معك غيرك) وذلك لانه لما غلب عليه دوام ذكر الله بقلبه ولسانه حتى شغله ذلك عن الشغل بغيره لم يحتمل قلبه ذكر غيره معه ووجه دخول ذلك فى الغيرة ان من كانت محبته وغيرته لله تعالى لا يحتمل ذكر غيره فى حال غلبة ذكره على قلبه (وسمع رجل رجلا يقول جل الله فقال له) لما سمعه يذكر الله ولم ير مايدل على اجلاله وتعظيمه له (احب) لك (ان تجله عن هذا) بان تذكره مجلا معظما له بقلبك ولسانك حتى يظهر ذلك على جوارحك (سمعت بعض الفقراء يقول سمعت ابا الحسن الخرقانى رحمه الله يقول) قائل (لا اله الا الله) يقولها (من داخل القلب) عارفا به محبا له وقائل (محمد رسول الله) يقولها (من) خلف (القرط) بضم القاف واسكان الراء وهو مايعلق فى شحمة الاذن يعنى من القفا بغير اختيار (ومن نظر الى ظاهر هذا اللفظ توهم انه استصغر الشرع ولا) أى وليس (كما يخطر بالبال اذ الاخطار) فى القلب (للاغيار بالاضافة الى قدر الحق تعالى متصاغرة فى التحقيق) وان كان بعضها عظيما فى نفسه فان جلالة الله لا توازى بمخلوق وانما عظمت الانبياء لتعظيم الله لهم حتى جعل طاعتهم طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله مدامع ان الادب ترك هذه المقالة لبشاعتها

الخالق جلت قدرته فيترقى الى شهود صفاته تعالى فهو مبل حق القرب (قوله لئلا يناله نقص الخ) أى فانكارهم لاجتهاد هم الذى اداهم اليه خوف النقص أو زيادة التلويث فهم ماجورون رضى الله تعالى عنهم (قوله وتنور الخ) أى فذلك منه لاجل مداواة قلبه ولدفع تألمه بسماع غير مافيه وقوله فعلته موافقة لاهلى الخ اللام فيه للصيرورة حيث لم تكن الموافقة مقصودة له (قوله وقد علم الله سليمان الخ) دليل على قوله بحسب مافهمه الله تعالى ذلك عنه (قوله ومن نظر الخ) اقول وان كان التأويل محتملا الا ان بشاعة هذا القول

وشناعته وقبح ظاهره لايخفى على من له ادنى ذوق فى طريق الادب لان تعظيم رسل الله بامر الله تعظيم لله فلا حول ولا قوة الا بالله

(باب الولاية)

اعلم ان اولياء الله معدن سره وهم مطلعون على غيبه المكنون وهم عرائس الحضرة اسدل الله تعالى عليهم حجاب الغيرة اولياء الله فارقوا هذا العالم بالارواح وساكنوهم بما ظهر من هياكل الاشباح للاولياء قلوب نورها أضوأ من نور الشمس الحسية فيالها من انوار مضيئة فهم نجوم الارض لاهل السما ونورهم لنا ولهم اسمى شعر

أم تقب النجوم من السماء * نجوم الارض ابهر فى الضياء
فتلك تبين وقتا ثم تخفى * وهذى لاتكدر بالخفاء
هداية تلك فى ظلم الليالى * هداية هذه كشف الغطاء

الظهور يكون للرجال بخلق القبول والكمال وقيل من غلب عليه النور فهو فى الظهور الظهور رخلعة من اسمه تعالى الظاهر فيما يظهر من المظاهر محب الله مشهود ومحبوب الله مستور ظهر نقص الخلال من غلبة توهم الخيال ظهور الرجال بالتأييد والنصر والاصابة والتسديد ظهور الاخيار بدون اختيار ايالـ وطلب الظهور رفقه قطع الظهور من كان له بالتعظيم بين العوام صورة لم يكن له بالتخصيص عند أهل التحقيق سورة سئل ابو سعيد رضى الله تعالى عنه عن الولاية فقال اذا اراد الله ان يوالى عبده فتح له باب قربه ثم رفعه الى مجالس انسه ثم ادخله دار الفردانية ثم كشف له عن الجلال والعظمة فيبقى بلا هو فعند ذلك يصير فانيا اقد وقع فى كلاءة الله وحفظه برئ من دعوى نفسه وقال أبو يزيد قدس الله سره الواصلون فى ثلاثة احرف همهم لله وشغلهم فى الله ورجوعهم الى الله وقال الجنيد رضى الله تعالى عنه الواصل هو الحاصل عند ربه وقال رويم نفعنا الله به اهل الوصول اوصل الله اليهم قلوبهم فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق ابدا وقال ذو النون رضى الله عنه ما رجع من رجع الا من الطريق وما وصل اليه احد فرجع عنه هذا والولاية هى الاختصاص بوجه من اوجه القرب وهى قد تكون ولاية عرفان وقد تكون ولاية كرامة وقد تكون ولاية مشاهدة وعيان وقد يخلق الحق تعالى لعبده المختص امارة تدل على كرامته وقد لا غيرة عليه من غيره وانواعها لاتنحصر اذ احسانه تعالى لعبده وتفضله عليه من خزائن جوده وكرمه التى لاتتناهى وبالجملة هى من اسرار الحق التى لايعلم كنهها غيره ولهذا كان الوقوف على حقيقة الولى عسر جدا لخفاء الدليل على ولايته (قوله فالعامة ولاية الايمان) أى التصديق بما جاء به سيد البشر صلى الله عليه وسلم وقوله ثم ولاية القيام بالمأمورات اى وهى لاتكون الا بعد تحقق الاولى كما أن ولاية الكرامة انما تحقق بعدهما معا (قوله والخاصة محبة الله للعبد) أى مزيد احسانه اليه وحفظه ونصرته كذلك (قوله لكن المراد الخاصة) أى فالولاية

ولو قدر أنها جرت على لسان من غلب عليه الحال والبسط وكان معذورا فذكرها عنه على وجه المدح له وحسن حاله ليس بحسن اذ من كمال الاحوال ان يحفظ الله العبد فى غيبته وحضوره

(باب الولاية)

وهى عامة وخاصة فالعامة ولاية الايمان ثم ولاية القيام بالمأمورات والخاصة محبة الله للعبد وحفظه له وهى بكل حال محمودة ومطلوبة لكن المراد الخاصة

عند الاطلاق فى اصطلاحهم انما هى الخاصة (قوله قال الله عز وجل ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الخ) قال بعض المفسرين صدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والولى لغة القريب والمراد بالاولياء خلص المؤمنين القريبهم الروحانى منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم وقوله لا خوف عليهم اى فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب اى لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا انه يعتريهم لكن لا يخافون ولا يحزنون ولا انهم لا يعتريهم خوف وحزن اصلا بل يستمرون على نشاط السرور وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاما لجلال الله سبحانه وهيبته واستصغار السعى فى اقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص المقربين فالمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لان النفى وان دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والدوام بحسب المقام وانما لم يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب فيه ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة اليه تعالى وقوله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون اى آمنوا بكل ما جاء من عند الله ويتقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل المفيد انهم هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين من كل شر فالمراد بالتقوى الجامعة لما تحتها من التوقى عن الشرك التى يفيدها الايمان ايضا والتوقى من كل ما يؤثم من فعل وترك أعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل اليه بالكلية وهى المأمور بها فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهى التى يحصل بها الشهود والحضور والقرب الذى يدور عليه الاسم وهكذا كان حال من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب غير ان شأن التبتل والتنزه له درجات متفاوتة على حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الالهية فاقصاها ما انتهى اليه هم الانبياء عليه الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق فى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية هذا وملاك الولاية هو التقوى المذكورة فالاولياء هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من انهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة اليه وما قيل من انهم هم الذين يذكر الله برؤيتهم اى بسمتهم وسكينتهم واخباتهم وما قيل من انهم هم المتحابون فى الله كما ورد فى خبر حيث قال عليه الصلاة والسلام هم تحابوا فى الله على غير ارحام منهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان لوجههم لنورا وانهم على منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس أو كما ورد فهو

(قال الله عز وجل ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) اخبرنا حمزة بن يوسف السهمى رحمه الله قال حدثنا عبد الله بن عدى الحافظ قال حدثنا ابو بكر محمد بن هرون بن حميد قال حدثنا محمد بن هرون المقرى قال حدثنا حماد الخياط عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة

عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى من آذى لي وليا فقد استحل محاربتي) وتروى فقد آذنته بالحرب (وما تقرب الى العبد بمثل اداء ما افترضت عليه ولا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى احبه وما ترددت في شئ انا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن فانه يكره الموت واكره مساءته ولا بد له منه) وروى وما تقرب الى عبدي بشئ احب الى مما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الى بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وما ترددت عن شئ انا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن يكره الموت وانا اكره مساءته وروى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وفيما ذكر دلالة على شرف الاولياء ورفعة منزلتهم حتى لو تأتى انه تعالى لا يذيقهم الموت الذي حتمه على عباده لفعل ولهذا المعنى ورد لفظ التردد كما ان العبد اذا كان له امر لا بد له ان يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه فان نظر الى ألمه انكف عن الفعل وان نظر الى انه لا بد له منه لمنفعته اقدم عليه فيعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون ودلهم به على شرف الولي عنده ورفعة درجته ثم (الولي له معنيان احدهما) انه (فعيل بمعنى مفعول وهو من يتولى الله سبحانه امره قال الله سبحانه وهو يتولى الصالحين فلا يكله الى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته والثاني) انه (فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجرى على التوالي من غير ان يتخللها عصيان) فالولي بهذا المعنى هو الذي توالت طاعاته لربه وارتفعت في درجات قربه وهو ما تضمنه قوله في الخبر السابق وما تقرب الى عبدي بشئ الى آخره وبالمعنى الاول هو الذي توالت عليه النعم من ربه والحفظ له في قلبه وجوارحه من الزلات وهو ما تضمنه قوله في الخبر فاذا احببته كنت سمعه الى آخره فهو حينئذ يحفظه في قلبه وجوارحه من سمعه وبصره ويده ورجله وغيرها فيصح وصف العبد بالولي بهذين المعنيين فيكون وليا بمعنى الدرجات

تعريف بنعت التخصيص لا مطلقا (قوله فقد استحل محاربتي) المراد انه قد تعرض لذلك (قوله فقد آذنته) أي أعلمته بالحرب على حسب الوعيد الحق (قوله يتقرب الى بالنوافل أي بعد اداء الفرائض (قوله حتى احبه الخ) محبة الله تعالى لعبده احسانه اليه بالفعل أو ارادة ذلك فهي صفة فعل أو ذات (قوله وما ترددت في شئ الخ) هذا جرى على المألوف عند المخاطب كما يأتي في كلام الشارح والا فالتردد عليه تعالى محال *فائدة* قال بعضهم العمال أربعة تائب وزاهد ومشتاق وواصل فالتائب محجوب بتوبته والزاهد محجوب بزهده والمشتاق محجوب بحاله والواصل لا يحجبه عن الحق شئ واعلم ان الوصول كثر دورانه في عبارة الصوفية وكذا الاتصال والمواصلة وذلك لا يجوز فهمه على ما يعهد من الوصل الحسي والاتصال الجرمي والمواصلة النفسية وانما هي عبارات عن اذواق معنوية ومكاشفات قدسية قال ابن عطاء الله وصولك الى الله وصولك الى العلم به يعني بجلاله وعظمته وكبريائه ولطفه وبره ورأفته وجماله ثم قال والا جل ربنا ان يتصل به شئ فاشار بذلك الى تجريده تعالى عن الاتصال الجرمي والجسمي والعرضي والجوهري والروحي والجسدي واعلم ان القوم قد فرقوا بين المتصل والواصل قال ابو سعيد القرشي الواصل الذي يصله الله فلا يخشى عليه القطع أبدا والمتصل الذي يجهده يتصل وكلما دنا انقطع وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة والله اعلم بالحقائق (قوله كنت سمعه الخ المعنى كنت حافظا لجوارحه الظاهرة والباطنة فلا يترك مراقبة الحق في كامل حركاته وسكناته (قوله من اهان لي وليا الخ) أي من اوقع الهوان به قولا او فعلا فقد بارزني بالمحاربة أي فقد تعرض لسخطي وعذابي (قوله حتى لو تأتى انه لا يذيقهم الموت الخ) افاد بذلك ان حقيقة التردد تستحيل عليه تعالى وانما ذكرت جريا على المعروف المألوف للمخاطبين (قوله فعبادته تجرى على التوالي) أي من غير كلفة فيها الصيرورتها مألوفة له ولهذا قال بعض العارفين يصل الولي الى رتبة يزول عنه فيها التكليف أي فيكون اولا يجد كلفة التعب ثم اذا وصل وجد بالتكليف الراحة والطرب وذلك من باب أرحنا بها يا بلال فهذا هو مقصد الرجال وقال عارف للربوبية سر لو ظهر لاعطل نور الشريعة قلت أي سر الاحاطة بجميع الافعال بالايجاد والاختراع فافهم (قوله من غير ان يتخللها عصيان) أي ولا فتور (قوله وارتفعت في درجات قربه) أي ترقت بواسطة كمالها في

الدرجات المبلغة لها الى غاية مراتب القرب من احسان الرب جل جلاله (قوله وكلا الوصفين الخ) قال قائلهم فتح طلسم الكنز خذ حروف الطلسم الانسانى واستخرج منها الاسم الروحانى ووفقه بتوفيقك وتحجب به فى طريقك واذا جئت الباب ووقفت على الاعتاب اشتغل بصرف العلائق واستعذ من شر الطارق ولا تذكر الموكل الا باحسن اسماه ولا تغفل عن عزيمتك حتى يحضر مسماه ولتدم بخورك المطيب للوارد فى حاله استحضار العون المساعد واياك اذا اذن وفتح وتفضل وسمح ان تسارع الى الامتعة وأخذ المال فان ذلك مهلك فى الحال والمآل بل اجعل قصدك الملك لا غير فان وهبك سر خاتمه فى السر فقد ظفرت بكل خير اه وقال بعضهم حل معمى السر المكنون هو الولى المصون من سبقت له رعاية وعناية أزلية ومحبة تلوح عليه فى الابدية

وآثار تلوح على ولى * كمثل الرقم فى الثوب الموشى

فولى الله المحبوب هو خزانة الاسرار والغيوب وليلة القدر السامية الفعال والاسم الجاب والحرف الفعال فلا تعجب اذا ظهرت عليه الكرامات وخرقت له سبل العادات لانه بفنائه فى بقاه صار فعله فعل مولاه شعر

امره كله عوائد فينا * ليس فى الكون عندنا خرق عاده

(قوله وكلا الوصفين الخ) أى فمن ادعى الولاية بدون شاهد المتابعة فدعواه زور وبهتان (قوله بحقوق الله تعالى) أى وبحقوق عباده (قوله ومن شرط الولى الخ) الفرق بين الحفظ والعصمة امكان المخالفة مع الوصف الاول دون الثانى (قوله والا فهما لا يقدحان فى ولايته) أى لعدم ثبوت عصمته كما علم مما تقدم وأنت خبير بان عصيان الولى ليس هو كعصيان غيره من العامة هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلا تغفل تكن مغرورا (قوله فكل من كان للشرع عليه اعتراض) أى بواسطة مخالفة امر شرعى وفيه ان الامر كله لله فلا يسئل عما يفعل شعر

يا حكمتى وحكيمى * احكامك الكل حكمة

فان أتى الحق بالنعمة فذلك منه فضل وان قضى بالنقمة فهو منه عدل فنسأل الله تعالى أن لا يحجبنا باحد الوصفين عن شهود الآخر فنكون من المحجوبين به عنه بل اكشف انما عندنا بك يامن نشأ كل وصف لمخلوق عن وصفه لولا وصفك ما كان وصفنا فصفنا من كدورنا حتى نرى وصفك فى مرآة وجودنا المستفاد من وجود وجودك انك على كل شئ قدير (قوله فكل من كان للشرع الخ) وحينئذ فاحذر ان تخرق سور الشرع يامن يخرج عن عادة الطبع ولا تقل انا مطلوق من الحدود بما اعطيته فى حضرة الشهود فالذى دعاك هو الذى نهاك وهو الملك المعبود فقم بالفناء فيما دعا ونهى تكن من اولى الكمال والنهى أحبابنا أحبونا اتخابنا المحبونا من كان اصحبى بى فهو عين اصحابى اذا انفرد المخصوص بخصائص العرفان صار غريبا بين اهله فى الاكوان

توالى طاعاته لربه ووليا بمعنى توالى فضل ربه عليه كما تقرر (وكلا الوصفين) أى المعنيين (واجب تحققه (حتى يكون الولى) عندنا (وليا) فى نفس الامر بحيث (يجب) أى يتحقق (قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء) لجميع ما امر به (و) يتحقق (دوام حفظ الله تعالى اياه فى السراء والضراء ومن شرط الولى ان يكون محفوظا كما ان من شرط النبى ان يكون معصوما) لانه مبلغ عن الله ما ارسل به وقد دلت المعجزة على استحالة خطئه فى احكام ربه والمراد بكون الولى محفوظا ان يحفظه الله من تماديه فى الزلل والخطا ان وقع فيهما بان يلهمه التوبة فيتوب منهما والا فهما لا يقدحان فى ولايته واذا ثبت انه يشترط فيه كونه محفوظا (فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور ومخدوع

سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول قصد ابو يزيد البسطامى) مع جماعته (بعض من وصف بالولاية) ليستفيد من احواله
وينتفع برؤيته ومقاله (فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه فخرج الرجل وتنخم فى المسجد) ورمى بنخامته تجاه القبلة (فانصرف
ابو يزيد) بمن معه (ولم يسلم عليه وقال هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة فكيف يكون
امينا على اسرار الحق) التى وهبها
لاوليائه والغرض من ذلك تحذير
الناس من الاغترار بجمال الافعال
وحسن المقال وجريان خوارق
العادات وانتشار الثناء وشيوع
الذكر فى الخلق من غير استقامة
فلا يراعى فى الولى الا الاستقامة
على ما ثبت بالادلة الصحيحة وجريان
خوارق العادة على يد العبد لا يدل
على ولايته بل قد يكون ممكورا به
وكذا باعلى ربه ويكفى فى ذلك
دليلا خروج الدجال فى آخر الزمان
ومعه جنة ونار ويحيى ويميت
وهو عدو الرحمن (واختلفوا
فى ان الولى هل يجوز) أى يصح
(أن يعلم أنه ولى ام لا فمنهم من قال
لا يجوز ذلك وقال ان الولى يلاحظ
نفسه بعين التصغير وان ظهر عليه
شئ من الكرامات خاف ان يكون
مكرا وهو يستشعر الخوف دائما
ابدا لخوف سقوطه عما هو فيه)
من المنزلة (وان تكون عاقبته
بخلاف حاله وهؤلاء) القائلون
بذلك (يجعلون من شرط الولاية
وفاء المآل) اى ان يوفى للولى
بالولاية فى العاقبة بأن يختم له
بها وهو لا يعلمه لاحتمال التبديل
والتغيير (وقد ورد فى هذا الباب)
اى فى هذا القول القائل بأنه لا يجوز ان يعلم الولى انه ولى (حكايات كثيرة عن الشيوخ واليه ذهب من شيوخ
هذه الطائفة جماعة لا يحصون ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حد الاختصار والى هذا كان يذهب من شيوخنا الذين
لقيناهم الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله ومنهم من قال يجوز ان يعلم الولى انه ولى) لان العبد يدرك من نفسه ومن غيره كلا من
معنيى الولى السابقين بلا ريب (وليس من شرط تحقق الولاية) اى العلم بها (فى الحال الوفاء) اى العلم بالوفاء بها (فى المآل)
فلا يقدح فى ذلك احتمال التغيير والتبديل فى جواز علمه بأنه ولى اذ لو قدح فيه لم يعظم الولى والعالم والصالح

* غريب عن الاوطان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
وما غربة الاوطان فى شقة النوى * ولكنها والله فى عدم الشكل غيره

(قوله قصد ابو يزيد الخ) قد تقدمت هذه الحكاية وانما اعيدت لمناسبة المقام (قوله تحذير الناس الخ) أى ولهذا ورد فى صحيح الخبر ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه (قوله وحسن المقال) أى ويشهد له خبر اخوف ما اخاف على امتى المنافق عليم اللسان (قوله وجريان خوارق العادات الخ) أى لانها قد تجرى على يد المستدرجين والمخذولين وقد ينتشر الثناء ويشيع الذكر بدون استقامة لحكمة الغرور (قوله فلا يراعى فى الولى الخ) تأمل هذا مع حال فقراء زماننا هذا ومن يعتقد فيهم تعلم انه من عموم الجهل بصفة الولى وعدم الوقوف على شروطه التى من جملتها الاستقامة ودوامها فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله ويكفى فى ذلك) أى فى ان مجرد وقوع الخوارق لا يدل على صدق من وقعت على يده (قوله واختلفوا فى ان الولى الخ) محصله ان العبد المستقيم المسمى بالولى هل يجوز أن يعلم انه ولى ام لا قولان الاول يجوز لانه لا يرى صاحبه فى ذلك اشتراط علمه بحسن العاقبة له والثانى لا يجوز لاشتراطه علمه بذلك والاول ما عليه الجمهور فهو الاصح (قوله وقال ان الولى يلاحظ الخ) اعلم ان الجمال والجلال غيب مظاهرهما ما يبدو عنهما فى حضرة من حضرات التلوين وأسرار التكوين وأطوار تجليات التعيين مثال ذلك فى التلوين فى أطوار البشرية الكاملة الموصوفة بالنبوة والرسالة ظهور خوف الاجلال للجلال ومحبة الجمال للافضال ومثاله فى الولاية ظهور خوف العاقبة لعدم ثبوت العصمة فلهذا يكون الولى فيهما محررا للسان ميزان سيره خوفا من نقصان احدى الكفتين لان بهاتين الكفتين يصير له جناحان بهما يسرع على سبب الاستقامة فى الدنيا ويطير على صراط الامتحان فى الاخرى وحكمة ظهورهما تختلف بحسب كل مقام ففى مقام الخلافة يظهران بالعفو والقصاص لاجل مقام الاختصاص شعر

له خلق الرحمن فى العفو شاملا * له خلق الجبار حقا اذا اقتضى

(قوله وفاء المآل) اى وانى له بعلم ذلك لانه من المغيب الذى استأثر الله بعلمه (قوله وليس من شرط الخ) محصله مع ما قبله ان الخلاف لفظى فمن اعتبر علم الوفاء ذهب الى ان الولى لا يصح علمه بأنه ولى ومن لم يشترطه جوزه (قوله كلا من معنيى الولى الخ) اى من انه بمعنى فاعل أو مفعول السابق ذكره فى أول الباب (قوله لم يعظم الولى الخ) اى لم يصح طلب

تعظيمه

ولم يهن الكافر والعاصي والمبتدع لاحتمال ذلك (ثم ان كان ذلك) اى الوفاء فى المآل (من شرطه) اى شرط تحقيق الولاية (أيضا) كما قال القائل الاول (فيجوز أن يكون هذا الولى خص بكرامة هى تعريف الحق سبحانه اياه انه مأمون العاقبة) فى انه يختم له بالولاية (اذ القول بجواز كرامات الاولياء واجب) اى حق ثابت فيجوز أن يعلم انه ولى (وهو وان قارفه) اى خالطه وجامعه (خوف العاقبة) بتقدير أن لا يعرفه الحق انه مأمونها (فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والاجلال فى الحال أشد وأتم) من خوف العاقبة (فان اليسير من الهيبة والتعظيم أهدأ) اى أثقل وأسكن (للقلوب من كثير من الخوف) مع ان فى خوفه من عاقبته زيادة فى فضله لا شك فى حاله بل هو الموجب لحفظه بفضل ربه (ولما) بكسر اللام اى ولما ثبت فى الخبر انه (قال صلى الله عليه وسلم) فى حق عشرة من أصحابه (عشرة فى الجنة من أصحابى) وفى نسخة أصحابه (فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم وعرفوا) باخباره (سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك) اى احتمال التبديل (فى حالهم ولان من شرط صحة المعرفة بالنبوة) التى هى ولاية الله (الوقوف على حد المعجزة) من انها أمر خارق للعادة مقارن للتحدى (ويدخل فى جملته) اى جملة حد المعجزة بأن يعلم منه (العلم بحقيقة الكرامات فاذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه ان لا يميز بينها و بين غيرها) بل يميز بينهما قطعا (فاذا رأى شيأ من ذلك علم انه فى الحال على الحق ثم يجوز ان يعرف انه فى المآل يبقى على هذه الحالة ويكون هذا التعريف له كرامة) ايضا فجاز أن يعلم الولى انه ولى (والقول بكرامات الاولياء صحيح وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك كما نذكر طرفا من ذلك فى باب كرامات الاولياء ان شاء الله تعالى والى هذا القول) اى القول بجواز أن يعلم الولى انه ولى (كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الاستاذ أبو على الدقاق رحمه الله) وقد استبعد بعضهم القول بالاول فجعل الخلاف راجعا الى ان المؤمن هل يعلم انه نال الولاية ويختم له بها أولا فمن جوز أن تخرق العادة للولى فى علم ذلك قال به ومن لم يجوزه ورآه من الغيب الذى يختص به الاله منعه (وقيل ان

تعظيمه مع انه مندوب اليه ومثله يقال فى قوله ولم يهن الكافر (قوله لاحتمال ذلك) اى التغيير والتبديل مع ان ذلك خلاف ما نص عليه بشهادة علم الظاهر (قوله ثم ان كان ذلك الخ) اى ثم على فرض تسليم ذلك للقائل الاول فيجوز أن يكون هذا الولى الخ اى لانه لا يتقاعد عن غيره من باقى الكرامات الثابتة فى حقه (قوله وهو وان قارفه الخ) الاولى تقديمه على قوله فيجوز ان يكون هذا الولى الخ ويحتمل ان ذكره بعده للترقى فى رد القول الاول وقوله خوف العاقبة اى الناشئ من النظر فى مقام الجبروتية وفى أسرار التكوين وظهورهما بأطوار تجليات التعين وذلك بحكمة التدبير وقضاء التقدير فى كل تعسير وتيسير ولذلك قد استوى عند القوم شهود مشاهد الجمال والجلال علما منهم بان ذلك يورث مقام الكمال تدبر تفهم والله أعلم (قوله فما هو عليه من الهيبة الخ) فيه ان خوف العاقبة من نوع ما هو عليه من الهيبة الخ فما معنى الاشدية والاتمية (قوله مع ان فى خوفه من عاقبته الخ) فيه انه وان كان كذلك لا يمنع طروق احتمال التغيير والتبديل ما لا (قوله بل هو الموجب لحفظه الخ) اى فهو يكون حينئذ من الامارات القوية الدالة على دوام استقامته (قوله اى ولما ثبت الخ) هو معطوف على قوله فما هو عليه الخ (قوله ثم لم يقدح ذلك الخ) فيه نظر لانه لا يجوز خلف خبره صلى الله عليه وسلم ومجرد احتمال العقل لا نظر اليه فى هذا المقام تدبره ومنى عليك السلام (قوله العلم بحقيقة الكرامات) اى لان كلا من المعجزة والكرامة أمر خارق للعادة والفرق بينهما انما هو التحدى وعدمه (قوله ثم يجوز ان يعرف الخ) فيه ان مجرد جواز ذلك بدون وقوعه لا يمنع احتمال التغيير والتبديل الذى هو سند القول الاول أما اذا وقع بالفعل تعريفه بدوام ذلك الى عاقبته لم يبق محل للخلاف كما هو واضح (قوله والقول بكرامات الاولياء صحيح) اى ولهذا قال بعض العارفين النبى مشرع للعموم والولى مشرع للخصوص اى على معنى ان النبى الرسول الولى مبين للعوام برسالته وللخواص بولايته لان الولى يبين الاحكام الشرعية مع تبيين الحقائق الكشفية بطريق الوراثة للانبياء وهذا لا ينكر فى حق السادة الاولياء (قوله وقد استبعد بعضهم القول بالاول) اى بأنه لا يعلم الولى انه ولى ولو فى الحال ولكن لقائل ان يقول لا بد مع اشتراط علم المآل عند صاحب هذا القول (قوله وقيل ان

ابراهيم بن ادهم قال لرجل اتحب ان تكون لله عز وجل وليا فقال نعم فقال لا ترغب فى شئ من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله عز وجل وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك) الثواب الجزيل وذلك بأن يكون ايثار المتأمل لك على طاعتك له امتثال أمره واجتناب نهيه وابتغاء وجهه لا طلب حظ آخر عاجل أو آجل كما قال تعالى يريدون وجهه (وقال يحيى بن معاذ فى صفة الاولياء هم عباد تسربلوا بالانس بعد المكابدة) السربال اللباس قال تعالى سرابيلهم من قطران اى لباسهم فهؤلاء صار لباسهم الذى لا يفارقهم الانس بالله تعالى بعد مكابدتهم أنفسهم وهواهم حتى استراحوا منها (واعتنقوا الروح) بفتح الراء اى الراحة والنعيم (بعد المجاهدة بوصولهم الى مقام الولاية) فالولى على هذا من تنعم بقربه تعالى والانس به عن غيره (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت عمى البسطامى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا يزيد يقول أولياء الله تعالى عرائس الله ولا يرى العرائس الا المحرمون) الذين تجردوا والصاق بهم وان من الله عليهم بما من به على أولئك صاروا من جملتهم مشغولين عن أنفسهم بكمال أنسهم بالله (وهم) اى عرائس الله (مخدرون) اى محجوبون (عنده فى حجاب الانس) لكمال أنسهم به (لا يراهم أحد فى الدنيا ولا فى الآخرة) الا المحرمون المذكورون (سمعت أبا بكر الصيدلانى رحمه الله وكان رجلا صالحا قال كنت اصلح اللوح فى) بمعنى على (قبر أبى بكر الطمستانى) فكنت (أنقر فيه اسمه فى مقبرة الحيرة كثيرا وكان يقلع ذلك اللوح ويسرق ولم يقلع مثله من غيره من القبور فكنت أتعجب منه فسألت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يوما عن ذلك فقال ان ذلك الشيخ آثر الخفاء) والخمول عن الناس (فى الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذى تصلحه فيه وان الحق سبحانه يأبى الا اخفاء قبره كما آثر هو ستر نفسه) وهكذا شأن الحق تعالى مع أوليائه اذ تجرى المقادير على ما يحبه لهم فى الدنيا ويفعل ذلك بهم فى الآخرة فكل من أحب الخمول فى الدنيا وجعله الله له قرة عينه كمل ذلك له بعد موته (وقال أبو عثمان المغربى الولى قد يكون مشهورا ولكن لا يكون مفتونا) بأن تكون شهرته بركة عليه وعلى غيره بأن لا تشغله عن ربه فيسعد بها وتضاعف أعماله لكثرة من يقتدى به بخلاف من اشغلته شهرته عن ربه فانه يكون مفتونا بها

ابراهيم بن أدهم الخ) شروع فى بيان أسباب الولاية وامارتها كما يعلم مما بعده (قوله بعد المكابدة) اى ما نالوا الانس بالله تعالى وحده الا بعد مكابدتهم فى فناء حظوظهم (قوله واعتنقوا الروح بعد المجاهدة) اى لازموا الراحة بعد اشتغالهم بالمجاهدة لارادة الوصول الى مقام الولاية واعلم ان ولى الله المخصوص هو من دخل حضرة الذات وانجلت عليه حقائق الصفات وشهد معانى الاسماء بسائر التجليات فهنالك رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهو الاكسير بالتحرير هو ولى الله الكبير من حصله حصل له الغنى واستراح من التعب والعنا فاذا رأيت العارف جلس على بساط الارشاد ونادى بلسان حاله أو قاله للعباد فبادر أيها الطالب لما فتح من المطالب وتأمل حروف الهجاء تجدها حرف الالف قد تصور وعم جميع المراتب لما تطور وكذلك الولى الكامل يتطور بجميع الاطوار لقضى سائر الاوطار شعر

غدوت اماما للمحبين فاقتضى * تنوعهم فى الحب أن أتلونا

ثم اعلم أن الفتح عادة لا يكون بدون مفتاح ولا فتاح فالفتاح هو التيسير والمفتاح هو الرجل الكبير فاذا حصلت ثمرة الهبات انفتح طلسم الكائنات بحقائق كنز الذات فلا تكن ممن يجحد وأنكر لفتح هذا الكنز الاكبر والله أعلم (قوله الذين تجردوا) اى عن كامل مألوفاتهم وحظوظهم طلبا اللحاق بهم (قوله وهم اى عرائس الله مخدرون الخ) أقول وذلك باعتبار نوع من الاولياء يغار الحق تعالى عليهم فيجعل عليهم حجابا عن غيرهم لا بالنسبة لسائرهم لان منهم من يخالط الخلق لنفع الارشاد (قوله قد يكون مشهورا) اى لحكمة الارشاد والنفع له وبه ولكن لا يكون مفتونا اى بل يكون محفوظا بحفظ الله تعالى فلا تشغله شهرته عن مراده فيدوم على التجسس عن سره لينتفى عنه الخواطر الدنية ويستمر على سنن المتابعة وطريق الادب الشرعى ومن ذلك ليم على العارف الغزالى حيث قال ليس فى الامكان أبدع مما كان مع ان مراده نفعنا الله بعلومه امكان الحكمة الالهية لا امكان

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول ليس للاولياء) فى أغلب أحوالهم (سؤال) بالسنتهم (انما هو) اى سؤالهم فى بواطنهم (الذبول والخمول) والتذلل تحت جريان المقادير والرضا بما يجرى به الحق عليهم فاكثر أعمالهم بقلوبهم لانها محل تطريهم ولان أعمالها أشد من أعمال الجوارح (قال وسمعته) أيضا (يقول نهايات الاولياء) فى الكرامات (بدايات الانبياء عليهم السلام) فيها كتسليم الحجر والشجر على نبينا صلى الله عليه وسلم فى أول أمره منة (وقال سهل بن عبد الله الولى هو الذى توالت أفعاله على الموافقة) لاوامر الله تعالى بناء على ما مر من ان الولى يسمى وليا باعتبار كونه فاعلا كما يسماه باعتبار كونه مفعولا (وقال يحيى ابن معاذ الولى لا يرائى) الخلق بعمل الحق (ولا ينافق) معهم بل يوافق باطنه ظاهره فان رأى من أخيه نقصا نبهه عليه وان رأى منه فتورا عن الخير حرضه وأعانه عليه (وما أقل صديق من كان هذا خلقه) اى صفته اذ لا يحتمل التنبيه على النقائص الا من قويت رغبته فى الخلاص منها فيسر عزيد له عليها والمتصف بهذا قليل الوجود بل ربما كان فى زماننا مفقودا فلو خالفت أحدا فى هواه لخفت على نفسك منه ما تخشاه هذا فى عدم الموافقة فيما يهواه فكيف لو أظهرت له نقصه ونبهته على نقصه فى أخراه ولقد صدق من خبر الناس ورأى ان سلامة نفسه فى بعده عنهم وانما يصحبهم بقدر حاجته اليهم فقال

عدوك من صديقك مستفاد
فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه
يكون من الطعام أو الشراب

وقال آخر

احذر عدوك مره * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديــق فكان أعلم بالمضره

ولهذا كان الولى الذى يخالط الناس يدارى ولا يرائى ويخالق ولا ينافق (وقال ابو على الجوزجانى الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه أنوار التولى) اى تولى الله سياسته (لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع غير الله عز وجل قرار) هذا حال الولى المنقطع الى الله وما مر حال الولى المتوسط بين الله وعباده (وقال أبو يزيد حظوظ الاولياء مع تباينها)

لامكان القدرة الربانية على ما هو اللائق بفهم كلامه ثم وما هو مؤول على ما عليه المعول قول العارف أخبرنى قلبى عن ربى فقد قال فيه من أنكر لم يكلم الله الا موسى الاكبر قلنا نعم اختص الله موسى بالكلام والولى بخبر الالهام فهو وحى الاولياء الذى هو دون وحى الانبياء ففرق بين أخبر وكلم يا من أنكر وتوهم (قوله ليس للاولياء فى أغلب أحوالهم سؤال) اى فى حظ النفس بل فى مرضاة الرب سبحانه وتعالى (قوله نهايات الاولياء الخ) اى لانهم اتباع ولا قوة للتابع على غير مبادى المتبوع وعلى هذا فقول بعضهم خضت بحرا وقف الانبياء بساحله مراده انهم انما وقفوا بساحله الاول ولم يتجاوزوه الى الآخر شفقة منهم فى التشريع على ضعفاء المؤمنين أو مراده الساحل الآخر بعد مرورهم ومشيهم على ذلك البحر (قوله الولى هو الذى توالت الخ) اى فمن ادعى الولاية مجردا عن الموافقة فدعواه زور وبهتان (قوله نبهه عليه) اى وذلك بواسطة التخلق بالاخلاق المحمدية من الشفقة والرأفة بالامة (قوله اذ لا يحتمل التنبيه الخ) الظاهر من كلام الشارح حمل الصديق على المنبه بصيغة اسم المفعول وهو ظاهر (قوله والمتصف بهذا قليل) اى وحيث كان كذلك فالعزلة أولى لعدم منفعة المخالطة بل الضرر فيها هو الغالب (قوله عدوك الخ) اى فالعداوة قد تنشأ من الصداقة بواسطة مخالفة الهوى كأمر بمعروف أو نهى عن منكر وحينئذ فلا ينبغى الاستكثار من الاصحاب وذلك باعتبار زماننا غنى عن البيان (قوله ولهذا كان الولى الخ) اى فهو مع الناس بقالبه ومع ربه بقلبه فهو كائن بائن (قوله الولى الفانى فى حاله) اى لانه اذا دخل حضرة الذات فنيت منه الرسوم والصفات فلا يعرج على المقامات ولا يكون له اليها التفات فان أردت مثل ذلك فانهج نهج هذه المسالك شعر

وهبها ترى كل المراتب تجتلى * عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لى فى غير ذاتك مطلب * فلا صورة تجلى ولا طرفة تجنى

(قوله لم يكن له عن نفسه اخبار) اى لفنائه عما سواه تعالى (قوله المنقطع الى الله) اى فهو لغيرة الحق تعالى عليه قد حجبه عن غيره (قوله حظوظ الاولياء الخ) ان قلت هل هناك علامة للولى قلت نعم هو من رأيت طلعته منيرة فاستدل بذلك منه على صفاء السريرة ولا

تنشأ (من أربعة أسماء) من أسماء الله تعالى (و) من (قيام كل فريق منهم باسم منها وهو) اى ماذكر من الاسماء الاربعة (الاول والآخر الظاهر والباطن فمن فنى عنها) كلها بحيث لم يلتفت اليها ولا الى غيرها لشغله بربه (بعد ملابستها) وجريانها عليه بحيث كملت بها صفاته (فهو الكامل التام) اى هو أجل الاولياء لانه لما كملت صفاته جذبه الحق اليه وشغله به عن غيره بكمال ذكره ومناجاته واذا تقرر ان حظوظ الاولياء منشؤها من الاسماء الاربعة (فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته) حيث شغله ربه بما أجراه عليه من نعمه فى دنياه وما وفقه له من عمل أخراه فهو موقوف على ما أجراه عليه فى ظاهره من استقامته فى سلوكه اليه وحفظه له عن زلله (ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى فى السرائر من أنواره) حيث شغله ربه بباطن أمره وما أسره له عن غيره مما يحدث فى قلبه من خواطر وطوارق تطرقه (ومن كان حظه من اسمه الاول كان شغله بما سبق) له عند مولاه فى أزله من غير عمل سبق منه بل فضل من ربه (ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطا بما يستقبله) فى أخراه مما يقوله ويقال له وقت مثواه بين يدى الله (وكل) منهم مع كونه مشغولا بربه عن غيره (كوشف على قدر طاقته الا من تولاه الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه) فيكاشف بما هو فوق طاقته من الكرامات

سيما اذا قوبل بالقبول من كل قابل ومقبول شعر

وسنة الله من يخلص سريرته * يعظم الله بين الناس مشهده

فالوجه للقلب كالمرآة تظهره * والقلب للوجه كالمشكاة يوقده

فمرآة القلب الصافى تخبر الناظر بالسر الخافى شعر

أصبحت فى هيئة المرآة تخبرنا * صفاؤها عن كل ما فينا من الكدر

فالبصير بصير البصيرة لا بصير الحدقة المنيرة شعر

كم من بصير فاقد لبصيرة * ان كان يبصر قلبه لا يبصر

(قوله تنشأ من أربعة أسماء) اى من الاشتغال بمعانيها ومظاهرها فولاية كل ولى تنشأ عما خصه الحق تعالى به من مظاهر هذه الاسماء ومعانيها فالكامل من اشتغل بها ابتداء وفنى عنها انتهاء (قوله لاحظ عجائب قدرته) اى لاحظ آثارها العجيبة التى منها هو وغيره دنيا وأخرى (قوله لاحظ ما جرى فى السرائر الخ) اى فكان اشتغاله بواردات القلوب وطوارق أنوار الغيوب (قوله كان شغله بما سبق) اى من النعم الجمة التى من أماراتها غالبا ما هو عليه فى الحال من الاوصاف الحميدة وحيث كان كذلك يرى الفضل والاحسان انما هو لمولاه حيث لم يكن لنفسه سابقة فى شئ أصلا (قوله كان مرتبطا بما يستقبله الخ) اى ويكون الغالب فى تجلى مثل هذا صفات جلال الحق تبارك وتعالى (قوله وكل كوشف على قدر طاقته) اى على قدر استعداده المقسوم له بالحكمة الباهرة (قوله الا من تولاه الحق الخ) أقول ومن هذا قول العارف خضنا بحر التوحيد أولا بالدليل والبرهان وبعد ذلك وصلنا رتبة الشهود والعيان والانبياء بأول وهلة على ساحل العيان ثم وصلوا الى ما يعبر عنه بالعرفان فكانت بدايتهم عليهم الصلاة والسلام نهاية العارفين والسلام فقول العارف * وكل بلا أيوب بعض بليتى * على معنى ان بلاء أيوب فى الجسد دون الروح وبلاء هذا العارف فيهما معا فى الروح بالاوام وفى الجسد بالسقام فافهم ولا ترجع لمن لا يعلم (قوله فيكاشف بما هو فوق طاقته) اى ويكون معانا ومحمولا بلا تعب ولا نصب لانه نزل على ساحل بحر المعانى الذوقية فأشرقت عليه هنالك شمس المعارف الكشفية فصار بذلك أفق طلوعها بنور شروقها ومحل غروبها بعد بروقها له التصرف من جواهر التحقيق واليد الطولى فى التدقيق فيامن دخل بحر التوحيد واستضاء بشمس الذات واستنار بنور الصفات وقرأ سورة المكتوم وفهم تعلق العلم بالمعلوم ودخل بحبوحة ذلك الفضاء الواسع فى حضرات شهود النور الساطع أنت الغريب فى الاكوان لما جمعت من حقائق العرفان حضرة غيبك لا تفهم وأسرار علومك لا تعلم شعر

ومذ عنك غبنا ذلك العام اننا * على بحر اعلى وساحله معنا

وشمس على المعنى توافق أفقنا * فمغربها فينا ومشرقها منا

ومست

(وهذا الذى قاله ابو يزيد يشير الى ان الخواص من عباده) كالذين فنوا بعد ملابسة الاسماء المذكورة و(ارتقوا عن هذه الاقسام) الاربعة الى ماهو أعلى منها (فلا العواقب هم فى ذكرها ولا السوابق هم فى فكرها ولا الطوارق) الظاهرة والباطنة (هم فى أسرها وكذا أصحاب الحقائق) وهم من جملة الخواص من عباده (يكونون محواعن نعوت الخلائق كما قال الله سبحانه وتحسبهم) لو رأيتهم (أيقاظا) لان أعينهم مفتوحة (وهم رقود

وقال يحيى بن معاذ الولى ريحان الله تعالى) بفتح الراء (فى الارض يشمه الصديقون) اى الذين كمل صدقهم فى سلوكهم نية وعملا وحالا ولم يصلوا الى مقامات الولاية الخاصة (فتصل رائحته) اى الولى (الى قلوبهم فيشتاقون به الى مولاهم ويزدادون عبادة) ورغبة فيها (على تفاوت اخلاقهم) اى صفاتهم فاذا رأوا وليا لله وشاهدوا عليه آثار القرب وعلامات الحب اشتد شوقهم وتنعموا بأنفاسه الدالة على قربه من ربه ولهذا كان ريحانة يحيا بها أرواح الصديقين (وسئل الواسطى) عن الترقى فى درجات الولاية بأن قيل له (كيف يغذى الولى) اى يربى (فى ولايته فقال يغذى (فى بدايته بعبادته) ليحصل له النشاط والرغبة فيها (وفى كهولته) يعنى نهايته (بستره بلطافته) بأن يسبغ نعمه عليه (ثم يجذبه) اى ينقله (الى ماسبق له من نعوته) تعالى (وصفاته) بأن يشغله به تعالى عن غيره لكمال مراقبته له وتنعمه بجماله وتلذذه بكماله وجماله (ثم يذيقه طعم قيامه

ومست يدانا جوهرا منه ركبت * نفوس لنا لما صفت فتجوهرنا
فما السر والمعنى وما الشمس قل لنا * وما جوهر البحر الذى عنه عبرنا
حللنا وجودا واسمه عندنا القضا * يضيق بنا وسعا ونحن فما ضقنا
تركنا البحار الزاخرات وراءنا * فمن أين يدرى الناس أين توجهنا

(قوله يشير الى ان الخواص الخ) محصله ان العارف لا يكمل حاله ولا يتم مقامه الا بعد فنائه عن سائر الكائنات شغلا بذات المكون جلت عظمته لكونه لم يبق فيه متسع لغير ذلك لامتلاء قلبه بمحبة ذاته تعالى (قوله الولى ريحان الله تعالى) مراده ان الكامل من الاولياء يكون مثل الريحان ينتفع به الصديقون وغيرهم ممن لم يصل الى درجته لكونهم يشاهدونه يجدون راحتهم ويذكرون بشم عطره من اليه دون ماسواه فاقتهم ويحنون بأحواله الى معاهد المحبوب ويهيمون بأفعاله وأقواله الى منازل المطلوب اذ المحب يميل الى مثله والمشتاق لا يسكن الا بشهود شكله حيث هو بشير الاحباب ونقطة دائرة الدعاة باشارة الخطاب (قوله فقال يغذى فى بدايته الخ) أقول ولذا ثبت فى صحيح الخبر لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل الخ قال بعض العارفين الرسالة فى برزخ فوق النبوة ودون الولاية قلت ينكشف هذا بوزن الحقائق وذلك ان النبوة تقتضى الاخذ عن الله بواسطة وحى الله ومقام الرسالة يقتضى تبليغ ما أمر به الله لعباد الله ومقام الولاية الاخذ عن الله بالله وهذه الحقائق كلها متحققة فيمن كان رسول الله فافهم التحقيق من كلام أهل الطريق ولا تظن انهم معتقدون تفضيل الولاية على النبوة والرسالة كيف وغاية مقام الولى أول قدم للنبى تدبر ولا تبادر بالانكار عسى ان تكون من جملة الابرار اقول والكلام فى ولاية غير النبى والرسول أما ولايتهما فلا يبعد تفضيلها الذى أصحاب المعقول والمنقول (قوله فقال يغذى فى بدايته الخ) أقول لعل ماذكره بحسب شربه أو بحسب حال المخاطب والا فخزائن الفضائل ملأى لا يقدر قدرها ونعم الله تعالى جمة لا يحصى عددها وقد قيل الطرائق على عدد أنفاس الخلائق (قوله ليحصل له النشاط الخ) اى بسبب وجدان لذتها وتحقق ثمرتها (قوله وأنواع ذلك لا تنحصر) اى حيث انها من بساط احسانات الحق وهى لا تتناهى (قوله لاختلاف القلوب الخ) اى تفضله تعالى على حسب الاستعداد فى ذلك (قوله علامة الولى ثلاثة أشياء الخ) اى فمتى انتفت كلا او بعضا من عبد كان لا ولاية له

به فى أوقاته) من وجود اللذات والتنعم بالمناجاة فهذا نوع مما يغذى الله به بعض أوليائه وأنواع ذلك لا تنحصر كما يلوح به كلامه فيما يأتى لاختلاف القلوب والنيات والسرعة والابطاء فى المجاهدات والرياضات (وقيل علامة الولى ثلاثة أشياء شغله بالله) بأن يشتغل بالاوراد والعبادات (وفراره الى الله) من الشهوات والمشغلات (وهمه الى الله) وحده بأن يغلب على قلبه قربه من ربه ودوام ذكره له واستغراقه فيه

(وقال الخراز اذا أراد الله تعالى ان يوالى عبدا من عبيده) بأن يجعله وليا له (فتح عليه باب ذكره) باللسان مع النية (فاذا استلذ الذكر) وتكرر ذلك عليه (فتح عليه باب القرب) من ربه (ثم) اذا داوم على ذكر القلب واللسان (رفعه الى مجالس الانس به) ووجد اللذة فى خلوته بعيدا عن الخلق (ثم) اذا تمكن انسه به (أجلسه على كرسى التوحيد) يعنى لم يرقلبه الا الواحد لشغله به (ثم) اذا توالى عليه شغله به (رفع عنه الحجب) اى المشغلات من حظوظ النفس ونحوها (وادخله دار الفردانية) اى فلا يرى الا الله الفرد (وكشف له عن الجلال والعظمة) حتى أجله وعظمه وفى نسخة وكشف عنه الجلال والعظمة اى ابرز بهما له (فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقى) مع الله (بلا هو) اى ناسيا نفسه فى ذكره (فحينئذ صار العبد زمنا) بكسر الميم (فانيا) اى لم يشعر من نفسه بحركة وفنى عنها بالكلية لكمال شغله بما يراه من كمال الجلال والعظمة لله (فوقع بذلك) (فى حفظه سبحانه وبرئ من دعاوى نفسه) لغيبته وفنائه عنها (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول قال أبو تراب النخشبى اذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة فى أولياء الله تعالى) بسوء ظنه بهم وحمل ما يبدو منهم على غير وجهه المحمود وذلك لانه لا يعظمهم الا من عظم فى قلبه جلال الله وعظمته وهذا انما يحصل لمن دامت مراقبته لله ولاحظ كمال ذاته وصفاته ومن أعرض عن الله فاته تعظيمه واذا فاته تعظيمه فاته تعظيم من عظمهم ووقع فيهم بما ذكر (وقالوا من صفة الولى أن لا يكون له خوف لان الخوف ترقب مكروه يحل فى المستقبل أو انتظار محبوب يفوت فى المستأنف) اى المستقبل (والولى ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيأ وكما لا خوف له لا رجاء له   سورة
لان الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف وذلك فى الثانى) اى المستقبل (من الوقت وكذلك لا حزن له لان الحزن من حزونة القلب) اى صعوبته (ومن كان فى ضياء الرضا وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن قال تعالى ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) ما قاله من ان الولى لا خوف عنده ولا رجاء ولا حزن هو فى حق بعض الاولياء فى بعض الاحوال والا فغالب الاولياء يطرقهم فى غالب الاحوال ذلك فانهم لا يثبتون على حالة مع مولاهم وان رضوا بما يجريه عليهم فان الذى يرد عليهم مختلف أنواعه من خوف ورجاء وبسط وحزن فهم محل لما يوضع فيهم وكيف لا يكون عندهم خوف والهيبة والخشية لا تفارقهم لرؤيتهم جلال الله وعظمته والمراد بنفى الخوف والحزن عنهم فى الآية نفيه عنهم فى الآخرة

(باب الدعاء)

(قوله فتح عليه باب ذكره الخ) اى لانه مفتاح الكمالات الالهية (قوله فاذا استلذ الذكر) اى وجد لذته وذاق حلاوته وقوله فتح عليه باب القرب اى من رحمته واحسانه وقوله رفعه الى مجالس الانس اى الذى لا يتحقق الا لمن وجد الوحشة من غير الحق تعالى وقوله اجلسه على كرسى التوحيد اى فيشهد أن الامر منه واليه لا شريك له فى الملك وقوله اى المشغلات الخ اى بحيث يعمل لا رغبة فى جنة ولا رهبة من نار بل محبة واجلالا وقوله وكشف له عن الجلال والعظمة اى حتى يشهد آثارهما وحينئذ فيجله الحق تعالى ويعظمه (قوله فاذا وقع بصره على الجلال والعظمة) اى على اثرهما بقى مع الله بلا هو اى بدون ما يشار اليه بهو قال الشاعر

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

(قوله وبرئ) اى تجرد وتخلى (قوله اذا ألف القلب الاعراض الخ) مراده به اعتياد الاعراض بواسطة كثرة تكرره وتواليه

(باب الدعاء)

اعلم وفقنى الله واياك ان لقبول الدعاء مواضع وأوقات عديدة ينبغى الاعتناء بها لقوله صلى الله عليه وسلم ان لله نفحات فتعرضوا لنفحات الله فمنها الدعاء بظهر الغيب للاخ المسلم ومنها حالة الاضطرار وعند نزول الغيث وعند الاذان وعند اصطفاف الناس للصلاة وللجهاد وفى الثلث الاخير من كل ليلة الى الفجر وعند المحتضر فان الملائكة حضور يؤمنون على الدعاء ومن الصائم عند افطاره والمسافر عند سفره ومن الوالدين لولدهما وفى يوم الاثنين وليلته وبين الخطبتين يوم الجمعة وفى ليلة القدر وعند حدوث الخشوع والقشعريرة فى الجسم وعند غلبة الرجاء وباسم الله الاعظم وقد اختلف فى تعيينه فقيل هو والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وقيل الله لا اله الا هو الحى القيوم وقيل وعنت الوجوه للحى القيوم وقيل لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وقيل آخر

هو رفع الحاجات الى رافع الدرجات ويقال هو اظهار العجز والمسكنة بلسان التضرع ويقال غير ذلك وسيأتي بعضه وهو ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية (وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان رحمه الله قال أخبرنا أبو الحسين الصفار البصري قال حدثنا محمد ابن أحمد العودي قال حدثنا كامل قال حدثنا ابن لهيعة قال حدثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة) اى خالصها لما فيه من التذلل والتضرع ولانه تعالى أثنى على المتصف به فقال ويدعوننا رغبا ورهبا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول

سورة الحشر وفي يوم عرفة وفي شهر رمضان وفي السجود في الصلاة وبالجملة فالدعاء له أجنحة وأركان وأسباب وأوقات فان صادف الاركان قوى وان صادف الاجنحة طار وان صادف الاسباب نجح وان صادف الاوقات فاز فأركانه الاضطرار وأجنحته قوة الصدق فيما يرجوه ويؤمله أو يخافه وأسبابه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وأوقاته ما تقدم والدعاء انما هو لمن كان على جادة التكليف أما من هو في مقام الرضا أو فيما يقاربه فقد يكون الدعاء في حقه ذنبا يتعين عليه التوبة منه كما ورد عن بعضهم انه قال تجاسرت البارحة وسألت ربي المعافاة من النار وبالجملة فالامر مرجعه حال الداعي ووقته فقد يكون في بعض الاوقات حاله الرضا وقد يكون حاله الاضطرار فيعامل حالة الرضا بالسكوت وحالة الاضطرار بالدعاء والتملق واظهار الفاقة وكل هذا مأخوذ من السنة المطهرة وعن السلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين (قوله باب الدعاء) مراده مطلق الطلب وهو لا يكون الامن الادنى للاعلى غالبا وفي اصطلاح القوم ما ذكره الشارح بقوله هو رفع الحاجات الى رافع الدرجات ومن المعلوم ان الدعاء يكون باللسان مع غفلة القلب أو مع حضوره وقد يكون بالقلب فقط وعلى كل هو من شأن المريدين أما العارفون المحققون فهم فانون عن مراداتهم في مرادات الحق تعالى فلا التفات لهم للسؤال أصلا اكتفاء بما سبق لهم من أنوار الواردات الالهية رضي الله تعالى عنهم (قوله هو رفع الحاجات الخ) اى سواء كان باللسان أو بالقلب أو بهما معا وهو الافضل (قوله ويقال هو اظهار العجز الخ) اى اظهاره تحقيقا لحقيقة العبودية وامتثالا للاوامر الالهية والا فالمقدر كائن لا محالة فافهم ذلك تسلم وربنا بصالح عباده اعلم (قوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) اى وقال تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان وفيها تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم واطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه روى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية الكريمة (قوله وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) اعلم ان الاجابة محققة لا بد منها عند توفر شروط الدعاء غير انها انما تكون على حسب حكمة الحكيم فقد تكون بعين المطلوب حالا أو بعد مدة وقد تكون بغيره كذلك والحاصل ان الحق تعالى قد ضمن الاجابة بوعده وجعلها مطلقة اذلم يقل بعين ما طلبتم ولا متى شئتم وأكد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله ما من داع الا وهو بين احدى ثلاث اما أن تعجل له طلبته أو يؤخر له ثوابها أو يصرف عنه من السوء مثلها وقال صلى الله عليه وسلم يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي (قوله لما فيه من التذلل والتضرع) اى وبهما تتحقق العبودية التي هي من أشرف نعوت الانسان ولذا قيل

لا تدعني الا بياعبدها * فانه أشرف أسمائي

(قوله وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول الخ) اى تعليما للامة وامتثالا للامر به

اللهم انى أعوذبك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم آت نفسى تقواها وزكها أنت وليها ومولاها
اللهم انى أعوذبك من علم لاينفع ومن قلب لايخشع ومن نفس لاتشبع ومن دعوة لايستجاب لها وكان من دعائه اللهم انى
أعوذبك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك (والدعاء مفتاح الحاجة) اى قضائه

(وهو) اى الدعاء (مستروح) اى محل راحة (أصحاب الفاقات) إى الحاجات (وملجأ المضطرين) اى المكروبين الذين مسهم الضر (ومتنفس) اى محل تنفس (ذوى المآرب) اى الحاجات (وقد ذم الله سبحانه قوما تركوا الدعاء فقال ويقبضون أيديهم قيل) معناه (لايمدونها الينا فى السؤال) فمدها فيه من أدب الدعاء لما فيه من التضرع والتذلل (وقال سهل بن عبدالله خلق الله تعالى الخلق وقال) لهم (ناجونى) اى بقلوبكم وألسنتكم (فان لم تفعلوا) ذلك (فانظروا الى) اى راقبونى بقلوبكم (فان لم تفعلوا فاسمعوا منى) اى الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين (فان لم تفعلوا فكونوا ببابى) فقراء منتظرين لما ينعم به عليكم (فان لم تفعلوا) وكانت لكم حاجة (فانزلوا حاجاتكم بى) لابغيرى فالمناجاة درجة رفيعة لانها تدل على كمال المعرفة والقرب من الله فمن فاتته فلاتفوته المراقبة ليسلم من ارتكاب المنهيات ويقوم بالمأمورات فان فاته ذلك فليسمع من الله وعده ووعيده ليقوى تنبهه عند أفعاله فان فاته ذلك فليعترف بعجزه وقصوره ويلازم بابه على وجه الفقر والاحتياج لما لابدله منه فان عجز عن الافتقار والتذلل فاياه ان ينزل حاجته بغيره كما تقرر ذلك

هذا

والا فهو معصوم العصمة مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (قوله اللهم) اى يا الله انى أعوذبك اى أتحصن بك من العجز أى عدم القدرة على طاعتك وعما يصون وجهى عن سؤال غيرك والكسل اى فتور الهمة عما ذكر والجبن اى الخوف من غيرك والبخل اى على نفسى وغيرى والهرم اى الطعن فى السن المخل وعذاب القبر اى العذاب الواقع فيه اللهم آت نفسى تقواها اى وفقها لذلك وزكها اى طهرها من جميع الادناس أنت وليها اى متولى أمورها ومولاها اى مالكها اللهم انى أعوذبك من علم لا ينفع اى لعدم العمل به أو لعدم قبوله ومن قلب لايخشع اى لايذل ولايخضع ومن نفس لاتشبع اى لاتشبع لشرهها ومن دعوة اى طلبة لايستجاب لها اى لاتقبل لما صاحبها من التقصير اللهم انى أعوذبك من زوال نعمتك اى ما أنعمت به على وتحول عافيتك اى انتقالها عافاتك لى من الذنوب أو القوة البدنية أوهما معا والعياذ بالله تعالى وفجأة نقمتك اى انتقامك وجميع سخطك اى غضبك (قوله والدعاء مفتاح الحاجة) اى سبب فى قضائها وقوله مستروح أصحاب الفاقات اى بواسطة قوة رجائهم فى انجاز الوعد بالاجابة *(فائدة)* قيل انه كان بين اجابة دعوة موسى وهرون بقوله قد أجيبت دعوتكما و بين سؤالهما أربعون عاما قال الشاذلى نفعنا الله ببركاته فى قوله تعالى فاستقيما اى على عدم الاستعجال ولاتتبعان سبيل الذين لايعلمون اى الذين يستعجلون فى الدعاء وانما جعل الله الاجابة فى مختاره غيبا لوجوه ثلاثة أحدها رفقا بعبده لانه رحيم كريم والكريم اذا سأله من يعز عليه أعطاه أفضل ما علمه له والعبد جاهل بالصلاح والاصلح فقد يحب الشئ وهو شرله وقد يكره الشئ وهو خيرله والثانى لان ذلك أبقى لاحكام العبودية فى نظر العبد وأقوى فى ظهور سطوة الربوبية اذلو كانت الاجابة على وفق مراد العبد لكان الدعاء منه تحكما على الله تعالى وذلك باطل والثالث ان الدعاء عبودية وسرها اظهار الفاقة ولو كانت الاجابة بعين المراد حتما لما صحت فاقة فى عين الطلب فيبطل سر التكليف ومعنى الاضطرار المطلوب فيه فتدبر ذلك وعض عليه بالنواجذ (قوله فمدها فيه من أدب الدعاء) اى فرفع اليدين وقت الطلب بحيث يجعل بطن الكفين الى جهة السماء عند الطلب وظهرهما اليها عند طلب الدفع لشئ من آداب الدعاء المطلوبة له (قوله وقال لهم ناجونى الخ) محصله ان كمال العبد لايخرج عن متابعة المذكورات فاما ان يكون دائم المناجاة بلسانه وقلبه أودائم المراقبات فى سره وعلنه أوواقفا مع أوامر الحق ونواهيه أو بباب الكريم متوقعا ماسبق فى حقه عند ربه أو طالبا منه تعالى مايعرض له من الحاجات الدنيوية والاخروية وغير خاف ان الاكمل فى جمع الكل والله الموفق (قوله فانزلوا حاجاتكم بى)

(سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول قال سهل بن عبد الله أقرب الدعاء الى الاجابة دعاء الحال ودعاء الحال ان يكون صاحبه مضطرا لابد له مما يدعو لاجله) ويدل لذلك قوله (أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي رحمه الله قال سمعت أبا عبد الله المكانسي يقول كنت عند الجنيد فاتت امرأة اليه فقالت له ادع الله أن يرد على ابني فان ابنا لي ضاع فقال لها اذهبي واصبري فمضت ثم عادت فقالت له مثل ذلك فقال لها الجنيد اذهبي واصبري فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها اصبري فقالت له عيل صبري) اى عجزت عنه (ولم يبق لي طاقة عليه فادع لي فقال لها الجنيد) بعد ان ظهر له اضطرارها وكملت شفقته عليها ثم دعا لها اعتمادا على ربه (ان كان الامر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت فوجدته ثم عادت تشكر له) فضله (فقيل للجنيد بم عرفت ذلك) اى بجيئه (فقال قال الله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ١ ٢ ٢ وقد اختلف الناس فى أن الافضل الدعاء أم السكوت) عنه (والرضا) بما قدر (فمنهم من قال الدعاء) أفضل لانه (فى نفسه عبادة قال صلى الله عليه وسلم الدعاء مخ العبادة والاتيان بما هو عبادة أولى من تركها) ولان الدعاء اظهار الافتقار الى الله تعالى (ثم هو) اى الدعاء (حق الله سبحانه وتعالى) على العبد (فان) استجاب العبد فهو زيادة وان (لم يستجب العبد ولم يصل) اى العبد (الى حظ نفسه فلقد قام بحق ربه لان الدعاء اظهار فاقة العبودية وقد قال أبو حازم الاعرج لان أحرم الدعاء أشد على من أن أحرم الاجابة) لان الدعاء حق الله والاجابة حق العبد (وطائفة قالوا السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم) من الدعاء (والرضا بما سبق من اختيار الحق) للعبد (أولى) من ذلك (ولهذا قال الواسطي اختيار ما جرى لك فى الازل خير لك من معارضة الوقت وقد قال صلى الله عليه وسلم خبرا عن الله تعالى من شغله ذكرى عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال قوم يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه وصاحب رضا بقلبه ليأتي بالامرين جميعا والاولى ان يقال ان الاوقات) والاحوال (مختلفة) فرب شخص فى خلوة يغلب عليه الدعاء وكمال التضرع والبكاء فلازمته لذلك أقرب لنيل مقصوده وربما يغلب عليه توالى نعم ربه عليه وعجزه عن شكرها فهو مستحي لعجزه عن شكر ما توالى عليه من النعم ان يطلب زيادة على ما هو فيه فالسكوت ولزوم الحياء أولى له كما ذكر ذلك بقوله (ففى بعض الاحوال الدعاء أفضل من السكوت وهو الادب وفى بعض الاحوال السكوت أفضل من الدعاء وهو الادب وانما يعرف ذلك فى الوقت لان علم الوقت انما يحصل فى الوقت فاذا وجد بقلبه اشارة الى الدعاء) بأن أحس من نفسه الحركة والانزعاج (فالدعاء له أولى واذا وجد) بقلبه (اشارة الى السكوت) اعتمادا على الرضا بما يجري به الحق عليه (فالسكوت له اولى ويصح ان يقال ينبغي للعبد أن لا يكون ساهيا عن شهود ربه تعالى فى حال دعائه

هذا هو محل شاهد الباب (قوله دعاء الحال) اى دعاء العبد ذى الحال والوصف الذى هو كونه مضطرا لمالا بد له منه ومعنى كونه أقرب كونه أسرع فى الاجابة بحسب الوعد الصدق (قوله ان يكون صاحبه مضطرا) اى ويشهد له قوله عز وجل أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (قوله ثم دعا لها الخ) قدر ليفيد أن قوله ان كان الامر كما قلت الخ مرتب على اجابة دعائه لها (قوله وقد اختلف الناس الخ) تامل هذا وما منشؤه مع ان الدعاء مامور به وهو لا ينافى الرضا بما هو كائن حيث يصدر الدعاء امتثالا وعبودية على ان المذموم عدم الرضا بما كان بالفعل لا فى المستقبل مع النظر الى طريق الحق وان ارادة الترقي فيه محمودة ولا سيما فى الدين فما فهمت لهذا الخلاف معنى فقد يزعم ان محل الخلاف على الدعاء بما للنفس فيه حظ دنيوي يباح طلبه ربما كان له وجه (قوله فمنهم من قال الدعاء أفضل) أقول وهو الذى عليه المعول (قوله والرضا بما سبق الخ) أنت خبير بأن الدعاء لمجرد الامتثال كما قدمناه لا ينافى الرضا بما سبق على انه من اى طريق يعلم السابق مع احتمال تعليق الاعطاء على السؤال (قوله خير لك من معارضة الوقت) أقول لا معارضة مع ملاحظة قصد الامتثال (قوله وقد قال صلى الله عليه وسلم الخ) فيه انه لا يدل على مدعاه اذ المراد بقوله فيه من شغله ذكرى غلبة الذكر وهى لا تنافى السؤال على ان فى السؤال ذكرا وغاية القصد من الخبر الحث على الفناء عن حظ النفس والاشتغال بالحق ولو كان ذلك مع وجود السؤال (قوله وقال قوم الخ) أقول هو المتعين فى هذا المقام فتمسك به ومنى عليك السلام (قوله والاولى ان يقال الخ) أقول ان كان على هذا شاهد من المنقول فسلم والا فالامر اعلم واحكم فسلم لمن له الامر تسلم (قوله لعجزه عن شكر الخ) أقول العجز مسلم لكنه لا ينافى الطلب ولا يمنع

ثم يجب عليه) عند ارادة الدعاء (ان ترا عى حاله) تو قته (فان وجد من الدعاء زيادة بسطة فى وقته فالدعاء له أولى وان عاد الى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر ومثل قبض فالا ولى له ترك الدعاء فى هذا الوقت وان لم يجد فى قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر فالدعاء وتركه ههنا سيان فان كان الغالب عليه فى هذا الوقت العلم فالدعاء أولى لكونه عبادة وان كان الغالب عليه فى هذا الوقت المعرفة والحال السكوت فالسكوت أولى ويصح) أيضا (ان يقال ما كان للمسلمين فيه نصيب) اى صلاح واظهار العبودية (أو للحق سبحانه فيه حق على العبد (فالدعاء أولى) لان الخير المتعدى أولى من القاصر (وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم) دفعا للرياء والعجب (وفى الخبر المروى ان العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبه فيقول) الله عز وجل (يا جبريل اخر حاجة عبدى فانى أحب أن أسمع صوته وان العبد ليدعو الله وهو يبغضه فيقول يا جبريل اقض لعبدى حاجته فانى اكره أن أسمع صوته ويحكى عن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى انه رأى الحق سبحانه فى المنام فقال الهى كم أدعوك فلا تجيبنى فقال يا يحيى لانى أحب أن أسمع صوتك وقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان العبد ليدعو لله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوه فيعرض عنه ثم يدعوا فيقول الله تعالى للملائكة أبى عبدى أن يدعو غيرى فقد استجبت له) وقد يدعو العبد فيعلم الحق تعالى ان مصلحته فى ضد ما دعا به فلا يخلقه له رحمة له فيظن لجهله ٢ ٢ ٢ ان تأخير استجابة دعائه مضر له وهو نافع له ورب ما يجرى على لسانه دعوت فلم يستجب لى فيكون سببا لمنعه الاجابة كما قال صلى الله عليه وسلم انه يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لى (وأخبرنا أبو الحسين على بن محمد ابن عبد الله بن بشران ببغداد رحمه الله قال حدثنا ابو عمرو عثمان بن احمد المعروف بابن السماك قال اخبرنا محمد بن عبد ربه الحضرمى قال اخبرنا بشر بن عبد الملك قال اخبرنا موسى بن الحجاج قال قال مالك بن دينار اخبرنا الحسن عن انس بن مالك رضى الله عنه قال كان رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجر من بلاد الشام الى المدينة ومن المدينة الى بلاد الشام ولا يصحب القوافل توكلا منه على الله تعالى قال بينما هو جاء من الشام يريد المدينة اذ عرض له لص) راكب (على فرس فصاح بالتاجر قف قال فوقف له التاجر وقال له شأنك بمالى وخل سبيلى قال فقال له اللص المال مالى وانما اريد نفسك فقال له التاجر ما تريد بنفسى شأنك والمال وخل سبيلى قال فرد عليه اللص مثل المقالة الاولى فقال له التاجر انظرنى حتى اتوضأ واصلى وادعو ربى عز وجل قال افعل ما بدا لك قال فقام التاجر وتوضأ وصلى اربع ركعات ثم رفع يديه الى السماء فكان من دعائه ان قال ياودود ياودود ياذا العرش المجيد يا مبدئ يا معيد يا فعال لما تريد اسألك بنور وجهك الذى ملأ اركان عرشك واسألك بقدرتك التى قدرت بها على خلقك وبرحمتك التى وسعت كل شئ لا اله الا انت يا مغيث اغثنى ثلاث مرات فلما فرغ من دعائه اذا بفارس على فرس اشهب عليه ثياب خضر بيده حربة من نور فلما نظر اللص الى الفارس ترك التاجر ومر نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أذراه) بعجمة ساكنة وألف لينة اى ألقاه (عن فرسه ثم جاء الى التاجر فقال له قم فاقتله فقال له التاجر من أنت فما قتلت أحدا قط ولا تطيب نفسى بقتله قال فرجع الفارس الى اللص فقتله ثم جاء الى التاجر وقال اعلم أنى ملك من السماء الثالثة حين دعوت) المرة (الاولى سمعنا لابواب السماء قعقعة فقلنا) هذا (أمر حدث ثم دعوت =

منه على انه قد ثبت فى الخبر سبحانك لا أحصى ثناء عليك مع تحقق الطلب والدعاء منه صلى الله عليه وسلم (قوله ثم يجب عليه عند ارادة الدعاء الخ) انظره من اى نقل عرف فانى لم أطلع على ما يشهد له نعم ان أراد بقوله فان وجد من الدعاء زيادة بسطة الخ كون الداعى على حال الاستقامة فى طريق المتابعة وبقوله وان عاد الى قلبه فى وقت الدعاء شبه زجر الخ كونه على غير ذلك المذكور كان له وجه قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين فتدبر (قوله ويصح أن يقال الخ) ذلك قريب من الصحة ان أريد بقوله وما كان لنفسك فيه حظ الخ الحظ الذى لم يكن له شاهد من السنة المحمدية (قوله وفى الخبر المروى الخ) فيه دلالة على ان تأخير الاجابة قد يكون محبة لتكرير الطلب وسرعة الاجابة قد تكون بغضا فعلى المكلف ان يدوم على قرع باب الفتاح بالطلب ولا يغتر لو أجيب بسرعة (قوله وقال صلى الله عليه وسلم الخ) تامله تعلم فضل الدعاء على السكوت كيف لا وهو من أسباب القبول (قوله فيعلم الحق تعالى الخ) اى ويشهد له خبر لو اطلع أحدكم على الغيب لا اختار الواقع

الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل علينا من قبل السماء وهو ينادي من) ينزل
(لهذا المكروب فدعوت ربي أن يوليني قتله واعلم يا عبد الله انه من دعا بدعائك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرج الله
تعالى عنه واعانه قال وجاء التاجر سالما غانما حتى دخل المدينة وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بالقصة وأخبره بالدعاء
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد لقنك الله تعالى أسماءه الحسنى التي اذا دعي بها أجاب واذا سئل بها أعطى) في ذلك دلالة
على ان صدق الاضطرار تكون معه الاجابة كما تمدح به تعالى على لسان من اصطفاه فقال أمن يجيب المضطر اذا دعاه (ومن آداب
الدعاء حضور القلب) عنده (وأن لا يكون) الداعي (ساهيا فقد روي عن النبي ٢٢٣ صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى
لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاه) وقد عد الغزالي اداب الدعاء عشرة فهي في الحقيقة اكثر ان يترصد الازمان الشريفة كيوم الجمعة وشهر رمضان ووقت السحر وان يغتنم الاحوال الشريفة كحالة السجود واقامة الصلاة وبعدها وحالة رقة القلب وان يستقبل القبلة ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه في آخره وان يخفض الصوت بين المخافتة والجهر وان لا يتكلف السجع وقد فسر به الاعتداء في الدعاء وان يتضرع ويخشع ويرهب قال تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين وان يجزم بالطلب ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه وان يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا ولا يستبطئ الاجابة وان يفتتح الدعاء بذكر الله اي وبالصلاة على رسوله بعد الحمد لله والثناء عليه ويختمه بذلك كله وان يتوب الى الله (ومن شرائطه ان يكون مطعمه
حلالا فلقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد اطب كسبك تستجب دعوتك) ولان اكل الحلال من اهم الامور في صفاء القلب
وصلاحه واذا صلح صلح الجسد كله لانه مثل بالزيت والمصباح كلما صفا ورق قوي ضياؤه في البيت وانكشفت به الامور الخفية
ولهذا حفظ الله الصالحين في أطعمتهم عن ايسر الشبهة التي يعلمها هو دونهم كان المحاسبي رحمه الله اذا مد يده الى طعام فيه شبهة لم
تمتد وان امتدت لخفة الشبهة وأتى بشيء منه لم يبتلعه ومن الناس من يراه يغلي دودا فيدعه وذلك من حفظ الله لهم (وقد قيل الدعاء
مفتاح الحاجة) قال تعالى ادعوني أستجب لكم (واسنانها) الاولى واسنانه اي مفتاح الحاجة (لقم الحلال وكان يحيى بن معاذ
يقول الهي كيف ادعوك) يارب (وأنا عاص وكيف لا أدعوك وأنت كريم)

الواقع (قوله في ذلك دلالة على ان صدق الاضطرار الخ) اي وفيه دلالة صريحة على فضيلة
الدعاء ببيان ثمرته العاجلة قبل الآجلة (قوله ومن آداب الدعاء الخ) قف على آداب
الدعاء المأثورة لاجل ان تغنم الاجابة (قوله وان لا يكون الداعي ساهيا) اي غافلا بل لابد
من جمع قلبه على الحق تعالى باستحضار عظمته وباقي كمالاته (قوله كحالة السجود) اي
بشاهد أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (قوله وحالة رقة القلب) اي الحاصلة
وقت حضوره ومراقبته (قوله وان يستقبل القبلة) اي لانها قبلة الدعاء (قوله ويرفع
يديه) اي اقتداء به صلى الله عليه وسلم لانه كان يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في حالة
الدعاء (قوله ويمسح الخ) اي اذا لم يكن الداعي في صلاة (قوله وان يخفض الصوت) اي
لانه أقرب الى الخشوع المطلوب (قوله وأن لا يتكلف السجع) اي حيث هو مكروه
(قوله رغبا ورهبا) اي راغبين وراهبين (قوله وان يجزم بالطلب الخ) مراده بذلك عدم
التردد فيه مع حضور قلبه وقوة رجائه بالاجابة (قوله وان يلح في الدعاء) اي بشاهد ان الله
يحب الملحين في الدعاء (قوله ويكرره ثلاثا) اي اقتداء به صلى الله عليه وسلم (قوله
ولا يستبطئ الاجابة) اي بل يرجع الى نظره لحكمة الحكيم وان كل شيء عنده تعالى بمقدار
واجل مسمى (قوله وان يفتتح الدعاء بذكر الله) اي وافضل انواعه الحمد وافضل صيغ
الحمد الحمد لله رب العالمين (قوله وبالصلاة على رسوله الخ) اي لخبر لا تجعلوني كقدح
الراكب اجعلوني في اول دعائكم وفي آخره (قوله وبالصلاة على رسوله) اي بأي صيغة
من صيغها وافضل الصيغ الابراهيمية ولا بأس ان اتى بالامية بدل الابراهيمية (قوله
ومن شرائطه) اي شرائط قبوله واجابته (قوله ان يكون مطعمه حلالا) اي لمناسبته
للدعاء والمناجاة ولقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين (قوله لانه كلما صفا ورق الخ)
اي وذلك لا يتم الا بحل الطعام مع الاقتصار منه على قدر الحاجة (قوله الدعاء مفتاح
الحاجة) اعلم وفقني الله واياك انه لا ينبغي لك عند تأخر الاجابة التشكك لان ذلك انما

فتعارض عنده الامران وبالجملة فشرط استجابة الدعا طاعة العبد لربه (وقيل مر موسى عليه السلام برجل يدعو ويتضرع) الى الله (فقال موسى عليه السلام الهى لو كانت حاجته بيدى قضيتها فاوحى الله تعالى اليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعونى وله غنم وقلبه عند غنمه وانى لا استجيب لعبد يدعونى وقلبه عند غيرى فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع الى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته) فيه دلالة على ان من شرط الدعاء حضور القلب وصحة النية ففى ترك ذلك قبح وأقبح منه من يقرأ الفاتحة فى الصلاة وهو غافل القلب عما يتكلم به بلسانه مشتغل باسباب الدنيا (وقيل لجعفر الصادق ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه) حق معرفته التى تفيد قلوبكم تعظيمه بل تدعونه مع الغفلة عنه وقلة تعظيمه (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول ظهر بيعقوب بن الليث علة أعيت الاطباء فقالوا له فى ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله تعالى يستجيب له فاستحضر سهلا فقال) له (ادع الله عز وجل لى فقال سهل رحمه الله كيف يستجاب دعائى فيك وفى محبسك) وفى نسخة حبسك (مظلومون فاطلق كل من كان فى حبسه فقال سهل اللهم كما أريته ذل المصية) بما ابتليته به وعجز عن ازالته (فاره عز الطاعة) التى طلب الخلاص مما هو فيه بأهلها (وفرج عنه فعوفى) من ساعته (فعرض مالا على سهل فابى ان يقبله فقيل له لو قبلته ودفعته الى الفقراء) لكان خيرا لك (فنظر الى الحصباء فى الصحراء فاذا هى جواهر فقال لاصحابه من يعطى مثل هذا يحتاج الى مال يعقوب بن الليث) فى ذلك دلالة

ينشأ من قصور نظرك على الثقة بوعد الاجابة مع الغفلة عما ستره الحق عنك من شرط اجابتها والصفة التى تكون الاجابة عليها اذ لا يجب عليه تعالى بيان ما يريد اشتراطه بل الذى يصلح فى الحكمة ستره ابقاء لسطوة الربوبية فى نظر العبد واستبقاء لاحكام العبودية عليه الا ترى انه وعد نبيه عليه الصلاة والسلام بالنصر فى احد والاحزاب ودخول مكة وستر شرط ذلك وهى الذلة التى اقتضت حكمته ترتب النصر عليها وبعد اظهرها فى مقام المنة والتنبيه حيث قال تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة وقال ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم الآية وقال عليه الصلاة والسلام لابن عباس فى وصيته واعلم ان النصر مع الذل وهو سر الاضطرار المشروط فى الاجابة هذا والمراد بالمفتاح فى كلامه السبب فى الفتح والاجابة وقوله واسنانه الخ يقال فيه مثل ما قيل فيما قبله من المفتاح (قوله فتعارض عنده الامران) أقول عند اضطرار العبد فلا تعارض لغلبة رحمة الله وكرمه (قوله حضور القلب) اى بجمعه عليه تعالى وقوله وصحة النية اى بأن لا تكون باثم ولا قطيعة رحم (قوله وأقبح منه الخ) اى ووجهه ان من خاطب مثله من الخلق غالبا يلتفت بكليته اليه فكيف يكون غافلا فى حال مناجاة الحق تبارك وتعالى (قوله فقال لانكم تدعون من لا تعرفونه) محصل كلامه رضى الله عنه الارشاد الى سعة النظر الموجبة لزيادة أنوار السريرة فان من اتسع نظره ولم يقف مع ظاهر الوعد بالاجابة لا يصدر منه انه يقول دعوت فلم يستجب لى لرجوعه عند عدم الاجابة الى الرضا والتسليم لما يجريه العليم الحكيم واعتقاده ان الحق تعالى هو العالم بما هو الصالح والاصلح فى حقه وفى حق غيره فما كان له فى باطن الامر خير مما طلبه بظاهر الحال على انه قد يكون تاخر الاجابة لفقد شرط من شروط الدعاء أو من شروط الاجابة والحاصل ان مراده بقوله من لا تعرفونه ان من لم يحضر قلبه وقت الدعاء ويستحضر ما يليق به تعالى من صفات عظمته يكون حينئذ معاملا له تعالى معاملة من لا يعرفه فكأنه لا يعرفه ولذلك لم يستجب له فتأمل (قوله ظهر بيعقوب الخ) فيه تنبيه على ان البلايا بالامراض وغيرها سببها المعاصى وانها مادامت تمنع من الاجابة وان فى عباد الله من لا ترد دعوته لمحبته ومن لو نظر الى الحجر لانقلب ذهبا ويشهد لذلك خبر ما أصاب المؤمن من مصيبة الا بذنب ارتكبه وخبر رب أشعث أغبر ذى طمرين لو أقسم على الله لابره (قوله كما أريته ذل المصيبة) اى المصيبة التى لا تنشأ غالبا الا بوقوع المعصية قال صلى الله عليه وسلم ما أصاب المؤمن من مصيبة الا بذنب ارتكبه

(قوله

على ان من الكرب العظيمة مالا يفرجها مال ولا جاه ولا سلطنة ولا طب وانما يفرجها صحيح الافتقار والتوبة والالتجاء الى من بيده النفع والضر (وقيل كان صالح المري يقول كثيرا من ادمن قرع باب) اى داوم عليه وفي نسخة الباب (يوشك ان يفتح له فقالت) له (رابعة الى متى تقول هذا) القول (متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح فقال صالح) أنا (شيخ جهل و) هذه (امرأة علمت) تكلم صالح من مقام الكسب والعبودية فاشار الى الدعاء والابتهال الى الله فانه يجيب المضطر اذا دعاه وتكلمت رابعة من مقام التوحيد فاشارت الى ان رحمته مبسوطة كما في خبر ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويده بالنهار ليتوب مسيء الليل اى يبسط رحمته وفضله على عباده وكل منهما على حق الا ان صالحا عرف علو درجة رابعة وما أشارت اليه فاقر لها بذلك (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت أبابكر الرازي يقول سمعت أبابكر الحربي يقول سمعت السري يقول حضرت مجلس أبي محفوظ (معروف الكرخي فقام اليه رجل فقال يا أبامحفوظ ادع الله تعالى ان يرد على كيسي فانه سرق وفيه ألف دينار فسكت فاعاد) له ذلك (ثم سكت فاعاد) له ذلك (فقال معروف ماذا أقول) لربي يا اخي (أقول) ٢٢٥ له (ما زويته) اى قبضته (عن انبيائك وأصفيائك فرده عليه فقال) له (الرجل فادع الله تعالى لي فقال اللهم خر له) فيه دلالة على كمال مراقبة معروف لمولاه وما يدعو به فانه لم يلتفت لحرقة السائل ولا لكثرة ماضاع منه من المال ولا لما عليه أكثر الناس من أنهم يتأسفون ويتألمون لمن أخبرهم بمصيبة له نزلت به ويزيدونه بذلك ألما على ألمه فانه خلاف معهود الشرع اذ معهوده ان ارباب البلايا يصبرون ويعزون ويهون عليهم ما نزل بهم ويعرفون ان في الله خلفا من كل مصيبة فتثبت معروف والسائل يكرر عليه السؤال بالدعاء له ان يجمع الله عليه كيسه فرفع رأسه له وقال له يا اخي شيء زواه الله عن أنبيائه وأوليائه ادعو لك ان يأتيك به فلما سمع منه ذلك قال ادع الله لي اي بما تراه لي صلاحا فقال اللهم خر له كما تقرر (وحكي عن الليث انه قال رأيت عقبة بن نافع ضريرا ثم رأيته بصيرا فقلت له بم رد عليك بصرك فقال أتيت في منامي فقيل قل يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفا لما يشاء رد على بصري) يرد عليك بصرك (فقلتها فرد الله على بصري) في ذلك دلالة على فضيلة هذا الدعاء (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول كان بي وجع العين ابتداء مارجعت الى نيسابور من مرو وكنت مدة أيام لم أجد النوم) من شدة الالم (فتناعست صباحا فسمعت قائلا يقول لي أليس الله بكاف عبده فانتبهت وقد فارقني الرمد وزال في الوقت الوجع ولم يصبني بعد ذلك وجع العين) ببركة صبره على ما ابتلاه وكانه حين فارقه الرمد كان في ضرورة احتاج فيها الى بصره (وحكي عن محمد بن خزيمة انه قال لما مات أحمد بن حنبل كنت في الاسكندرية فاغتممت فرأيت في المنام احمد بن حنبل وهو يتبختر فقلت يا أبا عبد الله اى مشية هذه فقال مشية الخدام في دار السلام) اى الجنة (فقلت) له (ما فعل الله عز وجل بك فقال غفر لي وتوجني) بتاج (وألبسني نعلين من ذهب وقال يا أحمد هذا بقولك القرآن كلامي ثم قال يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري وكنت تدعو بها في دار الدنيا

(قوله على ان من الكرب الخ) اى وعلى ان التوسل الى الله باحبابه وأهل طاعته من أنفع ما يكون في قضاء الحاجات وهو كذلك (قوله انا شيخ جهل) اى غفل عن مقام التوحيد وهذه امرأة علمت اى لم تغفل عن ذلك المقام ومع هذا فالدعاء من أنواع العبادة ومن أسباب زيادة القرب ولو بالنسبة للكامل اذ لا أكمل منه صلى الله عليه وسلم وهو دائم الدعاء له تعالى فلا تغفل (قوله عرف علو درجة رابعة) اى بسبب دوام التفاتها لحقيقة الامر وفنائها عن الاسباب استغراقا في مسببها مع انه هو أيضا رفيع الدرجة حيث وقف مع الاسباب عبودية وامتثالا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا فافهم (قوله أقول له ما زويته الخ) اى وفي الخبر اذا أحب الله عبدا زوى عنه الدنيا (قوله ويزيدونه بذلك ألما الخ) اى فبتأسفهم وتألمهم يزيد ألم المصاب وقوله فانه اى المذكور من تأسفهم وتألمهم خلاف معهود الشرع اى خلاف ما عهد منه من طلب التعزية الحاملة على التصبر والتسلي (قوله فقال اللهم خر له) اى افعل له خير الامرين عندك (قوله فقال أتيت) على صيغة المبني للمجهول اى اتاني آت في المنام وقوله فقيل قل اى قال له ذلك الآتي قل الخ (قوله على فضيلة هذا الدعاء) اى على زيادة فضيلته لثبوت فضيلة مطلق الدعاء لكونه من أسباب الاجابة (قوله وكأنه حين فارقه لرمد الخ) لعله أخذه من الآية الشريفة التي سمعها (قوله فقال مشية الخدام

فقلت يارب كل شئ بقدرتك على كل شئ اغفرلى كل شئ ولاتسألنى عن شئ فقال يا أحمد هذه الجنة فا دخلها فدخلتها) فى ذلك دلالة على فضيلة الامام أحمد وفائدة قوله يارب الخ ترجع اليه فى الدنيا حيث نبه على ان يدعو به فيها لفضيلته فان الآخرة ليست دار عمل (وقيل تعلق شاب باستار الكعبة وقال الهى لا لك شريك فيؤتى) و يقصد (ولا وزير فيرشى ان اطعتك فبفضلك ولك الحمد) على ذلك (وان عصيتك فبجهلى ولك الحجة على فباثبات حجتك على وانقطاع حجتى لديك الا غفرت لى فسمع هاتفا يقول الفتى عتيق من النار) هذا من أحسن الاسباب فى استدعاء الرحمة بالفعل والقول اما الفعل فالتعلق بالجنان وأما القول فحسن الخطاب لان قوله فباثبات حجتك على اقرار لله بلزوم الحق عليه كما قال فلله الحجة البالغة وقوله وانقطاع حجتى لديك اقرار بالمعصية ومن تكون هذه حالته فهو فقير الى الرحمة ومن له الحجة فهو ٢٢٦ المقتدر على ما يشاء و يرغب اليه فى العفو عن الخطا (وقيل فائدة الدعاء اظهار الفاقة بين يديه تعالى) فاظهارها سبب للرحمة (والافالرب يفعل مايشاء) من رحمة وهلاك لانه مالك للكل فيتصرف فى ملكه كيف يشاء والظلم فى حقه محال لانه اما أن يرجع الى مخالفة الامر وارتكاب النهى والله تعالى لا آمر له ولا ناه أو الى التصرف فى ملك الغير بغير اذنه ولا ملك حقيقة لغير الله حتى يكون تصرفه فيه ظلما كما قال تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيأ الآية (وقيل دعاء العامة بالاقوال) لانهم يدعون فى حوائجهم بألسنتهم وغايته حضور النية (ودعاء الزهاد بالافعال) لانه يتبرأ من الدنيا ثم يدعو فاضاف الى الاقوال الافعال وهى اخلاء اليد من الدنيا امتثالا لامر الله (ودعاء العارفين بالاحوال) التى هى التضرع والتذلل بالقلب فانه يضيفها الى الاقوال والافعال وظاهر كلامه ان دعاء العامة بالاقوال خاصة ودعاء الزاهد بالافعال خاصة ودعاء العارف النفس بالاحوال خاصة (وقيل خير الدعاء ماهيجته الاحزان) على التقصير فى حق الله تعالى مع افراغ الجهد فى طاعة الله تعالى (وقال بعضهم اذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت) عليك اى عجل قضاؤها فان كانت فى أخراك فقد بلغت منتهاك أو فى دنياك (فاسئل الله تعالى عقب ذلك الجنة فلعل ذلك يوم اجابتك) فيجمع له خير الدارين (وقيل السنة المبتدئين منطلقة بالدعاء) فاى شئ خطر لهم من مصالحهم دعوا ربهم فيه فلا يفرقون بين ماهو وقته وماليس وقته (والسنة المحققين) اى العارفين بالله (خرست عن ذلك) اى عن الدعاء الا فيما يدعوهم العلم اليه و يكون هو الاحب عند ربهم

في دار السلام) أقول يحتمل آن المراد بذلك مشية من قام على نفسه فى الدنيا بالعبادة والخدمة لمولاه ويحتمل مشية من يشبه الخدم لاهل الجنة بالنسبة للارفع منه فيها درجة (قوله فقلت يارب كل شئ) اى ياخالق كل شئ ومالكه وقوله بقدرتك على كل شئ اى باقتدارك عليها اغفرلى كل شئ اى مما جنيته على نفسى من ذنوبى ما علمت منها وما لم أعلم ولا تسألنى عن شئ اى قصرت فيه (قوله ترجع اليه فى الدنيا) لعل الاولى ان يقول ان فائدته فى الآخرة اظهار فضيلته الراجعة اليه فى الدنيا فتأمل (قوله الهى) منادى محذوف الاداة لا لك شريك فى الملك فيؤتى دونك لوجوب وحدانيتك ولا وزير موازر ومعاون لك فى شئ فيرشى لوجوب عموم قدرتك واحاطة علمك ان أطعتك بامتثال أمرك فبفضلك واحسانك أطعتك اذ لا فعل لغيرك ولك الحمد ولك الثناء الجميل وان عصيتك خالفت أمرك فبجهلى عصيتك ولك الحجة على بارسال رسلك وايجاد الاستعداد فى فاقسم عليك يارب باثبات حجتك على لما تقدم وانقطاع حجتى لديك عندك الا غفرت لى بمحو سيئاتى التى جنيتها على نفسى (قوله فاظهارها سبب للرحمة) اى بحكمة الله الباهرة (قوله ولا ملك حقيقة لغير الله) اى لان الاشياء فى يد المخلوقين من قبيل العوارى المستردة ولذا قيل شعر

وما المرء الا كالشهاب وضوءه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع
وما المال والاهلون الا ودائع * ولابد يوما ان ترد الودائع

(قوله وغايته) اى غاية همتهم فى الدعاء حضور النية (قوله لانه يتبرأ من الدنيا) اى زهدا فيها فهو يطلب حظه الآجل فقط (قوله خير الدعاء ماهيجته الاحزان) اى لانه فى هذه الحالة أقرب الى الاجابة (قوله فاى شئ خطر لهم الخ) اى مما كان له شاهد فى العلم وحظ

وربما كان سكوتهم في وقت أولى من دعائهم فيدع الخيرة لله وهو يعلم ما في قلبه فلا ينطلق لسانه ولهذا خرست ألسنتهم لا قلوبهم (وسئل الواسطي ان يدعو فقال أخشى انى ان دعوت ان يقال لى ان سألتنا مالك عندنا فقد اتهمتنا) في تأخيره (وان سألتنا ماليس لك عندنا فقد أسات الثناء علينا) لان الداعي يثني على ربه قبل دعائه فاذا أثنى عليه وطلب منه في الاثر مالا يستحقه فلم يوقع ثناءه عليه موقعه لانه أردفه بما لم يوافقه مما يخالف ماجرى به القضاء (وان رضيت) بما أجريناه لك ولم تدع بشئ (أجرينا لك من الامور ما قضينا لك به في الدهور وروى عن عبد الله بن منازل انه قال مادعوت منذ خمسين سنة ولا أريد ان يدعو لى أحد) لان الدعاء انما يكون فيما اختاره العبد لنفسه وابن منازل ممن كمل رضاه بما يجريه ٢٢٧ عليه مولاه فاستغنى عن الدعاء بحسن اختيار مولاه له فيما قدره وأمضاه وفي هذا وماقبله ميل الى ان ترك الدعاء أولى والاكثرون على خلافه قال الغزالي فان قيل فما فائدة الدعاء مع ان القضاء لا مرد له فاعلم ان من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء ووجود الرحمة كما ان الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما ان الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء وليس من شرط الاعتراف بالقضاء أن لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم فقدر الله الامر وقدر سببه (وقيل الدعاء سلم المذنبين) اى وسيلتهم فلا يصلون الى عفو الله الا بتضرعهم ودعائهم كما قال تعالى ادعوني أستجب لكم (وقيل الدعاء) هو (المراسلة) بينك وبين الله بأن يخلق لك في قلبك الدعاء والتضرع والبكاء على نفسك (ومادامت المراسلة باقية فالامر جميل بعد) بخلاف من استرسل في غفلته وتنعم بشهواته (وقيل لسان المذنبين دموعهم) اى بكاؤهم على تقصيرهم في حق ربهم فبكاؤهم على ذلك مع سكوتهم انفع لهم من دعائهم بألسنتهم مع قساوة قلوبهم (وسمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول اذا بكى المذنب) من خشية الله (فقد راسل الله تعالى) فبكاؤه شفيع له فهو الرسول اى الواسطة بين ذنبه وعفو ربه ولذلك استغنى به عن النطق بلسانه (وفي معناه أنشدوا دموع الفتى عما يجن) اى يستر (تترجم * وانفاسه تبدين ما القلب يكتم) فاستغنى بالبكاء والنفس عن التضرع بالدعاء

النفس (قوله وربما كان سكوتهم) اى عن سؤال حظهم في وقت أولى من دعائهم بالحظوظ الآجلة (قوله فقال أخشى الخ) الغرض من ذلك بيان ما في نفس الامر من أنه لا يكون الا ما وقع القضاء الازلي به ولا يمكن خلافه ومع هذا فذلك لا ينافي الدعاء امتثالا وعبودية لانه من العبادة التي يثاب العبد عليها بما شاء ربنا والله أعلم (قوله مادعوت منذ خمسين سنة) اى مادعوت دعاء بدون شاهد من العلم أما بشاهد منه فادعو ومثله يقال فيما قبله وبما قررناه تعلم ما في قول الشارح وفي هذا وماقبله ميل الى أن ترك الدعاء أولى والله أعلم (قوله فاعلم ان من جملة القضاء الخ) أقول هذا انما يظهر فيما علق من القضاء على الدعاء لا في مطلق القضاء فلا تكن من الغافلين (قوله فكذلك الدعاء والبلاء) اى ويشهد له خبر ان الدعاء والقضاء ليتعالجان الحديث (قوله سلم المذنبين) اى فهو من الاسباب الظاهرة في العفو عن الذنب (قوله هو المراسلة) اى من أسباب الوصول الى فضل الله تعالى واحسانه (قوله وقيل لسان المذنبين دموعهم) اى لان القصد من الدعاء اظهار الفاقة والتذلل له تعالى والدموع غاية في ذلك كما هو غني عن الشرح فهي لسان حال ينادي الغوث الغوث العجلة العجلة وما ألطفها في استدعائها الاجابة من المحبوب (قوله مع سكوتهم) اى عن الحظوظ الشهوانية وهذا كما ترى لا ينافي الدعاء مع الغفلة عن الحظوظ (قوله فقد راسل الله تعالى) اى حصل أسباب القرب من رحمته (قوله دموع الفتى الخ) أقول وما ألطف قول بعضهم في هذا المعنى شعرا

كان فؤادي مجمر فيه عنبر * على نار فكري واللسان مروح
تترجم عما في ضميري مدامعي * وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقول الآخر

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمني اللوم

وأنفاسه اى انفاس كربه وأشواقه تبدين اى تظهرن ما القلب يكتم اى الذي يكتمه القلب

(وقال بعضهم الدعاء ترك الذنوب) مع طلب غفرانها لان طلب غفرانها مع استقرارها يسد باب الاجابة قال تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقد حكى ان بعضهم أتى مكاسين ليخلص مظلوما منهم فسألهم فيه فتركوه ثم قالوا له ادع لنا فقال قولوا لذلك المكوز يدعو لكم يعنى المكوز الذى يجمعوا فيه الدراهم من الظلم نبههم على انكم ان تبتم غفر لكم وما يفيد دعائى على استقراركم على الظلم (وقيل الدعاء لسان الاشتياق الى الحبيب) اذ لولا اشتياق العبد للمدعو به لم ينطق لسانه بالدعاء بحصوله (وقيل الاذن فى الدعاء خير للعبد (من العطاء) اذ لولا ان الحق تفضل على عبده وأذن له بالدعاء الذى هو سبب العطاء عادة لم ينل العطاء فهو من جملة العطاء فاذا جعل الله للعبد الدعاء فقد تفضل عليه بالعبادة فان رتب عليه مادعا به فقد حصل له مراده والا فقد حصل له بعض العطاء وهو الدعاء فالدعاء خير من العطاء فالاذن له فيه كذلك قطعا (وقال الكتانى لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة) والاعتراف بالتقصير بأن يدعو الله ويتضرع اليه (الا لفتح باب المغفرة) له فان الدعاء عبادة كما مر فان ترتب عليه المدعو به كان زيادة والا فالحق يدخر له بجزاء دعائه ٢٢٨ أو يؤتيه ما هو خير له مما يعلم ان فيه مصلحته (وقيل الدعاء يوجب الحضور) والمقام للداعى على باب الحق تعالى (والعطاء يوجب الصرف) اى انصراف العبد عن باب الحق وفى نسخة الانصراف (والمقام) والبكاء (على الباب أتم من الانصراف بالمناب) وفى نسخة بالثواب وفى أخرى بالمباو (وقيل الدعاء مواجهة الحق تعالى بلسان الحياء) يعنى الدعاء المحمود ما قارنه الحياء لان الحياء انما يكون مع استشعار نظر الحق اليك فى حال دعائك فان دعوته وقد تقدمت اجرامك غلب على قلبك الحياء من الله لكونك تسأله رحمته وقد عصيته (وقيل شرط الدعاء الوقوف مع القضا بوصف الرضا) بأن يرضى العبد بكل ما يرد عليه من الله عقب دعائه لعلمه بأن مولاه اختار له (وقيل كيف تنتظر) أنت (اجابة الدعوة اليها وقد سددت طريقها بالهفوة) اى الزلة لان السبب فى العفو وملازمة الطاعة اللازم لها ترك الهفوة (وقيل لبعضهم ادع لى فقال كفاك من الاجنبية) اى البعد عنه تعالى (ان تجعل بينك وبينه واسطة) حاصله انه سأله ان يدعو له فنبهه على طريق أقرب الى الاجابة مما سلكه وهو انك لو دعوته بنفسك وتضرعت اليه لاستغنيت عنى وعن غيرى قال تعالى فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا الآية (سمعت حمزة بن يوسف السهمى يقول سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول سمعت أبى يقول جاءت امرأة الى بقى بن مخلد فقالت له ان ابنى قد أسره الروم ولا أقدر على مال) أفديه به (أكثر من دويرة) لى (ولا أقدر على بيعها فلو أشرت الى من يفديه بشئ) من ماله لكان خيرا لك (فانه ليس لى ليل ولا نهار ولا نوم ولا قرار) أى قرار فيه من أجله

من الاشراق ولاعج المحبة (قوله الدعاء ترك الذنوب) اى قبول الدعاء سببه الاعظم ذلك قال تعالى انما يتقبل الله من المتقين (قوله لسان الاشتياق الى الحبيب) اى الشئ المحبوب أو الملك المطلوب (قوله فالدعاء خير من العطا) أقول المراد انه خير من بعض العطاء لا من مطلقه فالمفضول عطاء بعض الحظوظ والغرض افادة ان الدعاء لابد له من الثمرة والفائدة والمحقق من ذلك نفس الدعاء باعتبار التوفيق له (قوله والعطاء يوجب الصرف) أقول ذلك باعتبار المألوف من عادة البشر والا فلا صرف لطالب الحق أصلا كما هو غنى عن البيان قال عارف وقته

ان كان منزلتى فى الحب عندكم * ما قد رأيت فقد ضيعت أيامى

(قوله وقيل الدعاء مواجهة الحق الخ) محصله أن من أدب الدعاء حسن الاستقامة مع استشعار التقصير فى حق الحق تعالى (قوله وقد تقدمت أجرامك) جمع جرم وهو الذنب بأن تجعلها نصب عينيك لتنكسر نفسك وتذل (قوله الوقوف مع القضاء بوصف الرضا) اى سواء لائم هوى النفس أولا (قوله وقد سددت الخ) اى فالذى ينبغى للداعى أن يقدم توبته بين يدى دعائه ليكون أرجى للقبول ولبلوغ المأمول (قوله لو دعوته بنفسك) اى بعد تقديم التوبة من الذنب وملازمة الحلال مطعما ومشربا وغيرهما وبعد ذلك اذا قرعت باب الفتح لفتح بدون واسطة فتدبر (قوله ولا أقدر على بيعها) اى لشدة احتياجى

(فقال لها ثم انصرفي حتى انظر في أمرك ان شاء الله تعالى قال فاطرق الشيخ) رأسه (وحرك شفتيه) بالدعاء لها بان يخلص ابنها لها بلا كلفة ولا غرامة وكان ذلك سرا بينه وبين ربه فورخ أصحابه وقت الدعاء ليعرفوا بذلك ما يجرى به الحق من القضاء (قال فلبثنا مدة فجاءت المرأة) الى الشيخ (ومعها ابنها وأخذت تدعوله وتقول قد رجع سالما وله حديث يحدثك به) وهو ما ذكره بقوله (فقال الشاب كنت في) وفي نسخة بين (يدى بعض ملوك الروم مع جماعة من الاسارى وكان له انسان يستخدمنا كل يوم فكان (يخرجنا) من البلد (الى الصحراء للخدمة ثم يردنا وعلينا) اى على أرجلنا (قيودنا) التى قيدونا بها (فبينا نحن نجئ من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذى كان يحفظنا انفتح القيد من رجلى ووقع على الارض ووصف اليوم والساعة) اللتين وقع فيهما القيد (فوافق الوقت الذى جاءت فيه المرأة) للشيخ (ودعا) لها (الشيخ) فيه (قال فنهض الى الذى كان يحفظنى وصاح على وقال لى كسرت القيد قلت لا) بل (انه سقط من رجلى قال فتحير) في أمرى (وأحضر أصحابه وأحضر الحداد وقيدونى) ثانيا (فلما مشيت خطوات سقط القيد) ايضا (من رجلى فتحيروا) في أمرى فدعوا رهبانهم فقالوا لى ألك والدة قلت نعم فقالوا وافق دعاؤها الاجابة وقد أطلقك الله عز وجل فلا يمكننا تقييدك فزودونى وأصحبونى بمن أوصلنى الى ناحية المسلمين) في ذلك كرامة للشيخ ودلالة على ان دعاء الوالدين معلوم الاجابة في كل شريعة لشرفهما وحرمتهما عند الله كما قال اشكر لى ولوالديك الى المصير فقرن شكرهما بشكره من الولد لكمال احسانهما اليه وبرهما به *(باب الفقر)*

اليها (قوله فقال لها ثم انصرفي) اى ليدوم توجه قلبه الى الله تعالى ويستمر اعتمادها عليه فتسرع اجابة دعائه لها (قوله يستخدمنا كل يوم) اى على مجرى عادتهم في الاسرى (قوله وأحضر الحداد) اى لاجل اصلاح هذا القيد

(باب الفقر)

اعلم ان الفقير ليس له تصرف مما للمكلف الا في قسمين من الاحكام وهما الواجب والمندوب واذا كان هذا في حق غير المنقطع من الفقراء فما بالك بالمنقطع المتوجه الى ربه الذى ترك الدنيا وشهواتها وملذوذاتها خلف ظهره فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره واذا كان كذلك فعليه ان يفر من الاجتماع من مجالس الذكر الموجودة الآن اذ لا يشك عاقل في تحريمها ولا سيما اذا اشتملت على زيادة محرمات مثل الرقص وآلات الملاهى ومرد ممن له جمال وعليه ان يبعد أيضا من السماع للقوالين الموجودين الآن لان غناءهم بالالحان والتطريب على انه لو سلم من ذلك لم يدخل في باب الواجب والمندوب الذين ليس له الا هما وقد سئل العارف الكبير شيخ الطائفة الجنيد لم لا تسمع وقد كنت تسمع فقال ممن ومع من يشير رضى الله عنه الى ان القوال يشترط أن يكون هو المربى والمفيض للامداد والمستمع يكون من المرشدين أو المسترشدين لا كالقوالين الآن فيتعين على الفقير ان يحفظ مهجته بالنهوض الى ما يجب عليه أو يندب له وينبغى له ان يصون حرمة الخرقة التى ينسب اليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم وذلك قبيح في حق العالم ففى حق الفقير أحرى اذ انه أقبل على طلب الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقته ومقصده فان تعلق خاطره بشئ من ذلك فهو من أبناء الدنيا وليس له في الفقر حظ وهذا كله من أخلاق السلف وأحوالهم وسيرتهم الحسنة أسأل الله ان لا يخالف بنا عن أحوالهم بمنه وكرمه وعلى الفقير ان يجتهد في حفظ مقامه الذى هو فيه عن تدنيسه بالتشوف الى ما في يد غيره أو التعزز بعزهم الفانى فاذا سلم من ذلك فلا يضره السعى في قضاء حوائج اخوانه المسلمين المضطرين وبالجملة فالفقراء السالكون ممن مضى نفعنا الله ببركات أنفاسهم على ثلاثة أقسام فمنهم من كان لا يخالط أحدا من غير جنسه فان وقع له شئ من ذلك قهرا تخلص منه ولو بالهروب كما وقع لسفيان الثورى لما تولى الخلافة من يعتقده ويحبه ففر منه بالسفر من بلده والقسم الثانى كانوا يجتمعون مع غيرهم اذا أتوا اليهم مع حفظ قلوبهم عن الميل الى دنياهم والقسم الثالث يذهبون الى غيرهم وفى ذلك خطر المخالطة والوقوف على الابواب هذا فما بالك بفقراء هذا الزمان فانهم ربما كانوا أضر من الشياطين على المكلفين والله المستعان ثم اعلم أيضا ان أقاويلهم فيه

كثيرة والذى أقوله وماتوفيقى الابالله انه هونفض اليدين من الكونين اعتمادا واستنادا وشهودا ووجودا وتأمل سرقوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه ثم هو احاطى بكل جزء من أجزاء العالم لافتقارها الى نعمة الايجاد والامداد غيران الوجود الحادث قد يذم من حيث مافيه من رائحة الوجود الذى هو عين الشرك شعر

اثبات غير الشرك فى عقيدتنا * نفى السوى مذهبى ياقرة العين

فالفقير الكامل هو المتخلى عن الاسباب المتعلق القلب برب الارباب وشرطه كمال اعراضه فى الحال والمآل والتجائه الى الله تعالى فى جميع الاقوال والافعال عملا لامر الله امتثالا غير راج به نوالا فيكون من افتقر الى الله تعالى خاصة فى كل سبب فلم يسكن قلبه لغيره تعالى ولم يعتمد على ماسواه ولم يحمله على الطاعة قصد عوض عليها بل الحامل له أمران جليلان علمه بشرفية المقام وصيرورته بذلك من الاحرار الكرام فكيف يليق بالمملوك ان يطلب الاجر من مالكه أو يتشوف للجزاء على عمله نعم ان طلب فلامر مولاه بذلك وندبه الى ماهنالك واعلم ان الفقر شعار الصالحين وحلية المحبين ونعت الاولياء وصفة الاصفياء قال بعضهم حقيقته الكاملة التجرد ظاهرا وباطنا عن الفانى من مشتهيات الدنيا مع دوام الرضا باختيار الحق تعالى له ويقال هو التجرد بالقلب عن الميل الى الدنيا وان لابسها ظاهرا وهو من أكبر أسباب الوصول الى الحق تعالى لبعد صاحبه عن الشواغل والقواطع ويقال هو حلية توجب الرضا بالمقدور وقيل هو التجرد عن النظر الى الاعمال والاحوال والمقامات والخروج عن ذكرها وفكرها اشتغالا بالله سبحانه لكمال الافتقار اليه ودوام الاقبال عليه والفقير لايرى من نفسه جميلا ويراها فى بحر النعم غريقة فلكمال نظره الى مولاه انقطع نظره عما سواه وقيل غير ذلك والله أعلم (قوله هو التبرى الخ) أى ولذا قيل روح الفقير دائما خائفة فان عادت خرج من الفقر فافهم (قوله من رؤية الملكة) لعله يريد المالكية فمعناه البعد عن رؤية المالكية لاحد سواه تعالى (قوله التبرؤ من رؤية الفقر) أى بعد التجرد عن الميل بالقلب الى شئ من الدنيا وقوله التبرؤ من رؤية الاعمال أى بواسطة الفناء عن أفعاله وصفاته وقوله التبرؤ من رؤية كونه متبرأ أى بالفناء عن نفسه بالكلية فالاولى للمريدين والثانية للواصلين والثالثة للعارفين المحققين (قوله قال الله عزوجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله الخ) للفقراء متعلق بمحذوف أى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ماتنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله أى أحصروا بالفقر والجهاد لايستطيعون لاشتغالهم به ضربا فى الارض أى ذهابا فيها للتجارة والكسب وهم أهل الصفة رضوان الله عليهم كانوا نحو أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم فى التعلم والجهاد فكانوا يخرجون فى كل سرية بعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبهم الجاهل بحالهم أغنياء من التعفف أى من أجل تعففهم عن المسئلة تعرفهم يامحمد

هو التبرى من رؤية الملكة ويقال هو ارسال النفس فى أحكام الله تعالى ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو على ثلاث درجات الاولى وهو فقر الزهاد التبرؤ من رؤية الفقر والثانية التبرؤ من رؤية الاعمال والاحوال والمقامات والثالثة التبرؤ من رؤية كونه متبرئا وهو بكل حال ممدوح ومطلوب (قال الله عز وجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لايستطيعون ضربا فى الارض الآية أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين ابن موسى البزاز ببغداد قال أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الانبارى قال حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال حدثنا قبيصة قال حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم

أوكل أحد ممن له حظ الخطاب مبالغة فى بيان وضوح فقرهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال لا يسألون الناس الحافا أى الحاحا والملح هو من يلازم المسؤل حتى يعطيه من قولهم لحفنى من فضل لحافه أى اعطانى من فضل ما عنده والمعنى لا يسألونهم شيأ أو ان سألوا الحاجة اضطرتهم اليه لم يلحوا وقيل هو نفى لكلا الامرين جميعا (قوله يدخل الفقراء الجنة الخ) لعل المراد بالفقراء فى الحديث المتجردون عن الدنيا رغبة فيما لهم عند ربهم لا مطلق الخلى عن المال والكسب الذى لم يكن كذلك (قوله ليس بالطواف) أى لا يعتبر فى معنى مسكنته طوافه على الناس ليسألهم شيأ مما بايديهم فتردها اللقمة الخ (قوله قال هو الذى لا يجد ما يغنيه) أى ما يقوم بكفايته ويستحى من ربه بسبب قوة يقينه بوعد الحق ان يسأل الناس (قوله ولا يفطن له الخ) أى وعدم الالتفات اليه بواسطة اظهاره الغنى فى حالة الفقر وذلك أفضل من ذات الفقر لانه قد ستر فقره وأظهر عفافه تشرفا وتكرما وقطعا لطمعه أو كان من الاقوياء ولكن أظهر فقره اختيار التبرك به ويقتدى به (قوله ولبقاء الكلام الخ) أقول هو وان كان كذلك غير ان حمل كلام النبوة على الوجه الاول أولى كما لا يخفى انه هو الا كمل (قوله والفقر شعار الاولياء) أقول ذكر بعضهم فصلا جامعا لبعض آداب السلوك وبعض الآثار عن السلف رضى الله عنهم وهو انه لا بد للفقير من الخلوة لانه بسببها يدرك ما هو فيه من الخطر ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه السلف الاترى الى بركة هذه الحكم التى تصدر على ألسنتهم مما ليس لهم قوة على اصدارها وذلك ببركة توجهاتهم واقبال المولى سبحانه عليهم وأعظم أسباب ذلك الخلوة فانظر رحمنى الله واياك الى ما نقله الامام الحافظ اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى رحمه الله فى كتاب سير السلف له عن أبى حازم رحمه الله انه قال قد رضيت من أحدكم ان يتقى لدينه كما يتقى لفعله وقال شيان أمران هما خيرا الدنيا والآخرة اذا عملت بهما اتكفل لك بالجنة تحمل ما تكره اذا أحبه الله وترك ما تحب اذا كرهه الله وقال بعضهم قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوك وقيل لبعضهم انك مشدد فقال كيف لا أشدد وقد صدنى أربعة عشر عدوا شيطان يفتننى ومؤمن يحسدنى وكافر يقاتلنى ومنافق يبغضنى والعشرة جوع وعطش وعرى وحر وبرد وهوام ومرض وفقر وموت ونار لا أقاومها الا بسلاح التقوى وقيل له مالك فقال ثقتى بالله واياسى مما فى أيدى الناس وقال ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شئ نحن عليه وقال ينبغى للمؤمن ان يكون أشد حفظا للسانه منه لموضع قدميه وقال بعضهم ان لم يكن فى المبتدئ خمس خصال فلا يرجى عقل حسن واتباع للسنة وصحبة الا كابر ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته ومن كتاب سير السلف قال أبو سفيان اذا رأيت العالم لا يتورع فى علمه فليس لك ان تأخذ عنه وكان يقول وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت وقال رجل للجنيد من

قال يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام) هى (نصف يوم) من أيام الآخرة (وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيرى ببغداد قال حدثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد قال حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال حدثنا عبد الله بن مسلمة قال حدثنا محمد بن أبى الفرات عن ابراهيم الهجرى عن أبى الاحوص عن عبد الله) رضى الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسكين ليس بالطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قال فقيل من المسكين يا رسول الله قال) هو (الذى لا يجد ما يغنيه ويستحى ان يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه قال الاستاذ) الامام القشيرى رحمه الله (معنى قوله يستحى ان يسأل الناس أى يستحى من الله تعالى ان يسأل الناس لانه يستحى من الناس) ان يسأل الناس ولبقاء الكلام على ظاهره أيضا وجه (والفقر شعار الاولياء

أصحب فقال من تقدر ان تطلعه على ما يعلمه الله منك وقيل له مرة أخرى من أصحب فقال من يقدر ان ينسى ماله ويقضى ما عليه وقال من عرف الله لا يسر الا به وقال ذو النون من علامات المحب متابعة حبيب الله فى أخلاقه وأفعاله وأوامره ونواهيه وسننه وقال من نظر الى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لان النفوس هالكة عند هيبته وقال رويم لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فان اصطلحوا أهلكوا وقال ابن خفيف قلت لرويم أوصنى فقال أقل ما فى هذا الامر بذل الروح فان أمكنك الدخول فيه مع هذا والا فلا تشتغل بترهات الصوفية وسئل لقمان وكان عبدا أسود نوبيا ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعنى ومن كتاب السنن للباجى رحمه الله قال وروى عن أبى الدرداء انه قال ثلاث ما أحببت ان أعيش يوما بدونها الظمأ لله فى الهواجر والسجود فى جوف الليل ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقى أطايب التمر وقال بعض الحكماء جاهد نفسك باصناف الرياضة والرياضة على أربعة أوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فمن قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى الغايات وقال بعضهم قال عيسى بن مريم عليه السلام طوبى لمن خزن لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال العنبرى اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكى فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هو زمان بكاء وتضرع واستكانة ودعاء كدعاء الغريق انما هذا زمان احفظ فيه لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف واترك ما تنكر أو كما قال وقال كعب الاحبار رحمه الله والذى نفسى بيده لئن أبكى من خشية الله حتى تسيل دموعى على وجهى أحب الى من أن أتصدق بجبل من ذهب وقال وهب بن منبه فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعا على قبر وهو يبكى فقال ما هذا يا بنى فقال أخبرتنى ان جبريل أخبرك ان بين الجنة والنار مفازة لا يطفئ حرها الا الدموع فقال ابك يا بنى وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما الان أدمع دمعة من خشية الله أحب الى من ان أتصدق بألف دينار وقال ابراهيم ابن أدهم ان للذنوب ضعفا فى القوة وظلمة فى القلب وان للحسنات قوة فى البدن ونورا فى القلب وقيل لسفيان الثورى رحمه الله لو دعوت الله عز وجل فقال ترك الذنوب هو الدعاء ولقى حكيم حكيما فقال له انى لاحبك فى الله فقال لو علمت منى ما أعلم من نفسى لابغضتنى فى الله فقال له الاول لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لى فيما أعلمه من نفسى شغل عن بغضك وكان الربيع بن خيثم اذا قيل له كيف أصبحت يقول أصبحنا ضعفى مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا وقيل لابراهيم بن أدهم من أين عيشك فقال

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا * فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقيل

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال أصبحت طويلا أملي قصيرا أجلي سيأ
عملي انتهى كلام الباجي رحمه الله وقال بعضهم الاصحاب ثلاثة صاحبك وصاحب
صاحبك وعدو عدوك والاعداء ثلاثة عدوك وعدو صاحبك وصاحب عدوك وروى
عن بعض العلماء أنه قال انما يدخل الجنة من يرجوها وانما يجتنب النار من يخشاها
وانما يرحم الله من يرحم وقال لقمان لابنه يابني خف الله خوفا لاتيأس فيه من رحمته
وارجه رجاء لاتأمن فيه من عقابه فقال ياأبتاه وكيف وانما لي قلب واحد فقال بني ان
المؤمن لوشق قلبه لوجد فيه نوررجاء ونورخوف لووزنا لم يعل أحدهما بصاحبه وقال لقمان
لابنه يابني كيف يأمن النار من هو واردها وكيف يطمئن الى الدنيا من هو مفارقها وكيف
يغفل من لايغفل عنه فلاشك في الموت فكما تنام تموت ولافي البعث فكما تستيقظ تبعث
يابني ان الانسان لثلاثة فثلثه لله وثلثه لنفسه وثلثه للدود والتراب فروحه لله وعمله
خيرا وشرا وجسده فهو للدود والتراب وقال سفيان الثوري ما أمن أحد على دينه
الاسلبه وقال أبو حنيفة أكثر ماسلب الناس الايمان عند الموت وقال ابليس لعنه الله
اذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها اذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه
ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال ما كانت الدنيا هم رجل قط الا لزم قلبه أربع
خصال فقر لايدرك غناه وهم لاينقضي مداه وشغل لاينفد أولاه وأمل لاينقطع منتهاه
وقال الاصمعي قيل لبعض الصالحين كيف حالك فقال حال من يفنى ببقائه ويسقم بسلامته
ويؤتى من مأمنه وقال بعض الحكماء ان كان شئ فوق الحياة فالصحة وان كان شئ فوق
الموت فالمرض وان كان شئ يعدل الحياة فالغناء وان كان شئ يعدل الموت فالفقر وكان
علي بن أبي عبد الله بن عباس يسمى السجاد لانه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة شعر

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي والطبيب عليل

وروى ان الله أوحى الى نبي من الانبياء هب لي من قلبك الخشوع ومن عينك الدموع ثم
ادعني أستجب لك فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان هذا وينبغي للفقير ان يتفقد
حاله ويواظب التبرك بالصالحين وسماع فوائدهم مع التحفظ عليه وعليهم جهده وشرح
هذا يطول فالله سبحانه وتعالى يرزقنا واياك حسن القبول انه ولي السول (قوله والفقر
شعار الاولياء) انما شبهه بالشعار لانه نعتهم الظاهر عليهما كما هم رضي الله تعالى عنهم
وهكذا جرت سنة الله في أحبابه لاجرم مات صلى الله عليه وسلم ولم يترك بيضاء ولا صفراء
وغيره من الانبياء والاولياء لم يكن غناهم الا بمولاهم وكانت دنياهم خادمة في جملة الخدم
وانما خدمتهم بخدمة الحق وفيما نقل يادنيا اخدمي من خدمني وأتعبي من خدمك ولابد
حينئذ في بداية الامر من التجرد اقتداء بالصحابة الاخيار مهاجرين وأنصار فالمهاجرون
قد أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا والانصار لما علموا انه
لابد من الخروج عن المألوف آثروا على أنفسهم ولم يلتفتوا الى مابهم من الخصاصة

وحلية الاصفياء واختيار الحق سبحانه لخواصه من الاتقياء والانبياء عليهم الصلاة والسلام والفقراء صفوة الله تعالى من عباده ومواضع أسراره بين خلقه

بهم يصون الحق تعالى الخلق وببركاتهم يبسط عليهم الرزق) أي يوسعه وينشره (والفقراء الصبر) بضم الصاد وتشديد الباء الصابرون (هم جلساء الله تعالى يوم القيامة) بان يكرمهم ويرفع درجتهم لانه تنزه عن ان يجلس أو يجالس لكن لما كان من المعهود فيما بيننا ان من جالس الملوك كان مكرما ٢٣٤ مرفوع الدرجة أطلقت المجالسة واريد بها ما قلناه (بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم) كما ذكره بقوله (اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال اخبرنا ابراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الفزارى قال أخبرنا عبد الله ابن محمد بن جعفر بن أحمد بن خنيش البغدادي قال حدثنا عثمان بن معبد قال حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر جلساء الله يوم القيامة) فى هذا وما تقدم دلالة على شرف الفقراء ومحبة الله لهم ومن أحب من أحبه الله كان شريكا له فى محبة الله له وبهذا الاعتبار كان حب المساكين مفتاح الجنة لانهم فيها وحبهم سبب لدخولها معهم وكان الفقراء جلساء الله يوم القيامة (وقيل ان رجلا أتى ابراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم) ليعطيه بها (فابى ان يقبلها منه وقال له تريد ان تمحو اسمى من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل) ذلك فيه دلالة على شدة حب الفقر عندهم وأنهم يعضون عليه بالنواجذ كيف لا وهو حال النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يختاره لنفسه ويدعو به لاهله ويصف بالفلاح من اتصف به فنى الخبر اللهم اجعل رزق آل محمد وبنى قوتا وروى كفافا وفيه ايضا قد افلح من اسلم وكان قوته كفافا وقنعه الله (وقال معاذ النسفى ما اهلك الله تعالى قوما وان عملوا ما عملوا

فصح ان كلا ما وصل الى مطلوبه الا بالخروج عن وصف الغنى فتأمل (قوله بهم يصون الحق تعالى الخ) أى ببركة وجودهم وانفاسهم ودعائهم يحفظ الحق تعالى الخلق عن الهلاك وعن الضياع * (فائدة) * أحسن أحوال العبد دوام افتقاره الى الله تعالى فى جميع أحواله وموافقة السنة وملازمتها فى جميع أقواله وأفعاله وطلب قوته من وجه حلال (قوله والفقراء الصبر) أى على كثرة الابتلاء والامتحان بتوفيق المتفضل المنان * (لطيفة) * اعلم ان الحق تعالى اذا أرسل رياح الابتلاء التى هى عنوان الولاء اطمأنت نفوس الاحباب وقلقت ونفرت قلوب من انسد عنها فهم اشارات الخطاب فانه اذا أحب عبدا ابتلاه فالغنى عاله وعوائده تقصفه عواصف هذه الرياح بدليل فان أصابه خير اطمأن به وان أصابته فتنة انقلب على وجهه والفقير الى الله هذه الرياح تربيه وتهذبه وتنمى ايمانه بدليل وما زادهم الا ايمانا وهذا جميعه مستعار من شجر الخريف والربيع لما كان شجر الخريف مستغنيا بكسوة الاوراق وعصفت عواصف الرياح فى تلك الآفاق جردتها عن كساويها ونزهتها عن بلاوى دعاويها ولما كانت أشجار الربيع مجردة بافتقارها قائمة على ساق اضطرارها نفحتها فلقحتها فكستها من بهى الازهار وسندس أوراق الاشجار وعقدت فى أفنانها من بطون أغصانها فنون الاثمار ولذلك الاشارة بقول من قال

ما القوم سوى قوم عرفوا * لذو غيرهم همج همج
شربوا بكؤس تفكرهم * من خمرهوا الغامر جوا
دخلوا فقراء الى الدنيا * وكما دخلوا فيها خرجوا

ثم أقول وكل هذا بالنسبة لبدء الامر وأما فى الغاية اذا تمكنت المحبة فى القلب فهنالك يستوى الحجر والذهب والجوهر والصدف هذا ابن عفان وابن عوف والزبير ومن فى معناهم رضى الله تعالى عنهم فضلهم لا يخفى وان كان غيرهم كالصديق والفاروق وعلى وأبى ذر وسلمان ونحوهم ممن مات قبل وبعد من التابعين لهم باحسان ماتوا على الفقر واختاروه على الغنى خوفا من أن تنقصهم الدنيا شيأ من حظهم فوفوا بصبرهم أجرهم بغير حساب هذا وعندى الفقر أفضل من الغنى لان الاول من مواطن الاحسان والثانى من مظان الامتحان والله اعلم (قوله اطلقت المجالسة واريد بها ما قلناه) اى لقصد التعريف على الوجه المألوف (قوله ومفتاح الجنة حب المساكين) أى السبب الموصل الى دخول الجنة مع السابقين حب المساكين على معنى رحمتهم والشفقة عليهم (قوله كيف لا وهو حال النبى صلى الله عليه وسلم) أى ومع هذا فلا يقال كان النبى فقيرا لما فيه من ايهام التنقيص (قوله اللهم اجعل رزق آل محمد الخ) أى وهم مؤمنو بنى هاشم

حتى أهانوا الفقراء واذلوهم) كما قالوا لنوح عليه السلام انؤمن لك واتبعك الارذلون وفى قصة صالح عليه السلام قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه الآية وما قاساه بلال وصهيب وعمار فى اوائل الاسلام معلوم (وقيل لولم يكن للفقير الى الله فضيلة غير ارادته وتمنيه سعة ارزاق المسلمين ورخص اسعارهم) للاشياء التى يحتاج الى شرائها (لكفاه ذلك) أى ما ذكر من ارادته وتمنيه (لانه يحتاج الى شرائها) بايسر الاثمان فيريد ذلك ويتمناه (والغنى يحتاج الى بيعها) وشتان بين من يتمنى الرخاء للمسلمين لفقره وان كان ذلك تبعا لحاجته وبين من يتمنى غلاء الاسعار لكثرة فائدته (هذا العوام الفقراء) وفى نسخة حال العوام من الفقراء (فكيف حال خواصهم) وهم الزهاد الذين ترقوا بايثارهم على انفسهم بما هم محتاجون اليه وبحسن معاملتهم وبكمال تنعمهم بالذكر والمناجاة لمولاهم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت ابابكر بن سمعان يقول سمعت ابابكر بن مسعود يقول سئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال حقيقته ان لا يستغنى العبد الا بالله تعالى) اى دون خلقه لان من افتقر اليهم لم يستغن بالله وقلت معرفته به ومن صحت معرفته به وأنه لا مالك لغيره حقيقة لم يفتقر لغيره (ورسمه) اى الفقر (عدم الاسباب كلها) لئلا يكون اعتماده عليها (وسمعته ايضا) يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت ابراهيم القصار يقول الفقر لباس يورث الرضا) بكل ما يجريه الحق عليه مما سبق به تقديره وقضاؤه (اذا تحقق العبد) اى تمكن (فيه) بخلافه قبل تمكنه فى قنع العبد بما رزقه الله من الدنيا وقل تشوفه لها تعود الرضا بما وقع ووافق طبعه واذا تعود الرضا بذلك وتمكن فيه انتقل منه الى الرضا بكل ما يرد عليه وان خالف طبعه (وقدم على الاستاذ ابى على الدقاق رحمه الله فقير فى سنة خمس او اربع وتسعين وثلثمائة من زوزن وعليه مسح) بكسر الميم اى لباس (وقلنسوة مسح) بالاضافة اى قلنسوة من مسح (فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة) والمداعبة معه ففهم منه انه سأل عن حاله الذى هو عليه لكون اللباس الصحيح هو لباس التقوى كما قال تعالى ولباس التقوى ذلك خير

وبنى المطلب فى باب الزكاة وكل مؤمن تقى فى باب الدعاء وقيل كل مؤمن ولو عاصيا وهو أولى وكل تقى فى مقام الثناء غير ان المراد هنا الاول (قوله حتى أهانوا الفقراء الخ) أى فصح هلاكهم انما كان بسبب اهانتهم الفقراء واذلالهم اياهم (قوله وقيل لولم يكن للفقير الخ) شروع فيما يفضل به الفقير الغنى فاعرفه (قوله والغنى يحتاج الى بيعها) أى فهو متعلق باذيال الهوى والشيطان ومقتد باهل الخذلان والحرمان فمن تعلق باذيال الملعون الشقى متى يسعد والمقتدى بالضال متى يرشد الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة والخميلة ان أعطى رضى وان لم يعط لم يرض الم أعهد اليكم يا بنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان الآية افتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا كتب عليه انه من تولاه فانه يضله الآية فتدبر وتفهم عسى ان ترجع عما تظن وتعلم (قوله الذين ترقوا بايثارهم الخ) أى فهم مندرجون فيمن أثنى عليهم الحق تعالى فى محكم التنزيل حيث قال ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (قوله فقال حقيقته ان لا يستغنى الخ) يريد انه لا تتم للعبد فائدة التجرد الا اذا غفل عن ذلك التجرد بشهود المنعم به وبغيره والا فانت عبد لما تطلعت اليه واعتمدت فى سيرك عليه ولله در الصفدى حيث قال شعرا

ان تم شئ من الدارين فيك فلا * تطمع بتشاهد شيأ من مناجات
لمن تميل فعبد أنت زل أربا * غير المكون خلاق الوجودات

قال صاحب الحكم العطائية ما أحببت شيأ الا كنت له عبدا وهو لا يحب ان تكون عبدا لغيره فهب كلك لمن أنت له حتى لا يبقى لك منك شئ فافهم (قوله ان لا يستغنى العبد الا بالله تعالى) أى استغراقا فى الله وفراغا عما سواه (قوله ورسمه) أى تعريفه بالرسم ان يقال هو عدم الاسباب الخ أى عدمها اعتقادا واستنادا (قوله لباس يورث الرضا) اى نعت ينشأ عنه الرضا بكل ما يجريه الحق تعالى من تصاريف احكامه فمن ادعت نفسه هذا النعت الشريف فليمتحنها عند الابتلاء بما لم يلائمها من الاحكام فان وجدها صابرة راضية فذاك والا فليقم عليها حتى ترضى (قوله وقل تشوفه لها) اى اعراضا عما يفنى

(فقال) له (اشتريته بالدنيا) أي باعراضي عنها (فطلب مني) بيعه (بالآخرة) وأسكن اليها (فلم ابعه بها) لان حالي هذا هو شغلي
بالله لا بغيره وسكوني اليه لا الى غيره فلو مات الى حظ آخر لكنت بعت حظا بحظ وكل منهما حادث وحظي الذي انا مشغول به هو
الذي لم يزل ولا يتغير وهذا فقر العارفين ومن عداهم من الفقراء قد يتمسك بالفقر ليكون من السابقين الى الجنة كما صحت به
الاخبار وان الكل في الجنة وانما اختلفوا في البواعث على الاعمال ففرق بين من عمل لوجهه وقربه ومن عمل لثوابه في جنته
وان كان لا بد من الثواب (سمعت الاستاذ ٢٣٦ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول قام فقير في مجلس يطلب شيأ) من الدنيا (وقال)
على رؤس الاشهاد (اني جائع منذ
ثلاث) من الايام (وكان هنالك
بعض المشايخ فصاح عليه وقال)
له تأديبا (كذبت) في قولك (ان
الفقر) لكونه درجة عالية (سر)
من أسراره تعالى (وهو لا يضع
سره) الا عند من افتقر اليه لا الى
غيره فلا يضعه (عند من يحمله الى
من يريد) من الارادة وقرأه بعضهم
يزيد من الزيادة قال اي من يزيد
في النداء بما ناديت به (سمعت
محمد بن الحسين رحمه الله يقول
سمعت محمد الفراء يقول سمعت
زكريا النخشبي يقول سمعت
حمدون القصار يقول اذا اجتمع
ابليس وجنوده لم يفرحوا بشيء
كفرحهم بثلاثة اشياء رجل مؤمن
قتل مؤمنا ورجل يموت على
الكفر وقلب فيه خوف الفقر)
الى الله تعالى فقرن خوف الفقر
بكبيرتين قتل المؤمن والموت على
الكفر لان العبد اذا خاف الفقر
اكتسب المال المحرم غالبا وربما
قتل عليه من يجده معه وربما كفر
لنيله اذا احتاج اليه فخوف الفقر آفة عظيمة وهذا الفقر الذي اختاره النبي صلى الله عليه وسلم وسأل فيه لنفسه وآله صورة
واما الذي استعاذ منه فهو الفقر لغير الله وهو المنسي للاشتغال بالله وسيأتي ايضاحه (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبد الله بن عطاء
يقول سمعت ابا جعفر الفرغاني يقول سمعت الجنيد يقول يا معشر الفقراء انكم تعرفون بالله وتكرمون لله) فانتم من اهل الله
(فانظروا كيف تكونون مع الله اذا خلوتم به) حرضهم بذلك على القيام في خلواتهم بحقوق الله الذي اكرموا لاجله ومن ذلك
كمال الادب معه والجد في تحصيل ما يرضيه وتبريهم من القدرة على شيء من طاعاتهم (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله

للشغل بما يبقى ولذلك الاشارة بقول صاحب الحكم ان اردت ان يكون لك عز لا يفنى
فلا تستعزن بعز يفنى قلت وكل عز دنيوي فان لانه انما يكون باسبابها وهي فانية كذلك
قال في التنوير فان اعتززت بالله دام عزك وان اعتززت بغير الله فلا بقاء لعزك اذ لا بقاء
لما انت به متعزز فتدبر (قوله فقال اشتريته بالدنيا) اي فهو لما علم من غرتها في الباطن
لم يلتفت الى زخرفتها في الظاهر فمن نظر الى الدنيا سرته فان اشتغل بها صرفته فان اطمأن
اليها صرعته وان اعرض عنها فاتته ومن نظر الى باطنها غمته فالكيس ينبسط بادبارها
اكثر من اقبالها ويحترز في اقبالها اشد من ادبارها اليست بدار فناء وزوال ومحل نقص
وارتحال غير ان العبد مبتلى بنفسه معلق باسباب معاشه ورياشه فوجب ان يتناول على
قدر حاجته والنظر الى ما وراء ذلك فهو من خبث النفس (قوله فقال اشتريته بالدنيا)
لعله صدر هذا منه لغرض صحيح كالتحدث بنعمة الله او لتربية المريدين ممن تبعه وحينئذ
فلا يقال ان فيه افشاء السر او التحدث بما لم ينل وكل منهما ممنوع منه (قوله ومن عمل
لثوابه الخ) اي فانه يصير للثواب محبا متعلق القلب به وكل من تعلق قلبه بشيء كان عبد
ذلك الشيء (قوله وان كان لا بد من الثواب) اي لكل عامل غير ان الفرق القصد وعدمه
(قوله قام فقير في مجلس يطلب شيأ الخ) أي ومن ذلك ما يحكى انه دخل رجل من العارفين
على انسان وهو يبكي فقال له ما شأنك قال مات استاذي فقال ذلك العارف ولم جعلت من
يموت استاذك ويقال لك اذا اعتززت بغير الله فقدته او استندت الى غيره عدمته وانظر
الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم نسفا انما الهكم الله الذي لا اله
الا هو وسع كل شيء علما (قوله تأديبا الخ) اشار بقوله تأديبا الى ان لا ايذاء بقصد
التأديب جائز وهو كذلك (قوله الا عند من افتقر اليه) اي وهو لا يفعل ذلك كما فعلت
انت (قوله كفرحهم بثلاثة اشياء) اي وذلك لعظم اثمها وجرمها (قوله لان العبد اذا
خاف الفقر الخ) اي مع ما فيه من الشك فيما ضمن له الحق تعالى (قوله وهذا الفقر الذي
الخ) الاشارة راجعة الى الفقر الى الله تعالى ولكن لا يخفى ما في السياق من الايهام
(قوله حرضهم بذلك على القيام الخ) اي ليوافق باطنهم ما ظهر من حالهم ليتخلصوا من

يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار الى الله اهو اتم ام الاستغناء بالله تعالى فقال اذا صح الافتقار الى الله فقد صح الاستغناء بالله واذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به فلا يقال ايهما اتم الافتقار ام الغنى لانهما حالتان لا تتم احداهما الا بالاخرى) فمن كمل افتقاره الى الله كمل استغناؤه عن غير الله بل كمل استغناؤه بالله (وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت جعفرا ٢٣٧ يقول سمعت رويما يقول وقد سئل عن نعت) الفقير فقال (هو ارسال النفس فى احكام الله) فمن كان افتقاره الى الله فى كل ما يجريه عليه حتى كملت معرفته بلطفه به وتفضله عليه ارسل نفسه تحت الاحكام فى الرضا بجميع ما يجريه عليه لعلمه بحسن اختياره له وقل منه الاختيار والاهتمام (وقيل نعت الفقير ثلاثة أشياء حفظ سره) فيما بينه وبين مولاه (واداء فرضه) الذى هو أساس تقواه (وصيانة فقره) عن غير الله اظهارا لكمال استغنائه بمولاه (وقيل لابى سعيد الخراز لم تؤخر عن الفقراء رفق الاغنياء فقال لثلاث خصال لان ما فى ايديهم غير طيب) والفقراء الخواص انما افتقروا من الدنيا اختيارا لا اضطرارا فلا يطعمهم الله اوساخ الاغنياء بل يطعمهم تارة بايثار بعضهم لبعض وتارة بكسبهم من وجه صاف وتارة بخرق العادة لهم (ولانهم) أى الاغنياء (غير موفقين) غالبا اذ لو وفقوا لبذلوا اموالهم لمن يستعين بها على التفرغ للطاعات (ولان الفقراء مرادون بالبلاء) أى بالفقر كغيره لان الحق تعالى اختاره لهم فلم يحرك قلوب الاغنياء للاتيان بالاموال اليهم (وقيل أوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذا رأيت الفقراء فسائلهم) اى حدثهم (كما تسائل الاغنياء وان لم تفعل) ذلك (فاجعل كل شىء علمتك تحت التراب) هذا ارشاد الى نفى الكبر والعظمة على الفقراء وان تحادثهم كما تحادث الاغنياء خلافا لما عليه غالب الناس والغرض من ايحاء الله تعالى ذلك الى موسى عليه السلام ان يعلمه لبنى اسرائيل والا فالانبياء معصومون من الكبر فاجرى الله ذلك مجرى التعليم للامة

صورة المنافقين (قوله فقال اذا صح الافتقار الى الله الخ) اى وذلك لان معنى التصوف التجرد عن العلل وكذلك معنى الفقر على ما يجرى به البيان فى المقال ولكن القوم قد فرقوا بينهما لانفراد كل منهما باوصاف تخصه وعليه الفقر اتم من التصوف لان التصوف يشير الى بقية وان خفيت والفقر التجرد بالكلية على الوجه الذى قد تحقق وذلك كما قيل

الوانها شتى الفنون وانما * تسقى بماء واحد من منهل

(قوله فقال اذا صح الافتقار الخ) اى ففى الحقيقة الفقير الصابر هو الغنى الشاكر وبالعكس اذ الفقر لازم للغنى وضده ملازم للضد فان الفقر المعتبر ليس هو الفقر من العرض كما ان الغنى ليس بالعرض الكثير قال صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض الحديث فالفقر هو التبرى من الحول والقوة ونسبة شئ من الاشياء الى النفس والغنى هو الغنى بالله تعالى فى جميع الشؤن والاحوال والحاصل ان الافتقار الى الله والاستغناء بالله متلازمان (قوله هو ارسال النفس الخ) أى ولهذا قيل الفقر فى ظاهر الطريقة غيره فى باطن الحقيقة فالظاهر فقر الزهاد من الاعراض الدنيوية والباطن فقر الافراد من الاغراض الاخروية شغلا بالله عن كل ما سواه يعلم ذلك من شهده ورآه (قوله هو ارسال النفس الخ) أى واذا قيل من اتصف بحقيقة الافتقار هو الفقير عن ارادة منه واختيار لا عن ضرورة ردته لمركز الاضطرار ومحصل ذلك ان الفقير هو من تحقق بالغنى عن كامل مراداته فى مرادات الحق تعالى فهو دائما يرضى بكل ما يجريه عليه من تصاريف أحكامه (قوله ثلاثة أشياء حفظ سره الخ) أقول قد جمع فاوعى نفعنا الله ببركات علومه (قوله لان ما فى أيديهم غير طيب) أى ويؤيد ذلك ما قيل انه تفاخر الغنى مع الفقر فقال أنا وصف الرب الكبير فمن أين أنت أيها الحقير فقال الفقر لولا وصفى ما تميز وصفك ولولا تواضعى ما رفع قدرك فانا وصفى وسم بذل العبودية وأنت وصفك نازع الربوبية ومن نازع قصم ومن سلم سلم (قوله فلا يطعمهم الله الخ) أى لا يطعمهم ذلك ليدوم لهم اشراق الانوار وشدة قوة الاستبصار (قوله ولانهم أى الاغنياء غير موفقين) أى بدليل ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى والحكم للغالب كما نبه عليه الشارح (قوله ولان الفقراء مرادون بالبلاء) أى الابتلاء المطلق فقرا أو غيره بشاهد خبر أشدكم بلاء الحديث (قوله فاجعل كل شئ الخ) أى لان ثمرة العلم

كما قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية ولم يطردهم ورد بما قال له اغنياء قريش وعظماؤهم ابعد عنا هؤلاء الفقراء فانا نتأذى بروائحهم كبلال وعمار وصهيب اجعل لنا يوما ولهم يوما فهم بذلك فانزل الله تعالى ذلك ردا عليهم وأمره انهم اذا اتوه ٢٣٨ فليسلم عليهم فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم فكان صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا أتوه مرحبا بمن عاتبني فيهم ربي ويدنيهم اليه (وروى عن أبي الدرداء رضي الله عنه انه قال لان أقع من فوق قصر فانحطم احب الي من مجالسة الغني لاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اياكم ومجالسة الموتى قيل يارسول الله ومن الموتى قال الاغنياء) ولان مجالستهم لا يسمع فيها غالبا الا مدح الدنيا وكثرة فوائدها والتمكن من الجاه والمال فيها وسائر الاعراض والنفس مائلة الى كل لذيذ فينغرس في القلب محبتها والمراد انهم موتى القلوب بمحبة الدنيا حتى اشتغلت عن اعمال الآخرة كما قال تعالى أموات غير احياء وما يشعرون ايان يبعثون وقال أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس الآية (وقيل للربيع ابن خيثم قد غلا السعر) فنخشى الجوع (فقال نحن أهون على الله من ان يجيعنا) فانه (انما يجيع أولياءه) فيه دلالة على انه عرف حقارة الدنيا وانها لا قدر لها عند الله وقد زواها عن انبيائه وأوليائه (وقال ابراهيم بن ادهم طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى) لان من زهد في الدنيا وتفرغ للطاعات اكتفى منها باقل القليل وهو القدر المحتاج اليه منها في الحقيقة لان المحتاج بما اليه منها ما كان عونا على اعمال الآخرة

العمل فاذا لم يتحقق فلا فائدة في العلم حينئذ بل الضرر فيه محقق والعياذ بالله تعالى (قوله فهم بذلك) أي تألفا للاغنياء عسى انهم ينقادون له صلى الله عليه وسلم (قوله واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالايمان بآيات الله تعالى كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالاخلاص تنبيها على احرازهم لفضيلتي العلم والعمل وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الاول لان مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الايمان كما ان مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة وقوله تعالى فقل سلام عليكم أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد انذار مقابليهم وقيل بتبليغ سلامه تعالى اليهم وقيل بأن يبدأهم بالسلام وقوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضاها واوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والاحسان بالذات لا بتوسط شئ ما أصلا اثر تبشيرهم بالسلامة من المكاره وقبول التوبة منهم وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الاضافة الى ضميرهم اظهار اللطف بهم والاشعار بعلة الحكم وقيل ان قوما جاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انا اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد عليهم شيأ فانصرفوا فنزلت (قوله لان اقع الخ) سببه ان الوقوع انما يخشى منه الضرر الدنيوي بخلاف مجالسة الاغنياء فان الضرر الذي يخشى منه ديني لان الغنى غالبا يوقع في الكبر ويخيل لمن قام به غير حقيقة الامر وذلك وصف الاعداء المبعدين والفقر سمة الاحباب وحلية العبد الاواب من لبس اسماله كان ذلك اسمى له في وجوه أهل القبول ولهم منه تعالى اجابة السول شعر

خليلي قطاع الفيافي الى العلا * كثير وان الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة * وليس على كل الوجوه قبول

(قوله اياكم ومجالسة الموتى) انما جعلوا من قبيل الموتى لعدم الفائدة في كل بل الضرر من مثلهم أقرب شئ (قوله فينغرس في القلب الخ) أي وذلك رأس كل خطيئة (قوله والمراد انهم موتى القلوب) أي بسبب عموم الغفلة التي هي كنعت الموت بل أضر (قوله وقيل للربيع الخ) فيه دلالة على انه العارف بالله الغني به عمن سواه فبالفقيه الاسم دون المسمى الغلط أوجب تشابك الاسما لو عرفت معنى الفقه والفقيه كنت الحاذق النبيه الفقيه من فقه عن مولاه وفني به عمن سواه فان كنت بهذا الوصف كنت الفقير صدقا والفقيه عند الله حقا (قوله اهون على الله الخ) أي وذلك لان الابتلاء بنحو الجوع من نعت الاحباب والمقربين (قوله فاستقبلنا الغنى) أي من طريق قناعة النفس والرضا

(وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر) لان العبد كلما نال من الدنيا شيأ ورأى رفعة درجته به فيها على غيره طلب الازدياد منها فصار بذلك فقير النفس الى الازدياد من المال والجاه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت احمد بن على يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قيل ليحيى بن معاذ ما الفقر) أى المذموم (قال) هو (خوف الفقر) أى محبة الغنى لان محبته تورث فقر النفس فكلما خاف العبد ان يفتقر جد فى تحصيل الدنيا (قيل) له (فما الغنى) أى الممدوح (قال) هو (الامن بالله تعالى) أى محبة الفقر والقناعة لان محبتهما تورث الامن والسكون الى وعد الله بقوله ٢٣٩ وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ورزق العبد وهو ما ينتفع به من طعام وقوة وصبر وغيرها مضمون لا بد له ان يأتيه ما دام حيا (وسمعته أيضا) يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الجريرى يقول سمعت ابن الكرينى يقول ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذرا) من (ان يدخله الغنى فيفسد عليه فقره) لان فقره صار قرة عينه واستغنى به عن غيره فكلما توهم أمرا يشوش عليه فقره اعرض عنه (كما ان الغنى يحترز من الفقر حذرا من ان يدخل عليه) الفقر (فيفسد غناه عليه) لان غناه صار قرة عينه فكلما توهم أمرا يشوش عليه غناه هرب منه وربما لو أتاه فقير يطلب منه شيأ قطب وجهه عليه ولذلك قيل فى مدح الفقراء الصادقين اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة وان ايسروا عادوا سريعا الى الفقر (وسئل أبو حفص بماذا يقدم الفقير على ربه عز وجل فقال وما للفقير) شئ يحسن (ان يقدم به على ربه تعالى سوى فقره) فالفقر محبوب لان العبد انما يقدم على ربه بأحب الاعمال اليه واشرفها عنده فهو أحسن ما يقدم العبد به على ربه كيف لا وهو قد استغنى بالله عن غيره (وقيل أوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام أتريد ان يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق اجمع قال نعم قال عد المريض) بضم العين (وكن لثياب الفقراء فاليا) من القمل ونحوه (فجعل موسى عليه السلام على نفسه فى كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلى ثيابهم ويعود المرضى) فى ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء على الله وشرف منزلتهم عنده وكمال رحمته بهم حيث أمر انبياءه وأحبابه بان يكرموهم

بما يسد الرمق ويعين على الطاعة (قوله فاستقبلهم الفقر) أى فقر القلب وهو أشد أنواع الفقر لان الانسان يصير مع هذا الخلق لو اعطى الدنيا بحذافيرها ما زاده ذلك الا نهامة وتهافتا وحرصا على تحصيل زائد عما حصل له (قوله لان العبد الخ) أى ويشهد له خبر منهومان لا يشبعان أبدا طالب علم وطالب دنيا (قوله قال هو خوف الفقر) أى لما يترتب عليه من الشك فى الرزق والتهافت على تحصيل الدنيا ولو بدون وجه حل وغير ذلك من المفاسد الدينية (قوله قال هو الامن) اى طمأنينة القلب بوعد الحق والقناعة بالمقدر من الرزق (قوله بقوله وما من دابة فى الارض) أى وبقوله وكاين من دابة لا تحمل رزقها الآية (قوله لا بد له ان يأتيه الخ) أى بدلالة قوله صلى الله عليه وسلم لو يفر المرء من رزقه كما يفر من الموت لادركه رزقه كما يدركه الموت (قوله يقول ان الفقير الصادق الخ) أقول قد التبس الفقر على غير النبيه فقال ان الفقير غير الفقيه وما علم ان الهاء هى الراء شعر

ان الفقير هو الفقيه وانما * راء الفقير تجمعت اطرافها

والحاصل ان الفقير الفقيه من حط حمل الرحال على اعتاب الرجال حتى ارضعته طرى لبن الصدور واغنته عن قديد ميت السطور فانتصح يا فقيه القال واسمع يا فقير الحال وافن بالله عن الرسوم واخرج به عن كل معلوم (قوله حذرا الخ) أى ولذا قيل من ادعى الغنى وقع فى العنا بخلاف من اظهر الفقر فانه قد خلص من الامر (قوله فيفسد عليه فقره) اى يفسد عليه رضاه به وربما اطغاه الغنى كما قال تعالى ان الانسان ليطغى الآية (قوله اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة) اى تمسكوا به محبة له وبخلا بمفارقته اياهم لما يترتب عليه من الثمرات الدنيوية والاخروية بخلاف مقابله وهو الغنى المترتب عليه غالبا المفاسد وقوله وان ايسروا عادوا سريعا الى الفقر أى ان رزقوا اليسار من طريق الحل أكثروا البذل والاعطاء حتى يعودوا الى الفقر سريعا الذى هو مرغوب قلوبهم رضى الله تعالى عنهم (قوله فقال وما للفقير شئ الخ) أقول فاسمع يا فقيه النقل ويا معقول العقل فقد ستر عنك نور الكشف حجاب آيتك العقلية والذوق قد غير طعمه عندك مرارة العلوم النقلية فالله سبحانه يوفقنا للصواب ويرزقنا حسن المآب بجاه حبيب الاحباب صلى الله عليه وسلم (قوله فى ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء الخ) أى ولذلك قيل من استكبر

(وقال سهل بن عبد الله خمسة اشياء من جوهر النفس) من كانت نفسه شريفة اجتمع فيها الخمسة او بعضها بحسب شرفية نفسه ونزاهتها وهى (فقير يظهر الغنى) لان ذلك يدل على تنزهه عن الخلق وقوة صبره وزهده وتوكله الى ان يأتيه الفتح من ربه (وجائع يظهر الشبع) لان ذلك يدل على اختيار الجوع لصوم او كسر شهوة أو رقة قلب (ومحزون يظهر الفرح) لان ذلك يدل على كمال صبره ورضاه بما اجراه عليه ربه (ورجل بينه وبين رجل عداوة فيظهر له المحبة) بان يداريه فان لقيه بش فى وجهه وان اتاه اكرمه بدنيا ليندفع عنه ما يخشى وقوعه مما هو فوق العداوة ويزول ما فى نفس عدوه من الشر ولذلك قال على بن أبي طالب رضى الله عنه

انى احيى عدوى عند رؤيته
لادفع الشر عنى بالتحيات
واظهر البشر للانسان ابغضه
كأنه قد ملا قلبى مسرات
ولست أسلم ممن لست اعرفه
فكيف اسلم من أهل المودات

(ورجل يصوم) بـ(النهار ويقوم) بـ(الليل ولا يظهر ضعفا) لان ذلك يدل على القوة وستر الاعمال والسلامة من الشهرة بين الناس الحاصلة باظهار الضعف باخلال بدن ونعاس ونحوهما مما يدل على القيام والصوم (وقال بشر بن الحرث أفضل المقامات اعتقاد) أى عقد (الصبر على) دوام (الفقر) اى الافتقار الى الله تعالى والاعراض عن المال والعمل والحال مستمر على ذلك (الى القبر) يعنى الموت (وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى (علامة سخط الله تعالى على العبد خوفه من الفقر) عما ضمنه الله له لانه بذلك شاك فى الضمان فهو عاص (وقال الشبلى ادنى علامات الفقر) أى الافتقار الى الله (أن لو كانت الدنيا باسرها لاحد فانفقها فى يوم) واحد (ثم خطر بباله) أى بقلبه (ان لو امسك منها قوت يوم) كان خيرا له (ما صدق فى فقره) لان العبد اذا كان فقيرا الى الله وحده لم يكن غنيا بغيره

مجنوا

بوصف الغنى على الفقير فقد استوجب حكم العكس من القدير شعر

المثريت الفقير يرجى له الغنى * ويت الغنى يخشى عليه من الفقر

فمن افتخر على الفقراء بمال خزانته أو تباهى عليهم بجمال تجارته اذله الله وانكسر وعاد قبيحا وافتقر

لا تفخرن بما أوتيت من نعم * على سواك وخف من كسر جبار
فانت فى الاصل بالفخار مشتبه * ما اسرع الكسر فى الدنيا الفخار

(قوله خمسة اشياء من جوهر النفس) أى من امارات جوهريتها وخلوصها من صدفة الجهالات وظلمة الرعونات (قوله فقير يظهر الغنى) أى عملا بقوله جل شأنه يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف (قوله بان يداريه) اى والمداراة ترك بعض الدنيا أو كلها لاصلاح الدين وهى مندوبة ومن أمارات كمال الانسانية وزيادة العقل مع انها قد تكون سببا لتغيير العداوة محبة بحسن المعاملة على ان العداوة قد تطرأ على بعض الاصدقاء وترك الصديق وهجره ليس بالهين قال الشاعر

استصف خلك واستخلصه أهون من * تبديل خل فكيف الامن بالبدل
فاعجز الناس حرصا من يده * صديق ود ولم يرده بالحيل

(قوله انى احيى عدوى) من التحية عند رؤيته أى عند لقائه ومقابلته لادفع الشر عنى بالتحيات علة لقوله احيى بل قد يكون هذا سببا فى تغيير العداوة الى المحبة بسبب تكرر حسن الملاقاة وقوله واظهر البشر الخ اى عملا بخبر انا لنبش فى وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم وقوله ولست اسلم الخ اى ولذا قيل شعرا

احذر عدوك مرة * واحذر صديقك ألف مره
فلربما انقلب الصديق فكان اعلم بالمضره

(قوله لان ذلك يدل على القوة) أى بسبب صدق المعاملة وقوة الاخلاص فى العبادة (قوله أفضل المقامات اعتقاد الخ) أى ولهذا قيل جواهر معانى الزمان أفضل من ان تضيعها فى الهذيان فيا لله العجب فمن عمره ذهب فى جمع الذهب وهو بما جمع فقير ليس له فى القيامة نصير شعر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

(قوله والحال مستمر الخ) أى لتتم ثمرته وتتحقق فائدته (قوله لانه بذلك شاك الخ) أى كالشاك نفسه والا كان كافرا والعياذ بالله تعالى لو شك بالفعل (قوله ادنى علامات الفقر الخ) أى ولهذا اشار ابن أبى الوفاء قدس سره حيث قال

فمن زعم انه ليس له حاجة لغير الله ثم حبس شيأ لنفسه وان كان يسيرا بعد ان انفق الاكثر فهو فقير الى ما حبسه ثم اذا دعاه الشرع الى حبسه لامر اقتضاه فلا بأس به (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول تكلم الناس فى الفقر والغنى أيهما افضل) عند الله للعبد حتى يكتسبه ويتخلق به فالقائل بالاول نظر الى انه بذلك يتفرغ قلبه للعبادة من المشغلات وينال لذة المناجاة والقائل بالثانى نظر الى انه يفعل بالمال الخيرات وينال به المنافع المتعديات (وعندى) قول ثالث وهو (أن الافضل ان يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه) أى فيما اعطيه وهى حالة متوسطة بين الفقر والغنى وخير الامور اوسطها وهى الحالة التى اختارها النبى صلى الله عليه وسلم لنفسه وسألها بقوله اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وروى كفافا وهذه حالة سليمة ٢٤١ من آفات الغنى المطغى وآفات الفقر المدقع اللذين كانا يتعوذ منهما صلى الله عليه وسلم فالفقير الصابر بهذا المعنى افضل من الغنى الشاكر وهو المختار تبعا لابن الصلاح وغيره واحتجوا بخبر دخول الفقراء الجنة قبل الاغنيا بخمسمائة عام (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت اباعبد الله الرازى يقول سمعت ابامحمد بن ياسين يقول سمعت ابن الجلاء يقول وقد سألته عن الفقير فسكت حتى خلا) عن الناس (ثم ذهب) الى محله (ورجع عن قريب ثم قال كان عندى اربعة دوانيق) جمع دانق بكسر النون وفتحها وهو سدس درهم (فاستحييت من الله عزوجل أن اتكلم فى الفقر) وانا غير متصف به ظاهرا (فذهبت واخرجته) اى ما عندى وفى نسخة واخرجتها اى الدوانيق (ثم قعد وتكلم فى الفقر) بما يليق به وسمعته ايضا يقول

بحنوا مسك الجمال * برحيق اللطف صرفا
وابتنوا للحب منه * كعبة سمراء هيفا
بنية حجت اليها * اشرف الارواح زلفى
قد رأينا الحب فيها * يتجلى ليس يخفى
ما أتاها غير عبد * بعهود الحب وفى
محرم الذات خليعا * قد تعرى وتخفى
قال لى المحبوب فيها * لا تبح بالسر تجفى
كيف أخفى وحبيبى * يعلم السر واخفى

فقوله قدس الله سره خليعا قد تعرى وتخفى قد اشار به الى المعانى المذكورة فى تثليث الطهارة المأثورة وهى التجرد عن المال دنيا واخرى ثم عن النفس ثم التجرد عن هذا التجرد والله أعلم (قوله فمن زعم الخ) أى ويدل له خبر المكاتب قن مابقى عليه درهم (قوله تكلم الناس الخ) محصل ذلك يرجع الى الخلاف فى الفقير الصابر والغنى الشاكر أيهما افضل فعند الفقهاء الاول وعند الصوفية الثانى والقلب اليه اميل اذ هو الاسلم والاكمل (قوله وعندى قول ثالث) أقول وهو الاكمل حيث هو اختيار سيد الكاملين من الانبياء والمرسلين عليه وعليهم صلاة رب العالمين هذا وقال بعضهم الحق ان الغنى بالعرض للبشرية لا يخرجها عن الافتقار الذى هو من صفاتها الذاتية وأقول خاصية مغناطيس فقر الذات هى الجاذبة للعطايا والهبات فمن كان وصف افتقاره اكثر كان نصيبه اجزل واكبر تدبر تفهم وربنا بالحال اعلم (قوله وهو المختار الخ) أقول وقد اختار غيره ان الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر وهو وجيه وعند التحقيق كل منهما لازم للآخر (قوله سمعت ابن الجلاء الخ) تقدمت هذه الحكاية واعيدت لمناسبة المقام والله أعلم (قوله فقال اذا لم يبق الخ) محصله التبرى من شهود الفقر (قوله فقال اذا كان الفقر له) اقول هذا يدل على ان

سمعت عبدالله بن محمد الدمشقى يقول سمعت ابراهيم بن المولد يقول سألت ابن الجلاء متى يستحق الفقير اسم الفقر) اى يسمى فقيرا (فقال اذا لم يبق عليه بقية منه فقلت كيف ذلك فقال اذا كان الفقر (له) بان ادعاه له والتفت اليه (فليس) هو (له) فلم يكمل فقره لان دعواه الفقر التفات منه لنفسه (واذا لم يكن له) بان لم يدعه لنفسه (فهو له) فقد كمل فقره وحاصله ان الفقير الكامل هو المستغنى بالله عن غيره حتى عن نفسه فمن كان عنده بقية التفات كان التفت لنفسه فضلا عن غيرها فى شئ لم يكمل فقره وهذه هى البقية التى بقيت عليه فى فقره فمن التفت لفقره فى مقاماته العالية لم يكمل فقره ومن رأى فقره فضلا من ربه وتبرأ من اضافته الى نفسه فقد كمل مقامه وتمكن فيه

(وقيل صحة الفقر ان لا يستغنى الفقير فى فقره بشئ الا بمن اليه فقره) وهو الله لان الفقر الصحيح هو الافتقار الى من يملك قضاء الحوائج ولا يملكها حقيقة الا الله فالفقير الى الله هو الغنى بالله بان يستغنى به عن غيره وهذا القول قريب من الذى قبله (وقال عبد الله بن المبارك اظهار الغنى فى الفقر احسن من الفقر) لان الفقر درجة رفيعة فسترها باظهار الغنى احسن منها كما قال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف الآية (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى) بن باكويه (يقول سمعت هلال بن محمد يقول سمعت النقاش يقول سمعت بنان) الاولى بنانا (المصرى يقول كنت بمكة قاعدا وشاب بين يدى فجاءه انسان وحمل اليه كيسا فيه دراهم ووضعه بين يديه) ليأخذه (فقال) له (لا حاجة لى فيه فقال فرقه على المساكين) فأخذه وفرقه عليهم (فلما كان العشاء رأيته فى الوادى يطلب شيأ لنفسه فقلت لو تركت

لنفسك شيأ مما كان معك) كان خيرا لك (فقال لهم اعلم انى أعيش الى هذا الوقت) فى ذلك دلالة على فقره وزهده وقصر أمله (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت على بن بندار الصيرفى يقول سمعت محفوظا يقول سمعت أبا حفص يقول احسن ما يتوسل) وفى نسخة يتوصل (به العبد الى مولاه دوام الفقر اليه على جميع الاحوال وملازمة السنة فى جميع الافعال وطلب القوت من وجه حلال) المشار اليه بخبر قد أفلح من اسلم وكان قوته حلالا وقنعه الله (وسمعته أيضا يقول سمعت الحسين بن احمد يقول سمعت المرتعش يقول ينبغى للفقير ان لا تسبق همته خطوته) أى حالته التى هو فيها بان لا يعلق قلبه من الدنيا بغير ما هو محتاج اليه فى الوقت (وسمعته أيضا يقول سمعت أبا الفرج الورثانى يقول سمعت فاطمة أخت أبى على الروذبارى تقول سمعت أبا على الروذبارى يقول كان اربعة فى زمانهم) متفاوتى المتوسعين الدرجة بالنظر الى الاخذ من الغير وعدمه بغير سؤال (واحد) منهم (كان لا يقبل من الاخوان ولا من السلطان) طلبا لكمال سلامته من غرر الاخذ فى الدين والدنيا (وهو يوسف بن اسباط ورث سبعين ألف درهم ولم يأخذ منها شيأ) تورعا (وكان يعمل الخوص بيده) ليأكل من كسبه (وآخر) وهو الثانى (كان يقبل من الاخوان والسلطان جميعا) عملا بقول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنهما أتاك من غير مسئلة فخذه (وهو أبو اسحق الفزارى

كمال حال الفقير فى تبريه من كل شئ حتى من اعماله وأحواله فمتى ادعى انه حصل له مقام الفقر فقد بقيت عليه من نفسه بقية واذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا فقد كمل فقره وانقطاعه الى الله تعالى فهو حينئذ الفقير الكامل (قوله وقيل صحة الفقر الخ) أى فذلك هو السر المعمى الذى اسره سيد الخلق صلى الله عليه وسلم للانصار حين عتب عليه بعضهم حيث قال سبحان الله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى قريشا وسيوفنا تقطر من دمائهم فجمعهم فى قبة من أدم وقال فى حديث طويل اما ترضون ان يرجعوا الى رحالهم بالدرهم والدينار وترجعون أنتم برسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنه قال لا ارضى لكم فى جهادكم وبذل أنفسكم واموالكم بين يدى ان تثابوا بغيرى فحسبكم من الفضة والعين رجوعكم بالرأس والعين فافهم فهمنى الله واياك ونفعنا بذلك وسائر الاحبة فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله الحديث (قوله الا بمن اليه فقره) اى لينسدرج فى آية يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله (قوله احسن منها) اى من صفة الفقر مجردة عن اظهار الغنى اذ هى به مظنة للزيادة (قوله فى ذلك دلالة على فقره) اى حاجته وزهده اى اعراضه عن الدنيا وقصر امله اى وهو جماع الخير له (قوله على جميع الاحوال) اى وجودا وعدما فى كامل الاوقات وقوله وملازمة السنة اى وهى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من الاخلاق وهى جماع الخيرات (قوله ان لا تسبق همته خطوته) اى لان اس الفقر قصر الامل فلا يعد وطره وقته فيكون احتياجه الى الدنيا يسيرا واتقانه لاعماله وخوف فوات اوقاته عظيما فلا يمسك شيأ فى يده لمستقبل وقته و يرى ان اشتغاله بغير وظيفة الوقت من جملة مقته حذرا من فوات ما نواه بهجوم ما يخشاه وذلك هو المراد بقولهم الصوفى ابن وقته لا التفات له الى ماض ولا مستقبل (قوله من غرر الاخذ فى الدين) اى بالاشتغال به عما هو بصدده وقوله والدنيا أى بالطغيان الغالب فى حق

فكان ما يأخذه من الاخوان يتفقه في المستورين) المنقطعين للعبادة (الذين لا يتحركون) للاكتساب عونا لهم على ما هم بصدده من الاشتغال بالعبادة (والذي يأخذ من السلطان كان يخرجه الى مستحقيه من اهل طرسوس) بفتح الراء ليوصلهم حقوقهم من بيت المال بلا كلفة فيدخل عليهم بذلك المسرة فهو لم يأخذ شيأ من ذلك في الحقيقة لنفسه (والثالث كان يأخذ من الاخوان) لكونه يعلم حل أموالهم (ولا يأخذ من السلطان) لان أموال السلاطين لا تخلو غالبا عن الحرام (وهو عبد الله بن المبارك كان يأخذ من الاخوان) عملا بالخبر السابق (ويكافئ عليه) امتثالا لامره صلى الله عليه وسلم في قوله من اسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له (والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الاخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول السلطان لا يمن) لانه لا حق له في المال والذي آخذه منه حق الذي جعله الله لي في بيت المال (والاخوان يمنون) فلا يقبل منهم شيأ وكل من الاربعة قصده جميل وان تفاوتوا (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول جاء في الخبر من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه) أراد به دينه الكامل أو العمل بحقارة الدنيا (وانما كان ذلك) كذلك (لان المرء) انما هو (بقلبه ولسانه ونفسه) أي سائر جوارحه (فاذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله) أي تواضع له (بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله) لان الدنيا عند الله حقيرة فعلى العبد حقارتها فلا ينبغي له ان يتذلل بشئ من ذلك في طلبها (وقيل أقل ما يلزم الفقير في فقره) من حيث انه مسافر الى ربه عامل في الوصول الى قربه (أربعة اشياء علم يسوسه) لئلا يزل عن الطريق (وورع يحجزه) عن ان يقع فيما يكرهه مولاه (ويقين يحمله) على العبادة حتى لا يصده عن مقصوده شئ يخشاه (وذكر يؤنسه) لانه الذي يوصله الى مطلوبه من الله (وقيل من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيرا) لوقوفه مع الفقر فهو مفتقر لغير الله وكمال الفقر ان لا يفتقر العبد لغير الله (ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله مات غنيا) لاستغنائه بالله عن غيره (وقال المزين كانت الطرق الموصلة الى الله أكثر من نجوم السماء فما بقي منها طريق الا طريق الفقر وهو أصح الطرق) لسلامته من الآفات التي تدخل بقية الطرق لكونه تبريا من الاقتدار على الاعمال (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن يوسف القزويني يقول سمعت ابراهيم بن المولد يقول سمعت الحسن بن علي

المتوسعين فيها (قوله فكان ما يأخذه الخ) هو عندي اكمل حالا من الذي ذكر قبله لان خلق هذا محمدي (قوله كان يخرجه الى مستحقيه) للثاني تقول من أين له علمهم الا ان يقال يكفي في ذلك اجتهاده (قوله والثالث الخ) أقول ومثل هذا أكمل ممن قبله لعمله بالسنة ولعله كان يأخذ من الاخوان الذين يعلم خلوص أموالهم من الشبهة (قوله والرابع الخ) هو دون من قبله حالا * (فائدة) * الفقر فقران اختياري واضطراري فمن اختار الفقر وتخلق به استغنى عن غير مولاه وامتنع في حقه الاشراف والتطلع الى ما بأيدي الخلق فانه متمكن من كسب الحلال الصافي بنفسه عند دعاء حاجته ووقت ضرورته بخلاف من فقره اضطراري فله الاخذ مما علم حله مما بيد غيره عند دعاء حاجته ووقت ضرورته وفاقته لعدم تمكنه من الكسب المذكور بنفسه ولكن لا يأخذ الا ما يحتاجه في وقت الحاجة او الضرورة فقط ويرد الزائد صيانة وحفظا لحرمة فقره ودفعا للخواطر السوء به والله اعلم (قوله من تواضع لغني الخ) اي وذلك لان اتصاف الحق سبحانه بالغنى المطلق هو الذي اوجب لنا الفقر المحقق وبهذا الاتصاف حصلت الالطاف لان من رحمة الغني ان يجود على الفقير ويجبر المسكين الكسير شعر

على بابك الاعلى مددت يد الرجا * ومن جاء هذا الباب لا يختشي الردى

فما اتى باب الغني الكريم فقير فخاب ولا قصد جاه فغلقت دونه الابواب وقوله لغناه يحتمل ان المراد ليصله من غناه شئ ويحتمل انه لمجرد تعظيمه بملاحظة غناه والله اعلم (قوله فعلى العبد حقارتها) اي اعتقاد ذلك والعمل على مقتضى ذلك الاعتقاد (قوله وقيل اقل ما يلزم الفقير الخ) تامل اذا كان هذا هو الاقل فما ظنك بالاكثر وباقي ما يلزم فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله مات فقيرا الخ) اي لان الشرف في كل مقام بالغنى عنه وعدم النظر اليه والوقوف معه والمراد فقر القلب (قوله فما بقي منها طريق الخ) فيه مبالغة لغرض الحث على نعت الفقر والا فالطرق لم تزل كثيرة (قوله لكونه تبريا) أي يقتضيه بسبب الغنى فيه

يقول سمعت الثورى يقول نعت الفقير السكون عند العدم والايثار عند الوجود) لانه يعلم ان الله أرحم الراحمين به وبغيره فان منعه الرزق فى وقت علم ان ذلك رحمة به فحاله الرضا بذلك والشكر عليه وان اولاه من نعمه شيأ آثر به غيره لعلمه بان ذلك يحبه الله فلا يزال مترددا بين الرضا والايثار محبة للواحد القهار (وسمعته) أيضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سئل الشبلى عن حقيقة الفقر فقال) هى (ان لا يستغنى العبد بشئ دون الله تعالى) لما مر ولا يكون ذلك الا ان كانت معرفته بالله واعرض بقلبه عمن سواه (وسمعته يقول سمعت منصور بن خلف المغربى رحمه الله يقول قال لى أبو سهل الخشاب الكبير الفقر فقر وذل) اى لله (فقلت له لا بل فقر وعز) اى بالله (فقال فقر وثرى) اى تواضع ونزول الى الارض (فقلت لا بل فقر وعرش) أى وارتفاع الى العرش بالله وبكرامته وكلاهما على حق لكن الثانى اكمل همة من الاول (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق) رحمه الله (يقول سئلت عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم كاد) اى قارب (الفقر ان يكون كفرا فقال فقلت آفة الشئ وضده على حسب فضيلته وقدره) اى تعرف فضيلة الشئ وعلو رتبته بنزول قدر ضده (فكل ما كان الشئ (فى نفسه افضل فضده وآفته انقص كالايمان لما كان اشرف الخصال كان ضده الكفر) الذى هو وآفته انقص الخصال (فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله اى التغطية للحق (دل على انه) اى الفقر الى الله (اشرف الاوصاف) هذا تقرير كلامه ولا يخفى ما فيه والحامل له على ذلك كون الكلام فى شرف الفقر والا فظاهر ان الفقر فى الخبر هو الفقر الى غير الله لا الى الله وذكرنا ليحترز عنه فالمعنى ان الفقر الى غير الله كاد أن يكون كفرا لافتقار صاحبه الى من لا يملك شيأ فان المالك لكل الاشياء حقيقة هو الله ومن هذا الفقر استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم فالفقر كما مرت الاشارة اليه فقران محمود ومذموم فالمحمود هو الفقر الى الله تعالى وهو الفقر الذى اختاره وسأله النبى صلى الله عليه وسلم وسبق باهله الى الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام والمذموم هو الفقر الى غير الله وهو ما استعاذ منه صلى الله عليه وسلم (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت ابانصر الهروى يقول سمعت المرتعش يقول سمعت الجنيد يقول اذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم) بحاله (فان الرفق يؤنسه والعلم يوحشه فقلت له يا اباالقاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم فقال لى نعم الفقير اذا كان صادقا فى فقره فطرحت عليه علمك) وفى نسخة علما وفى اخرى علمه (ذاب كما يذوب الرصاص) بفتح الراء (على النار) لان الفقراء الغالب عليهم الاحوال التى تثمرها العلوم والاعمال فربما دل ظاهر الفقير على ما يستنكر فان رفقت به اظهر لك ما هو فيه وابداه وزال عنك وعنه ما تخشاه وان اعترضت عليه بالعلم لم يحمله قلبه لغلبة حاله على وقته وربما زاد تغيره وقل الانتفاع به

المنقول

عن النفس وما لها من الاخلاق (قوله نعت الفقير السكون عند العدم) اى طمأنينة القلب بقوة الرضا بما يجرى به الحق فى تصاريف أحكامه وقوله والايثار عند الوجود أى ليندرج فى جملة من اثنى عليهم الحق تعالى بهذا الخلق واعلم ان أعلى من ذلك الشكر عند العدم والايثار عند الوجود (قوله ان لا يستغنى العبد) أى لا تقنع نفسه الشريفة بشئ دونه تعالى (قوله وكلاهما على حق) أى لان كلا من الذل والعز والتواضع والترفع من نعت الفقير المتحقق له الفقر (قوله لكن الثانى أكمل همة الخ) اى وذلك لان نظره الى الثمرات بخلاف الاول فانه نظر الى الوسائل وهو من اخلاق المريدين والثانى من أخلاق العارفين من المحققين (قوله كاد الفقر) أى باعتبار آفته وهو جعله لغير الله ومعنى قوله كاد الفقر ان يكون كفرا اى قرب من كونه يكون ساترا للحق (قوله آفة الشئ وضده) مراده بالشئ الفقر الى الله وبضده الفقر لغير الله وقوله على حسب فضيلته اى فضيلة ذلك الشئ وقدره والآفة جعل ذلك الفقر لغيره تعالى الا ان فى التعبير نوع خفاء وقلاقة (قوله ولا يخفى ما فيه) محصله كما يعلم من باقى كلامه ان المراد بالفقر فى الحديث انما هو الفقر لغير الله لا الفقر الى الله الذى الكلام فيه والمؤلف جعل المقصود فى الحديث مدح الفقر الى الله بذم ضده الذى هو الفقر الى غير الله فقد ارتكب خلاف الظاهر من الخبر والذى دعاه الى ذلك كون الكلام فى شرف الفقر الى الله والخطب سهل (قوله لافتقار صاحبه الخ) اى باظهار حاجته لمن لا يملك شيأ (قوله فالقه بالرفق) اى بالتسليم حتى تستكشف حكمة الحكيم وقوله ولا تلقه بالعلم اى بان تعارضه بالمنقول فى علم الشريعة (قوله الغالب عليهم الاحوال) اى وهى قد لا تقبلها العقول ولا يحتملها ظاهر

وحسدا من شؤم الاعتراض عليه ولذلك طلب ترك مزاحمته لان الغالب عليه الصدق فيحمل كل ما يقال له على الجد كما مر (وسمعته) ايضا (يقول سمعت اباعبد الله الرازى يقول سمعت مظفرا القرمسينى يقول الفقير هو الذى لا يكون له الى الله تعالى حاجة قال الاستاذ الامام القشيرى رحمه الله وهذا اللفظ) الذى يعبر عنه وعن مثله بالشطح الذى يقع من الفقير فى وقت غلبة الاحوال والحفظ اكمل منه (فيه ادنى غموض لمن سمعه) لان حقيقة الفقر الاحتياج الى الله لا الى غيره مع ان الغموض فيه على من سمعه انما يكون (على وجه الغفلة عن مرمى القوم) ومن تأمله علم انه لا غموض فيه (وانما أشار قائله الى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق سبحانه) لان الفقير الصادق هو من علم ان احتياجه في جميع تعلقاته انما هو الى الحق تعالى فاذا تحقق علمه بذلك وافتقر اليه ثم رأى توالى نعمه عليه فى جميع ما هو فيه بغير سؤال منعه ذلك من احتياجه اليه أى سؤاله له فقوله لا يكون له الى الله حاجة اى سؤال لا افتقار فهو مفتقر اليه لكنه لا يسأله لما يراه من توالى نعمه عليه وكفايته له (وقال ابن خفيف الفقر عدم الاملاك) أى عدم اضافة العبد لها الى نفسه وانما جرت عليه فضلا من ربه (والخروج من أحكام الصفات) بان يترك دعواه لما هو فيه من احواله ومقاماته الشريفة ويضيفها الى المتفضل عليه فالفقير لا يدعى لنفسه ملكا عينا ولا عرضا ولا عملا ولا حالا ولا مقاما اذ كلها ملك لربه وهو محل لجريانها عليه (وقال أبو حفص لا يصح لاحد الفقر حتى يكون العطاء) اى اعطاؤه لغيره (أحب اليه من الاخذ) لان من كمل فقره كان فرحه بما يبذله أكثر من فرحه بما يأخذه لما فيه من الكرم والايثار والاتصاف باخلاق المقربين الابرار والاخذ محتاج الى شروط فى نفسه وفيمن يعطيه وربما اعطاه غيره لوصف فظنه فيه وهو عار عنه ففيه انخداع واغترار فخوفه عند الاخذ وفرحه عند البذل اولى به (وليس السخاء ان يعطى الواجد) للشئ (المعدم) له (انما السخاء ان يعطى المعدم) للشئ (الواجد) له بان لا يقبله منه اذا اتاه به كما مر بيانه فى باب الجود والسخاء (سمعت محمد بن الحسين) رحمه الله (يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت الدقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لولا شرف التواضع) والتذلل والعبودية (لله لكان حكم الفقير) اى لكان اللائق به وبعزة نفسه واستغنائه عن غير الله (اذا مشى

المنقول (قوله لغلبة حاله على وقته) اى على وظيفة الوقت فى العبادة وطاعة الرب سبحانه وتعالى (قوله وهذا من شؤم الاعتراض عليه) أى العجلة بالعلم من شؤم الاعتراض الخ (قوله الفقير هو الذى لا يكون له الى الله تعالى حاجة) أى حاجة يتوقف قضاؤها على سؤاله وهذا كما ترى لا ينافى سؤاله امتثالا وعبودية هذا هو المتعين فى فهم مثل هذا مما ظاهره يخالف النص (قوله فيه أدنى غموض) أى بايهام من لا معرفة له الاستغناء عن الطلب والحاجة مع انه ليس كذلك بل المراد افادة الرضا بكل ما يجريه الحق من أحكامه لائم النفس أم لا وحينئذ يسقط الطلب والاختيار ولا تكون له حاجة يتوقف قضاؤها على سؤاله أو يسقط عنه الطلب الخالى عن شاهد العلم بل يطلب عبودية لا غير (قوله فيه أدنى غموض الخ) أقول لا غموض فيه على ما أسلفناه قبله فتدبر (قوله الى سقوط المطالبات) أى التى تخلو عن شاهد العلم والا فلا مانع منها بل هى الاكمل اذ هى من الاخلاق المحمدية (قوله منعه ذلك الخ) اقول فيه ان الكامل قابل للاكمل وفضائله تعالى لا تتناهى ولا منع من السؤال شرعا بل الطلب مندوب اليه وتوالى نعم الله على العبد موجب للشكر ومن جملة ذلك الطلب عبودية (قوله الفقر عدم الاملاك الخ) هو ظاهر لا غبار عليه فلله دره وانما يعتبر معه الفناء عن شهود هذا الخلق حتى يلتحق بمقام العارفين (قوله أحب اليه من الاخذ) اى فيكون بهذا النعت متخلقا بالاخلاق المحمدية التى هى اكمل الاخلاق البشرية (قوله لما فيه من الكرم) اى المتعدى منافعه (قوله والاخذ محتاج الى شروط) أى ومنها الحاجة الى المأخوذ وان لا يأخذ زيادة عما يحتاج اليه فى يومه وليلته ولذلك قد تقرر فى مذهب امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه حرمة السؤال من غير المحتاج لغيره من الخلق وحرمة القبول اذا كان غير محتاج بوجود كفاية يوم وليلة (قوله وربما أعطاه غيره الخ) اى وقد صح فى الخبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك (قوله وليس السخاء الخ) محصله ان التعفف وعدم القبول من الغير اشرف من قبول

ان يتبختر) فى مشيته تعززا بمولاه وغيظا واستهزاء بالعدو وهو الشيطان المرصد لعداوته فى دنياه (وقال يوسف ابن اسباط منذ اربعين سنة ما ملكت قميصين) فيه دلالة على تقلله من الدنيا وبعده عن زهرتها ومع ذلك فقد حض الشرع على التجمل لا سيما فى الاعياد والجمع ومجامع المسلمين وقد يخالف ذلك ليقتدى بمخالفته غيره حكى ان عمر رضى الله عنه خطب وعليه مرقعة فيها احدى عشرة رقعة بعضها من أدم (وقال بعضهم رايت) فى منامى (كأن القيامة قد قامت وقيل) للملائكة (ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لى انه كان له قميص واحد ولمالك قميصان) وكان ابن واسع ورعا ولا يقبل من أحد شيأ لكمال ورعه وحذره على نفسه والمنامات تكون للبشرى ولا نذار كما مر (وقال محمد المسوحى الفقير) هو (الذى لا يرى لنفسه حاجة الى شئ من الاسباب) المعتادة وغيرها انما الفقير الصادق هو المستغنى بالله حتى عن نفسه وأعماله وأحواله (وسئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير فقال اذا لم ير لنفسه غير الوقت الذى هو فيه) فلا يرى الى ماض ولا مستقبل اذ فى ذلك تشتت وطول امل فتى خلا عن ذلك كل حاله وسلم وقته من خواطر الالتفات الى ماضى حاله ومستقبله ولهذا كان الفقير ابن وقته لا التفات له الى شئ ٢٤٦ من ذلك (وتذاكروا) اى الفقراء (عند يحيى ابن معاذ الفقر والغنى فقال لا يوزن غدا) أى يوم القيامة (لا الفقر ولا الغنى وانما يوزن الصبر) على البلايا (والشكر) على النعم (فيقال تصبر) على البلايا (وتشكر) على النعم ليوزن صبرك وشكرك فى ذلك اشارة الى ان ثواب الفقر انما هو فى الحقيقة على الصبر عليه ومعلوم ان الصبر انما يكون على المؤلم والشكر على الموافق وقد يرى العبد المؤلم له نعمة باعتبار ما يترتب عليه فيشكر عليه وقد يغفل العبد عن توالى النعم عليه فيغفل عن الشكر فيعجب بما هو فيه فيكون ذلك سببا للهلاك والبلاء نعوذ بالله من ذلك (وقيل اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء عليهم السلام ان أردت ان تعرف رضاى ملبس عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك) فان رأيتهم راضين عنك فانا راض عنك لانى راض عنهم (وقال ابو بكر الزقاق من لم يصحبه التقى فى فقره اكل الحرام المحض) كما لا يخفى وقول بعضهم لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا يحمل والعياذ بالله على ما اذا اطبق الحرام الارض ولم يجد للحلال سبيلا (وقيل كان الفقراء فى مجلس سفيان الثورى كانهم الامراء) لا للتكبر بل لما هم فيه من الزهد وحقارة الدنيا فى قلوبهم مع كون سفيان من العلماء العارفين بالله المنزلين للناس منازلهم وفى ذلك دلالة على اكرامه للفقراء (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن احمد الفراء يقول سمعت ابا بكر بن طاهر يقول من حكم الفقير ان لا يكون له رغبة فى الدنيا) لان من كان فقره اختيارا او زهدا لا قهرا وعجزا لا يرغب فيها لانه تركها مع تمكنه من تحصيلها باسبابها (فان كان) له فيها رغبة (ولا بد فلا تجاوز رغبته كفايته) كبيت يكنه وثوب يستره وقوت يكفيه لان ما عداها فضول والزهد هو الاعراض عن الفضول (وانشدنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى رحمه الله قال أنشدنى عبد الله بن ابراهيم بن العلا قال أنشدنى أحمد بن عطاء لبعضهم قال قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه * فقلت خلعة ساق حبه جرعا

الشئ من الواجد له (قوله ان يتبختر الخ) اى لكن منع من ذلك التشبه بحال المتكبرين المعجبين بانفسهم (قوله ليقتدى بمخالفته غيره) انظره فانه خفى الوجه ولا سيما مع حث الشرع على التجمل (قوله والمنامات الخ) أى والرؤيا المتقدمة تحتمل الوجهين بحسب حال الرائى (قوله لا يرى لنفسه حاجة الخ) اعلى المراد منه عدم شهود التأثير لغيره تعالى بل لله تعالى وحده (قوله اذ فى ذلك الخ) اقول فيه قصور والاولى ان يقال لان الاشتغال بهما يضيع معه الوقت الحاضر فتدبره (قوله وانما يوزن الصبر الخ) المراد به الصدق فى الاعمال والدوام على الجد فيها والصبر عند المحن والشكر عند النعم (قوله باعتبار ما يترتب عليه) اى او باعتبار صدوره عنه تعالى بحكمته العلية فهو حينئذ محبوب (قوله ان اردت الخ) فيه دلالة على زيادة شرف الفقراء حيث جعل رضاهم امارة على رضاه تعالى (قوله من لم يصحبه التقى) تقدم مثله (قوله لكان قوت المؤمن منها حلالا) اى لان الضرورات تبيح المحظورات (قوله فلا تجاوز رغبته كفايته) اى بحسب الامكان فى التقلل (قوله قالوا غدا العيد الخ) يحتمل انه قيل ذلك حقيقة ويحتمل انه على لسان حال المنهمكين والمتهافتين على الدنيا الذين لا يلتفتون الا الى حظوظهم من نحو

فقر وصبر هما ثوباى تحتهما * قلب يرى الفه الاعياد والجمعا   أحرى الملابس ان تلقى الحبيب به * يوم التزاور فى الثوب الذى خلعا
الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى * والعيد ما كنت لى مرآى ومستمعا   وقيل ان هذه الابيات لابى على الروذبارى وقال أبو بكر
المصرى وقد سئل عن الفقير الصادق فقال الذى لا يملك) شيأ ولا يدعى شيأ من الاحوال والمقامات (ولا يميل) لشئ من المشتهيات
فلا يصير رقيقا الشئ من المخلوقات (وقال ذو النون المصرى دوام الفقر الى الله تعالى مع التخليط أحب الى من دوام الصفاء مع
العجب) لان المخلط لكونه فقيرا الى الله يتعرض للتوبة بخلاف من به العجب المحرم وشتان بين فقير متعرض للتوبة وعاص مقيم
على معصيته بعيد من التوبة (سمعت أبا عبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت   ٢٤٧   عبد الواحد بن أحمد يقول سمعت أبا
بكر الجوال يقول سمعت أبا عبد
الله المصرى يقول مكث أبو
جعفر الحداد عشرين سنة
يعمل كل يوم بدينار وينفقه على
الفقراء ويصوم ويخرج بين
العشائين فيتصدق عليه من
الابواب) كانت نيته فى كسبه
سد خلة الفقراء أو كان قصير الامل
لا يغلب على ظنه حياته الى آخر
النهار حتى يؤخر بعض كسبه فاذا
عاش وجاع ولم يفتح عليه بشئ سأل
الناس (سمعت محمد بن الحسين
رحمه الله يقول سمعت أبا على
الحسين بن يوسف القزوينى يقول
سمعت ابراهيم بن المولد يقول
سمعت الحسن بن على يقول سمعت
النورى يقول نعت الفقير السكون
عند العدم والبذل والايثار عند
الوجود) لان الموجب لسكونه
عند العدم ثقته بضمان الله لرزقه
والموجب لايثاره عند الوجود
تحصيل رضا الله (وسمعته) ايضا
(يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت محمد بن على الكتانى يقول كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار) أى أثواب (رثة)
أى بالية وغاب على ظنى انه فقير من الدنيا (وكان لا يداخلنا) فى أمورنا (ولا يجالسنا) فى مجالسنا (فوقعت) وفى نسخة فوقع (محبته
فى قلبى ففتح لى بمائتى) وفى نسخة بمائة (درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على طرف سجادته) كما هو حسن الادب مع
الفقراء ان لا يكلفوا ان يتناولوا ما يؤتون به بايديهم بل يوضع عندهم فان احبوه اخذوه والا تركوه (وقلت له انه فتح لى ذلك من
وجه حلال) فاتيت به لك (تصرفه فى بعض امورك) وتستعين به على ما أنت بصدده تاخذته عزة الفقر وعمارة الوقت (فنظر الى
شزرا) اى نظر الغضبان بمؤخر عينه (ثم كشف عما هو مستور عنى) بقوله

ملبس ومطعم ومشرب ولاسيما فى مثل وقت العيد مما يتزينون فيه وقوله فقلت الخ يجرى
فيه الاحتمالان المذكوران فى قولهم له وقوله خلعة ساق حبه جرعا أى كسوة محبوب
لى سقانى محبته جرعا وقوله فقر وصبر بيان لتلك الخلعة وقوله هما ثوباى أى نعتان لى
ظاهران من خلق شبيهان بالثوبين فى مطلق الستر والشمول وقوله تحتهما قلب أى اشتملا
على قلب من شأنه انه يرى من الفه نفس العيد والجمع فهو اذا شاهده وراقبه كان ذلك
وقت أعياده وجمعه وقوله احرى الملابس أى أحقها فى التزين بها وقت ملاقاة الحبيب
للزيارة الخلعة التى تفضل بها المحبوب على المحب والنعت الذى نعت به وقوله الدهر لى
مأتم مراده ان غيبة من يحبه عنه بغفلته عن مراقبته تصيره آتمًا فى كامل أوقاته ودوام
حضوره فى قلبه يجعل ذلك الزمان عيدا له وهكذا حال المحبين رضى الله تعالى عنهم اجمعين
(قوله فلا يصير رقيقا الخ) اى لان من تعلق قلبه بشئ كان عبدا له (قوله بخلاف من به
العجب الخ) أى وذلك لان صاحبه كانه ينازع الحق تعالى فيما اختص به من صفة
الكبرياء والعظمة وذلك خطر عظيم (قوله ويخرج بين العشائين) اى بين المغرب
والعشاء فهو من باب التغليب وقوله فيتصدق عليه من الابواب اى بواسطة تعرضه
للسؤال فى هذا الوقت لحاجة (قوله أو كان قصير الامل) أى مع محبته لسد خلة الفقراء
وبذلك يندفع ما يقال ان حاجته مقدمة شرعا على حاجة غيره بشهادة خبر ابدأ بنفسك
ثم بمن تعول (قوله نعت الفقير السكون الخ) أى لاجل قوة صبره لا يضطرب ولا يتحرك ثقة
بالوعد الحق (قوله والايثار عند الوجود) أى بداعى قوته فى مقام الصبر وتحمل المشاق
وحينئذ فلا يقال ان اللازم تقديم نفسه فى مثل هذه الحالة (قوله يقول كان عندنا بمكة
فتى الخ) فى ذلك دلالة على قوة محبة الكتانى لفعل الخير وعلى غاية نزاهة نفس الفتى
بفنائه عن كل حظوظه بسبب تمام صدقه وتمكنه فيه رضى الله تعالى عن الجميع وعنا بهم
(قوله وغلب على ظنى انه فقير الخ) أى وانه يقبل المواساة (قوله فاخذته عزة الفقر)

(قال اشتريت هذه الجلسة مع الله سبحانه على الفراغ) من المشغلات لى عنه (بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات) منها (تريدان تخدعنى عنها) وتفسدها على (بهذه) الدريهمات (وقام وبددها) أى فرقها بان انتثرت لما أخذ بطرف سجادته وقام (وقعدت التقطها فما رأيت كعزه) ورفعة حاله (حين مر) واعرض عنها (ولا كذلى حين كنت التقطها وقال أبو عبد الله ابن خفيف ماوجبت على زكاة الفطر منذ اربعين سنة ولى قبول عظيم بين الخاص والعام سمعت الشيخ أبا عبد الله بن باكوبة الصوفى رحمه الله يقول سمعت اباعبد الله بن خفيف يقول ذلك) فيه دلالة على قلته من الدنيا وعلى اختياره الفقر على السعة طلبا لسلامته وطيب قلبه مع الله وفراغه للتلذذ بمناجاته ومراقبته له فى سائر حركاته وسكناته (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سالت اباعبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة ايام وبعد ثلاثة) من الايام (يخرج ويسأل مقدار كفايته ايش يقال فيه فقال يقال) له (مكد) اى سائل للناس فى شئ ياخذه منهم فلم يستغن بالله فليس هو بفقير كامل نبههم بذلك على ضعفه فى الفقر ثم قال للسائل وجماعة ٢٤٨ (كلوا واسكتوا) عن سؤال احوال لم تبلغوها (فلو دخل) عليكم (فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم) هذا من حسن تاديبه لاصحابه (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت الدقى يقول وقد سئل عن سوء ادب الفقراء مع الله تعالى فى احوالهم فقال هو انحطاطهم) اى فعل مايوجب انحطاطهم (من الحقيقة) وهى عندهم غلبة الاحوال المطلوبة على القلوب (الى العلم) بها فاذا نزل عنها الى درجة العلم بها ولم تغلب على قلبه غلبت عليه العوائد والمشتهيات وتفرغت همته للاسباب ووقع فى سوء الادب مع الله فبغفلته عن مقام الحقيقة واشتغاله بالاسباب وقع فى سوء الادب (وسمعته) ايضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله الطبرى يقول سمعت خيرا النساج يقول دخلت بعض المساجد واذا فيه ـــكما فقير فلما رآنى تعلق بى) مستغيثا بالله ومستعينا به مما امتحن به (وقال) لى (أيها الشيخ تعطف على) بالخلاص مما امتحنت به (فان محنتى عظيمة فقلت) له (وماهى فقال فقدت البلاء) اى الفقر بوجود الدنيا (وقويت بالعافية) الدنيويه (فنظرت) باشارته الى جهة (فاذا) هو (قد فتح عليه بشئ من الدنيا) فى ذلك دلالة على انهم يرون وجود الدنيا وسعتها نقمة وصرفها عنهم نعمة اخروية وهو حق لان الغالب على الفقير ان يكون دائم الرجوع الى الله سائلا حوائجه منه لاعتقاده انفراده بالافعال والغالب على الغنى الرجوع عندما يطرقه طارق الى مايملكه ويقدر على اكتسابه وكفى بذلك غفلة عن ربه فهذا الفقير كان دائم الشغل بالله فرآه بعض المحبين فاراد ان يصله بما يعينه به على ماهو بصدده فوضع عنده شيأ وخرج عنه فصار يتشوش حال الفقير فيما يصنعه بهذا المال وما الحيلة فى خلاصه منه فلما دخل عليه هذا الشيخ المسجد ورأى عليه آثار المعرفة

أى الفقر الى الله تعالى التى توجب الاستغناء عما سواه وقوله وعمارة الوقت أى اعتبار ماهو حاله فيه كما هو شأن الصوفى من كونه ابن وقته لانظر له الى ماض ولا الى مستقبل (قوله بسبعين ألف دينار الخ) أى نخرج عن ذلك كله رغبة فى الانقطاع اليه تعالى ولا يخفى مافى قوله بهذه الدريهمات من التصغير الموافق لمقصوده (قوله فما رأيت كعزه الخ) أى وفخر بعيد ذلك حيث العز به تعالى لايضاهيه شئ ولا يماثله وقوله ولا كذلى المراد به انكسار نفسه بسبب رده (قوله ماوجبت على زكاة الفطر) أقول هو قريب مما قبله فى الدلالة على طهارة النفس ونزاهتها (قوله كلوا واسكتوا عن سؤال الخ) مراده السؤال المجرد عن العمل بالطريق الموصل الى الذى لم يبلغوه من تلك الاحوال فالنهى لم يكن عن مطلق السؤال فتدبر (قوله وهى عندهم غلبة الاحوال الخ) اى الاحوال الناشئة عن جميل الاخلاق المطلوب التحلى بنعتها وقوله الى العلم بها اى العلم المجرد عن تلك الغلبة (قوله غلبت عليه العوائد) اى ولو كانت مصحوبة بشاهد علم الشريعة فافهم (قوله ووقع فى سوء الادب مع الله) اى بالنظر لما انحط عنه من غلبة الحقيقة فهو حينئذ من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله فان محنتى عظيمة) اى وهى خوفه من صرفه عن الاشتغال بالله تعالى وهو من اعظم البلايا لزيادة الانحطاط فيه عما كان عليه من المقام (قوله وصرفها عنهم نعمة) اى بالنظر لما يترتب على ذلك من الفوائد الاخروية (قوله وما الحيلة فى خلاصه منه) اى لانه يسئل عن ذلك يوم القيامة فيقال له فيم صرفته

كما يسئل عن جهة تحصيله وكسبه (قوله طوبى للفقير) قيل ان طوبى اسم للجنة مخصوصة وقيل لشجرة فيها والاقرب هنا الاول (قوله منها راحة القلب الخ) اقول هى وان كانت من اعظم الفوائد الدنيوية غير انها لا تضاهى فائدة عدم الحساب فى الآخرة فضلا عن كونها أعظم منها

تم

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله باب التصوف)

وسلوك طريق الاقدام وتعلقه كما تقرر فهذا كما قال قائلهم

عضوا على الفقر بالنواجذ

(وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد ابن محمد ابن أحمد يقول سمعت ابا بكر الوراق يقول) لاصحابه (طوبى للفقير فى الدنيا والآخرة فسألوه عنه) اى سبب ذلك (فقال لا يطلب السلطان منه فى الدنيا الخراج ولا يطالب (الجبار) تعالى منه (فى الآخرة الحساب) هذا اقل فوائد الفقر والافله فوائد عظام منها راحة القلب من المشغلات و وجود التلذذ بالمناجاة وسرعة مضيه الى الجنة كما جاءت به الاخبار الواضحات

٢٠٧

٢٦

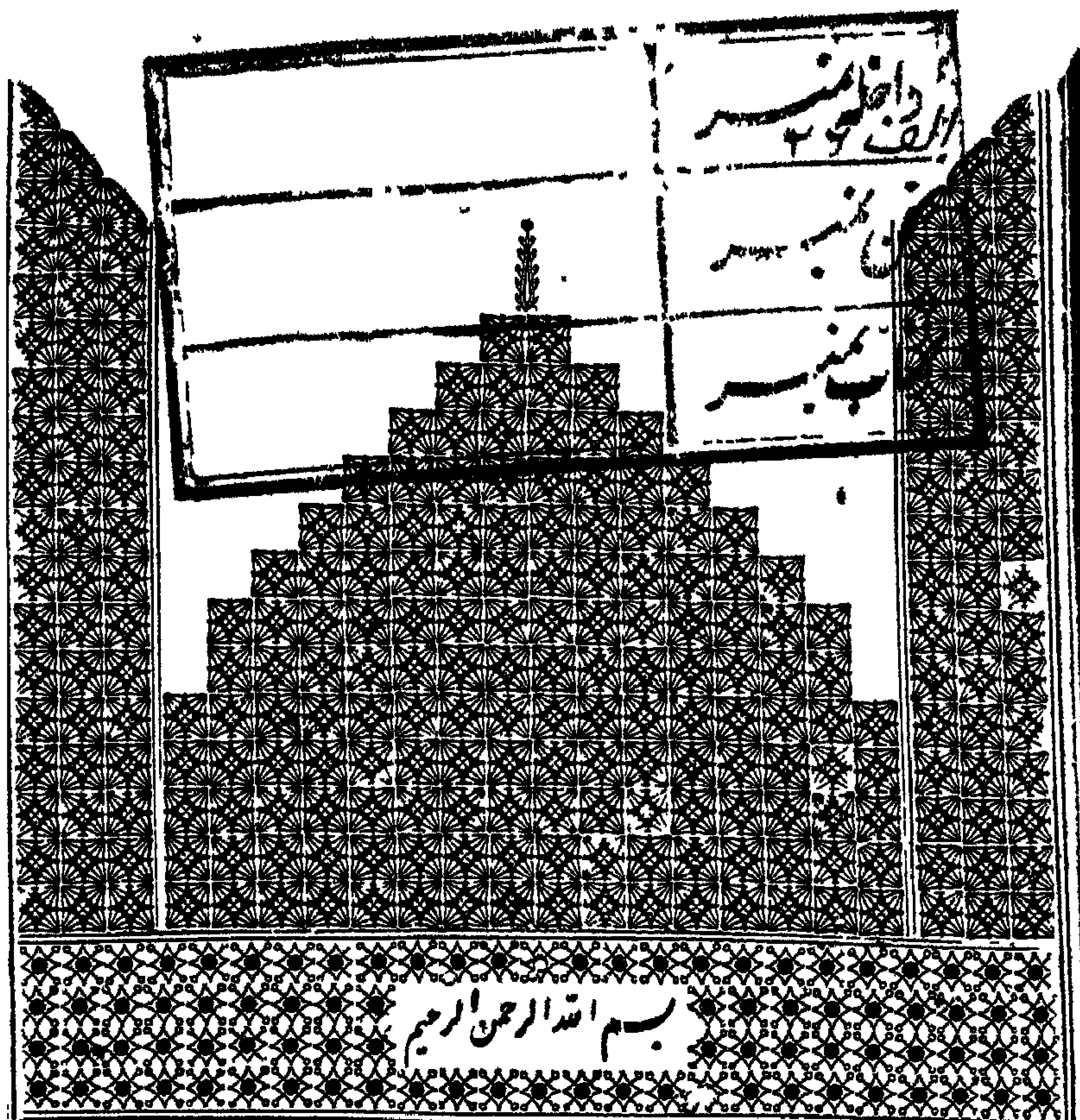
(فهرسة الجزء الرابع من نتائج الافكار القدسية فى بيان معانى شرح الرسالة القشيرية)

(تمت)

الجزء الرابع من حاشية العالم العلامة الحبر البحر الفهامة امام
الفضلاء الفخام وشيخ مشايخ الاسلام مظهر الفيض
القدوسى الاستاذ السيد مصطفى العروسى المسماة
بنتائج الافكار القدسية فى بيان معانى شرح
الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام
زكريا الانصارى نفع الله
بها كما نفع بأصلها
آمـــــين

٢

(وبهامشها الشرح المذكور)



(باب التصوف)

قال بعضهم هو اسم جامد وقع على كل من اجتمع قلبه وقت ذكره وتفرق في أحوال أسباب فكره وتزايدت أشواقه عند السماع وخفيت حقائقه عند الاجتماع والقول بانه مشتق من الصفاء أو من لبس الصوف أو من الصف الاول يحوج الى تكلف مع عدم الشاهد على ذلك في معظم الاقوال وان كان معانيها لا يخلو عنها الصوفي باعتبار رسمه وحاله واعلم ان حقيقة الصوفي من له جد وصدق واخلاص في متابعة سيد المرسلين وامام المرشدين عليه وعلى اخوانه صلوات رب العالمين (قوله هو ترك الاختيار الخ) اعلم ان شرف الدين مرتبة قصوى وأكرم الحسب عند الله التقوى شعر

لعمرك ما الانسان الا ابن دينه * فلا تترك التقوى اتكالا على النسب
فقد رفع الاسلام سلمان فارس * وقد وضع الشرك الخبيث أبا لهب

فمن ادعى مقام الكبار امتحن بالاختبار ومن تحلى بما ليس فيه فضحته شواهد الامتحان فلا تزدري عاقلا لحقارة رياشه ولا تعظم جاهلا لكثرة قماشه فالمرء مخبوء تحت لسانه وجوهرة عقله في صدفة كيانه شعر

واعلم بان التبر في عرق الثرى * خاف الى أن يستثار بنبشه
وفضيلة الدينار يظهر سرها * من حكه لا من ملاحة نقشه

الى آخر ما في الشعر فراجعه ان شئت (قوله ويقال هو حفظ حواسك) أي الظاهرة مع جوارحك الباطنة عن الخروج الى ما ليس له شاهد من علم الشريعة المطهرة وقوله

(باب التصوف)

هو ترك الاختيار ويقال هو حفظ حواسك ومراعاة أنفاسك

ويقال هو الجد في السلوك الى ملك الملوك ويقال هو الاكباب على العمل والاعراض عن العلل ويقال غير ذلك وقدمت بعضه في باب ذكر مشايخ هذه الطريقة وهو ممدوح ومطلوب لانه مأخوذ من الصفاء وقد بينه بقوله (الصفاء محمود بكل لسان وضده الكدورة وهي مذمومة) كذلك وقد (أخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهاني قال أخبرنا عبد الله بن يحيى الطلحي قال ثنا الحسين ابن جعفر قال ثنا عبد الله بن نوفل قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد عن أبي جحيفة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متغير اللون فقال ذهب صفو الدنيا) وهو كثرة خيرها ونعمها والمراد صفو قلوب أهلها وانشراح صدورهم ورضاهم بما يجريه الله عليهم فيها (وبقي الكدر) وهو ضد ذلك (فالموت اليوم تحفة لكل مسلم) ٣ للسلامة من الكدر وكانه بتقدير صحة ذلك قاله قرب موته لعلمه بما يكون بعده من الاختلاف والدعاوى الباطلة ومقصود الخبر التحريض على التمسك باوقات الصفا مع الله وازالة المشغلات بانواع المجاهدة والرياضة فاذا أكمل العبد في ذلك فهو المعبر عنه بالصوفي فانه قد صفا من الكدر بما أطلعه الله عليه (ثم هذه التسمية) أي التسمية بالصوفية (غلبت على) أهل (هذه الطائفة فيقال رجل صوفي وللجماعة صوفية) لان الحق صافاهم وأخلص لهم النعم بما أطلعهم عليه (ومن يتوصل الى ذلك) بالاكتساب والتشبه بهم (يقال له متصوف) لا صوفي (وللجماعة المتصوفة) لا صوفية (وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس) يجوز (ولا اشتقاق) كذلك لان مصدر صفا صفو بتأخير حرف العلة عن الفاء (والاظهر فيه انه) غير مشتق بل هو

ومراعاة انفاسك أي بان لا تضيع منها نفسا في غير طاعة ربك (قوله ويقال هو الجد في السلوك) أي الاجتهاد فيه وعدم الفتور وقتا من الاوقات (قوله ويقال هو الاكباب) أي الانكباب والانهماك على العمل التكليفي وقوله والاعراض عن العلل أي البعد عما يبطل ثمرة ذلك العمل من الرياء والعجب والاستحسان للعمل والوقوف معه وغير ذلك مما يصير العمل معه مدخولا (قوله لانه مأخوذ من الصفاء) أي من مطلقه والمراد هنا صفاء النيات والاعمال عن المعطلات للقبول (قوله متغير اللون) أي من هول ما أطلعه الله تعالى عليه (قوله ذهب صفو الدنيا) يحتمل حمله على زمن التكلم ويكون باعتبار بعض الخلق أو ذهب بمعنى يذهب وهو ظاهر (قوله لعلمه بما يكون بعده) أي أو هو باعتبار بعض الخلق في زمنه صلى الله عليه وسلم (قوله التحريض على التمسك الخ) أي حيث ذلك من فرص المؤمن (قوله بما أطلعه الله عليه) أي من أنوار قربه ولذة مناجاته (قوله ثم هذه التسمية الخ) اعلم ان الخير باق الى يوم القيامة فلا تقل ان تأخر الزمان يوجب ذهاب الاعيان وانهم في هذه الاعصار ككنز صاحب الجدار شعر

ماضرني ان لم أكن متقدما * فالسبق يظهر آخر المضمار

فلئن غدا ربع البلاغة دارسا * فلرب كنز في أساس جدار

فلا تنتقص من جاء في آخر دورات الكيان وقدمه فضله على الافاضل والاقران شعر

فقد أخر الله النبي محمدا * وقدمه في رتبة المدح والذكر

(قوله لان الحق صافاهم) أي بواسطة سبق رضاه عنهم (قوله يقال له متصوف لا صوفي) أقول لعل وجهه تكلف هذا الخلق بالاكتساب والافلا حجر (قوله بل هو جامد) أي ثم غلب على من تخلق بالاخلاق الحميدة بعد ان تجرد عن الذميمة (قوله لانه أرفق بهم) أي بسبب قلة الكلفة في تحصيله بحسب ما كان أو بالنسبة الى ما هو أعلى منه (قوله ونحو زائد) أي لعدم وجود غيره (قوله فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد) لك ان تقول ان

جامد (كاللقب فاما قول من قال انه) مشتق (من الصوف ولهذا يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص فذلك) وفي نسخة فلذلك (وجه) سائغ بل قيل انه حسن لانه أبعد من الدعوى بخلاف غيره مما قيل فيه (ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف) لكن هذا لا يضر لان الحكم للغالب والغالب عليهم لبسه والاكتفاء به وانما اختاروا لبسه لانه أرفق بهم ولانه لباس الانبياء والصالحين (ومن قال انهم منسوبون الى صفة مسجد الرسول) وفي نسخة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وان هذا الاسم مشتق منها (فالنسبة الى الصفة لا تجيء على نحو الصوفي) بل على الصفي ونحو زائد (ومن قال انه مشتق من الصفاء فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة) بل مقتضاها انه انما يشتق من الصافي (وقول من قال انه مشتق من الصف

فكانهم) الاولى لانهم (فى الصف الاول بقلوبهم) من حيث المحاضرة والمناجاة وارتفاع الهمة مع الله تعالى بحيث صاروا بقلوبهم أقرب الناس اليه (فالمعنى صحيح ولكن اللغة لاتقتضى هذه النسبة الى الصف) اذلا يقال فى النسبة الى الصف الاصفى (ثم ان هذه الطائفة) وفى نسخة ثم هذه الطائفة ٤ (أشهر من أن يحتاج فى تعيينهم الى قياس لفظ واستحقاق اشتقاق) لشهرتهم بذلك وأنت خبير بان شهرتهم لاتغنى عن بيان اشتقاق اسمهم (وتكلم الناس فى التصوف مامعناه) ويعرف منه من هو المتصوف مع انه قدمه (و) تكلموا (فى الصوفى من هو فكل عبر بما وقع له واستقصاء جميعه يخرجنا عن المقصود من الايجاز وسنذكر هنا بعض مقالاتهم فيه على حد التلويح ان شاء الله تعالى * سمعت محمد بن أحمد بن يحيي الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سئل أبو محمد الجريرى عن التصوف فقال) هو (الدخول فى كل خلق) بضم الخاء (سنى) أى رفيع كالورع والزهد والتوكل والرضا والتفويض ونحوها (والخروج من كل خلق دنى) كالرياء والعجب والكبر والحسد وسوء الظن ونحوها (سمعت عبد الرحمن بن يوسف الاصبهانى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن عمار الهمدانى يقول سمعت أبا محمد المرعشى يقول سئل شيخى عن التصوف فقال سمعت الجنيد وقد سئل عنه فقال هو ان يميتك الحق) تعالى (عنك) أى عن نظرك لنفسك (ويحييك به) أى بذكره ومناجاته والاشتغال بما يرد منه عليك وهذا أكمل درجات التصوف (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (يقول سمعت فوا عبد الرحمن بن محمد الفارسى يقول سمعت أبا الفاتك يقول سمعت الحسين بن منصور وقد سئل عن الصوفى فقال) هو (وحدانى الذات لايقبله أحد ولا يقبل أحدا) اى مشغول بالله تعالى ولم يبق فيه وسع لملاطفة غيره ولا لكلامه وهذه أعلى أحوال الصوفى

المراد مطلق الاخذ وان لم يكن على قاعدة الاشتقاق بل لمراعاة المعنى فقط (قوله الاولى لانهم الخ) أى فهم بسبب اعتبار حال قلوبهم من المحاضرة فى الصف الاول حقيقة لا ادعاء (قوله وأنت خبير الخ) هذا التورك منه مبنى على ان الغرض الاشتقاق وهو غير لازم حل الاسم عليه بل يصح حمله على انه علم جامد مدلوله هؤلاء الخلق والطائفة من الصوفية (قوله ويعرف منه) أى من كلامهم فى بيان حقيقة التصوف من هو المتصوف (قوله فكل عبر بما وقع له) أى مما نقل اليه أو مما ذاقه على حسب استعداده (قوله هو الدخول فى كل خلق) اى مع دوام الصدق فى كامل الاخلاق دخولا وانتقالا (قوله كالرياء الخ) جميع ماذكره من الكبائر اعاذنا الله منها (قوله فقال هو ان يميتك الحق عنك) يشير الى انه متى بقى لنفس العبد بقية احساس لا يقال له صوفى كامل وهو الحق (قوله فقال هو وحدانى الذات لا يقبله أحد) أى وذلك لانه قد تلاشى عن السوى بواسطة استهلاكه فى الانس به تعالى اللازم منه غاية الوحشة من كافة الخلق فهو حينئذ لامناسبة بينه وبينهم تجمعهم عليه فاذا رأيت نفسك معرضة عن أولياء الله فاعلم انك مطرود عن الله لان الحق لو أقبل عليك لحببهم والله اليك

أيها المعرض عنا * ان اعراضك منا لو أردناك جعلنا * كل مافيك يحبنا

قال لسان حال عزة من تولى لمن أعرض عنه وتولى شعر

قنعنا بنا عن كل مالا يريدنا * وان كملت أخلاقه ونعوته
ومن غاب عنا حظه البين والقلا * ومن فاتنا يكفيه انا نفوته

فلسان حال هذا الوحدانى يقول اصحب مولاك ولا تعبأ بمن نادك فانه اذا صح منه الوداد امنت به من سائر العباد شعر

فليت الذى بينى وبينك عامر * وبينى وبين العالمين خراب
اذا صح منك الود فالكل هين * وكل الذى فوق التراب تراب

فقوله لا يقبله أحد أى لعدم المناسبة كما أسلفنا ولان أهل الخصوصية من هو دفيهم فى الحياة متأسف عليهم بعد الممات شعر

والمرء مادام حيا يستهان به * ويعظم الرزء فيه حين يفتقد

وقوله ولا يقبل أحدا أى لعدم وجود المماثل وعزة الاخ المشاكل شعر

انى لافتح عينى حين أفتحها * على كثير ولكن لا أرى أحدا

فهذا الزمان لم يواف بصديق موافى ولذا قيل شعر

واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

وان لم يدم له ذلك واماهى بحسب من يساله ويجيبه فاذا كان السائل له ممن يدعى التصوف نبهه على المقام الرفيع فيه ليستصغر نفسه وتذهب عنه دعاويه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الله بن محمد يقول سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول سمعت أبا على الوراق يقول سمعت أبا حمزة البغدادى يقول علامة الصوفى الصادق ان يفتقر) من الدنيا (بعد الغنى) بها (ويذل بعد العز) بالغنى بها (ويخفى بعد الشهرة) لان اول درجاته الزهد فى الدنيا فيبعد منها عن مالها وجاهها ورفعتها فيصير فى صورة الفقير وان كان غنيا بالله وفى صورة الذليل وان كان عزيزا بمولاه وخفيا بين الناس وان كان مشهورا ٥ عند الملائكة ومن والاه ففى الحقيقة هو الغنى بعد الفقر والعزيز بعد الذل والمشهور عند الله وملائكته بعد الخفاء وذلك ببركة صدقه فى سلوكه (وعلامة الصوفى الكاذب ان يستغنى بالدنيا بعد الفقر) منها (ويعز بعد الذل) بالفقر منها (ويشتهر بعد الخفاء) لانه يتزيا بزى الصوفية لينال بعض الدنيا فيستغنى بها وان كان فقيرا قبل ويعز عند أهل الدنيا على من لا يعرف حقيقة امره ويتوهم صدقه فى حاله ويشتهر بين الناس وان كان مختفيا قبل لمحبته للشهرة والتعرض لاسبابها (وسئل عمرو ابن عثمان المكى عن التصوف فقال) هو (ان يكون العبد فى كل وقت) هو فيه مشتغلا (بما هو اولى به) عند الله (فى) ذلك (الوقت) فالصوفى من كان ملازما لما هو اولى به فى وقته من اعماله واخلاقه واحواله وسائر ما يتقرب به الى ربه (وقال محمد بن على القصاب التصوف اخلاق كريمة ظهرت فى زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام) اشار الى اول وقوع هذا الاسم لهذه الطائفة بان رجلا قد كمل الله اخلاقه الجيدة واقتدت به طائفة فسموا الحالة التى هم عليها التصوف وانفسهم صوفية ثم صار هذا الاسم فى الناس المتصفين بصفتهم بعدهم (وسئل سمنون عن التصوف فقال) هو (ان لا تملك شيأ) بان تتبرأ من الاملاك والدعاوى (و) ان (لا يملكك شئ) من الشهوات التى توقفك عن شغلك بمولاك فتكون عاملا متبرئا وتقدم نظيره فى الفقر (وسئل رويم عن التصوف فقال) هو (استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريده) تعالى بان تتمكن فى الرضا بما يرضاه الله تعالى من الافعال

فوا أسفى على فقد الكامل الكبير والتقى الحبر النحرير شعر

أتمنى على الزمان محالا * ان ترى مقلتاى طلعة حر

(قوله وان لم يدم له ذلك) أى لانه لا دوام له على حال ولا على مقام لاستمرار ترقيه يختص برحمته من يشاء (قوله علامة الصوفى الصادق الخ) محصله انه لا يتم له هذا الوصف الشريف الا بعد انخلاعه عن الدنيا وشهواتها وذلك بالزهد فيها من جهة المال والشهرة والرياسة وكل شاغل يشغل عن الحق بحيث لا يكون فيه متسع لغير حق ربه سبحانه وتعالى (قوله بعد الخفاء) أى باعتبار الملائكة أو باعتبار بعض البشر ممن نور الله بصائرهم أما بالنسبة له تعالى فلعل المراد به بعد العبد باعتبار أول أحواله عن درجة المقربين فتأمل (قوله وعلامة الصوفى الكاذب) أى الذى هو عرضة للهلاك ان يستغنى بالدنيا الخ أى وهذا مثل حال فقراء زماننا بل هم أسوأ من ذلك فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله فقال هو أن يكون العبد الخ) أقول هذا الذى ذكره عام فى أعمال القلوب والجوارح وفى الاحوال والمقامات (قوله مشتغلا بما هو أولى به) أى لان شأنه الدوام على البحث عن الافضل والاكمل مما يتوصل به الى مرضاة الرب تبارك وتعالى (قوله التصوف اخلاق كريمة) أى من حيث انها طريق الوصول الى الحق تعالى ظهرت فى زمان كريم أى اسعد الطالع فيه من رجل كريم أى من انسان سبقت له العناية من الحق تعالى بالكرامة حيث اختاره لها مع قوم كرام أى لحفظهم اياها عن الضياع (قوله اخلاق كريمة) أى كان يعفو عند القدرة ويحسن ولو لمن أساء اليه ولذا قيل اذا صحبت فتأدب مع المصحوب بالعلم وعامله بالعفو والحلم شعر

أخمد بحلمك ما يسديه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنى جانى

فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به * والاخذ بالعفو أحلى من جنى الجانى

فتدبر (قوله فقال هو ان لا تملك شيأ) أى اعترافا بحقيقة المالكية له تعالى وقوله وان لا يملكك شئ أى بعدم تعلق القلب بشئ ما من الحظوظ والعادات وهذا اشارة منه نفعنا الله ببركات علومه الى طلب التخلق بالمقامات كالزهد والورع والرضا فلا يقبل بقلبه الا على ربه (قوله فقال هو استرسال النفس الخ) أى وذلك بالفناء عن سائر مراداتها فى

(وسئل الجنيد عن التصوف فقال هو ان تكون مع الله تعالى) فى سائر اعمالك واخلاقك وأحوالك وغيرها (بلا علاقة) اى حظ من حب وسكون الى غيره بل ترى بجميع ما انت فيه فضلا من ربك عليك (سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهانى يقول سمعت ابا نصر السراج الطوسى يقول أخبرنى محمد بن الفضل قال) وفى نسخة يقول (سمعت على بن عبد الرحيم الواسطى يقول سمعت رويم ابن احمد البغدادى يقول التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك) اى تمسك العبد (بالفقر والافتقار الى الله والتحقق) اى الاتصاف (بالبذل والايثار) بما يملكه لرجاء نفعه عند مولاه (وترك التعرض والاختيار) بان يسلم ويفوض لله فى كل ما أجراه عليه وان خالف هواه (وقال معروف الكرخى التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق) لان من عرف الله وعلم أنه لا ضار ولا نافع ولا معطى ولا مانع غيره اشتغل ٦ بما يقربه اليه من الحقائق فيلزم من ذلك اعراضه عما فى أيدى الخلائق حتى لا يعتمد الا على الله يحكى ان وزير الملك وفقه الله فاعتزل صحبة الملك فاستحضره الملك وقال له متهددا اتفرمنى فقال نعم لانى وجدت خيرا منك فازداد الملك غيظا وقال من يكون خيرا منى قال من يطعمنى ولا يطعم وأنت ما لم تطعم لا تطعمنى ومن ينمنى ولا ينام وأنت ما لم تنم لا أقدر أن أنام ومن اذا تبت يعفو عنى وان كثرت ذنوبى وأنت اذا عصيتك أدنى معصية بادرت الى مؤاخذتى ومن اذا خدمته خدمنى الوجود كله وأنت اذا خدمتك أحتاج الى خدمة كل من ينسب اليك لئلا يؤذينى عندك فقال له الملك صدقت هو خير منى فالزم بابه واغتنم طاعته (وقال حمدون القصار) ان أردت ان تصحب أحدا (اصحب الصوفية فان للقبيح عندهم وجوها من المعاذير) فمن وقع فى زلل قدروا له المعاذير والتأويلات الحسنة وليس للحسن عندهم كبير موقع يعظمونك به فمن فعل اختيار به حسنا لم يمدحوه ولم يطروا عليه فيسلم من وقوعه فى العجب بنفسه لان من كان كاملا فى الخيرات اذا رأى من تخلق ببعض اخلاقه لا يمدحه كل المدح على ذلك لقلة ما ناله بالنسبة اليه (وسئل الخراز عن اهل التصوف فقال) هم (قوم اعطوا حتى بسطوا) اى والى عليهم الحق نعمه وخوارق عاداته حتى سكنوا اليه وانشرحت صدورهم لديه (ومنعوا) عن الالتفات الى غيره (حتى فقدوا) اى فنوا عن انفسهم فلم يلتفتوا اليها (ثم) لما كمل شغلهم به تعالى ولم يجدوا غاية مطلوبهم فيه (نودوا من اسرار) اى اسرارهم باشارات (قريبة) اى لطيفة معناها قولوا للناس (ألا فابكوا علينا) لعدم وجداننا ذلك (وقال الجنيد) التصوف عنوة (اى جد وتعب لا صلح) لاهله (فيها) مع انفسهم لكمال مجاهدتهم فى التخلى عن الرذائل والتحلى بالفضائل

مراداته تعالى (قوله فقال هو ان تكون مع الله الخ) محصله السعى مع الرب على طريق الموافقة برفض الاهواء والآراء والاختيارات والله أعلم (قوله التمسك الخ) يعنى انه يؤثر التقلل من الدنيا بحيث يكون دائم الافتقار الى المولى ويتحقق بالبذل والايثار مع التفويض والتسليم لفعل العليم الحكيم فحقه الاسترسال مع الحكم والقضاء والرضا بما يجريه الله من البلاء والنعماء (قوله وترك التعرض الخ) أى عملا بآية وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (قوله التصوف الاخذ بالحقائق) أى التمسك بها والعمل على مقتضاها وقوله واليأس الخ من عطف اللازم كما هو واضح (قوله لان من عرف الله) أى بما له من النعوت والصفات العلية (قوله ومن اذا خدمته) أى عبدته وأطعته على الوجه الذى يليق بكماله على حسب الطاقة وقوله خدمنى الوجود كله أى أطاعنى سائر الموجودات (قوله فقال له الملك صدقت) أى لما رأى من قوة حجته ووضوح أدلته (قوله فان للقبيح الخ) أى وذلك من شان الايمان الكامل (قوله وليس للحسن الخ) أى لحبهم فى الارشاد ودوام الاجتهاد وشهود الفضل لرب العباد (قوله ولم يطروا عليه) الاطراء هو المبالغة فى الثناء (قوله لقلة ما ناله الخ) أى ولتزيد رغبته فى الاعلى مما كسبه من الاخلاق الحميدة (قوله فقال هم قوم الخ) محصله انهم قد اجلسهم الحق على موائد كرمه حتى قنعوا ومنعوا عن الالتفات الى غيره التفاتا يوجب سكونا اليه ووقوفا معه فامتنعوا امتناعا اداهم الى فقدان نفوسهم وغيبتهم عنها ثم أشير اليهم فى سرائرهم ان يقولوا لغيرهم ألا فابكوا علينا لعدم وصولنا الى مقصودنا لاننا كلما وصلنا الى مقام قيل لنا بلسان الحال مطلوبكم امامكم اذ لا نهاية لكمالاته تعالى والله أعلم (قوله التصوف عنوة) أى وذلك لان الصوفى قائم على نفسه دائما بالمجاهدة لا يغفل عنها ولا يسمح لها بشئ من أعمالها الى حين وفاتها وهو من لا ينتقل عن الاخلاق الدنية الى المرضية الا بالجبر والقهر وهو من كانت احبراله قاهرة غير

(وقال ايضا هم) اى الصوفية (اهل بيت واحد لا يدخل فيهم غيرهم) لاتحاد مقصودهم ورفعة مرامهم فيما اتسموا به من صفاتهم واخلاقهم (وقال ايضا التصوف ذكر مع اجتماع) للهمة مع القلب لانه لا يحدث الذاكر نفسه بغير ما هو فيه لان الذاكر مع الغفلة مذموم لان العمل انما يصح بالنية (ووجد مع استماع) لان الوجد الصحيح ما كان عن سماع صحيح محرك للقلوب بان يكون سنده كتاب الله او سنة رسوله او نحوهما من المواعظ المؤثرة (وعمل مع اتباع) للسنة لان ٧ كل عمل او حال او مقام خلا عن اتباعها فهو معرض للابتداع فالصوفى من اجتمعت فيه هذه الاوصاف (وقال ايضا الصوفى كالارض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا كل مليح) فهو يطرح عليه كل قبيح اى مؤلم فى نفسه او ولده او ماله او نحوها فيتحمله ولا يخرج منه الا كل حسن من صفح او عفو او رضا بالقضاء او نحوها (وقال ايضا انه كالارض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شئ وكالقطر يسقى كل شئ) فهو كثير التحمل للاذى والنفع للورى وهذه بعض صفاته الجيدة والا فالصوفى كما مر من تخلى من الصفات الذميمة وتحلى بالجيدة (وقال ايضا اذا رايت الصوفى يعنى) بضم الياء وفتح النون (بظاهره) اى يهتم به (فاعلم ان باطنه خراب) لان ظاهره للخلق وباطنه للحق فمن اكثر عنايته بما يظهره للخلق ويثنون عليه به كان باطنه من مراقبة الله وكمال تقواه خرابا او قد يطلب الشرع الاعتناء بكمال الظاهر كما فى العيد والجمعة واقامة ابهة الدين فليس هو من ذلك لانه انما اعتنى به لمولاه لا لهواه (وقال سهل بن عبد الله الصوفى من يرى دمه هدرا) لو قتل فى سبيل الله او فيما هو فيه من الجد فى الخير (وملكه مباحا) بان يرى انه لا يملك شيأ ولا يضيفه الى نفسه اضافة تملك لا من مال ولا عمل ولا حال (وقال النورى نعت الصوفى السكون عند العدم والايثار عند الوجود) فلا يدخر شيأ فضلا عن حاجته وتقدم نظيره فى الفقر (وقال الكتانى التصوف خلق) بضم الخاء (فمن زاد عليك فى الخلق فقد زاد عليك فى الصفاء) والتصوف (وقال ابو على الروذبادى التصوف الاناخة) اى بروك العبد (على باب الحبيب وان طرد عنه) فانه حجاب بعده وغفلته عن مقامه الشريف

اختيارية فاشبهت العنوة لان ما يطرقه من المواهب تذعن لها نفسه جبرا بدون اختيار هذا وفى كل ذلك اشارة بالرد على من اعتزل اهل السنة وزعم ان هنالك حالة للعبد يسقط فيها عنه التكليف وذلك كفر والعياذ بالله تعالى (قوله اهل بيت واحد) اى لان التعارف قد سبق فى الظهور قبل الظهور ولذلك قوى ميل الخاطر للخاطر قبل الكلام وائتلاف الاجسام فافهم (قوله ذكر مع اجتماع) اى حضور قلب ومراقبة له تعالى والمراد بالذكر ما يشمل اللسانى والقلبى كما لا يخفى (قوله ووجد) اى زيادة اشواق صاحب الاستماع ماله شاهد من علم المتابعة (قوله فهو معرض للابتداع) اى وذلك غاية الشر والقبح (قوله يطرح عليها كل قبيح) المراد به غير الاثم للنفس ولو عبر بذلك لكان اولى (قوله والا فالصوفى كما مر الخ) انت خبير بانه لا يكون على النعت المذكور قبله الا اذا تخلى عن الذميمة وتحلى بالجيدة نعم قوله من تخلى الخ اعم فائدة (قوله يعنى بظاهره) اى يقصد بسبب تحسين ظاهره بدون شاهد علم المتابعة فاعلم ان باطنه خراب اى وذلك صحيح لانه متى اشتغل باصلاح ظاهره وتزيينه خوفا من النقص عند الخلق دل ذلك على قلة عمارة قلبه لانه لو كمل اشتغاله بالله تعالى لشغله ذلك عن الالتفات الى الخلق والله اعلم (قوله فاعلم ان باطنه خراب) اى لانه اما مراء او متشبع بما لم ينل وهو مندرج فى خبر ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه (قوله الصوفى من يرى دمه هدرا) اى لانه قد جاد بنفسه ان تفنى فى مرضاة ربه سبحانه وتعالى بل ربما يغفل عنها بالكلية فلا يرى لها وجودا ولا عدما (قوله نعت الصوفى السكون عند العدم) اى طمأنينة القلب رضا وتسليما لما يجريه الحق تعالى وقوله والايثار اى شانه تقديم الغير على نفسه ولو كان به خصاصة (قوله السكون عند العدم) اقول اكمل من ذلك الشكر عند العدم والايثار عند الوجود كما لا يخفى (قوله فلا يدخر شيأ) اى فاضلا عن حاجته بل ربما يؤثر بما يحتاج اليه (قوله التصوف خلق) اى تخلق بالاخلاق الجميلة او التخلق صار سجية له مبالغة (قوله التصوف الاناخة الخ) محصله انه المبادرة الى التوبة ان طرقه زلل وملازمة الاعمال من غير فتور ولا خلل والدؤب فى الطلب فكم من ذنب كان سببا للسعادة وكم من حجب اعقبه كمال الكشف والزيادة فالله تعالى ييسر علينا وعلى اخواننا الاعمال الصالحة ويجنبنا واياهم الآفات المفسدة (قوله الاناخة على باب الحبيب) اى

(وقال ايضا صفوة القرب) وهي لذة العبد بطاعة الله ودوام مراقبته لمولاه تكون (بعد كدورة البعد) وهي جد في الطاعات ومعالجة اخلاقه الذميمة لينتقل منها الى الحميدة (وقال ايضا اقبح من كل قبيح صوفي شحيح) لان شحه بالدنيا دليل على حبه لها وشحه باعمال الآخرة دليل على قلة رغبته فيها (وقيل التصوف كف فارغ وقلب طيب) لان ذلك يدل على كمال زهده وتوكله ورضاه بما يجري له من مولاه (وقال الشبلي التصوف الجلوس مع الله بلاهم) وهذا قريب مما قبله لان من قوي زهده وتوكله ورضاه كان مع الله بلاهم في أمر آخرته ودنياه ٨ لعلمه بحسن اختيار ربه له مما يراه (وقال أبو منصور الصوفي هو المشير عن الله تعالى) لما ناله من الفوائد والالطاف ودوام نظره الى ربه بعد تخلصه من نفسه (فان الخلق) المستقيمين (أشاروا الى الله) وطلبوا منه العون على ما هم بصدده من حمل انفسهم على استقامتها ونقلها عن عوائدها الذميمة وندمهم على ما كان منها من التقصير وذلك لان كل قلب تكون اشارته بما غلب عليه وعنه يعبر لسانه فمن كان دأبه النظر الى الله لشغله به فهو الصوفي العارف به ومن كان مع الحق وتدبير نفسه ونقلها عن عوائدها الذميمة فهو يكابد نفسه ويشير الى ربه ويسأله العون عليها وعلى استقامتها وهذا حال اكثر الخلق المستقيمين ولذلك قيل العارف يشم منه المسك والعنبر والزاهد يشم منه الخل والخردل وذلك لان العارف اكثر اشاراته لما ناله من الفوائد والالطاف وبكلامه وسماع أحواله مع الحق توجد الراحات والزاهد اكثر كلامه في عيوب النفس وآفاتها وطرق مجاهداتها في نقلها عن سوء عادتها وهذا مؤلم للنفوس (وقال الشبلي الصوفي منقطع عن الخلق متصل بالحق) بان غلب ذكره على قلبه وكمل اشتغاله بربه حتى أنساه ذلك نفسه فضلا عن غيره (كقوله تعالى) لموسى عليه الصلاة والسلام (واصطنعتك لنفسي) أي اختصصته بخصائص قربه بحيث (قطعه عن كل غير) لما وصل الى هذه الدرجة الرفيعة واشتاق لرؤيته وسأل فيها بقوله رب أرني أنظر اليك (ثم قال له لن تراني)

أأثر

بملازمة الطاعة والجد في العبادة وان وقع له فتور اخذ في اسباب ازالته فالصوفي على الحقيقة هو من لا يعتمد على الموافقات ولا يقنط عند صدور المخالفات بل علة طاعته المحبة والامتثال ومشهده الجلال والجمال وذلك لما علم من ان الذنب قد يكون سبب السعادة والطاعة قد يعقبه كمال الكشف والزيادة وان الاعتبار انما هو بما قسمه الحكيم والحال وان صفا يقبل التغيير والتبديل (قوله صفوة القرب الخ) ظاهره ولو كانت الكدورة من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين فيشمل البعد حقيقة والبعد النسبي (قوله بعد كدورة البعد) لعله بالنسبة للمريدين والا فقد لا تسبق كدورة اصلا بالعصمة او بالحفظ (قوله صوفي شحيح) اى شحيح بكسبه أو بنفسه فالآخذ بالتصوف يلزمه الجود بالمال والنفس طلبا لمرضاة الحق تعالى فاذا كان شحيحا بهما دل ذلك على غاية قبحه حيث أظهر خلاف ما أبطن فكان منه لسان الحال ينادي ببهتان المقال (قوله وقيل التصوف كف فارغ) المراد عدم تعلق القلب بشيء سواه تعالى وان لابس المال من وجهه وأخرجه على وجهه وقوله وقلب طيب أي متجرد من الاخلاق الذميمة متحل بالحميدة (قوله التصوف الجلوس مع الله الخ) المراد ملازمة الطاعة ابتغاء وجهه تعالى محبة واجلالا (قوله الصوفي هو المشير عن الله تعالى) أي بواسطة زيادة أنوار قلبه وتكرر واردات فكره فهو من صفا قلبه ورقت زجاجة سره لا يحرك لسانه الا بعد استفسار سره فكان ممن عنى سيد الكائنات بقوله استفت قلبك (قوله أشاروا الى الله) أي عولوا في كل أمورهم عليه (قوله وعنه يعبر لسانه) أى لانه يترجم عما أودعه الله في السرائر (قوله فمن كان دأبه النظر الخ) الغرض الفرق بين العارف المشير عن الله والمستقيم المشير اليه وان الاول أشرف مقاما من الثاني (قوله ولذلك قيل العارف الخ) أقول العارف المذكور يناسب حاله المتوسطين في السير والزاهد يناسب حاله المبتدين فيه وذلك لكون العارف دائما في مقام البسط بالانس والزاهد في مقام القبض في النفس تدبر تفهم والله أعلم (قوله الصوفي منقطع عن الخلق) أى منقطع عنهم بقلبه وان خالطهم بجسمه ثم ويؤيده انه طال صمت حكيم فقيل له الصمت ذميم فاعتذر عن حاله بحكمة قاله شعر

قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم * ما طول صمتي من عي ولا خرس

كالافى تحريك الشوق ودوام القلق (وقال) أيضا (الصوفية اطفال فى حجر الحق) أى فقراء عاجزون تركوا النظر لانفسهم وسلموا أمرهم لباريهم يربيهم بلطفه ويتحفهم بيره (وقال) أيضا (التصوف برقة محرقة) من حيث ان الصوفى لما فرغ من مجاهداته صار قلبه محلا لطروق الاحوال فهو فى دوام الخوف والقلق بحسب ما يطرق قلبه من الحق ويفشيه فيه من الاحوال الغالبة (وقال أيضا هو) أى التصوف (العصمة) أى عصمة العبد (عن رؤية الكون) اى العالم المشاهد بان يحفظه الله عن رؤية ذلك رؤية استحسان له ومحبة وسكون اليه لارؤية علم (وقال رويم لازالت الصوفية بخير ما تنافروا) بان ينبه بعضهم بعضا على نقصه ويحركه عند غفلته بحيث ينفر عنه لذلك (فاذا اصطلحوا) واستمروا على ما عليه اكثر الخلق من الفتور والكسل (فلا خير فيهم) بل يفسد حالهم وكانوا أهل صلح على دخل (وقال الجريرى التصوف مراقبة الاحوال ولزوم الادب) لان السالك مبتدئ ومنته فالمبتدئ يراقب أعماله لتقع على وجهها والمنتهى صار شغله المراقبة لاحوال قلبه التى يفتنها الحق فيه من الطرب والهرب والهيب والمحبة والشوق وغيرها من أحوال قلبه فهو يتأدب فى كل حال مع ربه بما يليق به (وقال المزين التصوف الانقياد للحق) أى سرعة قبول العبد له والرجوع اليه وتحمل أعبائه من غير كائنة (وقال أبو تراب النخشبى الصوفى لايكدره شئ ويصفو به كل شئ) لانه لا اثر فى قلبه للدنيا التى اكثر الكدر منها واحوال الآخرة لاكدر فيها وان

٢ شج ع منعه ربه فى بعض الاوقات مما تعلق قلبه به من الخيرات فرضاه باختيار مولاه يزيل عنه المؤلمات ورؤيته وكلامه يزيلان ما اعن غيره ويخففان عنه ما يبتلى به (وقيل الصوفى لايتعبه طلب) لان محبته لربه تحمله على الطلب والعمل له (ولا يزعجه سبب) لعلمه بحسن اختيار الله له ذلك فعلمه بذلك يريحه من الفكرة والانزعاج عند تغير الاسباب (سمعت اباحاتم السجستانى يقول سمعت ابانصر السراج يقول سئل ذو النون عن اهل التصوف

أأنثر الدر فيمن ليس يعرفه * أم انثر البزبين العمى فى الغلس

(قوله كالافى تحريك الشوق) أشار بذلك الى ان منعه لم يكن حرمانا بل لاجل زيادة الترقى بملازمة باب العطاء والمكارم الالهية وهو فى غاية الحسن (قوله الصوفية اطفال فى حجر الحق) أقول وان كان المعنى الذى ذكره الشارح مقبولا غيرانه فى التعبير هجوم بالنسبة لمن قصرت منه الفهوم (قوله التصوف برقة محرقة) يحتمل ان المعنى على ما قاله الشارح ويحتمل انه عبارة عن نيران أشواقه بسبب لذة قربه بطاعته ومناجاته (قوله فهو فى دوام الخوف) أى الخوف من السقوط عما وصل اليه من المقامات (قوله هو العصمة) أى الحفظ من رؤية الكون على معنى ان قلبه ارتحل عنه بالتوجه الى مكونه بحيث لم يبق فيه متسع الى الالتفات لغيره (قوله أى العالم المشاهد الخ) انما اقتصر عليه لان الفتنة غالبا تكون به من جهة الاعتماد والاستناد والا فالمراد الحفظ عما غاب وحضر كما لايخفى (قوله لارؤية علم) أى لان رؤيته له من جهة العلم أمر لازم ونعت حق اذ هو من طرق الوصول اليه تعالى (قوله لازالت الصوفية بخير الخ) مراده انهم دائما فى الارشاد وتنبيه المقصر فاذا افترقوا عن ذلك فقد خرجوا عن معنى التصوف (قوله وكانوا أهل صلح على دخل) أى دخل بالغش والخيانة بعدم النصيحة (قوله لان السالك مبتدئ الخ) ذكره تكميلا للفائدة والا فالقصد المنتهى اذ هو من يراعى أحوال القلوب ثم يقال ان له مراعاة أحوال كذلك على حسبه (قوله من الطرب الخ) اى فهو دائما بين الرجاء والخوف يتقلب بينهما (قوله وتحمل اعبائه) اى مشاقه وذلك بالنسبة لغيره كما يفيده قوله من غير كائنة (قوله الصوفى لايكدره شئ) اى لانه لامحل فيه للكدر ولا غيره لفنائه عن نفسه وهو غير بعيد فقد قيل لما شهدا اهل النقول ماوراء العقول قالوا ليس هذا فى الاسفار فانشدهم العارف حكمة الاشعار جاء الشريعة تنفيذ أقوالها بالاحكام وجاء الحقيقة صولة اهلها بالحال على الحكام (شعر)

تركت اساطيرا تنم لمن وشى * بما قلته عنه وتشهد بالزور

يؤولها الواشى بما لا اريده * وتظهر دعواه بظاهر مسطور

(قوله ويصفو به كل شئ) أى وذلك لان رؤيته تشرق فى اعين بصائر القلوب الانوار ومراقبة اقواله واحواله تدل على الواحد القهار (قوله الصوفى لايتعبه طلب) اى

فقال هم قوم آثروا الله عز وجل على كل شئ فآثرهم على كل شئ) لان التصوف ايثار المعبد ربه على غيره حتى على نفسه فمن آثره على غيره آثره الله على غيره ووضع درجته عليه (وقال الواسطى رحمه الله كان للقوم) فيما مضى لكمال قوتهم مع الله فى تحملهم وثبوتهم لما يطرقهم من الاحوال الشريفة (اشارات) يفهمها عنهم من دونهم فلا يلومهم غيرهم لكمال ادبهم (ثم) نزلوا عنها حتى (صارت حركات) على الجوارح لضعف قوتهم عن حمل ما يرد عليهم (ثم) نزلوا عنها كذلك بحيث (لم يبق) لهم فى قلوبهم (الا حسرات على ما كان يفهم من تلك الاشارات ١٠ (وسئل النورى عن الصوفى فقال) هو (من سمع السماع) المؤثر فى القلوب من المواعظ (وآثر الاسباب) التى توصله الى مطلوبه ولازمها واعرض عما يشغله عنها والاسباب هى فعل المأمورات وترك المنهيات (سمعت أبا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج يقول قلت للحصرى من الصوفى عندك فقال) هو (الذى لا تقله الارض) أى لا تطيق حمله (ولا تظله السماء قال الاستاذ أبو القاسم) القشيرى رحمه الله (انما أشار) بذلك (الى حال المحو) بل والى حال الصحو أيضا أما الى المحو فلان من كمل شغله بالله حتى نسى نفسه غفل عن السماء والارض بالاولى فيكون محوه أى محو ذكرهما عن قلبه غفلته عن كون الارض حاملة والسماء مظلة وأما الى حال الصحو فلان من علم ان الارض من حيث انها ارض لا تقله وان السماء من حيث انها سماء لا تظله وانما يقله ويظله ربه لا يسكن الا اليه لا الى أرض تقله ولا الى سماء تظله (وقيل الصوفى من اذا استقبله حالان أو خلقان) بضم الخاء (كلاهما حسن كان مع الاحسن منهما) لان الصوفى من يشتغل بافضل الامور وأقربها بل الى محبة الله تعالى (وسئل الشبلى لم سموا بهذه التسمية) أى بهذا الاسم وهو الصوفية (فقال لبقية بقيت عليهم من نفوسهم) وهى التفاتهم اليها (ولولا ذلك لما تعلقت بهم تسمية) بذلك فيه دلالة على ان من كمل اشتغاله بالله بحيث اعرض عن غيره حتى عن نفسه لا يتعلق به تسمية بذلك بل ولا بغيره لعدم ظهور أثره (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت ابا نصر السراج يقول سمعت ابن الجلاء يقول ما معنى قولهم صوفى فقال ليس نعرفه) اى لا نعرف له معنى (فى شرط العلم) يعنى يدل عليه العلم ويقتضيه

مطالبة القيام على نفسه باداء ما طلب منه وجوبا أو ندبا محبة له تعالى واجلالا وقوله ولا يزعجه سبب اى لرضاه بما يجريه الحق تعالى وان لم يلائم مراده (قوله فقال هم قوم آثروا الله تعالى الخ) اى آثروا ما يحبه ويرضاه على كل شئ سوى ذلك (قوله آثره الله على غيره) أى لان الجزاء من جنس العمل (قوله كان للقوم الخ) الغرض من ذلك بيان القوة والضعف بسبب تأخر الزمان (قوله اشارات الخ) أى وتلك الاشارات بحسب ما يرون من قوة السامعين وقابليتهم (قوله حتى صارت حركات) اى مجردة عن الاحوال الماطرأ على قلوبهم من المشغلات وضعفوا عن كتم الاسرار (قوله ثم لم يبق الاحسرات) أقول متوسلا بالرسول أسأل الله العظيم ببركة الرسول الكريم ان يديم هذه الحسرات حيث هى من امارة السعادات (قوله فقال هو من سمع السماع الخ) اقول ليس السماع بالاسماع انما السماع بالقلوب من عالم الغيوب صاحب البداية يطلب سماع الحادى ليسكن الاشواق وصاحب النهاية مطمئن بحضرة التلاق (شعر)

مازلت اسمع حاديكم بشوقنا * حتى التقينا فلا شوق ولا حادى

فحكمة الكون بيت نغمة الصدى ما قلته رده عليك ومرآة يتجلى فيها ما بدا من وصفك اليك فافهم (قوله من سمع السماع الخ) أقول وذلك من خلق المريدين لسائرين اليه تعالى كما هو ظاهر (قوله الى حال المحو الخ) اعلم ان حال الصحو اكمل من حال المحو لانه حاله صلى الله عليه وسلم وحال خلفائه بعده رضوان الله تعالى عليهم (قوله من حيث انها أرض) اى مع قطع النظر عن المدد الالهى وكذا يقال فيما بعده (قوله كان مع الاحسن منهما) اى لان رغبته فى التمسك باقوى الاسباب الموصلة للحق تعالى (قوله لم سموا بهذه التسمية) اى والاسم يدل على وجود المسمى ومن شغلته الحقائق لا اسم ولا رسم له (قوله فقال لبقية بقيت عليهم) منه يعلم ان من لم تبق عليه هذه البقية لا يسمى صوفيا وذلك لغاية خفائه (قوله اى لا نعرف له معنى) اى معنى يؤخذ من مادة الاشتقاق على ما تقدم له فى نظيره لعدم صحة الاشتقاق هذا ما يفهم من كلام الشارح والظاهر ان معنى قوله ليس نعرفه نفى معرفته بالشخص لابتناء أمر الصوفى على اخفاء حركاته وسكناته

(ولكن نعرف ان من كان فقيرا مجردا من الاسباب وكان مع الله بلا مكان) اى مشتغلا بالله منزها له عن المكان (ولا يمنعه الحق سبحانه عن علم كل مكان) يعنى ولا يغفل عن الله فى كل حالة من الحالات ولا مكان من الامكنة (يسمى صوفيا وقال بعضهم التصوف اسقاط الجاه وسواد الوجه فى الدنيا والآخرة) الحاصل برد من سأل فى حاجة بغير قضائها الا من مضى فى حاجة ولم تقض يقول اسود وجهى فالصوفى يرضى بأن لا تقضى له حاجة فى الدنيا ولا فى الآخرة 11 مما يتعلق بنفسه وجوارحه وثواب اعماله

بل على اخفاء ذاته غيرا تما نعرفه بالوصف والنعت تدبر المقام والسلام. (قوله ولكن نعرف الخ) اى فهو من اذا تكدرت رقة ليست صفاته فهو فى الصفاء قد تخلص من الجفاء بل هو من آثر الاشتقاء فليس خلعة الاصطفاء فليس هو من لبس الصوف وادعى ولحقوق الشريعة تعاطى فالتصوف هداية وبعد عن الغواية فهو عالم عامل مطهر سالك مجذوب منور والحاصل ان الناس تنازعوا فى الصوفى واختلفوا فيه فكل قد قال على حسب شربه (شعر)

ولست أمنح هذا الاسم غير فتى * صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

أقول ومن آدابه القبض لشهود الجلال والبسط لمشاهدة الجمال ولهذا تراه يطير بجناحى الخوف والرجاء على صراط الاستقامة بالتضرع والالتجاء (قوله مجردا من الاسباب) أى مجردا من اعتمادها والوقوف معها وان أخذ بها امتثالا وعبودية بشاهد العلم (قوله التصوف اسقاط الجاه) محصله انه التجرد عن سائر العادات من حيث ميل النفس اليها فناء فى مراد الحق تعالى (قوله يرضى بان لا تقضى له حاجة) أى من حيث حظ نفسه منها لا مطلق حاجة ولو كانت بشاهد العلم كما لا يخفى على من له ذوق واطلاع (قوله وثواب اعماله) أى من حيث ما فيها من حظ النفس لا باعتبار انها تقرب منزلته من رحمة ربه فلا مانع حينئذ من التعلق بها من هذه الحيثية (قوله حال يضمحل الخ) أى لما يلزمه من الفناء عن العادات والمألوفات التى تخص البشر (قوله معالم الانسانية) أى مما جبلت عليه النفوس البشرية (قوله الصوفى من يكون مع الواردات) اى وان كان لا يقف معها وقوف اعتماد وسكون واستحسان طلبا للمقصود وهو الحق سبحانه وتعالى (قوله ويتلون بسببها) أى ولذلك تجده لا دوام له على حال من الاحوال الشريفة (قوله كنس الله بارواحهم الخ) المراد تخليصهم من رعونات النفوس حتى تهذبوا غاية التهذيب وذلوا لله تعالى غاية الذلة (قوله لان العبد اذا عرف قدر نفسه فى اطواره) أى فى احواله الوجودية والعدمية ابتداء وانتهاء من كونه ماء قذرا ثم علقة ثم مضغة ثم صورة مصورة ثم بعد استيفاء ما قدر له من الاجل والرزق يصير عدما محضا (قوله لم ينظر كلب اليها) أى بواسطة قوة الحجاب الذى بينه وبينها (قوله التصوف الاعراض الخ) أى البعد عن الاعتراض على الاقدار بمعنى الاشياء المقدورة والا كان من قبيل صريح الكفر والعياذ بالله تعالى (قوله على الاقدار الجارية) أى المقدرات التى لا تلائم حظ

اى لا يكون له حظ سوى ربه وان كان جزاء الآخرة لا بد منه فلا يعمل عليه ولا هو الحامل له على طاعته (وقال أبو يعقوب المزابلى التصوف حال يضمحل) اى يذهب (فيها معالم الانسانية) بأن يكمل استغراق صاحبه بالله بحيث يغفل عن غيره حتى عن نفسه (وقال ابو الحسن السيروانى الصوفى من يكون مع الواردات لا مع الاوراد) لان الاوراد للمبتدى حتى يتعود الخير ويتلذذ به ويتنعم بالمناجاة فاذا وصل الى هذه الاحوال وردت على قلبه واردات كالقبض والبسط وغيرهما من الواردات التى ينشئها الحق تعالى فى قلبه ويتلون بسببها (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول احسن ما قيل فى هذا الباب) ى باب التصوف (قول من قال هذا طريق لا يصلح الا لاقوام قد كنس الله بارواحهم المزابل) لانتفاء جميع المشغلات من الشهوات عنهم بمعرفتهم قدر نفوسهم لان العبد اذا عرف قدر نفسه فى اطواره ذلت نفسه وصغرت عنده وسلم من عجبه وكبره وبهذا سهل

عليه ان يكنس به المزابل ويرمى للكلاب (ولهذا قال رحمه الله يوما ولو لم يكن للفقير الا روح فعرضها على كلاب هذا الباب) يعنى مبغضى هذه الطائفة (لم ينظر كلب اليها) نظر استحسان لسترحالها عنهم وحقارتها عندهم (وقال الاستاذ ابو سهل الصعلوكى التصوف الاعراض عن الاعتراض) على الاقدار الجارية على خلاف المحبة بالاختيار فالصوفى لا يلتفت اليها ويعرض عنها علما منه بان الحق تعالى ارحم به واعلم بمصلحته (وقال الحصرى الصوفى لا يوجد بعد عدمه ولا يعدم بعد وجوده قال الاستاذ القشيرى

وهذا فيه اشكال) وقلق (و) الذى يظهران (معنى قوله لا يوجد بعد عدمه اى اذا ثبت آفاته) من شهواته وعاداته الحقيرة ورزقه الله بدلها التنعم بقربه واللذة بمناجاته والاطلاع على غرائب كراماته (لا تعود تلك الآفات) اليه لكمال شغله بما رزقه من المقامات الشريفة (وقوله ولا يعدم بعد وجوده يعنى اذا استقبل بالحق) ورزق تلك المقامات الشريفة (لم يسقط) عنها (بسقوط الخلق) فلا يعدمه الحق عنها بعد أن اوجده بها (فالحادثات) من شهواته (لا تؤثر فيه) لبعده عنها بشغله بربه (ويقال الصوفى) هو (المصطلم) اى المستغرق (عنه) اى عن نفسه فضلا عن غيرها من الخلق (بما لاح له من الحق) اى حال الصوفى الاستغراق فيما هو فيه من الحق عن رجوعه الى آثار نفسه وتدبير امره فهو مستغرق فى الله يجرى عليه ألطافه وكراماته (ويقال الصوفى مقهور بتصريف الربوبية) بخلقه وتدبيره تعالى اذ لا خالق ولا مدبر لكل شئ الا هو (مستور بتصرف العبودية) بالكسب لانه مضاف الى العبد كما قال تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت انما تجزون ما كنتم تعملون ففى هذا القول سلامة من الوقوع فى القدر والجبر المحذورين لان من قال بالقدر أثبت فاعلا غير الله ومن قال بالجبر نفى ما أثبتته الشريعة من أن للعبد قدرة وكسبا (ويقال الصوفى لا يتغير) بما يطرقه من الاحوال وتغير الارزاق لان الصوفى من كملت معرفته بالله وأنه لا فاعل سواه فهو راض بما يجريه عليه مولاه فلا يتغير بذلك (فان تغير) بان غلبه امر (لا يتكدر) به لا يدوم تغيره به بل يرجع الى ربه بسرعة لان التغير اليسير يزول بالماء الكثير بسرعة بخلاف التغير الكثير وهكذا قلب الصوفى طيب مع الله راض بما يجريه عليه وان خالف هواه فاذا طرقه أمر غيره عن حاله رجع الى ربه بفقره وذلته فزال تغيره ولو غفل عن الرجوع اليه وتمادى فى غفلته تكدر قلبه وربما سقط فى زلله وسخط قدر ربه نعوذ بالله من بعده وحجبه (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت الحسين بن احمد الرازى يقول سمعت ابا بكر المصرى يقول سمعت الخراز يقول كنت فى جامع قيروان يوم الجمعة فرأيت رجلا يدور فى الصف ويقول تصدقوا على) هذا يجرى بحسب غلبة الاحوال فى السؤال فمن الناس من اذا نزل عن مقامه تضرع بقلبه لربه ومنهم من يزيد امره فيدعو بلسانه ومنهم من يزيد أمره فيظهر المسكنة والتذلل ويصرح بفقره فهذا الصوفى لما تغير حاله داوى نفسه فاتى الى مجمع اهل الخير لانه لا يخلو من حضور ولى فصار يمشى بين الصفوف ويقول تصدقوا على (فقد كنت صوفيا فضعفت) وهو متذلل منكسر راج دعوة يستجيبها فيه ممن قربه مولاه (فرفقته بشئ) دفعته له (فقال لى مر) اى جاوزنى (ويلك ليس هذا من ذلك) اى ما هذا اريد (ولم يقبل الرفق) فهو فى الظاهر سائل متذلل بين الخلق وهو فى الباطن مع الحق *(باب)*

(قوله فيه اشكال) أى خفاء وقلق اى قلاقة وعدم وضوح (قوله لا تعود تلك الآفات الخ) أى وعدم عودها فضلا من الله تعالى ورحمة وجريا على عادته تعالى فمن اشتغل به حتى فنى عما سواه ان لا يسلبه ما انعم به عليه (قوله يعنى اذا استقبل بالحق الخ) لا يخفى عليك حينئذ انه من عطف اللازم على الملزوم (قوله لا تؤثر فيه) أى لانه مشغول به تعالى والمشغول لا يشغل (قوله ويقال الصوفى هو المصطلم) اى المأخوذ عن الشعور بواسطة طوارق الواردات ولامعات أنوار الاسرار فلم يبق له بقية احساس ولا المام بما عليه كثير من الناس (قوله ويقال الصوفى مقهور الخ) أى وقهره لاجل شهوده طريق جبر الربوبية عقدا وتصميما وخلقا باطنا وربما ظهر عليه ذلك غلبة واضطرارا اذ هو فى غالب أحواله مستور بتصرف العبودية لا تظهر عليه خصوصية مع انه فى الحقيقة يشهد الامر من الله والى الله تعالى (قوله مستور بتصرف العبودية) أى فهو يذهب الى الكسب والاضافة رجوعا شاهدا علم الظاهر فيلتبس حاله حينئذ بحال العامة من الناس (قوله أثبت فاعلا غير الله) أى أثبته لزوما لا حقيقة ومثل ذلك يقال فى قوله نفى ما اثبتته الشريعة (قوله بل يرجع الى ربه بسرعة) أى لما ثبت فى الخبر من ان المؤمن مفتن تواب (قوله وسخط قدر ربه) أى حيث لم يرض بمقدورات الحق تعالى (قوله كنت فى جامع قيروان الخ) فيه تنبيه على كمال محبة هذا الفقير حيث غلبته الاشواق وزيادة ألم الفراق حتى نادى بذلك على نفسه واستدعى أبناء جنسه (قوله فضعفت) لعله بسبب نوع من التقصير قدره عليه الحكيم الخبير

(باب الادب)

(أقول) هو منحصر فى خمسة * أولها حفظ الحرمة مع الله تعالى ومع من له نسبة فى جانب الله من رسول أو نبى أو ولى او عالم أو غيرهم حتى من عوام المؤمنين * الثانى علو الهمة فى الدين والدنيا بحيث لا يكون له تعلق بشئ من النقائص لا ظاهرا ولا باطنا وما جرى عليه من ذلك بالقضاء الازلى بادره بالتوبة * الثالث حسن الخدمة بلزوم الاتباع وترك الابتداع والتبرى من الحول والقوة فى كل أمر * الرابع نفوذ العزيمة بحيث لا يسمح لنفسه فى حل عزيمة ولا يتراخى فى محل التشمير ولا يركن لوطن التقصير * الخامس شكر النعمة وأصله شهود المنة لله تعالى وهو مبنى على خالص التوحيد وخالص الايمان ولكل واحد مما ذكر عند الاخلال به عقوبة تخصه اما بالعذاب أو بسدل الحجاب أو بالصرف عن مواقف الاحباب هذا وقال بعضهم لكل وقت ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم أدب الاوقات بلغ مبالغ الرجال ومن ضيع الادب فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يظن القبول فالزم الادب ظاهرا وباطنا فما أساء أحد الادب فى الظاهر الا عوقب فى الظاهر وما أساء أحد الادب فى الباطن الا عوقب فى الباطن على ان مراعاة ادب الباطن اوجب من مراعاة أدب الظاهر لان الظاهر للخلق والباطن للخالق والجمع بينهما هو الكمال والسعادة الابدية وصفة أدب الباطن اخلاصه بالتوكل على المولى سبحانه وتعالى والخوف منه والرجاء فيه وحمل القلب على مر الصبر وسلامة الصدر وحسن الظن بالرب وبالاخوان المؤمنين والاهتمام بأمورهم فاذا تحلى بكل ذلك كان من الموقنين وسبب ترك الادب الاغترار بثلاث اغتراره بظاهر ما يجرى عليه من امداده وحسن ظنه بنفسه فى حاله ونصرة غلطها بفتح باب التأويل وذلك من الرضا عنها او السكون اليها او نسيان خوف المكر بها فى عموم أحواله * واعلم ان الادب اسم جامع لحقائق الخيرات وأنواع المبرات وأصناف الحسنات ومع ذلك فهو مختلف باختلاف هم المتأدبين فهو بالنسبة للمريدين ممن قوى منهم اليقين رياضة النفوس بنور المتابعات وتأديب الجوارح بحفظ الحدود وترك أنواع الشهوات وبالنسبة لاهل الحقائق والعارفين ممن ترقت همتهم عن العالمين فهو باشتغالهم بطهارة القلوب ومراعاة السرائر حتى يكاشفوا بما كنته الضمائر فهم رضى الله تعالى عنهم وقوف فى مواقف الطلب قد تنزهوا عن خطور خواطر العطب مع دوام حضور القلب فى كامل أوقات القرب رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا بفضله وكرمه (قوله هو ما يتولد من صفاء القلب) أى الناشئ عن عدم الالتفات الى كل شاغل يشغل عن الحق مع الجد فى السير على طريق السيد الكامل صلى الله عليه وسلم (قوله ووضع الاشياء موضعها) أى بشاهد علم الشريعة ونور واردات الحقيقة (قوله ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق) أى بان يكون معهم بجسمه وظاهره ومع الحق بسره وباطنه حتى يشهد حقائق الحقائق ويقطع كامل العلائق

(باب الادب)

هو ما يتولد من صفاء القلب وحضوره ويقال وضع الاشياء موضعها ويقال حسن معاملة ويتولد من الحب والهيبة والشفقة ويقال مجالسة الخلق على بساط الصدق ومطالعة الحقائق بقطع العلائق ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو ممدوح ومطلوب

(قوله مازاغ البصر) أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه وقوله وما طغى
اى وما تجاوز مع ما شاهد هنالك من الامور المذهلة مما لا يحصى بل اثبته اثباتا صحيحا
متقنا او ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (قوله
ولهذا قيل حفظ النبى بذلك) أى باشتغاله بمولاه وعدم التفاته الى ما سواه (قوله ومنها
جواب عيسى) أى ومن حفظ الادب جواب عيسى الخ (قوله أأنت قلت للناس
اتخذونى وأمى الهين) الاتخاذ ما متعد الى مفعولين فالهين ثانيهما واما الى واحد فهو
حال من المفعول وليس مدار أصل الكلام ان القول متيقن والاستفهام لتعيين القائل
كما هو المتبادر من ايلاء الهمزة المبتدا على الاستعمال القياسى وعليه قوله تعالى أأنت
فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم ونظائره بل على ان المتيقن هو الاتخاذ والاستفهام لتعيين
أنه بأمره عليه السلام أم من تلقاء أنفسهم كما فى قوله تعالى أأنتم أضللتم عبادى هؤلاء
أم هم ضلوا السبيل وقوله من دون الله متعلق بالاتخاذ ومحله النصب على انه حال من
فاعله أى متجاوزين الله او بمحذوف هو صفة لالهين أى كائنين من دونه تعالى وقوله قال
سبحانك استئناف مبنى على سؤال نشأ من صدر الكلام كأنه قيل ماذا يقول عيسى عليه
السلام حينئذ فقيل قال الخ وايثار صيغة الماضى لتحققه على ما تقدم مرارا فى مثل ذلك
وقوله سبحانك سبحان علم للتسبيح وانتصابه على المصدرية ولا يكاد يذكر ناصبه وفيه من
المبالغة فى التنزيه من حيث الاشتقاق من السبح الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض
ومن جهة النقل الى صيغة التفعيل ومن جهة العدول من المصدر الى الاسم الموضوع
له خاصة المشير الى الحقيقة الحاضرة فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل
ما لا يخفى أى أنزهك تنزيها لا أنزهك تنزيها لائقا بك من ان يقال ذلك فى حقك وقوله ما يكون لى أن
أقول ما ليس لى بحق استئناف مقرر للتنزيه ومبين للمنزه منه وما عبارة عن القول المذكور
ى ما يستقيم وما ينبغى لى ان أقول قولا لا يحق لى ان اقوله وايثار ليس على الفعل المنفى
لظهور دلالته على استمرار انتفاء الحقيقة وافادة التأكيد بما فى خبره من الباء فان اسمه
ضميره العائد الى ما وخبره بحق والجار والمجرور فيما بينهما للتبيين كما فى سقيا لك ونحوه وقوله
تعالى ان كنت قلته فقد علمته استئناف مقرر لعدم صدور القول عنه عليه الصلاة
والسلام بالطريق البرهانى فان صدوره عنه مستلزم لعلمه تعالى به قطعا فحيث انتفى علمه
تعالى بصدوره عنه انتفى ذلك الصدور حتما ضرورة ان عدم اللازم مستلزم لعدم
الملزوم وقوله تعلم ما فى نفسى استئناف جار مجرى التعليل لما قبله فكأنه قيل لانك تعلم
ما أخفيه فى نفسى فكيف بما أعلنه وقوله ولا أعلم ما فى نفسك بيان للواقع واظهار
لقصوره اى ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله فى نفسك للمشاكلة وقيل المراد
بالنفس الذات ونسبة المعلومات اليها لانها مرجع الصفات التى من جملتها العلم المتعلق
بها وقوله انك انت علام الغيوب تعليل لمضمون الجملتين منطوقا ومفهوما والله اعلم

(قال الله عز وجل مازاغ البصر) أى من النبى صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى وما مال بصره عن مرتبه الفه ودله فلم يلتفت عنه ولهذا (قيل حفظ) النبى بذلك (آداب الحضرة) ومنها جواب عيسى عليه السلام لقول الحق تعالى له يوم القيامة أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله حيث لم يسرع فى الجواب بقوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به بل صدر الكلام بتنزيهه تعالى وباضافة علم ذلك اليه وبتنزيه نفسه عما أضيف اليه حفظا لشريف الآداب فقال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الخ ثم أجاب بقوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم

(وقال تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا جاء فى التفسير عن ابن عباس) ان معناه (فقهوهم وأدبوهم) بالعلم ونحوه ليصيروا متأدبين مع الحق والخلق (أخبرنا على بن احمد الاهوازى رحمه الله قال حدثنا ابو الحسن الصفار البصرى قال حدثنا هشام قال حدثنا عبد الصمد بن النعمان قال حدثنا عبد الملك بن الحسين عن عبد الملك بن عمير عن مصعب بن شيبة عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويحسن مرضعه ويحسن ادبه) لينتفع كل منهما بذلك (ويحكى عن سعيد بن المسيب انه قال من لم يعرف ما لله عز وجل) وما للخلق (عليه فى نفسه) من الحقوق التى لزمته (ولم يتأدب مع الله ومع خلقه (بامره ونهيه كان من الادب) النافع (فى عزلة) اذ لا حسن ولا قبح عند اهل الحق الا بما حسنه الشرع وقبحه فمن زعم ان ما يأتى به مما استحسنه برأيه ومال اليه بطبعه من الآداب النافعة فهو فى غلط عظيم وسئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق النبى صلى الله عليه وسلم فاشارت الى ما امره به ربه من قوله خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وكذلك لما جذبه الاعرابى بردائه حتى أثرت حاشية الرداء فى صفحة عنقه وقال له اعدل فانك لم تعدل فلم يلتفت لجهله وسوء معاملته وأجابه بقوله خبت وخسرت ان لم اعدل (وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل أدبنى فأحسن ادبى) وأثنى على بحسن الادب حيث قال ما زاغ البصر وما طغى وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى قيل معناه ان كمال النعم فى حسن الخلق وكمال الادب فى حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه (وحقيقة الادب اجتماع جميع خصال الخير) بأن يكمل فيها العبد قولا وفعلا وحالا وغيرها مما هو فيه مع ربه (فالاديب هو الذى اجتمع فيه خصال الخير ومنه) اى الآداب بمعنى اجتماع خصال الخير (أخذت المأدبة وهى اسم للمجمع) اى للاجتماع للطعام (سمعت الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله يقول العبد يصل بطاعته) من القيام بالمأمورات وبترك المنهيات (الى الجنة وبأدبه فى طاعته الى الله تعالى) اى يصل الى ذلك بطاعته وبأدبه عادة وبفضل ربه حقيقة (وسمعته ايضا يقول رأيت من اراد ان يمد يده فى الصلاة بين يدى الله الى انفه ليزيل ما به

(قوله جاء فى التفسير الخ) أفاد بذلك أن الادب المقصود النافع انما هو الادب المحمدى والخلق الاحمدى وان لم يكن بشاهد تحسين العقل (قوله ليصيروا متأدبين مع الحق والخلق) أى بالقيام بحق كل منهما (قوله أن يحسن اسمه) اى ويجتنب ما يكره شرعا كعبد النبى وعبد شمس وغير ذلك مما نص على كراهته وقوله ويحسن أدبه أى بتعليمه ما يحتاج اليه من علم الشرع وعلم الآلات وقوله ويحسن مرضعه أى ليطيب مغذاه ويحسن خلقه (قوله من لم يعرف ما لله الخ) أى وعدم معرفته بسبب تقصيره فى التعلم وقوله ولم يتأدب الخ اى وذلك يتحقق بعلمه وعمله بالمتابعة لسيد الكاملين عليه صلوات رب العالمين وهو من عطف اللازم (قوله اذ لا حسن الخ) اى ولذا قيل فى أصول الفقه لا حكم قبل الشرع (قوله فمن زعم) أى كأهل الضلال والباطل (قوله فاشارت الى ما أمره به ربه) اى فخلقه صلى الله عليه وسلم العمل بما أمره به ربه من العفو والامر بالمعروف من شريعته والاعراض عن الجاهلين فلا يعاملهم بجهلهم بل بمحاسن الاخلاق كالبشاشة والبذل والصفح عمن أساء منهم وغير ذلك (قوله خبت وخسرت) يصح قراءتهما بفتح التاء وضمها والفتح أولى كما لا يخفى (قوله فأحسن أدبى) أى أحكمه وأتقنه (قوله ما زاغ البصر وما طغى) اى بل دام على الاشتغال بالله والاعراض عما سواه مما يشغل عنه تعالى (قوله وكان من دعائه) أى عبودية وتشريعا والا فهو صلى الله عليه وسلم قد طبع على اكمل الاخلاق (قوله اللهم كما حسنت خلقى) بفتح فسكون اى كما حسنت صورتى الظاهرة فحسن خلقى بضم الخاء واللام وتسكن اللام تخفيفا وهو ما طبع عليه من مكارم الاخلاق صلوات الله وسلامه عليه (قوله جعل له واعظا من نفسه) واعلم ان مدار النفع دينا ودنيا على ذلك (قوله بان يكمل فيها العبد الخ) أى والكمال فى ذلك بصدق العمل به مع الاخلاص فيه لله تعالى وحده (قوله وبأدبه فى طاعته الى الله) أى بتأديتها على اكمل وجوهها مع الصدق والاخلاص فيها (قوله

فقبض على يده) بأن منعه من وصولها اليه حملا له على الادب مع الله تعالى فى صلاته (قال الاستاذ) الامام القشيرى (رحمه الله تعالى وانما أشار) ابو على (بذلك الى نفسه لانه لا يمكن الانسان ان يعرف من غيره أنه قبض على يده) الا باخبار الغير له بذلك بعد فراغه من الصلاة او فيها وهو ناس مع كونه رآه فيها رفع يده الى انفه ولم تصل اليه (وكان الاستاذ أبو على رحمه الله) اذا جلس لذكر او غيره (لا يستند الى شئ) مبالغة فى لزوم الادب فى جلوسه (وكان يوما فى مجمع) من الناس (فاردت ان أضع) له (وسادة خلف ظهره لانى رأيته غير مستند) الى شئ فوضعتها ١٦ (فتنحى عن الوسادة قليلا فتوهمت أنه توقى الوسادة لانه لم يكن عليه) الاولى عليها كما فى نسخة (خرقة او سجادة) بفتح السين فوضعت عليها ذلك (فقال لى (لا أريد الاستناد) الى شئ (فتأملت بعد حاله فكان لا يستند الى شئ) أدبا (سمعت اباحاتم السجستانى يقول سمعت ابانصر السراج يقول سمعت احمد بن محمد البصرى يقول سمعت الجلاجلى يقول التوحيد موجب يوجب الايمان) اى التصديق بما جاء به الكتاب والسنة لان من علم ان الله واحد فى ذاته وصفاته وافعاله صدق به قلبه ونطق به لسانه (فمن لا ايمان له لا توحيد له) لانتفاء الملزوم بانتفاء لازمه (والايمان موجب يوجب الشريعة) لان من آمن بالله وبرسوله تلقى ما فى كلامهما بالقبول وهو الشريعة (فمن لا شريعة له لا ايمان له ولا توحيد) له كذلك (والشريعة موجب يوجب الادب) لان من عرفها تخلق بها وتأدب بما فيها (فمن لا ادب له لا شريعة له ولا ايمان ولا توحيد) له كذلك (وقال ابن عطاء الادب الوقوف مع المحسنات فقيل) له (وما معناه فقال أن تعامل الله بالادب سرا وعلنا) اى فى أعمال قلبك وأعمال جوارحك فلا تتعاطى شيأ الا شهدت لك الشريعة بحسنه (فاذا كنت كذلك كنت اديبا وان كنت اعجميا ثم انشد اذا نطقت) اى المحبوبة (جاءت بكل ملاحة * وان سكتت جاءت بكل مليح) فمن لازم الآداب الشرعية حسنت حركته وسكونه وكلامه وسكوته (اخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله قال سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت عبد الله الجريرى يقول منذ عشرين سنة

فقبض على يده) اى حفظا لحاله اذ الرجوع عن الادب بعد التخلق به من وجوه ثلاثة صرفه عن التحقيق بما علم الى الاتساع فى علمه ومعارفه وابقاؤه فى حاله مع عدم الشعور بنقصه حتى لا تسمو همته الى غير ما هو فيه فيكون ذلك حجابا له عن الاعلى منه بل يكون موكولا لحاله فى وقته وتيسير مراداته من غير تأييد فيها فيشتغل بمراده عن مراد مولاه ويرى ذلك سعادة فى أمر دينه ودنياه وانما هو صرف له عن بابه وطرد عن مواقف احبابه كما قيل

ومن صد عنا حسبه البين والقلا * ومن فاتنا يكفيه أنا نفوته

(قوله حملا له على الادب) أى بتسكين الجوارح وعدم العبث بشئ منها فى حالة الصلاة بدون شاهد من المتابعة (قوله لا يستند الى شئ) أى بعدا عن نعت المتكبرين وقوله مبالغة فى لزوم الادب أى وذلك بالدوام على هيئة التواضع فى جلوسه كغيره من باقى حركاته (قوله فوضعت عليها ذلك) أى ليكون حائلا بينه وبينها مانعا من المباشرة (قوله التوحيد موجب الخ) محصله الحث على الادب حيث كان انتفاؤه يوجب انتفاء التوحيد بالوسايط المذكورة التى هى انتفاء الشريعة والايمان مع نوع مبالغة (قوله التوحيد موجب يوجب الايمان) أى اعتقاد الوحدة لله تعالى ينشأ عنه التصديق بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم (قوله والايمان موجب يوجب الشريعة) أى يوجب العلم باحكامها على طريق القبول (قوله والشريعة موجب يوجب الادب) أى يوجب ايقاع الاعمال المتلقاة من الشريعة على اكمل وجوهها (قوله الادب الوقوف مع المحسنات) أى مع ما يصير به العمل حسنا مقبولا فى نظر الشرع (قوله فقال أن تعامل الله بالادب) أى بالمتابعة فى حالة السر والعلانية (قوله وان كنت أعجميا) أفاد به انه ليس المراد بالادب ما ينشأ منه فصاحة النطق بل هو حسن المتابعة (قوله ثم أنشد الخ) وجه ايراده الاشارة الى أن المدار على ثبوت المحبة للعبد وهى لا تكون الا بمتابعة الحبيب فحينئذ لا يصدر عنه الا المحبوب (قوله يقول منذ عشرين سنة الخ) أقول ومن هذا الذوق قال الامام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه يوصى بعض أصحابه خف سطوة العدل وارج رقة الفضل

مامددت رجلي وقت جلوسي في الخلوة فان حسن الادب مع الله تعالى اولى) منه مع غيره فان العبد اذا جالس غيره من عظماء
المخلوقين لم يهن عليه أن يمد رجليه بين يديه وان كان مدّهما الى غير الجهة التي هو فيها فكيف بمن يستقبل الله اى يجلس الى الجهة
التي امر باستقبالها يمدّ رجليه اليها (سمعت الاستاذ اباعلي الدقاق رحمه الله يقول من صاحب الملوك بغير أدب اسلمه الجهل) به
(الى القتل) لان عزة نفوسهم ورفعة حرمتهم تمنعانهم من ان يروا من عليه حق يسيء الادب أو يقصر في خدمتهم فمن ترك الادب
بره ذلك الى العطب (وروى عن ابن سيرين انه سئل اى) انواع (الادب اقرب الى الله ١٧ تعالى فقال معرفة بربوبيته) تعالى
(وعمل بطاعته والحمد لله على السراء
والصبر على الضراء) لما تقرر من
انه لا يتقرب المتقربون اليه تعالى
الا بمعرفته وطاعته والصبر على
ما ابتلى به (وقال يحيى بن معاذ اذا
ترك العارف) بالله (ادبه مع
معروفه) اى مع الله (فقد هلك مع
الهالكين) لان من عرف الله
بصفاته ثم أساء الادب فقد تعرّض
لهلاك نفسه لان عقاب العالم أشدّ
من عقاب الجاهل (سمعت الاستاذ
أباعلي رحمه الله يقول ترك الادب
موجب يوجب الطرد فمن أساء
الادب على البساط ردّ الى الباب
ومن أساء الادب على الباب ردّ
الى سياسة الدواب) لاستحقاقه
بذلك البعد والطرد وألم كل مطرود
على حسب ما فارقه من منزلته
التي كان فيها ولا منزلة اجل
واعلى من مراقبة مولاه مع كمال
ادبه فان أساء أدبه فيها طرد عنها
(وقيل للحسن البصري قد اكثر
الناس في علم الآداب فما أنفعها
عاجلا وأوصلها آجلا فقال) هو
٣ يج ع (التفقه في الدين) لانك اذا عدمته وقعت فيما لا ينبغي (والزهد في الدنيا) اذ مع محبتك لها لا يمكنك القيام
مع ما علمته من الاحكام لشغلك بحفظها وتحصيلها وجهات كسبها (والمعرفة بما لله تعالى عليك) من حق تعبدك له واجلالك له
واعترافك بما اسبغ عليك من نعمه (وقال يحيى بن معاذ من تأدب بادب الله تعالى صار من أهل محبة الله) لقيامه بفعل
المأمورات وترك المنهيات واذا أحبه الله حفظه في سائر أعضائه (وقال سهل القوم) الذين ارتفعت درجاتهم (الذين استعانوا
بالله على أمر الله) اى طاعته وتبرؤا من حولهم وقوتهم (وصبروا لله على آداب الله) في طاعته (وروى عن ابن المبارك أنه قال نحن

ولا تأمن مكره ولو أدخلك الجنة فني الجنة وقع لابيك آدم ما وقع وقد يقطع باقوام فيها
فيقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية فقطعهم بالاكل والشرب عنه
تعالى وأي مكر فوق هذا وأي خسران أعظم منه (قوله ما مددت رجلي الخ) فيه دلالة
على فنائه في الادب مع ربه تعالى ومراعاة جميع حركاته وسكناته لله تعالى (قوله من
صاحب الملوك الخ) الغرض التقريب بما تعهده البشرية فاذا كان كذلك فأحرى ان
يستعمل الادب مع ملك الملوك الذي لا يرد قضاؤه وتدوم نعماؤه (قوله فقال معرفة
بربوبيته) أي بما لها من صفات الجلال والعظمة والمعاملة له على حسب ذلك (قوله
وعمل بطاعته) أي بشرط ايقاعه على طريق المتابعة لسيد الكاملين (قوله والحمد لله
على السراء) أي لان الثناء واجب له تعالى بازائها وقوله والصبر على الضراء أي حبس
النفس على الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه (قوله والصبر على
ما ابتلى به) أي مما لا يلائم حظ النفس من الاسقام ونحوها والقيام بالاعمال التكليفية
(قوله لان عقاب العالم أشد الخ) أي لان من حق علمه ان ينكف عن المخالفة بخلاف
الجاهل فانه قد يعذر في جهله (قوله فمن أساء الادب على البساط) أي بعد ذوق لذة القرب
والمناجاة وقوله ردّ الى الباب أي الى حال اوّل السير اليه تعالى ويؤيد ما ذكر خبر
والمخلصون على خطر عظيم (قوله ردّ الى سياسة الدواب) اى الى خدمتهم والنظر
في أمورهم لعدم انسانيته بقوة حيوانيته (قوله وألم كل مطرود على حسب ما فارقه)
أي فهو يختلف قوة وضعفا للفرق بين من ذاق ومن لم يذق ويشهد لذلك الحس
والوجدان (قوله فقال هو التفقه في الدين) أي لاجل التصرف بالاذن الشرعي (قوله
اذ مع محبتك لها لا يمكنك الخ) أي فهي من الحجب المانعة لكل خير ديني (قوله والمعرفة
بما لله تعالى عليك) اى مع معاملته تعالى على حسب معرفته (قوله صار من اهل محبة
الله) اى التي لا تكون الا بمتابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان هذه منزلة
لا تضاهيها منزلة أخرى (قوله واذا أحبه الله حفظه الخ) أي ويشهد له خبر كنت سمعه
الحديث (قوله القوم الخ) أي الجدير باسم القوم من هذا خلقهم ونعتهم (قوله نحن

الى قليل من الادب احوج منا الى كثير من العلم) لان العلم يراد لايقاع العمل على وجهه ولايقاعه كذلك شروط صحة وشروط
كمال والادب فيه أن يوقعه على أفضل شروط كماله واول درجاته القيام بالطاعات ليتخلص من النار وأعلاها القيام بآداب
فضائلها لينال محبة الجبار واذا نال محبته سهلت عليه طاعته (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن احمد بن
سعيد يقول سمعت العباس بن حمزة يقول حدثنا احمد بن أبي الحوارى قال قال الوليد بن عتبة قال ابن المبارك طلبنا الادب حين
فاتنا الشيوخ (المؤدبون) الذين ادركناهم ١٨ وكانوا اعلماء بالآداب مع الله ومع خلقه ومتخلقين بها حث بذلك تلامذتهم
على ان يتأدبوا بهم لئلا يتأسفوا
على فواتهم كما تأسف هو عليه
(وقيل ثلاث خصال ليس معهن
غربة مجانبة أهل الريب وحسن
الادب وكف الاذى) لان الغريب
من لا يؤلف ولا يجد من يألف به
ومن اجتمع فيه هذه الخصال ألف
وألف لانه اذا بعد عن اهل الريب
حسن الظن به ولم تخش غائلته
واذا حسن ادبه حسنت معاملته
وكلامه وقل طمعه فيما بايدى
الناس وتكرم عليه بما يمكنه واذا
كف أذاه عن الخلق حسنت صحبته
وفي نسخة عقب ذلك في وأنشدنا
الشيخ ابو عبد الله المغربي في هذا
المعنى

يزين الغريب اذا ما اغترب
ثلاث فمنهن حسن الادب
وثانية طيب اخلاقه
وثالثة اجتناب الريب

(ولما دخل ابو حفص بغداد)
ومعه اصحابه ورأى الجنيد أدبهم
مع المشايخ وأعجبه ذلك (قال له
الجنيد لقد أدبت اصحابك ادب
السلاطين) اى تأديبهم لجندهم في الظاهر بنزاهة النفس وسرعة المبادرة لاوامر المشايخ والقيام بخدمة الفقراء ارتكب
(فقال له ابو حفص حسن الادب في الظاهر عنوان حسن الادب في الباطن) يعنى ان ماهم فيه من الادب ليس تعلما وتكلفا
ولكنهم لما عرفت قلوبهم باجلال الحق من اختصه وعظمه بورثا لآداب عليهم في الظاهر فلذلك قال له ادب الظاهر الخ
(وعن عبد الله بن المبارك انه قال الادب للعارف) بالله (كالتوبة للمستأنف) اى للمبتدى فكما ان المستأنف لا يستغنى عن توبته
اذا زل بل يرجع اليها بسرعة كذلك العارف لا يستغنى عن ادبه لحظة اذا غفل عنه لانه يعده سيئة

الى قليل من الادب الخ) مراده ان الادب القليل مع الحق تعالى ومع عموم الخلق أنفع من
العلم الكثير المجرد عن الادب المذكور ولذلك أشار بعضهم حيث قال شعرا

ارحم بني جميع الخلق كلهم * وانظر اليهم بعين اللطف والشفقه
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم * وراع في كل خلق حق من خلقه

هذا وقال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (قوله
أحوج منا الى كثير من العلم) أى وذلك لان ثمرة العلم انما هي العمل على طريق المتابعة
والا كان حجة على المقصرين والحاصل ان زيادة العلم ربما تضر لعدم القيام غالبا
بالمقصود منه وهو العمل به وما قل ونفع خير مما كثر ولم ينفع (قوله وأول درجاته القيام
بالطاعات) أى ايقاعها على وجه الصحة ليتيسر بذلك له التخلص من عقاب التقصير وقوله
واعلاها القيام بآداب فضائلها أى ايقاعها على اكمل وجوهها لينال درجة المحبة
فيحفظ في كامل حركاته وسكناته بالحفظ الالهي (قوله قال ابن المبارك طلبنا الادب) أى
طريق ايقاع العبادة على وجهها الاكمل بشاهد متابعة السيد الاعلم صلى الله عليه وسلم
حين اى زمن فاتنا الشيوخ المؤدبون بانقراضهم بالموت مثلا (قوله ثلاث خصال الخ)
الغرض الحث على التخلق بها ببيان ثمرتها العاجلة قبل الآجلة وذلك لان شأن الغريب
الوحشة وعدم الحنو عليه من أحد فاذا تخلق بهذه الخصال انتفى عنه ذلك وصار مألوفا
محبوبا على الوجه الذى وضحه الشارح (قوله ليس معهن غربة) اى اغتراب وبعد عن
سبيل الرشاد (قوله لان الغريب الخ) أى ويدل له خبر شركم من لا يألف ولا يؤلف (قوله
اذا بعد عن أهل الريب) اى عن اهل التهم والاهواء (قوله واذا حسن ادبه) اى بقيامه
بحق الحق وحق الخلق حسنت معاملته اى عبادته (قوله يزين الغريب الخ) أقول
تكون غربته حينئذ باعتبار الظاهر والا فلا غربة في الحقيقة (قوله ادب السلاطين)
أى الادب اللائق بالخدم مع ملوك الارض (قوله فقال له ابو حفص حسن الادب
في الظاهر الخ) اى ويشهد له خبر الاوان في الجسد مضغة الحديث (قوله الادب
للعارف) اى الرجوع للادب بالنسبة للعارف مثل الرجوع بالتوبة للمستأنف اذا

ولهذا قيل حسنات الابرار سيآت المقربين فتى رأى العارف عمله صحيحا فاقعا له عند ربه فقد زل عن درجته ونقص فى ادبه فحقه ان يسرع الى التوبة (سمعت منصور بن خلف المغربى يقول قيل لبعضهم يا سيئ الادب فقال لست بسيئ الادب فقيل له من أدبك فقال أدبنى الصوفية) فى ذلك مدح ادب الصوفية لبنائه على الزهد فى الدنيا وكمال مراقبة المولى وهى درجة الاحسان فهذا احسن الآداب (سمعت اباحاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت ابانصر الطوسى السراج يقول الناس فى الادب على ثلاث طبقات) اهل الدنيا واهل الدين واهل الخصوصية (أما اهل الدنيا ١٩ فا كثر آدابهم فى الفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم وأسمار الملوك واشعار العرب) وحسن العشرة والانبساط فى الخلطة والاطعمة وغيرها مما هو أدب عندهم فى معاملة الدنيا (وأما اهل الدين فا كثر آدابهم فى رياضة النفوس وتأديب الجوارح وحفظ الحدود) التى حدها الله (وترك الشهوات) وغير ذلك من الآداب الحاملة على اعمال الآخرة كتحريك الهمة للقيام بها والرجاء والمحبة (واما أهل الخصوصية) وهم العارفون بالله (فاكثر آدابهم فى طهارة القلوب ومراعاة الاسرار والوفاء بالعهود وحفظ الوقت وقلة الالتفات الى الخواطر وحسن الادب) منهم يكون (فى مواقف الطلب واوقات الحضور) مع الله (ومقامات القرب) من الله تعالى فأدبهم مع الله فى كل وقت وحال لازم لهم بما يليق بوقتهم الذى هم فيه بالنسبة لما يرد عليهم (وحكى عن سهل بن عبد الله انه قال من قهر نفسه بالادب) فى دفع المشغلات عن القلوب كالرياء والعجب (فهو يعبد الله بالاخلاص) والنشاط (وقيل كمال الادب) لكونه انما يكون بقطع المشغلات عن القلوب (لايصفو الا للانبياء والصديقين) لانهم اقوى الناس فى الدين وأعرفهم به (وقال عبد الله بن المبارك قد اكثر الناس) الكلام (فى الادب ونحن نقول هو معرفة النفس) بعجزها وقلة قدرتها وافتقارها الان من عرف نفسه بذلك عرف ربه بجلاله وكماله واقتداره على مايشاء ومن عرف نفسه وربه بما ذكرنا تأدب فى طاعته وان كانت كاملة مبرأة من العجب والاغترار بها (وقال الشبلى الانبساط بالقول مع الحق) تعالى

ارتكب اثما والمثلية فى الوجوب فلاغنى لكل منهما عن ذلك فاذا كان العارف فى تجلى البسط وعرض له فيه شطح برائق الجلال وفائق الدلال عاد سريعا الى شهود الجلال وقهر الادب وكان مثل المبتدئ اذا زل وعاد سريعا للتوبة (قوله ولهذا قيل الخ) اى وقيل ايضا رياء الخاصة أفضل من اخلاص العامة (قوله فقد زل عن درجته) اى بوقوفه معه واستحسانه له وغفلته عمن تفضل به (قوله فقال لست بسيئ الادب) لعله صدر منه تحدثا بالنعمة اولافادة حسن تأديبه ممن أدبه ليقتدى به فيه (قوله أما اهل الدنيا الخ) محصله انهم لايعتنون الا بتحسين ظواهرهم والتصنع لامثالهم غافلين عما قصد منهم من تحسين البواطن كالظواهر ليتحقق لهم نعت الايمان ومشهد مقام الاحسان (قوله فا كثر آدابهم فى رياضة النفوس) اى بالقيام عليها بفعل المأمورات وقوله وتأديب الجوارح أى على الهيئة المأثورة فى أنواع الطاعة وقوله وحفظ الحدود أى عدم ارتكاب مانهى عنه الشارع وقوله وترك الشهوات عطف عام على خاص (قوله فى طهارة القلوب) اى من دنس خطور الاغيار وقوله ومراعاة الاسرار اى مراعاة مايرد عليها من واردات الانوار وبارقات عين الاستبصار فما وافق منها العلم المحمدى والاثر الاحمدى أخذوا به والا اعرضوا عنه وقوله والوفاء بالعهود اى بالقيام باحكام الظاهر وقوله وحفظ الوقت أى عن الضياع والمراد الحال فلا ينظرون الى ماض ولا الى مستقبل وقوله وقلة الالتفات الى الخواطر أى التى فيها حظ للنفس بدون شاهد العلم (قوله فى مواقف الطلب) أى فى منازله وأوقات الحضور اى بجمعية القلب على الحق تعالى بدوام مراقبته فى كامل الحركات والسكنات وقوله ومقامات القرب من الله أى من رحمته تعالى واحسانه (قوله من قهر نفسه بالادب الخ) الكلام مع المريدين المستأنفين السير الى الله تعالى كما لايخفى على من له ذوق ويشير الى ذلك مابعده وهو قوله وقيل كمال الادب الخ (قوله كمال الادب) اى الادب الكامل الذى هو عبارة عن عدم الاتساع لغير الحق تعالى وقوله لايصفو أى لايتم خلوصه الا للانبياء والصديقين اى لكمال استعدادهم (قوله هو معرفة النفس) اى ويشهد له خبر من عرف نفسه عرف

(ترك الادب) معه لانه انبساط مع من تعظمه وبجله ترك للادب معه ولا يفعله الا جاهل بجلاله وعظمته وما هو عليه من أخذه وسطوته (وقال ذو النون المصري أدب العارف) بالله (فوق كل أدب لان معروفه) وهو الله تعالى (مؤدب قلبه) اذ معرفته به وبجلاله وعظمته توجب له الادب معه فيستغني به عن أدب المؤدبين لان دواعي نفسه وخواطرها صحيحة حاملة له على الادب (وقال بعضهم يقول الحق سبحانه من ألزمته القيام) واوقفته (مع) تفكره في (أسمائي وصفاتي) لكونها تدل على لطفه ورحمته وكرمه ومحبته واجلاله (ألزمته الادب ومن كشفت له عن حقيقة ذاتي) القديمة المنزهة عما لا يليق بها كالاولية والآخرية (ألزمته العطب) لانه اذا تفكر فيها وهو لا يحيط بها كفران نفاها أو أثبتها على غير وجهها والاغياب عن نفسه وعدم انتفاعه بحواسه في شغله بربه عطب (فاختر) لنفسك (أيهما شئت الادب أو العطب) والموفق لا يختار الا الادب (وقيل مد ابن عطاء رجله بين أصحابه وقال ترك الادب بين أهل . ٢٠ الادب أدب) لما يعلمه من عدم انتقادهم عليه بذلك ومن فرحهم بجميع ما يبدو منه لكمال المحبة بينهم والمصافاة في قلوبهم بحيث تركوا التكلف فترك التكلف بينهم من الادب لانه مما يسرهم وأصل الادب ادخال المسرة على من يتأدب معه (ويشهد لهذه الحكاية الخبر الذي روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عنده أبو بكر وعمر) رضي الله عنهما في حائط على طرف بئر وقد دلى رجليه فيها وانكشف بعض فخذه ولم يغطه (فدخل عثمان) رضي الله عنه (فغطى فخذه وقال الا أستحيي من رجل استحيت منه الملائكة) فنبه صلى الله عليه وسلم على أن حشمة عثمان رضي الله عنه وان عظمت عنده فالحالة التي كانت بينه وبين أبي بكر وعمر كانت أصفى) قلبا وأعظم حرمة من الحالة التي كانت بينه وبين عثمان في ذلك دلالة على ان عثمان كان شديد الحياء من النبي صلى الله عليه وسلم وان حالته كانت محبوبة لله ولرسوله وللملائكة والغرض لم من ذلك أن أدبه صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لم يبق فيه تكلف لعدم انقباضهما مما ذكر (وفي قريب من معناه انشدوا * في انقباض وحشمة فاذا * جالست) وفي نسخة صادقت (أهل الوفاء والكرم * ارسلت نفسي على سجيتها) اي طبيعتها وعادتها من عدم التحفظ (وقلت ما شئت غير محتشم * وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقط) وفي نسخة سقطت (شروط الادب) يعني سقط تكلف الادب وان كانت المحبة توجب كمال الادب فالادب مع الاحباب جار على أكمل الوجوه الصواب من غير تكلف فيسقط الادب تكلفا لا وجودا (وقال ابو عثمان اذا صحت المحبة تأكدت على المحب ملازمة الادب) وان سقط تكلفه بكماله

ربه ومن عرف ربه قام بماله على طريق متابعة سيد المحبين صلى الله عليه وعلى اخوانه النبيين والمرسلين (قوله ترك الادب) اي ينشأ من ترك الادب وهو كما ترى فمن لم يصل الى مقام تجلي الجمال والا فهو لا كلام لنا معه على اننا قدمنا انه يعود سريعا الى الادب مثل عود المستأنف للتوبة لو زل (قوله أدب العارف بالله فوق كل أدب) أي وذلك قريب من البديهيات اذ الادب تابع للمعرفة ولا شك في تفاوتها والعارف مقامه فيها أعلى المقامات فيلزم ان أدبه يكون كذلك (قوله لان معروفه مؤدب قلبه) أي وله الاشارة بخبر أدبني ربي فأحسن تاديبي (قوله من ألزمته القيام الخ) أي ويدل عليه خبر تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في ذاته (قوله مع تفكره في اسمائي وصفاتي) أي في مظاهرهما وآثارهما (قوله والاغياب عن نفسه) أي دهشة وحيرة من عظم ما شاهده مما لا يقوى عليه مخلوق مثله (قوله فاختر لنفسك ايهما شئت) أقول هو على حد خبر اذا لم تستح فاصنع ما شئت (قوله ترك الادب الخ) أي يشهد له قولهم اذا صحت الالفة سقطت الكلفة وثبت في كتب الفروع أن تخطي الصفوف والرقاب ممنوع منه الا لنحو من يعتقد ويتبرك به (قوله وانكشف الخ) لعله كان قبل وجوب ستره (قوله حشمة عثمان) أي حرمته (قوله فالحالة التي كانت الخ) أي ولذلك ترتبت درجتهم في الفضيلة (قوله لعدم انقباضهما مما ذكر) الاولى لسرورهما وفرحهما بما ذكر (قوله في انقباض الخ) محصله ان هذه صفتي واخلاقي فيما بين العامة فاذا كنت مع أهل الموافاة ومكارم الاخلاق لا اتكلف خلقا قوليا ولا فعليا لمحاسن أخلاقهم ورضاهم مني بكل شئ يبدو علي (قوله اذا صحت المحبة) اي وصحتها بصدق مدعيها والحاصل ان ادب الكمل من العبيد انما هو للمحبة والاجلال كما يشير اليه خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله

(وقال النورى من لم يتأدب) مع الله تعالى (للوقت) اى لوقت جريان حاله عليه (فوقته) اى حاله (المقت) اى يخشى عليه فيه المقت لان من ترقب منزلة مع ربه بما يحدثه له فى وقته فلا يليق به الغفلة عنه ولا تركه الادب فيه (وقال ذو النون اذا خرج المريد عن استعمال الادب فانه يرجع من حيث جاء) فالمريد كغيره من العارفين وغيرهم لا يستغنى عن الادب فى حال من احواله (سمعت الاستاذ ابا على رحمه الله يقول فى قوله عز وجل وايوب اذ نادى ربه انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين قال) هو زائد (لم يقل) ايوب (ارحمنى) بل قال وانت ارحم الراحمين فاثنى على الله تعالى بصفة من صفاته وضمنها ارحمنى (لانه حفظ آداب الخطاب) مع الله تعالى قيل ولم يقل مسنى الضر الا لما بلغ الالم الى قلبه وخشى منه كمال الشغل به عن ربه (وكذلك عيسى عليه السلام حيث قال) فيما يتعلق بجوابه عن سؤال الله له بقوله أأنت قلت للناس اتخذونى ٢١ وامى الهين من دون الله (ان تعذبهم فانهم عبادك وقال) فيه ايضا سبحانك ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق (ان كنت قلته فقد علمته) الآية واجاب عن السؤال بقوله ما قلت لهم الا ما امرتنى به (ولم يقل) بدله (لم اقل) ذلك (رعاية لآداب الحضرة) وبما تقرر علم ان فى كلامه اجحافا (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى رحمه الله يقول سمعت أبا الطيب بن الفرحان يقول سمعت) أبا القاسم (الجنيد يقول جاءنى بعض الصالحين يوم جمعة فقال ابعث معى فقيرا يدخل على سرورا ويأكل معى شيأ فالتفت فاذا أنا بفقير شهدت فيه الفاقة) أى الحاجة الى الاكل (فدعوته وقلت له امض مع هذا الشيخ وأدخل عليه سرورا) بحضورك وأكلك معه (فمضى معه (فلم ألبث ان جاء الرجل فقال) لى (يا أبا القاسم لم يأكل ذلك الرجل الفقير الا لقمة وخرج فقلت) له (لعلك قلت) له (كلمة جفاء عليه فقال لم أقل) له (شيأ فالتفت فاذا أنا بالفقير جالس فقلت) له (لم لم تتم عليه السرور فقال) لى (يا سيدى) قد (خرجت من الكوفة وقدمت) الى (بغداد فاصدا لك (ولم آكل شيأ) مدة سفرى وأنا طيب العيش (وكرهت أن يبدو سوء أدب منى من جهة الفاقة فى حضرتك فلما دعوتنى وأمرتنى أن أمضى معه (سررت اذ جرى ذلك ابتداء منك) لا منى (فمضيت) معه (وأنا لا أرضى له) عوضا عما أنا فيه من الفاقة (الجنان) بل أعلى منها (فلما جلست على مائدته سوى) لى (لقمة وقال لى كل فهذا) أى أكلك لها (وهذا القدر الذى سويته لك (أحب الى من عشرة آلاف درهم فلما سمعت هذا) منه (علمت انه دنئ الهمة) لانه انما ذكر فضل ذلك على الدراهم التى هى من الدنيا ولم يذكر الآخرة وحق الفقير ان يكون مشغولا بالله زاهدا فى الدنيا كهذا الفقير =

لم يعصه (قوله وقال النورى الخ) منه يعلم ان حال ارباب الصحو الملازمين لطريق الادب اكمل من حال ارباب المحو ممن غلبت عليهم الاحوال فبدا منهم ما يحتاج للتاويل مما ظاهره يخالف حكم الظاهر (قوله من لم يتادب للوقت الخ) اى فى حال غلبة الاحوال عليه فوقته المقت اى حاله المذكور من اسباب المقت اذا لم يتركه فى لزوم طريق الادب فى كامل الاحوال والكلام مع من بقى له شعور واحساس والا فلا كلام لنا معه (قوله اذا خرج المريد الخ) اى اما العارف ممن غلبه حاله فلا لوم عليه وان كان الكمال فى الكمال (قوله فانه يرجع الخ) اى لوجود المقاطعة له وهو سوء ادبه (قوله فى حال من احواله) اى بان يحفظ نفسه فى حال سكره كحال صحوه عن الخروج عن شاهد العلم (قوله وضمنها ارحمنى) اى لان من اثنى بصفة من الصفات فقد تعرض بثنائه بها لنيل اثرها كما هو ظاهر (قوله قيل ولم يقل الخ) اقول قال بعضهم ان سبب قوله عليه السلام مسنى الضر فقده الم دودة سقطت من جرح له فحينئذ قال مسنى الضر لفقد لذته بالمها وقت وجودها وذلك وان كان يبعد فى نظر العقل القاصر فالحمل عليه اليق مما ذكره الشارح والله اعلم (قوله رعاية لآداب الحضرة) اى حيث لم يبادر بنفى قوله ذلك مع اعتقاده ان الحق يعلم منه عدم صدور ذلك القول (قوله وبما تقرر) اى من حل الشارح وما قدره لكلام المصنف علم ان فى كلامه أى المصنف اجحافا أى حيث حذف ما يلزم اثباته وأثبت ما يوهم خلاف المراد فتأمله (قوله يدخل على سرورا) أى بكل من زيارته وأكله (قوله اذ جاء الرجل) أى الذى هو من الصالحين الطالب ادخال السرور عليه (قوله كلمة جفاء عليه) أى تجافى ما غلب عليه من الاحوال (قوله وأنا طيب العيش) اى بقوة الرضا بما يجريه الحق تعالى (قوله وكرهت أن يبدو الخ) أى وذلك بالاظهار لتلك الفاقة من قبلى (قوله وانا لا ارضى الخ) أى ايثار المراد الحق على مراد نفسى (قوله علمت انه دنئ الهمة) أى

بل ربما يكون مشغولا عن ذكر الآخرة وما اعد الله فيها لاوليائه لكمال شغله بمولاه (فتطرفت) اى تجنبت (ان آكل طعامه فقال الجنيد) للرجل (الم اقل لك انك اسأت ادبك معه فقال) لى (يا ابا القاسم) اسألك (التوبة) فاجابه اليها فتاب ورجعت همته الى الآخرة واعرض عن الدنيا (فسأله) ٢٢ اى الجنيد الفقير (ان يمضى معه) اى مع الرجل ثانيا (ويفرحه) فاجابه الى ذلك لزوال المانع فى ذلك حث على ملازمة الادب مع كل احد بحسب ما يليق به

(باب احكامهم)

اى الصوفية (فى السفر) وهو مطلوب لبعضهم كما سيأتى (قال الله عز وجل هو الذى يسيركم فى البر والبحر الآية) و (اخبرنا على بن احمد بن عبدان قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا محمد بن الفرج الازرق قال حدثنا حجاج قال قال ابن جريج اخبرنى ابو الزبير ان عليا الازدى اخبره ان ابن عمر علمهم) وفى نسخة اعلمهم (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استوى على البعير خارجا الى سفر كبر ثلاثا ثم قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين) اى مطيقين (وانا الى ربنا لمنقلبون ثم يقول اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر) وفى نسخة البر اى الطاعة (والتقوى ومن العمل الصالح ما ترضى) به عنا (اللهم هون علينا سفرنا) واطو عنا بعده (اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفة فى الاهل اللهم انى اعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال) و روى وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والاهل (واذا رجع قالهن وزاد فيهن آيبون تائبون لربنا حامدون) راجعون الوعثاء بفتح الواو واسكان المهملة وبالمثلثة وبالمد الشدة والكآبة بفتح الكاف وبالمد تغير النفس من حزن ونحوه والمنقلب المرجع

لتعلقها بالدنى من الدنيا (قوله انك أسأت أدبك معه) أى بذكرما الايلائم ما غلب عليه من الاحوال السنية (قوله فاجابه اليها) أى لاعترافه بالتقصير

(باب أحكامهم أى الصوفية)

وهم من قيل فى شانهم نادى منادى الطلب للارواح الكامنة فى القوالب فأثار سناكن غرامها الى العلا فطارت باجنحة الغرام فى فضاء المحبة فوقفت بعد التعب على أغصان الشوق فتناغت على الشجر بلابلها بطربات الحان الحنين الى الجمال فاستنشقت نسيم الغرام الى اعادة لذاذة ألست بربكم فخرجت تلك الطيور من أقفاص الصدور وتلمح مشاهدة القديم من مواطن مهاب التكليم فسمعت داعى الله بلسان انسان عين الوجود والمقصود لكل موجود فانتقش دعاؤه فى صفحات ألواح الارواح فاهتزت اغصان أشجار القلوب واضطربت فرسان العقول فى ميادين الصور فصار عشقها له سرا من أسرار القدم واصبح ولهها به لطفا من لطائف القدر وقوله فى السفر اعلم أن السفر سفران احدهما الانتقال بالاجسام من جهة الى أخرى لقصود من المقاصد الواجبة او المندوبة كحج وزيارة ورياضة وثانيهما سفر القلوب وانتقالها من مواطن الغفلة والشهوات الى مدارج ارباب السيادات وهو لا يكون الا واجبا لمن اراد الوصول ونيل المامول (قوله وهو مطلوب لبعضهم) اى ممن يحتاج اليه (قوله قال الله عز وجل هو الذى يسيركم فى البر والبحر) وجه مناسبتها الاستئناس بما اشارت اليه من ان الحق هو المسير وان كان الظاهر منها سير الاجسام وانتقالها لكنها تشير الى سير الارواح وانتقال القلوب فاذا طلب سفر الاجسام لبعض المقاصد الدينية فلان يطلب سفر الارواح وانتقال القلوب من الاخلاق الدنية الى السنية بالاولى (قوله كبر ثلاثا ثم الخ) اى فهو مندوب اقتداء به صلى الله عليه وسلم (قوله وما كنا له مقرنين) اى لولا التسخير الالهى ما كان ذلك فى الطاقة لنا (قوله اللهم) اى يا الله انا نسألك اى نطلب منك البر اى عن تسلط الشيطان حتى لا نقع فيما يخالف مرضاتك بل ندوم على طاعتك وعبادتك وقوله والتقوى اى تجنب ما يغضبك ويسخطك وقوله ومن العمل الصالح اى الصالح للقبول وما ترضى به عنا وقوله هون علينا سفرنا اى سهله بطى بعده (قوله انت الصاحب) اى المصاحب بالحفظ والاعانة وقوله والخليفة فى الاهل اى بالكفاية والرعاية (قوله من وعثاء السفر) اى شدته ومشاقه وقوله وكآبة المنقلب اى الحزن والغم فى العود وقوله وسوء المنظر أى المنظر السوء فى الاهل والمال (قوله آيبون) أى

(و)اعلم انه (لما كان راى كثير من اهل هذه الطائفة) أى الصوفية (اختيار السفر) على الاقامة (أفردنا لذكر السفر فى هذه الرسالة بابا لكونه من أعظم شأنهم وهذه الطائفة) التى منها الكثير (مختلفون) فى أن السفر أفضل أم الاقامة (فنهم من آثر الاقامة على السفر) ليجتمع قلبه فيها (ولم يسافر الا لفرض كحجة الاسلام) والجهاد (والغالب عليهم الاقامة مثل الجنيد وسهل بن عبد الله وأبى يزيد البسطامى وأبى حفص وغيرهم ومنهم من آثر السفر) على الاقامة ليربح فائدة كاجتماعه بمن يتأدب برؤيته ويتخلق باخلاقه (وكانوا) مستمرين (على ذلك الى أن خرجوا من الدنيا مثل أبى عبد الله المغربى وابراهيم بن أدهم وغيرهم) الاولى وغيرهما (وكثير منهم سافروا فى ابتداء أمورهم فى حال شبابهم أسفارا كثيرة ثم قعدوا عن السفر فى آخر أحوالهم مثل أبى عثمان الحيرى والشبلى وغيرهم) الاولى وغيرهما وآخرون سافروا فى أثناء أمورهم (ولكل منهم) فيما آثره (أصول بنوا عليها طريقتهم واعلم) وفى نسخة واعلموا (ان السفر على قسمين سفر بالبدن وهو انتقال من بقعة الى بقعة) مسيرتها ميل فاكثر (وسفر بالقلب وهو ارتقاء من صفة الى صفة) بان يسافر عن شهواته بقلبه و يتيقظ لاصلاحه بنقله من الاخلاق الذميمة الى الحميدة بمجاهدة نفسه الى ان يصل الى مقام التوحيد وكمال الانس بقربه من ربه ودوام ملاحظته له وشتان ما بين سفر الابدان وسفر القلوب (فترى الفا يسافر بنفسه) أى ببدنه (وقليل من يسافر بقلبه) لقلة ارباب الرتب العالية وكثرة غيرهم وسفر القلوب لا يستغنى عنه مسافر ولا مقيم وهو السفر الحقيقى عندهم لانه انما جعل لنقل من الصفات الذميمة الى الحميدة

راجعون تائبون أى مما جنيناه على أنفسنا من المخالفات وقوله لربنا حامدون أى مثنون عليه بما يليق بعظمته على قدر وسعنا (قوله اختيار السفر) أى لما فيه من رياضة الاجسام وتهذيب النفوس (قوله مختلفون) أى بواسطة اجتهاد كل منهم فعلى حسب ما ظهر له قال على موجبه (قوله والجهاد) أى اذا تعين (قوله ليربح فائدة كاجتماعه الخ) أى وليمتحن نفسه بمشاق السفر هل تصبر وترضى بها أولا (قوله الاولى وغيرهما) لم يقل الصواب وغيرهما لاحتمال انه جرى على القول بان الجمع ما فوق الواحد (قوله واعلم أن السفر الخ) أتى بكلمة اعلم لتتوجه همة السامع الى ما بعدها اعتناء به (قوله مسيرتها ميل) أى أقل ما يصدق عليه السفر ذلك (قوله وسفر بالقلب الخ) أى وهو على أربعة أقسام الاول هو السير الى الله من منازل النفس الى الوصول الى الافق المبين وهو نهاية مقام القلب ومبدأ التجليات الاسمائية والثانى هو السير فى الله بالاتصاف بصفاته والتحقق باسمائه الى الافق الاعلى وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية والثالث هو السير مع الله بالترقى الى عين الجمع والحضرة الاحدية وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الاثنينية فاذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو مقام الولاية والرابع هو السير بالله عن الله للتكميل وهو مقام البقاء بعد الفناء والفرق بعد الجمع واعلم أن نهاية السفر الاول هو رفع حجب الكثرة عن وجه الوحدة ونهاية السفر الثانى هو رفع حجاب الوحدة عن وجوه الكثرة العلمية الباطنية ونهاية السفر الثالث هو زوال التقيد بالضدين الظاهر والباطن بالحصول فى عين أحدية الجمع والسفر الرابع يكون نهايته عند الرجوع عن الحق الى الخلق فى مقام الاستقامة الذى هو أحدية الجمع والفرق بشهود اندراج الحق فى الخلق واضمحلال الخلق فى الحق حتى يرى عين الوحدة فى صور الكثرة وصور الكثرة فى عين الوحدة ان كنت معنا فعنا وان لم تكن معنا فدعنا وتعلم ان كنت لا تعلم والا فسلم تسلم (قوله وسفر بالقلب) أى وهو لا يكون الا واجبا بالنسبة لمن أراد الوصول الى درجة أرباب الكمال (قوله الى أن يصل الى مقام التوحيد) أى الذى يشهد فيه انه لا فاعل غيره تعالى وان الامر كله منه واليه (قوله وشتان الخ) اى بون بعيد ما بين سفر الابدان المجرد عن التجرد عن الحظوظ وما بين سفر القلوب الذى يثمر رضا المحبوب ويفيد لقاء المطلوب (قوله فترى الفا يسافر بنفسه الخ) اى ولهذا قال قائلهم

خليلى قطاع الفيافى الى العلا * كثير وان الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة * وليس على كل الوجوه قبول

(قوله وسفر القلوب لا يستغنى عنه مسافر الخ) اى لان مدار درك الحقائق عليه

والغرض من سفر الابدان انقطاع الفقير عن الشهوات فيحصل الاستبطان واستعانته بمن يلقاه من السالكين على ما يوصله الى كمال حاله في الاعمال والعرفان والتصوف كما مر هو النقل من الصفات الذميمة الى الحميدة الى ان يتفرغ القلب لكمال المراقبة لله بحيث يشتغل قلبه به عما سواه (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول كان بفرخك) بفتح الفاء والراء واسكان الخاء (قرية بظاهر نيسابور شيخ من شيوخ هذه الطائفة وله على هذا اللسان) اى لسان الصوفية (تصانيف ساله بعض الناس هل سافرت ايها الشيخ فقال) له (تريد سفر ٢٤ الارض ام سفر السماء سفر الارض لا وسفر السماء بلى) سافرته لتعلقه بالمقامات الشريفة التي كانت اخلاقا للانبياء والاولياء واما سفر الارض فانما هو للقاء الصالحين والاخيار وان كان قد يحصل به ذلك (وسمعته) ايضا (رحمه الله يقول جاءني بعض الفقراء يوما وانا بمرو فقال لي قطعت) في سفري (اليك شقة) اى مسافة (بعيدة والمقصود لقاؤك فقلت له كان يكفيك خطوة واحدة لو سافرت عن نفسك) اى مفارقتك لنفسك وشهواتها بخطوة اقرب الى نيل مقصودك من اسفارك ببدنك فسفر القلوب افضل وانفع من سفر الابدان وشرطه ملازمة شيخ عارف بالمطلوب وطرق الرياضة الموصلة للمحبوب (وحكاياتهم في السفر تختلف على ما ذكرنا من اقسامهم واحوالهم سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت احنف الهمداني يقول كنت في البادية) اى الصحراء (وحدي) وانا مسافر للحج (فاعييت فرفعت يدي وقلت يا رب اني ضعيف زمن وقد جئت الى ضيافتك فوقع في قلبي) الآن حينئذ (ان يقال لي من دعاك) اى حملك على هذا فوقع في قلبي جوابه وهو حسن ظني بك ان تعينني وهو المراد بقوله (فقلت يا رب هي) اى مملكتك (مملكة) واسعة (تحتمل الطفيلي) وهو من يأتي الى طعام غيره بلا دعوة (فاذا) اى فبينما انا كذلك اذا (انا بهاتف) ملك او ولي انسي او جني سمعت حسه (من ورائي فالتفت اليه فاذا) هو (اعرابي على راحلته فقال لي) (يا اعجمي الى اين تذهب فقلت الى مكة قال) لي (أ) أذن لك مولاك (ودعاك) اليها وانت عاجز (قلت) له (لا ادري فقال) لي (اليس) قد (قال) فيمن يلزمه الحج (من استطاع اليه سبيلا فقلت) له (المملكة واسعة تحتمل الطفيلي

(قوله والغرض من سفر الابدان الخ) اى وذلك لان الراحات مع الاقامة من مواطن دواعي قوة الشهوة (قوله واستعانته بمن يلقاه من السالكين) اى حيث لا يوجد ذلك في الغالب الا في الفيافي والقفار وقد قال تعالى فان خير الزاد التقوى فتحصل ان سفر الابدان قد يكون من الوسائل الى سفر القلوب (قوله وسفر السماء بلى) أى نعم سافرته والمراد بسفر السماء التفكر فيما اشتملت عليه من عجائب مصنوعاته تعالى وآثار باهر قدرته تعالى ولعل ذكره لما ذكر من باب التحدث بالنعمة أو الاشارة لعلو همته لتزيد رغبة المريدين فيه ويتم اعتقادهم ليدوم لهم النفع والانتفاع والله أعلم (قوله لتعلقه بالمقامات الشريفة) أى التي هي عروج الارواح في فضاء ميادين ملكوته سبحانه وتعالى (قوله وان كان قد يحصل به ذلك) أى حيث هو من أسباب الترقي الى حظائر هاتيك المقامات (قوله فقلت له كان يكفيك خطوة واحدة) فيه ارشاد منه الى علو الهمة وطلب الانفع في طرق الوصول الى المحبوب ولذلك قيل أقرب الطرق الموصلة الى الله تعالى لزوم قانون العبودية والاستمساك بعروة الشريعة الاسلامية وقيل أيضا علائق زهرة الدنيا حجاب يمنع من الوصول الى ملكوت العلا فلو بلغ طفل عقلك الاسد في حجر التاديب ما التفت لكن هو بعد في مهد شغلتنا أموالنا وأهلونا فيا غلام افتح عين عقلك لتلقي عرائس أسرار الازل وانتشق بمشام روحك هبوب نسيم لطائف القدر فان الله وضع تماثيل الوجود على ساحل بحر الدنيا لامتحان عيون أهل البصيرة وسلم من الالتفات الى زخرفها أطفال أرواح أقيمت في مهود الثبات وربيت في حجر العظمة وأرخيت عليها آيات الامر وكوشفت بلطائف محبات القدر وجليت عليها عرائس الغيب فنشأت على أحسن وجوه المتابعة وعلى أتقن طرق الاستقامة رضي الله عنهم ورضوا عنه (قوله وشرطه ملازمة شيخ الخ) أشار به الى أنه وان كان سفر القلب أفضل من سفر البدن الا أنه لابد في كل سفر من شيخ عارف مرشد الى ما به يكون الوصول والحاصل ان سفر الابدان لازم للمريدين وسفر القلوب من شان الواصلين والعارفين (قوله اني ضعيف زمن) بكسر الميم أى لازمني المرض حتى أعياني (قوله قلت له لا أدري) يعني

فقال نعم الطفيلي انت) هل (يمكنك ان تخدم الجمل) اى هل تحسن خدمته (قلت نعم فنزل عن راحلته وأعطانيها وقال) لى (سر عليها) فى ذلك دلالة على ان المسافر لا يسافر فى الصحراء بلا زاد ولا راحلة الا اذا عوده الله القوة على ذلك وقد يعوده اياها ولكن يطرأ له فى اثناء سفره ما يوجب له العجز عن ذلك فلا يضره والاحنف كان الغالب عليه بحسب ما خطر له من السفر بلا زاد ولا راحلة ان الله يقويه على ذلك فلما طرأ عليه العجز فى السفر سأل الله واستغاث به فوقع فى قلبه خاطر من دعاله فوقع فى قلبه جوابه بما مر (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن احمد النجار يقول سمعت الكتانى يقول وقد قال له بعض الفقراء اوصنى فقال) هو زائد (اجهد ان تكون كل ليلة ضيف مسجد) ليكون ذلك استر واخلص لعبادتك لانك اذا طرقت بلدة ومقصودك ان لا تعرف بها ونزلت بمسجد فيها تلك الليلة كان ذلك محصلا لمقصودك من عدم شهرتك واخلاصك لعبادتك (و) اجهد (ان لا تموت الا بين منزلين) وفى نسخة منزلتين المنزلة التى أنت فيها والمنزلة التى تطلبها بأن لا تسكن الى الاولى ولا تركن لها بطلبك الثانية (ويحكى عن الحصرى انه كان يقول جلسة) من العبد مع الله (خير من الف حجة وانما اراد جلسة تجمع الهم) أى همته (على نعت) اى وصف (الشهود) اى الحضور مع ٢٥ المشاهدة له بالقلب فى العمل والمراقبة له فيه وهذا افضل الاحوال فانه مقام الاحسان الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فيه ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ولهذا قال الحصرى (ولعمرى انها) اى هذه الجلسة (اتم) اى افضل (من الف حجة على وصف الغيبة عنه) تعالى (سمعت محمد بن احمد بن محمد الصوفى رحمه الله يقول سمعت على بن عبد الله التميمى يقول حكى عن محمد بن اسماعيل الفرغانى انه قال كنا نسافر مقدار عشرين سنة انا وابو بكر الزقاق والكتانى لا نختلط باحد ولا نعاشر احدا فاذا قدمنا

٤ بج ع بلدا فان كان فيه شيخ سلمنا عليه وجالسناه الى الليل ثم نرجع الى مسجد فيصلى (الكتانى) فيه (من اول الليل الى آخره ويختم) بقراءته فى صلاته (القرآن ويجلس) فيه (الزقاق) من اول الليل الى آخره (مستقبل القبلة وكنت استلقى) فيه على ظهرى من اول الليل الى آخره (متفكرا) فيما اتفكر فيه من الاحكام واصناف المخلوقات واختلاف انواعها وهيآتها وعظمة الله وجلاله وكمال ما هو عليه من صفاته (ثم نصبح ونصلى صلاة الفجر) ونحن (على وضوء العتمة) اى العشاء فكانت اسفارهم لا تشغلهم عن عمارة اوقاتهم لانها ليست لجهة معينة يقصدونها حتى يجدوا فى الوصول اليها كالمسافرين للتجارة وانما سفرهم الاعتبار بالاخبار وللانقطاع فى الصحارى وطيب الاحوال مع الله تعالى فكان بعضهم قائما يصلى وبعضهم جالسا مستقبل القبلة ذاكرا لله وبعضهم مستلقيا متفكرا فيما يتفكر فيه بحسب مقامه كما تقرر (فاذا وقع معنا انسان آخر ينام كأنا نراه أفضلنا) لحسن ظنهم بغيرهم فيرون ان غيرهم افضل منهم (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت عيسى القصارى يقول وقد سئل رويم عن أدب السفر) المقصود للصوفى

الآن والا فهو كان على ثقة من صبره على المشاق حتى جاز له السفر بدون راحلة (قوله فقال نعم الطفيلى أنت) أى حيث تبين عدم صبرك على مشاق السفر بدون راحلة (قوله فى ذلك دلالة على ان المسافر الخ) أى ويشهد له خبر الرفيق قبل الطريق وخبر اعقلها وتوكل (قوله والاحنف كان الغالب الخ) دفع به ما يقال ان سفره المذكور بدون زاد ولا راحلة محرم ممنوع منه شرعا (قوله اجهد ان تكون كل ليلة ضيف مسجد) أى لان ملازمة مسجد مخصوص بل مكان منه مكروه وفى الطريق لما فى ذلك من صورة التعرض للسؤال او للدعوى وقوله واجهد ان لا تموت الخ تحصيله الحث على دوام طلب الاكمل والرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف الاحكام (قوله بان لا تسكن الى الاولى) اى لان السكون لغيره تعالى من القواطع (قوله جلسة من العبد مع الله الخ) المراد كما اشار اليه الشارح وقت حضور قلبه وجمعيته على الله (قوله كنا نسافر الخ) اى فكانت جمعيتهم فى السفر لاجل الرياضة فكل يشتغل بما وفق له من اعمال البر والخير (قوله مستقبل القبلة) لعله كان يذكر الله تعالى على هذه الحالة (قوله وانما سفرهم للاعتبار بالاخبار) أى عسى أن يوفقوا المثل ما هم عليه من الاخلاق وأقل شئ ينال بركة الملاق (قوله فيرون أن غيرهم أفضل منهم) أى لشهادة خبر المؤمن مرآة المؤمن (قوله

(فقال أن لا يجاوز همه قدمه) اذ ليس مقصوده من السفر الا تخليص قلبه لمراقبته لربه ووجود لذته فى مناجاته وأوضح ذلك بقوله (وحيثما وقف قلبه) لانتظار جبر نقص أو لكمال شكر زيادة (يكون منزله) فلا يجاوزه (وحكى عن مالك بن دينار) رضى الله عنه (أنه قال أوحى الله) تعالى (الى موسى) بن عمران (عليه السلام) ان (اتخذ) لك (نعلين من حديد وعصا من حديد ثم سح فى الارض فاطلب الآثار والعبر حتى تخرق النعلان وتنكسر العصا) فى ذلك حث على السياحة فى الارض كما قال تعالى أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وقد أثنى على السائحين والسائحات فقال العابدون الحامدون السائحون وقال عابدات سائحات وذلك للاعتبار بالآثار ووجود الراحة من الاغيار (وقيل كان أبو عبد الله المغربى يسافر أبدا ومعه أصحابه وكان يكون محرما فاذا تحلل من احرامه أحرم ثانيا) بنسك فى وقته (ولم يتسخ له ثوب ولا طال له ظفر ولا شعر) وان طال الزمن (وكان يمشى ٢٦ معه أصحابه بالليل وراءه فكان اذا حاد أحدهم عن الطريق يقول يمينك يا فلان يسارك يا فلان) كل من المذكورات غير الاول خوارق للعادات وكلها ثناء على ابى عبد الله ويحتمل انه أثنى عليه بملازمته الاحرام كلما تحلل وبكثرة سفره وعوده الى مكة فقط فهو على هذا يغسل ثوبه ويقص ظفره ويزيل شعره حال تحلله (وكان لا يمد يده الى ما وصلت اليه يد الآدميين) من طعامهم المعهود (وكان طعامه أصل شئ من النبات) اى من العروق (يؤخذ فيقلع لاجله) أى يقلعه له أصحابه ويأكله وفى تنبيهه لهم على الطريق اذا حادوا عنه يمينا ويسارا دلالة على انه شديد الاعتناء بهم وانه مشغول الهمة باستقامتهم على الطريق الذى يقتدون به نبيها وان كان ذلك من خوارق العادات كما تقرر (وقيل كل صاحب تقول) أنت (له قم) معى (فقال) وفى نسخة فيقول لك (الى اين فليس بصاحب) لقلة اهتمامه بامر صاحبه وطلبه راحة نفسه (وفى معناه انشدوا

اذا استنجدوا لم يسألوا من دعاهم * لاية حرب ام لاى مكان

وحكى عن ابى على الرباطى قال صحبت عبد الله المروزى وكان يدخل البادية قبل أن أصحبه بلا زاد فلما صحبته قال لى أيما أحب اليك تكون) وفى نسخة ان تكون (انت الامير أم انا فقلت) له (لا بل انت فقال) لى (وعليك الطاعة) لى (فقلت) له (نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فاذا) اى فكان اذا (قلت) له (أعطنى) المخلاة (حتى احملها قال الامير) بل (انا) احملها (وعليك الطاعة قال فاخذنا المطر ليلة فوقف) المروزى (الى الصباح على رأسى وعليه كساء) ارخاه على من سائر جهاتى (يمنع عنى المطر فكنت اقول فى نفسى يا ليتنى مت ولم اقل انت الامير ثم قال لى اذا صحبت انسانا فاصحبه كما رأيتنى صحبتك)

أن لا يجاوز همه قدمه) أى بان يراعى الاهم فى الوقت من غير التفات الى ماض منه ولا مستقبل (قوله جبر نقص) يقرأ بالاضافة ومثله قوله شكر نعمة (قوله أن اتخذ لك نعلين من حديد الخ) المراد الحث على قوة اليقين والتمكن من الصبر والجد فيما يقرب الى المولى ويكون ذلك منتهيا الى الموت (قوله ثم سح فى الارض) أى امض حيثما توفق لك بالاذن الالهى وقوله فاطلب الآثار أى آثار القدرة العلية أو آثار الصالحين وقوله والعبر أى ما تعتبر به و يصير لك وسيلة الى الترقى (قوله فى ذلك حث على السياحة) أى مع الجد فيها باشارة قوله من حديد (قوله وذلك للاعتبار الخ) أى الذى لا تخلو عنه السياحة غالبا (قوله وكان يمشى معه أصحابه الخ) فيه ان الخلق المحمدى المشى وراء الاصحاب فلعل ذلك لامر باطنى (قوله فكان اذا حاد أحدهم) أى مال عن الطريق يقول يمينك يا فلان الخ فى ذلك دلالة على قوة نور بصيرته وزيادة حراسته ورحمته لمن يكون بصحبته (قوله وكان لا يمد يده) أى لفنائه بشريته وناسوته وقوة لاهوته (قوله فليس بصاحب) أى ليس بصاحب كامل لان كماله يوجب سرعة الاجابة وعدم التأخر للاستفهام وذلك ديدن المصاحبة فى حقوق الحق أو الخلق (قوله اذا استنجدوا الخ) أى اذا طلب منهم النجدة يبادرون الى الاجابة ولم يسألوا من دعاهم وطلبهم عن مطلوبه هل هو حرب أو غيره ولا عن المكان أيضا هذا والغرض الحث على سرعة الاجابة (قوله صحبت عبد الله المروزى الخ) فيه تنبيه على كماله فى مراعاة حق من صحبه من اخوانه المؤمنين وذلك من الاخلاق المحمدية ومن نعوت حقائق الانسانية (قوله كما رأيتنى صحبتك) أى فاستعمل

فعلم بذلك انه لابدّ للجماعة من واحد منهم كامل العلم والادب يتأمر عليهم ليسلموا من الاختلاف وانهم اذا امروه التزموا وجوب طاعتهم له امتثالا لقوله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم (وقدم شاب على ابى على الروذبارى فلما اراد الخروج) الى السفر (قال) الشاب (يقول الشيخ شيا) انتفع به فى السفر (فقال يافتى كانوا) اى الصوفية (لايجتمعون عن موعد ولا يتفرقون) وفى نسخة ولا يفترقون عن (مشورة) اى لايتعلقون بغير الله تعالى فى الاجتماع ولا فى الافتراق فمتى كان اجتماعهم هو مراد الله اجتمعوا وكذا افتراقهم وهذا انما يحسن من الاصحاب والاخوان أما التلامذة مع المشايخ الذين هم تحت أوامرهم فلابد من استئذانهم فى ذلك بل وفى سائر أحوالهم التى يفتقر فيها الى التاديب والتعليم وربما كان مقصود هذا الشيخ ترك الاستئذان حتى ياذن هو له ابتداء ويكون الاولى فى حقه بعد اقامته عنده ان لا يسافر حتى يامره ويتبع ما امره به (وعن المزين الكبير قال كنت يوما مع ابراهيم الخواص فى بعض أسفاره فاذا عقرب تسعى على فخذه فقمت لاقتلها فمنعنى) من ذلك (وقال لى (دعها كل شئ مفتقر الينا ولسنا مفتقرين الى شئ) غير الله فيه دلالة على ان الحيوانات يسخرها الله لاوليائه وتقرب منهم لتنتفع بهم ولا تؤذيهم وهذا من خرق العوائد لان من كمل خوفه من الله لم يخف من غيره ومن اطمان الى الله واعتمد عليه اطمانت اليه الحيوانات وسكنت اليه ولم تنفر منه واراد بقوله كل شئ الخ تعريف تلميذه بانه محفوظ بالله وذو كرامات لينتفع بذلك ويقوى يقينه (وقال ابو عبد الله النصيبى سافرت ثلاثين سنة ما خطت قط ٢٧ خرقة على مرقعتى ولا عدلت الى موضع علمت ان لى فيه رفيقا ولا تركت) أى مكنت (أحدا يحمل معى شيا) فيه دلالة على قناعته باليسير من الدنيا فيحمل من الزاد ان احتاج اليه ما يخف فلا يحتاج الى أن يحمل معه غيره شيأ وان انخرقت له العادة استغنى عن حمل الزاد بالكلية ويؤثر بثيابه ويقنع بثوب واحد فاذا تغير يسر الله له بغيره فلا يحتاج الى ترقيع ويبعد عن الشهوة ويحتمل ان الله خرق له العادة فى طعامه ولباسه فياتى بهما اليه عند حاجته فيستغنى عن الترقيع والحمل (واعلم أن القوم استوفوا) أى استكملوا (آداب الحضور) مع الله ومع خلقه (من المجاهدات ثم) لما ظنوا انهم تعلموا الصبر والزهد والتوكل والرضا وغيرها من المقامات فى الحضر (أرادوا أن يضيفوا الها شيا ما ليمتحنوا أنفسهم (فاضافوا أحكام السفر الى ذلك رياضة لنفوسهم حتى) وفى نسخة حين (أخرجوها عن المعلومات) أى المالوفات (وحملوها على مفارقة المعارف) والاسباب ليصح لهم ما ادعته أنفسهم من الصبر والتوكل على الله كما أشار اليه بقوله (كيف) وفى نسخة كى (يعيشون مع الله بلا علاقة ولا واسطة) فلا يميلون الى جهة تسكن نفوسهم فيها الى معلوم (فلم يتركوا اشيا من اورادهم فى أسفارهم) حتى انهم لم يترخصوا فيها (وقالوا الرخص لمن كان سفره ضرورة) يعنى لحاجة فى جهة معينة مسافتها مسافة قصر (ونحن لا شغل لنا ولا ضرورة فى أسفارنا علينا) لانا لم نقصد جهة معينة وانما نحن مع قلوبنا وسياحتنا القصد تاديب أنفسنا وتحقيق مقاماتنا فلا نترخص لاختلال شرط الترخص فان فرض تعين جهة لزيارة شيخ وكان السفر طويلا كان لنا أن نترخص (سمعت أبا صادق بن حبيب قال سمعت النصراباذى يقول ضعفت فى البادية) اى الصحراء (مرة فايست من نفسى) وقطعت اياسى منها فافتقرت الى الله تعالى بصدق ضرورتى

الرأفة والرحمة والنصح على عادة من أخلاق لربه الصحبة (قوله فعلم بذلك انه لابدّ الخ) أى كما كان يفعل صلى الله عليه وسلم مع اصحابه اذا أخرجهم لامر من الامور أراده منهم (قوله فقال يافتى الخ) فيه حمل له على علو الهمة بان يعلق أمره بمرضات الله تعالى فمهما كان الفعل من الطاعات أقبل عليه بدون استئذان اكتفاء بطلب الحق تعالى وذلك لا ينافى ان التلميذ من حقه أن يستأذن شيخه فى كامل ما يحتاج اليه (قوله فمنعنى من ذلك) المقصود تقوية المريد على متابعته بافادة ان الحق تعالى كافيه كل شئ والا فقتلها مندوب اليه كما لا يخفى (قوله لم يخف من غيره) اى بدليل قوله جل اسمه اليس الله بكاف عبده (قوله ارادوا ان يضيفوا الخ) اى لانهم دائما يتجسسون على انفسهم ويمتحنونها فى دعوى المقامات لتدوم لهم اسباب الخيرات (قوله حتى انهم لم يترخصوا فيها) أى لان حكمة الرخص تخفيف انواع التكاليف وهم رضى الله تعالى

(فوقع بصري على القمر وكان ذلك بالنهار فرأيت مكتوبا عليه فسيكفيكهم الله فاستقلت) اى قويت على الشئ (وفتح على من ذلك الوقت هذا الحديث) اى خرق العادة واللطف به فى أوقات الضرورة (وقال ابو يعقوب السوسى يحتاج المسافر الى اربعة اشياء فى سفره علم يسوسه) بحيث لا يخل بما يحتاجه فى دينه وادبه مع الله ومع المسافرين (وورع يحجزه) اى يكفه عن أكل الحرام وما فيه شبهة مما كان ينكف عنه فى الحضر (ووجد يحمله) فى سفره على رياضة نفسه ليتحقق له ما يدعيه من المقامات (وخلق) بضم الخاء (يصونه) فى سفره من ضيق الاخلاق الغالب وقوعها فيه مع الاصحاب والاخوان وتقدم الاولان من هذه الاربعة فى الفقر (وقيل سمى السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال) أى يظهرها لان المريد يمتحن به نفسه ليحقق ما ادعته نفسه من الصبر والزهد والتوكل وغيرها من مقامات الرجال فاذا سافر بهذا القصد انكشف له من أخلاقه ودعاوى نفسه ما كان مستترا عنه فيردها الى أحكام الرياضة لتصح دعاويها وتحسن أخلاقها (وكان الكتانى اذا سافر الفقير الى اليمن ثم رجع اليه مرة أخرى يأمر) أصحابه (بهجرانه) وأن لا يخالطوه خوفا من أن يشوش عليهم أحوالهم (وانما كان يفعل ذلك لانهم) أى الناس (كانوا يسافرون الى اليمن ذلك الوقت ٢٨ لاجل الرفق) والسعة فى الدنيا وكان الكتانى يمنع أصحابه من ذلك (وقيل كان ابراهيم الخواص لا يحمل) معه (شيأ) من الدنيا (فى السفر) زهدا وتوكلا (وكان لا تفارقه الابرة والركوة) اى القربة (اما الابرة فلخياطة ثوبه ان تمزق سترا للعورة وأما الركوة فللطهارة وكان لا يرى ذلك علاقة) أى ما يتعلق به القلب من الاعراض العاجلة والحظوظ النفسية (ولا معلوما) وسببا وذلك صحيح لانه أمر دينى (وحكى عن أبى عبد الله الرازى قال خرجت من طرسوس حافيا وكان معى رفيق فدخلنا بعض قرى الشام فجاءنى فقير بحذاء) أى نعل لابسه (فامتنعت من قبوله فقال) (لى رفيق البس هذا) الحذاء (فقد عييت فانه قد فتح عليك بهذا النعل بسببى) (قوله
فقلت) له (مالك) أى ما سبب قولك هذا (فقال) قد (نزعت نعلى) من اول سفرنا (موافقة لك ورعاية لحق الصحبة) فمن جملة آداب السفر موافقة الفقير رفيقه فى جميع أحواله وان يؤثره بما أمكنه وان آثره بشئ فقبله أدخل عليه مسرة بقبوله (وقيل كان الخواص فى سفر ومعه ثلاثة نفر فبلغوا مسجدا فى بعض المفاوز وباتوا فيه ولم يكن عليه باب) يقيهم ألم البرد (وكان) فى الليلة (برد شديد فناموا فلما أصبحوا رأوه) أى الخواص (واقفا على الباب فقالوا له فى ذلك) أى ما سبب وقوفك هنا (فقال خشيت) عليكم (أن تجدوا البرد) أى ألمه كما وجدته (وكان قد وقف) على الباب (طول ليلته) هذا من كمال الصحبة والشفقة عليهم (وقيل ان الكتانى استأذن امه فى الحج) نفلا (مرة فاذنت له) من غير طيب نفس بفراقه وقنع منها بذلك ولم يبالغ فى كشف حالها (فخرج فاصاب ثوبه البول فى البادية

عنهم لا كلفة عندهم فى طاعة ربهم ويحتمل ان معناه انهم يمتنعون من الترخص من حيث ما فيه من حظ النفس وطلب التخفيف وهو لا ينافى تعاطى الرخص عبودية ومتابعة وامتثالا (قوله فوقع بصرى على القمر الخ) فى ذلك دلالة على ان الحق تعالى يخلق أسباب لطفه وقت اضطرار عبده (قوله علم يسوسه) أى علم بأحكام الطريقة المحمدية والسنة الاحمدية (قوله بحيث لا يخل) أى ولا يقع فى محظور (قوله ووجد يحمله) أى شوق الى الوصول (قوله وخلق يصونه) أى وذلك بتكلف الرضا بما يجريه الحق تعالى من أحكامه (قوله من ضيق الاخلاق الخ) أى ولذا قيل السفر ينبئ عن أخلاق الرجال ويكشفها ولهذا يسمى سفرا (قوله لان المريد الخ) مراده بيان حكمة الرياضة بالسفر (قوله خوفا من أن يشوش الخ) أى يميل قلوبهم الى مثل ما قصده هذا المسافر (قوله لا يحمل معه شيأ) أى بواسطة قوة صبره على تحمل المشاق (قوله لا يحمل معه شيأ) أى شيأ مما للنفس فيه حظ فلا ينافى حمل ما يلزم فى أحكام الشرع (قوله بسببى) فيه دلالة على ان العبد اذا فعل شيأ يبتغى به وجه ربه يخلق له أسباب اللطف والرفق (قوله فقال خشيت الخ) فيه دلالة على انه قد تخلق بالخلق المحمدى من الرأفة والرحمة (قوله ولم يبالغ فى كشف حالها) أى اكتفاء بظاهر الحال عملا بالشريعة

فقال ان هـذا الخلل فى حالى فانصرف) راجعا الى بابه (فلما دق باب داره اجابته أمه ففتحت) له الباب (فرآها جالسة خلف الباب فسألها عن سبب جلوسها فقالت) له (مذ خرجت) من عندى (اعتقدت) أى عزمت (ان لا أبرح من هذا الموضع حتى أراك) فرده الله اليها لما علم صدقها فى عدم صبرها وهـذا يدل على أن من أراد أن يأتى بنوافل العبادات لا يأتى بها الامع السلامة من الاخلال بالواجبات وأن يتحفظ فى ذلك غاية التحفظ فقد يبدو له بظاهر الحال السلامة وقد لبست عليه نفسه فلم يكمل تثبتها ولا نظرها فى العواقب الدينية ومنه ما وقع للكتانى فانه استاذن امه وقنع منها بادنى اشارة ولم يبالغ فى كشف حالها كما تقرر فلما سافر عنها وهى متغيرة الباطن ابتلاه الله بنجاسة فى طريقه حتى رجع اليها كما تقرر فينبغى لمن عزم على السفر ان يتثبت من كل محل بحيث يغلب على ظنه السلامة فيه فان قدر الله بعد ذلك بشئ لم يكن عاصيا ويرجى له من الله الحفظ والسلامة (سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقى يقول سمعت ابراهيم بن المولد يقول سمعت ابراهيم القصار يقول سافرت ثلاثين سنة اصلح قلوب الناس) من الاغنياء والفقراء (للفقراء) لان الغالب فى السفر العجز والفاقة فاقام رحمه الله هذه المدة يسافر قصد الاصلاح الناس للفقراء وهو يكون بالفعل والقول فاذا رأوا فعله اقتدوا به واذا سمعوا قوله عرفوا قدر الفقراء ورغبوا فيما رغبهم فيه وهذا قصد جميل وغاية فى الرياضة (وقيل زار رجل داود الطائى فقال) له (يا أبا سليمان كانت نفسى تنازعنى) أى تحركنى (الى لقائك منذ زمان فقال) لى (لا بأس اذا كانت ٢٩ الابدان هادئة والقلوب ساكنة) أشار بذلك الى أن المقصود من الاجتماع بالاخوان اصلاح القلوب والابدان والاستعانة على نيل العلوم والاعمال واذا كان مقصود الاجتماع ذلك (فالتلاقى) أى الاجتماع (أيسر) أى أيسر ما يفوت وأحقه فلا يبالى به وفيه أيضا اشارة الى التحذير من آفات الاجتماع لان الاخوين اذا كانوا متباعدين مشتاقين للاجتماع فاذا اجتمعا سكن كل منهما الى الآخر وأظهر من لومه وأعماله والطاف ربه به ما يخشى عليه أن يكون بذلك مرائيا أو مفاخرا وأيسره اظهار ما ستره الله من أعماله الصالحة (سمعت أبا نصر الصوفى رحمه الله وكان من أصحاب النصرآباذى يقول خرجت من البحر بعمان) بضم العين وتخفيف الميم بلدة (وقد أثر فى الجوع فكنت أمر فى السوق فبلغت حانوت حلاوى فرأيت) فيه (حملانا) بضم الحاء واسكان الميم جمع حمل بفتحهما أى خرفانا (مشوية وحلاوات فتعلقت برجل وقلت) له لما لحقنى من الجوع لطول اقامتى فى البحر واحتجت الى ما يصلح به بدنى للقوة على الطاعة وقراءة القرآن ونحوه لا للشهوة (اشتر لى من هذه الاشياء فقال) لى (لماذا) اشترى لك (ألك على شئ أو لك على دين) الاولى ألك عندى شئ أو على دين (فقلت) له لا لكن (لا بد ان تشترى لى من هذا فرآنى رجل) من أهل الخير (فقال) لى (خله) عنك (يا فتى ذاك) الذى طلبت منه الشراء (أنا لا هو) اى الذى يجب عليه ان يشترى لك ما تريد هو انا لا هو (اقترح على) اى اسألنى ما شئت بغرور وبة (واحكم على) (بما تريد ثم) بعد ان قال ذلك (اشترى لى ما اردت ومر) فى نسخة ومضى وفى ذلك صحة همة هذا الفقير وانه لم يطلب ذلك شهوة بل دواء وكأنه لما وصل الى الموضع الذى فيه الشواء والحلوى علق همته بالله وتسبب فالقى رجلا ظاهره السعة فقال له اشترلى من هذا فقابله بالمعتاد من قوله الك على شئ او على دين فكل منهما تكلم من حاله فالفقير تسبب وقلبه عند المسبب والرجل ظنه سأله للشهوة ولم يعلم حاله

(قوله فقال ان هـذا الخلل الخ) أى بشاهد خبر ما أصاب المؤمن من مصيبة الا بذنب ارتكبه (قوله وقد لبست عليه نفسه) الواو للحال (قوله أن يتثبت من كل محل) أى فى كل موطن من مواطن العبادة (قوله فان قدر الله بعد ذلك بشئ) اى بشئ لم يتسبب فى سببه (قوله أصلح قلوب الناس الخ) أى وذلك منه للتأليف لمن احبهم الله تعالى واختارهم لرحمته قصد الخير وامتثالا للخبر اتخذوا عند الفقراء أيادى فان لهم دولة يوم القيامة (قوله والقلوب ساكنة) أى دائمة التعلق به تعالى كاتمة أسرار ربها لما منحها من أسباب الاصطفاء (قوله وقلت له لما لحقنى من الجوع) أى قال ذلك لا للشهوة الحيوانية فقط بل للتقوى على ما خلق له من العبادة (قوله الاولى ألك) اى لاجل أن يتغاير المعطوفان (قوله فكل منهما تكلم من حاله) اى على حسب شربه ونصيبه لان كل اناء

فلما كمل صدق الفقير ولا ساق له ممن يحب الفقراء من رأى عليه آثار الفاقة فحصل له مقصوده (وحكى عن ابى الحسين المصرى قال اتفقت مع الشعرى فى) بمعنى على (السفر من اطرابلس فسرنا اياما لم نأ كل شيأ فرأيت قرعا مطروحا فأخذت آ كله فالتفت الى الشيخ ولم يقل شيأ فرميت به وعلمت انه كره) منى (ذلك ثم فتح علينا بخمسة دنانير فدخلنا قرية فقلت يشترى الشيخ) لنا شيأ نا كله (لا محالة فمر ولم يفعل ثم قال لى الشيخ) لعلك تقول نمشى (نحن جياعا ولم يشتر لنا شيأ هو ذا) اى الامر قد قرب (نوافى اليهودية قرية على الطريق وثم رجل صاحب عيال اذا دخلناها يشتغل بنا فادفعها) انا (اليه ليستنفقها علينا وعلى عياله فوصلنا اليها ودفع الدنانير الى الرجل فانفقها) علينا وعلى عياله (فلما خرجنا قال لى الى اين يا ابا الحسين فقلت أسير معك فقال) لى (لا انك تخوننى فى قرعة وتصحبنى) أى لا تصحبنى (وأبى أن يصحبنى) معه وفى نسخة أن أصحبه فيه دلالة على أنه ينبغى للتلميذ أن يحفظ قلوب المشايخ الذين يقتدى بهم فلا يفعل شيأ بغير اذنهم لئلا يكون سببا لمفارقته لهم وفوت مقصوده منهم وعلى انه اذا رأى مع الشيخ مالا ولم يخرجه للفقراء وأمسكه فلا يسرع بالاعتراض عليه وينسبه الى حب الدنيا فيهلك فان امساكها يختلف حكمه باختلاف المقاصد الصحيحة أو الفاسدة ومن المقاصد الصحيحة حفظه هذه الدنانير ليصل بها الى ذلك الرجل الصالح لينفقها على نفسه وعائلته ومن يطرقه من الصالحين (سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى رحمه الله يقول سمعت أبا أحمد الصغير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول كنت فى حال حداثتى) أى شبوبيتى (استقبلنى بعض الفقراء فرأى فى أثر الضر والجوع فادخلنى داره وقدم لى لحما طبخ بالكشك واللحم) ٣٠ لكون الفقير قدده ليدخل به مسرة على اخوانه المعدمين ولم يكن يحسن التقديد (متغير فكنت آكل الثريد وأتجنب اللحم لتغيره) والفقير يجده طيبا لاعتياده به (فلقمنى لقمة) بها لحم (فأكلتها بجهد ثم لقمنى ثانية فبلغتنى مشقة فرأى ذلك فى وخجل) لاجلى (وخجلت لاجله فخرجت وانزعجت) اى تحركت (فى الحال للسفر) للحج (فارسلت الى والدتى من يخبرها) بسفرى الى الحج (ويحمل الى مرقعتى فلم تعارضنى الوالدة ورضيت بخروجى فارتحلت) اى من القادسية مع جماعة من الفقراء فتهنا) عن الطريق (ونفد) اى فنى (ما معنا) من الزاد (واشرفنا على التلف فوصلنا الى حى من احياء العرب ولم نجد شيأ) نأ كله (فاضطررنا الى ان اشترينا منهم كلبا بدنانير) فذبحه جماعتى (وشووه واعطونى قطعة من لحمه فلما اردت ا كله فكرت فى حالى فوقع لى انه عقوبة خجل ذلك الفقير فتبت) الى الله (فى نفسى) وعزمت على ان أحترس من اذية الاخوان وأتحمل ما يرد منهم من هذا ونحوه وقصدنا المضى الى مقصدنا (فدلونا على الطريق فمضيت وحججت ثم رجعت معتذرا الى الفقير) فى ذلك دلالة على ان العبد اذا كره شيأ ألزمه به غيره من الاخوان يتحمل مشقة تعاطيه وان كانت نفسه تكرهه لعدم اعتياده به فهذا الفقير لما رأى ابن خفيف وما هو من اثر الجوع ا كرمه باطيب ما يقدر عليه لحسن ظنه به فلما رأى ابن خفيف اللحم متغيرا تركه فظن الفقير انه انما تركه زهدا وتخفيفا على الفقير فاخذ لقمة بها لحم وجعلها فى فمه فتكلف ا كلها وظهر عليه آثار التكلف والفقير على نيته ولم يتحسس فناوله اخرى فلم يمكنه تركها ومضغها وتغير حاله منها وفطن الفقير لتغيره وتألم لذلك واحتشم وفطن ابن خفيف لما تأذى به الفقير وخرج من عنده وسافر وهو متألم لكونه لم يتكلف بلعها ولم يظهر للفقير شيأ يؤذيه وبقى متحسسا لما يجريه الله عليه أدبا فى ذلك حتى أخذه الجوع مع اصحابه الى أن اشتروا كلبا من بعض البوادى وشووه وأعطوه منه قطعة فأكلها بفاقة الجوع فوقع فى قلبه لو كنت فيما وقع لك من الفقير جائعا لما تأذى منك باللحم الذى قدمه لك وتأدب كما تقرر

(قوله فلما كمل صدق الفقير الخ) اى ويدل له قوله جل ذكره أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (قوله وعلمت انه كره منى ذلك) اى حملا على علو الهمة بدوام العفة والبعد عن ضد ذلك (قوله ان يحفظ قلوب المشايخ) اى بالصبر وعدم الاعتراض على ما يبدو منهم مما لا يلائم المألوف (قوله واللحم) مبتدا خبره قوله متغير (قوله الى ان اشترينا) اى فعلنا ما هو على صورة الشراء لكون شراء مثل الكلب باطلا (قوله وشووه الى واعطونى الخ) اى لان الضرورات تبيح المحظورات (قوله واتحمل ما يرد منهم) اى مما لا ضرر فيه على النفس لان الشارع ناظر لصحة الابدان ما امكن (قوله يتحمل مشقة تعاطيه) اى لادخال المسرة على اخيه الذى قدمه له (قوله فتكلف ا كلها) بما فيه ينضج

أى الظن عدم الضرر والا فلا ينبغى اكلها دفعا للضرر

(باب الصحبة)

هى مطلق الاجتماع ولو قل الزمن غير ان العرف يخصها بطوله وهى على ثلاثة أقسام كما سيأتى صحبة الادنى والمماثل والاعلى فصحبة الادنى يشترط فيها الرفق به والرحمة له والتنبيه على ما به الكمال والزجر عن اسباب النقص وصحبة القرين يعتبر فيها الاغضاء والتغافل مع الحمل على احسن وجوه التأويل فيما ظاهره يخالف سنن المتابعة وصحبة الاعلى وهى فى الحقيقة خدمة يلزم فيها التسليم والبعد عن اسباب الاعتراض وغير ذلك مما يعتبر فى صحبة الاصاغر للاكابر (قوله الصحبة فى الله) أى مع الاخوان المؤمنين واعلم وفقنى الله واياك ان الاخوان أربعة أخ كالدواء وأخ كالغذاء وأخ كالداء وأخ كالدفلى فالاول معدوم والثانى مفقود والثالث موجود والرابع مشهود أما الاول فكمثل المشايخ الذين اهلهم الله لتربية المريدين وكالصلحاء والعلماء العاملين وانت ترى خلو هذا الزمان ممن هذه صفته واما الثانى فهو مثل الاخ فى الله الشفيق الودود الرحيم الحنون الذى يؤلمه ما يؤلمك ويسره ما يسرك فيكابد مما نزل بك أكثر من مكابدة ما نزل به وأنت يا أخى كما لا يخفاك ترى فقده فى هذا الزمان لكن بين الفقد والعدم فرق وهو ان المعدوم لا يوجد البتة والمفقود قد يوجد فى موضع ما والثالث والرابع غنى عن ان يذكر ويعد من ان يحصر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله الصحبة فى الله) أى فى طلب مرضاته أو لاجلها ففى على بابها أو بمعنى لام التعليل (قوله قال الله عز وجل الخ) دليل على مدحها وطلبها بالخلق المحمدى مع صاحبه (قوله ثانى اثنين) قبل هذه الا تنصروه فقد نصره الله أى ان لم تنصروه فسينصره الله الذى قد نصره فى وقت ضرورة أشد من هذه المدة فحذف الجزاء واقيم سببه مقامه اذ أخرجه الذين كفروا أى تسببوا لخروجه حيث اذن له عليه السلام فى ذلك حين هموا باخراجه ثانى اثنين حال من ضميره صلى الله عليه وسلم أى أحد اثنين من غير اعتبار كونه عليه الصلاة والسلام ثانيا وقوله اذ هما فى الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى جبل على يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا وقوله اذ يقول بدل ثان أو ظرف لثانى لصاحبه اى الصديق لا تحزن ان الله معنا أى بالعون والحفظ والعصمة والمراد بالمعية الولاية الدائمة التى لا يحوم حول صاحبها شئ من الحزن وفى ذلك دلالة على ان الانزعاج والحزن انما كان للصديق واما حاله صلى الله عليه وسلم فالسكينة والثبات على جرى عادته الشريفة (قوله اذ يقول لصاحبه الخ) اى ففيه الاشارة الى واجب الصحبة من تحمل الاذى منه وعنه وادخال السرور عليه وغير ذلك *(تنبيه)* اعلم أرشدنى الله واياك ان من جملة ما يلزم مراعاته فى الصحبة ان المريد اذا ابتلى بالاجتماع والخلطة بالناس مع الاذية له منهم والجفاء وقول المكروه فى حقه ان ينظر فى أمرهم ويرجع الى تفتيش خبايا نفسه فا

(باب الصحبة)

فى الله تعالى وهى ممدوحة ومطلوبة (قال الله عز وجل ثانى اثنين) هما النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (اذ هما فى الغار اذ يقول) أى النبى (لصاحبه) أى الصديق (لا تحزن ان الله معنا) بنصره (لما أثبت الله سبحانه وتعالى للصديق الصحبة) مع النبى صلى الله عليه وسلم (بين له (انه) صلى الله عليه وسلم (أظهر عليه الشفقة) والخلاص من ألم الحزن (فقال تعالى اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فالحر شفيق على من يصحبه) كما فعل النبى مع الصديق (أخبرنا على بن أحمد الاهوازى رحمه الله قال اخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال حدثنا يحيى بن محمد الجبانى قال حدثنا عثمان بن عبد الله القرشى عن نعيم ابن سالم عن انس بن مالك) رضى الله عنه

(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم متى ألقى احبابى فقال) له (أصحابه بأبينا انت وأمنا اولسنا احبابك قال) لهم (أنتم اصحابى) أما (احبابى) فهم (قوم لم يرونى ٣٢ وآمنوا بى وأنا اليهم بالاشواق أكثر) وفى نسخة بدل احبابى اخوانى ويدل لها

روايةأن النبى صلى الله عليه وسلم قال وددت لورأيت اخوانى قالوا اولسنا اخوانك يارسول الله قال أنتم اصحابى الخبر وبالجملة فالصحبة له صلى الله عليه وسلم آكد من الاخوة والمحبة (والصحبة على ثلاثة اقسام) الاول (صحبة مع من) هو (فوقك) فى المنزلة من دين أو علم اونحوه (وهى فى الحقيقة خدمة) فحقك فى صحبته الاخلاص والخدمة له (و) الثانى (صحبة مع من) هو (دونك) فيما ذكر (وهى تقضى) للتابع (على المتبوع بالشفقة والرحمة و) للمتبوع (على التابع بالوفاق والحرمة و) الثالث (صحبة الاكفاء والنظراء) أى من يساويك فيما ذكر (وهى مبنية على الايثار والفتوة) على غيرك (فمن صحب شيخا فوقه فى الرتبة فأدبه ترك الاعتراض) عليه (وحمل مايبدو منه على وجه جميل وتلقى احواله بالايمان به) اى التصديق بحاله وبانه حق (سمعت منصور بن خلف المغربى و) قد (سأله بعض أصحابنا) وهو الشيخ أبو يعفور الطوسى كما وجد فى نسخة (كم سنة صحبت أباعثمان المغربى) وفى نسخة مع أبى عثمان المغربى (فنظر اليه شزرا) اى نظر الغضبان بمؤخر العين (وقال انى لم اصحبه

قيل فيه فقد يكون حقا فان وجده فى نفسه علم بان هذا القائل نذير جاءه من قبل ربه ليتوب أو يوقع به النكال فعليه ان يبادر الى التوبة والرجوع ويرى الفضل والاحسان لهذا القائل وان لم يجده فى نفسه يحتاج حينئذ الى ثلاثة أشياء الاول ان يمتثل السنة بالدعاء الوارد فى ذلك حيث يقول صلى الله عليه وسلم من رأى منكم مبتلى فليقل الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا اذ لاشك ان الابتلاء فى الدين اعظم من الابتلاء فى البدن ولاسيما مع تعلق حق الغير به الثانى انه يتعين عليه الشكر من وجهين ان يشكر الله على سلامته مما قيل فيه وعلى سلامته مما وقع اخوه فيه رفى كتاب يحيى بن رزين رحمه الله من ساءه الذم وأعجبه المدح فهو ذكر لصورة خنثوى العزيمة وقال لو قال لى قائل ان من لم يأخذ بحظ من الفقر لم يجد طعم الايمان لما خالفته ولو أخبرنى مخبر ان تسعة اعشار العافية فى الخمول واغنى عن الناس لصدقته وقال من وطن نفسه على ان الدنيا دار نصب وتعب لم ينكر مانزل به منها وأخذ من الراحة بحظ وافر وقال تقديم صدق اللجا الى الله عز وجل فى مبادى الحاجات عنوان على نجح غايتها وقال فكر فى الموت تهن عليك المصائب وقال مارأيت أفقه من النفس فى شهواتها ولا أجرأ من الانسان ولا أشد تقلبا من القلب ولا اعدم من الاخوان ولا أقل من الاخلاص ولا أكثر من الامل وقال الصمت وغض البصر مفتاحان لابواب القلوب وقال من أحب ان لاتكون له منزلة عند الناس تربع فى بحبوحة العافية وقال ايس الادنيا وآخرة فان أردت الجمع بينهما رمت محالا وذهبتا منك معا فاختر لنفسك وقال اطمع فى رحمة الله على اى حال كنت من التفريط ولاتامن مكره على أى حال كنت من الاجتهاد واياك واليأس من رحمة مولاك واحذر الامانى فانها اغترار واعلم ان الكافر لو علم سعة رحمة الله مايئس وان المؤمن لو علم كنه عذاب الله لمات خوفا والسلام (قوله بأبينا أنت وأمنا) أى نفديك بهما (قوله قال لهم انتم أصحابى) أى فاشار صلى الله عليه وسلم الى الفرق بينهم و بين غيرهم ممن آمن بالغيب ومحصل الفرق ان الاصحاب من هاموا بالرؤية والذكر وغيرهم من هام بالسماع والفكر ولا يخفى عليك مارأى كمن سمع (قوله لم يرونى الخ) فيه الاشارة الى ان سبب محبتهم أنهم آمنوا بالغيب وان كان فضل الصحبة اعظم كما هو معلوم (قوله وأنا اليهم بالاشواق أكثر) أى لان جزاء المحب انه يحب ولاسيما من هام بالصفات ولم يتحل عليه بجمال شهود الذات (قوله وبالجملة الخ) أى لان المزية لاتوجب الافضلية (قوله الاخلاص والخدمة له) أى وغاية التسليم والبعد عن اسباب الاعتراض التى ربما ادت الى الهلاك (قوله بالوفاق والحرمة) أى بالموافقة له والاحترام بحيث لو بدى منه ماظاهره يخالف فيرتكب له حسن التأويل والحمل على احسن الوجوه والا يمكنه ذلك يرجع على نفسه بالاتهام (قوله وهى مبنية على الايثار والفتوة) أى تقديم الغير على النفس وقوة البذل للمال والجاه بل

ما خدمته [illegible] فوقى

والنفس

(واما اذا صحبك من هو دونك فالخيانة منك فى حق صحبته ان لا تنبهه على ما فيه من نقصان فى حالته) لهذا (كتب ابو الخير التيناتى الى جعفر بن محمد بن نصير وزر جهل الفقراء) أى اثمه (عليكم لانكم اشتغلتم بنفوسكم) اى بإصلاحها وحسن حالها مع الله (عن تأديبهم فبقوا جهلة) فحق من صحب من دونه ان يعلمه ما جهله ويؤدبه فيما أساء فيه ويحمل ما يبدو من جهله لانه قريب عهد بجهالة (واما اذا صحبت من هو فى درجتك فسبيلك التعامى) وفى نسخة التغاضى (عن عيوبه وحمل ما ترى منه) من نقصان (على وجه من التأويل جميل ما امكنك فان لم تجد تأويلا عدت الى نفسك بالتهمة) الى (التزام اللائمة) وقريب منه ما روى عن عمر رضى الله عنه انه قال لا تظنن بكلمة خرجت من فى أخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا فان لم تجد فقل لا اعلم (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يقول قال) لى (أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى ان فلانا لا يقع من قلبى) موقعا (فقال) لى (ابو سليمان وليس يقع) موقعا (أيضا من قلبى ولكن يا احمد لعلنا اتينا من قبلنا لسنا من جملة الصالحين فلسنا نحبهم) اى حقنا ان نحبهم وان لم نكن منهم وفى ذلك دلالة على انه ينبغى للعبد اذا وجد نقصا فى غيره ان يرده الى نفسه وعلى ان حق كل من المتكافئين ان ينبه صاحبه فيما يحتاج الى التنبيه فيه برفق وحسن سياسة (وقيل صحب رجل ٣٣ ابراهيم بن أدهم فلما اراد ان يفارقه قال له الرجل ان) كنت (رأيت فىّ عيبا فنبهنى) عليه (فقال) له (ابراهيم انى لم أر لك عيبا لانى لاحظتك بعين الوداد) اى المحبة لا بعين الانتقاد (فاستحسنت منك ما رأيت) فما رأيت فيك عيبا (فسل غيرى عن عيبك وفى معناه انشدوا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدى المساويا

فى ذلك دلالة على ان حق كل من المتكافئين ان يحمل ما يبدو من صاحبه على أحسن المحامل (وحكى عن ابراهيم بن شيبان انه قال كنا لا نصحب من يقول نعلى) ويدل لذلك قوله (سمعت اباحاتم الصوفى يقول سمعت ابانصر السراج يقول قال ابو أحمد القلانسى وكان من استاذى الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرمونى فقلت مرة لبعضهم اين ازارى فسقطت من اعينهم) لانهم يرون ان الدنيا انما هى زاد يستعان بها على سلوك طريق الآخرة فلا يليق باحد منهم لكون ايديهم فيما يحتاجونه متساوية ان يختص بشئ دون بقيتهم فلا يقول نعلى ولا ازارى ولا طعامى بل اذا سأل قال اين النعل واين الازار وأين الطعام فان خالطهم من يدعى ملكا لنفسه سقط من اعينهم لمخالفته ماهم عليه (وسمعت اباحاتم يقول سمعت ابانصر السراج يقول سمعت الرقى يقول سمعت الزقاق يقول) لى (منذ اربعين سنة أصحب هؤلاء الصوفية (فما رأيت رفقا لاصحابنا) اى لم ارهم يرتفقون فى مطعمهم ولا ملبسهم ولا غيرهما (الا من بعضهم لبعض او ممن يحبهم) من الصالحين بان يكون لبعضهم او لمن يحبهم مال للكسب او نحوه دون بعضهم فينفقه عليهم (ومن لم يصحبه التقوى والورع فى هذا الامر) اى الارتفاق بان يأخذ العبد الاموال من الظلمة وغيرهم ممن لا يتبعون الشريعة فى معاملتهم (اكل الحرام النص) اى الخالص او ما فيه شبهة (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق يقول قال رجل لسهل بن عبد الله) المكنى بابى عبد الله (اريد ان اصحبك يا ابا محمد فقال) له (اذا مات احدنا فمن يصحب الباقى) منا (فقال) يصحب (الله

٥ ع يج

والنفس (قوله وزر جهل الفقراء) أى اثمهم الحاصل لهم بجهلهم كائن عليكم لتقصيركم فى عدم تاديبهم وتعليمهم ما يلزمهم (قوله فسبيلك التعامى) أى التغافل وذلك من شيم العقلاء ومن ذلك ندبت المداراة وقيل

ليس الغبى بسيد فى قومه ✻ لكن سيد قومه المتغابى

(قوله لا تظنن الخ) أى عملا بقول جل من قائل ان بعض الظن اثم أى ولتحسين الظن بالمسلمين (قوله ولكن يا أحمد الخ) فيه الرجوع على النفس بالاتهام وهو الاولى بمثل هؤلاء (قوله لعلنا اتينا من قبلنا) أى من قبل دسائس أنفسنا (قوله اى حقنا ان نحبهم) أى لنحشر معهم وفى زمرتهم فنحظى ببركاتهم (قوله اذا وجد نقصا فى غيره) أى مما يحتمل التأويل والصرف لوجه جميل (قوله لانى لاحظتك بعين الوداد) أى والمحب لا يرى عيبا فى المحبوب (قوله وعين الرضا الخ) أى العين التى تبصر عن محبة وميل قلب كليلة كالة عن رؤية العيوب وانما العين التى تظهر السيئات هى عين السخط والبغض (قوله من يقول نعلى) أى لان الاضافة تؤذن بالملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وذلك غير مذهبهم نعم لا يضر الاختصاص من عامة الناس (قوله الا من بعضهم لبعض) أى بعدا منهم عن منة من ليس منهم وعما فيه شبهة (قوله أكل الحرام النص) أى حيث تسبب فيه فربما

فقال له فليصحبه الآن) بان يعلق همته به ولا ينافى ذلك صحبة من ينتفع به و يتأدب بآدابه كالصالحين وهذا مقام الاحسان وفيه صحة اطلاق الصحبة على الله و يؤيده الخبر اللهم انت الصاحب فى السفر (وصحب رجل رجلا مدة ثم بدا لاحدهما المفارقة) للآخر (فاستاذن صاحبه) فيها (فقال) له اذنت لك (بشرط ان لاتصحب احدا الا اذا كان فوقنا) مرتبة ثم بدا له فقال (وان كان ايضا فوقنا) احد (فلا تصحبه لانك صحبتنا اولا) فيه ارشاد حسن ونصح بالغ لحفظ حرمة الصاحب الاول فان حق العبد ان لا ينتقل الى حال انزل مما كان فيه او مثله وانما نهاه عن الانتقال الى ما هو اعلى منه حفظا للعهد القديم وخوفا عليه من انه اذا صحب من فوقه يقع فى قلبه انتقاص لمن فارقه فيقع فى خطا وزلل لان الاول سبب رفعته وسعادته (فقال) له (الرجل) حين سمع مقالته وعرف الحق فيها (زال من قلبى ارادة المفارقة) لك وجلس معه ورغب فى صحبته وعرف منه كمال محبته حيث ارشده الى ما يسلم به فى دينه و يعلو به فى درجته (سمعت اباحاتم الصوفى يقول سمعت ابانصر السراج يقول سمعت الرقى يقول سمعت الكتانى يقول صحبنى رجل وكان على قلبى ثقيلا) بغير سبب اعرفه ففكرت فى سببه فلم اعرفه (فوهبت له شيأ) تطيب به نفسه (ليزول ما فى قلبى) من ثقله لخبر تهادوا تحابوا (فلم يزل) ٣٤ فاردت ان اذل نفسى له اذلم تصلح بالاحسان (فحملته الى بيتى وقلت له ضع رجلك على خدى فابى فقلت) له (لابد) من ذلك (ففعل واعتقدت) اى عزمت عليه (ان لا يرفع رجله من) فوق (خدى حتى يرفع الله من قلبى ما كنت اجده) من ثقله (فلما زال عن قلبى ما كنت اجده قلت له ارفع رجلك الآن) هذا منشؤه اتهام النفس فى سوء اخلاقها وكراهتها لغيرها بلا سبب يقتضى ذلك بل ربما بلغ العبد عن غيره كلام ولم يرده به فتوهم انه اراده به فكرهه وتقرمنه وذلك من دسائس النفس والشيطان فيداوى العبد نفسه بمثل ذلك (وكان ابراهيم بن ادهم يعمل فى الحصاد وحفظ البساتين وغيره) اى غير ذلك (وينفق على اصحابه) اجرته كان يسلمها لبعض اصحابه يشترى بها نفقتهم (وقيل كان) ابراهيم (مع فعلنا
جماعة من اصحابه فكان يعمل بالنهار) فيما ذكر (وينفق عليهم ويجتمعون بالليل فى موضع وهم صيام فكان يبطئ فى الرجوع) اليهم (من العمل) وربما يشتغل بعبادته قبل العشاء و بعدها بساعة (فقالوا ليلة) لما تاخر عنهم وكرهوا الصبر الى وقت مجيئه (تعالوا نأكل فطورنا دونه حتى يعود بعد هذا أسرع) فلا يعود الى الابطاء (فأفطروا) على ما معهم (وناموا فلما رجع ابراهيم وجدهم نياما فقال) فى نفسه (مساكين لعلهم لم يكن لهم طعام) يفطرون عليه فناموا جياعا اذلو كان عندهم طعام لا نتظرونى (فعمد) بفتح الميم اى قصد (الى شئ من الدقيق كان هناك فعجنه واوقد النار وطرح الملة) بفتح الميم اى الرماد الحار على العجين ووضع خده على التراب ينفخ فى النار لينضج العجين (فانتبهوا وهو ينفخ فى النار واضعا محاسنه على التراب فقالوا له فى ذلك) اى ماسببه (فقال) لهم (لعلكم لم تجدوا فطورا فنمتم) جياعا (فاحببت ان تستيقظوا والملة قد ادركت) نضج العجين

وقع فيه (قوله فليصحبه الآن) الغرض الحث على علو الهمة فلا ينافى طلب الصحبة فى الله كما اشار اليه الشارح (قوله وهذا مقام الاحسان) أى مراقبة الله تعالى فى كل الاحوال (قوله بشرط ان لاتصحب أحدا الخ) محصله حفظ حرمة المشايخ فى دائم الاوقات (قوله يقع فى قلبه) أى ربما يكون ذلك فان امن على نفسه فلا مانع من الانتقال (قوله صحبنى رجل الخ) فى ذلك دلالة على قوة هضمه لنفسه واتهامها فيما يبدو منها وذلك من شيم الكمل (قوله وقلت له ضع رجلك على خدى) أقول وان لم يكن لمثل هذا شاهد من الشرع غير انه اذا تعين للمداواة فلا مانع منه (قوله فلما زال عن قلبى الخ) اعلم ان مثل هذه القلوب مجارى ارادة الحق تعالى ونحزائن علمه ومحل سره فكلما دارت اسرارهم فى دار القدر ألقت العلوم والاسرار فصاروا جلساء ذلك البيت وجاءهم البسط من كل جانب وقوى جناحهم فطاروا الى سرادقات ذلك الجناب وصارت برجهم فان سقطوا فهم فى صحن الدار يتقلبون بين يدى رب الملك دعاة مجابون محبوبون مجذوبون فالقلب مع الرب والسر مع السر فيا هذا صدور الصديقين قبور رسل رب العالمين فيها نجوم العلم وشموس المعارف وبهذه الانوار تستضئ الملائكة (قوله وكان ابراهيم الخ) فى هذه القصة والتى بعدها دلالة على زيادة محبته للخير وفنائه عن نفسه مع حسن اخلاقه مع اصحابه وكل ذلك سهل بالنسبة لمن وفقه مولاه وسبق له منه اصطفاه (قوله حتى يعود بعد هذا) أى بعد

(فقال بعضهم لبعض انظروا ايش الذى عملنا) معه (وما الذى به يعاملنا) فعرفوا فضله عليهم فيما فعلوا وفعل بهم حيث كان يتعب بالنهار لهم ويتأول لهم التأويل الحسن فى فعله لهم ثم يسعى فى ادخال الراحة عليهم وفى ذلك دلالة على كمال الصحبة الحسنة (وقيل كان ابراهيم بن ادهم اذا صحبه) أى رغب فى صحبته (أحد شارطه) اختبارا له (على ثلاثة اشياء) الاول والثانى (ان تكون الخدمة والاذان له) طلبا لزيادة الفضيلة مع التواضع فطلب الخدمة والاذان لا الامارة والسيادة لما ورد ان سيد القوم خادمهم والمؤذنون اطول اعناقا يوم القيامة لعلو ذكر الله بافواههم ودعائهم بها عباد الله لطاعته (و) الثالث (ان تكون يده فى جميع ما يفتح الله عليهم) به (من الدنيا كيدهم) فى الانتفاع به والتصرف فيه لكنه المتولى امره بالخدمة ليكمل كونه خادما ولان ردّ الامر الى واحد منهم يمنع من التشاجر والاختلاف بينهم (فقال له يوما رجل من أصحابه) لما سمع مشارطته (أنا لا أقدر على هذا) فلا اقدر على صحبتك (فقال) له (اعجبنى صدقك) وخلصت من عهدة الصحبة (وقال يوسف بن الحسين قلت لذى النون) المصرى

(مع من أصحب فقال مع من لا تكتمه شيأ يعلمه الله تعالى منك) فلا ينبغى لك ان تصحب احدا حتى تمتحنه زمانا طويلا وتعرف اخلاقه لاسيما فى الاسفار فتى لم تتثبت فيمن تريد ان تصحبه ظهر لك غالبا من اخلاقه ما يؤدى الى مشاجرته ومقاطعته فترك ذلك أولى لك قبل الدخول فيه (وقال سهل بن عبد الله لرجل ان كنت ممن يخاف السباع فلا تصحبنى) لان الاسفار والبرارى محل طروق الآفات ووجود المخوفات من الجوع والعطش والحر والبرد واللصوص والسباع ونحوها (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت محمد بن الحسن العلوى يقول حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال حدثنا أبو القاسم بن منبه قال سمعت بشر بن الحرث يقول صحبة الاشرار) ولو مع الجهل بحالهم (تورث سوء الظن بالاخيار) لان من صحب من حسن ظنه به ولم يتثبت فى حاله ثم اطلع منه على ضعف فى دينه ساء ظنه بالصالحين (وحكى الجنيد) حيث (قال لما دخل ابو حفص بغداد كان معه انسان اصلع) وهو من انحسر شعر مقدم رأسه (لا يتكلم بشئ فسألت اصحاب ابى حفص عن حاله فقالوا) لى (هذا رجل انفق عليه) أى على ابى حفص مع جماعته (مائة ألف درهم واستدان) بعد ما انفق ذلك (مائة الف انفقها عليه) مع جماعته ايضا (و) مع ذلك (لا يرخص له ابو حفص ان يتكلم بحرف) لما رآه فى حقه من ان السكوت افضل له واجمع لهمه وابعد من رؤية نفسه ولخوفه من ان يبدو منه كلمة يشير بها الى ما انفقه فيسقط من عينه وربما كان الغالب عليه آفة لسانه فمنعه من النطق بالكلية وآفة اللسان اعظم الآفات فمن قوى على الخلاص منها قوى على ما هو دونها ويؤيده خبر وهل يكب الناس على وجوههم وروى مناخرهم الا حصائد السنتهم (وقال ذو النون) المصرى (لا تصحب) اى لا تكن صحبتك (مع الله الا بالموافقة) فى أمره ونهيه (ولا مع الخلق الا بالمناصحة) لهم وعدم غشهم لانهم عيال الله وأحبهم اليه أنفعهم وأنفعهم لعياله فلا يطلع على خلل منهم الا سده ولا على حاجة لهم الا ساعدهم فى قضائها

فعلنا هذا الشرع أى من فعله الذى اعتاده (قوله طلبا لزيادة الفضيلة الخ) ان قلت فيه ايثار النفس مع خبر حب لاخيك ما تحب لنفسك قلت سوّغه ظاهر الحال من الامتهان على ان الايثار انما يطلب فى المباحات لا فى القربات (قوله أطول اعناقا الخ) يحتمل ان الكلام على ظاهره من طول الاعناق حقيقة ويحتمل انه كناية عن قوة الرجاء منهم بسبب فضيلة الاذان والله أعلم (قوله فقال مع من لا تكتمه شيأ) أى مما يصح اعلامه به من قبل علم الشريعة والا فلا يصح الاعلام به ونهاية الغرض الحث على التثبت والبحث عن اخلاق من يراد للصحبة (قوله حتى تمتحنه) أى ويشهد له خبر اخبر تقله (قوله ان كنت ممن يخاف السباع الخ) فيه الحث على دوام مراقبة الله تعالى حتى يعظم الخوف منه فلا يخاف غيره (قوله ولو مع الجهل بحالهم) أى سواء كانت صحبتهم مع العلم بحالهم أو مع الجهل به هذا ويظهر من حل الشارح ان الجملة للحال وله وجه أيضا فتدبر (قوله من ان السكوت أفضل له) أى لانه أسلم وأبعد عن أسباب الندم ومن ذلك قيل ما ندم من سكت (قوله اعظم الآفات) أى وذلك لانه قد يؤدى الى الهلاك فى الدنيا والآخرة (قوله وقال ذو النون) أقول قد جمع الرشاد فيما قد أفاد (قوله ولا مع الخلق الا بالمناصحة) أى ولا فرق فيها بين كبير وصغير ولا بين عظيم وحقير ولا بين عالم وجاهل على حسب الاستطاعة (قوله ولا على حاجة لهم الخ) أى ولا على مخالفة للشريعة الا ردهم

(ولامع النفس الا بالمخالفة) لها لانها مائلة بطبعها الى كل لذيذ ونافرة بطبعها عن كل كريه فحق صاحبها فى صحبته معها ان يخالفها ويردها عن هواها حتى يتبين لها الحق فتتبعه والباطل فتجتنبه (ولامع الشيطان الا بالعداوة) له قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من اصحاب السعير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا وله شيطان فقيل له حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا الا ان الله أعاننى عليه فاسلم (وقال رجل لذى النون مع من أصحب فقال مع من اذا مرضت عادك واذا أذنبت تاب عليك) فلا تصحب الا الله فانه الممرض المعافى المانّ بالتوبة على من عصاه قال تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا أو من يعتنى بأمرك ويعينك على ما ينفعك فان المريض عاجز احب شئ اليه من يباشره ويقوم بامره وكذا اذا وقع فى معصية رجع صاحبه الى الله فيه وتضرع اليه وسأله ان يتوب عليه وتسبب له بدعاء الصالحين رجاء استجابة دعائهم له (سمعت الاستاذ أبا على رحمه الله يقول الشجر ٣٦ اذا نبت بنفسه ولم يستنبته احد يورق ولكنه لا يثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يتخرج به) ويتأدب بآدابه ليخرج بذلك عن عوائد نفسه (لا يجئ منه شئ) نافع فلا يقتدى به وان اجتهد بنفسه فى العبادة والعلم فان النفوس لها خفايا باطنة وعلل كامنة لا تتبين مع محبة العبد لها وانما يتبينها من هو خارج عنها كاشف لها بالعلم مبالغ فى نصحها (و) لذلك (كان الاستاذ ابو على رحمه الله يقول اخذت هذا الطريق عن النصراباذى والنصراباذى) أخذه (عن الشبلى والشبلى عن الجنيد والجنيد عن السرى والسرى عن معروف الكرخى ومعروف عن داود الطائى وداود الطائى لقى التابعين) وأخذ عنهم (وسمعته أيضا يقول لم اختلف) أى اتردد (الى مجلس النصراباذى قط الا اغتسلت قبله) لاكون فى دخولى عليه متطهرا الطهارة الحسية وهى بالماء اسبابك والمعنوية وهى العزم على قبول ما يقوله الشيخ من الخير من غير اعتراض عليه وان كان مشقا على النفوس (قال الاستاذ الامام القشيرى) رحمه الله ولم ادخل انا على الاستاذ أبى على فى وقت بدايتى الا صائما) مجلا معظما له (وكنت اغتسل قبله) أى قبل دخولى عليه (وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فارجع من الباب) فلا أستطيع دخولها (احتشاما منه ان ادخل عليه فاذا تجاسرت مرة ودخلت المدرسة كنت اذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى) أى يلحقنى من الحشمة والخشوع (شبه خدر) يكون فى الرجل (حتى لو غرزنى ابرة مثلا لعلى كنت لا احس بها) اجلالا له (ثم اذا قعدت) عنده (لواقعة وقعت لى لم احتج) الى (ان أسأله بلسانى عن المسئلة) أى الواقعة (فكما) أى فعندما (كنت أجلس) عنده (كان يبتدئ بشرح واقعتى وغير مرة رأيت منه هذا عيانا) وكل ذلك تنبيه على آداب التلامذة مع مشايخهم ليكمل انتفاعهم بهم واقتفاؤهم لآثارهم وبالغ فى ذلك حتى قال

عنها وجوبا أو ندبا بشرط أمن الفتنة فى الرد (قوله ولامع النفس الا بالمخالفة) أى ولذلك قال الجنيد نفعنا الله بعلومه اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها (قوله ولامع الشيطان الا بالعداوة له) أى فيكون دائما على خلافه فيما يوسوس له (قوله فقال مع من اذا مرضت الخ) مراده الحث على الرجوع الى الله بذكر بعض احسانه على العبد (قوله أو من يعتنى بأمرك الخ) فيه حمل على التخلق مع الامثال غير ان الاول أولى (قوله ولكنه لا يثمر) أى فالمقصود الاعظم لا يكون فكذلك المريد بدون شيخ (قوله مع محبة العبد لها) أى المحبة الطبيعية (قوله يقول اخذت هذا الطريق الخ) أى والجميع من ثقاة الامة البالغين فى الارشاد غايته وفى العلم ثمرته رضى الله تعالى عنهم (قوله لم اختلف الخ) أقول لما كانت الطهارة الحسية من وسائل العبادة والاستاذ من وسائل مخالفة العادة اراد ان يتأهل للكمال والمقصود بكل من الوسيلتين عسى ان يسهل عليه طريق الوصول (قوله قال الاستاذ الخ) أقول وهكذا حالة التلامذة مع المشايخ وهكذا حال المشايخ أيضا معهم رضى الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم (قوله وكل ذلك تنبيه الخ) أقول واذا كان هذا معتبرا فى حق المشايخ فما ظنك بحق الحق تعالى الذى أشار اليه أبو الحسن بن الضحاك حيث قال قيل لى فى نوم كاليقظة أو يقظة كالنوم لا تبد فاقة لغيرى فاضاعفها عليك مكافأة لسوء أدبك وخروجك عن حدك فى عبوديتك لانى انما ابتليتك بالفاقة لتفزع الى منها وتتوكل على فيها سبكتك بها لتصير ذهبا خالصا فلا تزيفنها فان وصلتها بى وصلتك بالغنى وان وصلتها بغيرى قطعت عنك مواد معونتى وحسمت

وقدر في نفسه مالم يقع وَ يقع تقريبا للاذهان في تعظيمه لشيخه فقال (وكنت أذكر في نفسي كثيرا انه لو بعث الله في وقتي رسولا الى الخلق هل يمكنني ان ازيد من حشمته على قلبي فوق ما كان منه رحمه الله فكان لا يتصور لي ان ذلك ممكن ولا اذكر أني في طول اختلافي) وترددي (الى مجلسه ثم كوني معه) فيه (بعد حصول الوصلة) بيني وبينه ٣٧ (أن يجرى في قلبي او خطر ببالي عليه قط اعتراض) لو أنوع عن هذا عليه كان أوضح (الى) أى واستمر ما بي من تعظيمي واحتشامي له الى (ان خرج رحمه الله من الدنيا) طلبا لزيادة الفضيلة والانتفاع (أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي الجرجاني رحمه الله قال أخبرنا محمد بن أحمد العبدي قال أخبرنا ابو عوانة قال حدثنا يونس قال حدثنا خلف ابن تميم ابو الاحوص عن محمد بن النضر الحارثي قال أوحى الله سبحانه الى موسى عليه السلام كن يقظانا) أى بعيدا من الغفلات مراقبا في استشعار نظر الله اليك (مرتادا) أى طالبا (لنفسك اخدانا) أى أصحابا يعينونك على ما انت بصدده مما أمرت باليقظة له (وكل خدن لا يواتيك) أى يوافقك ويطيعك (على مسرة فاقصه) من القصو وهو البعد أى فأبعده عنك وفي نسخة فارفضه (ولا تصحبه فانه يقسي قلبك وهو لك عدو) لا خدن لانه يصدك عن مرادك بحالته واشارته ومجالسته (وأكثر) أنت (من ذكري تستوجب) علي (شكري والمزيد من فضلي سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن المعلم يقول سمعت ابا بكر الطمستاني يقول اصحبوا مع الله) بان تشتغلوا به لا بغيره (فان لم تطيقوا) صحبته (فاصحبوا مع من يصحب مع الله لتوصلكم بركات صحبتهم الى صحبة الله تعالى) ولتعلموا منها كيف تصحبون الله *(باب التوحيد)* سيأتي بيانه وهو ممدوح ومطلوب

اسبابك من أسبابي طردك عن بابي فلا تركن الى شئ دوننا فانه وبال عليك وقاتل لك وان وثقت بالحال أوقفناك معه وان لحظت الى الخلق وكلناك اليهم وان اتعززت بالمعرفة نكرناها عليك فاى حيلة لك واى قوة معك فارضنا الآن ربا نرضاك لنا عبدا (قوله وقدر في نفسه مالم يقع) أى من عدم تصوره زيادة احتشام الرسول لو بعث على احتشامه للشيخ وذكره للتقريب للاذهان كما قاله الشارح ومع هذا فعدم ذكر مثله هو الموافق لطريق الكمال (قوله كن يقظانا الخ) اعلم ان مقام النفس في الباب ومقام القلب في الحضرة ومقام السر في المخدع قائم بين يدي الحق سبحانه يلقن القلب والقلب يلقن النفس المطمئنة والنفس تملي على اللسان وسبب تقريب القلب ودخوله دار الفضل وأكله من طعام الفتح وشربه من شراب الانس انما هو السر ولذلك ارشد الكليم الى المراقبة واعلم ان القوم الذين سبقت لهم العناية هم رواسي الارض واوتاد الوجود ينادمهم منادم الانس باحاديث احلى من المن يقول لهم يكون بعد هذا الضيق سعة وبعد هذا التشتت جمع وبعد هذه المرارة حلاوة وبعد هذا الذل عز وبعد هذا الفناء وجود فحينئذ يستقبل وجه القرب صاحب هذا المقام ويحول بينه وبين الخلق حاجز والله اعلم واعلم ان هذا وامثاله مما ورد في حق الرسل المعصومين عليهم صلوات رب العالمين الغرض منه اعمهم فهو للتشريع والله أعلم (قوله والمزيد من فضلي) عطفه للتفسير (قوله فان لم تطيقوا صحبته الخ) أفاد به ان العبد اذا قصرت همته بنفسه ينبغي له ان يتعرض للمدد والنفحات بالاجتماع على أصحاب الاسرار والبركات

(باب التوحيد)

اعلم ان حقيقة التوحيد طرقها توعرت وأسبابها تعذرت وأبوابها تعسرت لمعت بروقها فخبرت وظهرت شموسها فبهرت وخفيت رموزها فاستترت فهي ظاهرة باطنة بادية كامنة متحركة ساكنة تبدو فتبيد وتعدو فتصيد قريبها بعيد وبعيدها قريب ليس لبدايتها غاية فيشار اليها ولا لنهايتها آية فيعول عليها شعاعها يخطف الابصار وضياؤها يطمس الانوار وصفاؤها يهتك الاستار ولالاؤها يصطلم ما احتوى عليه الليل والنهار تحرق من سما اليها وتمحق من عول عليها حياتها موت وموتها حياة لا تقف فتشهد ولا تغيب فتفقد ليس لها اين فتتبعها الاوهام ولا امكان فتتعرف اليه الافهام هيهات هيهات تاهت العقول ودرست العلوم وبطل ما كانوا يعملون شعر

خذوا حديثي ففيه معنى * يفقهه من يكون معنا

غمز ورمز وفيه كنز * من حله نال ما تمنى

حروفه العجم ليس تقرا * لمن لواء السلو عنا
فمن سقاه الحبيب صرفا * أبصر ما نحن عنه غبنا
ومن تجلى له جهارا * شاهد ما لم نكن شهدنا
وخمرة فى الكؤس تجلى * طوبى لعبد بها تهنا
ومالنا فى المدام ذنب * وانما الذنب للمعنى
اعرض عنها بغير ذنب * وقد اديرت عليه مثنى
صرح بذكر الحبيب جهرا * ومن سماع الملام دعنا
هذا الحبيب الذى تجلى * كقاب قوسين وهو أدنى
قد رفع الحجب ثم نادى * لا تحسبوا انتا حجبنا
لا تهجرونا بغير ذنب * ولحن عنكم فما صددنا
عودوا الى وصلنا وكونوا * لنا كما كنتم وكنا
وما مضى لا يعاد يوما * قد انقضى الهجر واصطلحنا

واعلم ان التوحيد هو افراد الحق تعالى بالقصد والعبادة فعلى العاقل ان يرحل اليه خصوصا وعن غيره عموما والا كان كحمار الرحى يسير والذى ارتحل اليه هو الذى ارتحل عنه وكان مثل ما قيل

فلا هو مقتول ففى القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيعتق

فحينئذ ينبغى ان لا يريد العاقل سواه ولا يطلب فى الدنيا والآخرة الا اياه قال محمد بن السماك رحمه الله كتب الى اخ لا تكن لغير الله عبدا ما وجدت من العبودية بدا وقال غيره اياك ان تلاحظ مخلوقا وأنت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا وقال الشاذلى رضى الله تعالى عنه قف بباب واحد لا لتفتح لك الابواب فتفتح لك الابواب واخضع لملك واحد لا لتخضع لك الرقاب تخضع لك الرقاب قال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وقال بعضهم التوحيد افراد الحق تعالى بالقصد والعبادة فان كان ذلك اعتقادا يقال للعبد مؤمن بالتوحيد وان كان علما من أدلة يقال له عالم بالتوحيد وان كان لغلبة الحق على القلب يقال له عارف بربه هذا وعلم التوحيد أشرف انواع العلوم اذ موضوعه ذات الحق جل جلاله وأول واجب على المكلف ليتهيأ لقبول الكمالات والمعلومات بالعلوم العقلية والنقلية وتصح له المعاملات المصونة بالمتابعات المحمدية واعلم انهم يطلقون التوحيد على توحيد الصفات والوحدة على الذات غير أن المراد هنا الاعم (قوله والهكم اله واحد) أى المعبود بحق هو الواحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله المنزه عن التركيب المتصل والمنفصل فى ذاته وفى صفاته وعن الشريك فى شئ من الاشياء تعالى الله علوا كبيرا (قوله والهكم اله واحد) أى وقال شهد الله انه لا اله الا هو المشير الى مقام جمع الجمع الذى لا فرق فيه اصلا فالحامد هو المحمود والشاكر هو المشكور والذاكر هو المذكور

(قال الله عز وجل والهكم اله واحد) و(أخبرنا الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رضى الله عنه قال حدثنا أحمد بن محمود بن خرزاذ قال حدثنا مسيح بن حاتم العكلى قال حدثنا الحبى عبد الله ابن عبد الوهاب قال حدثنا حماد ابن زيد عن سعيد بن سعد بن حاتم العتكى عن ابن أبى صدقة عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة) رضى الله عنه

(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا رجل فيمن كان قبلكم لم يعمل خيرا قط الا التوحيد فقال لاهله اذا مت فاحرقونى ثم اسحقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر فى يوم ريح ففعلوا فقال الله تعالى (للريح أدى ما أخذت فاذا هو بين يديه) تعالى (فقال له ما حملك على ما صنعت فقال استحياء منك فغفر له) وعليه تحمل رواية الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل لم يعمل حسنة قط قال لاهله اذا مت فاحرقونى ثم ذروا نصفى فى البر ونصفى فى البحر لئن قدر الله على اى ضيق على فى المؤاخذة والحساب ليعذبنى عذابا لا يعذبه احدا من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما امر به فامر الله تعالى البر فجمع ما فيه وامر البحر فجمع ما فيه ثم قال له لم فعلت هذا قال من خشيتك وانت اعلم فغفر الله له فعلم ان التوحيد مطلوب وانه سبب النجاة من النار وهو افضل الطاعات واشرفها وشرط فى صحتها ثم بينه فقال (التوحيد هو الحكم بان الشئ واحد والعلم بان الشئ واحد أيضا توحيد) وغلبة رؤية الحق على القلب توحيد أيضا فمن اعتقد أو علم بالدليل انه تعالى واحدا وغلب على قلبه رؤية الحق حتى غفل عن الخلق فهو موحد فمن حصل له التوحيد الاول فهو مؤمن ومن حصل له الثانى فهو عالم ومن حصل له الثالث فهو عارف بالله فالاول توحيد الكافة

فهو هو لا شريك له فمن حصل فى مقام عين اليقين وتحقق بحقيقته لا يرى سوى ولا يشهد غيرا فيكاشف بالمصلى والمصلى له واحدا وكذا باقى الاقوال والافعال والحركات والسكنات فالامر من الله والى الله (قوله بينا رجل الخ) محصله ان مجرد التوحيد اذا صحبه الحياء يكفى فى النجاة من النار بالنسبة لمن سبقت له عناية الحق تعالى والله ذو الفضل العظيم (قوله فاحرقونى) أقول مثل هذه الوصية باطلة فى شريعتنا لا تجوز العمل بها فلعل ذلك كان جائزا فى شريعتهم (قوله لئن قدر الله على الخ) أى بان عاملنى بالعدل لا بالفضل (قوله وهو أفضل الطاعات) أى لان الشئ يشرف بشرف موضوعه وموضوع هذا العلم ذاته تعالى السنية وصفاته العلية (قوله هو الحكم بان الشئ واحد) هذا التعريف باعتبار عرف الشرع والعقل لا باعتبار حقيقة التوحيد الذاتى ثم ومنه يتضح معنى قول من قال

ماوحد الواحد من واحد * اذ كل من وحده جاحد

لان مراده التوحيد الذاتى لا الوصفى ولا الفعلى وذلك لان التوحيد صفة الموحد والصفة تقتضى شيئين وجود نفسها وموصوفها وهو محقق للاثنينية فحينئذ قد يجد الموحد توحيد الحق الواحد باثبات نفسه وفعله المنافى للتوحيد الذى هو اسقاط الحدث واثبات القدم فما بقيت ذات الله وحدها لم يتحقق التوحيد حيث ثبت وجود آخر فاذا لا يصح التوحيد الذاتى على لسان العبد الا بفناء وجوده المجازى الهالك أى المعدوم فى ذاته باشارة قوله سبحانه كل شئ هالك الا وجهه وذلك لان العبد بل كل شئ له وجه فى ذاته ووجه فى الحق وهو بالوجه الاول معدوم دائما اذ هو قبل ذلك الوجود كان معدوما وبعده صار موجودا بوجود فائض من الحق عليه فالآن هو موجود بالوجود الفائض عليه لا بوجود ثابت من قبل ذاته فهو بالنظر الى ذاته معدوم دائما وبالنظر الى الوجود الفائض من الحق عليه موجود فحينئذ اضافة الوجود الى الشئ لادنى ملابسة اضافة مجازية لا حقيقية وعند نظر التحقيق هذا الوجود العارض على ماهيات الاشياء هو عكس نور الوجود القديم المتلالئ على سائر ماهيات الممكنات حيث ظهر بصورها الثابتة فى العلم القديم أزلا والله أعلم (قوله هو الحكم بان الشئ واحد) منه يعلم ان التوحيد صفة للعبد الموحد لا للواحد سبحانه وتعالى اذ نعته تعالى الوحدة الذاتية فى الذات وفى الصفات العلية وقوله والعلم بان الشئ واحد أى لقيام الدليل به ويشعر كلامه أى قوله هو الحكم بان الشئ واحد بان ذلك كاف ولو بدون دليل عليه ذلك الحاكم أو المعتقد وقوله وغلبة رؤية الحق على القلب أى الحاصلة بعد الحكم أو الاعتقاد أو العلم كما لا يخفى (قوله فمن اعتقد الخ) أى اعتقد اعتقادا مجردا عن الدليل وقوله أو علم بالدليل أى السمعى أو العقلى وقوله أو غلب على قلبه الخ أى وتلك الغلبة بواسطة تكرر الدليل ووروده على قلبه (قوله فهو موحد) أى محكوم بانه موحد له تعالى (قوله فهو مؤمن) أى من الناجين من نار الخلود ان قصر والا فطلقا كما لا يخفى على من له المام (قوله فالاول توحيد الكافة) أى العامة وهو كاف فى النجاة

من نار الخلود كما قدمناه وقوله والثاني توحيد العلماء أي من علماء أهل الظاهر وقوله والثالث توحيد الصوفية أي العارفين أرباب الحقائق (قوله اذا وصفته بالوحدانية) أي بان قلت الله واحد فهو توحيد لغوي وشرعي أيضا اذا وافق القول الاعتقاد وعقلي كذلك اذا نشأ عن النظر في الدليل غير انه على طريق الصوفية لا يكون ذلك توحيد الذات ذاتيا لها لان فيه اثبات الاثنينية وهي نفس الموحد وفعله وذلك مناف للتوحيد وحينئذ فلا يتم التوحيد الذاتي الا بفناء الوجود المجازي كما قدمنا الاشارة اليه (قوله اذا وصفته بالوحدانية) أي سواء كان ذلك مع اعتقاد مجرد عن الدليل أو مصاحب له (قوله وأصل أحد تصريفا وحد) منه يعلم ان معنى أحد وواحد شيء واحد وهو المنفرد في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله (قوله ومنه) أي مما قلبت واوه المفتوحة همزة (قوله لا يصح في وصفه الخ) محصله استحالة التركيب في ذاته تعالى فلا يقبل الوضع ولا الرفع كالمركبات (قوله بل رفعه بالكلية) اي بالنظر لذاته اذ كل ممكن لا وجود له الا باعتبار عكس نور الوجود القديم الذي تلألأ على سائر ماهيات الممكنات وظهر بصورها الثابتة في العلم القديم ازلا فاذا هي في نظر المحقق لا وجود لها من ذاتها اذ الوجودات الكونية باسرها اشعة أنوار الوجود القديم وصفاته فتصور العبد انه موجود وتخيله ان له وجودا يثبت له وجودا بالنسبة اليه لا في الواقع وثمرة هذا التخيل اثبات الاثنينية ويصير بذلك محجوبا عن الوصول الى ذوق طعم التوحيد الحقيقي الذاتي الذي يقتضي انتفاء ثبوت وجود من الوجودات الكونية ذاتا كان أو صفة أو فعلا ويدل لذلك قوله تعالى كل شيء هالك الا وجهه أي كل شيء معدوم بالنظر لذاته الا ذات الله تعالى فانه موجود بوجود من ذاته وهذا على تقدير عود الضمير في وجهه الى الحق تعالى واما اذا اعتبر عوده الى الشيء فيكون المعنى كل شيء هالك عدم في حد ذاته الا وجه ذلك الشيء اي وجوده الفائض من الحق تعالى عليه فانه ليس بعدم بل هو وجود عكسي حصل من انعكاس نور الوجود القديم على الماهيات الممكنة العدمية ويقال لتلك الوجودات العكسية وجوه الله أي وجودات وجهها الى الله من جهة الافاضة فلا يلزم حينئذ وجود آخر حتى يكون منافيا للتوحيد الحقيقي اذ عكوسات النور لا تنافي وحدة النور وذلك مثل وحدة الشمس عكوساتها متعددة بحسب المحال والخصوصيات وذلك لا ينافي وحدة الشمس تعقلنا ان كنت معنا وان لم تكن معنا فدعنا وتدبر نفهم والا فسلم تسلم والله أعلم (قوله لانه أحدي الذات) أي واحدها لا يقبل التركيب فيها ولا المشاركة في شيء من الاشياء (قوله بخلاف اسم الجملة) اى الاسم الموضوع للدلالة على جملة مركبة من حيوانية وناطقية وحاملة لاجزاء تركبت منها الشخصية التي هي تحت النوعية (قوله ونفي التقسيم الخ) هذا ما عليه أهل الظاهر فذاته تعالى غير مركبة من اجزاء ولا تشبه غيرها من الذوات وصفاته تعالى لا تشبه الصفات ولا شريك له في الملك تعالى الله علوا كبيرا (قوله ونفي التشبيه

والثاني توحيد العلماء والثالث توحيد الصوفية (و) اعلم انه (يقال) في اللغة (وحدته اذا وصفته بالوحدانية) اى نسبته اليها (كما يقال شجعت فلانا اذا نسبته للشجاعة ويقال في اللغة أيضا (وحد) بالتخفيف (يحد فهو واحد ووحد ووحيد كما يقال فرد فهو فارد وفرد وفريد واصل احد) تصريفا (وحد فقلبت الواو) المفتوحة (همزة والواو المفتوحة قد تقلب همزة كما تقلب المكسورة والمضمومة) كما هو مقرر في علم التصريف (ومنه قولهم (امرأة أسماء) بفتح الهمزة (بمعنى وسماء من الوسامة) أى الحسن فاصل اسماء وسماء قلبوا الواو همزة (ومعنى كونه سبحانه واحدا على لسان) أهل (العلم قيل هو الذي لا يصح في وصفه الوضع والرفع) اللذان هما من صفات الاجسام (بخلاف قولك انسان واحد) فانه يصح في وصفه ذلك (لانك تقول) فيه (انسان بلا يد ولا رجل فيصح رفع شيء منه) بل رفعه بالكلية كما يصح وضعه (والحق سبحانه) منزه عن ذلك لانه (احدي الذات) لا يقبل شيأ من ذلك (بخلاف اسم الجملة الحاملة) لاجزاء كالانسان حامل لرأسه ويده ورجله وغيرها (وقال بعض أهل التحقيق معنى انه) تعالى (واحد نفي التقسيم لذاته ونفي التشبيه

عن

عن حقه) أى مثل ذاته وصفاته فذاته سبحانه وتعالى لاتشبه الذوات وصفاته عز شانه لاتشبه الصفات (قوله ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته) أى فلا فعل يشبه فعله تعالى ولا تأثير لغيره سبحانه فى شئ ما وجودا أو عدما (قوله وهذا هو الذى تضمنته سورة الاخلاص) اى ماتقدم من أن ذاته تعالى لاتشبه الذوات ولاصفاته الصفات ولا فعل لغيره حتى يكون شريكا له فى فعله أو عديلا له هذا ولمناسبة ذكر سورة الاخلاص ونص الشارح على ماتضمنته تتبرك بذكر تفسيرها على قدر ما اتفق اطلاعنا عليه فنقول قل هو الله أحد هو ضمير شان مبتدأ والجملة بعده خبر عنه وفى وضعه موضعه مع عدم سبق ذكر مرجعه الايذان بانه من الشهرة بمكان بحيث يستحضره كل أحد ويشير اليه كل مشير واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه الصمد الذى أصله القصد أطلق على المفعول مبالغة ولا حاجة الى الربط لان الجملة عين الشان المعبر عنه بالضمير وحكمة التصدير به التنبيه من أول الامر على فخامة مضمونها وجلالة خبرها مع مافيه من زيادة التحقيق والتقرير فان الضمير لايفهم منه من أول الامر الا شان مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقبا لما امامه مما يفسره ويزيل ابهامه فيتمكن عند وروده فضل تمكن وهمزة احد منقلبة من الواو فاصله وحد لا كهمزة ما يلازم النفى ويراد به العموم كما فى قوله تعالى فما منكم من أحد عنه حاجزين وما فى قوله صلى الله عليه وسلم ما أحلت الغنائم لاحد سود الرؤس غيركم وقال مكى أصل أحد واحد فابدلت الواو همزة فاجتمع الفان فحذفت احداهما تخفيفا وقال ثعلب ان أحدا لا يبنى عليه العدد ابتداء فلا يقال احد اثنان ولا يقال رجل أحد ولذلك اختص به تعالى والضمير مبتدأ والله خبره واحد بدل منه أو خبر ثان أو خبر مبتدا محذوف وقوله الله الصمد مبتدأ وخبر والصمد فعل بمعنى مفعول من صمد اليه بمعنى قصد فهو السيد المصمود اليه فى الحوائج المستغنى بذاته المفتقر اليه كل ماعداه وقيل الصمد الدائم الباقى الذى لم يزل ولا يزال وقيل الذى يفعل مايشاء ويحكم مايريد وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف احديته وتنكير الاسم الجليل للاشعار بان من اتصف بذلك فهو بمعزل من استحقاق الالوهية وتعرية الجملة عن العاطف لانها كالنتيجة للاولى فبين أولا الوهيته عز وجل المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتزاهته عن شائبة التعدد أو التركب بوجه من الوجوه وعن توهم المشاركة فى الحقيقة وخواصها ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتى عما سواه وافتقار كل ماعداه اليه فى وجوده وبقائه وسائر أحواله تحقيقا للحق وارشادا للخلق الى سننه الواضح ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الاحكام السابقة فقال لم يلد تنصيصا على ابطال زعم ان الملائكة بنات الله وعيسى ابن الله ولذلك ورد النفى على صيغة الماضى أى لم يتولد عنه ولد ولم تكن له صاحبة ولم يفتقر الى مايعينه لوجوب استغنائه سبحانه ولم يولد أى لم يصدر عن شئ لاستحالة نسبة العدم اليه تعالى سابقا أو لاحقا والتصريح به مع انهم معترفون بمضمونه

عن حقه وصفاته ونفى الشريك معه فى أفعاله ومصنوعاته) فلا تشبه ذاته الذوات ولا صفته الصفات ولا فعل لغيره حتى يكون شريكا له فى فعله أو عديلا له وهذا هو الذى تضمنته سورة الاخلاص من كونه واحدا صمدا الى آخرها

فالحق سبحانه مخالف لمخلوقاته كلها مخالفة مطلقة وعطف صفاته على حقه للايضاح (والتوحيد) أقسام (ثلاثة) الاول (توحيد
الحق للحق وهو علمه) تعالى (بانه واحد وخبره) أى اخباره (عنه بانه واحد) بقوله والهكم اله واحد (والثانى توحيد الحق
سبحانه للخلق وهو حكمه سبحانه بان العبد) المؤمن (موحد وخلقه توحيد العبد) فيه بان أوجده فيه وأثنى عليه به (والثالث توحيد الخلق للحق وهو علم العبد بان الله تعالى واحد وحكمه واخباره عنه بانه واحد فهذه جملة فى معنى التوحيد على شرط الايجاز والتحديد) بدال أى التعريف وفى نسخة والتحرير براءين (واختلفت عبارات الشيوخ عن) وفى نسخة فى (معنى التوحيد) الثالث (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سئل عن التوحيد فقال هو (ان تعلم ان قدرة الله تعالى فى) ايجاد (الاشياء بلا مزاج) أى طباع (وصنعه للاشياء بلا علاج وعلة كل شئ صنعه ولا علة لصنعه) لاستقلاله بايجاد كل ممكن (ومهما تصور فى نفسك شئ فالله بخلافه) لانه تعالى لا يدخله تصوير كما مر بيانه أوائل الكتاب (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أحمد بن محمد بن زكريا يقول سمعت أحمد بن عطا يقول سمعت عبد الله بن صالح يقول قال الجريرى ليس لعلم التوحيد الا لسان التوحيد) بان يعبر عنه من عرفه

التقرير ما قبله وتحقيقه بالاشارة الى أنهما متلازمان اذ المعهود ان ما يلد يولد وما لا فلا (قوله ولم يكن له كفوا أحد) أى لم يكافئه أحد ولم يماثله وله صلة لكفوا قدمت عليه مع ان حقها التأخير للاهتمام بها لان المقصود نفى المكافأة عن ذاته تعالى ويجوز ان يكون خبرا لا صلة ويكون كفوا حالا من أحد كذا قيل وليس بشئ وتأخير اسم كان لمراعاة الفواصل هذا وقرئ هو الله أحد باسقاط قل وقرئ الله أحد بغير قل هو وقرئ قل هو الواحد وقيل ان سبب نزولها قول قريش صف لنا ربك الذى تدعونا اليه وانسبه ثم ولانطواء السورة الكريمة على أشتات المعارف الالهية والرد على من ألحد فيها ورد فى الحديث النبوى انها تعدل ثلث القرآن فان مقاصده منحصرة فى بيان العقائد والاحكام والقصص ومن عدلها بكل القرآن اعتبر المقصود بالذات وورد انه صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت فقيل وما وجبت يا رسول الله قال الجنة (قوله مخالف لمخلوقاته) أى تجب له المخالفة لها كلها من كل وجه (قوله توحيد الحق للحق) أى وهو أزلى كباقى صفاته العلية (قوله والثانى توحيد الحق للخلق) أى وهو باعتبار الحكم بان المؤمن موحد أزلى وباعتبار ايجاد التوحيد منه حادث لانه من متعلق القدرة وباعتبار الثناء به على العبد والعلم القديم أزلى كما هو ظاهر (قوله والثالث توحيد الخلق للحق الخ) لا يخفى انه بمعنى علم العبد بان الله واحد وحكمه واخباره عنه به حادث (قوله على شرط الايجاز) أى على طريقه (قوله واختلفت عبارات الشيوخ الخ) أى وأظهر ما قيل فيه انه افراد الحق بالقصد والعبادة (قوله ايجاد الاشياء) أى تقتضى الايجاد حيث هو من تعلقاتها والا فالقدرة صفة أزلية قائمة بذاته تعالى (قوله بلا مزاج) أى فالايجاد فى حقه ليس بالطبع كما ذهب اليه أهل الضلال بل بالاختيار على ما درج اليه أهل الحق (قوله وصنعه للاشياء بلا علاج) أى بلا معالجة كهو بالنسبة للحوادث بل شانه يقول للشئ كن فيكون على ان ذلك من قبيل التقريب للاذهان والا فهو تعالى غنى عن قول كن كذلك فايجاده ليس بالطبع ولا بالتعامل كما هو رأى أهل الزور والبهتان قبحهم الله تعالى (قوله ولا علة لصنعه) أى لا شئ يتوصل به اليه كمعمولات الحوادث المفتقرة الى آلات وأسباب (قوله فالله بخلافه) أى لان تصورات البشر لا تكون الا فيما يلائم الحوادث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله ليس لعلم التوحيد الا لسان التوحيد) أى فلا يتكلم العبد فيه الا اذا نازل مقامات الموحدين وكرع من شرابهم وكوشف بأنوار بصائرهم فمن ذاق عرف ومن وصل الى البحر اغترف فقوله الا لسان التوحيد أى الناشئ عن جزم القلب وعرفانه فيترجم حينئذ عما فيه ولذا قيل

كان فؤادى مجمر فيه عنبر * على نار فكرى واللسان يروح
تترجم عما فى ضميرى مدامعى * وكل اناء بالذى فيه ينضح

(قوله

بلسانه وفيه اشارة الى الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد وحقيقته فمن علم الوحدانية بالدليل او بالموهبة فهو عالم بالتوحيد مخبر عنه بما علمه ومن غلب على قلبه النظر الى الله بان اشتغل به لا بغيره فهو فى حال التوحيد وحقيقته وان كان ساكتا واشارته الى ماوجده من حقيقة التوحيد عند اكثر الناس خافية غامضة (وسئل الجنيد ٤٣ عن التوحيد فقال هو افراد الموحد) بفتح الحاء (بتحقيق وحدانيته بكمال) أى مع كمال (احديته) اى (انه الواحد الذى لم يلد ولم يولد بنفى) اى مع نفى سائر (الاضداد والانداد والاشباه) اى (بلا تشبيه ولا تكييف ولا تصوير ولا تمثيل ليس كمثله شئ وهو السميع البصير) تقدم بيان هذا اوائل الكتاب (وقال الجنيد) ايضا (اذا تناهت عقول العقلاء فى التوحيد تناهت الى الحيرة) لا حيرة شك ونفى حتى يوقع فى التعطيل ولا حيرة اثبات جهة وجرم حتى يوقع فى التجسيم بل حيرة علم الوحدانية بان يعلم العبد واحدا قديما منزها عن صفات الحوادث (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا الحسن بن مقسم يقول سمعت جعفر بن محمد يقول سمعت الجنيد يقول ذلك) فمن ثبته الله للعلم بواحد قديم منزه عما ذكرناه فهو الذى يراه فى آخرته بادراك يخلقه له فى بصره ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا (وسئل الجنيد عن التوحيد فقال معنى تضمحل فيه الرسوم) اى الآثار (وتندرج فيه العلوم ويكون الله تعالى كما لم يزل) اى هو معنى يخلقه الله فى قلب الموحد العارف به ويغلب على قلبه حتى لا يرى غيره تعالى كما كان فى الازل (وقال الحصرى اصولنا فى التوحيد خمسة اشياء رفع الحدث) يعنى الاعراض عن غير الله (وافراد القدم) اى كمال الشغل بالله

(قوله بلسانه) متعلق بقوله يعبر لا بقوله عرفه كما لا يخفى (قوله فهو عالم بالتوحيد) أى وان كان هناك فرق بين من علم التوحيد بالدليل وبين غيره من ذوى المواهب الالهية (قوله ومن غلب على قلبه الخ) أقول هذا وان كان ارقى مما قبله لكنه يتوقف عليه (قوله خافية غامضة) أى وذلك لان العبارة عما فى الضمير غالبا تخفى على غير أرباب السرائر (قوله بتحقيق وحدانيته) الباء للسببية وهى فى قوله بكمال بمعنى مع كما قاله الشارح ولا يخفى المعنى على ذلك بالنسبة لارباب الاذواق (قوله الذى لم يلد الخ) أى الذى لم ينفصل عنه غيره ولم ينفصل هو عن غيره تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا (قوله اذا تناهت الخ) اى وذلك لان من كوشف بما لا تسعه العقول ولا تحده النقول ولا تصفه الواصفون كان شانه الحيرة والدهشة كيف لا وقد تكون الحيرة والدهشة فى مشاهدة بعض الحوادث تدبر والله اعلم (قوله تناهت الى الحيرة) أى الحيرة فى الحقيقة والكنه لاستحالة علم ذلك لضيق علم الحادث وعدم قوته على ذلك على ان الحيرة قد تتحقق فى صنع بعض المصنوعات مثل الحيوانات والنباتات وغيرهما كالمجردات (قوله حتى يوقع فى التعطيل) اى بنفى الصفات الازلية وتعطيل الذات عنها (قوله حتى يوقع فى التجسيم) اى وهو مكفر او مفسق كما لا يخفى على عارف (قوله فمن ثبته الله الخ) اى فمن تشرع بمقام الفرق وتحقق بحقيقة الجمع مثله من تثبت له الرؤيا فى الآخرة بل قد تعجل له فى الدنيا بنور عين البصيرة (قوله بادراك يخلقه له) اى كما وقع لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة معراجه الاقدس وتشريفه بالشرف الانفس (قوله ومن كان فى هذه) اى فى دار الدنيا أعمى أى اعمى البصيرة عن ادراك التوحيد وعن تصديق النبى صلى الله عليه وسلم فهو فى الآخرة اى فى الدار الآخرة اعمى البصر والبصيرة لا يهتدى لشئ من طرق النجاة اعاذنا الله واخواننا من ذلك (قوله فقال معنى تضمحل الخ) اى فاشار بذلك الى التوحيد الذاتى له تعالى الذى لا يتم ادراكه لاحد الا بعد فنائه عن وجوده المجازى وقوله وتندرج فيه العلوم اى والمعلومات اى تشاهد فيه باعتبار المنشئية والاثرية ثم اذا غلب هذا على قلب العبد لا يرى فى الوجود ثانيا غيره تعالى (قوله رفع الحدث الخ) يشير بذلك الى ما به تعرف ذات الله تعالى على قاعدة اصول السادة الصوفية رضى الله تعالى عنهم فالتوحيد المعتبر عندهم ما كان فيه الاسقاط والاثبات والا فهو ناقص ما وصل صاحبه الا حقيقة التوحيد وكماله واعلم ان قولهم معرفة ذات الله بالاضافة العهدية للاشارة الى المعرفة التى تحصل للعارفين بالله لا المعرفة الكنه والحقيقة الذاتية وان كانت ممكنة عند

بعض المتكلمين والحق انها غير ممكنة اذ المعرفة الكنهية الذاتية تستلزم الاحاطة الكلية بالكل مع ان الكمالات الالهية غير متناهية فتلك الاحاطة الكلية بالكل من الكل محالة والوقوف على المحال محال وانما خص المعرفة بذات الله تعالى لان المعرفة قد تكون معرفة الاسماء وقد تكون معرفة الصفات وقد تكون معرفة الافعال فمعرفة الذات التي اشار اليها انما تكون بعد اضمحلال الوجود الكوني في شروق نور الوجود الاحدى بل جلاله كما هو مفهوم مما اشار اليه بقوله رفع الحدث وافراد القدم فاراد بالحدث الموصوف بالحدوث و بالقدم الموصوف بالقدم من اطلاق مبدا الشئ عليه كالعدل في قولك رجل عدل تريد به العادل وذلك الاضمحلال والسقوط والثبوت لا يكون الا في تجلى الذات بالاحدية أعنى انكشاف الذات المجردة بدون ملاحظة نعت وصفة اذ الاحدية هي اعتبار الذات بلا شئ كما ان الواحدية هي اعتبارها لا بشرط شئ وذلك الرفع والاسقاط اسقاط شهودى عيانى ذوقى لا مجرد اعتقاد متكلف فيه ولا شك ان من لم يبلغ قدمه السير والسلوك الموافق للشريعة المطهرة لا يعرف ذاتا مجردة عن ملاحظة الصفات والكائنات فان الذات من حيث هي مجردة تجلى عليه فيعرفها صاحب هذا المقام بافنائه بها عن ذاته وذوات المكونات فهذه هي خاصية هذا التجلى الذاتى فبهذه العلامة هو يعرف الذات ويعرفها ايضا بتعريفها فهو يعرفها بها او بتعريفها ولهذا التجلى الذاتى مراتب أشار اليها بعض الكمل كالشيخ الصديق زين الدين أبى بكر الخواجا قدس الله سره فارجع اليه ان شئت وأما معرفة الاسماء فهو يحصل بتجلى كل اسم للمكاشف وقد يكون ذلك دفعيا اجماليا وقد يكون تدريجيا تفصيليا وأما معرفة الصفات فتحصل أيضا بتجلى كل صفة له كذلك على ما تقدم في الاسماء والفرق بين تجلى الاسم وتجلى الصفة ان المكاشف في تجلى الاسم يشاهد الذات محتجبة بالصفة متجلية له ويشاهد في تجلى الصفة الصفة بدون الذات متجلية له وقد يشاهد الصفة متعلقة بالكون وقد يشاهدها غير متعلقة به وأما معرفة الافعال فتحصل عند فنائه عن ملاحظة أفعال نفسه وأفعال غيره من باقى المخلوقات بسبب اشراق أنوار الصفة الفعالية الالهية عليه فيشاهد هنالك ان كل فعل كونى أثر فعاليته تعالى بالحقيقة والاشياء مظاهر فعاليته سبحانه وههنا مزالق أقدام أهل الجبر فاحذرهم هذا وقال بعضهم مدار توحيد الذات العلية على رفع ذوات الكون عن نظر صاحب هذا المقام بواسطة غلبة اشراق النور الوجودى الاحدى حتى لا يبقى في نظره الا ذلك الوجود القديم وذلك كارتفاع وجود الكواكب الليلية عن نظر الناظر عند اشراق اشعة نور الشمس فهى الرتبة الاولى في رفع الاثنينية ثم بعد هذه مرتبة أخرى في ذلك وهى أن يبلغ الى درجة يشاهد فيها ان الاشياء المحدثات معدومة في ذاتها يعنى ليس لها وجود من ذاتها فانها قبل هذا الوجود كانت معدومة فاض على ماهياتها من انعكاس النور القديم فيرى تلك الوجودات العارضة عليها عكوسات نور الوجود القديم ويرى الاشياء من

حيث ذواتها معدومة عدما محضا كما كانت قبل عروض الوجود العكسي عليها فحينئذ يرتفع التعدد والاثنينية في نظره بالحقيقة لانه لم يبق في هذه الدرجة عنده الا وجود ثابت مستمر قديم واحد أحد أشرقت أرض الاعدام الممكنة بنوره كما أشير اليه بقوله جل اسمه وأشرقت الارض بنور ربها وبعد هذا درجة أخرى في رفع الاثنينية وهي ان يشاهد الوجود القديم منعكسا نوره من غير شهود عكوسات ذلك النور بالماهيات الممكنة وبعد هذا درجة أخرى وهي ان يشاهد الوجود من حيث هو هو من غير شهود العكس والاشراق وبعد هذا درجة في غاية الغايات ونهاية النهايات وهي أن يصل الى مقام يضمحل فيه هو وشعوره في سطوة ذلك النور القديم والآن مابقي الا الله كما قال بعض العارفين اذا تم الفقير فهو الله أي اذا تم الوجود الكوني المستلزم للافتقار والحدوث فالباقي هو الله فالضمير عائد على الله لا على الفقير المفهوم من الفقير فان ذلك اتحاد الحادي فان أرباب ذلك الاتحاد يقولون ان رفع الاثنينية بشهود وجود الممكن عين وجود الواجب فانهم قالوا ان الوجود فيهما بالحقيقة واحد والممكن موجود بوجود الواجب وهم يحملون قول العارفين اسقاط الحدث واثبات القدم على نفي التعينات التي حصلت للوجود فهي نسب واضافات فاذا نفيا عنه فالثابت حينئذ هو الوجود القديم الذي كان معروضا لتلك التعينات وهذه الدرجة الاتحادية تكون في الوسط فالذي وصل الى مافوقها يرى الوجودات الاتحادية الكونية عكوسات نور ذلك الوجود لا نفس الوجود بل يترقى ويذهل عن ملاحظة العكس فافهم والله ولي الهداية والتوفيق وهو حسبي ونعم الرفيق (قوله رفع الحدث) أي رفع ماوصف به على معنى رفع تعلق القلب والتفاته الى شيء منه بدون شاهد علم النقل وقوله وافراد القدم أي افراد ماوصف به بالقصد والعبادة وقوله وهجران الخ من عطف الخاص على العام اهتماما به (قوله ومفارقة الاوطان المعهودة الخ) أفاد به ان المراد بالوطن ليس خصوص المسكن بل مايشمله وما ينازله العبد من المقامات والاحوال (قوله ونسيان ماعلم) أي عملا بقوله صلى الله عليه وسلم اليك انتهت الاماني ياصاحب العافية ويرحم الله القائل

أيحسن أني جاركم ونزيلكم * وأوجه يوما للعباد رجائيا

لبيك اللهم وسعديك والخير كله في يديك والشر ليس اليك فيا أخي دع الكل جانبا واتخذ مولاك صاحبا قال الحبيب المحبوب انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل وهذا المقام انما يتحقق بالفناء عن سائر المرادات في مراد الحق سبحانه وتعالى ثم أقول لك كما قال بعضهم من كان في الله تلفه فعلى الله خلفه ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله فافهم (قوله ونسيان ماعلم وجهل الخ) أي من خبري الدنيا والآخرة على معنى عدم السكون اليها وعدم التعلق بها (قوله علم التوحيد والتوحيد غيره) أي وذلك لان

(وهجر الاخوان) للتفرغ لكمال الشغل به والتلذذ بمناجاته مع انهم لا يضرون العبد ولا ينفعونه والمراد الخروج عن عاداتهم المعهودة لا هجرهم بالكلية كيف والعبد مامور بمواصلتهم ومصاحبتهم منهي عن هجرهم ومقاطعتهم (ومفارقة الاوطان) المعهودة بين الاهل والمعروفة عند الصوفية من السكون الى مقام فيفارقه بان يجد في السلوك ولا يسكن الى مقام سكونا يمنعه من الارتقاء الى غيره (ونسيان ماعلم وجهل) اي ما كان يسكن اليه ثم تركه بان يعرض عنه رضا بما يختاره له ربه ويجريه عليه مما يرضاه له (سمعت منصور بن خلف المغربي يقول كنت) بين اليقظة والنوم (في صحن الجامع ببغداد يعني جامع المنصور والحصري يتكلم) للناس (في التوحيد فرأيت ملكين يعرجان الى السماء فقال احدهما لصاحبه الذي يقول) اي يتكلم فيه (هذا الرجل علم التوحيد والتوحيد غيره) هذا صريح في الفرق بين علم التوحيد

وحال التوحيد فان المصرى كان يكلم الناس بالادلة الدالة على الوحدانية لينقلهم من الاعتقاد الى درجة العلم لترتفع درجتهم عند
ربهم كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكان الرائى يسمع كلامه فرأى الملكين صاعدين وأحدهما
يقول للآخر هذا يتكلم فى علم التوحيد لا فى حال التوحيد وحقيقته وفائدة هذه الرؤية تحريك الرائى الى الانتقال
من علم التوحيد الى حال التوحيد
وحقيقته ليكون فى أعلى درجات
التوحيد فان من كان فى حال
التوحيد فعلم التوحيد عنده ومن
كان فى علم التوحيد فاعتقاد
التوحيد عنده فمتى بلغ أعلى
مقامات التوحيد كان متصفا
بمقاماته كلها وقوله كنت (يعنى
كنت بين اليقظة والنوم) كما تقرر
ويحتمل انه اشتغل حسه بالسماع
فكوشف برؤية الملكين (وقال
فارس التوحيد هو اسقاط
الوسايط) أى الادلاء على الحق
تعالى (عند غلبة الحال)
والاستغراق (والرجوع اليها)
أى الى الوسايط (عند الاحكام)
هذا كلام جامع بين العلوم
والاحوال فمتى وجد العبد المدلول
واستغرق فيه سقط عن قلبه
الوسايط ذكرا ومتى زال عنه ذلك
ورجع الى ذكرهم عظمهم وعرف
قدرهم وحكم بذلك (وان
الحسنات) والخيرات الواقعة فى
الدنيا (لا تغير الاقسام) الازلية
(من الشقاوة والسعادة) فحق
العبد ان لا يسكن الى اعماله التى
رتب عليها الشرع الثواب خوفا
من ان يكون قد سبق فى علم الله
ما يحبطها فحقه ان يكون فى حال
علمه خائفا مما سبق له فانه لا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا بكر بن شاذان لانه
يقول سمعت الشبلى يقول التوحيد صفة الموحد) بفتح الحاء (حقيقة وحلية الموحد) بكسرها (رسما) لان وحدانيته تعالى ثابتة
أزلا وأبدا واذا منّ على عبده بمعرفتها علما أو حالا فهى خلعة خلعها عليه وحلية حسنة حلاه بها فى دنياه ويكملها له فى أخراه

مقام الاول مقام الفرق ومقام الثانى مقام الجمع بل قد يكون جمع الجمع والله أعلم (قوله
وحال التوحيد) أى الذى هو انما ينشأ من غلبة النظر للحق على قلب العبد الموحد حتى
لا يشهد غيره تعالى وحاصل الفرق بين علم التوحيد وحال التوحيد هو ان علمه انما ينشأ
من النظر فى الادلة العقلية والسمعية الموصلة الى الاعتقاد الجازم بانه سبحانه وتعالى
واحد فى ذاته وفى صفاته وفى أفعاله وحال التوحيد انما نشأ من غلبة التوحيد على قلب
الموحد بواسطة تكرر الادلة على قلبه المثمر لليقين الذى أشار له بعض العارفين حيث قال
لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا فعلم التوحيد مبادى وحال التوحيد من النهايات والله
أعلم (قوله لينقلهم من الاعتقاد) أى المجرد عن العلم بالادلة وقوله الى درجة العلم أى
جزم القلب الناشئ عن واضحات الادلة (قوله تحريك الرائى الخ) أى فهى من اللطف
منه تعالى بعبده (قوله فعلم التوحيد عنده) أى بقوة جزم قلبه بوحدانيته تعالى على
حسب ما شاهده من كمالاته (قوله فاعتقاد التوحيد عنده) أى بل اعتقاده أقوى لما قام
عنده من واضحات الادلة (قوله كان متصفا بمقاماته كلها) أى من الاعتقاد المجرد عن
الادلة ومن المصحوب بها (قوله التوحيد هو اسقاط الوسايط) معناه شهود الموحد القديم
مجردا عن الوجود الحادث وهذا بعينه معنى قولهم التوحيد اسقاط الحدث واثبات
القدم وأما معنى قولهم التوحيد اسقاط الاضافات فهو شهود القديم مجردا عن التعينات
الكونية ومنزها عن الاضافات الحدوثية بان لا يضاف الى الارض أو السماء وما فيهما مثلا
والحاصل ان ذلك معناه الاشارة الى ثمرة التوحيد بعد تحققه للعبد فتارة تغلب احواله
فتسقط عنده الوسايط وتارة يعود الى الصحو فيرجع اليها عند الاحكام واعلم ان الكمال
فى الكمال (قوله اسقاط الوسايط) أى المحسوسة والمعقولة كما هو واضح لمن له ذوق
(قوله والرجوع اليها) أى لضرورة قيامه باعباء التكاليف الشرعية (قوله هذا
كلام جامع بين العلوم والاحوال) أى بين حال الصحو وحال السكر والغيبة (قوله ذكرا)
يحتمل انه يقرأ بضم فسكون أو بكسر فسكون بل ارادتهما معا أظهر (قوله وان
الحسنات) أى بحسب الظاهر مع أنها قد تكون غير مقبولة لا تغير الاقسام الازلية
ومحصل ذلك النهى عن الاغترار بما يبدو على الانسان من أنواع الطاعات وان الذى
ينبغى له استصحاب الخوف منه تعالى فى مدة عافيته لجهل سوابق التقدير ولذلك قيل
فى الحكم العطائية سوابق الهمم لا تخرق أسوار الاقدار وعن القنوط بكثرة السيئات
بشاهد قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (قوله التوحيد صفة الموحد حقيقة) أى

(وسئل الجنيد عن توحيد الخاص فقال) هو (ان يكون العبد شبحا) أى شخصا ملقى (بين يدى الله تعالى تجرى عليه تصاريف
تدبيره فى مجارى أحكام قدرته فى لجج بحار توحيده بالفناء عن نفسه وعن دعوة الخلق له) فى مهماتهم (وعن استجابته) اى
اجابته لهم (بحقائق) اى فناؤه عما ذكر بسبب حقائق (وجوده
ووحدانيته) تعالى وقوله (فى
حقيقة قربه) منه تعالى صلة
الفناء (بذهاب حسه وحركته)
تفسير للفناء (وانما فنى بذلك) (لقيام
الحق له فيما أراد منه وهو ان يرجع
آخر العبد الى أوله فيكون كما كان
قبل أن يكون) فى أنه لاحركة له
ولا ارادة والمراد بما ذكره ان حق
العبد ان يكون راضيا بما
يجريه الله عليه بما يرضاه له وتشهد
بصحته الشريعة وربه حينئذ
لكمال حفظه ومحبته له لا يجرى
عليه الا ما ينفعه (وسئل البوشنجى
عن التوحيد فقال) ان تعلم
انه (غير مشبه الذوات ولا منفى
الصفات) القديمة كما مر بيانه
أوائل الكتاب (سمعت الشيخ
أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله
يقول سمعت منصور بن عبد الله
يقول سمعت أبا الحسين العنبرى
يقول سمعت سهل بن عبد الله يقول
وقد سئل عن ذات الله فقال) هو
زائد (ذات الله موصوفة بالعلم غير
مدركة بالاحاطة ولا مرئية) لنا
(بالابصار فى دار الدنيا وهى) أى
ذاته تعالى (موجودة بحقائق
الايمان من غير حد ولا احاطة
ولا حلول وتراه العيون فى العقبى)
أى الآخرة (ظاهرا فى ملكه
وقدرته) لا بالاحاطة فلا يرى رؤية الاشباح وانما يرى على ما هو عليه من جلاله وعظمته وتنزهه عن مشابهته لغيره

لانه هو الفاعل المختار وقوله وحلية الموحد رسما أى لكونه الفاعل ظاهرا فهو مجرى
لاحكامه تعالى فى الحقيقة وفاعل مجازا ويحتمل ان المراد ان علم الوحدانية الحقيقى الذاتى
وصفه تعالى حقيقة وعلم العبد بها أو غلبة حالها عليه انما وصل اليه من حلية طارئة
ووصف رسمى مجازى نشأ من تفضله سبحانه وتعالى على من سبقت له العناية الالهية
(قوله بين يدى الله تعالى) أى يتقلب بين قدرته وارادته سبحانه وتعالى (قوله فى لجج بحار
توحيده) أى حالة كونه مستغرقا فى لجج بحار توحيده وقوله بالفناء عن نفسه الباء فيه
للسببية أى سبب فنائه عن نفسه فى هذه الحالة الغالبة على قلبه (قوله أى فناؤه عما ذكر)
أى عن نفسه وعن دعوة الخلق له وعن استجابته وقوله بسبب حقائق وجوده ووحدانيته
أى الحقائق التى اتضحت من واضحات الادلة وقوله فى حقيقة قربه أى وتلك الحقائق
انما تحققت وانكشفت له فى هذه الحالة الشريفة التى تقرب فيها من رحمته تعالى
واحسانه (قوله بذهاب حسه) أى بواسطة للفناء فى مرادات الحق تعالى (قوله وانما
فنى بذلك الخ) مراده بيان وجه فنائه وحقيقته ومحصله انه سقوط حركات العبد وسكناته
فيرجع كحاله قبل ان يوجد (قوله لقيام الحق له) أى لعلمه بذلك واعتقاده بشاهد خبر كل
ميسر لما خلق له (قوله وهو ان يرجع آخر العبد) محصل ذلك التبرى من الحول والقوة مع
الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه (قوله وربه حينئذ) أى حين وصوله
الى هذه الحالة وقوله لا يجرى عليه الا ما ينفعه أى بدليل ومن يتق الله يجعل له مخرجا الآية
(قوله غير مشبه الذوات) أى لوجوب مخالفته للحوادث وقوله ولا منفى الصفات أى
خلافا لاهل الضلال والباطل من المعطلة فرارا من تعدد القدماء بظنهم الفاسد (قوله
وقد سئل عن ذات الله الخ) أقول السؤال جهل والجواب تحقيق يختص برحمته من يشاء
(قوله فقال ذات الله موصوفة الخ) فيه ايماء الى طريق الادب فى السؤال بالبعد عن
التكلم فى حقيقة الذات وان الذى يصح ان يسئل عنه انما هو صفاته العلية ونعوته
السنية ولذلك أجاب ببيان الصفات (قوله موصوفة بالعلم) اى بالعلم القديم المحيط بسائر
الواجبات والجائزات والمستحيلات (قوله غير مدركة بالاحاطة) أى بالكنه والحقيقة
وذهب بعضهم الى ان الحق تعالى اذا حوط عبده بحط والحق الاول (قوله ولا مرئية
لنا) أى معاشر الخلق ما عداه صلى الله عليه وسلم وقوله فى دار الدنيا خرج بذلك يوم القيامة
حيث ثبت ادراكه تعالى فيه بالابصار على ما يليق به جلت عظمته (قوله بحقائق الايمان)
مراده ان ثبوت وجوده تعالى وتحققه اصله ومنشؤه حقائق الايمان والتصديق القلبى
لا الرؤية البصرية (قوله من غير حد الخ) أى لان ذلك من شؤن الحوادث جل ربنا عنها
وعن لوازمها (قوله لا بالاحاطة) أى المعهودة عند الحوادث بل يخلق الله تعالى قوة
لابصار المؤمنين يوم القيامة حتى يبصرونه على ما يليق بجلاله وعظمته جلت قدرته (قوله

(قد حجب) الله (الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته) الظاهرة (فالقلوب تعرفه) بها لا على وجه الاحاطة (والعقول لا تدركه) ادراك احاطة بل ادراكا ما بوجه ما (ينظر اليه المؤمنون) فى الآخرة (بالابصار) بان يخلق لهم فيها ادراكا يدركونه به (من غير احاطة ولا ادراك نهاية وقال الجنيد أشرف كلمة فى التوحيد ما قاله أبو بكر الصديق رضى الله عنه سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا) أى طريقا (الى معرفته الا بالعجز عن معرفته قال الاستاذ الامام) القشيرى (رحمه الله ليس يريد الصديق) رضى الله عنه (انه) تعالى (لا يعرف) الا بالعجز عن معرفته المعدومة ٤٨ (لان عند المحققين العجز) انما هو (عجز عن الموجود دون المعدوم كالمقعد فانه (عاجز عن قعوده) الموجود (اذ ليس) هو (بكسبه ولا فعل) منه لما ذكره بقوله (والقعود موجود فيه) فهو مجبور عليه ومخلوق له (كذلك العارف) بالله (عاجز عن معرفته والمعرفة موجودة فيه لانها ضرورية) حينئذ (وعند هذه الطائفة المعرفة به سبحانه فى الانتهاء ضرورية) فهم عاجزون عن معرفتهم التى عرفهم اياها وأوجدها لهم (فالمعرفة الكسبية فى الابتداء وان كانت معرفة على التحقيق فلم يعدها الصديق رضى الله عنه شيأ بالاضافة الى المعرفة الضرورية كالسراج عند طلوع الشمس وانبساط شعاعها عليه) واستبعد بعضهم هذا التاويل قال وانما أراد الصديق ان العبد انما يعرف من جلال الله وعظمته ما خلق له المعرفة به دون ما عجزت العقول عن ادراكه ولم يخلقه له من حقيقة ذاته وصفاته فهو عاجز عن معرفة ذلك فقوله سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا الى معرفته أى الى كمال معرفته فى الدنيا الا بعلمهم بعجزهم عن غاية معرفته والا فالتأويل جار اشتغاله فى كل معتقد فان من عرف الله بالدليل أو خلق الله له اعتقادا صحيحا بذلك عاجز عن تحصيله (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن سعيد البصرى بالكوفة يقول سمعت ابن الاعرابى يقول قال الجنيد التوحيد الذى انفرد به الصوفية هو افراد القدم عن الحدث) أى الحدوث (والخروج عن الاوطان وقطع المحاب) أى محبوبات النفس (وترك ما علم وجهل وان يكون الحق) تعالى (مكان الجميع) ليشتغل قلب العبد به ويتفرغ عما عداه حتى عن نفسه وتقدم بيان ذلك

قد حجب الله الخلق عن معرفة كنه ذاته) أى حال بينهم وبين معرفة حقيقة ذاته تعالى اضعف قواهم وعقولهم عنها (قوله بآياته الظاهرة) أى مثل هذه الاكوان وغيرها والله أعلم (قوله فالقلوب تعرفه بها) أى بالآيات المذكورة (قوله بل ادراكا ما بوجه ما) أى على ما هو اللائق به تعالى (قوله سبحان من لم يجعل لخلقه الخ) محصله أن غاية معرفة الخلق الصحيحة لايمانهم بعد نظرهم فى أدلة وجوده وثبوت صفاته اعترافهم بالعجز عن الاحاطة بما لذاته تعالى من نعوت الكمال مع وقوفهم عن التفكر فى كنه الذات العلية (قوله قال الاستاذ الخ) محصله ارتكاب تأويل فى عبارة الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه بحمل المعرفة على غير المكتسبة بل على الضرورية المخلوقة له فى آخر عمره المشبهة بشعاع الشمس اذا انبسط بعد طلوعها والمكتسبة بضوء السراج مع ذلك الشعاع فتدبره فانه نفيس (قوله لان عند المحققين الخ) علة لقوله ليس يريد الصديق الخ (قوله كذلك العارف بالله الخ) أى فالعارف أيضا عاجز عن المعرفة بالله الضرورية الموجودة فيه بالقوة والاستعداد نهاية الامر عجزه عنها العدم تعلق قدرته بها وعدم اكتسابها لكونها ضرورية توجد له فى آخر عمره بخلق الله لها فيه (قوله وان كانت معرفة على التحقيق) أى وان اكتفى بها فى مقام التكليف لكونها هى التى فى الوسع والطاقة وا لتوقف صحة الايمان والعمل عليها فلم يعدها الصديق (قوله كالسراج) خبر عن قوله فالمعرفة الكسبية (قوله قال وانما أراد الخ) أقول وهو الظاهر فالاولى حمل الكلام عليه (قوله دون ما عجزت الخ) اى بدليل لا يكلف الله نفسا الا وسعها (قوله الا بعلمهم بعجزهم الخ) أى فالمعنى ان العلم بالعجز عن غاية معرفته هو سبيل معرفته الذى قدره سبحانه وتعالى لعباده (قوله هو افراد القدم) اى القديم عن الحدث اى الحادث اى افراده بالقصد والعبادة (قوله والخروج عن الاوطان) اى الانفصال عنها سواء كانت الاوطان حسية كالمساكن أو معنوية كالمقامات والاحوال التى ينازلها العبد المقرب (قوله وترك ما علم وجهل) اى على معنى عدم الركون الى ذلك وذلك بالرجوع الى الحق سبحانه وتعالى والرضا بما يجريه من احكامه (قوله وان يكون الحق تعالى مكان الجميع) اى فيكون

(وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الاوقات الا عطشا) اليه فانه وان بلغ فيه ما بلغ لم يبلغ كنهه كما مر فهو متعطش الى ما لم يبلغه (وقال الجنيد علم التوحيد مباين لوجوده ووجوده مفارق) أي مباين (لعلمه) فكل منهما مباين للآخر وفيه الفرق بين علم التوحيد وحاله وتقدم بيانه (وقال الجنيد أيضا علم التوحيد) أي علم دقائقه (طوى بساطه منذ عشرين سنة والناس يتكلمون في حواشيه) أي ظواهره وأراد بذلك ان يحرك غيره الى الجد في السلوك ليصلوا الى العلم بدقائق التوحيد وقيل المراد بعلم التوحيد الذي طوى بساطه كلام أرباب الاحوال في أحوالهم وحواشيه ٤٩ كلامهم في أقوالهم (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن أحمد الاصبهاني يقول وقف رجل على الحسين بن منصور فقال من الحق الذي تشيرون اليه فقال معل الانام ولا يعتل) أي هو المحدث الخالق ولا محدث له (وسمعته) ايضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلي يقول من اطلع على ذرة من علم التوحيد ضعف عن حمل بقة) وفي نسخة نفسه (لثقل ما حمله) لان من اطلع على ذلك علم ان الله هو الفاعل لكل مخلوق وان غيره لا فعل له فلم يطق حمل شئ من بقة وغيرها الا بقوته تعالى ولطفه (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سئل الشبلي فقيل له أخبرنا عن توحيد مجرد) أي خالص (بلسان حق مفرد فقال) مجيبا (ويحك من أجاب عن التوحيد) المجرد (بالعبارة فهو ملحد) أي مائل عن الحق الى غيره لانه لا يدرك كنهه فكيف يعبر عنه (ومن أشار) أي أجاب بالاشارة (اليه فهو ثنوي) نسبة الى اثنين أي فهو مدرك نفسه وربه فلم يكمل استغراقه فلم يكمل توحيده (ومن أومأ) أي أجاب بالايماء (اليه فهو عابد وثن) أي صنم لتضمن ذلك جهة وشبحا فلم يكمل استغراقه (ومن نطق فيه) أي في الجواب (فهو غافل) عن كمال التوحيد وهذا يرجع الى الاول (ومن سكت عنه) أي عن الجواب (فهو جاهل) بالتوحيد (ومن توهم انه واصل) بنفسه (فليس له حاصل) في علم التوحيد (ومن رأى انه قريب) منه تعالى بالذات (فهو بعيد) من هذا العلم وغيره

اشتغاله بالحق تعالى وبما يرضيه مستغرقا القلب مانعا من الالتفات الى ما سواه (قوله من وقع في بحار التوحيد) أي في مقاماته وأحواله الشبيهة بالبحر في السعة واضطراب الامواج وقت تزايد الرياح (قوله لا يزداد الخ) أي ولذلك قيل انه يقال للذي الكمال وقت الترقي الى الاكمل مقصودك امامك انما ضقن فتنة فلا تفكر (قوله علم التوحيد مباين لوجوده) أي العلم الموصل الى اعتقاد وحدته تعالى ذاتا وصفة وفعلا مغاير لوجوده بمعنى التخلق بحقيقة ما علمه فلا يلزم ان كل من اعتقد وحدانيته تعالى على الوجه المذكور يتخلق بحقيقة ما علم كما هو غني عن البيان وحيث كان كذلك لزم ان وجوده مباين ومغاير لعلمه المجرد عن التخلق المذكور (قوله طوى بساطه) أقول فاذا ثبت هذا بالنسبة لعلم التوحيد فما ظنك بحال التوحيد فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وأراد بذلك ان يحرك غيره) أي فليس المقصود الحقيقة بل الحث على الجد والتشمير في الوصول اليه (قوله وقيل المراد الخ) أقول وهو اللائق باهل العصر المتقدم أما بالنسبة لاهل عصرنا فالاول اليق لندرة العلماء وكثرة الجهال فيه (قوله فقال معل الانام الخ) أي الذي وجوده علة كل موجود ولا علة لوجوده تعالى ولا يخفى ما في التعبير (قوله ضعف عن حمل بقة) أي باعتبار ذاته بدون معونة من ربه وذلك بشهود ان لا فاعل غيره تعالى (قوله عن توحيد مجرد) لعل المراد أنه سئل عن استكشاف الحقيقة الالهية ولذلك أجاب بقوله ويحك التي هي للترحم وعدل الى الحث والحمل على طلب حال التوحيد وهو الاستغراق في كمال الله وجلاله حتى يفنى عن نفسه وغيره (قوله بلسان حق مفرد) اى معبرا عنه بحسب الحقيقة لا بحسب ظاهر الشريعة (قوله فهو ملحد) من الالحاد وهو الميل عن الحق الى غيره لعدم امكان التعبير عن حقيقة الذات العلية لاستحالة علم كنهها كما أفاده الشارح (قوله فهو ثنوي) أي لان الاشارة تقتضي وجود المشير والحق وحدة الوجود (قوله فهو عابد وثن) أي لانه هو الذي له جهة يشار اليه باعتبارها (قوله عن كمال التوحيد) أي الذي ينشأ عنه الاستغراق فيه والسكوت عن قول فيه (قوله فهو جاهل) أي لقصوره عن الجواب (قوله فليس له حاصل) أي لان كمالاته تعالى لا نهاية لها

(ومن تواجد) فرحا بالتوحيد (فهو فاقد) للاستغراق فيه فالمراد مما قاله ان التوحيد المجرد باللسان الحق وهو التوحيد الكامل استغراق العبد في كمال الله وجلاله وتنزيهه استغراقا ينسى فيه نفسه لشغله بوحدانيته تعالى (وكل ماميزتموه باوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتم معانيكم) الدالة على الحدوث من جهة وشبح ونور ونحوها (فهو مصروف) عنه تعالى (مردود اليكم محدث مصنوع مثلكم) فانه تعالى منزه عن الحدوث والاشكال (وقال يوسف بن الحسين توحيد الخاصة) وهو التوحيد الكامل (ان يكون) العبد (بسره ووجده وقلبه كأنه قائم بين يديه سبحانه يجري عليه تصاريف تدبيره وأحكام قدرته) من تحريك وتسكين وغيرهما (في) أي يجري ذلك في (بحار توحيده) وشغله به (بالفناء) أي مع الفناء (عن نفسه وذهاب حسه) عن كل مخلوق (بقيام) أي بسبب قيام (الحق له في مراده منه فيكون كما) كان (هو قبل ان يكون في جريان حكمه سبحانه عليه) فانه كان قبل ان يكون في علمه تعالى وارادته معلوما ومرادا وان لم يكن موجودا فكذا يكون لكمال شغله بما ذكر كأنه لم يكن بالاضافة الى غير الله والا فهو بالاضافة اليه تعالى ٥٠ غير غافل عنه بل كامل الشغل به (وقيل التوحيد) حقيقة انما هو (للحق) تعالى لانه صفة قديمة له (و) التوحيد في (الخلق) أي القائم بكل منهم (طفيلي) حادث كائن بعد ان لم يكن (وقيل التوحيد اسقاط الياآت) أي ياآت الاضافة بان لا يضيف العبد الى نفسه شيأ لا ملكا ولا عملا ولا حالا (لا تقول لي وبي ومني والي) مثلا وانما تضيف ذلك الى فاعله الحقيقي ويغلب على قلبك ذلك حتى تنسى الاغيار (وقيل لابي بكر الطمستاني ما التوحيد فقال هو (توحيد) أي حكم بانه تعالى واحد (وموحد) بفتح الحاء (وموحد) بكسرها (هذه ثلاثة) لا يحصل التوحيد الا بها (وقال رويم التوحيد) يعني توحيد العارفين (محو) ذكر (آثار البشرية) عن القلب (وتجرد الالوهية) أي تجرد القلب بكمال اداغ شغله بالله عن الالتفات الى غيره حتى لم يبق في قلبه غيره (سمعت الاستاذ ابا علي الدقاق رحمه الله يقول في آخر عمره وكان قد اشتدت به العلة فقال) هو زائد (من أمارات) أي علامات (التأييد) للولي (حفظ) الله له في (التوحيد في أوقات الحكم) عليه بما يجريه عليه (ثم قال كالمفسر لقوله) هذا (مشيرا الى ما كان من حاله هو ان يقرضك بمقاريض القدرة في امضاء الاحكام) التي تجري عليك (قطعة قطعة وأنت) في ذلك ناظر الى توحيده (شاكر) له على نعمه (حامد) له بصفاته وفي نسخة ساكن خامد بسين مهملة ونون وخاء معجمة (وقال الشبلي ماشم رائحة التوحيد من تصور عنده التوحيد) لان كمال التوحيد ان يشتغل بالله شغلا ينسيه عن غيره تعالى ومن جملته توحيده فمتى تصوره لم يستغرق في كمال توحيده (وقال ابو سعيد الخراز اول مقام لمن وجد) عنده (علم التوحيد وتحقق) اي واتصف (بذلك) اي بالتوحيد (فناء ذكر الاشياء عن قلبه وانفراده) بشغله (بالله تعالى) بان اشتغل به لا بغيره فان كمل شغله به بحيث نسي نفسه مع غيره ما عدا الله فقد بلغ نهاية مقام التوحيد (وقال الشبلي لرجل تدري لم لا يصح توحيدك

فمن فهم الوصول اليها فقد أخطأ لعدم محصوله بشاهد العلم (قوله فهو فاقد) أي حيث بقي احساسه أو لبقاء فرحه بحاله واستحسانه له (قوله فهو مصروف عنه تعالى الخ) أي لاستحالته في حقه سبحانه وتعالى لان كل ما يميزه الحادث ويتصوره لا يليق به سبحانه وتعالى (قوله وقال يوسف الخ) تقدم مثله عن الجنيد (قوله ان يكون العبد بسره الخ) محصله ان يكون مسلوب الحركة والسكون استغراقا في مقام واحديته تعالى (قوله كأنه لم يكن الخ) اى بالنسبة لما ابس له شاهد من علم الشريعة كما لا يخفى (قوله وقيل التوحيد حقيقة الخ) اى فعل الانفراد حقيقة في شيء من الاشياء لا يكون الا لله تعالى فاذا اضيف الى غيره فهو على وجه التطفل والمجاز (قوله حادث كائن بعد ان لم يكن) أي حيث هو من آثار القدرة لانه من نوع الممكن (قوله التوحيد اسقاط الياآت) أقول ذلك من لوازم حقيقة التوحيد اذا نازله العبد لا معناه حقيقة (قوله فقال هو توحيد الخ) أي فقد تبين التوحيد باركانه (قوله محو ذكر آثار البشرية) أي نفي تعلق القلب بها من غير شاهد من علم الظاهر كما لا يخفى (قوله حفظ الله الخ) حاصله أنه الرضا بما يجريه الحق تعالى من الاحكام وان لم يلائم ميل النفس (قوله شاكرا له على نعمه) فيه الاشارة الى أنه ممن يعد البلاء من النعم (قوله ماشم رائحة التوحيد) فيه الحث على التبري مما للنفس من الاقوال والافعال والحركات والسكون وغير ذلك (قوله وقال أبو سعيد الخ) هو قريب مما قبله بل ما قبله

(فقال لا فال لانك تطلبه بك) لا بالله فان طلبته به صح توحيدك واصل كل خير وكل مقام وقبح أن يخلص فيه الجدار به ويتبرأ من حوله وقوته فلا يلتفت لنفسه ولا لكسبه ولهذا قال تعالى وعليه فتوكلوا ان كنتم مؤمنين (وقال ابن عطاء علامة حقيقة التوحيد نسيان التوحيد) لما مر من انه كمال التوحيد ان ينسى العبد نفسه وتوحيده (وهو ان يكون القائم به) أي بقلبه (واحدا) وهو الله تعالى لا غيره ثم أشار الى بيان اختلاف مقامات الموحدين فقال (ويقال من الناس من يكون فى توحيده مكاشفا) بفتح الشين (بالافعال يرى الحادثات بالله) بان يرى الافعال لواحد وقلبه ٥١ مع الحادثات فاى شئ حدث ذكر محدثه

أبلغ منه (قوله لانك تطلبه بك) أي تعقده وتلتفت اليه مع الغفلة عن طلب الاعانة ممن له الامر كله (قوله واحدا) أي فى القصد والعبادة (قوله بان يرى الافعال لواحد) أي وهذا أول مقامات الموحدين من أرباب العلوم الظاهرة (قوله وهذا أرفع الخ) أي لان نظر صاحب هذا المقام انما هو الى منشأ الاشياء ومصدرها بخلاف من قبله فان نظره ابتداء الى الآثار ثم ينتقل منها الى مصدرها وشتان ما بين النظرين (قوله ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة الخ) الفرق بين هذا وما قبله ان الاول سبب وصوله شاهد العلم وهذا سبب وصوله تكرر ذلك الشاهد على قلبه حتى غلب عليه وصار كانه معاين له محسوس عنده بواسطة قوة اليقين ومن هنا قيل لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا (قوله فهو يشاهد الجمع الخ) أي وذلك باعتبار انه لا يرى الا الواحد تعالى وتقدس وقوله وظاهره بوصف التفرقة أي لاجل ان يتحقق له نعت العبودية ويقوم بالمتابعة الاحمدية (قوله وغنى لى منى قلبي الخ) أي فهو يشير رضى الله عنه الى أن ما ظهر على جوارحه مما بطن فى سرائره وله الاشارة بخبر الاوان فى الجسد مضغة الحديث وقوله وكما الخ يريد به أن مراداته قد فنيت فى مرادات مولاه تعالى فلا يتصرف ولا يسكن الا على هذا الشاهد وقوله وكانوا الخ الغرض منه بيان ثمرة هذا النعت وهى ان يكون العبد فى حفظ مولاه ورعايته ويشهد لذلك قولهم من كان فى الله تلفه كان الله خلفه (قوله فقال لا ولكن الموحد يأخذ الخ) أى وذلك الاخذ من اشارة سبحان من له فى كل شئ آية تدل على انه الواحد (قوله من أدنى الخطاب وأيسره) أى وان كان القرآن والاخبار المحمدية اعلى ما يستدل بها

ومنهم من هو مكاشف بالصفات وهو ان يعلم انفراد الله بالصفات القديمة كالقدرة والارادة والعلم وهذا أرفع درجة مما قبله (ومنهم من هو مكاشف بالحقيقة فيضمحل) فيها (احساسه بما سواه) تعالى (فهو يشاهد الجمع سرا بسر) أي يشاهد باطنه شيأ فشيأ بوصف الجمع (وظاهره بوصف التفرقة) فيكمل عنده انفراد الحق فى ذاته وافعاله وصفاته وهذا هو التوحيد الكامل (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى رحمه الله يقول سمعت على بن محمد القزوينى يقول سمعت القنقد يقول سئل الجنيد عن التوحيد فقال سمعت قائلا يقول وغنالى منى قلبي * وغنيت كما غنا وكنا حيثما كانوا * وكانوا حيثما كنا) فاعتبر الجنيد بذلك نفسه وحاله مع الله وكونه تعالى خلق له السماع فى قلبه وعبر عنه بالغناء فلما خلقه فى قلبه هاجت عليه أحوال الموافقة لما سمعه أخذا من قوله وغنيت كما غنى وأخبر انه لما توالى عليه هذا

(باب أحوالهم) أى الصوفية (عند الخروج من الدنيا)

أي بيان صفاتهم ونعوتهم وقت اقتراب آجالهم ورحيلهم من دار الفناء وانتقالهم الى دار البقاء من الخوف والرجاء وغيرهما واعلم ان المطلوب فى هذه الحالة تغليب الرجاء بالنظر الى سعة الرحمة وزيادة الفضل ولان الانتقال انما هو لاكرم الكرماء فما يقع لبعضهم فى هذا الوقت من الخوف فهو من باب الغلبة لا الاختيار لان طريق المتابعة خير الطرق الموصلة الى الحق جل جلاله وقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة مما يدل على طلب الرجاء

الحال لم يبق فيه وسع ولا ذكر لغير الحق شغلا به عن غيره أخذا من البيت الثانى وفيه اشارة الى استغراقه بالكلية حتى عن نفسه فلم ير الا واحدا (فقال) له (السائل) لما لم يفهم الجواب من البيتين كما فهمه هو (هلك القرآن والاخبار) حتى تستدل بغيرهما (فقال لا ولكن الموحد يأخذ اعلى التوحيد من أدنى الخطاب) وأيسره فمن غلب على قلبه التوحيد صار له من كل شئ حال ووجد وسماع والمعنى انى ظننت انك تأخذ الفائدة وتفهم مقام التوحيد من كل خطاب

(باب أحوالهم)

أى الصوفية (عند الخروج من الدنيا) من خوفهم ورجائهم وحبهم لقاء الله وغير ذلك

(قال الله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يعني طيبة نفوسهم ببذلهم مهجهم لا يثقل عليهم رجوعهم الى مولاهم) بل يحبون لقاءه ويفرحون بخروجهم من الدنيا (أخبرنا عبد الله بن يوسف الاصبهاني رحمه الله قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد ابن عقبة الشيباني بالكوفة قال أخبرنا ٥٢ الخضر بن ابان الهاشمي قال أخبرنا أبو هدبة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك الى يوم القيامة) والمراد بمفارقتها بلاها بعد الموت الى ان تعاد (اخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال حدثنا سوار قال حدثنا جعفر عن ثابت عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في) حالة (الموت فقال) له (كيف تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئان لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن في هذا الموطن) أي موطن الموت يعني حاله (الا اعطاه الله ما يرجوا منه مما يخاف) واحسن احوال العبد في دنياه مع مولاه أن يستوي عنده رجاؤه فيه وخوفه منه (واعلم ان احوالهم في حال النزع مختلفة فبعضهم الغالب عليه الهيبة) اى الخوف من الله تعالى والاجلال لله فانه فيقلق ويبكي ويشهق كما روى بعضهم يبكي فقال ما ابكي حزنا على الدنيا ولا ضنا بكم ولكني اخشى احدى المنزلتين (وبعضهم الغالب عليه الرجاء) فينبسط كما قال بلال رضي الله عنه واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه (ومنهم من كشف له في تلك الحالة) اى حالة النزع (ما اوجب له السكون وجميل الثقة) بالله تعالى (حكى ابو محمد الجريري قال كنت عند الجنيد في حال نزعه وكان يوم الجمعة ويوم نيروز وهو يقرأ القرآن فختمه) ثم ابتدأ البقرة فقرأ منها شيئا (فقلت له في هذه الحال يا ابا القاسم فقال ومن اولى مني بذلك) اى بالاشتغال بالافضل والاحب الى الله تعالى

في مثل هذه الحالة كما لا يخفى (قوله يعني طيبة نفوسهم) أي راضية مطمئنة بما قضاه الحق تعالى وأمضاه (قوله لا يثقل عليهم رجوعهم الخ) أي لثقتهم بالوعد الحق والخبر الصدق (قوله بل يحبون لقاءه الخ) اعلم أن محبة لقاء الله هي العمل على ما يحبه ويرضاه لا الميل الى الموت لانه عرض يضاد الحياة لا يمكن الميل اليه ولا تتيسر محبته لاحد من الخلق كما لا يخفى على بشر (قوله ويفرحون بخروجهم من الدنيا) أي الشأن ذلك وما يقع لبعضهم في هذا الوقت من الخوف والبكاء فذلك من غلبة الاحوال لا بالاختيار كما اسلفناه (قوله ان العبد) أي الانسان ليعالج كرب الموت أي ألمه وشدته وقت نزع روحه من جسده وذلك يختلف صعوبة وسهولة على حسب الحكم الالهية فيشتد بالنسبة لبعض ويهون بالنسبة لآخرين (قوله تقول عليك السلام الخ) ظاهره أنه بلسان المقال ولا مانع حيث القدرة صالحة ويحتمل انه بلسان الحال (قوله والمراد بمفارقتها بلاها بعد الموت) أقول وان كان هذا محتملا الا ان الذي يظهر من الحديث ان ذلك وقت الموت لا بعده بجعل الواو في قوله وان مفاصله الخ للحال فهو خبر عما سيصير بعد الموت (قوله بلاها بعد الموت) أي بالنسبة لمن قدر الله تعالى بلاه لا غيره ممن استثنى الشارع صلى الله عليه وسلم (قوله شيئان) أي هما وصفان لا يجتمعان في قلب عبد مؤمن الخ ويحتمل ان ذلك باعتبار ما علمه صلى الله عليه وسلم في خصوص هذا الشاب فلا ينافي ما نص عليه في كتب الفروع من أن المطلوب في هذه الحالة تغليب الرجاء على الخوف على أن الاجتماع لا يستلزم المساواة في المجتمعين (قوله ان يستوي عنده الخ) مراده عدم افراط صفة الخوف او الرجاء المؤدي الى اليأس أو التساهل وذلك لا ينافي ما ذكره الفقهاء من طلب تغليب الخوف في الصحة والرجاء في المرض فتدبر (قوله مختلفة) أي على حسب تجليات الحق تعالى على العبد في هذا الوقت (قوله ولا ضنا بكم) أي بخلا بفراقكم ولكني أخشى احدى المنزلتين أي أخاف احدى المنزلتين أي وهي النار وهذا كما ترى من اخلاق المريدين والا فالعارفون خلقهم الفناء في مراد الحق تبارك وتعالى (قوله وبعضهم الغالب عليه الرجاء الخ) أي وذلك هو الاكمل لموافقته الاتباع (قوله ما أوجب له السكون) أي طمأنينة القلب وقوله وجميل الثقة بالله أي الثقة الجميلة به فلم يظهر منه أثر خوف أو رجاء (قوله فقلت له في هذه الحال) أي في هذه الحالة على سبيل الاستفهام التعجبي من اشتغاله بالعبادة مع كرب الموت الذي حل به فقال ومن أولى بذلك

(وهو ذا) أى فى هذا الحين (تطوى صحيفتى) كان الجنيد ممن يغلب عليه قبل حالة النزع دوام الذكر والقراءة وأعمال البر فتمادى ذلك عليه بفضل ربه الى وقت نزعه وأنت اذا تأملت أحوال الخلق وجدت الجارى عليهم عند موتهم ما كان الغالب عليهم قبل ذلك ويؤيده خبر يموت المرء على ما عاش عليه (سمعت أبا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج) الطوسى (يقول بلغنى عن أبى محمد الهروى قال مكثت عند الشبلى الليلة التى مات فيها فكان يقول طول ليلته هذين البيتين كل بيت أنت) يارب (ساكنه * غير محتاج الى السرج وجهك المأمول حجتنا * يوم تأتى الناس بالحجج) فى ذلك دلالة على أن لقاء الله يحصل به فرح العبد وانشراح صدره ودوام مناجاته حتى عند وفاته (وحكى عن عبد الله بن منازل انه قال ان حمدون القصار أوصى الى أصحابه ان لا يتركوه فى حال الموت بين النسوان) لتشويشهن عليه بالصياح والعويل ونحوهما ٥٣ . وهذا من كمال تنبهه ومراقبته وبعده عن المشوشات وقت الحاجة الى التثبت فان العبد اذا حضره عند الموت من يذكره بالخيرات برفق ويحسن ظنه بالله ويتلو عنده القرآن مات على أحسن الاحوال بخلافه مع حضور النساء فانهن كل ما اطلعن عليه من كرب وشدة صحن بالويل والثبور ووقع منهن ما لا يرضى الرحيم الغفور (وقيل لبشر الحافى وقد احتضر كأنك يا أبا نصر تحب الحياة فقال القدوم على الله شديد) اذ لو لم يكن الا الموت كفت شدته فان له سكرات (وقيل كان سفيان الثورى اذا قال له بعض اصحابه اذا سافر تأمر بشغل يقول ان وجدت الموت فاشتره لى) لحبى للقاء الله ولخوف التبديل والتغيير فى هذه الدار (فلما قربت وفاته كان يقول كنا نتمناه) أى الموت فباشرنا أمارته (فاذا هو شديد) مع ان شدته منقولة عن الانبياء وغيرهم (وقيل لما حضر الحسن) وفى نسخة الحسين (ابن على ابن أبى طالب رضى الله عنهما الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك فقال) كونى (أقدم على سيد لم أره) فيه دلالة على اجلال الله وتعظيمه فى قلبه والهيبة منه والخوف مما يبدو مما لم يحتسبه (ولما حضر بلالا الوفاة قالت امرأته واحزناه فقال) هو (بل واطرباه غدا نلقى الاحبة محمدا وحزبه) غلب على ظنه حينئذ ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له انا أحبك أنت مع من احببت وهو كان يحبهم (وقيل فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال لمثل هذا فليعمل العاملون) فيه دلالة على أنه رأى من أكرام الله له والبشرى بما وعده به ما حمله على ذلك (وقيل كان مكحول الشامى الغالب عليه الحزن فدخلوا عليه فى مرض موته وهو يضحك فقيل له فى ذلك) أى ما سببه (فقال ولم

منى أقول لعله أخذه من قوله جل شانه وان ليس للانسان الا ما سعى (قوله وهو ذا الخ) أى فاراد نفعنا الله ببركاته ان صحيفته تطوى على أفضل الذكر بتلاوة القرآن الشريف (قوله وجدت الجارى عليهم الخ) أى لان العادة تصير كالطبيعة لا تفارق الا بالموت (قوله على ما عاش عليه) أى على ما اعتاده زمن حياته (قوله كل بيت الخ) يريد به قلب المؤمن وبالسكنى دوام المراقبة لجلال الحق وجماله وقوله غير محتاج الى السرج أى غير محتاج الى زيادة النور لان نور الايمان واليقين أقوى الانوار وقوله وجهك الخ يشير به الى الفناء عما للنفس بما للحق تعالى من الكرم والجود (قوله يحصل به فرح العبد الخ) أى العبد الجمالى لا مطلق عبد كما لا يخفى (قوله من يذكره بالخيرات برفق) أى بأن يذكر عنده ما يقويه على حب اللقاء مع عدم التصريح له بالخطاب بنحو قل لا اله الا الله فان الموت قد نزل بك مثلا (قوله صحن بالويل الخ) أى لانهن دائما مع ظاهر البلاء غافلات عن الثمرات المترتبة عليه (قوله وقيل لبشر الخ) لعل سبب ذلك القول رؤية قلق منه رضى الله عنه (قوله فقال القدوم على الله شديد) أى فهو الذى أخافه لا مفارقة الحياة (قوله اذ لو لم يكن الخ) أى مع أنه قد يكون أسهل مما وراءه على ما نقل فى أحوال الآخرة (قوله لحبى للقاء الله الخ) دفع به ما يقال ان تمنى الموت مكروه شرعا فاجاب بان محله ما لم يكن لغرض صحيح مثل ما ذكر (قوله مع ان شدته منقولة عن الانبياء وغيرهم) أى لحكمة رفع الدرجات بالنسبة للمقربين ولتمحيص الخطايا بالنسبة لغيرهم (قوله على سيد لم أره) أى لم أره بغير آيات قدرته وارادته تعالى والله أعلم (قوله أنت مع من أحببت) ظاهره وان لم يعمل بمثل عملهم وهو كذلك نظرا للثمرة المحبة (قوله وقال لمثل هذا فليعمل العاملون) أى حق الهمم ان تبذل لمثله بل تبذل الارواح ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا (قوله فقال ولم

لا أضحك وقد دنا فراق ما كنت أحذره) من الهوى والشيطان والدنيا (وسرعة القدوم على ما كنت أرجوه وآمله) من لقاء ربي فيه دلالة على كمال حسن ظنه بربه وحصول الامن له في قلبه كما قال تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله (وقال رويم حضرت وفاة أبي سعيد الخراز وهو يقول في آخر نفسه
حنين قلوب العارفين الى الذكر * وتذكارهم وقت المناجاة للسر أديرت كؤس للمنايا عليهم * فأغفوا) أي اعرضوا (عن الدنيا كاغفاء ذي السكر همومهم جوالة بمعسكر * به اهل ود الله كالانجم الزهر فاجسامهم في الارض قتلى بحبه * وأرواحهم في الحجب نحو العلى تسري) أي تقطعها بسرعة الى نحو العلى حتى لم يبق على قلوبهم حجاب يحجبها عنه لاعراضهم عن الدنيا (فما عرسوا) أي نزلوا في سفرهم ٥٤ (الا بقرب حبيبهم) وفي نسخة مليكهم (ولا) وفي نسخة وما (عرجوا عن مس بؤس ولا ضر) ففي ذلك اشارة الى أن أحوال العارفين في التسامع مولاهم هي التي حملتهم على حنين قلوبهم اليه وقت الارتحال ولم يجدوا الما لما هم فيه من نزع الروح والاهوال لاعراضهم عن الدنيا (وقيل للجنيد ان أبا سعيد الخراز كان كثير التواجد عند الموت فقال) للقائل (لم يكن بعجيب ان تطير روحه اشتياقا) للقائه به فيه اشارة الى أن الخراز كامل الاحوال في محبته لله ومعرفته له ودوام شغله وأنسه به في سائر احواله (وقال بعضهم وقد قربت وفاته) لغلام عنده (يا غلام اشدد كتافي وعفر خدي) بالتراب لاحظ نفسه بعين التقصير فامر الغلام ان يفعل به ذلك (ثم قال دنا الرحيل ولا براءة لي من ذنب ولا عذر) لي (اعتذر به ولا قوة) لي (انتصر) بها (أنت لي ثم صاح صيحة ومات) عقبها (فسمعوا صوتا) من قائل يقول (استكان العبد لمولاه فقبله) بفضله وكرمه (وقيل لذي النون المصري عند موته ما) ذا (تشتهي قال) اشتهي (ان أعرفه) تعالى فوق معرفتي له (قبل موتي بلحظة) رأى نفسه مقصرا عن القيام بحق معرفته فعد معرفته كلا معرفة فطلب ان يستغرق في جلال الله وكماله بحسب ما علمه من ذلك (وقيل لبعضهم وهو في النزع قل الله فقال) لهم (الى متى تقولون) لي (قل الله وأنا محترق بالله) فلست بغافل عنه فلا احتاج الى من يذكرني به وهذا يدل على انه كامل الحضور مع الله شديد المراقبة له (وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينوري) وجماعته (فقدم) عليهم (فقير وقال سلام عليكم فردوا عليه) السلام

لا أضحك الخ) فيه تنبيه على تمسكه بالمتابعة مع غلبات أمارات الحقيقة عليه وهكذا حال الكمل من العبيد نفعنا الله ببركاتهم (قوله لا يموتن أحدكم الخ) هو خبر ومعناه النهي عن غير هذه الحالة على ما ذكره الفقهاء في كتب الفروع (قوله حنين قلوب العارفين) أي ميل أرواح المحققين الى ذكر الحق تعالى وتذكر أوقات مناجاة أسرارهم له لا لغيره وقوله أديرت كؤس للمنايا عليهم أي نزل بهم نازل الموت وهم في حالة الاعراض عما سواه تعالى اعراضا تاما وغيبة كلية تشبه غيبة السكر اذا غلب على العقل وقوله همومهم جوالة الخ أي هممهم وجمعية قلوبهم دائما بمحل جمع أهل طاعة الله وعبادته حال كونهم كالانجم الزاهرة في الاهتداء بهم الى سبيل الوصول وقوله فاجسامهم الخ أي فهم صرعى بالحب في الارض وأرواحهم تخترق الحجب للترقي لطالبهم السنية وقوله فما عرسوا الخ التعريس النزول آخر الليل للاستراحة أي فما نزلوا الا بمحل الرحمات العلية والتفضلات الالهية حتى دهشوا بما وجدوا من النعيم فلم يدركوا الما ولا ضررا لاستغراقهم فيما نحو من النعيم والفضل العميم رضي الله تعالى عنهم ورضوا عنه (قوله فما عرسوا الخ) المراد منه انهم في دائم أوقاتهم مشتغلون بجنابه تعالى وما يرضيه عنهم ويقربهم من فضله ورحمته (قوله وما عرجوا الخ) أي ما التفتوا الى ذلك رضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه (قوله لاعراضهم عن الدنيا) اي عما فيها من لذات وآلام لفناء نفوسهم في مرضاته تعالى (قوله يا غلام اشدد كتافي الخ) أقول لعل لهذا دليلا من شواهد القلوب والا فعلم النقل لا يساعده (قوله استكان العبد الخ) اي حيث اعترف بالتقصير ورجع الى فضل ربه واحسانه (قوله قال اشتهي الخ) فيه دليل على ان همته دائما في طلب الحق تعالى (قوله فقال لهم الى متى الخ) الغرض الحث على مثل حاله وافادة مقامه لا الامن التذكير كيف

(فقال) لهم (هل ههنا موضع نظيف يمكن الانسان أن يموت فيه فأشاروا اليه بمكان وكان ثم عين ماء فجدد الفقير الوضوء) منها (وركع ماشاء الله ومضى الى المكان الذى أشاروا اليه ومد رجليه ومات) هذا من خرق العوائد وهو مستثنى من ٤ وم خمس من الغيب لايعلمهن الا الله فيطلع الله الولى على ذلك السمع أن عموم ماذكر خص بقوله تعالى فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول الله وفائدة هذه الحكاية انه كان فى مجلس الدينورى من ينكر خرق العوائد فيها ذكر فأتى الله بها جهارا مرتبا على سؤال وجواب ليرجع اليه من ينكره وينتفع به ويتقوى به يقين من ينظره (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول كان أبو العباس الدينورى يتكلم) للرجال والنساء (فى مجلسه يوما فصاحت امرأة تواجدا) بما سمعته منه من الحكم وذكر مقامات القرب الى الله تعالى فسكر منها ذلك بحضرة الرجال (فقال لها) ان كنت صادقة مغلوبة (موتى فقامت المرأة فلما بلغت باب الدار التفتت اليه) ورجعت الى الله بالاضطرار أن لايفضحها وان يميتها لتسلم من نسبتها الى العار والتكلف لاحوال الفقراء فأجاب الله دعاءها وفاء بقوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه (وقالت قدمت ٥٥ ووقعت ميتة) نفعنا الله بها وبامثالها (وقال بعضهم كنت عند ممشاد الدينورى عند وفاته فقيل له كيف تجد العلة) التى بك (فقال) لهم (سلوا العلة عنى كيف تجدنى) كما وجد فى نسخة (فقيل له قل لا اله الا الله فحول وجهه الى الجدار) تأدبا مع الله تعالى (وقال أفنيت كلى بكلك) أى شغلتنى بك شغلا كليا حتى أنسيتنى نفسى (هذا جزاء من يحبك) اثنى بذلك على الله وشكره على ماتفضل به عليه وفيه دلالة على انه كان مشغولا بربه عن نظره فى علته (وقيل لابى محمد الدبيلى وقد حضرته الوفاة قل لا اله الا الله فقال هذا شئ قد عرفناه وبه نفنى) ثم اشتغلنا به واستغرقنا فيه حتى نسينا أنفسنا فلا نحتاج الى من يذكرنا به اذ لا يذكر الا الغافل كما أشار الى ذلك بقوله (ثم أنشأ يقول تسربل ثوب التيه) أى المفازة استعار ذلك لينزه الله تعالى عن أن ينال العبد جميع مقاصده منه الا بعونه (لما هويته) أى أحببته يعنى انه أحبه تعالى حبا شديدا حتى نسى كونه يعبده (وصد) أى أعرض عنى (ولم يرض بأن أك عبده) أى شغلنى عن عبادته وان كنت غارقا فيها باستغراقى عنها فى كماله وجلاله وتنزهه (وقيل للشبلى عند وفاته قل لا اله الا الله فقال) منشدا (قال سلطان حبه أنا لا اقبل الرشا) يعنى لايمنعه شغله بمحبوبه ان يلتفت الى غيره وفى نفسه انه لو التفت الى غيره مات (فسلوه فديته) انا (لم يقتلنى تحرشا) أى لم تحرش بقتلى وفيه دلالة على أنه فى حالة شريفة من شغل قلبه بربه ولما قيل له قل لا اله الا الله رد من شغل القلب الى شغل اللسان فانشد البيت المذكور (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول سمعت بعض الفقراء يقول لما مات) أى أشرف على الموت (يعنى الاصطخرى جلسنا حوله فقال له رجل منا قل أشهد

وهو به جدير (قوله هل ههنا موضع نظيف) أى من الدنس الحسى والمعنوى (قوله وهو مستثنى الخ) أى أو المعنى لايعلمهن الا الله ومن أطلعه تعالى من خلقه (قوله الا من ارتضى من رسول) أى وقيل أو ولى وبذلك يتم مانحن فيه (قوله يتكلم للرجال والنساء) أى يعظ كلا منهم (قوله والتكلف لاحوال الفقراء) أى لاجل دوام ستر أهل الطريق (قوله فقال لهم سلوا العلة عنى الخ) الغرض افادة غاية رضاه بما يجريه الحق تعالى من أحكامه حيث العلة لو سئلت ونطقت لاجابتهم بمثل ذلك بل قد تشهد لذته وفرحه بها باعتبار مايترتب عليها والله أعلم (قوله أفنيت كلى بكلك) أى باشتغال روحى وجسمى بجمالك ومارضيك عنى تلاشيت بكليتى وقوله هذا جزاء الخ أى يشهد قوله جل اسمه هل جزاء الاحسان الا الاحسان (قوله تسربل ثوب التيه الخ) مراده تنزيه الحق تعالى عن أن يدرك أو يتصور أو يتوهم اذ لا تدركه العقول ولا تتصوره الاوهام وتقصر عنه العبارة وتضمحل فيه الاشارة فلا يصل العبد الى شئ من كمالاته الا باعانته واقداره غير أنه لايخفى مافى التعبير فلعله صدر فى وقت غلبة حال (قوله حتى نسى كونه يعبده) أى حيث فنى عما لنفسه من الحظ (قوله أى شغلنى عن عبادته) اى عن استحسانها والوقوف معها مع التحلى بوصفها والقيام بسلطانها (قوله قال سلطان حبه) أى الحب ذو السلطنة والقهر والغلبة وقوله أنا لا أقبل الرشا جمع رشوة وهى مايدفع لاحقاق باطل أو ابطال حق وهى حينئذ من الكبائر أما الموصلة الى الحق فلا بأس بها وهى المرادة هنا فتأمل (قوله قل أشهد

ان لا اله الا الله فجلس مستويا ثم أخذ بيد واحد منا وقال له قل أشهد أن لا اله الا الله ثم أخذ بيد الآخر) وقال له قل أشهد أن لا اله الا الله (حتى عرض الشهادة على جميع الحاضرين ثم مات) فهم رحمه الله من قول من قال له منهم قل لا اله الا الله انهم يعتقدون غفلته عن ربه لشغله بألمه فاخذ يذكرهم واحدا واحدا بذلك ويبين لهم أنه أشد منهم يقظة وحضورا بذلك (ويحكى عن فاطمة أخت أبي على الروذبارى) انها (قالت لما قرب أجل أخي أبي على الروذبارى وكان رأسه في حجرى فتح عينيه وقال هذه أبواب السماء قد فتحت وهذه الجنان قد زينت وهذا قائل يقول لى يا أباعلى قد بلغناك الرتبة القصوى وان لم تردها ثم أنشد يقول وحقك لا نظرت الى سواكا * بعين مودة حتى أراكا أراك معذبى بفتور لحظ * وبالخد المورّد من جناكا) في ذلك دلالة على أن أباعلى كان له في هذه الحالة التفات الى زوجته وما هي عليه من الحسن وما هو فيه من حال النزع وطلبه الحضور مع ربه وانقطاع قلبه عن غيره وهو تعالى أطلعه في هذه الحالة على ما شغله به عن ملاحظة زوجته والشعر المذكور يدل عليه فهو بجميع همته مع ربه وخواطره في التفاته الى زوجته تنازعه فجعلها عذابا ثم أخبر أن الله أطلعه على ما شغله عنها بالكلية من ملكوته وعجائب قدرته (ثم قال يا فاطمة الاول) من البيتين (ظاهر) اذ هو قسم بعظمته وجلاله تعالى ان لا يلتفت الى غيره (والثانى) منهما (فيه اشكال) على من لم يعرف المراد به ٥٦ ويتوهم انه راجع الى ربه وفى نسخة بعد البيت الثانى فلو قطعتنى فى الحب اربا * لما حن الفؤاد الى سواكا

(سمعت بعض الفقراء يقول لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله قال له واحد) من تلامذته (قل أشهد أن لا اله الا الله فنظر اليه) نظر تاديب (وقال له لا تترك الحرمة) أى حرمة المشايخ واجعلهم عندك فى كل وقت حاضرين مع الله لاسيما فى وقت الانتقال من الدنيا اليه ولما كان الشيخ حينئذ بكليته مع الله منتظرا لما يرد عليه منه ذكره التلميذ خوفا من غفلته فادبه الشيخ بما ذكر

أن لا اله الا الله) فيه ان المأثور لا اله الا الله فقط فلعله وقف على ما ذكره من طريق آخر (قوله هذه الجنان الخ) الاشارة الى ما كوشف به فى هذا الوقت وخوطب به فى الحين مما تطيب به النفس من نعم المولى جل جلاله (قوله لا نظرت الى سواكا) أى نظر تعلق ووقوف بقلبى بل نظرى المذكور موقوف عليك لا يتعداك وقوله حتى أراك أى فغاية القصد انما هو رؤية الحق تعالى فان كان هناك التفات الى الغير فلكونه وسيلة فقط باعتبار الدلالة على الصانع تبارك وتعالى وقوله أراك معذبى الخ مراده ان عذابه من فتنة جمال الله مع كونه من أمارات التأثير الخفى فالعبد مكلف بالنظر ممنوع منه فافهم (قوله لا تترك الحرمة) أى احترام المشايخ اللازمة للمريدين (قوله خوفا من غفلته) أى بسبب غلبة بشريته فى هذه الحالة (قوله وقال من هذا أنا منذ الخ) فيه تنبيه على انه ممن يلتذ بالآلام ويعدها من النعم (قوله هذا من خرق العوائد) أى بل من أعظمها حيث دلت على علو درجته ومنزلته عند الله تعالى (قوله فتواجد النورى) أى بسبب ما ورد على قلبه عند سماعه من واردات الحق واشارات الصدق (قوله ثم لما سرى عنه) أى لما انكشف

وهو معنى ما قال (بالفارسية بى حرمتى مكن وقال بعضهم رأيت فقيرا) فى مرضه وهو (يجود بنفسه غريبا) ما به ملقى على ظهره (والذباب على وجهه) وكان حاله مع الله طيبا مجموعا (فجلست) عنده (أذب عن وجهه) الذباب (ففتح عينيه) فرآني (وقال من هذا أنا منذ كذا) وكذا (سنة فى طلب وقت يصفو لى فلم يتفق) لى (الا الآن جئت) لى (أنت توقع نفسك فيه) بان تشوش على حالى (مر) أى جاوزنى ولا تذب عن وجهى (عافاك الله) من أن تكون مشوشا على أحد حاله (وقال أبو عمران الاصطخرى رأيت أبا تراب فى البادية قائما ميتا لا يمسكه شئ) هذا من خرق العوائد وربما كان أبو تراب فى حال طيب مع مولاه معلق الهمة به فمات حينئذ فامسكه الله آية لمن يراه لكمال شغله بالله (سمعت أبا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج يقول كان سبب وفاة أبى الحسين النورى رحمه الله انه سمع هذا البيت) وهو (ما) وفى نسخة لا (زلت أنزل فى ودادك) أى حبك (منزلا تتحير الالباب عند نزوله فتواجد النورى) بذلك وقوى تواجده عليه (وهام) على وجهه من الحب (فى الصحراء فوقع فى أجمة قصب قد قطعت وبقى أصولها مثل السيوف فكان يمشى عليها) وهو مستغرق لا يحس بها (ويعيد هذا البيت الى الغداة والدم يسيل من رجليه ثم) لما سرى عنه (وقع مثل السكران فورمت قدماه

ومات) بذلك (وحكى) عنه أيضا (أنه قيل له عند النزع قل لا اله الا الله فقال اليس اليه أعود) فيه دلالة على كمال حاله عند النزع
فانه لم يبد منه ما ينهى من قال له قل لا اله الا الله مثل مامر بل أجابه بانه اليه يعود (وقيل مرض ابراهيم الخواص فى المسجد
الجامع) الكائن (بالرى وكانت به علة الاسهال فكان اذا قام) للاسهال (مجلسا يدخل الماء ويتوضا) منه (فدخل الماء مرة
فخرجت روحه) بالماء فيه دلالة على كمال حاله وفضله ملازمته الطهارة على عادته انه كلما أحدث تطهر (سمعت منصورا المغربى
يقول دخل عليه) أى على الخواص فى مرضه (يوسف بن الحسين عائدا له بعد ما أتى عليه أيام لم يعده ولم يتعهده فلما رآه قال الخواص
اتشتهى شيأ فقال نعم) اشتهى (قطعة كبد مشوى) وفى نسخة مشوية (قال الاستاذ) الامام (ابو القاسم) القشيرى (لعل الاشارة
فيه انه أراد) بما قاله (اشتهى قلبا يرق لفقير وكبدا تشتوى وتحترق لغريب لانه كالمستجفى) من الجفاء (ليوسف بن الحسين
حيث لم يتعهده) فانه لما انقطع عنه مدة ثم عاده وشاهده أجابه بما هو فيه من أنه يشتهى أخا مشفقا على أخيه ينقطع كبده عليه
ويحترق لما يراه عليه لاسيما فى حالة مرضه (وقيل كان سبب موت ابن عطاء أنه أدخل مرة على الوزير فكلمه الوزير بكلام غليظ
فقال له ابن عطاء ارفق يارجل) خاطبه بخطاب من لا تأخذه فى الله لومة لائم فلم يحتمل قلبه (فامر فضرب بخفه على رأسه فمات
منه) وفى نسخة حتى مات وفى ذلك دلالة على فضيلته حيث نهى من يخاف منه عن المنكر (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى
رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سمعت أبا بكر الدقى يقول كنا ٥٧ عند أبى بكر الزقاق بالغداة فقال)
خوفا على نقص فى دينه أو نحوه
(الهى كم تبقينى ههنا) أى فى الدنيا
(فما بلغ الغداة الاولى حتى مات)
استجاب الله دعاءه بتعجيل الوفاة
(وحكى عن أبى على الروذبارى أنه
قال رأيت فى البادية حدثا) أى
شخصا حديث السن مريضا (فلما
رآنى قال أما يكفيه) تعالى (ان
شغفنى بحبه) أى بلغ منى حبه
شغاف قلبى أى غلافه (حتى على
ثم رأيته يجود بروحه فقلت له قل لا اله الا الله فانشأ يقول ايا من ليس لى عنه * وان عذبنى بد
٨ يج ع
ويا من نال من قلبى * منالا ماله حد) بعده اذا لم يرحم المولى * الى من يشتكى العبد وفيما قاله دلالة على كمال حضوره مع مولاه
وكمال حبه له ورضاه (وقيل للجنيد قل لا اله الا الله فقال ما نسيته فاذكره وقال حاضر فى القلب يعمره * لست انساه فاذكره
فهو مولاى ومعتمدى * ونصيبى منه أوفره) فيه دلالة على كمال قربه وثبوته (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى رحمه الله يقول
سمعت عبد الله بن على التميمى يقول سأل جعفر بن نصير بكران الدينورى وكان يخدم الشبلى ما الذى رأيت منه) من الفضائل
(فقال قال لى على درهم مظلمة وقد تصدقت عن صاحبه بالوف فما على قلبى شغل أعظم) على (منه) لاجل براءة الذمة (ثم قال) لى وضئنى
للصلاة ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أمسك) بضم أوله مبنيا للمفعول (على لسانه فقبض على يدى وادخلها فى لحيته) لاخللها (ثم مات
فبكى جعفر وقال ماتقولون فى رجل لم يفته حتى فى آخر عمره أدب من آداب الشريعة) فى ذلك دلالة على كمال فضيلة الشبلى وتعظيمه
للشريعة (سمعت عبد الله بن يوسف الاصبهانى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسن بن عبد الله الطرسوسى يقول سمعت علوشا الدينورى
يقول سمعت المزين الكبير يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فوقع بى انزعاج) أى تحرك (فخرجت أريد المدينة) الشريفة (فلما
وصلت الى بئر ميمونة اذا أنا بشاب مطروح) على الارض (فعدلت اليه وهو ينزع) الى الموت (فقلت له قل لا اله الا الله ففتح عينيه
وأنشأ يقول أنا ان مت فالهوى حشو قلبى * وبداء الهوى تموت الكرام فشهق شهقة ثم مات فغسلته وكفنته وصليت عليه =

مابه من الولوع والهيام (قوله ومات بذلك) أى مات شهيدا لكونه قتيل المحبة (قوله فيه
دلالة على كمال حاله) أى حيث أجاب على طريق الصحو كما هو شأن العارفين (قوله يدخل
الماء الخ) أى عملا بخبر الوضوء سلاح المؤمن أى عدته لمهماته (قوله لعل الاشارة فيه
الخ) أقول ويحتمل انه تمنى لنفسه درجة الخائفين البالغين فى خوفهم ما ذكر وذلك مقام
الصديق الاكبر رضى الله تعالى عنه (قوله فقال له ابن عطاء الخ) أى لما غلب على ظنه
من السلامة منه قال له ما ذكر والا فاللائق مقام المداراة (قوله فقال خوفا على نقص
فى دينه) أى فلا كراهة فيه حينئذ (قوله أما يكفيه الخ) الغرض افادة انه فى مقام الحب
والابتلاء والصبر لنكتة تقوية السامع وحمله على مثل هذا التخلق (قوله وتصدقت عن
صاحبه الخ) لعله لم يتيسر له الرد الى المالك أو الوارث كما لا يخفى (قوله فالهوى حشو قلبى)

= فلما فرغت من دفنه سكن ما كان بي من ارادة السفر فرجعت الى مكة حرسها الله تعالى) هذا من جملة اعتناء الله بالمزين حيث خلق له خاطر الانزعاج في السفر الى المدينة وكان المراد منه أن يتولى أمر هذا الشاب الذى رآه وسمع منه ما قال حتى أعلمه الله أنه من محبيه فان سبب قتله وضنى جسمه المحبة فعرف الله المزين فضله عليه حيث أزعجه الى أن واراه التراب (وقيل لبعضهم أتحب الموت فقال القدوم على من يرجى خيره) وهو الله (خير من البقاء مع من لا يؤمن شره) وهو الهوى والدنيا والشيطان (وحكى عن الجنيد انه قال كنت عند استاذى ابن الكرنبي وهو يجود بنفسه) من شدة النزع (فنظرت الى السماء) داعيا له (فقال) لى هذا (بعد ثم نظرت الى الارض) كذلك (فقال) لى هذا (بعيد) أيضا (يعنى أنه أقرب اليك من ان تنظر الى السماء أو الى الارض بل هو وراء المكان) أى قبله فانه تعالى قديم والمكان حادث عرفه بذلك قرب الله منه وأنه منزه عن العلو والسفل وسائر الجهات ليجتمع همه ويحضر قلبه ويكمل أدبه وقت دعائه فان الله يسمعه ويراه وهو أقرب اليه من حبل الوريد (سمعت أبا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت أبا نصر الطوسى) السراج (يقول سمعت بعض أصحابنا يقول قال أبو يزيد عند موته ماذكرتك) يارب (الا عن غفلة) اى ما أنشأت ذكرك الا اذا طرقتنى غفلة والا فانا ذاكرك على الدوام (ولا قبضتنى) اى قبضت باطنى (الا على فترة) يعنى ان كل ما هو فيه شكر لربه فان طرأت عليه غفلة من الله عليه بذكره ليجدد له الانس والانبساط وان فتر عن ذكره من عليه بالالم والقبض ليرجع الى النشاط (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهى يقول سمعت أبا على الروذبارى يقول دخلت مصر ٥٨ فرأيت الناس مجتمعين) فسألت عن سبب اجتماعهم (فقالوا كنا فى جنازة فتى سمع) قبل موته (قائلا يقول * كبرت همة عبد طمعت فى ان تراكا) بعده أوما حسب لعين * ان ترى من قد رآكا * ذكره قبيل باب كرامات الاولياء (فشهق شهقة) أى صاح صيحة (ومات) فى ذلك اشارة الى ان هذا الشاب كان كثير الذكر لله تعالى والمراقبة له يتمنى ان يراه فلما سمع هذا البيت وصادف ما بقلبه وما هو متعلق الهمة بحصوله فرح وقويت رغبته شوقا الى رؤية ربه فشهق شهقة فمات ووصل الى محبوبه (وقيل دخل جماعة على ممشاد الدينورى فى مرضه فقالوا) له لما يعرفونه من صلاحه وكثرة اشتغاله بربه ابشر بكذا وكذا من الجنة وغيرها فقد (فعل الله بك وصنع) أى اعد لك ذلك وفى نسخة ما فعل الله بك وصنع فاجابهم بأنه مشغول بربه دون الجنة وغيرها (فقال) انا (منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فيها فما أعرتها طرفى) اى بصرى اى ما التفت اليها يعنى لم اعمل للجزاء وان كان لا بد منه وانما عملت امتثالا لامر ربى ونهيه وكمال محبته لى (وقالوا له عند النزع كيف تجد قلبك) والقلب انما يصلح بالانتقال من الاخلاق الذميمة الى الحميدة من الصبر والزهد والتوكل والرضا ونحوها (فقال منذ ثلاثين سنة فقدت قلبى) لما من الله على من كمال شغلى به عنه فاعرضت عنه وعن كل ما يشغلنى عن الله (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى) رحمه الله (يقول سمعت عبد الله ابن على التميمى يقول قال الوجيهى كان سبب موت ابن بنان انه ورد على قلبه شئ) من محبته لمولاه (فهام على وجهه فلحقوه فى وسط متاهة) اى تيه (بنى اسرائيل فى الرمل ففتح عينيه وقال) لنفسه (ارتع) بالتاء الفوقية اى تنعم وتلذذ فقد وجدت مرادك من لقاء ربك (فهذا مرتع الاحباب وخرجت روحه) رحمه الله (وقال أبو يعقوب النهرجورى كنت بمكة حرسها الله تعالى فجاءنى فقير معه دينار فقال اذا كان غدا فانا أموت فاصلح لى بنصف هذا) الدينار (قبرا والنصف الثانى) اجعله (لجهازى) أى لتجهيزه (فقلت فى نفسى دخل الشاب) أى خولط فى عقله (فانه قد أصابته فاقة الحجاز) فأخذت منه الدينار لانظر ما الذى يكون منه (فلما كان الغد جاء ودخل الطواف ثم) بعد فراغه منه (مضى وامتد على الارض فقلت هو ذا يتماوت) أى يتشبه بالموتى فى رقادهم

أى فلا أغفل حتى احتاج الى من يذكرنى (قوله خير من البقاء الخ) يشير الى أن الموت وقت الفتى عرس وتحفة للمؤمن (قوله عرفه بذلك الخ) أى فلا ينافى ان السماء قبلة الدعاء والطلب الى جهتها أفضل (قوله ماذكرتك الخ) محصله افادة دوام لطف الله به فهو كلما غفل أو فتر رده الحق تعالى الى ما به كماله (قوله كبرت همة عبد الخ) اى عظمت همته وقوله طمعت فى ان تراك اى قوى منها الرجاء فى القرب من رحمتك واحسانك وقوله أوما حسب لعين الخ اى ما يكفيها ان تشهد أهل الشهود والحضور له تعالى (قوله فما أعرتها طرفى) أى تحقيقا لمقام الاخلاص والصدق فيه (قوله فقدت قلبى) اى فقدت ميله الى الحظوظ بدون شاهد علم النقل والله اعلم (قوله فقال لنفسه ارتع) هو

(فذهبت اليه) لما طال امره ولم يقم (فحركته فاذا هو ميت) على احسن احواله (فدفنته) وجهزته (كما أمر) فى هذا من خوارق العوائد يجريه الله على بعض الصالحين ليعرّفهم بأوقات موتهم وكيف يموتون ليستعدوا للقائه أحسن استعداد (وقيل لما تغيرت الحال على أبى عثمان الحيرى) قبل موته (مزق ابنه أبو بكر قميصا ففتح أبو عثمان عينيه وقال يابنى ان خلاف السنة فى الظاهر من رياء فى الباطن) أى تمزيقك ثوبك عنده وفى ليس من السنة بل السنة ان تصبر وتسترجع وما حملك على خلاف السنة فى ظاهرك الارياء فى باطنك رغبة فى ان يحمدك الناس على تألمك على فراقى (وقيل دخل ابن عطاء على الجنيد وهو يجود بنفسه فسلم عليه (فابطأ فى) رد (الجواب) عليه (ثم رد) عليه (وقال) له (اعذرنى) فى ابطائى (فلقد كنت فى وردى) الذى التزمته فى وقت معين فما أمكننى قطعه لرد السلام (ثم مات) فى ذلك دلالة على مراعاته للافضل (وحكى ابو على الروذبارى قال قدم علينا فقير فمات فدفنته وكشفت) فى القبر (عن وجهه) الثوب (لاضعه على التراب ليرحم الله عز وجل غربته ففتح عينيه وقال يا أبا على أتذللنى) أى أتكرمنى (بين يدى من دللنى) أى اكرمنى (فقلت) له (ياسيدى احياة بعد موت فقال) لى (بلى) أى نعم (أنا حى وكل محب لله تعالى حى لانصرنك غدا) أى يوم القيامة (بجاهى يا روذبارى) هذا من خرق العوائد ايضا أعنى الكلام بعد الموت وقد جرى مثله فى الصحابة وفائدة هذه الحكاية تعريف الروذبارى ان الاولياء مختفون فى الفقراء ليزداد رغبة فى مساعدتهم والقيام بحقوقهم (ويحكى عن على بن سهل الاصبهانى انه قال أترون) اى أتظنون ٥٩ (انى أموت كما يموت الناس) بأن يتقدم الموت (مرض وعيادة) لصاحبه وفى نسخ من مرض وعيادة لا (انما ادعى) للموت (فيقال) لى (يا على فاجيب فكان يمشى يوما فقال) لمن دعاه (لبيك ومات) هذا من خرق العوائد ايضا (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف يقول سمعت ابا الحسن المزين يقول لما مرض ابو يعقوب النهرجورى مرض وفاته قلت له وهو فى النزع قل لا اله الا الله فتبسم الى وقال اياى تعنى وعزة من لا يذوق الموت ما بينى وبينه الاحجاب العزة) حيث تعزز فمنعنى ان اراه فى الدنيا ببصرى والا فانا راء له فيها بقلبى وفى الآخرة به وببصرى (وانطفى) اى مات (من ساعته فكان المزين يأخذ بلحيته) اى بلحية نفسه (ويقول) توبيخا لها (حجام مثلى يلقن أولياء الله تعالى) كالنهرجورى (الشهادة واخجلتاه وافضيحتاه (منه وكان يبكى اذا ذكر هذه الحكاية) لكونه تجرأ على ولى الله بتلقينه له مع استغراقه مع الله (وقال ابو الحسين المالكى كنت أصحب خيرا النساج سنين كثيرة فقال لى قبل موته بثمانية ايام أنا أموت يوم الخميس وقت المغرب وأدفن يوم الجمعة قبل الصلاة وستنسى هذا فلا تنس قال ابو الحسين فانسيته الى يوم الجمعة فلقينى من اخبرنى بموته فخرجت لاحضر جنازته فوجدت الناس راجعين يقولون يدفن بعد الصلاة فلم انصرف وحضرت فوجدت الجنازة قد أخرجت قبل الصلاة كما قال فسألت من حضر وفاته فقال انه غشى عليه ثم أفاق ثم التفت الى ناحية البيت وقال) لملك الموت وقد جاءه يستأذنه فى وقت قبض روحه اكراما له وتشريفا له ثم أراد المضى (قف عافاك الله فانما أنت عبد مأمور) بقبض روحى (وانا عبد مأمور) بالصلاة (والذى أمرت) أنت (به لا يفوتك والذى أمرت) أنا (به يفوتنى فدعا بماء فجدد وضوأه وصلى) صلاته التى عليه (ثم تمدد وغمض عينيه) ومات (فرؤى فى المنام بعد موته فقيل له كيف حالك فقال) للسائل (لا تسل) الامر عظيم و (لكنى تخلصت من دنياكم الوضرة) اى الفاسدة فى ذلك دلالة على كمال فضيلة النساج ورفعة درجته عند ربه

من رزمت الدابة أى كانت ما شاءت من الكلا (قوله هذا من خوارق العوائد) اى ومما استثنى مما استأثر الله بعلمه (قوله ان خلاف السنة الخ) علم منه ان الخير كله فى الاتباع والشر كله فى الابتداع فالله تعالى يوفقنا لحسن المتابعة (قوله على مراعاته للافضل) أى وعلى ان شغله بالحق تعالى منعه من الاحساس بالآلام وهكذا حال المحبين المقربين (قوله بلى انا حى وكل محب الخ) اى يشاهد ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا الآية (قوله فقال لبيك ومات) أى فجأة وهو من اللطف به اذ موت الفجأة لا كراهة فيه لاهل الديانة والصلاح دون غيرهم (قوله ما بينى وبينه الخ) فيه دلالة على دوام مراقبة الحق تعالى (قوله ويقول توبيخا لها الخ) أقول لعل ذلك لقوله للاستاذ قل والا فمجرد قوله لا اله الا الله وقت احتضاره مندوب ومستحب وان عظم المحتضر (قوله وقد جاءه يستأذنه الخ) مثل هذا من الكرامات المحمدية (قوله لا تسل الامر عظيم) يحتمل انه يريد

(وذكر أبو الحسين الحصري) بن جهضم (مصنف كتاب بهجة الاسرار انه لما مات سهل بن عبد الله انكب الناس على جنازته)
بحيث كان لهم ضجة (وكان في البلد يهودي) عمره (نيف على السبعين) من السنين (فسمع الضجة فخرج لينظر ما كان فلما نظر
الى الجنازة صاح وقال) لهم (أترون ما أرى فقالوا لا ايش ترى فقال أرى أقواما ينزلون من السماء يتمسحون بالجنازة) كشف
الله بصيرته حتى رأى الملائكة ينزلون على الجنازة يتمسحون بها (ثم انه) بسبب ذلك (تشهد وأسلم وحسن
اسلامه) وقد نقل ان الملائكة يصلون على بعض بني آدم (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور ابن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر ابن قيس بمصر يقول سمعت ابا سعيد الخراز يقول كنت بمكة حرسها الله تعالى فجزت يوما بباب بني شيبة فرأيت شابا حسن الوجه ميتا فنظرت في وجهه فتبسم في وجهي وقال لي يا أبا سعيد أما علمت أن الاحياء احياء وان ماتوا وانما ينقلون من دار الى دار) هذا من خرق العوائد أيضا مع ان الارواح لا تفنى وانما تفارق الاجسام وأرواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين والكل محبوسون في البرزخ (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت الجريري يقول بلغني انه قيل لذي النون المصري عند النزع أوصنا فقال لا تشغلوني فاني متعجب) فيما رأيت (من محاسن لطفه تعالى بي وانعامه علي) (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبد الله ابن محمد الرازي يقول سمعت
اباعثمان الحيري يقول سئل ابو حفص في حال وفاته ما الذي تعظنا به فقال لست اقوى على القول) لقوة مرضي ثم
(ثم رأى من نفسه قوة فقلت له قل) اى عظنا (حتى أحكي عنك) ما تعظنا به (فقال) موعظتي (الانكسار بكل القلب) اى
انكسار القلب بكليته (على التقصير) في القيام بحق خدمة المولى

(باب المعرفة بالله)

عظيم الهول وهو الظاهر ويحتمل انه يريد عظيم الكرامات (قوله اما علمت ان الاحياء احياء الخ) في ذلك دلالة على انه من قتلى المحبة ومثلهم انما ينقل من دار دنيئة الى دار شريفة فهم احياء في قبورهم رضي الله تعالى عنهم (قوله فقال موعظتي الانكسار الخ) اقول لقد ارشد الى الانفع في الدارين

(باب المعرفة)

أقول هي ارقى من العلم وقد قال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وفي رواية كفضلي على ادناكم والفرق بين العارف والعالم ان الثاني يبتغي الثواب ويخاف العقاب تراه دائرا بين العلة والغرض بخلاف العارف فان عبادته لامتثال أمر مولاه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا فله الهيبة بدل الخوف والانس خلف الرجاء والمعرفة جزم القلب بوجود واجب الوجود متصفا بسائر الكمالات مثل الكرم والجود بواسطة الادلة والبراهين العقلية والسمعية المتلقات عن سيد المرسلين والمعرفة عند الصوفية تنشأ من تكرر ما يلوح من الكمالات على قلب أرباب السيادات والعنايات فتصير من نوع الجليات بنور المكاشفات فلا يشهد العارف في الوجود الا من له الكرم والجود حيث العارف هو من تعرف اليه الحق تعالى بالكشف له عن مظاهر الاسماء والصفات بعد انخلاعه عن الاسباب والعادات فصار لا يشهد غير الله ولا يعول على ما سواه أو هو من تخلق باحكام الشريعة وتحقق باحوال الحقيقة وكرع من بحر الطريقة او هو من لا يتقيد عرفانه ولا يحصره حينه وأوانه لان شهوده الكمالات وهي لا تنتهي لغايات ولذا قال شيخ الطريقة في تعريفه لون الماء لون انائه فالعارف من ورد الصدر دون العيون وأبرز حقائق المعارف والفنون

من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا ويعبده القرطاس والقلم

فهو من قبيل مجنون ليلى قد هام بها نهارا وليلا ان اشتاق فاليها وان بكى فعليها

لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

فالعارف هو الامين على الاسرار يأبى أن يطلع على سره الاحرار وهذا شأن الكبار دون الصغار

ومستخبر عن سر ليلى رددته * بعمياء من ليلى بغير يقين
يقولون لي اخبر فانت أمينها * وما أنا ان أخبرتهم بأمين

ثم اقول فقد تراءت الاقمار للاحرار فبها قد حدث الاحباب الاخيار وكذب هذا الحديث الاشرار فصلوا جهنم الانكار شعر

واذا كنت بالمدارك غرا * ثم أبصرت حاذقا لا تمارى

واذا لم تر الهلال فسلم * لاناس رأوه بالابصار

فالعارف قد طاب بطيب المعارف ففاحت منه الاردان وعبقت منه جميع الاكوان

فان كنت مزكوما فليس بلائق * مقالك ان المسك ليس بفائح

فقد سرت نسمة شذا خمرة المحبين فاهتدى اليها الناشق من السالكين

ولولا شذاها ما اهتديت لحانها * ولولا سناها ما تصورها الوهم

فشهد العارف حضرة الوصال فشرب كؤسها وجلا الجمال فزاده الشرب لهيب الاوام على مر الليالى والايام

يا معطشى بجمال انت واهبه * هل فيك لى راحة ان قلت واعطشى

قال فى الحكم ما العارف من اذا أشار وجد الحق أقرب اليه من اشارته قلت لان العارف فى الحقيقة من لا اشارة له اذ صاحب الاشارة لمعنى من الحقيقة أو اسم من أسماء الحق او صفة من صفاته اذا وجد قلبه لربه دون ما أشار اليه فى قلبه بحيث لا يحس بعلم ما وقعت به الاشارة ولا بمعناه بل ذكر الله تعالى به من حيث ما اشار اليه فى قلبه ذكره نسى به ذكره ومذكوره لاستغراقه فيه وذلك انما يسرى اليه من تعلق الاشارة بمعنى اليه مرجعه فهو باق فى اشارته وغايه معرفته ما أشار اليه ضميره بمعنى اليه مرجعه فاشارته عائدة اليه واذا كان كذلك فانما عرف وصف نفسه فليس بعارفه على الحقيقة وان كان له قسط من المعرفة ولذا قيل الاشارة نداء على رأس العبد بالبعد تلوح بعين العلة قال الشبلى كل اشارة أشار بها الخلق الى الحق فهى مردودة عليهم حتى يشيروا بالحق الى الحق وليس لهم الى ذلك سبيل وقال أبو على الروذبارى الاشارة تصحبها العلل والعلل بعيدة من الحقائق أقول قال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ان كنت معنا تمعنا وان لم تكن معنا فدعنا وتعلم تعلم والا فسلم الامر تسلم (قوله هى تحقيق العلم باثبات الوحدانية) اعلم ان الدليل على الوحدانية هو ما لكل أحد من الخاصية التى امتاز بها عن غيره وان كانت مجهولة له وهذه الخاصية بها وحدانية كل أحد ومنها تعرف وحدانيته تعالى وهى التى أرادها القائل بقوله

وفى كل شئ له آية * تدل على انه واحد

فهو يشير الى خاصة كل أحد وهى أحديته فجعلها علامة على أحدية الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد هذا وقوله هى تحقيق العلم الخ تعريف للمعرفة بلازمها والا فحقيقتها الجزم الناشئ عن تكرر الدليل على قلب العارف (قوله ويقال حياة القلب مع الله) أقول ذلك من ثمرة المعرفة لا لبيان حقيقتها وعينها ومثل ذلك يقال

هى تحقيق العلم باثبات الوحدانية
ويقال حياة القلب مع الله
ويقال نسيان غير الله ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهى ممدوحة ومطلوبة

(قال الله عز وجل وما قدروا
الله حق قدره جاء في التفسير
وما عرفوا الله حق معرفته) وقال
واذا سمعوا ما انزل الى الرسول
ترى اعينهم تفيض من الدمع
مما عرفوا من الحق ومن عرفه
بقدرته وجلاله وعظمته خافه
واجله واطاعه انما يخشى الله
من عباده العلماء و (أخبرنا
عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
العدل قال حدثنا محمد بن القاسم
العتكي قال حدثنا محمد بن اشرس
قال حدثنا سليمان بن عيسى
الشجري عن عباد بن كثير عن
حنظلة بن ابي سفيان عن القاسم
ابن محمد عن عائشة رضي الله عنها
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان دعامة البيت) بكسر الدال
(اساسه ودعامة الدين) كذلك
(المعرفة بالله تعالى واليقين
والعقل القامع فقلت بأبي أنت
وأمي ما العقل القامع قال الكف
عن معاصي الله والحرص على
طاعة الله عز وجل) المستلزمة
لطاعة رسوله ثم بين المعرفة فقال
(قال الاستاذ المعرفة على لسان
العلماء) غير الصوفية (هي العلم)
وهو صفة توجب تمييزا لا يحتمل
متعلقه النقيض (فكل علم معرفة
وكل معرفة علم وكل عالم بالله
تعالى عارف وكل عارف عالم

في قوله ويقال نسيان غير الله (قوله وما قدروا الله حق قدره) أي ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حتى جعلوا له شريكا ووصفوه بما لا يليق بشؤنه الجليلة وقرئ بالتشديد (قوله وما عرفوا الله حق معرفته) اي بالنسبة لما له تعالى من الجلال والجمال وباقي نعوت الكمال (قوله واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول) قال بعض المفسرين هو عطف على لا يستكبرون من قوله قبل وانهم لا يستكبرون اي ذلك بسبب أنهم لا يستكبرون ترى أعينهم تفيض من الدمع عند سماع القرآن وذلك لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم الى قبول الحق وقوله ترى أعينهم تفيض من الدمع من الاولى لابتداء الغاية والثانية لتبيين الموصول أي ابتداء الفيض ينشأ من معرفة الحق ومن اجله وبسببه ويحتمل ان تكون الثانية تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق أي وحيث أبكاهم ذلك فما ظنك بهم لو عرفوا كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة وقرئ ترى أعينهم على صيغة المبني للمجهول ومعنى تفيض من الدمع تمتلئ منه (قوله ومن عرفه بقدرته الخ) كالتوضيح والبيان لقوله مما عرفوا من الحق (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) تكملة لقوله تعالى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب تعيين من يخشاه عز وجل من الناس بعد بيان اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم أما في الاوصاف المعنوية فبطريق التمثيل واما في الاوصاف الصورية فبطريق التصريح توفية لكل واحد منهما حقها اللائق بها من البيان أي انما يخشاه تعالى العالمون به عز وجل وبما يليق من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة لما أن مدار الخشية معرفة المخشي والعلم بشؤنه فمن كان أعلم به تعالى كان أخشى منه كما قال صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله وأتقاكم له ولذلك عقبه بذكر أفعاله الدالة على كمال قدرته وحيث كان الكفرة بمعزل عن هذه المعرفة امتنع انذارهم بالكلية وتقديم المفعول لان المقصود حصر الفاعلية ولو أخر انعكس الامر وقرئ برفع الاسم الجليل ونصب العلماء على ان الخشية مستعارة للتعظيم فان المعظم يكون مهيبا وقوله ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه (قوله انما يخشى الله من عباده العلماء) اي انما يخافه منهم خوفا يحجزه عن المخالفات ويحثه على المتابعات العلماء يعني علماء القلوب لا الالسنة كما لا يخفى (قوله ان دعامة البيت) أي أساسه وعماده ودعامة الدين كذلك المعرفة أي لانه لا يصح قصد المجهول للخروج بذلك في العبادة عن كل محصول وقوله واليقين أي جزم القلب جزما لا يحتمل ظنا ولا شكا (قوله قال الكف الخ) أقول بيان للعقل بلازمه وثمرته والا فهو ملكة في النفس بها ادراك الاشياء على ما هي عليه وقيل انما سمي عقلا لانه يعقل ويمنع من اتصف به عن الذي يلام عليه قولا وفعلا وحركة وسكونا ومدار التكليف على العقل (قوله هي العلم) اي جزم القلب وادعانه عن دليل (قوله فكل علم معرفة الخ) اي

(وعند هؤلاء القوم) اى الصوفية (صفة من عرف الحق سبحانه باسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى فى معاملاته ثم تنقى عن اخلاقه الردية وآفاته ثم طال بالباب وقوفه ودام بالقلب اعتكافه فحظى من الله تعالى بجميل) وفى نسخة بجميع (اقباله وصدق الله فى جميع أحواله وانقطع عنه هواجس نفسه) اى خواطرها (ولم يصغ بقلبه الى خاطر يدعوه الى غيره) تعالى (فاذا صار العارف بذلك (من الخلق أجنبيا ومن آفات نفسه بريا ومن المساكنات والملاحظات) الى ذلك (نقيا ودام فى السر مع الله تعالى مناجاته وحق فى كل لحظة اليه رجوعه وصار محدثا) بفتح الدال المشددة اى ملهما (من قبل الحق سبحانه) وتعالى (بتعريف أسراره فيما يجريه) عليه (من تصاريف اقداره يسمى عند ذلك) اى عند صيرورته كذلك (عارفا وتسمى حالته) التى تسمى بها عارفا (معرفة وبالجملة فبمقدار أجنبيته عن نفسه) وسائر المخلوقات (تحصل معرفته بربه تعالى) فلا يطلقون العارف الا على من توالى عليه العلم بالله وصفاته والنظر فى مصنوعاته وغلب عليه ذلك بحيث صار حالا له حتى قالوا من عرف الله كل لسانه اى

فهما متساويان فى المعنى وان اختلفا فى اللفظ والعبارة (قوله وعند هؤلاء القوم) اعلم وفقنى الله تعالى واياك ان جميع الهمم والارادات متعلقة بالحقيقة الالهية من جميع الطالبين لكنها لكونها مجهولة العين عندهم جهلوا الطريق الموصل اليها الامن هداه الله تعالى والا فاهل كل ملة ونحلة لا يعدل عن حب النجاة فهى مطلوبة لكل نفس فكل يتخيل انه على الطريق الموصل اليها وبذلك وقع القدح والاختلاف ولو علم المخطئ بخطئه ما أقام عليه والله أعلم (قوله صفة من عرف الحق الخ) أى المعرفة صفة من عرف الحق فهو خبر لمحذوف (قوله صفة من عرف الحق الخ) أى فنور المعرفة هو الدليل وعلى صاحبه عند القوم التعويل فمن ضل عنه ارتدى ومن استضاء به اهتدى

ومن لم يكن خلف الدليل مسيره * كثرت عليه طرائق الاوهام

والحاصل ان العارف فى اصطلاحهم هو من استجمع ما ذكره المؤلف الى قوله يسمى عند ذلك عارفا (قوله باسمائه وصفاته) أى بمظاهرهما وآثارهما أو بنفس الاسماء والصفات بالنسبة لمن علت همته (قوله ثم صدق الله فى معاملاته) بالصدق فى المعاملة بالجد فيها والدوام عليها مع الاخلاص فى القصد (قوله ثم تنقى) اى تخلص وكان الاولى تقديم هذا على ما قبله اذ التخلية قبل التحلية كما لا يخفى على من له ذوق وقوله من اخلاقه الخ أى الاخلاق التى هى على عادة البشرية ومحصله انه من اذا شكر اعترف بالعجز للمشكور وعلى عكس ذلك يكون المتصف بالغرور .

ومتى اقوم بشكر ما اوليتنى * والقول فيك بقدر قول القائل

(قوله فحظى من الله الخ) ذلك من ثمرة ما قبله (قوله وانقطع عنه هواجس نفسه) أى خواطرها فيما تميل اليه بطبعها فهو بمشيئة الفعال لما يريد لا يزال قائما على نفسه بالتشديد يطلب حسن التدبير ويخاف سوء التقدير

فياليت شعرى أين أو كيف أو متى * يقدر ما لابد أن سيكون

(قوله ولم يصغ بقلبه الخ) أى لم يلتفت بقلبه الى خاطر من الخواطر البشرية أو المراد انه لا يدوم عليه لو اتفق له ذلك (قوله فاذا صار العارف بذلك الخ) اى فامارة كونه عارفا وحشته من الخلق لانسه بالحق وصيرورته اجنبيا من الخلق بواسطة دوامه على شهود الحق (قوله وحق فى كل لحظة اليه رجوعه) أى وبسببه قصر أمله وا كثار ابراد ذكر الموت على قلبه (قوله وصار محدثا) أى صار يناجى من قبل الحق تعالى بواسطة الالهام بتعريف أسراره فيما يجريه الحق عليه من تصاريف أحكامه وأقداره (قوله وبالجملة) أى أقول لك قولا ملتبسا بالاجمال بعد التفصيل فبمقدار أجنبيته عن نفسه الخ ان قلت كيف هذا وقد قال صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم ان لنفسك عليك حقا قلت ذلك حقها فافهم (قوله فبمقدار الخ) أى فعلى حسب القوة على مخالفة النفس والبعد عما تهواه تكون معرفة العارف بربه ولذا ثبت فى الخبر من عرف نفسه عرف ربه (قوله أى

شغلته معرفته به عن ذكر غيره (في المعرفة فكل نطق بما وقع له منها (وأشار الى ما وجده) منها (في وقته) فقال (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول من امارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته) به (ازدادت هيبته) منه ومن ازدادت هيبته استقامت حالته وعظمت بين الخليقة حرمته (وسمعته) ايضا (يقول المعرفة توجب السكينة) أي الثبوت والصبر (في القلب كما أن العلم يوجب السكون فمن ازدادت معرفته) بالله (ازدادت سكينته) فمن عرفه واجله لم يهب غيره وصبر على ما يرد عليه منه (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت احمد بن محمد بن زيد يقول سمعت الشبلي يقول ليس لعارف) بالله (علاقة) اي حظ في غيره (ولا المحب) له ولا لما يرد عليه منه (شكوى) لان ما يرد عليه من محبوبه رضاه فكيف يشكوه لسواه (ولا العبد) له (دعوى) لانه لا يملك شيأ فكيف يدعي لنفسه ما ليس ملكا له (ولا الخائف) منه (قرار) ولا اهتداء حتى ينال ما يخاف فوته ويأمن ما يخاف ضرره (ولا لاحد من الله عزوجل فرار) لان الخلق في قبضته (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد ابن محمد بن عبد الوهاب يقول سمعت الشبلي يقول وقد سئل عن المعرفة فقال) هو زائد (أولها الله) اي ذكره باللسان والقلب

شغلته معرفته به الخ) أقول وان كان ما ذكره محتملا الا ان الاظهر ان يقال معنى ذلك انه محمدي الاخلاق طبيب القلوب يخاطب كل أحد على حسب استعداده ولو اتحدت المسئلة وذلك معنى قولهم العارف فوق ما يقول (قوله فكل نطق بما وقع له منها) أي على قدر ما منح بالحكمة العلية والتقدير الازلي (قوله من امارات المعرفة بالله) أي من علاماتها حصول الهيبة من الله تعالى أي بسبب تجلي الحق تعالى بالجلال والعظمة على قلب عبده (قوله استقامت حالته الخ) اي لان تجلي الجلال زاجر عن كل قبيح وسائق على كل حق صحيح (قوله المعرفة توجب السكينة) أي بواسطة شهوده انه لا فاعل غيره تعالى ولا يكون الا ما يريد اذ النافع من المعرفة لا ينشأ عنه الا الخشية من الله تعالى والا فهي ضرر وحجة على العبد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها فمهلكها وانما كانت المعرفة النافعة ما نشأت عنها الخشية لانها تحجز عن المعاصي وتدعو الى المحاسن وفقدها ينفي ذلك ولا سيما مع العلم المؤيد بالتأويل ولذا قيل من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق وتوجب التحقيق في التحصيل والنصح في التوصل والانصاف في المذاكرة وفقدها ينفي ذلك والخشية أيضا تحمل على طلب الآخرة والاخلاص له تعالى في العمل (قوله فمن عرفه وأجله لم يهب غيره) اي بل الغير هو الذي يهابه (قوله ليس لعارف بالله علاقة) اي ليس لمن عرف الله حق معرفته تعلق قلبي بغيره من الكائنات الدنيوية والاخروية قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه لا تنشر علمك ليصدقك الناس وانشر علمك ليصدقك الله وان كانت لام العلة موجودة فعلة تكون بينك وبين الله من حيث امرك خير من علة تكون بينك وبين الناس من حيث نهاك عنها ولعلة تردك الى الله خير من علة تقطعك عن الله (قوله ولا المحب الخ) اي لان كل ما يصدر عن المحبوب محبوب وحينئذ فلا وجه للشكوى وما ألطف قول بعضهم

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمني اللوم

(قوله ولا العبد له دعوى) اي لان العبد لا يملك وان ملكه سيده (قوله ولا الخائف منه قرار) اي سكون وطمأنينة بل يكون دائم الاضطراب والقلق والهروب اليه تعالى (قوله ولا الخائف منه قرار) اي بمطالعة قوله جل علاه من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبدلالة من يهد الله فهو المهتدي (قوله ولا لاحد من الله عزوجل فرار) أي لان مرجع الكائنات ومصيرهم اليه تعالى فلا مفر منه الا اليه (قوله اولها الله) أقول وكفى بالله عالما ومعلما وهاديا ونصيرا ووليا يهديك ويهدي بك ويهدي اليك وينصرك وينصر بك ولا ينصر عليك ويواليك ويوالي بك ولا يوالي عليك (قوله اي ذكره باللسان والقلب) اي فان ذكر اللسان وسيلة لذكر القلب وهما معا وسيلة لنيل درجة القرب منه تعالى

(قوله

(وآخرها ما لا نهاية له) بأن يتوالى ذلك على قلبه حتى ينسى نفسه وسائر المخلوقات وقدرة الله صالحة لتقلبه في ذلك لا الى نهاية يعني بالنسبة للامكان والا فكل عارف له حد اوصله الله اليه وكل ما دخل في الوجود محصور (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابي يقول سمعت ابا العباس الدينوري يقول قال ابو حفص منذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل قال الاستاذ الامام) القشيري (رحمه الله وهذا الذي اطلقه أبو حفص فيه طرف من الاشكال) لان من عرف الله لا يستغني عن النظر في عباداته ليوقعها له بحسب مطلبها وهذا حق ولا بد من دخوله قلبه والشيطان عدو له لا يسكت عنه وذلك باطل ولا بد ان يدركه بقلبه ثم ينفيه قال الاستاذ في دفع الاشكال (وأجل ما يحتمله) كلامه (ان عند القوم المعرفة توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق) تعالى (عليه فلا يشهد غير الله عز وجل) من سائر المخلوقات (ولا يرجع) في مهماته (الى غيره) تعالى (فكما ان العاقل يرجع الى قلبه وتفكره وتذكره فيما يسنح) اي يخطر (له من امر أو يستقبله من حال فالعارف رجوعه الى ربه) تعالى (فاذا لم يكن مشتغلا الا بربه تعالى لم يكن راجعا الى قلبه) ولا الى غيره من سائر المخلوقات (وكيف يدخل المعنى قلب من لا قلب له) عنده لشغله عنه بربه (وفرق بين من عاش بقلبه وبين من عاش بربه) تعالى (وسئل أبو يزيد عن المعرفة فقال ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة قال الاستاذ هذا معنى ما أشار اليه أبو حفص) فيما مر من ان المعرفة عندهم توجب غيبة العبد عن نفسه لاستيلاء ذكر الحق عليه فالمراد من الآية ان القلب اذا تعمر بذكر الله وبشغله به لم يبق فيه سعة لغيره فلا يدخله ما يفسده (وقال ابو يزيد) ايضا (للخلق أحوال) لما عندهم من آثار النفوس وتنعمها وتغيرها بما يرد عليها

(قوله وآخرها ما لا نهاية له) اي باعتبار ثمرات الكمال المرتبة على ذكره تعالى وهي لا تكون كذلك الا اذا كان فيها الاكتفاء بالله تعالى وعلامته التحفظ من الوقيعة فيمن آذاك والقصد في العمل باسباب الدفع حيث توجهت والقيام لله بالعبودية افتقارا فيما أنت به فتدبر (قوله والا فكل عارف الخ) أي والانتقل للامكان بل جرينا على ظاهر قوله وآخرها ما لا نهاية له فلا يصح لان كل عارف له حد أوصله الله اليه على حسب القسمة الازلية وكل ما دخل في الوجود الخارجي محصور على حد معلوم (قوله ما دخل قلبي حق ولا باطل) أي الا رجعت فيه الى طلب المعونة منه تعالى وبذلك يستغنى عما أطال به الاستاذ نفعنا الله ببركات علومه على ان كلامه في الجواب يشير الى ما ذكرنا (قوله وأجل ما يحمله كلامه الخ) محصله ان ذلك لغلبات أحواله على قلبه استغراقا في الحق وذلك لا ينافي القيام بالوظائف الشرعية المطلوبة من العبد (قوله فالعارف رجوعه الى ربه) أي فهو في مقامه العزيز لا يطرأ عليه التغير فهو كالابريز

فيا سائلي عنه هو الذهب الذي ٭ وجدناه لا يصدا وان قدم الدهر

(قوله وفرق بين من عاش بقلبه الخ) أي فان من يعيش بقلبه يلزمه في الغالب الوقوف مع محسنات عقله ونفسه بخلاف من عاش بربه لرجوعه اليه في سائر حركاته وسكناته (قوله فقال ان الملوك الخ) أي فاشار الى ان معرفة الحق تعالى توجب حضور المعروف في قلب العارف بدوام مراقبته فتفسد ما فيه من الحظوظ والعادات البشرية الطبيعية وتصير النفس ذليلة متروكة اشتغالا عنها بانفس النفيس ومشاهدته في منصات التقديس فاذا دخل الرب قلب العبد خرب ما سواه وحينئذ فلا يتأتى له الجري مع المعتاد ولا التصرف بالاسباب ولذا قيل اذا عظم الرب في القلب صغر الخلق في العين فقد شبه المعرفة ولوازمها بالملوك ذوي الغلبة فهي اذا غلبت على قلب العبد تفسد اخلاق النفس الذميمة وتصير النفس التي كانت عزيزة ذليلة كالملوك اذا دخلوا قرية وتغلبوا على اهلها (قوله فقال ان الملوك الخ) أي وقال أيضا خضت بحرا وقف الانبياء بساحله ومراده والله أعلم بحر التحقيق والتوحيد ومعناه وقف الانبياء بساحله الاقصى ورجعوا الى سيفه الادنى رفقا بعوام الاتباع وصونا لموضع الحرمة وتعظيم الشعائر والصون للاسرار عن الاغيار ومنه فأوحى الى عبده ما أوحى واليه الاشارة بخبر لو تعلمون ما اعلم الحديث فالاولياء في تيارات بحر الولاية خائضون والانبياء على ساحله في مقام النبوة والنبا واقفون هذا ويحتمل ان هذا صدر منه على طريق السان

(ولا حال للعارف) بالله (لانه) قد (محيت) عنه (رسومه) اى آثاره) وفنيت هويته) يعنى ذكر نفسه (بهويته غيره) يعنى بذكر الله تعالى (وغيبة آثاره بآثار غيره) وهو الله لكمال شغله به فنسى نفسه وأحوالها وآثارها فلا حال له يراه (وقال الواسطى لا تصح المعرفة) بالله اى الكاملة (وفى العبد ٦٦ استغناء بالله وافتقار اليه قال الاستاذ أراد الواسطى بهذا ان الافتقار) اليه

(والاستغناء) به (من امارات صحو العبد وبقاء رسومه لانهما من صفاته) أى صحو العبد لان فيهما تفرقة بين المستغنى والمستغنى به والفقير والمفتقر اليه (والعارف) الكامل (محو فى معروفه) وهو الله لا يحس بنفسه فضلا عن غيرها من سائر المخلوقات (فكيف يصح له ذلك) اى ماذكر من الاستغناء بالله والافتقار اليه (وهو لاستهلاكه فى وجوده) اى الله (او لاستغراقه فى شهوده) اى فى حضور الله (ان لم يبلغ الوجود) أى لم يعلمه (مختطف) أى مغيب (عن احساسه بكل وصف هو له) فلا يحس بمخلوق (ولهذا قال الواسطى أيضا من عرف الله تعالى انقطع) اى عن غيره (بل خرس وانقمع) أى ذل فى نفسه وخضع تحت أنوار العزة كما (قال صلى الله عليه وسلم لا أحصى ثناء عليك هذه صفات الذين بعد مرماهم) أى غرضهم (فأما من) اى الذين (نزلوا عن هذا الحد) الى احساسهم (فقد تكلموا فى المعرفة فأكثروا) وأعطوا كل ذى حق حقه كما أمرهم به ربهم (أخبرنا محمد بن الحسين رحمه الله قال أخبرنا ابو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازى قال حدثنا عباس بن حمزة قال سمعت أحمد بن أبى الحوارى يقول سمعت أحمد بن عاصم الانطاكى يقول من كان بالله اعرف كان له اخوف) لان من عرفه وعرف ما فعله و يفعله بالخالقين فى دنياهم وأخراهم كان أشد خوفا من غيره وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أى العلماء به

من

المحمدى والقدم الاحمدى فحينئذ المراد بحر محيط اختص به وقف الانبياء بساحله صونا لموضع حرمته صلى الله عليه وسلم وهو أقرب والله أعلم (قوله ولا حال للعارف بالله) أى لا حال له دائم اذ هو ابن وقته لا ينظر الى ماض ولا الى مستقبل بل حاله الظهور بالمظاهر الالهية الوقتية وقوله لانه قد محيت عنه رسومه أى ولذلك تسمع أوصافه فتشتاق اليه وتراه فتحبه وتحنو اليه وتستقل الوصف عند عيانه وذلك لرفعة شانه

كانت محادثة الركبان تخبرنى * عن وصفكم وعلاكم أطيب الخبر
حتى التقينا فلا والله ما سمعت * اذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

(قوله أى آثاره) أى الراجعة لحظوظه (قوله وفنيت هويته) أى وجوده فى الوجود الحق فصار وجوده بالله عيانا بعد ان كان برهانا (قوله يعنى ذكر نفسه) أى ماله من الاحوال والمقامات (قوله فلا حال له يراه) أى بدون ملاحظة فضل ربه (قوله لا تصح المعرفة الخ) أى لان ال فى العارف للكمال فهو مابقى له احساس لم تكمل معرفته لرب الناس (قوله والعارف الكامل محو الخ) أى لان شأن العارف الكامل الفناء عن نفسه وما لها من الاخلاق وذلك بتحققه بمقام جمع الجمع وهو أرقى من مقام التفرق وان كان لابد من ملاحظته فى تحقق مقام العبودية فتأمل (قوله محو فى معروفه) أى ولذلك قيل العارف لا اشارة له أى وسقوط اشارته فى حال كماله فناء بشهود الكمال الحق لا قصورا عن مدارك الجلال والجمال فهو فان فى وجوده عن وجوده وفى شهوده عن شهوده بموجده ومشهوده نعم الاشارة واسطة بين الرجاء والخوف فافهم أى فهو كلما علا به مقام صغرت رؤيته فى أعين العوام

كالنجم تستصغر الابصار رؤيته * والعيب للعين لا للنجم فى الصغر

(قوله ان لم يبلغ الوجود) أى لعدم التفاته اليه استغراقا فى الوجود المطلق وتحققا بحقائقه وقوله مختطف أى مغيب عن الشعور والاحساس بالنفس وما لها (قوله كما قال صلى الله عليه وسلم) الشاهد فيه الاعتراف بالعجز عن ادراك الحقائق الالهية فهو صلى الله عليه وسلم يشير الى مقام العبودية الذى هو أشرف المقامات (قوله الذين بعد مرماهم) أى عمن لم يساوهم فى مقاماتهم (قوله وأعطوا كل ذى حق حقه) أى من حق الحق وحق الخلق وهذه أخلاق علماء الظاهر وعوام هذه الطائفة وأخلاق من عاد بعد الجمع الى مقام الفرق لغرض الارشاد الى رتب الاسعاد (قوله من كان بالله أعرف الخ) أى فمن كان بنعوت جلال الله وعظمته وجبروته أعرف كان منه تعالى أخوف وذلك لما يشاهده

(وقال بعضهم من عرف الله تعالى تبرم بالبقاء) أى سئمه (وضاقت عليه الدنيا بسعتها) فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك واصحابه
المتخلفوا عن غزوة تبوك وهجروا الى ان نزل فيهم قرآن حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم
وظنوا أن لا ملجأ من الله الا اليه وذلك لمعرفتهم بالله وعظمته وعظمة رسوله وتخلفهم عن الجهاد مع رسوله فكل من عرف الجليل العظيم لا يحتمل قلبه الاشتغال بغيره ولا البعد عنه (وقيل من عرف الله تعالى) وأن ما يجريه عليه فيه صلاحه (صفا له العيش) بما ينعمه به من قربه به وتلذذه بمناجاته (وطابت له الحياة وهابه كل شئ وذهب عنه خوف المخلوقين وأنس بالله) تعالى (وقيل من عرف الله تعالى ذهب عنه رغبة الاشياء) لزهده فى الدنيا ورضاه بجميع ما يختاره له مولاه والرغبة انما تكون مع الاختيار والحب لبعض الاشياء دون بعض وقد زال الاختيار برضاه بما يختاره له مولاه (وكان) هو (بلا فصل ولا وصل) لكمال استغراقه فى ذكر ربه وشغله به عن ذكر نفسه هل هى مفصولة أو موصولة فان ذكر ذلك فيه تفرقة ومن استغرق فى شئ لم يبق عنده ذكر لغير ما هو فيه (وقيل المعرفة) بالله لكونها تقتضى تعظيم العارف له واستشعار نظره اليه فى سائر أحواله (توجب) له (الحياء والتعظيم كما ان التوحيد يوجب) للموحد (الرضاء) بما يجريه الله عليه (والتسليم) فيه لكونه يغلب على قلبه رؤية الفعل من الواحد فى سائر أحواله

من آثار هذه الاسماء وعظيم هاتيك الصفات (فائدة) ومن ذلك الخوف من ابناء جنسه فيهرب خوفا من خيرهم أكثر من شرهم قال أبو الحسن الشاذلى اوصانى استاذى فقال اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم فان شرهم يصيبك فى بدنك وخيرهم يصيبك فى قلبك ولأن تصاب فى بدنك خير من ان تصاب فى قلبك ولعدو ترجع به الى الله خير لك من صديق يصدك عن الله (قوله تبرم بالبقا) أى مللا منه لمحبته سرعة اللقاء اقول ولذلك قيل هو من ينطوى فى الانتشار ويختفى بظهور الانوار

تسترت عن دهرى بظل جناحه * فعينى ترى دهرى وليس يرانى

(قوله فقد حكى الله تعالى عن كعب بن مالك الخ) أى حكى عنهم بقوله جل شأنه وعلى الثلاثة الذين خلفوا أى وتاب الله عليهم بعد ان أخر أمرهم الى ان نزل فيهم الوحى وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وقرئ خلفوا أى خلفوا القائزين بالمدينة وقرئ خالفوا وقرئ على المخلفين وقرئ غير ذلك والظاهر معنى تخلفوا وقوله حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت غاية للتخليف والمراد بقوله بما رحبت رحبها وسعتها وذلك لانقطاع الناس عنهم وقوله وضاقت عليهم أنفسهم اى اذا ضاقت رجعوا الى أنفسهم لا يطمئنون لشئ لعدم الانس واستيلاء الوحشة والحيرة وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه أى علموا ان لا ملجأ من سخطه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم أى وفقهم للتوبة ليتوبوا وأنزل قبول توبتهم ليصيروا من جملة التائبين او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم ان الله هو التواب المبالغ فى قبول التوبة كيفا وكما وان كثرت الجنايات وعظمت الرحيم المتفضل عليهم بفنون الآلاء مع استحقاقهم لافانين العقاب هذا واذا اردت الوقوف على قصة المخلفين موضحة فارجع الى كتب التفسير لان حقيقة الخبر عند الخبير (قوله صفا له العيش) أى المعيشة وذلك بواسطة رضاه بما يجريه الحق تعالى من الاحكام (قوله بما ينعمه به) أى وان لم يلائم مطلق النفس اذ مثله ممن يشهد البلاء من النعم ويشكر الله على ذلك (قوله ذهب عنه رغبة الاشياء) اى لانه قد فصل حقائق الحكم وبهجة الانوار فى الظلم فكان لغلبة نوره عليه وعظم نوره لديه لا تركبه النار بحضرة سلطان الانوار بل ان مربها لامر سيئ تقول له جز فقد اطفأ نورك لهبى ومن تم له رفع الحجاب فهم ما كان الكليم وقت الخطاب

تكفى اللبيب اشارة مرموزة * وسواه يدعى بالنداء العالى

(قوله والرغبة انما تكون الخ) فى قوة التعليل لقوله ذهب عنه رغبة الاشياء (قوله وكان هو بلا فصل ولا وصل) أى لان ملاحظة ذلك من علامة بقايا النفس (قوله المعرفة توجب له الحياء والتعظيم الخ) أى وذلك لان من عرف الله تعالى بجلاله وجماله استحيا منه حق الحياء وعظمه حق التعظيم ومن وحده ذاتا وصفة وفعلا رضى وسلم جميع ما يجريه

(وقال رويم العارف مرآة) على قلبه (اذا نظر فيها تجلى له) فيها (مولاه) فليس في الوجود حركة ولا سكون ولا ذرة الا وهي
مذكرة العارف ربه كما قال بعضهم ما رأيت شيأ حتى رأيت الله قبله وقال بعضهم معه والاول أكمل لدوام يقظته
وقلة احتياجه للمذكرات عن الغفلات (وقال ذو النون المصرى ركضت أرواح الانبياء عليهم السلام فى ميدان المعرفة فسبقت روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أرواح الانبياء عليهم السلام الى روضة الوصال) ليس هذا راجعا الى الكشف بل هو اخبار عن الواقع واختصاص الهى كما اخبر صلى الله عليه وسلم بقوله انا سيد ولد آدم ولا فخر (وقال ذو النون) أيضا (معاشرة العارف كمعاشرة الله تعالى) فى انه (يحتملك ويحلم عنك تخلقا باخلاق الله تعالى) فى صحبته عفا عن كل ذنب يكون منك وزال عنك برؤيته الفتور والكسل وتخلقت باخلاقه الحميدة (وسئل ابن يزدانيار متى يشهد العارف الحق) تعالى صرفا بان لا يشهد معه غيره (فقال اذا بدا) له (الشاهد) يعنى المشهود الواحد (وفنى الشواهد) أى الادراكات (وذهب الحواس واضمحل) أى ذهب (الاخلاص) ولم يبق عنده الا الشاهد وهو المشهود الواحد ويجوز ان يراد بالشاهد الحاضر (وقال الحسين بن منصور اذا بلغ العبد الى مقام المعرفة) بالله (أوحى الله اليه بخواطره) اى ألهمه بها المقاصد الصحيحة من الفراسة والاخبار ببعض المغيبات (وحرس سره) عن (ان يسنح) اى يخطر (فيه غير خاطر الحق) فالعارف يحفظه الله
عن
فى سائر ما يرد عليه من الخواطر الذميمة ويلهمه المقاصد الصحيحة وفاء بقوله تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

الحق من الاحكام لامت النفس أم لم تلائمها (قوله للعارف مرآة الخ) أقول وما الطف ما سمعت من نوع المواليا

الكون مرآة فاجليها ترى فيها * جمال ذاتك ولا تركن لما فيها
والقلب مرآتك العظمى فصفيها
ترى الجمال المقدس ثم تستغنى * يا ابن الفتوة عن الجنة وما فيها

واعلم ان مراده بالعارف الكامل منهم الفانى عن كامل مراداته فهو حينئذ قلبه موضع أسرار الحق ومورد واردات الصدق (قوله فليس فى الوجود الخ) لو اقتصر الشارح على قوله كما قال بعضهم الخ لكان انسب بما يظهر من قول المؤلف فتدبر (قوله ركضت ارواح الانبياء الخ) محصله ان ارواح الانبياء اسرعت فى السير فى معرفة الحق تعالى الشبيهة بالميدان لسعتها فسبقت روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم جميع الارواح الى روضة وصال الحق والدنو من منشا النبا الصدق عيانا وشهودا لا كشفا وبرهانا (قوله ليس هذا) اى ما ذكره ذو النون ليس راجعا الى الكشف اى منه بل هو للاخبار بما وقع وتحقق لهم صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين (قوله ولا فخر) اى ولا فخر أعظم واشرف من هذا الفخر والشرف الذى تحقق له صلى الله عليه وسلم واصل الفخر والافتخار المباهاة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك او المعنى لا اقول ذلك افتخارا بل ابلاغا لما امرت بابلاغه (قوله معاشرة العارف الخ) الغرض افادة الامارة المحققة لعرفان العارف والمراد بالمعاشرة المعاملة اى معاملة العارف لاخوانه المؤمنين كمعاملة الله تعالى عباده بالرحمة والشفقة من العفو والحلم وغير ذلك (قوله متى يشهد العارف الحق) اى ما امارة ذلك وعلامته (قوله فقال اذا بدا الشاهد الخ) أى فالمعرفة انكشاف يوجب رفع الغطاء عما استتر وتغطى وذلك يكون بحسب كل حضرة ومثول ومقام واستعداد وقبول فمعرفة الفرد فريدة للانفراد وأهليتها غريبة للتوحد بين الآحاد

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق افراد

وفنى الشواهد أى انعدمت النفس وما لها من الاخلاق ويلزم مما ذكر ان العارف يكون نظره الاول حينئذ الى الحق ثم ينتقل منه الى الآثار (قوله اذا بلغ العبد الى مقام المعرفة الخ) أى وذلك لا يتم له الا بعد ان يكبر على نفسه وعلى سائر الانام أربع تكبيرات ويجعل ذلك الختام (قوله ان الله مع الذين اتقوا الخ) اعلم ان المراد بالمعية الولاية الدائمة التى لا يحوم حول صاحبها شائبة شئ من الجزع وضيق الصدر وما تشعر به كلمة مع من متبوعية المتقين انما هو من حيث انهم مباشرون للتقوى وكذا الحال فى نظائره والمراد بالتقوى المرتبة الجامعة لما تحتها من التوقى عن الشرك وتجنب كل ما يؤثم والتنزه

عن كل ما يشغل عن الحق تعالى والتبتل بشراشر نفسه وهي التقوى الحقيقية المورثة لولاية الله تعالى المقرونة ببشارة قوله سبحانه ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وحاصل المعنى ان الله ولي الذين تبتلوا اليه بالكلية وتنزهوا عن كل ما يشغل سرهم عنه فلم يخطر ببالهم شئ من مطلوب أو محذور فضلا عن الحزن بفواته والخوف من وقوعه وقوله تعالى والذين هم محسنون للاشعار بان ذلك مما يتنافس فيه المتنافسون وحقيقة الاحسان الاتيان بالاعمال على الوجه اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي وتكرير الموصول للايذان بكفاية كل من الصلتين في ولايته سبحانه وتعالى وايراد الجملة الاولى فعلية للدلالة على الحدوث كما ان ايراد الثانية اسمية لافادة كون مضمونها سجية راسخة وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية بالخاء المعجمة مقدمة على التحلية بالحاء المهملة روى عن هرم بن حيان انه قيل له عند الاحتضار أوص قال انما الوصية من المال وأوصيكم بخواتيم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ خواتيم سورة النحل لم يحاسبه الله تعالى بما أنعم عليه في دار الدنيا وان مات في يومه أو ليلته كان له من الاجر كالذي مات وأحسن الوصية (قوله ان يكون فارغا من الدنيا والآخرة) أقول والموجب للفراغ من الدنيا والخلق ما فيهما من الاكدار وما تؤل اليه من الزوال ومن الخلق لان فتنتهم في اقبالهم وأذاهم في ادبارهم والكلف والاهوال في ملابستهم وعن النفس أيضا فيما تريده وتهواه وعن الاعتراض فيما تطلبه والتجهيل فيما تختاره وعن الآخرة من حيث انها تشغل عمن له الآخرة والاولى قال صلى الله عليه وسلم من أسدى اليكم معروفا فكافؤه فان لم تقدروا فادعوا له وذلك ليتخلص القلب من رق الاحسان الصادر من الخلق ليدوم له التعلق بالملك الحق (قوله لا زاهدا فيهما) اى لان الزهد انما هو الاعراض عنهما وليس مرادا بل الغرض عدم تعلق القلب بهما وان لا بأس بحملهما ويحتمل ان المعنى لا زاهدا فيهما لما يشير اليه الزهد من سبق التعلق بهما وذلك نقص بالنسبة لمقام الكمل والله أعلم (قوله الدهش لكمال المعروف) أي حيث هو مما لا تسعه العقول (قوله وعزته) أي تعززه أو التحجب بحجاب العزة المانع للعبد المقرب من حقيقة الشهود (قوله والحيرة في معلوماته) أي من حيث عدم تناهيها حيرة فكر لا شك (قوله وتنزهاته) أي تقدساته عن الجهات ونحوها من لوازم الحدوث جل ربنا وتعالى عنها (قوله أشدهم تحيرا فيه) أي فنهاية وجدان العارف وورود واردات المعارف مناغية له بحديث حبيبه ومشهوده في حضرة وصاله وشهوده

وأميل نحو محدثي ليرى * أني أعرت حديثه عقلي
وشغلت عن فهم الحديث سوى * ما كان فيك فانه شغلي

فهو وان توارى عنه المحبوب في بعض الزمان عن مطالعة العيان فقد تراءى له في الجنان

لئن كنت عني في العيان مغيبا * فما أنت عن قلبي وسري بغائب

(وقال علامة العارف) بالله (ان يكون فارغا من الدنيا والآخرة لا زاهدا فيهما بل شغلا عنهما بما هو أجل وأعظم منهما وهو كمال شغله بمعروفه فلم يبق فيه سعة لذكر غيره من المخلوقات التي هي الدنيا والآخرة وما فيهما (وقال سهل ابن عبد الله المعرفة غايتها شيئان الدهش) لكمال المعروف وعزته (والحيرة) في معلوماته وتنزهاته عن الجهات ونحوها (سمعت محمد ابن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن أحمد بن سعيد يقول سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول سمعت سعيد بن عثمان يقول سمعت ذا النون يقول أعرف الناس بالله أشدهم تحيرا فيه) هذا يرجع الى قول الصديق سبحان من لم يجعل الى خلقه سبيلا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته فغاية معرفتهم وصولهم الى الحد الذي جعل لهم ادراكه ومعرفتهم بعجزهم عما لم يجعل اليه سبيلا

(وسمعته) أيضاً (يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت أبا عمر الانطاكى يقول قال رجل للجنيد من اهل المعرفة اقوام يقولون بترك الحركات) أى الاعمال التى (من باب البر والتقوى) كالصلاة والصوم لانهم زعموا بضلالهم أنهم انما يحتاجون اليها ليصلوا بها الى الله والى ان يغلب على قلوبهم ذكره ومناجاته والانس به وقد وصلوا (فقال) له (الجنيد ان هذا قول قوم تكلموا باسقاط الأعمال) المتعبد بها (وهو عندى) أمر (عظيم) فى الضلال (والذى يسرق ويزنى أحسن حالا من الذى يقول هذا) القول (فان) كلا من السارق والزانى يعلم انه مخطئ شرعا ويرجو له التوبة من ذلك وهؤلاء يظنون أنهم فى أعلى الطاعات ولا ينتقلون ٧٠ عما هم عليه اصلا ولأن (العارفين بالله اخذوا الاعمال عن الله تعالى) اى عن أمره ونهيه (والى الله رجعوا فيها) اى استعانوا به على القيام بها قال (ولو بقيت الف عام لم انقص من اعمال البر ذرة) نما ذكره هو المراد بقولهم العارف من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه اى بل يأتى بجميع ما أمر به (قيل لابى يزيد بم وجدت) اى نلت (هذه المعرفة فقال ببطن جائع وبدن عار) يعنى باجتهادى فى العلم والعمل من غير التفاتى الى جوع او برد وكأنه أورده فى معرض تأديب من يزعم انه يسلك طريق المعرفة وهو مقيم على ما يترفه به من مطعم وملبس (وقال أبو يعقوب النهرجورى قلت لابى يعقوب السوسى هل يتأسف العارف) الكامل أى يتلهف ويحزن حزنا شديدا (على) فوات (شئ غير الله فقال وهل يرى غيره فيتأسف عليه) لا فانه اذا غلب على قلبه رؤية معروفه واستغناؤه به لا يجد ما يتأسف على فواته (قلت) له (فبأى عين ينظر) العارف (الى الاشياء فقال) لى ينظر اليها (بعين الفناء والزوال) لان مصيرها اليهما أما من لم تكمل معرفته بان كان مستغنيا عن بوصله اليها من العارفين فيتأسف على فواته ويحب دوام انتفاعه به فى وصوله الى محبوبه ويراه لأجل ذلك فما احبه ورآه الامن حيث كونه وسيلة لنيل مقصوده (وقال ابو يزيد العارف) بالله فى سيره اليه (طيار) اى سريع الرجوع اليه لعدم الشواغل والآفات لاستغراقه فى شغله بالله (والزاهد) فى سيره الى الله (سيار) اليه لان آفاته لم تنقطع عنه بالكلية وانما انقطع عنه آفة الدنيا دون آفتى الشيطان والنفس

اذا اشتاقت العينان منك لنظرة * تجليت لى فى القلب من كل جانب

(قوله أشدهم تحيرا فيه) أى وتحيرهم انما هو فى عجزهم عما لم ينالوه من المعرفة (قوله وسمعته أيضا يقول الخ) تقدم له هذا فلا تغفل (قوله وقد وصلوا) أى وصلوا بزعمهم الى مقام المحبة فاستغنوا عن الاخذ فى الاسباب وذلك ضلال عظيم (قوله وهو عندى أمر عظيم) أى لما يلزمه من انكار أحكام الشريعة التى هى معلومة من الدين بالضرورة وذلك يوجب الكفر والخلود فى النار (قوله ويرجو له التوبة الخ) أى بل يؤمل العفو منه تعالى وان لم يتب من ذنبه بخلاف مثل هؤلاء (قوله أى عن أمره ونهيه) أى وذلك لا يقبل التغيير والتبديل حيث لم يغى كل منهما بغايته من وصول أو غيره (قوله من لا يطفئ نور معرفته نور ورعه) يقرأ برفع نور الاول ونصب نور الثانى على ان الاول فاعل ليطفئ والثانى مفعوله كما هو ظاهر (قوله فقال ببطن جائع الخ) يريد انه انما أدرك ذلك بترك مألوف النفس وذلك مثل ما قاله أبو الحسن رحمه الله أعظم القربات عند الله مفارقة النفس لقطع ارادتها وطلب الخلاص منها بترك ما تهوى لما يرجى من حياتها وان من اشقى الناس من يحب ان يعامله الناس بكل ما يريد وهو لا يجد من نفسه بعض ما يريد (قوله وكأنه أورده الخ) أى فاشار الى انه لا سبيل الى الوصول الا بالخروج عن سائر المألوفات وشهوات النفس (قوله فقال وهل يرى غيره) أى ولذلك قيل ما فقد شيأ من وجد الله وما وجد شيأ من فقد الله فحال الاول حال من وقته صفا وذهب عنه الجفا وحل حضرات الوفاء مع أهل القرب والاصطفاء فهم رضى الله عنهم لهم حنين الى المحبوب وزفرات بها القلب يذوب ومدامع لولاها لاحرقتهم نيران الاشتياق ولهيب وجد به منعت الدموع أهلها الاغراق

لولا مدامع عشاق ولوعتهم * لبان فى الناس عز الماء والنار

فكل نار فمن أنفاسهم قدحت * وكل ماء فمن دمع لهم جارى

(قوله اما من لم تكمل معرفته) أى مثل علماء الظاهر السالفين لا كاهل زماننا عفا الله عنا وعنهم أجمعين (قوله فيتأسف على فواته) أى وذلك من الاخلاق الحسنة لمن كان سائرا الى الله تعالى من المريدين (قوله طيار الخ) أفاد ان العارف أرقى من الزاهد الذى

(وقيل العارف) بالله (تبكى عينه) تارة لكمال الأدب وعدم صلاحيته عنده لما وهبه له وتارة خوفا من ان يبعد ويحجب (ويضحك قلبه) لما والى عليه من النعم والفوائد (وقال الجنيد لا يكون العارف عارفا حتى يكون كالأرض) فى انه (يطؤه) وفى نسخة يطؤها (البر والفاجر) فيتذلل لمولاه ويتواضع له ولخلقه (وكالسحاب يظل كل شئ) فينفع العارف كل احد حبيبا أو بغيضا قريبا او بعيدا (وكالمطر يسقى ما لا يحب) كالسبخة (وما يحب) كغيرها فينفع العارف العاصى والمطيع (وقال يحيى بن معاذ يخرج العارف من الدنيا ولا يقضى وطره) اى غرضه (من شيئين) احدهما (بكاؤه على نفسه) لما يعرفه من تقصيرها وسوء ادبها فى عبادتها (و) ثانيهما (ثناؤه على ربه) لما والى به على قلبه من النعم والفوائد (وقال أبو يزيد انما نالوا المعرفة بتضييع ما لهم) وهو ما أبيح لهم فى دنياهم ولم يحجره عليهم مولاهم (والوقوف مع ماله) تعالى مما أمر به ونهى عنه (سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الحسين الفارسى يقول سمعت يوسف بن على يقول لا يكون العارف) بالله (عارفا) به (حقا حتى) يكون بحيث (لو أعطى مثل ملك سليمان) عليه السلام (لم يشغله) ذلك (عن الله طرفة عين) لكمال شغله به حتى نسى نفسه وغيرها من سائر المخلوقات فلم يبق منها شئ تميل نفسه اليه

لم تكمل له المعرفة (قوله تبكى عينه الخ) أى فهو لا يبقى على حال واحد بل كائن بين الفرح والحزن يتقلب بينهما فلا يحكم عليه بحكم واحد منهما (قوله حتى يكون كالارض) أى بعد فنائه عن نفسه فالتواضع الحقيقى لا يكون الا كذلك والا كان خروجا عن النفس بها وبالفناء عنها يكون خروجه عنها بالحق فافهم واعلم انه لا يتم له هذا المقام الا اذا شهد انه دون ذلك اذ لو رأى تواضعه فقد أثبت له منزلة تنازل عنها وحقيقته تأبى ذلك فالتواضع ان لا يرى لنفسه قدرا بل كلما وضعها فى شئ من أنواع الذل تحقق انها مستحقة لما دونه لما هى موصوفة به من النقص تأصيلا وتفصيلا والحاصل ان حقيقة التواضع بشهود عظمة الحق جل جلاله قال فى عوارف المعارف اعلم ان العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه فعند ذلك تذوب النفس وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب فتلين وتطيع وتنقاد للحق بمحو آثارها وسكون رهجها وغبارها اهـ (وأقول) فالناس ثلاثة رجل رأى قبيح فعله ولم ير لنفسه قدرا ورجل شهد قبيح وصفه فلم يشهد لنفسه نسبة ورجل شاهد عظمة ربه فنسى كل شئ به وهذا أتم الوجوه وأحسنها والله أعلم (قوله يخرج العارف من الدنيا الخ) محصله ان من أمارات العارف دوامه على شهود التقصير ودوامه على الثناء لمولى النعم جل شأنه (قوله لما يعرفه من تقصيرها) أى وان كان من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله بتضييع ما لهم) أى زهدا فيه ورغبة فيما عند الحق تعالى وقوله والوقوف مع ماله أى القيام به وعدم الخروج عنه (قوله لا يكون العارف عارفا الخ) أقول وذلك لانه محب والمحب من يبذل روحه ويستقلها ليس المحب من يطلب الاعواض ولله در تاج العارفين ابن الفارض حيث يقول

مالى سوى روحى وباذل روحه * فى حب من يهواه ليس بمسرف

فلئن رضيت بها لقد اسعفتنى * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

ولله در من قال

اسمح بنفسك ان أردت لقانا * واحلف بنا أن لا تحب سوانا

فاذا قضيت حقوقنا يا مدعى * عاينتنا بين الانام عيانا

فتحصل ان المحبة تحرق البقايا من المحب وتصير حاله الرضا لا الخوف ولذلك قيل

وأترك ما اهوى لما قد هويته * وارضى بما ترضى وان سخطت نفسى

فاذا قيل له أنت معاول بعروض السخط لنفسك فيجيب بقول القائل

أريد وصاله ويريد هجرى * فأترك ما أريد لما يريد

فيقال له الترك معروض للرضا وعدمه ولا يصح فى مقام المحبة غير الرضا كما قيل

* وكل ما يفعل المحبوب محبوب * فلو قال قائل حقيقة الحب تستدعى الطلب ورضا المحبوب فى غير ذلك فيقال الوصل حظك والرضا حقه وهو اولى بك منك فافهم (قوله لو اعطى مثل ملك الخ) اى وذلك لان حقيقة المعرفة تستدعى صدق المحبة وهى اخذ جمال

(وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا الحسين الفارسي يقول سمعت ابن عطاء يقول المعرفة) بالله (على ثلاثة أركان الهيبة والحياء) منه (والانس) به لان علم العبد بجلاله تعالى وسطوته يوجب الهيبة منه وعلمه بنظر الحق اليه في سائر أحواله يوجب الحياء منه وعلمه بتوالى نعمه عليه ودوام مناجاته له يوجب الانس به (وسمعته) ايضا (يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول قيل لذى النون بم عرفت ربك فقال عرفت ربى بربى ولولا ربى لما عرفت ربى) اذ لا قدرة للعبد على تحصيل مقام من معرفة ومحبة وغيرهما الا بفضل ربه وعونه فمن عرف الله به فهو العارف ومن عرفه بالتقليد فهو عامى ومن عرفه بالدليل فهو متكلم (وقيل العالم يقتدى به والعارف يهتدى به) بناء على طريقتهم من الفرق بين العالم والعارف بان العالم من يدرك الاحكام فيقتدى به فى العمل بها والعارف من غلب على قلبه شغله بمولاه فيهتدى به وبرؤيته لظهور النعم ومواهب الله عليه (وقال الشبلى العارف) بالله لكونه دائم الشغل به عمن سواه وعالما بانه لا حافظ له ولا مالك الا اياه (لا يكون لغيره) تعالى (لاحظا ولا بكلام غيره لافظا ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظا وقيل العارف انس بذكر الله تعالى فاوحشه من خلقه وافتقر الى الله فأغناه عن خلقه وذل لله تعالى فأعزه فى خلقه) فهو مستوحش منهم بانسه بالله فقير فيهم لغناه به عمن سواه ذليل فيهم لتعززه بمولاه (وقال ابو الطيب السامرى) بفتح الميم وتشديد الراء (المعرفة طلوع الحق) تعالى اى ظهوره وغلبته (على) محل (الاسرار) وهو قلب العبد (بمواصلة الانوار) اى بتوالى انوار معرفته عليه حتى لا ينساه فى شئ من حالاته (وقيل العارف) بالله معرفته (فوق ما يقول)

فلله

المحبوب بحبه قلب المحب حتى لا يبقى فيه بقية لغيره وبحسب ذلك لا يبقى له غرض فى غير رضا محبوبه ويكون ذلك غاية مرغوبه بل يفنى عن نفسه وعن كل شئ (قوله المعرفة بالله على ثلاثة اركان) اى تبنى المعرفة عليها فلا تكمل الا مع تحققها (قوله فقال عرفت ربى بربى) اى فهو يشير رضى الله عنه الى خبر كنت كنزا مخفيا فأردت ان أعرف فخلقت خلقا فبى عرفونى فقوله فيه كنت كنزا اشارة الى مقام الاحدية له تعالى المعبر عنه بالعماء الذى ما فوقه هواء ولا تحته هواء وقوله فاردت الخ اشارة الى مقام الواحدية الذى هو التجلى الاول فحينئذ المعنى فيما ذكره هذا العارف انه لولا ارادته تعالى التابعة لعلمه القديم ما عرفته فلما تعرف لى فقد عرفته ان قلت هو فى ذلك كغيره من الخلق قلت الفرق ملاحظة ذلك وقصده منه دون غيره وبالجملة فشهد هذا العارف التبرى من الحول والقوة حيث اعترف بانه لولا اعانة ربه على معرفته لما سهلت عليه معرفته فتأمل (قوله فمن عرف الله به فهو العارف) اى فمن عرف الله تعالى بالادلة العقلية والسمعية مع سبق العناية له فهو العارف على الحقيقة (قوله بان العالم من يدرك الاحكام) محصل الفرق وجود المعنى والسر الجاذب فى العارف بواسطة زيادة انوار باطنه دون العالم وان كثر علمه اذ هو مشتت غير مجموع (قوله وبرؤيته لظهور النعم الخ) أى لان انوار الباطن تلوح على صفحات الوجه الظاهر وان كان العارف صامتا اخرس (قوله العارف بالله) اى الذى هو من اقامه الحق تعالى فى مقام احديته وقوله لا يكون لغيره اى لانه لا غير عنده فى هذا المقام ومنى عليك السلام (قوله العارف أنس بذكر الله) اى بعد أن تحقق انه لا نافع ولا ضار غيره ولا فاعل لشئ سواه (قوله فقير فيهم) اى لتجرده عن مثل حظوظهم استغناء به تعالى وقوله وذليل فيهم اى لفنائه عن نفسه وتعززه بعزة مولاه (قوله المعرفة طلوع الحق) اى استيلاء الحق وغلبة شهوده بدوام مراقبته بواسطة توالى أنوار قلبه حتى يفنى بذلك عن خطور السوى (قوله العارف فوق ما يقول) اى لان لسانه يقصر عن مشاهده واذواقه وواردات قلبه ويحتمل ان معناه ان قدمه محمدى فهو يسئل عن المسئلة الواحدة من متعدد ويجيب كلا بحسب ما يوافق استعداده اذ هو طبيب القلوب وخطيب منصة المحبوب قال تعالى لينفق ذو سعة من سعته وقال عز سلطانه ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله فافهم (قوله العارف فوق ما يقول الخ) اقول لقد لطفت كؤس الاذواق واستعذبت فى طعم فم المذاق بل حليت وطابت وجليت وطافت على ملوك ملكوا حضرة التدانى وخلاع سكر بحضرة المعانى

اذ لا قدرة له على تعبيره عن جميع مقاماته وأحواله لقصور العبارة عنه كما يقصر عن الفرق بين روائح المحسوسات كرائحة الزباد ورائحة المسك وحلاوة العسل وحلاوة السكر وحموضة النارنج وحموضة الليمون وإذا قصرت العبارة عن ذلك فهما

فلله ما سمعوا في الحان من توقيع الالحان حين انشدهم الحادي معربا وأسكرهم مطربا

فأمطر الكاس ماء من اباريقها * فانبت الدر في ارض من الذهب

وسبح القوم لما أن رأوا عجبا * نورا من الماء في نار من العنب

سلافة ورثتها عاد عن ارم * كانت ذخيرة كسرى عن أب فأب

غيره من ألطف ما رأيت

كان فؤادي مجمر فيه عنبر * على نار فكري واللسان يروح

تترجم عما في ضميري مدامعي * وكل اناء بالذي فيه ينضح

(قوله اذ لا قدرة له على تعبيره) أي والذي يقدر على التعبير عنه ربما يغار عليه من سماع غير أهله (قوله والعالم بأحكام الله الخ) أقول والفرق حينئذ بينه وبين العارف ان حقيقة مشهد الاحسان تأبى الا الكمال دون النقصان اذ هي طاهرة بوصف القدوسية للقدوس ظاهرة بذلك لأرباب الارواح والعقول والنفوس شعر

ليس فيها من يقال له * كملت لو ان ذا كملا

كل شيء من محاسنها * كائن في نفسه مثلا

(قوله لأنه عاجز الخ) أي وسبب عجزه انحصار عقله في النقل والآداب اللازمة للحضرة لا تتناهى في عدد ولا تضبط بشكل مع ان عجز العالم لحكمة التيسير ولرحمة اللطيف الخبير (قوله ان الله تعالى يفتح الخ) أي وذلك لان كشف العيان مما يزيد على العرفان هو حضرة انقلاب الاعيان الا ترى كيف شهد ذلك العارف كله بكليته وسمع وقت المناجاة بجميع أنيته

اذا ما بدت ليلى فكلي أعين * وان هي ناجتني فكلي مسامع

فالعارف هو من جمع الكمال وحصل المقال والحال

حال وقال يشهدان بأنه * حاز الكمال بكل معنى أنفس

والحاصل ان الفتح للعارف هو جذب قلبه الى الذكر والتفكر في مصنوعات القديم جل شأنه وعز علاه (قوله من نطق الحق تعالى عن سره) أي وامارة ذلك موافقة ما نطق به لعلم المتابعة وتأثر السامع مما يبدو منه لخروجه من صميم القلب مخلصا به عن الحق وقوله وهو ساكت لم ينطق أي فأنوار باطنه مشرقة على صفحات ظاهره ناطقة بأنه من المقربين ومن عباد الله المحبين المحبوبين (قوله انقطاعه عن ذكر الله تعالى) أي غفلته عن مراقبته تعالى وقتا من الاوقات وعن ذكره بلسانه فعلم من ذلك ان ذنوبهم الفترات وحجبهم الغفلات (قوله وغفلته عنه نقص) أي لان الغفلة من صفات النفس المذمومة وقد قيل لولا مدائن النفوس ما تحقق سير السائرين (أقول) وتلك المدائن على ثلاثة أقسام الحظوظ بالغفلة واتباع الوهم بدون تحقيق وصريح الدعوى من غير حقيقة (قوله رياء العارفين الخ) أي وذلك لانهم قد تجلت لهم أسرار الكائنات ففهموا منها

يواليه الله ويفتح به على قلوب العارفين أولى ولذلك قال بعضهم لو أراد العارف ان يتكلم بما في قلبه لعجز عنه لسانه (والعالم) بأحكام الله عليه بها (دون ما يقول) أي ما يقوله من العلم بأحكام الآداب والحضرة مع الله لا يبلغه علمه السابق لأنه عاجز عن ان يصل الى ذلك بعقله (وقال أبو سليمان الداراني ان الله تعالى يفتح للعارف) بالله (وهو على فراشه ما لا يفتح لغيره وهو قائم يصلي) لأن أحواله كلها مع الله فلا يغفل عنه في متقلبه ومثواه (وقال الجنيد العارف) بالله (من نطق الحق تعالى (عن سره) بأن جعل أحواله الظاهرة التي أجراها عليه دالة ناطقة للخلق بعمارة باطنه وكمال حاله معه تعالى (وهو ساكت) لم ينطق (وقال ذو النون لكل شيء) من المخلوقات (عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن ذكر الله تعالى) لأن العارف به محب له ومن احب شيأ اكثر من ذكره والعبد دائما يتلذذ بذكر ربه بقلبه فاذا غفل عنه وغفلته عنه نقص وكفى بها عقوبة (سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول سمعت رويما يقول رياء العارفين) بأن رأوا أعمالهم واستحسنوها

(أفضل من اخلاص المريدين) لان غاية اخلاص المريدين خلاص اعمالهم من الرياء الحقيقي الذي هو محرم وان راوا عملهم واستحسنوه وسكنوا اليه ورجوا الثواب عليه والعارف عندهم من كملت معرفته بمولاه ورأى فضله عليه وعطاياه ومن جملة ذلك حفظه له عن الغفلة عنه فتى راى عمله واستحسنه عد ذلك رياء تشبيها بالرياء حقيقة (وقال ابو بكر الوراق سكوت العارف) بالله (انفع) من سكوت غيره لان احواله الظاهرة تدل على عمارة باطنه مع مولاه فينتفع به وبرؤيته وحده من رآه (وكلامه اشهى وأطيب) لسامعه من كلام غيره كالزاهد لان كلامه فى صفة الجلال والكمال لمولاه وذكر تفاصيل نعمه عليه وعلى غيره فى دنياه واخراه وذلك تطيب به النفوس وتهواه وكلام الزاهد مثلا غالبه فى بيان نقص الدنيا وقلة وزنها عند الله وذلك لا يحتمله كل النفوس (وقال ذو النون الزهاد ملوك الآخرة وهم فقراء العارفين) لان الله تعالى يعوضهم فى الآخرة بدل ما زهدوا فيه ولا يبلغون فيها درجة العارفين فهم فقراؤهم بالنسبة لما من الله به على العارفين (وسئل الجنيد عن العارف) بالله (فقال لون الماء لون انائه يعنى انه) اى العارف لا حال له معين بل هو كالماء فى الاناء يتغير لونه بحسب تغير الاناء فهو (بحكم وقته) الذى هو فيه فتارة بحكم القبض والاجلال وتارة بحكم البسط والجمال وتارة بحكم الدهش وتارة بحكم السرور وحسن النفس (وسئل أبو يزيد عن العارف) بالله (فقال) هو من (لا يرى وذلك

بلطيف الاشارات وقرؤا ما فى سطورها من رقيق العبارات

تأمل سطور الكائنات تجدها * من الملا الاعلى اليك رسائل
لقد خط فيها لو تأملت سطرها * الا كل شئ ما خلا الله باطل

وقوله أفضل من اخلاص المريدين أى مع ان رياء العارفين اذا اتفق لا يدوم بل يوفق العارف للانتقال عنه حالا ولا كذلك المريد (قوله أفضل من اخلاص المريدين) ان قلت لم يظهر وجه الافضلية لان ما يعده العارف رياء هو ما يتخلص اليه المريد قلت الوجه عد هذه الحالة نقصا عند العارف وذنبا يتاب منه وكمالا عند المريد (قوله عد ذلك رياء الخ) أى فتجب التوبة منه حالا (قوله انفع) أى لدوام ثمرته دون غيره وقوله وكلامه اشهى وأطيب أى وله الاشارة بقول بعضهم العارف يسعطك المسك والزاهد يسعطك الخل والخردل (قوله لان كلامه فى صفة الجلال الخ) لو أبدله بالجمال لكان أوقع (قوله وذلك لا يحمله كل النفوس) أى النفوس البشرية التى لم تتجرد عن العادات وعن المألوفات (قوله وهم فقراء العارفين) أى وقد ثبت خبرا اتخذوا عند الفقراء ايادى فان لهم دولة يوم القيامة ففى مثلهم قد ثبت هذا الخبر وكفاهم شرفا والله اعلم (قوله فقال لون الماء لون انائه) فيه دلالة على ان سائله لم يكن الا صاحب عقد معين فاجابه بجواب كلى مفيد لكل معرفة بالله فقد رقاه بجوابه الى ما فوق معتقده فان من كان على ما ذكرنا لا لون له فيظهر له الحق بحسبه كما هو تعالى فى نفسه فحينئذ لا بقاء للعارف على حال لعدم سكونه اليه فهو مثل الماء يتلون بلون انائه لكونه شفافا لطيفا قال صاحب الفصوص سقى الله ثراه هذا الجواب سديد حيث اخبر عن الامر بما هو عليه قال بعض شراحه فى اثناء كلامه على هذا فانه اذا تعين الحق بوجوده وظهوره فى تجليه فهو انما يكون بحسب خصوص قابلية المتجلى له كما أشار اليه الاستاذ ابو القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه بقوله لون الماء لون انائه يعنى ليس للحق صورة معينة فتميزه عن صورة اخرى كالماء لا لون له ولكن الماء يتلون بحسب لون انائه فان الحق لذاته يقتضى القبول لكل نعت والظهور بكل وصف بحسب الواصف والعالم والحاكم فان كان العالم به صاحب اعتقاد خبرى ظهر فى معتقده بحسبه فهو بالنسبة الى كل ذى اعتقاد على حكم معتقده ومن لم يتقيد فى معرفته وشهوده له احاطة بالجمع فذلك هو العارف الذى لا لون له (اقول) و يوضح هذا ان مدد العارف انما هو النور وهو لا لون له بل انما يتلون بلون زجاجاته والله اعلم و بكل شئ أحكم وسلم الامر تسلم (قوله يعنى انه بحكم وقته) اى بحسب التجلى الحاصل له فيه (قوله فتارة بحكم القبض والاجلال) أى والغالب عليه فى هذه الحالة الهيبة بدل الخوف وقوله وتارة بحكم البسط والجمال أى والغالب عليه حينئذ الادب بحسن المتابعة لسيد الكاملين وقوله وتارة بحكم الدهش أى والغالب عليه السكون وقوله وتارة بحكم السرور وحسن النفس أى والغالب عليه التواضع والحلم والرفق ولين الجانب (قوله فقال هو من لا يرى الخ) أى

مشغول به في يقظتـه وكل اناء بالذى فيه ينضح (ولا يوافق غـير الله) أى لا يزال ذكرا لله بقلبه (ولا يطالع غير الله) أى لا يزال راقبا الله بقلبه (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول سئل بعض المشايخ بم عرفت الله فقال) عرفته (بلمعة لمعت) في قلبي (بلسان) شخص (مأخوذ عن التمييز المعهود ولفظة جرت على لسان) شخص (هالك) بشغله بربه (مفقود) عن حسه بغلبة الاحوال عليه (يشير) هذا القائل بما قاله (الى وجد ظاهر) حصل له من ذلك الشخص (ويخبر عن سر) في باطنه (ساتر) لحاله عمن يراه و يسمعه فكل ماذكر من صفة العارف الكامل فاخبر عن اول معرفته باللمعة المذكورة من ذلك الشخص الذى غلبت أحواله على ظاهره مع كمال قوته فهو بكمالها (هو هو بما أظهره و) هو (غيره بما أشكله) أى ستره مما توالى على قلبه من اسرار الغيب (ثم أنشد) في معناه (نطقت) لاجل ماستره الحق عن غيرى وخصني به في باطني (بلا نطق) أى مغلوبا على غير مختار (هو) أى النطق المغلوب على (النطق) الحقيقي أى مثله (انه) أى الشان (لك) يا ربي (النطق لفظا) شبهه بالنطق لفظا لوضوح دلالته على المعنى ولذلك

وذلك لانه قد خرج من سجن نفسه الى فضاء روحه وسجن الروح من قبيل عالم التركيب المقيد الظلماني وفضاء الروح من قبيل عالم التجرد والاطلاق النوراني الذى ينكشف به المقصود والمطلوب وصاحب المقام الاول في الحضيض الاسفل وصاحب المقام الثاني في الرفيع الاعلى اذ الاول مقصور على الكون لا يتعداه والثاني روحاني معدن للعلوم والمعارف ينتقل عن الكون الى المكون فيتعرفه بروحانيته للطفها وحيث الامر كذلك فالذى ينبغي للعاقل أن يطلب الكمال وهو مايسع به الكون ويرتقى به الى المكون لانه الاعلى مما وسع به الكون فقط اذ هو دني فالمرء بالروح لا بالجسم انسان فافهم (قوله هو من لا يرى الخ) اقول كيف لا يكون كذلك وهو قد غاب بخمرحبه عن الحس فاتجلى له نور وجه المحبوب كالشمس فهنالك دام له السكر وطفحت له الدنان ودارت عليه كؤس المحبة بالعرفان شعر

مازال يشربها وتشرب عقله * خبلا وتؤذن روحه برواح
حتى انثنى متوسدا بيمينه * سكرا وسلم روحه للراح

(قوله فقال عرفته بلمعة لمعت في قلبي الخ) محصله انه استفاد حاله ومقامه على نعت انسان كامل القوة مع غلبة أحوال الحقيقة عليه فهو بظاهره يشاكل غيره من أرباب الصحو وباعتبار باطنه هالك مع أهل المحو فأمده هذا العارف ببارقات الانوار واشارات خفايا الاسرار فاللمعة كناية عن أنوار ذكره وقوله بلسان شخص أى باشارة ارشادية ودلالة الهية وقوله مأخوذ عن التمييز المعهود يعني بذلك الالتفات الى الحظوظ النفسية فهو رضى الله تعالى عنه غائب عنها غريق في بحر المجاهدات والرياضات (قوله فقال بلمعة لمعت في قلبي *الخ) محصله ان معرفته بواسطة اشراق نور ذكره المأخوذ بلسان شخص مستغرق في شهود الحق تعالى وماله مع حسن المتابعة للسيد الكامل صلى الله عليه وسلم لا احساس له ولا شعور بغير ذلك ومن المعلوم ان الواسطة اذا كان على هذا النعت يؤثر حاله وعمارة باطنه فيمن تلقى عنه واجتمع به من المريدين (قوله ويخبر عن سر في باطنه ساتر لحاله) أى غيره من استشراف غير ربه عليه (قوله هو هو الخ) مراده ان هذا الشخص بحسب ظاهره وتخلقه بخلق أمثاله البشر هو المعلوم وبحسب باطنه وما أخفاه مما منحه مولاه مغاير لذلك المعلوم يختص برحمته من يشاء (قوله ثم أنشد الخ) محصل معنى ما أنشده ان العبد المحبوب لعمارة باطنه بدوام مراقبة الحق تعالى وزيادة أنوار باطنه ظهرت الآثار على صفحات وجهه ناطقة ودالة على مقام عرفانه وعلى غاية تقربه مع كون ذلك بغير اختياره ومثل ذلك هو النطق الحقيقي والدلالة الصحيحة فقوله نطقت بلا نطق الخ معناه ظهرت آثار ما خصصتني به من عمارة باطني فهو زاد الاعلى تقربي من حضرة اصطفائك شبيهة بالنطق غير أنه بالغلبة من غير اختيار مني وهذا هو النطق الحقيقي يعني عما لاله في الدلالة الصحيحة وقوله انه لك النطق لفظا مبني على التجوز والمشابهة بجامع

قال (أو يبين) أى يظهر (عن النطق) ثم اشار الى المعنى الذى خصه به الحق وشغله به عن غيره بقوله (تراءيت) يا ربي

اى ظهرت لى وشغلتنى بك (كى أخفى) عن غيرك (وقد كنت خافيا) عنى (والمعت لى برقا) أى أظهرته على لسانى (فأنطقت) يا بد
(بالبرق) الذى خصصتنى به فى وقت غلبة حالى (وسمعته) أيضا (يقول سمعت على بن بندار الصيرفى يقول سمعت الجريرى يقول سئل
أبو تراب عن صفة العارف) بالله (فقال) هو (الذى لا يكدره شئ ويصفو به كل شئ) لرضا العارف بحسن ما يختار
له مولاه فصفة يكرم الله ما يخلصه
من كل كرب ويصفيه من كل
كدر (وسمعته) أيضا (يقول
سمعت أبا عثمان المغربى يقول
العارف) بالله (تضئ له أنوار العلم
فيبصر به) أى بنور العلم (عجائب
الغيب) لانه انتقل من أخلاقه
الذميمة الى الحميدة فلم يبق الا نظره
فى العجائب والآيات فهو يتفرج
فى ملكه تعالى وملكوته (سمعت
الاستاذ ابا على الدقاق رحمه الله
يقول العارف) بالله (مستهلك) أى
غريق (فى بحار التحقيق) اذ ليس
له حال معين بل هو مصرف بما
يرد عليه من آثار الله فهو فى بحار
المعرفة فتارة فى بحار نعمه وتارة
فى بحار أفعاله ومقدوراته وتارة فى
بحار صفاته فهى بحار والمعارف
فيها (كما قال قائلهم المعرفة
امواج تغط) أى (ترفع) العارف
بما يطلعه الله عليه تارة (وتحط) ه
بالعجز والقهر أخرى (وسئل يحيى
ابن معاذ عن العارف) بالله (فقال)
مرة هو (رجل كائن) مع الخلق
ببدنه (بائن) عنهم بقلبه (ومرة قال
كان) مع الخلق وعوائدهم (فبان)
أى ففارقهم بشغله بربه (وقال
ذو النون علامة العارف) بالله
(ثلاثة) أحدها (لا يطفئ نور معرفته) بالله (نور ورعه) الذى هو ترك الشبهات المتضمن للعمل
فلا يتركه لزعمه انه وصل أوانه لا فائدة له مع ما سبق له فى الازل

وضوح الدلالة فى كل وقد أشار اليه الشارح بقوله ولذلك قال أو يبين الخ (قوله أى ظهرت لى الخ) اى ظهرت بمظاهر اسمائك وصفاتك (قوله كى أخفى عن غيرك) أى وذلك لان من تراءى له الحق وتعرف اليه يختفى عن الامثال لعله يدوم له تشريف الحال (قوله وقد كنت خافيا عنى) أى بسبب قوة حجبى بملابسة الحظوظ ممنوعا من شهود الحق تعالى والا فالحق تعالى منزه عن الحجاب (قوله أى أظهرته على لسانى) أى وغيره من سائر جوارحى بواسطة فيضان أنوار قلبى (قوله فقال هو الذى لا يكدره شئ) أى لشهوده أحدية الحق جل علاه ولقوة رضاه بما يجرى به من تصاريف أحكامه وقوله ويصفو به كل شئ أى بسبب قوة التخلق بالمتابعة يقوى تأثيره فيما يقابله ويخالطه (قوله تضئ له أنوار العلم الخ) مراده بالعلم العلم الذوقى الذى هو ثمرة ونتيجة العمل على ما يوافق سنة سيد الكاملين عليه صلاة رب العالمين فالعلم الذوقى لا يتحقق الا بعد التحلى بالسمعيات والعقليات والعمل باحكام المتابعات وقوله فيبصر به الخ أى يبصر تفكرا وتذكرا فى عجائب الغيب بل قد يبصر بذلك تلك العجائب شهودا وعيانا والله أعلم (قوله تضئ له أنوار العلم الخ) أى لكونه قد قطع مدائن النفس وخرج منها الى فضاء الشهود الذى هو من وظائف الروح ولذا تراه يبصر عجائب الغيب ثم ذلك من الامور التى تضيق عنها العبارة وقد لا تبين عنها الاشارة ولكنه شئ يدرك من وراء الستارة فمن سرت لروحه هذه الاذواق ظهر عليه وفيه سرها وذلك من شيم العارفين وانسان المحبين المحبوبين ومن لم يحصل له ذلك السريان فهو مسجون بمحيطاته الجسمانية ومحصور فى هيكل ذاته النفسانية بطلب الاعواض وتتبع الحظوظ والاغراض فتدبر (قوله فى بحار التحقيق) المراد بها مظاهر اسماء الله تعالى وصفاته فهو فيها على حسب نور التجلى الوقتى (قوله المعرفة أمواج الخ) أى وذلك تابع لانوار التجلى الوقتى كما أسلفنا (قوله ترفع وتحط) أى وذلك من نعت العارف الذاتى له فانه دائما تنقلب عليه الاحوال بتبدل تجلى الجلال بالجمال وحينئذ يتيه بالدلال أو بالعكس فيهيم الى عود الوصال (قوله فقال مرة الخ) أى فقد عبر عن العارف باعتبار بعض أحواله المختلف باختلاف الوارد على قلبه (قوله لا يطفئ نور معرفته الخ) نور المعرفة بالرفع فاعل ونور الورع بالنصب مفعول وذلك غنى عن الايضاح فالعارف اذا امتحن بالاحسان قام بالادب مع الكتمان وان عدد وناح لا يمكن ان يقال باح

يا شمس ضحى جبينه وضاح * ساعات رضاك كلها أفراح
عشاقك لو فعلت ما شئت بهم * ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

(قوله

(و) ثانيها (لايعتقد باطنا من العلم ينقض عليه ظاهرا من الحكم) فاذا وقعت له خواطر صحيحة عنده فلا يعمل بها حتى يزنها بميزان الشرع ولا عبرة بما قيل انها خواطر خصهم الحق بها فهى عن الله صادقة فلا سبيل الى تركها وان صح فى وقت لم يطرد (و) ثالثها (لاتحمله كثرة نعم الله عليه) من الكرامات ونحوها (على هتك أستار محارم الله) والاقدام على مانهى عنه بناء على ان مثله لايؤاخذ بذلك ومن قال به فقد أمن مكر الله ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون (وقيل ليس بعارف من وصف المعرفة عند ابناء الآخرة) لان وصفها لهم يشوش عليهم حالهم لانه يكلمهم بما لايفهمونه لشغلهم بربهم عن غيره حتى عن أنفسهم (فكيف بمن وصفها (عند ابناء الدنيا) الهلكى تحتها فانهم لايفهمون ولا يسمعون (وقال أبو سعيد الخراز المعرفة تأتى من عين الجود وبذل المجهود) أى لاتنال الا بعون الله على بذل المجهود بمحض الكرم والجود ٧٧ فلا تنال الا ببذل المجهود باعانة الكريم المعبود مع التبرى من الحول والقوة لتكون عين الجمع أتم (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله يقول سمعت جعفرا يقول سئل الجنيد عن قول ذى النون المصرى فى صفة العارف) بالله (كان ههنا) أى مع الخلق وعوائدهم (فذهب) أى ففارقهم بشغله بربه (فقال الجنيد العارف) بالله هو الذى (لايحصره حال عن حال) أى لايتقيد بحال معين (ولا يحجبه منزل) أى لايمنعه مقام حل فيه (عن التنقل فى المنازل) بل ينتقل فيها الى أن يصل الى مقام المعرفة (فهو مع أهل كل مكان بمثل الذى هو فيه يجد مثل الذى يجدونه (وينطق فيها) كلها (بمعالمها) لهم (لينتفعوا بها) وهو اقدر منهم على ماهم فيه بيانا ممن تحقق به لانه قد أحكمه قبل ان ينتقل عنه فصارت المقامات كلها حاصلة له (وسمعته) ايضا (يقول سمعت عبد الله الرازى يقول سمعت محمد بن الفضل يقول المعرفة حياة القلب مع الله) لان القلب انما خلق للمعارف فان اشتغل بها كلها على الكمال وجوهها كان حيا أو على ضعف أو ببعضها دون بعض كان مريضا وان أعرض عنها بالكلية واشتغل بنفسه كان ميتا قال الله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها فالمعرفة حياة القلوب بالله وبسائر ما أمر بمعرفته فبكمالها يكمل العبد وبنقصها ينقص (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أحمد بن على بن جعفر يقول سمعت الكتانى يقول سئل أبو سعيد الخراز هل يصير العارف الى حال يجفو عليه البكاء) أى يبعد عنه (فقال نعم انما البكاء) من العارفين (فى أوقات سيرهم الى الله) لتعلق همتهم بوصولهم اليه فلا يزالون فيها يبكون ويتضرعون ويتوسلون حتى يصلوا اليه وينزلوا بمقام القرب (فاذا نزلوا الى

(قوله وثانيها الايعتقد باطنا الخ) أى فلا يعمل بما يرد على قلبه من الواردات اذا خالفه ظاهر حكم الشرع فطريقه دائما المتابعة لسيد الكاملين (قوله وثالثها لاتحمله كثرة نعم الله الخ) أقول قد يغنى عنه ماقبله (قوله على هتك استار الخ) أى فلا ينشأ عنه مايخالف قولا أو فعلا حكم الظاهر وان كان ذلك فى السر من متعلقات الامر فرضا (قوله عند ابناء الآخرة) أى الذين ينظرون الى الحظوظ الآجلة (قوله لشغلهم بربهم الخ) لعله يرجع الى الواصف لا الى الموصوف له فتامله (قوله المعرفة تأتى من عين الجود) أى الكرم والفضل الالهى وذلك لانها خصوصية من الحق لمن أراده من عبيده فيكون منشؤها من عين كرم الحق واحسانه ومع هذا اذا ظهرت فى عوالم الانسان لاتنافى بقاء بعض بشريته غير انها تستره كشمس النهار اذا ظهرت فى الافق بالنسبة لظلمة الليل فظن الجاهل أنها أذهبته بل انما سترته تدبر ولانك أسير الظاهر بسبب ظلمة السرائر (قوله وبذل المجهود) أى بذل الوسع والطاقة فى طاعة المولى جل علاه (قوله لتكون عين الجمع أتم) علة لقوله مع التبرى (قوله أى ففارقهم الخ) أى فهو بائن بالخلق وان لابس بالخلق (قوله هو الذى لايحصره حال عن حال) أى لعدم وقوفه مع حال أو مقام (قوله فهو مع أهل كل مكان) أى مقام بمثل المقام الذى هو فيه وقوله يجد مثل الذى يجدونه اى من الواردات ورائق الاشارات ويترجم عنها بامارتها لينتفعوا بها (قوله وهو اقدر منهم على ماهم فيه) أى وذلك لتمكنه مما هو أعلى من مقاماتهم فيكون حينئذ اقدر على النطق بما يجدونه (قوله المعرفة حياة القلب الخ) أقول ماذكره من ثمرات المعرفة لانفس المعرفة (قوله كان ميتا) أى مثله فى عدم النفع بل الضرر فى هذا محقق (قوله أومن كان ميتا) أى بظلمة الجهل والكفر فأحييناه أى بنور الايمان والدلالة (قوله فاذا نزلوا الى

حقائق القرب وذاقوا طعم
الوصول من بره) تعالى وكرمه
(زال عنهم ذلك) وبقى فى قلبه
خدمة مولاه وتعظيمه والعارف
مع كمال قوته يحفظ سره ويرد على
قلبه ما يرد على غيره وأعظم
ولا يتحرك ولذلك لما قيل للجنيد
وقد حضر سماعا ولم يتغير ظاهره
فسئل عن ذلك فقال وترى الجبال
تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب
صنع الله الذى اتقن كل شئ انه
خبير بما يفعلون

(باب المحبة)

سيأتى بيانها وهى ممدوحة ومطلوبة
(قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
من يرتد منكم عن دينه فسوف
يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه)
وسيأتى بيان محبته ومحبتهم
و(أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن
الحسين قال أخبرنا أبو عوانة
يعقوب بن اسحق قال حدثنا
السلمى قال حدثنا عبد الرزاق عن
معمر عن همام بن منبه عن أبى
هريرة رضى الله عنه

حقائق القرب) أى القرب من التفضلات الالهية والاحسانات السنية فهو قرب مكانة لا مكان (قوله زال عنهم ذلك) أقول لعله بالنسبة لبعض المقربين ممن كان تجليه الجمال والا فقد لا يزول بتسكر وخطور خطر الجلال (قوله وبقى فى قلبه خدمة مولاه) أى فيقوم على بجده فى طاعة ربه محبة واجلالا بدون تعب ونصب (قوله يحفظ سره) أى وجوارحه الظاهرة عن مثل الصياح والحركة

(باب المحبة)

أقول قال الجوهرى الحب بضم الحاء المحبة وكذلك الحب بالكسر والحب أيضا الحبيب مثل خدن وخدين فالمحبة هى الود والميل للمحبوب ويلزم ذلك الموافقة فى المطلوب وأما معنى المحبة عند العلماء وأرباب الاصول وأرباب الاحوال من علماء الشريعة فهى كما قال أبو المعالى امام الحرمين قد اختلف أهل الحق فيها فمنهم من ردها الى صفة الفعل لاستحالة معنى التحنن والميل فى حقه تعالى فالمراد بها حينئذ فى حقه تعالى انعامه واحسانه على عبده وبالنسبة للعبد انقياده واذعانه له تعالى فانه سبحانه وتعالى يستحيل ان يميل أو يمال اليه لما يلزم ذلك من التحيز والجهة المحالين فى حقه تعالى ومنهم من حمل المحبة على الارادة فترجع الى صفة الذات وفيه أنه تعالى مريد لكل شئ من الخير والشر فكيف يحب الكفر ويرضاه وقال ولا يرضى لعباده الكفر وأجاب أبو المعالى حيث قال يريد الكفر كفرا ويرضاه معاقبا عليه وفيه أنه قد نفاه بقوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أقول معنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أنه لا يرضاه غير معاقب عليه وحينئذ فلا ينافى ما قبله قال الا ان يحمل العباد على مخصوصين من أوليائه قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فهو تعالى لا يريد لعباده الخواص الكفر ولا يخلقه لهم أصلا اذا علمت ذلك تعلم عدم صحة حمل المحبة على الحقيقة بالنسبة له تعالى لاستحالتها عليه واعلم ان المحبة عند أرباب الاحوال حالة لطيفة يجدها العبد بقلبه تحمله على ايثار المحبوب طوعا وقد يعبر عنها بانها احتراق أو اهتياج أو غرام أو سقام أو لدغ فكل ذلك يصح ان تفسر المحبة به على التقريب وان كانت العبارة لا تفى بشرح حقيقتها على التفصيل وقد ذكر المؤلف فيما بعد تفاصيل الاقوال فى حقائقها وفى معانيها فلا نطيل بغير ما ذكره حيث كان فيه الكفاية والله أعلم (قوله سيأتى بيانها) أى فى كلام المصنف على وجه جميل (قوله فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه) أقول من المعلوم عدم صحة حمل المحبة فى حقه تعالى على حقيقتها كما تقدم لما يلزمه من التحيز والجهة المحالين بل على أنها صفة فعل أو ذات على معنى الاحسان أو ارادته وفيه ان الارادة لا تتعلق الا بمتجدد والرب تعالى أزلى لا اول لوجوده وانما يريد المريد أن يكون ما ليس بكائن ويجوز كونه وأن لا يعدم ما يجوز عدمه وما ثبت قدمه استحال عدمه فلا تتعلق به ارادة والذى يكشف ذلك أن اجتماع الضدين لما كان محالا امتنع ان يريد المريد استحالة اجتماع الضدين هذا كلام

الامام رضي الله عنه وما قاله من التفريع على ان المحبة هي الارادة ان صح لغة وعرفا وقد أطلقها الحق على نفسه في قوله تعالى يحبهم ويحبونه فاذا كان لامعنى لها الا الارادة خاصة فكيف يصنع بظاهر هذه الاضافة وان تأول الضمير في قوله ويحبونه وصرف الى أفعاله تعالى فيكون المعنى ويحبون أفعاله فقد تعلقت محبتهم على الحقيقة اذ هي متجددة كائنة مع انه لايخطر ببال أحد من العلماء ان القديم الواجب الوجود يجوز ان يقصد الى تخصيصه بالوجود لاستحالة ايجاد الموجود فهذا مستغن عن الشرح وماذكر من اختلاف أهل الحق في معنى المحبة وانها ترجع الى صفة الفعل أو صفة الذات يمكن الجمع فيه بتحقق الارادة والفعل في كل من الرب والعبد كما لايخفى على من تأمل (قوله قال قال رسول الله الخ) أي وروى مالك يرفعه الى ادريس الخولاني قال دخلت مسجد دمشق فاذا فتى شاب براق الثنايا واذا الناس معه اذا اختلفوا في شيء أسندوه اليه وصدروا عن قوله فسألت عنه فقيل هذا معاذ بن جبل فلما كان الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير ووجدته يصلي قال فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته فسلمت عليه ثم قلت والله اني لاحبك في الله فقال الله فقلت الله فقال الله فقلت الله قال فأخذ بحبوة ردائي فجذبني اليه وقال أبشر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في فدل ذلك على ثبوت محبة الحق لعبده (قوله من أحب لقاء الله الخ) المعنى على محبة مايقرب اليه تعالى وان كرهت ذات الموت لمضادته للحياة المعهودة المألوفة وقوله أحب الله لقاءه على معنى اجزل له العطاء والله أعلم (قوله وفي رواية ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) أي على معنى أن من دام على المخالفات المكروهة لله اعد الله له العذاب عليها (قوله من أهان لي وليا الخ) أقول نظم الحديث كما رواه البخاري في صحيحه في باب التواضع في الجزء السابع عشر من تجزئة ثلاثين برواية أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ولايزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان استنصرني لانصرنه ولئن سألني لاعطينه ولئن استعاذني لاعيذنه وماترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولابد له منه انتهى ثم أقول وبالله الاعانة من فوائد هذا الحديث المتعلقة بظاهره انه من المتشابه لان قوله كنت سمعه الخ لايجوز حمله على ظاهره لان ظاهره ان الحق تعالى يكون نفس سمع العبد وبصره ويده ورجله وسائر أعضائه وأجزائه فيلزم الاتحاد الذي عليه أرباب الوجود المطلق وهو كفر في الشريعة والحاد وزندقة فلابد من التأويل على قول من يجوز التأويل وفي تأويله بحسب الظاهر وجوه منها ماذكر في شرح الحديث كشرح الاربعين للنووي وشرح صحيح البخاري وغيرهما وهو انه يحتمل ان يكون المراد بقوله كنت سمعه الخ كنت الحافظ

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن لم يحب لقاء الله لم يحب الله لقاءه) وفي رواية ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه و (أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال حدثنا احمد بن عبيد الصفار البصري قال حدثنا عبد الله بن ايوب قال حدثنا الحسن بن موسى قال حدثنا الهيثم بن خارجة قال حدثنا الحسن بن يحيى عن صدقة الدمشقي عن هشام الكناني عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن ربه سبحانه قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة) وفي رواية

بجوارحه من الشيطان ويحتمل كنت فى قلبه عند سمعه وبصره وبطشه ومشيه فاذا ذكرنى كف عن العمل الغيرى ويحتمل ان سمعه بمعنى مسموعه ومبصره أى ذكرى يكون مسموعه وبعجائب قدرتى مبصره ويكون أخذه لى وكذا مشيه يكون لى ومن التأويل ان ذلك يكون اشارة الى مقام كمال المحبة وتأكدها فان المحبة بين شخصين اذا تأكدت وبلغت الى نهايتها يكنى فى العرف عن تلك الحالة بالفاظ تدل على الاتحاد فيقول كل واحد منهما ماله مالى ومالى ماله وقوله قولى وقولى قوله بل يقول نفسى نفسه ودمى دمه كما قال عليه السلام لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه لحمك لحمى ودمك دمى ومن ذلك ما وقع فى القرآن من قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقوله تعالى يد الله فوق أيديهم وقوله فى صدر الحديث من عادى لى وليا فقد بارزنى بالحرب فجعل معاداة أوليائه نفس معاداته وفى الحديث النبوى من أحبنى فقد أحب الله ومن أطاعنى فقد اطاع الله ومن رآنى فقد رأى الحق ومن عصانى فقد عصى الله ومن هذا المقام ما وقع فى كلام العرفاء * أنا من أهوى ومن اهوى انا * ومنه كلام المجنون العامرى انا ليلى واسمى ليلى فقوله اذا أحببته يدل على ان المحبة لا تبلغ الى غايتها ما لم تتبدل المحبة بالمحبوبية فاذا أحب الله العبد تتأكد المحبة وتصفو المودة وتذهب مذلة الاجنبية وتدخل نوبة المحرمية وزوال الغيرية فقوله كنت سمعه يكون معناه اذا تأكدت المحبة بينى وبين عبدى كنت نفس العبد يعنى تكون أفعاله وحركاته وسكناته فى الحقيقة أفعالى وآثارى وقائمة لى بحيث لا يصدر منه فعل من عند نفسه وطبعه ولا أكله الى نفسه أبدا واراقب أفعاله دائما ومن فوائد هذا الحديث أيضا ان التخصيص فى الحديث بالنوافل مع ان الله تعالى قال وما تقرب عبدى بشئ أحب الى مما افترضت عليه وقال عليه السلام ثواب الفريضة يفضل على ثواب النافلة بسبعين مرة قد ضرب له العلماء مثلا يفهم منه فائدته كما هو مذكور فى بعض شراح الاربعين للنووى فقالوا مثل الذى يأتى بالنوافل بعد الفرائض ومثل الذى يأتى بالفرائض دون النوافل كرجل أعطى عبده درهما يشترى به فاكهة وأعطى آخر درهما يشترى به فاكهة فذهب أحد العبدين فاشترى فاكهة فجعلها فى قوصرة وطرح عليها ريحانا ومشموما من عنده ثم جاء فوضعها بين يدى السيد وذهب الآخر واشترى فاكهة وجعلها فى حجره ثم جاء بها ووضعها بين يدى السيد على الارض فكل واحد من العبدين قد امتثل لكن أحدهما زاد من عنده القوصرة والمشموم فيصير أحب الى السيد فمن صلى النوافل مع الفرائض يصير أحب الى الله تعالى وذكر فيه ان المحبة من الله ارادته الخير للعبد فاذا أحبه شغله بذكره وطاعته وحفظه من الشيطان واستعمل أعضاءه فى الطاعة وحبب اليه سماع القرآن والذكر وكره اليه سماع الغناء والاغانى وادخله فى زمرة الذين اذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وحفظ سمعه وبصره من المحرمات فلا ينظر الى ما لا يحل فصار نظره نظر فكر واعتبار واستدلال قال على كرم الله وجهه ما رأيت شيأ الا رأيت الله

من عادى لى وليا فقد اذنته بالحرب اى اعلمته بانى محارب له

قبله

قبله وتصيرحركاته بالبدين والرجلين كلها لله فلا يمشي فيما لا يعنيه هذا كلام الشارح ومن
فوائد الحديث أيضا أنه قد علم من قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل
ان التقرب قسمان فرضي ونفلي فالفرضي هو الاتيان بالفرائض والنفلي هو الاتيان بمجرد
النوافل وبهما معا وان هذا الثالث هو المراد في الحديث المثمر للمحبوبية فمعنى الحديث
لا يزال العبد يتقرب الى الحق بالنوافل بعد اداء الفرائض كما ينبغي فان مجرد النوافل
لا يفيد ولا يثمر الا البعد عن الحق تعالى ويفهم ذلك من قوله العبد لانه لا يكون عبدا الا
بعد أداء ما أوجب السيد عليه فلفظ العبد يقتضي أداء الفرائض ولذا اكتفى بذكر
النوافل عن ذكر الفرائض فالتقرب الفرضي وحده يثمر محبة العبد للحق والتقرب النفلي
بعد الفرضي يثمر محبوبيته له فالفرضي وحده أكمل من النفلي وحده بل لا كمال فيه وحده
وكلاهما معا اكمل ومن الفوائد المتعلقة بالحقائق ان هذا الكلام يتضمن الفناء بقوله
اذا أحببته كنت سمعه الخ والبقاء بقوله في يسمع الخ وبيان ذلك ان النوافل هنا اشارة الى
الدنيا والعقبى ومراتب الكشوفات الفعلية والوصفية والاسمية لان النافلة هي الزيادة
في اللغة ولا شك ان الله تعالى خلق العبد لذاته كما قال لموسى واصطنعتك لنفسي وفي
الحديث يا ابن آدم خلقت الاشياء لاجلك وخلقتك لاجلي فالدنيا وما فيها نافلة بالنسبة
للاخرى والآخرة وما فيها نافلة بالنسبة للمراتب الكشفية في التجليات الفعلية وهي
نافلة بالنسبة للوصفية والاسمية وكلها نافلة بالنسبة للحضرة الهوية والذات الاحدية
فهي المقصد الاسنى والمطلب الاعلى فما جاء شيء من الملك والملكوت والخلق والامر الا
طفيليا لجنابه تعالى كما يشير اليه قول الخليل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
العالمين فحاصل الحديث ان العبد ما أدى مواجب العبودية من اداء الحقوق الشرعية
الا لتقربه للحضرة الاحدية بترك النظر عن نوافل الدنيا والعقبى ولذائذ المكاشفات
وما وقف في برزخ من البرازخ حتى ينتهي الى محبة ذاته والاستغراق فيها فهنالك تحبه
الحضرة الاحدية بالمحبة الذاتية التي يدل عليها لفظة انا المضمر في احببته الذي هو الاسم
الاعظم المشير الى خصوصية الذات كما ان نحن يشير الى خصوصية الصفات فلا شركة
لاحد في هذين الاسمين معه تعالى فبعد التجلي المذكور يفنيه عنه كلا وبقاء ويكون
الحق حينئذ خلفه كما قال سيد الطائفة الجنيد قدس الله سره من كان في الله تلفه كان
الله خلفه فهذا هو الفناء التام فاشار اليه بقوله كنت سمعه الخ أي رجع سمعه الى سمعي
وبصره الى بصري وتصرفاته الى تصرفاتي كما قال واليه المرجع والمآب وكان الحق
تعالى حينئذ خلفه في ذاته وصفاته وهذا معنى قولهم اذا تم الفقر فهو الله وأشار الى البقاء
بعد ذلك الفناء بقوله في يسمع وبي يبصر فان البقاء يترتب على الفناء التام من غير فصل
كما تدل عليه الفاء التي للتعقيب من غير مهلة فقوله كنت سمعه افناء وقوله في يسمع
ابقاء فهو مثبت للوجود الثاني الذي هو الانشاء الجديد كما قال ثم أنشأناه خلقا آخر غير

ان الباقى بتلك الوجود يرى نفسه معدوما وموجودا فانيا باقيا ظاهرا باطنا وهذا نهاية رتبة الولاية ثم فى الحديث الاشارة الى رتبة الفرق بقوله ولا يزال عبدى الخ والى مقام الجمع بقوله فبى يسمع الخ والمراد بالفرق الكسب وبالجمع المواهب يعنى ثمرة المجاهدات ولاشك ان عزة العبد فى أنه يجد أفعال نفسه فى أفعال الحق سبحانه مستغرقة ومجاهداته فى الهداية اليه منفية فحينئذ يكون قيام العبد بالحق والحق سبحانه معه بلسان الغيب من غيب الغيب فبى يسمع وبى يبصر الحديث يعنى يقول سبحانه ان عبدى اذا تقرب الى بمجاهداته فنحن ندخله فى سرادقات محبوبيتنا وغلبة الشوق الينا ونفنى وجوده فيه ونقطعه عن نسبة أفعاله اليه فيفنى عن ذكره كسبه فينوب عنه ذكر سلطاننا ايه فى ينقطع عنه نسبة آفات الصفات الادمية اليه ويكون ذكره ذكرنا وتزداد عليه تلك الحالة الى ان يصير فى غلبة الحال بصفة قال فيها أبو يزيد سبحانى ما أعظم شانى فقد يجرى على لسانه فى معرض الحكاية عنه تعالى او فى سكر وغلبات حال كما ورد فى هذا الحديث الصحيح المتفق عليه فبى ينطق وبى يعقل وبى يسمع وبى يبصر وهذا مقام لابد من العبور عليه فى سلوك الطريق فاهل الله قد يجرى على السنتهم فى غلبات أحوال انهم الحق والمعنى أنهم متحققون به فانون فيه غيران مشايخ الطريقة قدس الله سرهم اجمعوا على انه لا يجوز الاقتداء الا بمستقيم قد تخلص من دوران الاحوال وذلك يشير الى ان رتبة الوصول الى التمكين شرط فى صحة الارشاد والمرشد اما سالك مجذوب أو مجذوب سالك فان المريد الصادق لو وضع وجوده تحت تصرف سالك أبتر أفسد عليه استعداد كمال الانسانية فلا يبلغ مبلغ الرجال وأرباب الكمال وقالوا مرتبة الارشاد آخر مراتب البقاء الحقيقى بعد مجاوزة جميع مراتب الفناء فمقام الارشاد أعلى مراتب القرب لان المقرب قد يكون فى مقام التلوين وقيل مرتبة القرب الخاص موقوفة على فناء أوصاف البشرية الجسمانية والروحانية فى النشأة الدنيوية والاخروية واول درجات القرب الخاص والولاية الخاصة ما قالوا الولى هو الفانى فى حاله الباقى فى مشاهدة الحق جل جلاله فيكون هذا الحديث الشريف قد أشار الى سبب الولاية الخاصة مع الاشارة الى حقيقتها وان شئت ان ازيدك فى معنى هذا الحديث فارجع الى من توسع فى معنى الولاية الخاصة كالطيبى أو غيره ويحتمل ان المراد من الحديث الحث على التقرب الى الله تعالى بالنوافل بعد اداء الفرائض ليترقى العبد فى مقامات القرب من مقام الى آخر باصناف العبادات حتى يحبه الله تعالى فيستغرق فى جناب قدسه بحيث انه لا يلاحظ شيأ الا رأى الله فيه وذلك آخر درجات السالكين واول درجات الواصلين قال الحيرى قوله كنت سمعه الخ معناه كنت اسرع الى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع وبصره فى النظر ويده فى البطش ورجله فى المشى وقال بعضهم ذلك على طريق ضرب المثل اريد به التوفيق فى الاعمال التى يباشرها العبد بهذه الاعضاء يعنى يوفقه للمحبوب ويصونه عن المكروه وقد يراد سرعة الاجابة له اذا دعا

والانجاح

والالحاح في الطلب لان مساعي الانسان انما تكون بهذه الاعضاء الاربع وقال بعضهم معناه ان يكون في مقام الفناء عن الحظوظ والانخلاع عن الشهوات بواسطة غلبة سلطان العشق والمحبة عليه فلا يرى ولا يسمع ولا يعقل الا الله بل انما يتوجه يكن بمراى منه ومسمع قد بعدت عنه الغفلات وكل ما سوى المحبوب فلا يصدر منه شيء الا يحبه المحبوب ويرضاه فيكون الله تعالى له سمعا وبصرا ويدا ورجلا على معنى انه يكون له معينا وناصرا فيرجع هذا المعنى الى ارتهان العبد كلا بمراضي الله تعالى بحسن رعاية الله تعالى له وفي مثل هذا المقام يقول المحب الواله المأخوذ منه

جنوني فيك لا يخفى * وناري فيك لا تخبو
فأنت السمع والناظر والمهجة والقلب

واعلم ان سبب المحبة نظرة عين العناية لعبد سبقت له عواطف الهداية من الحنان فدخل حضرة الامتنان بالامان فهي نار تحرق الاكباد ولوعة تنمو وتزداد

وفي فؤاد المحب نار جوى * أحر نار الجحيم أبردها

فيامن نظر حسن الغيد بجيها والبطاح فقد افتتونا بدلال تلك الملاح

جمال ليلى تجلى * فاشهد وطب وتملى

فحقيقة المحبة كتمان سر المحبوب فيما تجلى على المحب من مشاهد الغيوب

بالسر ان باحوا تباح دماؤهم * وكذا دماء البائحين تباح

وكل هذا من نسمة سرت للمحب من المحبوب فطار بها فرحا وشوقا فكيف به لو رأى جماله عيانا كان يموت حقا

يا نسمة قد سرت سرا لنا سحرا * من الحبيب انا قد أنعشت نفسا
كيف العقيق وأبيات بذي سلم * وكيف خلفت ذاك المنزل القدسا

يحكى عن الشيخ الاكبر وهو في الطواف قال كنت أطوف ذات ليلة فطاب وقتي وهزني حال كنت أعرفه فخرجت من البلاط لاجل الناس فطفت على الرمل فحضرتني أبيات فانشدتها اسمع بها نفسي ومن يليني لو كان هناك أحد وهي

ليت شعري لو دروا * أي قلب ملكوا وفؤادي لو درى * اى شعب سلكوا
اتراهم سلموا * أم تراهم هلكوا حار ارباب الهوى * في الهوى وارتبكوا

فلم أشعر الا بضربة بين كتفي بكف ألين من الخز فالتفت فاذا انا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجها ولا اعذب منطقا ولا أرق حاشية ولا الطف معنى ولا ارق اشارة ولا اظرف محاورة منها قد فاقت أهل زمانها ظرفا وأدبا وجمالا ومعرفة فقالت يا سيدي كيف قلت فقلت ليت شعري هل دروا * اى قلب ملكوا

فقالت عجبا منك وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا اليس كل مملوك معروفا وهل يصح الملك الا بعد المعرفة وتمني الشعور يؤذن بعدمها والطريق لسان صدق فكيف يجوز

مثلك فاذا قلت بعده قال فقلت

وفؤادي لو درى ＊ أي شعب سلكوا

فقالت ياسيدي الشعب الذي بين الشغاف والفؤاد وهو المانع له من المعرفة فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول اليه والطريق لسان صدق فكيف يتجوز مثلك فاذا قلت بعده فقلت اتراهم سلموا أم تراهم هلكوا فقالت أما هم سلموا والذي ينبغي ان تسأل نفسك اسلمت أم هلكت ياسيدي فاذا قلت بعده فقلت

حار ارباب الهوى ＊ في الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت ياعجبا كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها والهوى شأنه التعميم يخدر الحواس ويذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب بصاحبه في الذاهبين فاين الحيرة ومن هنا باق فيحار والطريق لسان صدق والتجوز من مثلك غير لائق فقلت يابنت الخالة ما اسمك فقالت قرة العين فقلت لي ثم سلمت وانصرفت ثم اني عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعرفة ما لا يصفه واصف انتهى ثم أقول في شرح الاربعة أبيات المذكورة ان الضمير في قوله ادروا يعود على المناظر العلا عند المقام الاجلى حيث المورد الاحلى التي تتعشق بها القلوب وتهيم فيها الارواح ويعمل لها العمال وقوله أي قلب يريد القلب الكامل المحمدي لتزاهته عن التقييد ومع هذا فقد ملكته هذه المناظر العلا فكيف لا تملكه وهي مطلوبة له وقوله أي شعب يريد الطريق الى القلب لان الشعاب هي الطرق في الجبال فكأنه يقول لما غابت هذه المناظر العلا ترى أي طريق لبعض القلوب الكائنة للعارفين سلكوا وخص ذكر الشعب لاختصاصه بالجبل فيريد المقام لثباته اذ الاحوال لاثبات لها وقوله اتراهم سلموا أم تراهم هلكوا معناه ان المناظر العلا من حيث هي مناظر لا وجود لها الا بوجود الناظر فالمقامات لا وجود لها الا بوجود المقيم فاذا لم يكن ثم مقيم لم يكن ثم مقام واذا لم يكن ناظر لم يكن منظور اليه من حيث هو منظور اليه فهلاكهم انما هو من حيث عدم الناظر فهذا هو المراد بقوله سلموا أم هلكوا وقوله حار أرباب الهوى في الهوى وارتبكوا معناه لما كان الهوى يطلب بالشئ ونقيضه صار صاحبه حيران مرتبكا فانه من بعض مطالبه موافقة المحبوب فيما يريده المحبوب وطلب المحب الاتصال بالمحبوب والمحبوب قد يريد الهجر فقد ابتلى المحب صاحب الهوى بالنقيضين أن يكونا محبوبين له فهذه هي الحيرة التي لزمت الهوى واتصف بها كل من اتصف به هذا والحب أول نشأته في قلب المحب اذا لم يشاركه فيه أمر آخر وخلص له وصفي يسمى حبا فاذا ثبت يسمى ودا فاذا عانق القلب والاحشاء والخواطر ولم يبق فيه شئ الا تعلق به يسمى عشقا وذلك اللبابة المشتركة وانما أطلنا الكلام في هذا المقام وان قصرت الهمم وكلت الافهام وبعد المرام رجاء ان يكون الجزاء حسن الختام والوصول الى دار السلام بسلام والسلام (قوله وماترددت في شئ الخ) أقول ذلك من التقريب للافهام القاصرة بما ألف

(وماترددت في شئ كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته) لانه تعالى يكره ما يؤلم وليه والموت بطبعه مؤلم

(ولابد له منه وما تقرب الي عبدي بشيء أحب الي من اداء ما افترضت عليه ولا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ومن أحببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا) و(أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا عبيد بن شريك قال حدثنا يحيى قال حدثنا مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة

رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله تعالى العبد قال لجبريل عليه السلام يا جبريل اني أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل عليه السلام في أهل السماء ان الله تعالى قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السما ثم يضع له القبول في الارض) فتحبه النفوس وتقبل عليه القلوب (واذا أبغض الله تعالى العبد قال مالك لا أحسبه الا قال في البغض مثل ذلك) أي مثل ما قال في الحب ثم بين المحبة فقال (والمحبة حالة شريفة شهد الحق سبحانه بها للعبد وأخبر عن محبته للعبد) حيث قال فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (فالحق سبحانه يوصف بانه يحب العبد والعبد يوصف بانه يحب الحق والمحبة) الواردة (على لسان العلماء) غير الصوفية (هي الارادة) على ما يأتي بيانه (وليس مراد القوم) أي الصوفية (بالمحبة الارادة فان الارادة) من العبد (لا تتعلق بالقديم) بناء على ان أثرها التخصيص فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل (اللهم الا أن تحمل على ارادة التقرب اليه تعالى (والتعظيم) والرؤية (له) فيصح تفسيرها بالارادة (ونحن نذكر من تحقيق هذه المسئلة طرفا ان شاء الله تعالى فمحبة الحق سبحانه للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه) أي لانعام على العبد مخصوص بدرجة رفيعة كحفظه وتقريبه له وعداوته لمن عاداه (كما ان رحمته له ارادة الانعام) عليه

وعهد وتعالى ربنا عن التردد وما هو من شأن الحوادث (قوله ولابد له منه) أي بحكم القضاء الازلي (قوله يتقرب الي بالنوافل) أي زيادة على اداء الفرائض كما تقدم (قوله يا جبريل اني أحب فلانا) أي أريد له الخير أو أوجده له بالفعل فالمحبة منه تعالى من صفات الذات أو الافعال (قوله فيحبه أهل السماء) أي على معنى انهم يثنون عليه أو يستغفرون له كما لا يخفى (قوله قال مالك لا أحسبه الا قال في البغض مثل ذلك) أي مثل قوله في الحب بان قال اذا أبغض الله عبدا قال لجبريل عليه السلام اني أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي جبريل عليه السلام في أهل السماء ان الله تعالى قد أبغض فلانا فأبغضوه فيبغضه أهل السماء ثم يضع له البغض في الارض فتبغضه النفوس وتدبر عنه ولا يخفى ان المراد بالبغض السخط والكراهة (قوله ثم بين المحبة) أي شرع في تحقيق معانيها وتفاصيل الاقوال في ذلك (قوله المحبة حالة شريفة) أي ولذلك كانت العبارة لا تفي بشرح حقيقتها على التفصيل والاشارة لا تأتي على حصرها بالتحديد كما قال بعضهم

بقلبي غرام لست أحسن وصفه * على أنه ما كان فهو شديد
تمر به الايام تسحب ذيلها * وتبلى به الايام وهو جديد

(قوله فالحق سبحانه يوصف بانه يحب العبد) أي لورود اطلاق المحبة عليه تعالى فهو اذن لا نافي مثله (قوله هي الارادة) أي وهي بالنسبة له تعالى صفة أزلية تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه فتعلقها تابع لتعلق العلم القديم ولها تعلقان أو ثلاثة على ما هو معلوم لمن له المام بفن الكلام (قوله هي الارادة) أي أو الفعل الدال عليها فهي صفة ذات أو فعل (قوله وليس مراد القوم الخ) أي بالنسبة للعبد فلا يريدون بمحبته ارادته (قوله فان الارادة من العبد لا تتعلق بالقديم) أي بذاته وصفته بل انما تتعلق بمراده تعالى المحبوب للعبد وذلك لان الارادة لا تتعلق الا بمتجدد والرب تعالى أزلي لا افتتاح لوجوده (قوله بناء على ان أثرها التخصيص) أي وهو من خواص الحادث وحينئذ فلا تتعلق بالقديم كما لا تتعلق بالمستحيل لعدم قبولهما التخصيص (قوله والرؤية له) أي على معنى مراقبته بالقلوب (قوله فمحبة الحق سبحانه الخ) اعلم ان محبته تعالى لعبده معناها انعامه عليه برحمة خاصة أو ارادة ذلك به أو الثناء عليه كما يؤخذ من خبر اذا أحب الله عبدا نادى يا جبريل اني أحب فلانا فاحبه الحديث (قوله ارادته لانعام) أي فهي حينئذ صفة ذات ثم اذا أنعم الحق تعالى على عبده بالفعل أمكن حمل المحبة على صفة الفعل والذات معا كما

(فالرحمة أخص من الارادة والمحبة أخص من الرحمة فارادة الله تعالى ان) أى لان (يوصل الى العبد) الطائع (الثواب والانعام تسمى) تلك الارادة (رحمة وارادته لان يخصه بالقربة والاحوال العلية تسمى محبة وارادته سبحانه) من حيث هى (صفة واحدة) ٨٦ فانها صفة توجب تخصيص أحد المقدورين فى أحد الاوقات بالوقوع (وبحسب تفاوت متعلقاتها تختلف أسماؤها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة) فمحبة الله تعالى للعبد ارادته أن يخصه بدرجة رفيعة (وقوم قالوا محبة الله تعالى للعبد مدحه له وثناؤه عليه بجميل فيعود معنى محبته) له (على هذا القول الى كلامه) تعالى (وكلامه قديم وقال قوم محبته للعبد من صفات فعله) تعالى (فهو احسان مخصوص يلق الله العبد به وحالة مخصوصة يرقيه اليها كما قال بعضهم ان رحمته بالعبد نعمته معه) لا تفارقه وهذا لا يخرجها عن كونها ارادة اذ لا فعل بدونها (وقوم من السلف قالوا محبته) تعالى للعبد (من الصفات الخبرية فاطلقوا) هذا (اللفظ وتوقفوا عن التفسير) له فهذه أربعة أقوال ترجع الى قولين الارادة والكلام لرجوع الفعل الى الارادة كما مر والخبرية الى الكلام (فأما ما عدا هذه الجملة مما هو المعقول من صفات محبة الخلق كالميل الى الشئ والاستئناس بالشئ) والسكون اليه وتعلق القلب به (وكحالة يجدها المحب) بقلبه (مع محبوبه من المخلوقين) كما يأتى بيان ذلك (فالقديم سبحانه يتعالى عن ذلك) علوا كبيرا (وأما محبة العبد لله) تعالى (فحالة يجدها) العبد (من قلبه) (قوله

هو واضح (قوله فالرحمة أخص من الارادة) أى أخص من مطلق الارادة لانها قد تكون رحمة أو غضبا وقوله والمحبة أخص من الرحمة أى لان المحبة ارادته تعالى لانعام مخصوص بدرجة رفيعة والرحمة أعم من ذلك ومن غيره (قوله من حيث هى) أى فهى باعتبار ذاتها صفة وأحده وانما التعدد فيما تتعلق به من الكائنات (قوله أحد المقدورين) المراد الوجود أو العدم وقوله فى أحد الاوقات أى الجائز وقوع المقدور فيه وفى غيره بدلا عنه (قوله تسمى غضبا) أى وهو ارادة الانتقام أو نفس الانتقام (قوله بعموم النعم) أى بالنعم مطلقا سواء كانت مخصوصة بدرجة رفيعة أولا وسواء كانت ثوابا فى مقابلة أعمال أولا (قوله تسمى محبة) أى لكونها بنعمة مخصوصة (قوله وقوم قالوا الخ) أى فالخصوص فى معنى المحبة حينئذ بحملها على المدح والثناء فقط والرحمة أعم (قوله وكلامه قديم) أى لانه من صفات الذات القديمة (قوله فهو احسان مخصوص) أى بدرجة رفيعة مثلا فهى حينئذ من صفات الافعال (قوله اذ لا فعل بدونها) أى لان النعمة اثر القدرة التابع تعلقها لتعلق الارادة (قوله من الصفات الخبرية) أى التى جاء الخبر باطلاقها عليه تعالى فهى ترجع الى صفة الكلام (قوله وتوقفوا عن التفسير) أى فوضوا علم المراد منه إليه تعالى جريا على طريق السلف رضى الله تعالى عن الجميع (قوله فأما ما عدا هذه الجملة الخ) بعد أن بين معانى المحبة الجائزة فى حقه تعالى اراد بيان المعانى المعهودة غير الجائزة فى حقه سبحانه (قوله وكحالة يجدها المحب الخ) أى مثل رقة القلب والعطف على من يحبه (قوله وأما محبة العبد لله الخ) اعلم ان أسبابها كثيرة علمية وعملية أما العلمية فكتيقن انفراده سبحانه وتعالى بالافعال مع الفكرة فى دوام الانعام والافضال والصفح والعفو والاكرام واللطف بغفران جميع الآثام وفى التوفيق لاصلاح النيات والاعمال العاجلة الدنيوية والاحوال الآجلة الاخروية وما سبق من الفضل والامتنان مما خصه به فى الازل من غير عمل من العبد ولا احسان وكمخالطة المحبين ومحادثتهم ومباشرة أحوالهم مع العمل على منوالهم والاشراف على مواجيدهم واشاراتهم وكتكلف الاعمال المطلوبة بالجد وايقاعها على سنن الموافقة مع التشمير لاداء الواجبات والمندوبات وأفضلها فى درجات الخيرات الى أن يصل الى مقام الولايات وغير ذلك من الاسباب (قوله فحالة يجدها العبد) أشار الى أن تلك الحالة من الوجدانيات التى تلطف وتدق عن التعبير عنها ثم وهذه الحالة تنشأ عن تخلص جوهر الروح من الاعراض المكدرة وعن فناء النفس عن الحظوظ والعلل والاغراض

هم العريب بنجد قد عرفتهم * لم يبق لى معهم مال ولا نشب

يستدل عليها بآثارها الا بلفظ لانها (تلطفت عن العبارة) أى لا يمكن التعبير عنها بلفظ غير لفظ المحبة (وقد تحصل آثارها الدالة على التعظيم له) تعالى (وايثار رضاه وقلة الصبر عنه والاهتياج) أى الثوران (اليه وعدم القرار من دونه) أى من غير حضوره معه (ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه وليست محبة العبد له سبحانه) المستلزمة ٨٧ لميل قلبه له (متضمنة ميلا) الى جهة فيها المحبوب (ولا اختطاطا) بالحاء المهملة أى كونه فى خط يحيط به لان هذه المحبة تابعة للمعرفة بالله وكما أن المعروف منزه عن الجهات والاحاطة فكذا المحبوب ولان الميل معنوى وحسى والمراد المعنوى بلا ريب وهذا كمن سمع بعالم عارف بالله جرت على يده كرامات فانه يميل بقلبه اليه ويتمنى رؤيته وان لم يعلم له جهة ولا قطرا يحيط به (كيف وحقيقة الصمدية مقدسة عن الحروف والدرك) يعنى الادراك (والاحاطة) قال تعالى لا تدركه الابصار أى لا تحيط به (والمحب) المتصف (بوصف الاستهلاك) أى الاستغراق (فى المحبوب أولى منه) أى من المحب (بان يوصف بالاختطاط) اى بانه فى خطة تحيط به ويحيث انه لان وصفه بهذا قد يوهم ان المحبوب محاط به أيضا (ولا توصف المحبة بوصف) أوضح بحيث يعرفها (ولا تحد بحد أوضح) كما علم مما مر (و) مع ذلك (لا أقرب الى الفهم من المحبة) فعدم وصفها بذلك أو تحديدها اما لعسره أو لكونها ضرورية كما قيل به فى تعريف العلم (والاستقصاء) أى الاستغراق والامعان (فى المقال) وشرح الكلام على المحبة انما هو (عند) حصول (الاشكال) أى الاستعجام والاستبهام (فاذا زال الاستعجام والاستبهام سقطت الحاجة الى الاستغراق) وفى نسخة الامعان (فى شرح الكلام) على ذلك ومحبة العبد تختلف فتارة تكون للحنو والشفقة كمحبة الوالد لولده وتارة تكون للنعم فيحب من انعم عليه

(قوله يستدل عليها بآثارها) أى كالجد فى العبادة والصدق فى ذلك بالدوام مع الاخلاص فى العمل (قوله وايثار رضاه) أى تقديم ما يرضيه تعالى عن حظوظات النفس وقوله وقلة الصبر عنه أى عما يرضيه تعالى (قوله والاهتياج) أى الناشئ عن زيادة الشوق والغرام وقوله أى من غير حضوره معه أى من غير جمعية قلبه على ما يرضيه تعالى بدوام مراقبته وقوله ووجود الاستئناس بدوام ذكره له بقلبه أى اللازم له غاية الوحشة من خطوره ماسواه (قوله لان هذه المحبة تابعة للمعرفة بالله) علة للنفى كما لا يخفى (قوله وكما أن المعروف الخ) لو عبر بالفاء بدل الواو لكان أولى (قوله والمراد المعنوى) أى وهو لا يتضمن شيأ مما ذكر ولا يقتضيه (قوله وهذا كمن سمع الخ) تقريب لحال المعقول بحال المحسوس والحاصل ان المحبة قسمان طبيعية وعقلية والمراد هنا العقلية لاستحالة الطبيعية على مالا يخفى (قوله وحقيقة الصمدية) أى التى هى من نعوت تعالى مقدسة اى منزهة عن الحروف والوصول والدرك أى الادراك (قوله والمحب المتصف الخ) محصله ان وصف المحب لله بالاستهلاك أولى من وصفه بالاختطاط بعد اعن ايهام أن المحبوب مثله فى ذلك الاختطاط (قوله والمحب المتصف الخ) توضيحه أن كمال المحبة فى المحبة الذاتية لا الوصفية ولا الاسمية ومن المعلوم ان الذات جامعة لنعوت الكمال الغير المتناهية فيلزم ان المحب يكون مستغرقا فى كامل الكمالات لا فى مخصوص منها فيكون أعلى ممن هام فى معين من الكمالات هذا ما ظهر لى والله أعلم بمراد أحبابه (قوله ولا توصف المحبة بوصف الخ) اقول ومما يقرب ذلك أن المحبة من جملة أسبابها المواهب الالهية والاحسانات العلية وانه من المعلوم انه لا حصر لمقدورات الحق الممكنة الوجود لا فى الدنيا ولا فى الآخرة أما فى الدنيا فما أوجد سبحانه نوعا الا وهو قادر على ايجاد مثله وخلافه من غير حصر وأما فى الآخرة فنعيم اهل الجنة الذى يجدده الله تعالى لهم لا نهاية له فاذا كانت المواهب لا تنحصر فالمحب لا يقف عند حد كما هو كالبديهى فالمحبة حينئذ لا توصف اذ الوصف لبيان الموصوف وتمييزه والحد لتعيين الحقيقة وذلك اما متعسر أو متعذر أو ضرورى (قوله اما لعسره الخ) اى لو لطفها ودقتها ورقتها فتضيق العبارة عن الكشف عن معناها ولذلك قيل

اتانى هواها قبل أن أعرف الهوى * فصادف قلبا خاليا فتمكنا

فأل فى الهوى للاستغراق (قوله والاستقصاء الخ) هو كالتعليل لما قبله (قوله ومحبة العبد تختلف) اى بحسب اختلاف متعلقاتها (قوله وتارة تكون للنعم) اى ومنه قولهم جبلت القلوب على حب من أحسن اليها (قوله فيحب من أنعم عليه) اى حقيقة او مجازا

وتارة تكون للاتصاف بصفة جميلة كالعلم والكرم والشجاعة فيحب المتصف بها وان لم يكن له عليه نعمة واذا عرف جلال الله وعظمته وعفوه عن الزلل أحبه وهذه محبة العارفين ودونها محبة العابدين والزاهدين وهى المحبة للانعام ودونها محبة عوام المؤمنين وهى اعتقادهم ان جميع ماهم فيه من صحة أبدانهم وغيرها من الله تعالى (وعبارات الناس) المفصحة (عن) وفى نسخة فى (المحبة كثيرة و) قد (تكلموا فى أصلها ٨٨ فى اللغة فبعضهم قال الحب اسم لصفاء المودة) أى المحبة (لان العرب تقول لصفاء بياض الاسنان ونضارتها) اى حسنها (حبب الاسنان) بضم الموحدة الثانية (وقيل) الحب مأخذه (الحباب) بالضم وهو (مايعلوا الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج الى لقاء المحبوب) والحباب بالكسر المحابة والموادة (وقيل انه) أى الحب (مشتق) أى مأخوذ (من حباب الماء) بفتح الحاء (وهو معظمه فسمى بذلك لان المحبة غاية معظم مافى القلب من المهمات وقيل اشتقاقه) أى أخذه (من) الاحباب بمعنى (اللزوم والثبات يقال أحب البعير وهو ان يبرك فلا يقوم فكان المحب لايبرح بقلبه عن ذكر محبوبه وقيل الحب) بمعنى المحبة مأخوذ من الحب بمعنى ماذكره بقوله (هو القرط) بضم القاف وهو الحلق الذى يعلق فى الاذن (قال الشاعر) فى وصف شخص بالشجاعة (تبيت الحية النضناض منه * مكان الحب تستمع السرارا) النضنضة تحريك الحية لسانها ويقال لها نضناض ونضناضة قاله الجوهرى (وسمى القرط حبا اما للزومه الاذن أو لقلقه وكلا) هذين (المعنيين صحيح فى الحب وقيل هو مأخوذ من الحب) بفتح الحاء كان والحب جمع حبة وحبة القلب مابه قوامه فسمى الحب) للشئ (حبا باسم محله وقيل الحب والحب كالعمر والعمر) فى جواز الضم والفتح (وقيل هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء وهى بزور الصحراء فسمى الحب حبا لانه لباب الحياة كما ان الحب) بالفتح الذى هو جمع حبة بالكسر (لباب النبات وقيل الحب) فى الاصل (هى الخشبات الاربع التى يوضع عليها الجرة فسميت المحبة حبا

(قوله وتارة تكون للاتصاف بصفة جميلة) أى ويقال لها محبة عقلية وعليها يحمل قوله صلى الله عليه وسلم من لم أكن أحب اليه من نفسه وماله وولده فلا ايمان له فتامل (قوله واذا عرف جلال الله الخ) أى وهذه يقال لها محبة الذات للصفات (قوله وهى المحبة للانعام) أقول والفرق بينها وبين ماقبلها الوقوف مع الحظوظ ولو آجلة وعدمه (قوله وهى اعتقادهم الخ) والفرق بين هذه وماقبلها الوقوف مع حظ النفس العاجل دون ماقبلها (قوله لان العرب تقول) أى فالاخذ للمحبة باعتبار معناها الذى هو صفاء المودة اللازم منه الميل (قوله وهو مايعلوا الماء) اى مما يقال له فى العرف الرغاوى (قوله المحابة الخ) أى فعل مايوجب ذلك (قوله وهو معظمه) اى وذلك باعتبار الغلبة على قلب المحب حتى يكون معظم شغله بالمحبوب كما يشهد له خبر حبك الشئ يعمى ويصم (قوله اللزوم والثبات) اى ولذلك قيل المحب هو من لايغيره عذل الرقيب بل يزيده ذلك حبا فى الحبيب غيره

أحبك ياشمس الزمان وبدره * وان لامنى فيك السها والفراقد

وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى * متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة فى هواك لذيذة * طربا لذكرك فليلمنى اللوم

(قوله لايبرح بقلبه عن ذكر محبوبه) اى ويدل لذلك خبر من أحب شيأ أكثر من ذكره (قوله هو القرط) أى باعتبار معنى اللزوم أو القلق والاضطراب على ما يأتى فى كلامه (قوله تبيت الحية النضناض) أى المحركة لسانها منه أى من الشخص الممدوح بالشجاعة مكان الحب أى محل الحب الذى هو القرط ومحله الاذن وقوله تستمع السرار أى لتسمع مايسره من الغدر بها واذا كان هذا حال الحية المذكورة فما ظنك بغيرها وذلك كما ترى فيه مبالغة فى شجاعته (قوله وكلا هذين الخ) أى ولذلك قيل المحبة الحقيقية جذبة اضطرار به وذلك عند المحققين من الصوفية

وأصرف طرفى نحو غيرك عامدا * على أنه بالرغم نحوك راجع

اقول ولهذا ترى الاشباح تهتز لاهتزاز الارواح

ومازال بى شوقى اليك يقودنى * يذلل منى كل ممتنع صعب

اذا كان قلبى سائرا بزمامه * فكيف لجسمى بالمقام بلا قلب

فقوله وكلا هذين المعنيين صحيح اى لان المحب ملازم لمراد المحبوب ولقلبه قلق فى طريق الوصول اليه والله أعلم (قوله وقيل مأخوذ من الحب بفتح الحاء الخ) محصله انه من تسمية الحال باسم المحل (قوله وقيل هو مأخوذ من الحبة بكسر الحاء الخ) محصله عليه انه لما

لانه) اى لان الحب كما هو كذلك فى نسخة (يتحمل عن محبوبه كل عز وذل وقيل هو) أى الحب بمعنى المحبة مأخوذ (من الحب) بمعنى الزير (الذى فيه الماء لانه يمسك ما فيه فلا يسع فيه) هو زائد (غير ما امتلأ به كذلك اذا امتلأ القلب بالحب فلا مساغ فيه لغير محبوبه وأما أقاويل الشيوخ) من الصوفية وغيرهم (فيه) أى فى الحب أى فى تعريفه (فقال بعضهم المحبة الميل الدائم بالقلب الهائم) الذى لا قرار له (وقيل المحبة ايثار المحبوب على جميع المصحوب) للمحب لان القلب اذا أحب شيأ اشتغل به وآثره على غيره حتى على نفسه ويتحمل فى خدمته فوق طاقته (وقيل) هو (موافقة الحبيب فى المشهد والمغيب) لكمال مراقبته واشتغاله به (وقيل) هى (محو المحب لصفاته واثبات المحبوب بذاته) أى المحبوب لكمال اشتغاله بمحبوبه حتى ينسى صفات نفسه بل قد ينسى نفسه وللخبر الآتى حبك للشئ يعمى ويصم (وقيل) هى (مواطأة) أى موافقة (القلب لمرادات) وفى نسخة لموارد (الرب) لسرعة انقياد المحب لمحبوبه (وقيل) هى (خوف ترك الحرمة) أى حرمة المحبوب (مع اقامة الخدمة) له لاجلال المحب محبوبه وكمال محبته له فالاول يوجب خوف ترك الحرمة والثانى يوجب اتقان الخدمة (وقال أبو يزيد البسطامى المحبة استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك) لكمال المحبة والمعرفة لانك وان بالغت فى خدمته رأيت ذلك يسيرا حقيرا فيما يليق بجلاله وعظمته

كان القلب لا عيش له بدون حبيبه لان حياته به وبقاءه به سمى ميله حبا من الحبة التى هى لباب النبات ومنشؤه (قوله لانه يتحمل عن محبوبه الخ) اى وذلك لفناء صفاته الطبيعية التى هى بجلب المنافع والحيوانية التى لدفع المضار والنفسية العارضة كالعلوم والاعمال والأخلاق والأحوال والاصلية كالسمع والبصر والكلام والقدرة فهو حينئذ كالميت لأجل تمكن الحب منه تمكنا تاما والله أعلم (قوله وقيل هو الخ) أقول ما ألأمه لمعنى الحب وما أقربه فى تحقيق معناه فتأمله * (فائدة) * تنقسم محبة العبد الى واجبة ومندوبة على حسب أنواع ما كلف به أما محبة الحق للعبد بمعنى الارادة فيستحيل انقسامها لكونها صفة قديمة متعلقة بسائر المرادات وليس يلزم تعددها بتعدد المرادات نعم تختلف وتتفاوت أحوال المراد لهم على حسب ما سبق لهم فى علم الرب جل جلاله وأما المحبة باعتبار الفعل فهى منقسمة على ما سبق به التقدير الازلى بحكمة الاستعداد (قوله وأما أقاويل الشيوخ الخ) أى ما تقدم هو من أقاويل أهل الظاهر وأما أقاويل الشيوخ الخ (قوله المحبة الميل الدائم الخ) أى ميل القلب الى صفات الرب جل علاه أو الى آثارها بالنسبة لبعض العبيد (قوله الميل الدائم) أى الميل الدائم الى طاعة الله تعالى والى فعل ما يرضيه وانما اعتبرت الديمومة فى الميل لان المدار على الصدق فى الطاعة وهو الجد فيها دائما مع الاخلاص فى العمل لله وحده (قوله ايثار المحبوب الخ) أقول هذا يرجع الى ان المحبة حالة فى القلب تحمل على ايثار المحبوب على كل شئ وذلك لكون الحب يحمل على الموافقة والايثار ومداومة الاعمال آناء الليل وأطراف النهار لا لرغبة فى جنة ولا لرهبة من نار كما قيل شعر

وكن لربك ذا حب لتخدمه * ان المحبين للرحمن خدام

ولذلك قال سلطان المحبين ابن الفارض قدس الله روحه ونور ضريحه

اذا ما احلت فى هواها دمى ففى * ذرا العز والعلياء قدرى أحلت

قال عبد الطالب شارح التائية فى هذا المحل قال تعالى من وجد فى رحله فهو جزاؤه ثم ان القطرة منه اذا وقعت فى البحر صار جميع صفات البحر صفاتها اه وذلك فى غاية اللطف فتفهمه والله المستعان (قوله وقيل هى موافقة الحبيب الخ) المراد موافقة ما يرضيه فى حالة الحضور والغيبة فالكامل هو من يحفظ فى الحالتين ويحتمل ان المراد عدم الاعتراض اذ لا بد للواصل من نظرين نظر بعين التحقيق ونظر بعين التشريع فبالاول يوحد ويعذر وبالثانى ينكر وينهى ويأمر (قوله وقيل هى محو المحب لصفاته) أى فناؤه فيما يرضى الحق باعتبار فناء صفاته الذميمة والتعوض عنها بالحميدة أقول بل الكمال فى المحبة التهالك فى العبادة والطاعة حتى تفنى عينه وذاته (قوله مواطأة الخ) أى وهى لا تكون الا بعد فناء العبد عن مراده فى مراد سيده (قوله وقيل هى خوف الخ) أى ومن ذلك خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله مع اقامة الخدمة) أى مع دوام الطاعة والاخلاص فيها على حسب الاستطاعة (قوله رأيت ذلك يسيرا الخ) أى

وان انعم عليك بنعمة رأيتها كثيرة عظيمة لاستصغارك نفسك عما أنعم به عليك (وقال سهل الحب معانقة الطاعة) للمحبوب أى لاتفارقه (ومباينة المخالفة) له (وسئل الجنيد عن المحبة فقال) هى (دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب) بأن يتخلى عن الرذائل ثم يتحلى ببدلها من الفضائل (أشار) الجنيد (بهذا الى استيلاء ذكر) صفات (المحبوب) على قلب المحب ودخولها فيه (حتى لايكون الغالب على قلب المحب الاذكر صفات المحبوب والتغافل بالكلية عن صفات نفسه و) عن (الاحساس) أى الشعور (بها وقال ابوعلى الروذبارى المحبة الموافقة) للمحبوب فى أمره ونهيه كما علم (وقال أبوعبدالله القرشى حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن احببت فلا يبقى لك منك شئ) لكمال محبتك له وشغلك به (وقال الشبلى سميت المحبة محبة لانها تمحو من القلب ماسوى المحبوب وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب على الدوام) العتاب كلام من المحب لمحبوبه يؤلف به ماخشيت فرقته ويجبر به مالاحت قطيعته (سمعت الاستاذ أباعلى الدقاق رحمه الله يقول المحبة) فى أول أمرها (لذة

ويشهد لذلك خبر سبحانك ماعبدناك حق عبادتك (قوله لاستصغار نفسك) أى بواسطة شهودك التقصير منها (قوله معانقة الطاعة) اى حيث المحب ان يحب مطيع وقوله ومباينة المخالفة عطف لازم على ملزوم قال بعضهم شعرا

عين المحب بنومها لاتنعم * ترعى الدياجى والخلائق نوم
رحل الكرى عنها واسبل دمعها * مافى الضمير من المحبة يكتم
يتلو الكتاب ودمعه مترقرق * يذرى الدموع هو المحب المسقم
يتملق المولى ويسأله الرضا * ويقول يامن كان عنى يحلم
ايام كنت اجرذيل جهالتى * متمردا غرا ونفسى اظلم
يا حسنه مستعتبا لحبيبه * بخضوع مشتاق ودمع يسجم
حتى اذا الليل استوى لرحيله * وخشى من الصبح المنغص يهجم
ناداه بالليل المنغص قف على * اهل الهوى فعساهم ان يرحموا
دعنى أعاتب من أحب فانما * عتب المحب لمن يحب تنعم
ياواحدى زاد الجفاء وخانتى * صبرى وأنت بمحبتى لك تعلم
مولاى لاأشكو الهوى لعذابه * لكننى اخشى بجوارك احرم

(قوله هى دخول صفات الخ) اعلم ان قوله هى دخول الخ فيه اشارة الى أن المحبة حالة يكسبها المحب من كمال اشتغال قلبه وهيجانه وعدم قراره فى طلبه بارئه ومحو أثر التفاته لنفسه وذكره لصفاته حتى يكون الغالب على حاله جمال محبوبه وكماله لاغير وذلك قريب من قوله قبله وقيل هى محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته تدبر تفهم والله اعلم (قوله حتى لايكون الغالب الخ) أقول كيف لايكون كذلك وهو اذا قوى عليه الشوق وسعرت تلك النيران ترادفت عليه الهموم والاحزان فاسمعه قصص أخبارهم عن أحبارهم شعر

قصوا على حديث من قتل الهوى * ان التأسى روح كل حزين

(قوله ان تهب كلك الخ) أى بأن تبذل قواك فى طاعته حتى تفنى فيها وتفنى عن سائر حظوظ نفسك فلا يبقى لك مراد سوى ماأراده منك بل عليك ان تستصغر ذلك بحسب عظم ماتشاهده ولذا قيل اذا تنزل المحبوب للمحب من عالم الغيوب زاد الهيام وامتنع الكلام الا عند الشكوى من ألم البلوى شعر

الحب مامنع الكلام الالسنا * وألذ شكوى عاشق ماأعلنا

(قوله لانها تمحو من القلب الخ) أى وذلك لان القلب اذا امتلأ بمحبة شئ فلا اتساع فيه حينئذ لغيره ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قوله اقامة العتاب على الدوام) أى وذلك يتحقق بدوام شهود التقصير والذلة والانكسار مع التعرض لنفحات الرضا بالابتهال والتضرع اليه تعالى (قوله المحبة فى أول أمرها لذة) أى ولذلك يقال روح

المحب

ومواضع الحقيقة) أى ماغلب على قلب العبد من شغله بالله بحيث تكاملت محبته فيه وامتلأ قلبه بعجائب مايرى من كماله وجلاله وقدرته (دهش) وهذا حقيقة المحبة (وسمعته) ايضا (يقول العشق مجاوزة الحد فى المحبة) بان يستغرق المحب فى محبوبه حتى لايحس بنفسه فمجاوزته لاحساسه بنفسه هى مجاوزته الحد (و) لكن (الحق سبحانه لايوصف بانه يجاوز الحد) لتنزهه عن ذلك (فلا يوصف بالعشق) وان وصف بالمحبة لعدم الاذن فيه ولانه انما يكون لغائب والله لايغيب عنه شئ لانه عالم بكل شئ ولا يؤثر فى ذلك كون الوصف كما لا عادة فانا نصفه تعالى بأنه حكيم وكريم وعالم لانه وصف نفسه بها ولا نصفه بانه مهندس وسخى وفقيه أو نحوى أو أصولى (ولو جمع محاب الخلق كلهم لشخص واحد لم يبلغ ذلك استحقاق قدر الحق سبحانه) وتعالى على ذلك الشخص (فلا يقال ان عبدا جاوز الحد فى محبة الله تعالى) بل ولا بلغه (فلا يوصف الحق سبحانه) وتعالى (بانه يعشق) عبده (ولا) يوصف (العبد فى صفته سبحانه بانه يعشقه) لعدم الاذن كما مر (فنفى العشق) عن ان يوصف به الحق وان يوصف به العبد فيما ذكر وقد اوضحه بقوله (ولا سبيل له) أى للعشق (الى وصف الحق سبحانه به (لا من الحق للعبد ولا من العبد للحق سبحانه) فلا يقال الحق عشق عبده ولا العبد عشق الحق ولا يخفى ما فى كلامه من التكرار (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت الشبلى يقول المحبة ان تغار) أنت (على المحبوب) لكماله وجلاله وتنزهه (أن يحبه مثلك) لنقصك وعدم صلاحيتك الك عند نفسك فليس مراده ان تغار عليه ان يحبه أحد من المؤمنين مثلك لتختص به دونهم فان ذلك نقص وحسد (وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابا الحسين الفارسى يقول سمعت ابن عطاء يقول وقد سئل عن المحبة فقال) هى (أغصان تغرس فى القلب

المحب المشوق كالغصن المشرق كلما مرت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة

شعر

اهتز عند تمنى وصلها طربا * ورب امنية أحلى من الظفر

ثم هى اذا استحكمت كانت عذابا غير انه يستعذب شعر

عذابى فيك يحلو لى * ومر الصبر احلى لى

(قوله ومواضع الحقيقة الخ) أقول ومن ذلك وقال نسوة فى المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين قلن ذلك لائمات لها عاذلات فلما رأينه أكبرنه يعنى عظمنه واجللنه ووقع عليهن الدهش وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم واخذت كل واحدة منهن تطلب الوصال لنفسها حتى استغاث وقال رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه (قوله العشق مجاوزة الحد فى المحبة) اى مجاوزة حد الشعور بالنفس ومالها من الحظوظ فالعشق آخر درجات المحبة وهو بهذا المعنى الذى ذكرناه يصح اضافته للعبد المحب لله تعالى فيقال له عاشق (قوله ولانه انما يكون لغائب) أى لان ماوراء الحد غائب عن الشخص (قوله ولا يؤثر فى ذلك) اى لايسهل الاطلاق عليه تعالى (قوله ولا نصفه الخ) أى وان كان بمعنى ماورد (قوله لعدم الاذن) اى ولعدم امكان مجاوزة الحد فى محبته سبحانه وتعالى (قوله ولا يخفى الخ) أنت خبير بأن معظم الاقوال فى غالب الابواب متقاربة المعانى غير ان الباعث على ذكر جميعها انما هو زيادة البيان مع فائدة قوة السند بذكر العارفين وهذه فائدة وأى فائدة (قوله أن تغار أنت على المحبوب) اقول لله در الشارح فيما خرج عليه هذا المعنى فالله تعالى ينفعنى واخوانى المؤمنين ببركة علومه ومعارفه (قوله اغصان تغرس الخ) اقول الناس على ثلاثة أقسام قسم حسن الظن بالله لاجل وصفه بالاحسان وقسم احب الله وحسن الظن به لاجل احسانه ايضا وقسم أحب الله وحسن الظن به لهما وهم فى الفضيلة على هذا الترتيب وعلى الثالث الاكمل يدور كلام الكمل فمن ذلك قول رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها

أحبك حبين حب الهوى * وحب لانك اهل لذاك

فأما الذى هو حب الهوى * فشغلى بحبك عمن سواك

وأما الذى أنت اهل له * فكشفك للحجب حتى اراك

فلا الحمد فى ذا ولا ذاك لى * ولكن لك الحمد فى ذا وذاك

فتثمر على قدر العقول) فهي مواهب يهبها الله لعبده من معرفة كماله وجلاله وغيره مما فان
رزقه الادب في حفظها واستعمل عقله في جهات حفظ أدبه معه في جميع تعلقاته ظهرت ثمرة تلك المحبة عليه وانتفع بها هو ومن رآه وسمع كلامه (وسمعته) أيضا (يقول سمعت النصراباذي يقول) المحبة نوعان (محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء) فيه دليل على ان المحبة من العبد ايثار المحبوب ولها اقل واكمل فاقلها محبة النعم وتواليها عليه من المنعم فاذا شكر عليها تزايدت عليه وحفظت عليه نفسه ونعمه واكملها استغراقه في ذكر ربه ومناجاته وتلذذه بذلك بحيث غلب على قلبه ذلك وبذل نفسه في الجهاد حتى أوجب ان يراه تعالى فالمحبة الاولى أوجبت حقن الدماء للشكر على النعم والثانية أوجبت سفك الدماء لرؤية المنعم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن علي العلوي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت سمنونا يقول ذهب المحبون لله تعالى بشرف الدنيا والآخرة لان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء مع من أحب فهم مع الله تعالى) كما ان الله معهم قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون والتقوى اسم جامع للطاعات والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك كما مر (وقال يحيى بن معاذ حقيقة المحبة) الكاملة (ما) أي حال (لا تنقص بالجفاء ولا تزيد بالبر) الكاملة

واعلم ان في قوله اغصان تغرس الخ اشارة الى ان المحبة مواهب تكسبها القلوب وتم تردمن المحبوب فيظهر الاثر على الجوارح دالا على ما في الغيوب فتتكامل في صاحبها الصفات حتى تكاد احواله توردة حياض الممات فلا يبقى فيه لغير محبوبه فضلة ولا يجد مع غيره راحة وتذوب نفسه من شدة الاشتياق ويضمحل جسمه بسبب دوام الاحتراق رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم (قوله فتثمر على قدر العقول) اى على حسب الاستعداد ولذلك تجد احوال اهل الغرام تتفاوت في الحال وفي المقام فالمريد ينمحي بسكره وينطوي في نشره والمراد كلما ازداد سكرا طاب عرفه نشرا شعر

صحا المريدون منها بعدما سكروا * وللمراد بن سكر عندها باقي

والحاصل ان المغار عليه من المقربين يحط بمقام الاصطفاء ويسدل عليه حجاب الاخفاء قد أدخل خلوة الخمول فلا يلبس فضله بالفضول يتهنى بالاوقات وتطيب له الاقوات ما استنبت في بطن الارض تم له النبات والذي فوقها ليس له ثبات احسن نور الفلاح ما بذره الفلاح فافهم وربنا بالحال اعلم (قوله فهي مواهب الخ) فيه انه قاصر على بواعث محبة الكاملين والله خير المحسنين (قوله ومن رآه وسمع كلامه) اى لانه دائم الصحو وذلك هو الذي عليه مدار النفع (قوله المحبة نوعان) اى بحسب ما ذكرهنا والا فهي ثلاثة انواع على حسب بواعثها من المحبين والنوع المتروك ادنى البواعث على ما تقدم (قوله محبة توجب حقن الدماء ومحبة توجب سفك الدماء) أقول مشهد الاول الجلال والجبروت استغرق في ذلك المشهد حتى اتاه اليقين وهو عامل على متابعة سيد الكاملين عليه صلاة رب العالمين ومشهد الثاني الجمال والدلال فتاه بعز الوصال وفاه بما ظاهره ينافي الكمال وباح من سكر خمر الحقيقة بما أشرق لقلبه من أنوار طوارق الطريقة فجوزي بالقصاص حتى التبس امره على الناس هذا ما بدا لي ودعا اليه حالي وان كان يجري الشارح على خلافه مما شربه من خمر كاسه (قوله ومحبة توجب الخ) أقول وما ألطف ما قيل هنا من قولهم

أموت بدائي لا أصيب دوائيا * ولا فرجا مما ارى من بلائيا
اذا كان داء العبد حب مليكه * فمن دونه يرجو طبيبا مداويا

(قوله ومحبة توجب سفك الدماء) اقول ولذلك الاشارة بقول ابي العباس الشبلي قدس الله سره لا تتكلموا في الطريق مع غير اهلها فمن تكلم فيها مع غير اهلها شهدت عليه كما شهد الجنيد على الحلاج (قوله فاقلها محبة النعم الخ) المراد بالنعم ما يعم العاجلة والآجلة أو هما معا وبذلك تتم أنواع المحبة الثلاثة (قوله وأكملها الخ) اقول ويحتمل انه أشار بذلك الى حال اهل الشطح ممن سفكت دماؤهم بسيف الشريعة وقت ما صدر منهم ما يخالف ظاهرها (قوله قال المرء مع من احب) اقول ظاهره وان قصر في المتابعة وهو كذلك نظرا الثمرة مجرد المحبة فتأمل (قوله حقيقة المحبة الخ) مراده بها المحبة

لانّ هذه المحبة محبة للذات لما هي عليه من صفات الكمال والجلال التي لا تتبدّل ولا تتغير لاستحالة تغير متعلقها
بخلاف المحبة للنعم فانها تزول بزوالها (وقال) أيضا (ليس بصادق من ادّعى محبته) تعالى (ولم يحفظ حدوده) التي طلبها منه ونهاه عنها (وقال الجنيد اذا صحت المحبة سقطت شروط الادب) أى تكلف المحب للمحبوب كما مر (وفى معناه انشد الاستاذ أبو على رحمه الله * اذا صفت المودّة بين قوم * ودام ودادهم سمج الثناء) اى قبح لان ما بينهم من المودّة أعظم من الثناء بالالسن (وكان يقول) رحمه الله (لا ترى اباً شفيقا يبجل ابنه فى الخطاب والناس يتكلفون فى مخاطبته) بما فيه تبجيل وتعظيم (والاب يقول) فى ذلك له (يا فلان) باسمه فلا يتكلف لما ذكر (وقال الكتانى المحبة الايثار للمحبوب) على غيره لكماله وجلاله وجماله فحق من أحبه ان يتفرغ له بكليته (سمعت محمد بن الحسين) رحمه الله (يقول سمعت أبا سعيد الارجانى يقول سمعت بندار بن الحسين يقول رؤى مجنون بنى عامر فى المنام) بعد موته وكان قد استغرق فى حب امرأة وساح فى البرارى (فقيل له ما فعل الله تعالى بك فقال غفر لى) ما كان من الزلل (وجعلنى حجة على المحبين) الذين يدعون محبته تعالى فيه دليل على كماله تعالى وتنزهه وان من أحبه حقه ان يفرغ كليته فى طلبه وان مجنون بنى عامر كانت محبته لمن له اشباه مع انه استغرق فى حبه هذا الاستغراق العظيم وساح فى البرارى

الكاملة كما اشار اليه الشارح وقوله ما اى حال لا ينقص الخ اقول وذلك لمحو صفات المحب فى نعوت المحبوب ولان من عرف ما طلب هان عليه ما ترك فمن تفكر فى اصل نفسه بداية ونهاية عرف حق ربه فرضى بما يجريه من احكامه وكيف لا ولولا ذل المحب ما لذله الحب وقد أشار الى ذلك سلطان المحبين ابن الفارض قدس الله روحه ونوّر ضريحه حيث قال فى تائيته

ولو عزّ فيها الذل ما لذ لى الهوى * ولم تك لولا الذل فى الحب عزتى

فالعز باطن فى الذل كما ان الذل باطن فى العز فتأمل حقيقة الخليل والكليم والشفيع صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كيف قاسى كل منهم ما قاسى من الاقصاء والايذاء والاذلال الظاهرى ومع ذلك اثمر لهم عاقبة العز فى الدنيا والآخرة وكذلك حال المحبين والله اعلم (قوله محبة للذات) اى باعتبار تجلى الصفات والاسماء القديمة (قوله ولم يحفظ حدوده) اى فلا بد للسائر من المحبين من ثلاثة اشياء تدله العقل اى تحيره بحيث ينسب صاحبه الى الجنون وقوة الجهد بحيث يصير مجهودا وغاية الذل وهو الثالث فيستفاد من التدله العقل اى الفهم عن الله تعالى ومن المجاهدة المشاهدة فيقوى بها على تحمل الاعباء ولذلك الاشارة بخبر ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب ومن المذلة العزة فيصير أعز ابناء جنسه قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (قوله ولم يحفظ حدوده) اى لان شأن المحب الموافقة لمن يحبه * ان المحب لمن يحب مطيع * (قوله سقطت شروط الادب) المراد سقط تكلف الشروط وبقى من اسبابها المحبة والا فالمحبة توجب زيادة الادب كما لا يخفى فوصف المحبة كاف فى الزام طريق الادب والبعد عن أسباب العطب (قوله سمج الثناء) اى لما فى الثناء من اشعار استجلاب المحبة وهى ثابتة من قبل ومن بعد (قوله لان ما بينهم الخ) اى ولما فى ذلك من التعرض لاسباب الظهور وقوله بعد لا ترى اباً الخ كالتوضيح لما قبله (قوله فحق من احبه ان يتفرغ له بكليته) اى والا كان كالمتشبع بما لم يعط وكلابس ثوبى زور وقال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قوله وكان قد استغرق فى حب امرأة الخ) اى فاذا ثبت هذا لمثله فيكون محب مبدع الكائنات احرى حيث صفته تحققه البشرى ولاسيما اذا حضر المحب مع الحبيب المقام فسكر سكر اهل الهوى والغرام فلا عجب حينئذ ان غاب وسكر وطاب وفاه ببعض نعوت الاحباب شعر

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فمتى يفيق فتى به سكران

(قوله فقال غفر لى) فيه تنبيه على ان اوصاف المحب فى حال حياته قد تثمر له اضدادها بعد مماته فذله يثمر له العز الابدى السرمدى وولهه وجنونه يثمر له العقل الكامل الذى ينكشف به ما لا ينكشف بغيره والجهد والضعف يثمر له الراحة الاخروية (قوله وجعلنى حجة على المحبين) لعل وجهه ما ذكره الشارح أو عفته حتى مات شهيدا او محبة الاله احق

ولما رآه هذا الرائى فى النوم وهو من المحبين لله سأله عن حاله فأجابه بما ذكر وانما جعله حجة على من ذكر لانه بذل نفسه فى محبة مخلوق له اشباه فكيف بمن ادّعى محبة من لا مثل له ولا شبيه فحقه ان تزيد محبته له على محبة مجنون بنى عامر الزيادة الغالبة فهذه الرؤيا فى حق الرائى ان كانت كانت محبته لله وفى حق كل من معها ان كان كذلك (وقال ابو يعقوب السوسى حقيقة المحبة ان ينسى العبد حظه من الله عز وجل وينسى حوائجه اليه) بان تشغله محبته للذات والكمال والجلال والانس به تعالى عن ذكر الانعام والاحسان اليه فحبه لله يتعلق تارة بافعاله من نعمه واحسانه وتارة بكماله وجلاله وجماله والثانية أكمل من الاولى كما عرف (وقال الحسين بن منصور حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك بخلع أوصافك) بان تنسى نفسك شغلا بربك وبانسك به فيرجع الى ما مر (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (يقول قيل للنصر اباذى ليس لك من المحبة) له (شئ فقال صدقوا ولكن لى حسراتهم فهو ذا احترق فيه) أى فى الله وهذا كمال فى الادب وستر لحاله عن حجب فورّى بقوله صدقوا أى فى ان محبته ليست هى قلقا ولا طيشا وانما هى حسرات المحبين الكاملين الذين افرغوا اجهدهم فى المحبة وما بلغوا مطلوبهم لان معرفتهم لكماله وجلاله وجماله لم يقوموا بها حق القيام

بذلك كله (قوله ولما رآه هذا الرائى الخ) اى فهذه الرؤيا من لطف الله تعالى بالرائى لينبهه بها على التمسك بحقيقة المحبة (قوله حقيقة المحبة ان ينسى العبد الخ) اقول ويشهد لذلك ما نسب الى سمنون رحمه الله تعالى حيث قال شعرا

وكان فؤادى خاليا قبل حبكم * وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح

فلما دعا قلبى هواك اجابه * فلست أراه عن فنائك يبرح

رميت ببين منك ان كنت كاذبا * وان كنت فى الدنيا بغيرك افرح

وان كان شئ فى البلاد بأسرها * اذا غبت عن عينى لعينى يملح

فان شئت واصلنى وان شئت لم تصل * فلست أرى قلبى لغيرك يصلح

قلت وقوله فان شئت واصلنى الخ ليس اقداما وترك احترام وتمنيا للآلام والاسقام بل هو تفويض وتسليم واعتراف بأن الحق له فعل ما يشاء فانه العليم الحكيم (قوله وينسى حوائجه اليه) أى ولو كانت الحاجات آجلة أخروية كما لا يخفى على من له ذوق والمام (قوله فحبه لله الخ) تكميل للفائدة والافالقصد محبة الذات دون شئ آخر معها وقوله يتعلق تارة بافعاله الخ اى التى تؤثر فى النعم على العبيد والتى لا تؤثر ذلك على حسب اختلافهم المقربين قوة وضعفا (قوله حقيقة المحبة قيامك مع محبوبك الخ) اقول لعله يشير للخروج عن حبس العقل عند من أراد ادراك الحقائق الالهية لان العقل كالرقيب يمنع المواصلة وينغص عيش الاحبة بالمراقبة وذلك لانه معقول عن درك الحقائق المطلقة غافل عن ادراكها فتأمل سر قوله جل شأنه انّ فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب حيث لم يقل عقل لان القلب يتقلب مع الحق سبحانه وتعالى فى جميع شؤن مظاهره ان تجلى بالاسماء او بالصفات او بغير ذلك أو ما سمعت خبر لم يسعنى ارضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى ومثل القلب فى كل ذلك السر ثم لا يخفى عليك ان المراد بالعقل المعاشى او المعادى لا عقل المعانى فافهم ولا ترجع لمن لا يعلم (قوله فقال صدقوا الخ) لعله أراد نفى المحبة اللائقة بحقائق الكمال الالهى لانها غير مقدورة للبشر وحينئذ لا حاجة لما ذكره الشارح من التورية تدبر تفهم والله اعلم (قوله مجانبة السلو الخ) اقول لعله باعتبار حال غير الكمل اما الكمل فمحبتهم توجب لهم الرضا باحكام الحق تعالى وان لم تلائم البشرية بل تقتضى اللذة والفرح والسرور من حيث هى مراداته تعالى قال بعض المحبين تلذلى الالام مذ أنت مسقمى الى آخر ما قال ثم أقول وكيف لا يكون كذلك وهو اذا دخل ليلة حمى الحبيب وقت غفلة الواشى والرقيب التذ بسماع الخطاب فى حضرة الندمان من الاحباب شعر

يا ليلة بالحمى ما كان اطربها * من طيبها ارقصت من فتنة الحجب

(وسمعته) أيضا (يقول قال النصر اباذى المحبة مجانبة السلو) عن المحبوب (على كل حال) بان يستغرق العبد فى صفات محبوبه من الكمال والجلال والجمال بحيث يتعذر عليه سلوه عنه واشتغاله بغيره (ثم أنشد) فى معنى ذلك

(قوله

(قوله ومن كان فى طول الهوى) اى مع طول زمنه ذاق سلوة أى ملالا للحب وسآمة منه فانى من ليلى لها غير ذائق وذلك لاستغراقى ومحوى فانى فى حبها حتى صرت لا اهوى خلاف ما تهوى وقوله وأكثر شئ نلته الخ مراده ان نهاية ما وصل اليه من وصال محبوبته مجرد أمانى لطيفة اذا اتفقت لا تدوم وذلك لقوة حجابها وعزتها الثابت ذلك لها ومن ذلك كانت تلك الامانى لا تصدق وتزول بسرعة كسرعة البرق (قوله فقد تزول بزوالها) أى ومن هذا القبيل ما اشتهر من قولهم من أحبك لشئ سلاك عند انقطاعه (قوله المحبة سقوط كل محبة من القلب الخ) اقول قال تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه (قوله المحبة افراط الميل الخ) اى المحبة الكاملة لله هى تكون كذلك ولا يخفى ما فى قوله افراط اذ لا يخلو أحد من نوع التفريط فافهم (قوله المحبة تشويش الخ) اقول لعل ذلك باعتبار العقل المعاشى لا عقل المعانى اذ لا تشويش باعتباره والحاصل ان العقول ثلاثة معاشى ومعادى ومعانى فالاول ما اشترك فيه الخاص والعام والانسان والبهائم والانعام والثانى ما اختص به الثقلان الانس والجان والثالث ما امتاز به الانسان وشارك فيه الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام وأيضا فالاول للشريعة والثانى للطريقة والثالث للحقيقة فمقام فقهاء الظاهر وعلماء الرسوم الاول ومقام علماء الباطن وفقهاء القلوب الثانى ومقام الراسخين فى العلم المخزون والسر المكنون الثالث فلكل طبقة فى مقام ويتفاوتون فيه على حسب الانعام تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام تدبر تفهم والافسلم الامر تسلم (قوله المحبة فتنة) اى باعتبار خواطر قلب المحب اذ من ذلك خواطر الهوى الضلالى ومنشأ ذلك من النفس والشيطان فهما فى حكم الفئتين المشار اليهما بقوله جل اسمه لقد كان لكم آية فى فئتين التقتا فئة تقاتل فى سبيل الله وأخرى كافرة الآية فمطلق المحبة قد تكون فتنة والا فهى لبعض الكمل منحة وشرف كما لا يخفى (قوله وأنشد الخ) اعلم ان العشق والحب ليس هو بالهين بل انما هو كما قال سلطان العشاق فى قصيدته اللامية رضى الله عنه

هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل * فما اختاره مضنى به وله عقل

وعش خاليا فالحب راحته عنا * وأوله سقم وآخره قتل

الى آخر ما ذكر فالمحب فى حال محبته يحمل ما لا تحمله الجبال ولذلك الاشارة بقوله وحملها الانسان وقوله جل شأنه لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الآية مع انه نزل على قلب فخر المحبين صلى الله عليه وسلم وتلقته قلوب اصحابه وأتباعه ولم تتصدع قلوبهم من حمله فدل ذلك على ان الضعف المشار اليه بقوله جل جلاله وخلق الانسان ضعيفا انما هو ضعف ما منه تركبت بنيته وأما اللطيفة الروحانية فهى الحاملة لما عجزت عنه الاكوان الكثيفة الاجرام الواسعة الاكناف ومن ثم قيل العارف من يحمل السموات والارضين والعرش وما حواه على شعرة من اجفان عينيه فسبحان المعطى الوهاب المعد من شاء من خاصة

(ومن كان فى طول الهوى) أى الحب لليلى (ذاق سلوة * فانى من ليلى لها) أى للسلوة (غير ذائق وأكثر شئ نلته) وأدركته (من وصالها * امانى لم تصدق كلمحة بارق) أى لم يدرك من كمالها وجلالها والانس بها الا شيأ يسيرا فلو كمل حاله فى الشغل بها لاستحالت السلوة وأما المحبة للنعم فقد تزول بزوالها كما مر فيسلو فيها المحب عن محبوبه (وقال محمد ابن الفضل المحبة سقوط كل محبة من القلب الا محبة الحبيب) لشغل المحب به عن نفسه فضلا عن محبة حبيب آخر (وقال الجنيد المحبة افراط الميل) بالقلب (بلا نيل) أى اصابته للنعم أشار بذلك الى بيان المحبة الكاملة والمراد الميل المعنوى وهو تعلق القلب برؤية محبوبه أما الميل الذى نفاه العلماء بقولهم الحق تعالى لا يميل ولا يمال اليه فهو الميل الحسى لانه تعالى ليس بجسم حتى يميل ولا فى جهة حتى يمال اليه (ويقال المحبة تشويش فى القلوب يقع من المحبوب) لانه تعالى اذا من على عبده بمحبته تشوشت عليه أسبابه وأحواله المعتادة وتعلقت آماله بالوصول الى محبوبه وتمنى رؤيته (ويقال المحبة فتنة) اى ابتلاء واختبار (تقع فى الفؤاد) أى القلب (من المراد) أى المحبوب المطلوب (وأنشد ابن عطاء) فى معناه

(غرست) يارب (لاهل الحب غصنا) وفى نسخة غرسا (من الهوى *) أى الحب (ولم يك يدرى ما الهوى أحد قبلى فاورق) ذلك الغصن (اغصانا وأينع) أى اظهر (صبوة *) أى ميلا الى محبوبه (واعقب لى) بسبب الهموم وتغير الاحوال (مرا من الثمر المحلى) بالحاء المهملة أى اليابس وحاصل ذلك ان الاصل الذى خلقه الله له لما تمكن فى قلبه تغيرت أحواله فظهر عليه امارات الغلبة والصبوة الى محبوبه ثم تغيرت أحواله من صعوبة الحال ومرارته عليه الى ان صار يتلذذ به ويتنعم وهو قوله وأعقب الى آخره فلما تمكن حاله فى المحبة وطلب الوصال توالت على قلبه الهموم والاحزان (وكل جميع العاشقين هواهم *) أى حبهم الصحيح (اذا نسبوه كان من ذلك الاصل) أى الغرس الذى غرسه فى قلوبهم والا كانت أحوالهم دعاوى لا أصل لها (وقيل الحب أوله ختل) بالمعجمة واسكان المثناة أى مخادعة يعنى معاملة الله عبده بالرفق وتوالى نعمه عليه (وآخره قتل) أى ألم وسقم لان العبد اذا أحب الله ودامت معاملته له اطلع من صفاته تعالى على ما يحثه على طلبه ويشغله به عن غيره فاذا وجد اللذة فى كمال شغله ثم حجب عنها تألم وسقم وفى نسخة بعد الابيات المذكوره

جريت مع العشاق فى حلبة الهوى
ففقتهم سبقا وجئت على رسلى

(سمعت الاستاذ أبا على رحمه الله يقول فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم فقال) هو زائد (يعمى عن الغير) أى غير الشئ المحبوب (غيرة) للمحبوب أن يرى انه ناقص لا يصلح لمحبة محبوبه (و) يصم (عن المحبوب هيبة) له وقد قرئ بين يدى السرى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا فقال لاصحابه أتدرون ما هذا الحجاب هذا حجاب الغيرة فالحق سبحانه يغار على كلامه العزيز ان يسمعه من ليس له أهلا فالعبد يغار لربه لهيبته وجلاله و يغار على نفسه لغفلته واشتغاله بالاغيار بعد معرفته بالواحد القهار فلا يقال غار على ربه بل غار لربه

الاحباب (قوله غرست الخ) أى أسست لهم بواعث المحبة وقوله ولم يك يدرى الخ مبالغة فيما ناله من الم المحبة فى ابتداء امره حتى توهم ان مثل ذلك لم يسبق لغيره وقوله فأورق ذلك الغصن يريد ان بواعث المحبة تزايدت بحسب ما اشرف عليه من كمالات الحق تعالى فاظهرت تلك البواعث زيادة ميله الى محبوبه وقوله واعقب الخ اى ترتب على زيادة محبتى انى صرت أستحلى مر مكابدته واتلذذ بذلك استغراقا فى مرادات المحبوب عز علاه وقوله وكل الخ الغرض منه بيان ان سبب جميع انواع المحبة واحد وهو ما نشأ عنه محبتى هذا ويحتمل ان ذلك لسان محمدى برز من تابع احمدى والله اعلم بمراد خلقه (قوله وقيل الحب اوله ختل الخ) اى وذلك بسر اسمه تعالى الرب اذ هو المبلغ للكمال شيأ فشيأ وقوله وآخره قتل اى يؤدى الى الفناء والهلاك والمراد الفناء عن النفس ومآلها من الاخلاق او القتل حقيقة بحسب زيادة ألمه وسقمه (قوله اوله ختل الخ) اى ومع ذلك فمن لم يحصل له من المحبة مقدار ذرة أو حبة من خردل فقد حجب عن النعيم بالباس وليس هو فى شئ من الناس شعر

وما الناس الا العاشقون ذوو الهوى * ولا خير فيمن لا يحب ويعشق

وقوله وآخره قتل اى وبذلك تكون حياة الابد قال جل وعز ولكم فى القصاص حياة يا أولى الالباب فافهم (قوله اى مخادعة الخ) اى فعل ما يضاهيها وهو تراسل النعم العاجلة وتسهيل سبيل الآجلة والا فاطلاق المخادعة فى جانبه تعالى من قبل انفسنا لا يجوز ولا يصح (قوله وآخره قتل) المراد قتل النفس الحيوانية وهى حياة للنفس الانسانية * (فائدة) * لما لطفت ورقت أرواح العشاق من المحبين صار لهم مناسبة لمحبة مولاهم رب العالمين تقدس وتعالى (قوله جريت مع العشاق الخ) يريد انه تمسك باذيال أسباب محبته تعالى مع جملة المحبين ثم سابقهم فسبقهم مع انه لم يجهد نفسه فى السير بل وصل على رسله وذلك كأنه من قوة عزيمته لم يستشعر باتعاب نفسه لعدم تكلفه الحركات والسكنات (قوله فقال يعمى عن الغير الخ) اقول وذلك ابلغ مما اشتهر مما هو فى معناه من انه يعمى عن رؤية عيب فى المحبوب ويصم عن سماع عزل فيه (قوله لا يصلح لمحبة محبوبه) فيه اظهار فى مقام الاضمار تلذذا بتكرار اسم المحبوب (قوله فقال لاصحابه أتدرون الخ) يشير بما ذكره الى نوع تجوز فى قوله جعلنا بينك بحذف مضاف تقديره

(ثم انشد) ابو علي (اذا ما بدا لي تعاظمته * فاصدر) أي ارجع عنه (في حال من لم يرد) ٩٧ مما ارغ وزد الماء (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت أحمد بن علي يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد يقول سمعت الحرث المحاسبي يقول المحبة ميلك الى الشئ بكليتك ثم ايثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سرا وجهرا) على ما أمرك به ونهاك عنه (ثم علمك بتقصيرك في حبه وسمعته) أيضا (يقول سمعت أحمد بن على يقول سمعت عباس بن عصام) وفي نسخة عاصم (يقول سمعت الجنيد يقول سمعت السري يقول لا تصلح) وفي نسخة تصح (المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا) فينزله منزلته فكأنه قال أنت أنا لان المحبة بين المتحابين توجب ايثار كل منهما للآخر على نفسه فيلزم منه رؤية كل منهما الفضل للآخر على نفسه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لا يبلغ المؤمن حقيقة الايمان حتى أكون أحب اليه من نفسه وماله وأهله (وقال الشبلي المحب اذا سكت) أي عن ذكر محبوبه (هلك) غما لان راحته انما هي في ذكره فلولا توالى ذكره على قلبه واسانه هلك غما (والعارف ان) وفي نسخة اذا (لم يسكت هلك) غما لانه لا يقدر على النطق بكل ما يطلعه الله في قلبه وربما نطق بما لا يفهم فكان فيه ضرورة (وقيل المحبة نار في القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب) اشدة تأثيرها في القلب (وقيل المحبة بذل المجهود) في طاعة الحبيب

تقديره جعلنا بين سماع القرآن منك سماع قبول وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا (قوله اذا ما بدا لي الخ) اى اذا ظهر لي فما زائدة للتأكيد والمعنى ان الحق تعالى كلما اظهر له بآياته وآثار قدرته الباهرة تعاظمه من اجل شهود كمالاته السنية فيرجع كأنه لم يرد ولم يصل الى المشاهدة المذكورة اذ ما من آية الا وهناك اكبر منها وجميع هذه الآيات انما هي لقوة تجيب عظمة البارى عز شأنه (قوله ثم ايثارك الخ) عطفه وما بعده على ما قبله من عطف اللازم على الملزوم (قوله ثم موافقتك له سرا وجهرا الخ) أي ولهذا قيل علامة المحبة قيام المحب باوامر المحبوب واستحلاء ما مر من الشؤن والخطوب شعر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن يحب مطيع

هذا ولا يطيق الكتمان من قلبه من المحبة ملآن شعر

ومن قلبه مع غيره كيف حاله * ومن سره في جفنه كيف يكتم

(قوله ثم علمك بتقصيرك في حبه) أي لعدم القيام بواجب حقه. (قوله حتى يقول الواحد الخ) أي حتى يكونا كأنهما روحان حللنا بدنا واحدا ومن قول عاشقهم

انا من اهوى ومن اهوى انا * نحن روحان حللنا بدنا

(قوله فيلزم منه الخ) اي ومن ذلك ما نقل عن امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه في حق الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه شعر

قالوا يزورك احمد وتزوره * قلت الفضائل لا تفارق منزله

ان زارني فبفضله او زرته * فلفضله فالفضل في الحالين له

وكذلك ما نقل عن الامام احمد من قوله في حق الشافعي انه كالشمس في الدنيا والعافية في البدن فاذا فقدا فهل لهما من بدل او كما قال (قوله حتى أكون احب اليه الخ) المراد المحبة العقلية لا الطبيعية كما لا يخفى على من له المام بتحقيق المسائل الفرعية والاصلية (قوله اذا سكت هلك) اى فقلب المحب لا يرعوى عن المحبوب وان تقول غير ذلك فهو كذوب شعر

أليس وعدتني يا قلب اني * اذا ما تبت عن ليلى تتوب

فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

(قوله اذا سكت هلك) اي وذلك لان السكوت عن ذكر الاحباب انما ينشأ عن الغفلة وقوة الحجاب قال صلى الله عليه وسلم من أحب شيأ أكثر من ذكره (قوله والعارف ان لم يسكت هلك) أي لان المعرفة توجب الخرس والصمت كما تقدم غير مرة (قوله المحبة نار في القلب الخ) اى لهب اشواق تحرق وتنفي ماسوى المحبوب وحقه لان من لوازمها اذا كملت الموافقة والايثار (قوله وقيل المحبة بذل المجهود الخ) أي لان شأن المحب طاعة

(والحبيب يفعل) فى محبه (مايشاء وقال النورى المحبة هتك الاستار وكشف الاسرار) لان من كملت محبته قل صبره عن محبوبه فظهرت محبته على لسانه وبدنه وصار مغلوبا فظهر سره للخلق وبدا لهم ما كان مستورا عنهم (وقال أبو يعقوب السوسى لاتصح المحبة الابالخروج عن رؤية المحبة الى رؤية المحبوب بفناء علم المحبة) لان محبة العبد تكون أولا للنعم ثم تكون للكمال والجلال ثم يشتغل به تعالى حتى يستغرق فيه وينسى المحبة فكلامه رضى الله عنه فى كمال درجات المحبة وهو الشغل عنها بالمحبوب (وقال جعفر قال الجنيد دفع السرى الى رقعة وقال هذه لك خير من سبعمائة قصة أوحديث يعلو) أى حديث من أحاديث الصالحين وحكايات كراماتهم العالية الرفيعة التى تحرك لسماعها القلوب فتنشط به للعمل قال الجنيد وفائدة حكاياتها تقوية قلوب المريدين بها قال ودليل ذلك من الكتاب قوله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ماتثبت به فؤادك (فاذا فيها) أى الرقعة (ولما ادّعيت الحب) الليلى (قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا) أى مكسوّات باللحم لان كمال المحبة يمسك عن الطعام والمنام حتى يظهر على المحب النحول والسقام كما بينه بقوله (فما الحب) موجودا (حتى يلصق القلب بالحشا * وتذبل) أنت (حتى لاتجيب المناديا) لك (وتنحل) أى تهزل (حتى لايبقى لك الهوى *) اى الحب (سوى مقلة تبكى بها وتناجيا) بها محبوبك وانما كانت هذه الابيات خيرا له مما ذكر لخصوصيتها بقلبه

محبوبه وموافقته فدعوى المحبة بدون ذلك زور وبهتان (قوله والحبيب يفعل الخ) اى لانه المالك لرقه له الامر فى محنته وسقمه فلا يسئل عما يفعل (قوله المحبة هتك الاستار) أى وربما تفضى الى ذلك بدون اختيار بالنسبة لمن لاطاقة له على تحمل غلباتها ولاصبر له على حر نارها وزيادة لهيب اشواقها ولذا قال قائلهم

زارنى من احب قبل الصباح * فخلالى تهتكى وافتضاحى
وسقانى وقال قم وتملى * ماعلى من احبنا من جناح

(قوله الابالخروج الخ) اى وذلك لان بقاء الاحساس بنعت المحبة تفرق والفناء عن ذلك جمع وفرق مابين المنزلتين (قوله تكون اولا للنعم) اى وذلك فى حال ابتداء طلب الحق تعالى وأول السير الى الوصول فالمحبة للنعم من أخلاق المريدين والمحبة للكمال والجلال من نعوت العارفين والاشتغال به تعالى من شيم المحققين كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا (قوله وقال هذه لك خير الخ) وجهه ان المقصود بالاطلاع على قصص الصالحين من السلف انما هو تقوية القلب الضعيف وهذه الابيات التى فى الرقعة لما اشتملت على ماحق المحب ان يكون عليه كانت تقويتها للقلب اتم وتنبيهها على التخلق اعظم والله سبحانه وتعالى اعلم (قوله وكلا نقص) اى وكل نبأ فالتنوين عوض عن المضاف اليه نقص عليك اى نخبرك به وقوله تعالى من أنباء الرسل بيان لكلا وقوله تعالى ماتثبت به فؤادك بدل منه هذا والاظهر ان يكون المضاف اليه المحذوف المفعول المطلق لنقص اى نقص كل اقتصاص أى كل أسلوب من أساليبه ماتثبت به فؤادك مفعول نقص وفائدته التنبيه على ان المقصود بالاقتصاص زيادة يقينه عليه السلام وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على إداء الرسالة واحتمال أذية الكفار بالوقوف على تفاصيل أحوال الامم السابقة فى تماديهم فى الضلال ومالقى الرسل من جهتهم والله اعلم (قوله ولما ادّعيت الحب) أى ادّعيته دعوى قد تجردت عن الدليل المثبت لها ولذلك قالت كذبتنى أى حيث اخبرت بخلاف الواقع فمالى أرى الاعضاء الظاهرة منك كواسيا باللحم وذلك من أدلة كذبك فى خبرك اذ لو صدقت لتجردت تلك الاعضاء من اللحم بما ينحلها من سقام المحبة الضرورى عند تحققها وقوله فما الحب موجودا أى بصفة كماله حتى يلصق اى الى ان ينتهى بك الحال الى لصوق القلب بالحشا من شدة الهزال وقوله وتذبل أى تضمحل جسما حتى لايبقى فيك قوة تجيب بها المنادى اذا ناداك لشدة ضعفك عن الاجابة أو لغيبتك عن غير محبوبك ومطلوبك وتنحل من النحول الذى هو تجرد الجسم عن النمو والزيادة الى ان تصير عدما صرفا لايبقى لك الهوى اى الميل الى المحبوب سوى أى غير مقلة تشكى بها على فراق الاحبة وتناجى بها مطلوبك بأن تقول بلسان الحال الى من

جملة

(وقال ابن مسروق رأيت سمنونا يتكلم فى المحبة فتكسرت قناديل المسجد كلها) اما لاستماعها خرقا للعادة كحنين الجذع للنبى صلى الله عليه وسلم وتسبيح الحصى فى كفه واما لتحركها بتحريك جماعة منا او من الجن (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن على يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت سمنونا وهو جالس فى المسجد يتكلم فى المحبة اذ جاء طير صغير فقرب منه ثم قرب) منه (فلم يزل يدنو) منه (حتى جلس على يده) وفى نسخة بين يديه (ثم ضرب) (بمنقاره الارض حتى سال منه الدم ثم مات) فيه دلالة على ان الحيوان يسمع ويفهم وانما يمتنع عليه الكلام الامع من أفهمه الله كلامه كاجابة الهدهد لسليمان عليه السلام بسبب تأخره عنه بقوله وجئتك من سبا بنبا يقين وكقول النملة لاصحابها ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده الى آخره (وقال الجنيد كل محبة كانت لغرض) كنعمة (فاذا زال ذلك الغرض زالت تلك المحبة) بخلاف محبة صفات الله كالكمال والجلال لان صفاته تعالى قديمة لا تزول فالمحبة لها كذلك (وقيل حبس) أبو بكر (الشبلى فى المارستان) ليتداوى فيه مما حصل له من شبه الجنون بسبب غلبة المحبة عليه وهو مع ذلك ناظر الى الله ولما أجراه عليه وابتلاه به (فدخل عليه جماعة) من اخوانه (فقال) لهم (من أنتم فقالوا محبوك يا أبا بكر) فاخذ يبتليهم كما ابتلى ليعرف صدقهم فى دعواهم محبته (فاقبل يرميهم بالحجارة ففروا فقال ان ادعيتم محبتى فاصبروا على بلائى وانشد الشبلى) يناجى ربه فقال (يا أيها السيد الكريم * حبك بين الحشا مقيم

يا رافع النوم عن جفونى * أنت بما مر بى عليم

جملة المحبين الفانين فى المحبوبين (قوله فتكسرت قناديل الخ) أى وذلك من أجل ما ثبت للاستاذ فى قدم المحبة من الشرب فحالة المحب الصادق تتنقل وترقى حتى يكون بذلك من غيره أرقى

ارال تزيد فى عينى جمالا * وأعشق كل يوم منك حالا

تزيد ملاحة وأزيد حبا * وحالى فيك ينتقل انتقالا

(قوله اما لاستماعها) أى وتأثرها بما سمعته خرقا للعادة ولو اقتصر على ذلك وترك الترديد لكان أولى (قوله اذ جاء طير) اقول ولا بدع وقد قيل اذا غلبت نار الجوى وهاجت بالهوى أحرقت روح المحب فذابت وتدفقت من اماقيه وسالت

وليس الذى يجرى من العين ماءها * ولكنها روحى تذوب فتقطر

فتأمل يا أخى فى نفسك وبقائها على الجمود وهذا الطائر الحيوان الصرف كيف تأثر بما سمعه حتى اسال دمه فمات وهذا بمرة من السماع وأنت مع تكرر المواعظ وقرعها المسامع مصر على الجهالات على وسائد الغفلات ولكن من يضلل الله فلا هادى له فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله كل محبة كانت لغرض الخ) مراده الحث على كمال المحبة له تعالى بشهود حقه من الجلال والكمال مع الفناء عن الحظوظ العاجلة والآجلة (قوله وقيل حبس أبو بكر الخ) أقول ويؤيد ذلك ويوضحه قول الشيخ الاكبر فى قصيدته التى أولها

الا يا حمامات الاراكة والبان * ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجانى

الى ان قال فيها رضى تعالى عنه ونفعنا ببركات علومه ومعارفه

لنا اسوة فى بشر هند وأختها * وقيس وليلى ثم مى وغيلان

حيث ذكر المحبين فى عالم الكون المهيمين بعشق المخدرات فى الصور فهو يقول الحب من حيث ما هو حب لنا ولهم حقيقة واحدة غير ان المحبوب مختلف فهم تعشقوا بكون وانا تعشقت بعين والشروط واللوازم والاسباب واحدة فلنا اسوة بهم فان الله ما هيم هؤلاء ولا ابتلاهم بحب أمثالهم الا ليقيم بهم الحجة على من ادعى محبته ولم يهم فى حبه هيمان هؤلاء حين ذهب الحب بعقولهم وأفناهم عنهم لمشاهدة شواهد محبوبهم فى خيالهم فاحرى من يزعم انه يحب من هو سمعه وبصره (قوله فاقبل يرميهم بالحجارة) اى على عادة المجانين ممن زال عقلهم بعارض مرض سوداوى مثلا (قوله فقال ان ادعيتم محبتى الخ) أى فدعوى المحبة بدون الصبر على ما يرد من أحكام المحبوب دعوى زور وكذب (قوله يناجى ربه) أى متعرضا الى اجابة سؤله بواسطة الثناء على الحق تعالى باحاطة علمه بما هو كائن به (قوله

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت النهرجوري يقول سمعت علي بن عبيد يقول كتب يحيى بن معاذ الى ابي يزيد سكرت من كثرة ماشربت من كاس محبته فكتب اليه أبو يزيد) لما فهم انه ذاق منها مرة واحدة فلم يطق حملها فسكر (غيرك شرب بحور السموات والارض) من المحبة (وما روى بعد) بل هو فاغر فاه (ولسانه خارج) عنه (و) هو (يقول هل من مزيد) ١٠٠ وذلك لكمال قوته ووجود العون من ربه في حاله فلذلك يحفظ نفسه ولا يظهر شيأ من محبته على ظاهره (وانشدوا) في معناه

(عجبت لمن يقول ذكرت الفي) وفي نسخة ربي أي لان الذكر انما يكون بعد النسيان والغفلة أما دائم الذكر فلا يقول ذكرت لان الحاصل لا يطلب تحصيله (وهل انسى فاذكر ما نسيت

أموت اذا ذكرتك ثم أحيا
ولولا حسن ظني ما حييت

فاحيا بالمنى وأموت شوقا
فكم أحيا عليك وكم أموت

شربت الحب كاسا بعد كاس
فانفد الشراب وما رويت)

لما مر (وقيل أوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اني اذا اطلعت على قلب عبد فلم اجد فيه حب الدنيا والآخرة ملأته من حبي) اى محبتي لاعراضه عن المشغلات والشهوات (ورأيت بخط الاستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله في بعض الكتب المنزلة) يا (عبدي انا) مبتدا (وحقك) قسم أقسم به لشدة حرمته عليه فان حرمة المؤمن عند الله عظيمة (لك محب) خبر المبتدا (فبحقي عليك (كن لي محبا) لتكمل سعادتك وقد قال تعالى يحبهم ويحبونه فما أحبوه حتى احبهم اذ لولم يحبهم لما خلق لهم محبته (وقال القصور عبد الله بن المبارك من أعطي شيأ من المحبة ولم يعط مثله من الخشية) أي الخوف (فهو مخدوع) لان كل نعمة لم يصحبها خوف زوالها فصاحبها معجب بها فهو مخدوع بها (وقيل المحبة ما يمحو أثرك) لان شدة الحب تورث السقم

(قوله لما فهم انه ذاق مرة واحدة الخ) وجهه ان قول يحيى بن معاذ سكرت من كثرة ماشربت لا يفيد تكرر الشرب لان الكثرة تتحقق في مرة واحدة (قوله غيرك) أي ممن هو من أهل الكمال الذين قواهم الحق تعالى وأعانهم على التحمل وعدم اظهار شيء من على أحوالهم (قوله فلذلك يحفظ نفسه الخ) أي ويدل له ماتقدم عن الجنيد من قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (قوله عجبت لمن يقول ذكرت الفي) أي لانه مما يخفى سببه اذ المحب شأنه دوام الذكر باللسان والقلب كما يوضحه قوله على سبيل الاستفهام الانكاري * وهل أنسى فاذكر ما نسيت * (قوله لان الحاصل لا يطلب تحصيله) أي لان تحصيل الحاصل محال (قوله فانفد الشراب الخ) هذا كناية عما ناله ومالم ينله من كمالات الحق جل جلاله (قوله اني اذا اطلعت الخ) هذا من باب الجري على المعهود والمألوف والمعنى ان العبد اذا تجرد عن الحظوظ العاجلة والآجلة منحه الحق تعالى مقام محبته والله أعلم (قوله ورأيت بخط الاستاذ أبي علي الخ) أقول ويشير الى ذلك قول الشيخ الاكبر

ترفقن لا تظهرن بالنوح والبكا * خفي صباباتي ومكنون احزاني

حيث هو يخاطب الواردات الالهية التي عناها في البيت قبل هذا بقوله

الا يا حمامات الاراكة والبان * ترفقن لا تضعفن بالشجو اشجاني

فهو حينئذ من باب قوله تعالى في الحديث القدسي وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض عبدي المؤمن هو يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بد له من لقائي فمن هنا يكون البكاء وقوله خفي صباباتي يريد ما تنطوي عليه ضلوعه من رقة الشوق المنتظر الاجل وقوله ومكنون احزاني يريد بذلك مايستره من ألم الفقد عند رجوعه وانقطاع تلك الواردات عنه والله أعلم بمراد أوليائه وأحباب ولائه (قوله عبدي انا وحقك الخ) غير خاف ان للحق تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه كما ثبت في غير ما آية من الكتاب العزيز (قوله فما أحبوه الخ) أي لان علة محبة الخلق سبق عناية الحق (قوله ولم يعط مثله من الخشية الخ) أي ويشهد لذلك علم الفروع حيث ذكر فيه انه يطلب الخوف في حال صحة الانسان والرجاء في حال المرض فالكامل من كان يتقلب بين الخوف والرجاء بموافقة المتابعة بأن يستعمل كلا فيما طلب له مع عدم الافراط والتفريط (قوله وقيل المحبة ما يمحو أثرك) أي أثر جسمانيتك وطبيعتك كالعادات والمألوفات اذا عات ذلك رأيت مافي الشارح من

(وقيل المحبة سكر لا يصحو صاحبه) وفي نسخة صاحبها (الا بمشاهدة محبوبه ثم السكر الذي يحصل عند الشهود لا يوصف) لعظمه فشغلك بالله عن غيرك من المخلوقين وأنت مدرك لسواك سكرة وشغلك به عن غيره حتى عن نفسك سكرة أخرى أعظم من تلك وهي محبة العارفين وتلك محبة العابدين والزاهدين (وانشدوا) في معناه (فاسكر القوم دور كاس * وكان سكري من المدير وكان الاستاذ أبو علي ينشد كثيرا لي سكرتان) مر بيانهما آنفا (وللندمان

بضم النون اى السكارى الداخل انا فيهم منهما (واحدة) نشترك فيها وهي السكرة الاولى وما ذكرته من ان لي سكرتين (شيء خصصت به من بينهم وحدي) وهذا بحسب ما قام عنده (وقال ابن عطاء المحبة اقامة العتاب) أي الاعتذار لله تعالى من التقصير مع كمال الجد والتشمير (على الدوام وكان للاستاذ أبي علي رحمه الله جارية تسمى فيروز وكان يحبها اذ كانت قد خدمته كثيرا فسمعته يقول كانت فيروز تؤذيني يوما وتستطيل علي) فيه (بلسانها فقال) لها (أبو الحسن القاري لم تؤذين هذا الشيخ فقالت لاني أحبه) فيه دلالة على ان المحب يحتمل من محبوبه كل ما يرد عليه منه وان كان في بعضه أذيته لكونه يدل عليه فينكر عليه ما لا يصلح ان يقع منه (وقال يحيى بن معاذ مثقال خردلة من الحب أحب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب) لان كل عبادة تجري من المحب تكون على أحسن وجوهها عند محبوبه بخلاف من تعبد محمولا بالخوف والرجاء والصبر فتارة يغلب وتارة يغلب (وقيل ان شابا أشرف على الناس

القصور في التعليل الا ان يقال ان نحول الجسم بمفارقة المألوفات أيضا تأمل (قوله فاسكر القوم الخ) أي سكر القوم انما كان من ادارة الكاس لاجل بقية بقيت لنفوسهم وتقوامعها وكان سكري وغيبتي من نفس المدير استغراقا في شهوده مع الفناء عما سواه هذا وما الطف قول الشيخ الاكبر متغزلا وهو يقصد الحقائق الالهية قدس الله سره

ومن أعجب الاشياء ظبي مبرقع * يشير بعناب ويومي باجفان
ومرعاه ما بين الترائب والحشا * ويا عجبا من روضة وسط نيران

فهو يريد لطيفة الهية محجوبة بجمال نفسية من أحوال العارفين المجهولة ويعني بقوله ومرعاه الخ ما حشي به باطنه من الحلم والايمان ثم أخذ يتعجب من محب أحرقته نيران الاشتياق كيف لم تحرق تلك المحبة ما تحمله من العلوم والحكم التي بين ترائبه وفي حشاه والجواب عن التعجب المذكور انه من يكون عن شيء لم يعدمه ذلك الشيء كما قيل في السمندل ان كان حقا انه حيوان فافهم (قوله لي سكرتان الخ) تقدم بيانهما بمحبة العارفين ومحبة العابدين والزاهدين (قوله وللندمان) جمع نديم وهو من ينادمك ويشاكلك ويوافقك على ما تريد وتهوى (قوله وهي السكرة الاولى) أي وهي الحاصلة بالاشتغال بالخالق عن الخلق مع بقاء الاحساس بما للنفس في طريق السير اليه تعالى (قوله وهذا بحسب ما قام عنده) أي من انه لم يصل احد الى ما وصل اليه (قوله المحبة اقامة العتاب الخ) أقول هذا من ثمرات المحبة لا نفس المحبة كما لا يخفى على حاذق (قوله فقالت لاني أحبه) لعله فقالت لانه يحبني أو يقال كانت المحبة من الطرفين (قوله يحتمل من محبوبه كل ما يرد عليه) أي وله الاشارة بقول عارف وقد سماه ابن الفارض قدس الله سره العزيز

أصبحت فيك كما أمسيت مكتئبا * ولم أقل جزعا يا ازمة انفرجي

(قوله مثقال خردلة الخ) المقصود حب الذات العلية باعتبار ما حقها من الجلال والجمال والكمال وذلك لان العمل مع المحبة يدوم على أحسن الوجوه بخلافه مع غير المحبة كما لا يخفى (قوله فتارة يغلب الخ) أي فتارة يغلب الحامل بسبب بقاء بعض المألوفات وتارة يغلبه الحامل بسطوات قوته فهو حينئذ متردد بين الثبات وضده بخلاف من تمكنت المحبة من قلبه وكان عمله من أجلها (قوله أو مغلوبا) أي بسبب مرض أو غلبات الحقيقة عليه

في يوم عيد وقال من مات عشقا) اى حبا (فليمت هكذا) اذ (لا خير في عشق بلا موت والقى نفسه من سطح عال فوقع ميتا) لان من قويت محبته من محبوبه ولم يجد وصولا اليه هان عليه بذل نفسه فيه لكن لا يخفى ان الفعل المذكور ممنوع منه فلا فضيلة فيه ولعل فاعل ذلك كان كافرا او جاهلا او مغلوبا على عقله

(وحكى ان بعض اهل الهند عشق جارية فرحلت الجارية فخرج الرجل فى وداعها فدمعت احدى عينيه دون الاخرى فغمض
التى لم تدمع أربعا وثمانين سنة ولم يفتحها عقوبة لها لانها لم تبك على فراق حبيبته) الغرض من ذلك ان العبد اذا وجد مع الله لذة ودا
ذكره ومناجاته ثم ابتلاه بعده وقدره عما كان فيه فقد دوام البكاء والقلق فان لم تساعده نفسه على ذلك أدبها بالآداب الجائزة
عقوبة لها كما فعل هذا بعينه (وفى معناه انشدوا ١٠٢ بكت عينى غداة البين) أى الفراق (دمعا * وأخرى بالبكا بخلت علينا
فعاقبت التى بخلت علينا * بأن غمضتها يوم التقينا) وفى نسخة بعد هذا

وجازيت التى جادت بدمع
بأن أقررتها بالحب عينا

(وقال بعضهم كنا عند ذى النون المصرى فتذاكرنا المحبة فقال ذو النون كفوا عن هذه المسألة لا تسمعها النفوس فتدعيها ثم أنشأ يقول الخوف أولى بالمسىء * اذا تأله) وكذا (الحزن والحب يجمل بالتقى * وبالنقى من الدرن) أى الوسخ (وقال يحيى بن معاذ من نشر المحبة عند غير أهلها فهو فى دعواه) لها (دعى) فيها لان أربابها لا يظهرون مواجيدهم الا عند من يفهم عنهم اشاراتهم لما هم فيه فينتفعون وينتفع فمن ذكرها عند غير اهلها فهو مراء او متشبع بما لم ينل (وقيل ادعى رجل الاستهلاك فى محبة شخص) شاب (فقال له الشاب كيف هذا الاستهلاك فى المحبة (وهذا أخى احسن منى وجها وأتم جمالا فرفع الرجل راسه يلتفت) الى الاخ (وكان) وفى نسخة وكانا (على
سطح فالقاه من السطح وقال) منكرا عليه (من يدعى هوانا) اى حبنا (لا ينظر الى سوانا) الغرض من ذلك ان فى
من كملت محبته لشئ قبح ان ينظر الى غيره فمن كملت محبته لله قبح التفاته الى غيره (وكان سمنون يقدم المحبة على المعرفة) اى على
حقيقتها وهى غلبة احوالها على العارف لكمال شغله بمعروفه واستغراقه فى مناجاته حتى يفنى عن نفسه والمحبون يبقى معهم
بقايا يتنعمون فيها بمحبوبهم (والا كثرون يقدمون المعرفة على المحبة)

قلم يحفظ فيها (قوله كما فعل هذا بعينه) أى فى عشق من له شبيه فحبة من لا شبيه له احق وأولى (قوله بكت عينى) أى سال دمعها وقوله غداة البين أى صبح يوم الفراق وقوله دمعا تاكيد لقوله بكت وأخرى اى وعينى الاخرى بالبكا بخلت علينا أى لم يسل دمعها وقوله فعاقبت التى بخلت علينا يعنى بالبكاء بأن غمضتها يوم التقينا اى وقت ملاقاتنا منعا لها من لذة المشاهدة تاديبا على ما جنته من بخلها بالدمع (قوله بأن اقررتها) اى صيرتها قريرة مسرورة بمشاهدة محبوبها (قوله فقال ذو النون كفوا الخ) غرضه نفعنا الله به ان حقيقة المحبة مما لا تسعه العقول وذلك لان نهايتها الاتحاد بحيث يصير المحب والمحبوب كالشئ الواحد وله الاشارة بالخبر القدسى مرضت فلم تعدنى استطعمتك فلم تطعمنى الحديث وخبر كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به الحديث حيث أشار ذلك الى ان الحق تعالى بلطفه نزل نفسه منزلة عبده لطفا وعناية لانه فى الحقيقة منه واليه الا الى الله تصير الامور الا له الخلق والامر وله الاشارة أيضا بقول الشاعر

رق الزجاج وراقت الخمر * وتشابها وتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

فافهم وتفهم ولا تتوهم ان العبد حل فى ذات الله أو الحق تعالى حل فى ذات العبد بحيث صار متحدين اى شيأ واحدا فان هذا لا يقوله عاقل ولا يفهمه فاهم أين العدم من الوجود اين الهالك من الباقى الدائم والله أعلم (قوله الخوف أولى الخ) اى فاذا حل الخوف والحزن قلب عبد مسىء مقصر كان أحق به والحب يجمل بالتقى أى المداوم على اتقاء الشبهات وبالنقى اى المتخلص من الاوساخ المعنوية (قوله من نشر المحبة الخ) أى من تكلم فى علوم المحبة وذكر احكامها وتكلم فى ثمراتها وبيان حقائقها عند غير أهلها كان كالدعى الذى يدعى لغير أصله (قوله فقال له الشاب) اى اختبارا لصدقه (قوله فألقاه من السطح الخ) فيه ان ذلك من أكبر المعاصى (قوله فمن كملت محبته) أى وثبت قدمه فى مقام أحدية الحق عز علاه (قوله يقدم المحبة على المعرفة) أقول لعل وجهه ان ذلك من الاخلاق المحمدية اذ الكمال فى الصحو وهو لا يتم الا مع بقاء بقية يتنعم العبد بها فتأمل (قوله أى على حقيقتها الخ) دفع به ما يقال كيف تقديم المحبة على المعرفة مع ان المعرفة من اعظم أسبابها فلا تتحقق المحبة بدون المعرفة والجواب ان الكلام

لان العبد انما يحب من يعرف كماله وفضله وكل من القولين صحيح باعتبار التوجيهين لكن الاول اوفق بما عند محققيهم وقد اشار الامام القشيري الى ترجيحه بقوله (وعند محققيهم المحبة) هي (استهلاك في لذة) بالتنعم فيما يلقى معهم (والمعرفة شهود في حيرة وفناء في هيبة وقال ابو بكر الكتاني جرت مسئلة في المحبة بمكة ايام الموسم فتكلم الشيوخ فيها ١٠٣ وكان الجنيد اصغرهم سنا فقالوا له هات ما عندك يا عراقي فاطرق راسه ودمعت عيناه ثم قال) المحب (عبد ذاهب عن نفسه) الى ربه (متصل بذكر ربه قائم باداء حقوقه ناظر اليه بقلبه) قد (احرق قلبه انوار هويته) اى ذاته (وصفا شربه من كاس وده) اى حبه (وانكشف له الجبار) تعالى (من استار غيبه) فالمحبة استفراغ الجهد في العمل الى ان يحصل الامل ويغيب العبد في مذكوره حتى عن نفسه (فان تكلم فبالله وان نطق فمن الله وان تحرك فبأمر الله) اى ارادته (وان سكن فمع الله فهو بالله) ومن الله (ولله ومع الله فبكى الشيوخ) من كلامه (وقالوا ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين) لقبوه بذلك لما جرى على لسانه من حقائق المحبة والمعرفة وامارتهما (وقيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود اني حرمت على القلوب ان يدخلها حبي وحب غيري) فالمحبة الكاملة لله تعالى ان لا يبقى في القلب ذكر لغيره (اخبرنا حمزة بن يوسف السهمي قال اخبرنا محمد بن احمد بن القاسم قال حدثنا هميم بن همام قال حدثنا ابراهيم ابن الحارث قال حدثني عبد الرحمن بن عفان قال حدثني محمد بن ايوب قال حدثني ابو العباس خادم الفضيل بن عياض قال احتبس بول الفضيل) بن عياض (فرفع يديه) الى السماء (وقال اللهم بحبي لك الا اطلقته عني) قال (فما برحنا) اى زلنا (حتى شفي) استجاب الله دعاءه حيث تفضل عليه باطلاق بوله كما تفضل عليه بما وهبه من محبته العظمى

في الحقائق الكاملة (قوله لان العبد انما يحب من يعرف الخ) محصله ان تقديم المعرفة على المحبة من حيث انها السبب والباعث عليها (قوله استهلاك في لذة) اى وهذا حال ارباب الصحو وقوله والمعرفة شهود في حيرة اى وهو من حال ارباب المحو وارباب الصحو اكمل من ارباب المحو فتدبر والله اعلم (قوله فاطرق راسه الخ) لعل ذلك منه لملاحظة خطر هذا المقام وانه ربما جرى على لسانه ما لم يتلبس بقلبه فيكون حظه الاقوال المجردة عن الاحوال وهو من نعت المبعدين وصفة المنافقين ولهذا تراه رضي الله تعالى عنه قد نطق بالحكم واللطائف (قوله قال المحب عبد ذاهب الخ) محصله ان المحب انسان قد تحلى بنعت العبودية وتخلى عن العادات البشرية ثم اتصل بدوام الذكر لمن وجب له خالص الشكر فقام باداء الحق مصحوبا بمراقبات الصدق حتى اشعلت نار الاشواق بقلبه فاحرقت منه ما سوى حق ربه فشرب بكاس شراب المحبين فسكر بتجلي الحق المبين فصار لا يفوه الا بالله ولا يتكلم الا من الله ولا يعول الا على الله بجميع حركاته وسكناته بالله اعانة ومن الله توفيقا ولله اخلاصا ومع الله مراقبة هذا معنى اشارته بفائق عبارته رضي الله تعالى عنه وعنا به (قوله عبد ذاهب عن نفسه) اى مفارق لها باعتبار عاداتها ومألوفاتها وقوله الى ربه اى الى ما يقربه من رضاه واحسانه وقوله متصل بذكر ربه اى دائم الاشتغال به بلسانه وقلبه وقوله قائم بحقوقه اى بما طلب منه وجوبا وندبا وما هو الاولى في حقه وقوله ناظر اليه بقلبه اى مراقبه في جميع حركاته وسكناته وقوله قد احرق قلبه انوار هويته اى بعد ان تفرق في ميادين مظاهر الاسماء والصفات اجتمع بواسطة اشراق نور الذات والمراد باحراق القلب قوة البواعث على الفناء في محبة هوية الذات وقوله وصفا شربه اى راق نصيبه وحظه من كدورات البشرية وقوله كاس وده اى المبتدا ذلك الصفا من محبته الاكيدة (قوله وانكشف له الجبار الخ) اى على معنى انه قد ازيل عنه ما كان حاجبا له عن شهود جلال الله سبحانه وتعالى فالحجاب انما هو بالنسبة للعبد وتعالى الرب عن ان يحجبه شيء (قوله اني حرمت على القلوب الخ) لعل المراد قلوب الكمل من عباد الله او المعنى ان المحرم حب الغير من حيث ذاته بدون ملاحظة حق الحق من ذلك الغير والا فهو ممدوح كما يشير اليه قول بعضهم

ما اومض برق ولا لاح خزام * الا وهاج لي الى الحبيب غرام

والحاصل ان من ادعى محبة الله وفي قلبه ميل الى ما سواه تعالى لم تكمل له المحبة والله اعلم (قوله وقال اللهم بحبي لك الخ) اقول لعل ذلك صدر منه تلذذا بذكر الله تعالى لا افتخارا

(وقيل المحبة الايثار) اى ايثار المحبوب على النفس (كامراة العزيز) واسمها زليخا (لما تناهت فى امرها) اى حبها ليوسف عليه السلام اقرت بالذنب واضافته الى نفسها حيث (قالت انا راودته عن نفسه) اى طلبت منه ان يواقعنى (وانه لمن الصادقين وفى الابتداء) اى ابتداء حبها له (قالت ما جزاء ١٠٤ من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن او عذاب اليم فوركت الذنب فى الابتداء عليه اى نسبته اليه (وفى الانتهاء نادت على نفسها بالخيانة) وبرأته منها (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق (يقول ذلك وحكى عن ابى سعيد الخراز انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام) وكان يحب الله ورسوله لكن محبته لله اكثر (فقلت يارسول الله اعذرنى فان محبة الله) تعالى (شغلتنى عن محبتك فقال) لى (يامبارك من احب الله فقد احبنى) لان من احب محبوبا وكمل حبه له احب من احبه المحبوب فلو كمل تطرك لاحببتنى اشد المحبة لانى حبيب المحبوب ولفظة يامبارك تستعمل فى حق من قصر نظره بعض القصور (وقيل قالت رابعة العدوية (فى مناجاتها) لربها (الهى تحرق بالنار قلبا يحبك فهتف بها هاتف ما كنا نفعل هكذا) بمن يحبنا (فلا تظنى بنا ظن السوء) فى ذلك تنبيه على حسن الظن بالله فانه لايخلف الميعاد ولو اراد بالمحب العذاب لما خلق له المحبة (وقيل الحب حرفان حاء وباء والاشارة فيه ان من احب) الله (فليخرج عن روحه وبدنه وكالاجماع) اى والاقوال الحاصلة (من اطلاقات القوم) كالاجماع اى تقارب الاجماع على (ان المحبة هى الموافقة) منك للمحبوب على ماطلبه منك (واشد الموافقات الموافقة بالقلب) لان موافقته سبب لموافقة الجوارح فانه اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله

يشاهد ميل النفس الامارة واعلم ان محبة الحق تعالى هى السبب فى محبة الخلق كما يشير اليه قوله عز سلطانه يحبهم ويحبونه ويحتمل ان قوله اللهم يجبى لك الخ صدر منه لغرض تقوية قلوب المريدين باشارة الحق وامارة الصدق لدوم انتفاعهم ويخلص اتباعهم (قوله وقيل المحبة الايثار) اى من علامة قوة المحبة وتمكنها من قلب المحب الايثار بأن يقدم حق المحبوب على نفسه ومالها من الحظوظ وذلك مثل ماوقع لامراة العزيز مع الصديق عليه السلام (قوله كامراة العزيز الخ) اى وكذلك كل محب اذا تناهى فى المحبة وفنيت نفسه فيما يشاهد حينئذ انه لم يقم بحقها ولم يوف بأحوال صدقها فينادى من بيده الامر كله اهد قلبى ولا تضله فتجاب نفسه السنية ارجعى الى ربك راضية مرضية (قوله لما تناهت فى أمرها الخ) أى فالمحب اذا تناهى فى محبته ووصل الى غاية درجته شهد على نفسه بالتقصير لما يشاهد من سابق عناية الملك القدير وغاية التدبير فى هذا المقام الخطير ان يصبر على وعده وان يتبرأ من عمله وكسبه (قوله فقال يامبارك الخ) محصله ان من ادعى محبة الحق تعالى والاشتغال بها عن محبة رسوله صلى الله عليه وسلم فدعواه من الزور وأحواله من الغرور كيف ومحبة الله السبب فيها معرفته وهى لاتكون بدون واسطته كما يصرح به قوله جل وعز قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله (قوله لانى حبيب المحبوب) أى والسبب الاعظم فى محبة كل محب لله تعالى (قوله تحرق بالنار الخ) هو على حذف همزة الاستفهام كما هو ظاهر (قوله فهتف بها هاتف) أى من واردات أنوار المحبوب واشارات من هو المقصود والمطلوب (قوله على حسن الظن بالله) أى على طلب تحسين الظن بالله تعالى (قوله على حسن الظن بالله الخ) اى ويدل له خبر انا عند ظن عبدى بى الحديث (قوله ولو اراد الخ) فيه بشرى بأن المحبة من أسباب النجاة وهو كذلك (قوله والاشارة فيه الخ) من ذلك تعلم وجه تفضيل العابد الذى لايتشوق فى عبادته لاجر ولا يخاف من عقاب بل عبادته تقع لكمال الله تعالى وانفراده فى الوجود على من وقف مع الحظوظ الآجلة وذلك لان العابد للخوف والرجاء قد عرف الله تعالى ببعض النعوت والتجليات والاسماء والعابد للذات قد عرفها بكل اسم وكل صفة وكل تجل والله أعلم (قوله والاشارة فيه الخ) أى فالحاء من الروح والباء من البدن وحينئذ فلا تتم المحبة لعبد حتى يبذلهما فى محبته تعالى (قوله ان المحبة هى الموافقة) أى يشاهد انها تقتضى الايثار للمحبوب وحقه على المحب وحقه (قوله والمحبة توجب انتفاء المباينة) أقول ما الطفها عبارة ولكن لا غرابة فقد قال بعضهم غواص الفكر يغوص فى بحر القلب يستخرج درر المعانى فينقلها الى ساحل الصدر فينادى عليها سمسار اللسان فتشترى

بنفائس

(والمحبة توجب انتفاء المباينة) بين المحب والمحبوب ومن لازمها ملازمة ذكر المحبوب وقلة الغفلة عنه (فان المحب ابدا مع محبوبه) كما ان محبوبه معه الدال عليه آية ان الله مع الذين اتقوا (وبذلك ورد الخبر) الآتي وخبر أنت مع من احببت (حدثنا الامام ابو بكر بن فورك رحمه الله قال حدثنا القاضي احمد بن محمود بن خرزاذ قال حدثنا الحسين بن حماد بن فضالة قال حدثنا يحيى بن حبيب قال حدثنا مرحوم بن عبد العزيز عن سفيان الثوري عن الاعمش عن ابي وائل ١٠٥ عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قيل له الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم) اي في العمل (فقال المرء مع من أحب سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله الرازي يقول سمعت ابا عثمان الحيري يقول سمعت أبا حفص يقول أكثر فساد الاحوال من ثلاثة فسق العارفين وخيانة المحبين وكذب المريدين قال ابو عثمان) في تفسير ذلك (فسق العارفين اطلاق الطرف) أي التفات البصر (واللسان والسمع الى أسباب الدنيا ومنافعها وخيانة المحبين اختيارهم هواهم على رضا الله تعالى فيما يستقبلهم) من الافعال (وكذب المريدين ان يكون ذكر الخلق ورؤيتهم تغلب عليهم على ذكر الله تعالى ورؤيته وسمعته) أيضا (يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت أبا القاسم الجوهري يقول سمعت أبا علي ممشاد بن سعيد العكبري يقول راود خطاف) وهو ما يسمى عصفور الجنة (خطافة) أي طلب منها ان يواقعها (في قبة سليمان عليه السلام

١٤ يخ ع

فامتنعت عليه فقال لها) وسليمان يسمعه (تمتنعين علي و) انا (ان شئت قلبت القبة على سليمان فدعاه سليمان عليه السلام وقال له ما حملك على ما قلت) مع ما فيه من قلة الادب (فقال) له (يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون بأقوالهم) لكثرة خطاياهم فيها (فقال) له وكان يعرف منطق الطير بنص القرآن كما مر (صدقت) وهذا النوع قد يقع من بعض المحبين ويسمى الشطح فلا يؤاخذون به ولا يعد لهم مقاما ولا حالا ● (باب الشوق) ● سيأتي بيانه وهو ممدوح ومطلوب

بنفائس اعمال حسن الطاعة في بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه فافهم (قوله توجب انتفاء المباينة) أي الحاصلة بنوع الغفلات عن مرادات المحبوب (قوله فان المحب ابدا مع محبوبه) أي معه بالقلب لان صحة الاعمال وقبولها منوط بالنيات واخلاصها كما يدل له خبر انما الاعمال بالنيات فلا بد حينئذ من مراقبة المحبوب وحقه بالقلب لتصح الاعمال وتقبل (قوله ان الله مع الذين اتقوا) أي معهم بالحفظ والاعانة والنصر (قوله فقال المرء مع من احب) أي وان لم يعمل بعملهم كما هو الظاهر من لفظ الخبر الشريف ومن سياقه أيضا ويحتمل ان المعنى ان المحبة توجب الموافقة فدعواها بدون موافقة دعوى بدون دليل (قوله أكثر فساد الأحوال من ثلاثة الخ) أقول وسبب الجميع عمى البصيرة قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فالعمى الحقيقي الضار في الدنيا والآخرة عمى القلوب عما يرد على العبد من الخير والشر والمعنى فانها لا تعمى الابصار عن درك الحقائق اذ هي ليست محلا لادراكها ولكن العمى عمى القلوب عن ذلك لانها محل ادراكها قال الشاذلي رضي الله تعالى عنه عمى البصيرة في ثلاثة أشياء ارسال الجوارح في معاصي الله تعالى والتضييع لطاعة الله والطمع في خلق الله فمن ادعى البصيرة مع واحد من هذه الثلاثة فقلبه هدف الظنون والوساوس (قوله فسق العارفين اطلاق الطرف) المراد بذلك الالتفات الى غير الله ولو لحظة ويشهد لذلك ان مقام العرفان فوق مقام العبادة والزهد والورع فاذا أطلق العارف طرفه على معنى ما قد منا فقد سقط عن مقامه (قوله اختيار هواهم الخ) أي وذلك لان مقام المحبة يوجب الموافقة بل يقتضي الايثار كما مر غير مرة (قوله فقال يا نبي الله ان العشاق لا يؤاخذون الخ) أي لانهم قد تغلبهم غلبات احوال المحبة فهم مكرهون غير مختارين على ان المحب شأنه انه يحب المحبوب لا يرى الا محاسنه فافهم (قوله ولا يعد لهم مقاما ولا حالا) أي لان المقامات والاحوال لا تعتبر الا بشاهد المتابعة وحكم الشرع

*(باب الشوق)

أقول الشوق يتلو المحبة لانه من ثمرتها ونتائجها فهي أصله وهو فرعها ينشأ عنها فهي افضل منه مقاما بهذا الاعتبار وحقيقته نيران تستولي على القلوب فتحرقها ولهب يتزايد على الاكباد فيقطعها ولا دواء له الا لقاء المحبوب وجمع القلب والهمة على المقصود

(قال الله عزوجل من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت) اذ الرجاء يتضمن الاهتياج والارتياح الى المرجو (اخبرنا على بن أحمد بن عبدان الاهوازى رحمه الله ١٠٦ قال أخبرنا احمد بن عبيد البصرى قال اخبرنا ابن ابى قاش قال اخبرنا اسمعيل بن زرارة عن حماد بن زيد قال اخبرنا عطاء بن السائب عن أبيه قال صلى بنا عمار بن ياسر) رضى الله عنه (صلاة فاوجز) أى خفف (فيها فقلت خففت) فى صلاتك (يا أبا اليقظان فقال وما على من ذلك) أى لا يضرنى تخفيفها (ولقد دعوت الله تعالى بدعوات سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام تبعه رجل من القوم فسأله عن الدعوات فقال) له هى (اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما علمت الحياة خيرا لى وتوفنى ما) وفى نسخة اذا (علمت الوفاة خيرا لى اللهم انى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة) أى الحضور (وأسألك كلمة الحق فى الرضا والغضب وأسألك القصد) اى التوسط (فى الغنى والفقر وأسألك نعيما لا ينفد) اى لا يفنى (و) أسألك (قرة عين لا تنقطع وأسألك الرضا بعد القضاء) اى الابتلاء (و) اسألك (برد العيش بعد الموت وأسألك النظر الى وجهك و) اسألك (شوقا الى لقائك فى غير ضراء مضرة) بالاضافة وضم الميم ولا فتنة مضلة كما وجد فى نسخة (اللهم زينا بزينة الايمان اللهم اجعلنا هداة مهتدين قال الاستاذ) القشيرى (الشوق اهتياج) وفى نسخة ارتياح (القلوب الى لقاء المحبوب وعلى قدر المحبة يكون الشوق) لانه ثمرتها ويؤخذ من كلامه ان الله تعالى لا يوصف بالشوق وان وصف بالمحبة وخرج و

والمطلوب وله الاشارة بقول عارف وقته وسلطان اهل عرفانه ابن الفارض قدس الله سره

الى كم اواخى الستر ها قد هتكته * وحل اواخى الحب لى عقد بيعتى

وبقول قدوة المحبين وامام العارفين ابن أبى الوفا قدس الله سره

رفعكم سترى قد البسنى * حلة التمزيق بين البشر
عشت قان لا ارى غيركم * فى أمان من جميع الغير
لست عن خلع عذارى فيكم * يا ملاح الحى بالمستتر
حسنكم صيرنى فى حبكم * مستهاما ليس بالمستتر

(قوله من كان يرجو لقاء الله) أى يؤمله ويجزم به ويعمل له فان أجل الله لآت اى آت بالقضاء الحق والوعد الصدق (قوله اذ الرجاء يتضمن الاهتياج الخ) أفاد الشارح ان ايراد الآية الكريمة للاستئناس بها على ان الشوق الى الله تعالى ممدوح ومطلوب باعتبار اندراج معناه فى الرجاء وذلك واضح (قوله فقال وما على من ذلك) أى وقد الجبر التخفيف بما دعوت الله به من الدعوات المأثورة عن فخر الكائنات وتاج عز النبوات والرسالات صلى الله عليه وسلم (قوله اللهم) اى يا الله بعلمك الغيب أى علمك ما غاب عنا علمه وقدرتك على الخلق اى اقتدارك عليهم أحينى الخ فيه تفويض له تعالى حيث هو الاعلم بدواء السقام اللهم انى أسألك خشيتك اى الخوف منك فى الغيب والشهادة اى فى حالة غفلتى وحالة مراقبتى وحضورى اذ لا يخلو البشر عن تقصير وأسألك كلمة الحق اى التوفيق للنطق بها والعمل عليها فى حالة الرضا وفى حالة الغضب حتى لا اتعدى حدودك وأسألك القصد اى التوسط بلا اسراف ولا تقتير فى حالة الغنى وفى حالة الفقر وأسألك نعيما أى تنعما لا ينفد اى بدخول الجنة مع السابقين وأسألك قرة عين اى سرورها الذى لا ينقطع ولا يبلى واسألك الرضا اى التسليم وعدم القلق والشكوى بعد القضاء الحق وأسألك برد العيش اى المعيشة بعد الموت وأسألك النظر الى وجهك اى التهيؤ لاسباب مشاهدة ذاتك على الوجه الذى يليق بك وأسألك شوقا اى اهتياجا الى لقائك اى الى ما يرضيك منى عند اللقاء فى غير ضراء مضرة اى الحاصلة من عذاب القبر وما بعده من البرازخ اللهم زينا بزينة الايمان اى وفقنا للتصديق بجميع ما جاء على السنة رسلك حتى يتزين بذلك ظاهرنا بالاعمال وباطننا بالانوار اللهم اجعلنا هداة لغيرنا مهتدين فى أنفسنا (قوله الشوق اهتياج) أى وسببه ثوران نيران محبة لقاء المحبوب الذى ينشأ عنه الاهتياج والقلق وعدم السكون حتى يلقى حبيبه ويشفى غليله بشهود جماله ومطالعة أنواره (قوله وعلى قدر المحبة يكون الشوق) اعلم هداك الله ان هذه الطائفة السادة لما أريد بهم التخصيص وسبقت لهم بالتقدير السعادة اسكن الله فى قلوبهم المنورة نار الارادة فاحترقوا شوقا الى أوطان القرب وتمزقوا فى الهوى

وهو كذلك كما مر بيانه (سمعت الاستاذ اباعلى الدقاق رحمه الله يفرق بين الشوق والاشتياق ويقول الشوق يسكن باللقاء والرؤية) للمشتاق اليه (والاشتياق لا يزول باللقاء) له (وفى معناه انشدوا ما يرجع الطرف عنه عند رؤيته * حتى يعود اليه الطرف مشتاقا) فذو الاشتياق لا تكفيه الرؤية واللقاء مرة واحدة بخلاف ذى الشوق (سمعت الشيخ ١٠٧ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت النصراباذى يقول للخلق كلهم مقام الشوق) يناله كثير من السالكين (وليس لهم مقام الاشتياق ومن دخل فى حال الاشتياق هام فيه حتى لا يرى له أثر ولا قرار) لاشتغاله عن نفسه بالكلية بما هو مستغرق فيه من صفات الله العظيمة كالكمال والجلال (وقيل جاء احمد بن حامد الاسود الى عبد الله بن منازل وقال) له (رأيت فى المنام انك تموت الى) يعنى بعد مدة (سنة فلو استعددت للخروج) من الدنيا الى الآخرة فى هذه المدة لكان خيرا لك (فقال) له (عبد الله بن منازل أجلتنا الى امد بعيد أأعيش أنا الى سنة) أشار بذلك الى محبته للقاء الله وانه مشتاق اليه والمشتاق لا يحتمل طول الاجل ثم قال له أيضا (لقد كان لى انس) وراحة (بهذا البيت الذى سمعته من هذا الثقفى يعنى أبا على رحمه الله وهو

يا من شكى شوقه من طول فرقته
اصبر لعلك تلقى من تحب غدا)

بموتك فيه وانما أنس به لما فيه من ذكر الغد المنبئ عن قرب موته المحصل لمطلوبه وفيه اشارة الى انه كان شديد الشوق الى لقاء الله تعالى بسرعة مجيء الموت الذى يلقى به من هو مشتاق اليه (وقال أبو عثمان علامة الشوق حب الموت مع الراحة) الحاصلة بتوالى النعم الدنيوية والاخروية فلا يسكن الى شئ منها بل يكون قلبه مشتاقا الى لقاء ربه اما حب الموت مع التعب والضر المنهى عنه فى خبر لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فليس هو لمحبة لقاء الله بل هو للراحة مما هو فيه من البلاء

وخرجوا عن العادة فرفضوا الحظوظ وهجروا المنام وجانبوا الكلام وزهدوا فى الكائنات وهم متفاوتون فى حرارة نار الشوق فمنهم من أقلقته لذعة الهوى وأزعجته لوعة الجوى فليس له قرار بل هو هائم فى البرارى والقفار ومنهم من سكن الخربات بقلب عامر ومنهم من جاور بقلب حى الموتى فى المقابر الى غير ذلك من الاحوال على حسب مجارى الافضال رضى الله تعالى عنهم ورضوا عنه (قوله وهو كذلك كما مر بيانه) اى لعدم الاذن فيه مع ما فيه من الابهام (قوله والاشتياق لا يزول باللقاء) أى لان صاحبه دائما فى ظمأ لا يروى (قوله ما يرجع الطرف الخ) محصله ان المحبة لا تجامع مللا ولا سآمة (قوله مرة واحدة) أى بل هو من لا يقنع بالتكرار (قوله للخلق كلهم الخ) مراده بالكل الاكثر كما ذكره الشارح (قوله وليس لهم مقام الاشتياق) أى بل هو للعارفين منهم (قوله هام فيه الخ) أى هام هياما حسن لديه فيه الخلاء عن المألوف والمعتاد وحبب اليه فيه الوحدة والانفراد ولذلك قيل التهتك للعاشقين افضل من تنسك الناسكين وكشف النقاب اشهى للمشتاق من لبس الثياب ولله در من قال

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر * ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر
وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(قوله فقال له عبد الله الخ) اعلم انك ان وجدت مشام روح الانس قد هب عليها من رياض ربيع الكرم عند ذكر الحبيب الاعظم فهو من جناب الابدية كرك التزام شرط بيعة المحبة فيحرك شمائل العهد القديم فتضرم فى سويداء القلب نار اسف المهجور لوحشة الانقطاع وتتوقد فى صميم السر جمرة حرقة المحجوب بفرقة المحبوب فينادى لسان هيمان وجد فاقد الاحبة

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * ويحلو له مر المنايا ويعذب

هذا ما أشار اليه وعول بما ذكره عليه فافهم (قوله فقال له عبد الله الخ) فيه دلالة على كماله وقوة رجائه فى جميل فعل الحق لمن أحسن ظنه به فتأمل (قوله يا من شكى شوقه) أى شكى سبب اشتياقه من فراق أحبته وقوله اصبر أى احبس نفسك على الرضا بما يجريه الحق تعالى من أحكامه التى لا تخلو عن حكمة لعل صبرك يثمر لك ان تلقى أحبتك عن قريب من الزمان (قوله علامة الشوق حب الموت) أى حب ما يسهل سبيله من أعمال البر والخير وان نفر بحسب طبعه من نفس الموت فالمراد عدم النفرة من الموت باعتبار تهيئته الى لقاء ربه بدوام جده فى طاعة مولاه (قوله مع الراحة الخ) أفاد بهذا القيد

(وقال يحيى بن معاذ علامة الشوق فطام الجوارح عن الشهوات) بان يعرض العبد عنها شوقا الى ربه كما يعرض الطفل عن اللبن حين يطيب له الطعام ويشتاق اليه (سمعت الاستاذ ابا على) الدقاق (يقول خرج داود عليه السلام يوما الى بعض الصحارى منفردا) من الخلق (فاوحى الله اليه مالى ارك يا داود وحدانيا فقال الهى) قد (استأثر الشوق الى لقائك على قلبى فحال بينى و بين صحبة الخلق فاوحى الله سبحانه اليه ارجع اليهم فانك ان أتيتنى بعبد) منهم (آبق أثبتك فى اللوح المحفوظ جهبذا) اى نقادا عارفا بالجيد والردى وفى نسخة شهيدا واشار بذلك ١٠٨ الى ان من كملت قوته ومحبته لله لزهادته فى الدنيا فالاولى له الرجوع الى الخلق فانه ينفعهم ولا يتضرر بهم فى آخرته فلا يليق به الهروب منهم وبذلك كان العلماء ورثة الانبياء وخلفاء الله فى أرضه لانهم وسايط بينه وبين عباده ومن كان ضعيفا فالهرب والشغل بما كلفه به ربه أولى به (وقيل كانت عجوز قدم بعض أقاربها من السفر وأظهر قومها السرور) بقدومه (والعجوز تبكى فقيل لها ما يبكيك فقالت ذكرنى قدوم هذا الفتى) باختلاف أحوال الناس بسبب قدومه (يوم القدوم) أى قدومهم (على الله) واختلافهم فى أحوالهم من مسرور ومحزون ومناسبة ذكر هذه الحكاية فى هذا الباب ان اظهار سرور المذكورين لقدوم هذا المسافر يدل على شوقهم الى لقائه (وسئل ابن عطاء عن الشوق فقال) هو (احتراق الاحشاء) جمع حشا وهو ما انضمت عليه الضلوع (وتلهب القلوب وتقطع الاكباد) من المشتاق على المشتاق اليه لشدة التقائه (وسئل) أيضا (الشوق اعلى ام المحبة فقال المحبة لان الشوق منها يتولد) وهذا يختلف باختلاف المقصد فمن نظر الى انها النعمة سببه فاعتنى بها لتحصيله جعلها أعلى ومن نظر الى انه يتلوها ويترتب عليها اقربا الى الله تعالى جعله أعلى فالافضلية فى حق الطالب انما تكون بالنسبة الى مقصوده (وقال بعضهم الشوق لهيب ينشأ بين اثناء الحشا يسنح) أى يظهر (عن الفرقة) بين المشتاق والمشتاق اليه (فاذا وقع اللقاء) بينهما (طفئ) اللهيب (واذا كان الغالب على الاسرار مشاهدة المحبوب لم يطرقها الشوق) لانه انما يكون لغائب كما ذكره بقوله (وقيل لبعضهم هل تشتاق) الى الله (فقال لا انما الشوق الى غائب وهو) تعالى (حاضر)

ان محل النهى عن تمنى الموت الوارد فى الخبر الشريف فيما اذا كان مع غير الراحة بل مع التعب والضرر كما أشار اليه الشارح نفعنا الله به ومحله أيضا اذا لم يكن لخوف فتنة دينية امامه فلا كراهة فيه (قوله الشوق فطام الجوارح) أى لان المحبة تستدعى الموافقة للحبيب والشوق اقوى فى هذا منها والله أعلم (قوله فاوحى الله اليه الخ) محصله ان اشتغال العبد الكامل بارشاد الغير أفضل من تبتله فى العبادة ويشهد له خبر لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (قوله فالاولى له الرجوع الى الخلق) أى لاجل التخلق بالاخلاق المحمدية والعادات الاحمدية (قوله وبذلك) أى بالرجوع الى الخلق لهدايتهم ودلالتهم كان العلماء ورثة الانبياء أى نوابهم فى مثل هذا العمل والله أعلم (قوله ومن كان ضعيفا الخ) أى وعليه يحمل أحاديث ايثار العزلة (قوله فقال هو احتراق الاحشاء الخ) أقول وسبب ذلك الهبة الاصلية والعناية الازلية فهو بهذا الاعتبار غير مكتسب لتقدمه فى التقدير والعلم القديم بالحكمة الباهرة قبل تجلى أخذ الميثاق اذ العاشق والمشتاق كان موجودا باعتبار تعلق العلم الازلى قبل بروزه منه الى اللوح المحفوظ وعالم المثال وعالم الخلق الجديد فان الاشياء باسرها كانت غيبا ثم برزت الى غيب شهادى ثم الى شهادة شهادية فبروزها الى اللوح غيب شهادى لانه غيب باعتبار ثم بروزها منه الى عالم المثال شهادة باعتبار وغيبة باعتبار حتى ينتهى الى عالم الشهادة والخلق الجديد فعالم الامر هو الوجود فى الغيب وتعينه فيه ومنه الى اللوح ومنه الى المثال ومنه الى الخلق الجديد فافهم ولا تقلد من لا يعلم (قوله هو احتراق) أى يلهب نار المحبة وقوله وتلهب اى بزيادة نيران المحبة وقوله وتقطع الاكباد اى تفتتها وذوبانها بهذه النيران (قوله وسئل أيضا) محصله قولان لكل منهما وجه عند قائله فمن ذهب الى ان المحبة أصل والشوق فرع قال ان المحبة أفضل ومن نظر الى ان الشوق يتلوها وفوقها فى الدرجة قال ان الشوق افضل فلكل وجهة هو موليها والله أعلم (قوله الشوق لهيب ينشأ الخ) أقول منه يعلم ان الشوق لا يكون الا لمن شاهد المحبوب ثم ثبت له حجاب وانه لا يكون لمن دام له الشهود ولم يذق طعم الغفلة وهو كذلك اذ مثله يتنزه عن الاشواق لانه دائما فى حظائر التلاق (قوله فقال لا انما الشوق الخ) اعلم ان مثل هذا المقام حجابه فساد القلوب من حب الدنيا وفساد

النيـــة من الحرص والطمع واتباع الهوى وفساد الارواح من حب البقاء وطول الامل فلهذا يجب الزهـد فى النفس لانها محل العلل وذلك يحصل بقتل النفس بسـيف الصدق وطرحهـا فى قبر الانقطاع ودفنها فى أرض ترك التـدبير وتلقى مايرد من القضاء بالرضا والتسليم والانس بخبر الله والسكون الى حكمة الله وبالله تعالى التوفيق (قوله وهو ان تعبد الله الخ) أى وهو مقام الاحسان المشار اليه فى الخبر الوارد فيـه (قوله وعجلت اليك رب لترضى) الغرض منه افادة ان عجلته لامر مرضى له تعالى بمسارعتـه لامر ربه واعتنائه بالوفاء بعهده وزيادة رب لمزيد الضراعة والابتهال رغبـة فى قبول عـذره الذى تقدمت اشارته اليه بقوله قال هم أولاء على أثرى يعنى انهم معى وانما سبقتهم بخطا يسيرة ظننت انها لاتخل بالمعية ولا تقدح فى الاستصحاب حيث ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقة اصـلا مجيبا به عن قوله عز عـلاه وما أعجلك عن قومك ياموسى مع أمرك باستصحاب قومك (قوله اى زيادة على رضاك) أى والا فهو تعالى راض عنـه من قبل (قوله تمنى الموت على بساط العوافى) اى لا للراحة مما نزل من الاسقام والامراض وطوارق الفتن والمعنى الاسـتعداد لذلك بالموافقات والمتابعات والجد فى الطاعات حتى بواسطة التمكن من ذلك كله لا يبعد ان يتمنى الموت والا فتمنيه بالفعل لغير خوف فتنة مكروه بحكم الشرع لما فى البقاء مع التوفيق من زيادة الاجور والله أعلم (قوله لم يتغير ولم يتمن الموت الخ) أى لان مقام الصبر من جملة مقاماته وكسوة الرضا من محاسن عاداته عليه الصلاة والسلام (قوله وتم له الملك الخ) أى حيث فهم من ذلك قرب الرحيل ولذلك قيل

اذا تم شئ بدا نقصه ✽ توقع زوالا اذا قيل تم

(قوله لارتفاع همتـه الخ) اشارة مع رقة العبارة وهى قال معشوق الارواح ومحبوب القلوب وغاية آمال الطالبين مشـيرا الى صفوته من خلقه فسوف يأتى الله بقوم يحبهـم ويحبونه اى حيث كانوا انيا ما فى مراقد العـدم رقودا فى مهود الغيوب نشـة فى كهوف الكرم فاستخرج ذرات ذواتهم سبائك القدر من اجزاء الطين واذهب غشها بنار الاصطفاء ونقش عليها صانع المواهب سطر يحبهم وقال عنهم وهـم فى طى العـدم ويحبونه فهذا حديث منطق الطير لا يفهمه الا سليم الذوق أقول فى توضيحه وبيان مكنونه والله الهادى الى الحق والمؤيد بالصدق يعنى انهم بعـد ما كانوا رقودا تحت ظلال شجر كن قد نبههـم مؤذن القدر بهبوب نسيم فيكون فاشرقت ظلمة الدنيا بأضواء شموع وجودهـم وسكنت نفوسهم قصور الصور فاختلط صفاؤها بكدر ظلمـة العنصرية وحلت الارواح محـل الغريب من البلد فاشتاقت الى ما أشرقت به من جناب القدم وحنت الى ما انست به من مواطن القدس وطال عليها التنقل فى الفوق والتحت فاصبحت ذرات ذواتهم هباء طائرا فى فضاء الغرام فلما خرجوا الى سعة ميدان القرب البست يد العناية كلا منهم ما قدر له من خلع الحب وعقـد لخواصهم فى خلوة الانس الوية يحبهم ويحبونه ونصب لقدومهم اسرة

هذه طريقة رفيعة وأصلها جمع الهم على الله ودوام الاقبال عليه وهو ان تعبـد الله كانك تراه فهو بذلك حاضر معه ولا يمكنه الشوق الى حاصل نعم اذا كان فى درجـة وفوقها اعلى منهـا أمكن الشوق الى المقام الاعلى (سمعت الاستاذ أبا على) الدقاق (رحمه الله يقول فى قوله تعـالى وعجلت اليـك رب لترضى) اى زيادة على رضاك (قال) زائد (معناه) عجلت اليك (شوقا) وفى نسخة شوق (اليك فستره) أى الشوق (بلفظ الرضا) المؤول بما ذكر (وسمعته) أيضـا (يقول من عـلامات الشوق تمنى الموت على بساط العوافى) جمع عافية هـذا كقول أبى عثمان فيما مر حب الموت مع الراحـة وتقدم بيانه ومثل ذلك بقوله (كيوسف عليه السـلام لما ألقى فى الجب لم يقـل توفنى ولما أدخـل السجن لم يقل توفنى) أى لما ابتلى برمى اخوته له فى الجب وبيعهم له وما جرى له مع امرأة العزيز وادخاله السجن وطول مكثه فيـه وغيرها لم يتغير ولم يتمن الموت مع هـذه الشدائد (ولما دخل عليه أبواه وخر الاخوة له سجدا) واعترفوا بخطئهم وعجزهم وقالوا له جئناك ببضاعـة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصـدق علينا (وتم له الملك والنعم قال توفنى مسلما) والحقنى بالصالحين لارتفاع همته الى الله تعـالى واشتياقه الى لقائه بما ناله من ذلك

(وفى معناه أنشد بعضهم
نحن فى أكمل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور عيب مانحن فيه) أى عيب
مانلناه (يا أهل ودى *) أى حبى
(انكم غيب ونحن حضور) فلو
حضرتم معنا انتفى العيب (وفى
معناه) أيضا (انشدوا
من سره العيد الجديد *
تم سروره وا كتفى به واما أنا (فقد
عدمت به) أى فيه (السرورا)
وانما (كان السرور يتم لى * لو كان
احبابى حضورا وقال ابن خفيف
الشوق ارتياح القلب بالوجد
ومحبة اللقاء) لله (بالقرب) منه
وبذلك يقوى اشتغالهم بربهم
وبما يجريه على قلوبهم حتى
يشتغلوا عن أنفسهم (و) لذلك
(قال أبو يزيد) البسطامى (ان
لله تعالى عبادا لو حجبهم فى الجنة
عن رؤيته لاستغاثوا من الجنة
كما يستغيث أهل النار من النار)
لشدة تألمهم بذلك (أخبرنا محمد
ابن عبد الله الصوفى رحمه الله قال
حدثنا ابو العباس الهاشمى
بالبيضاء قال حدثنا محمد بن عبد
الله الخزاعى قال حدثنا عبد الله
الانصارى قال سمعت الحسين
الانصارى يقول رأيت فى النوم
كأن القيامة قد قامت وشخص
قائم تحت العرش فيقول الحق
سبحانه يا ملائكتى من هذا)
القائم (فقالوا الله اعلم فقال هذا
معروف الكرخى سكر من حبى)
لشدة شوقه الى (فلا يفيق) من
سكرته (الا بلقائى وفى بعض الحكايات فى مثل هذا المنام انه قيل هذا معروف الكرخى خرج من الدنيا انه
مشتاقا الى الله تعالى فاباح الله تعالى له النظر اليه

العز على ساحل بحر وسارعوا وأمر كاتب ديوان الازل ان يسجل لهم سجل السعادة الكبرى ويجعل ختم كتابه والله يدعوا الى دار السلام وعنوان خطابه فاتبعونى يحببكم الله ويبعثه مع بريد على جواد قد جاءكم من الله نور فيا هذا سر الاسرار ينصب فى سرادقات الاطوار الطينية وهى تلحظ بعيون اليقين نقطة التوحيد وهى قاعدة بناء الوجود هو الاول والآخرة والظاهر والباطن ان كنت معنا فمعنا وان لم تكن معنا فدعنا أو سلم الامر تسلم والرب بالحال أعلم (قوله نحن فى أكمل السرور الخ) أى غرادة التحدث بنعم الله تعالى عليه حيث اقامه فى اداء ما طلب منه من امر الدين غير انه أشار الى ان سروره لم يتم الا بحضوره وعدم غفلته فى أحوال عبادته حضورا ومراقبة لم يكن معهما غفلة ولا فترة وذلك غير واقع له بسبب ما يغلب عليه من أحوال البشرية التى قل ان يخلو عنها احد مع ان حق عبادة الحق ان تقع مع الاستغراق وعدم الالتفات الى السوى فى وقت ما من الاوقات والله أعلم (قوله عيب ما نحن فيه) أى من النقص الذى نحن متلبسون به فى أنواع العبادة وفنون الطاعة يا أهل ودى اى يا اصحاب محبتى الخالصة عن غالب الكدورات البشرية انكم غيب عن لحظ قلبى دائما بل حضوركم فى وقت دون وقت وفى حال دون حال ونحن حضور على معنى اننا قائمون بخدمتكم التى لم تكمل لنا بالمراقبة لكم الدائمة (قوله من سره العيد الخ) معناه قريب مما قبله فلا داعى الى تكرار الكلام فيه (قوله الشوق ارتياح القلب بالوجد) أى وجود راحة القلب بتحقق وجده ومحبة لقاء ربه بدوام توفيقه الى ما يقربه من رحمة ربه فيكون اشتغاله بذلك منسيا حظ النفس بالكلية (قوله ولذلك قال أبو يزيد الخ) اعلم وفقنى الله تعالى واياك ان المحبة والشوق انما هما لارباب التجلى الظاهرى واهل التجلى الباطنى واهل مقام جمع الجمع بينهما فى مقام قاب قوسين فيكون حجابا على الذات اما صاحب مقام احدية الجمع او ادنى والمرتبة الادنى فيرى عين الذات اما الاول فبحكم فاحببت ان اعرف واما الثانى فبحكم كان الله ولا شئ معه يقول بلسان الترجمان فارقت الحب الذى هو صفة وحجاب لتحقيق بالحب الذاتى قلت فعلى هذا كليات المعارج ثلاثة الاول من ظاهر الوجود والثانى من قيد روحية الروح وخلقتها الى اطلاق باطن الوجود والثالث من قيد كثرة حكم الظهور والبطون الى اطلاق جمع الهوية بينهما المعبر عنه بمقام قاب قوسين ومقام أو أدنى فافهم ولا تعول على من لم يعلم والله أعلم (قوله ان لله تعالى عبادا الخ) أى عبادا قد أخلصوا له المحبة واستغرقوا فيها ولم يلتفتوا الى الغير اصلا والله أعلم (قوله لاستغاثوا الخ) أى لان غاية مطلوبهم مشاهدة الذات العلية راضية عنهم (قوله سكر من حبى) اى غاب عن سائر الكائنات من أجل استغراقه فى محبتى (قوله فلا يفيق الخ) أى لان لقاء الله ومشاهدته غاية مقصده ونهاية مأربه رضى الله عنه (قوله فاباح الخ) اى جزاء وفاقا لان حق المحب

وقال فارس قلوب المشتاقين) الى الله (منورة بنور الله تعالى فاذا تحركت اشتياقهم) اليه (أضاء النور ما) زائدة (بين السماء والارض فيعرضهم الله على الملائكة فيقول) لهم (هؤلاء المشتاقون الى أشهدكم انى اليهم أشوق) أى احب لما مر انه تعالى لا يوصف بالشوق فوصفه به هنا مجاز على سبيل المشاكلة (سمعت الاستاذ أبا على) الدقاق (رحمه الله يقول فى قوله صلى الله عليه وسلم أسألك الشوق الى لقائك قال) زائد (كان الشوق مائة جزء) منها ١١١ (تسعة وتسعون له) صلى الله عليه وسلم (و) الباقى

انه يحب و يبلغ مقام المحبوبين (قوله منورة) أى بالنور المعنوى وقوله بنور الله أى الحاصل فى معرفة الله تعالى الشبيه بالنور المحسوس (قوله أضاء النور الخ) أى بحيث لو خرج ذلك النور وتكون لاضاء الخ (قوله فيعرضهم الله) أى وذلك لاظهار شرفهم فى الملا الاعلى (قوله أشهدكم انى الخ) المراد المجازاة بأفضل مما يجازى به غيرهم ممن لم يبلغ مقامهم (قوله تسعة وتسعون له الخ) اى وهكذا يكون شربه صلى الله عليه وسلم فى كل مقام على ان التعبير بمثل ذلك فى حقه صلى الله عليه وسلم لاجل التقريب للعقول والافلا يعلم ما خصه صلى الله عليه وسلم غيره من اعطاه وأرباب الهمم العالية انما تدرك من ذلك على حسب استعدادها والله أعلم (قوله وقيل شوق اهل العرب أتم) اى ولهذا قيل ان من ذاق عرف ومن وصل الى البحر اغترف وقد قيل

لا يعلم الشوق الا من يكابده ✱ ولا الصبابة الا من يعانيها

(قوله اذا دنت الخيام الخ) اى وذلك لان المشتاق يزداد ظمأ وعطشا بالقرب من المحبوب حيث لا يقنع بشئ منه ولا باللقاء والله اعلم (قوله يتحسون حلاوة الموت) التحسى هو الشرب بجمع الكف ويحتمل ان المراد به حقيقة الموت كما مشى عليه الشارح ويحتمل ان المراد به موت النفس الحيوانية الشهوانية والخروج من قيد العادات الى فضاء المعارف والمشاهدات اذ فى ذلك وصولهم الى الشهود بعد انقطاعهم عن المعهود (قوله احلى من الشهد الخ) التعبير به للتقريب بالمألوفات والافلا نسبة ولا مناسبة (قوله لم يجد من السيف الما) أى وذلك لاجل استغراقه فى بحور اشواقه (قوله الشوق أجل مقام للعارف) أى لانه يتلو المحبة اذا تمكنت من قلب المحب فهو به يخرج عن اللذة المقيدة بقيد التركيب الى فضاء الادراك فيكون حينئذ لكل عضو من كل لذة شرب ونصيب فلا تختص العين بلذة المرئيات ولا الاذن بلذة المسموعات وكله من قبيل خرق العادات (قوله واذا تحقق وتمكن فى الشوق لهى) أى ولذلك أشار ابن الفارض قدس الله سره العزيز حيث هو يقول

آمت امامى فى الحقيقة فالورى ✱ ورائى وكانت حيث وجهت وجهتى

أو يقول

بجمالكم نصب عينى ✱ اليه وجهت كلى
وسركم فى ضميرى ✱ والقلب طور التجلى

وذلك منه رضى الله تعالى عنه اشارة للاقتداء بالخليل حيث قال لجبريل اما اليك فلا لانه

جزء متفرق فى الناس) لانه صلى الله عليه وسلم أكمل الناس محبة وشوقا لله (فاراد ان يكون ذلك الجزء) أيضا (له فغار ان تكون شظية) أى فلقة (من الشوق لغيره) لعدم صلاحية غيره لنيل كمال الشوق (وقيل شوق أهل القرب أتم من شوق المحجوبين) عنه لان من نال منه شيأ طلب الزيادة منه بخلاف المحجوب عنه فانه اذا فتح الله عليه بشئ منه قنع به (ولهذا قيل وابرح) أى أشق (ما يكون الشوق يوما ✱ اذا دنت الخيام من الخيام) بخلاف ما اذا بعدت (وقيل ان المشتاقين يتحسون حلاوة الموت عند وروده لما قد كشف لهم من روح الوصول) بفتح الراء أى راحته (احلى من الشهد) لان العبد اذا كمل اشتياقه للقاء ربه لم يقم لاشتياقه شئ ويؤيده خبر لا يجد الشهيد من ألم القتل فى سبيل الله الا كما يجد من القرصة فانه لما كمل شوقه من الحب للقاء حبه لم يجد من السيف الما (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت جعفرا يقول سمعت الجنيد

يقول سمعت السرى) السقطى (يقول الشوق أجل مقام للعارف) بالله (اذا تحقق) وتمكن (فيه) أى غلب على قلبه وصار به حقيقة وحالا (واذا تحقق) وتمكن (فى الشوق لهى) وفى نسخة كنى بالبنا للمفعول (عن كل شئ يشغله عمن يشتاق اليه) هذا يؤيد ما مر من انه اذا كمل المحب فى محبته وتوالت عليه ثمراتها اشتغل بمحبوبه عن غيره حتى نفسه

والشوق من ثمرات المحبة (وقال أبو عثمان الحيرى فى) تفسير (قوله عز وجل فان أجل الله لآت هذا تعريض للمشتاقين معناه
انى أعلم ان اشتياقكم الىّ غالب وأنا اجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم الى من تشتاقون اليه) لان كل آت قريب
ولولا انى اقبلهم لما وقت لهم أجلا لا يجل للمشتاقين لقاءه (وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام قل لشبان بنى اسرائيل لم
تشغلون أنفسكم بغيرى وأنا مشتاق اليكم) ١١٣ أى محب لكم (ماهذا الجفاء) فانه غير لائق (وقيل أوحى الله) تعالى
أيضا (الى داود عليه السلام لو
يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى
لهم ورفقى بهم وشوقى الى ترك
معاصيهم لماتوا شوقا الىّ
وانقطعت أوصالهم من محبتى
ياداود هذه ارادتى للمدبرين عنى
فكيف ارادتى للمقبلين الىّ)
وفى نسخة علىّ (وقيل مكتوب فى
التوراة شوقناكم فلم تشتاقوا
وخوفناكم فلم تخافوا ونحنا لكم
فلم تنوحوا) لم تختلف الشرائع
فى الترغيب والترهيب ويكفى فى
ذلك مافى الكتاب العزيز من بيان
درجات المقربين وما أعد لهم
وبيان دركات العصاة وما أعد
لهم وكيف أهلكهم فى الدنيا
بأنواع العذاب من الريح والصيحة
والحجارة وغيرها فكل ما يتعلق
بالترغيب والترهيب مقطوع به لم
تختلف فيه الشرائع ولهذا قال
تعالى فى كتابه العزيز بعد ذكر
الجنة والنار وأمر الدنيا والآخرة
ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم
وموسى (سمعت الاستاذ أبا على)
الدقاق (رحمه الله يقول بكى شعيب
عليه السلام حتى عمى فرد الله
بصره عليه ثم بكى حتى عمى فرد الله بصره عليه ثم بكى حتى عمى فاوحى الله تعالى اليه ان كان هذا البكاء فالمعرفة
لاجل الجنة فقد أبحتها لك وان كان لاجل النار فقد أجرتك منها فقال لا بل شوقا اليك فاوحى الله تعالى اليه لاجل ذلك أخدمتك
نبيي وكليمي) موسى عليه السلام (عشر سنين) فى رعاية غنمك فيه دلالة على ان منزلة الشوق الى الله رفيعة وانها لا تعطى الا لخواصه
وان الشوق اليه بحسب المعرفة بكماله وجلاله وجماله فان عظمت المعرفة بذلك فى القلب زاد فيه الالم وتوقد الاشتياق فى محبة اللقاء

قد ترك الورى بأسره خلف ظهره فلم يقصد ويتوجه الا الى مولاه فقد قصر قصده عليه ورجع فى كل شئ اليه والله أعلم (قوله والشوق من ثمرات المحبة) أى لانه يتلوها ويتفرع عنها وينشأ من تمكنها (قوله هذا تعريض الخ) أى تعريض قصد به تعليلهم وراحتهم بتقريب منتظرهم كما تعلل الوالدة ولدها ليلهو وينام والله أعلم (قوله لعجل للمشتاقين لقاءه) أى لراحتهم من تعب فراق محبوبهم (قوله لم تشغلون أنفسكم بغيرى) أى سفها وجهلا وغفلة عن المقصود الحق مع الاشتغال باللهو الباطل (قوله وأنا مشتاق اليكم) اى على معنى المحسن أو مريد الاحسان لكم والله أعلم (قوله ماهذا الجفاء) أى الاعراض عن العبادة وفنون الطاعة فانه غير لائق أى غير لائق فى معاملة العظيم جل جلاله (قوله لو يعلم المدبرون عنى) أى المعرضون عن اجابة رسلى فيما دعوتهم اليه من التوحيد والطاعة كيف انتظارى لهم أى على معنى ما اعددت لهم من الاكرام لو أقبلوا على طاعتى وعبادتى وقوله لماتوا شوقا أى لاداهم علم ذلك الى الموت المذكور (قوله هذه ارادتى للمدبرين) أى هذا ما أحببته لهم وارضاه لهم (قوله شوقناكم فلم تشتاقوا) أى رغبناكم فى محبتنا وطاعتنا وصدق الاعمال لنا بوعد الصدق وقول الحق فلم تشتاقوا بل دمتم على النفرة والاعراض والعقوق وخوفناكم أى بوعيدنا كذلك فلم تنتهوا بل دمتم على غفلاتكم وشهواتكم (قوله ونحنا لكم) أى خلقنا لكم أسباب النوح والبكاء على تقصيركم فلم يقع منكم نوح ولا اتعاظ (قوله من بيان درجات المقربين) أى منازلهم الرفيعة وقوله وما أعد لهم أى من النعيم المقيم وقوله وبيان دركات العصاة اى منازلهم فى محل العذاب الاليم والعياذ بالله تعالى (قوله ان هذا لفى الصحف الاولى) الاشارة الى ماذكر من قوله تعالى قد أفلح من تزكى وقيل الى مافى التوراة جميعا وقوله صحف ابراهيم وموسى بدل من الصحف الاولى وفى ابهامه ووصفها ثم بيانها وتفسيرها من الفخامة مالا يخفى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزل على ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد والله أعلم (قوله ان هذا لفى الصحف الاولى) أى بجميعه من الشرائع القديمة وقد قررته شريعة الخاتم صلى الله عليه وسلم (قوله لاجل ذلك أخدمتك الخ) أى ومثل هذا لا يكون الا من أجل عظم الشوق لان فضيلة الجزاء تدل على عظم المجازى عليه (قوله وان الشوق اليه الخ) أى

(وقيل من اشتاق الى الله اشتاق اليه كل شئ وفى الخبر اشتاقت الجنة الى ثلاثة على وعمار وسلمان) رضى الله عنهم لاشتياقهم اليه تعالى (سمعت الاستاذ اباعلى) الدقاق (رحمه الله يقول قال بعض المشايخ انا ادخل السوق والاشياء) من الفواكه وغيرها (تشتاق الىّ وانا عن جميعها حر) لم يسترقنى منها شئ فلم التفت اليها زهدا فيها وذلك لان من شرفه الله وعظمه عرف جميع الخلق منزلته عند ربه وشرفوه وعظموه وتشتاق كل الأشياء اليه من خرق العوائد وقد كان الشجر والحجر يسلمان على النبى صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه وحن الجذع اليه وسبح الحصى فى كفه وكف اصحابه (سمعت الشيخ اباعبدالرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت عبدالله بن جعفر يقول سمعت محمد بن عمر الرملى يقول حدثنا محمد بن جعفر قال حدثنا اسحاق بن ابراهيم قال حدثنا مرحوم قال سمعت مالك ابن دينار يقول قرأت فى التوراة شوّقنا كم فلم تشتاقوا وزمرنا لكم) اى خلقنا لكم على لسان داود عليه السلام من الاصوات الحسنة مايحرك الجبال بل مات بوعظه للناس خلق كثير من الجن والانس والطير والوحش (فلم ترقصوا) ولم تتحركوا وحاصله ان الله وعظهم وحركهم الى الرجوع اليه وطلب مرضاته فلم يتحركوا (سمعت محمد بن عبدالله الصوفى يقول سمعت محمد بن فرحان يقول سمعت الجنيد وقد سئل من اىّ شئ يكون بكاء المحب اذا لقى المحبوب فقال انما يكون ذلك سرورا به ووجدا من شدة الشوق اليه) فالبكاء يكون عند الفرح والسرور كما يكون عند الالم والمصائب (ولقد بلغنى ان اخوين تعانقا فقال احدهما واشوقاه وقال الآخر واوجداه) صرح كل منهما بما وجده من السرور بأخيه فانطفى باللقاء ما كان يجده الاول من الشوق وزال به ما كان يجده الثانى من الوجد

واعلم ان الشوق مراتب اولها استحسان وينشأ عن النظر والسماع ثم مودة وهى الميل وينشأ عن دوام الفكر فى محاسن الحبيب ثم محبة وهى ائتلاف روحانى ثم خلة وهى تمكن المحبة فى القلب ثم هوى وهو ان لايخالط الحب فى المحبة تغير ولايداخله فيها تكدر ثم عشق وهو ان لايخلو افكره من تخيل المحبوب ثم تتيم وهو ان لايوجد فى قلبه متسع لغير صورته ثم وله وهو الخروج عن الحس فيداخله التغير فى صفاته ويعجز الاطباء عن مداواته

(باب حفظ قلوب المشايخ وترك الخلاف عليهم)

فالمعرفة سبب فى المحبة والمحبة سبب فى الشوق والله أعلم (قوله اشتاق اليه كل شئ) أى وذلك لان شأن المحب انه يحب واذا أحب الله عبدا خلق له المحبة عند كافة خلقه (قوله الى ثلاثة) أقول لعل ذلك لخصوصية علمها الشارع والا فهى مشتاقة الى كل أصحابه صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم باحسان (قوله وانا عن جميعها حر) أى لعدم تعلق قلبى بشئ غير ربى وحقه (قوله وقد كان الشجر الخ) دليل على ماقبله أى وكلما صح ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولىّ (قوله فلم ترقصوا) أى لم ترقص أرواحكم على معنى انها لم تتحرك شوقا الى الله وحقه (قوله وقد سئل الخ) أى ولذلك قيل * ما للنوى ذنب ومن أهوى معى * (قوله فانطفى باللقاء الخ) أى لان دوام الشوق لايكون الا من عدم لقاء المحبوب (قوله واعلم ان للشوق مراتب) أى أعلى واوسط وادنى باعتبار انتهاء الامر ووسطه وأدناه (قوله وهى الميل) أى ميل القلب الى المحبوب (قوله وينشأ عن دوام الفكر فى محاسن الحبيب) أى بكثرة خطورها بفكر المحب (قوله وهى تمكن المحبة فى القلب) أى حتى يسهل بذل النفس فى مرضاة المحبوب (قوله وهو ان لايخلو فكره) أى وذلك لتمكن الصورة وانتقاشها فى قلب المحبوب (قوله وهو ان لايوجد فى قلبه متسع) أى لامتلاء قلبه بالمحبوب به من الحق والشواهد *(خاتمة)* نسأل الله حسنها اعلم ان من علامات المحبين رضى الله تعالى عنهم ملازمة ماعزموا على القيام به أو تركه لمحبوبهم فافعلوه داموا عليه وماتركوه كذلك فهم مثابون دائما وأبدا على كل من الفعل والترك بحسن مقاصدهم حيث كان ذلك للحق تعالى ويشمل ذلك ترك الطيبات من الشهوات المباحة بحسب الاصل اذا كان يقصد تركها لمجاهدة النفس والخروج عن هواها التصير طاعة يتقرب بها اليه تعالى فاذا أراد الكامل دوام الخير له فى كامل مايتركه يقصد بتركه التقرب اليه تعالى اما اذا تركه مع الغفلة عن ذلك فلا اجر له فى الترك والله سبحانه وتعالى أعلم

(باب حفظ قلوب المشايخ)

اعلم انه الآن حدث البلوى بمخلطين يتشبهون بالمشايخ وأهل الارادة كثرت بهم المفاسد وتبعهم زمر من العوام بواسطة عموم الجهالة وعدم المساعد على احقاق الحق وابطال الباطل فيلزم ان انشير من ذلك الى شئ يستدل به على ما عداه والله المستعان فمنهم من يدعى الدين والصلاح وانه من أهل الوصول ويأتى بحكايات من تقدم من الاكابر ويطرز بها كلامه وهو مع ذلك يشير الى نفسه وان عنده من ذلك طرفا وانه حاصل له من ذلك حاصل ومنهم من له قوة على تصنيف الحكايات والمرائى التى يختلقها ولاسيما ما ابتلى به بعضهم من دعواه رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام وانه أقبل عليه وخاطبه وأمره ونهاه بل ربما يدعى رؤيته فى اليقظة مع ان هذا باب ضيق وقل ان يقع الالمن كان على صفة عزيز وجودها فى هذا الزمان بل العدم فيه أقرب مع انى لاأنكر ذلك لبعض الاكابر الذين حفظ الله ظواهرهم وبواطنهم قال سيدى أبو مدين رحمه الله من مات رأى الحق ومن لم يمت لم يره ومراده موت الحظوظ والله أعلم بالصواب وهو المؤمل فى الثواب ومنهم من يشير الى نفسه بالكرامات وخرق العادات وهو عرى عنها بالاتصاف بضدها ومنهم من يدعى رؤية المشايخ ولقيهم وهو لم يجتمع بهم ومنهم من يدعى صحبتهم والاهتداء بهديهم وهو لم يصحبهم ولاهو على طريقتهم ومنهم من يدعى رؤية الخضر وربما يؤكد ذلك باليمين الفاجرة ليكون ادعى للقبول منه وذلك تقول وافتعال لاأصل له مع انى لاأنكر ذلك اذا وقع من أهله من أرباب الصدق ومنهم من يقدم قبل قوله الاستشهاد بكتاب الله فيقول قال تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ثم يحلف انه رأى كذا وكذا والعوام والجهال عند مثل هذا التمويه يصدقونه وينزلونه المنزلة التى يدعيها اسأل الله السلامة من ذلك بمنه وكرمه وبالجملة فاحوالهم الرديئة لاتنحصر وفيما وقع التنبيه به كفاية ومقنع هذا حال المستترين منهم والعجب ممن يعتقدهم مع ما هم عليه من مخالفة الشرع الشريف مثل ما يفعله بعضهم من انه يرى الناس الزهد فى الدنيا حتى انه يجلس مكشوف العورة ومنهم من يدخل النار ولا يحترق على زعمه بمرأى من الناس وعلى فرض ان ذلك صحيح فهو بدعة ومنكر اذ من شرط المعجزة اظهارها والتحدى بها ومن شرط الكرامة عكس ذلك نعم قد يقع اظهار الكرامة لبعض الاكابر اضرورة شرعية دعت لذلك على ان هذه الأدوية اذا استعملت لايحترق الشخص معها فهى من قبيل السيمياء والنارنجيات كى يظهر الكرامة بمسك الثعابين وأكلها حية وذلك محرم وفيه ما فيه من التمويه على الامة ومن ذلك ما اشتهر من أمر الدوسة والمرور على ظهور الخلق وهم نائمون على وجوههم بالخيل فهو محرم باتفاق للخطر والبدعة ووضع الوجه الذى هو أشرف الاعضاء على الارض لغير أمر الله سبحانه وتعالى فيجب على ولاة الامور ابطال ذلك وتعزير فاعله ومنهم من استن سنة سيئة وهى حلق اللحى لغير ضرورة شرعية ومنهم من يفعل عكس ذلك فلا يأخذون شيأ من شعور أبدانهم وذلك قبيح شنيع لانه يشبه فعل الرهبان وفيه

مثلة

مثلة واعتقاد وقد نهينا عن ذلك كله ومنهم من يلبس الليف والاشياء التي لا تستر عند الركوع والسجود مثل الشعر وهو أيضا من المثلة والبدعة وكشف العورة وكله من المحرم وأقبح من ذلك لبس الحديد فيتخذ سوارا في يديه وطوقا من حديد كالغل بل هو نفسه ويعلقون في آذانهم حلقا من حديد ولا خفاء في تحريم هذا كله وبدعته وشناعته وقبحه وانه لا مدخل له في الشرع الشريف وقد ورد ان الحديد حلية أهل النار وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم فيقعون في هذا الخطر العظيم بسبب الجهل والجهل بالجهل وأشد من هذا كله ان أكثرهم يدعي انه على الحق وان طريقته هي المثلى ومنهم من تنزه عن ذلك غير انه وقع في أشياء رذلة كاتخاذه العلم على رأسه مع انه لا يخلو حاله من كونه وليا لله أولا فان كان وليا فهو لو قدر على ان يدفن نفسه أو يكون أرضا يمشي عليه لفعل فكيف ينشر العلم على رأسه وهو من باب الشهرة والدعوى وأهل الايمان برآء من ذلك الا ترى الى قول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لتميم الداري رضي الله عنه لما سأله ان يعظ الناس فقال له أنت تريد ان تقول انا تميم الداري فاعرفوني فكل من أراد الظهور فليس من أهل الطريق في شيء بل هو على عكس حالهم مع ما ينضم الى الاعلام من المفاسد التي تقع من اجتماع الرجال والنساء والشبان اذا أشرفوا على بلد من البلاد ورفعوا أصواتهم بالذكر بقصد الاعلام بورود الشيخ والفقراء الذين معه حتى تخرج أهل البلد الى تلقيهم وفي ذلك من مخالفة الشرع ما لا يخفى خصوصا وقد يضر نزوله باهل البلد ومن معه من الفقراء باحضار ما لا طاقة لهم به من الاطعمة والاشربة وغيرها مما لا تسمح به أنفسهم ومفاسد ذلك قل ان تحصر وقد يزيد بعض المشايخ قبحا بقوله المال مال الله ونحن عبيد الله فلا فرق بيننا وبين صاحب المال لانا شركاؤه فيه وهذا حل ونقض لعرى الشريعة المطهرة وهو بهتان عظيم والعجب العجيب ان غالب المشايخ الذين يعطون العهود للمريدين لا يحسنون الوضوء ولا الصلاة ولا غيرهما من بقية الواجبات والمندوبات مع ان من لم يأتمنه الله على أدب من آداب الشريعة بعيد ان يؤتمن على سر من أسرار الله تعالى ثم العجب من ادعائهم المشيخة وهم لا يعرفون مبادي أمر دينهم دون ان يدعي أحد منهم حالا أو مقاما فما بالك وبعضهم حاله غاية الجهل وهو مع ذلك يدعي الاحوال والمقامات ويعطي الاجازات وينصب بين يديه الاعلام والرايات فانا لله وانا اليه راجعون * ومن البدع ما يفعله بعضهم من تعليق السبحة في عنقه أو يشهرها في يده كما يفعله بعض فقراء هذا الزمان مع ان هذه الطائفة أصل عملها على التحفظ من السيئات والهواجس والخطرات وقد قالوا ان ترك السيئات أوجب من فعل الحسنات ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم اتق محارم الله تكن اعبد الناس فلا حول ولا قوة الا بالله هذا * واعلم ان المراد بالمشايخ من رفع همته عن الخلائق وامتلأ قلبه بمشاهدة الحقائق فاذا نظرت اليه وجدته مشغولا بالله واذا تكلم فاعائد لك على الله قال الشاذلي نفعنا الله به لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه

لئيم ولا من يؤثرك على نفسه فانه قلما يدوم واصحب من اذا ذكرته ذكرالله واذا رجع فالى
الله ذكره نور القلوب ومشاهدته مفاتيح الغيوب وقال ايضا رحمه الله أوصانى خليلى
فقال لا تنقل قدميك الا حيث ترجو ثواب الله ولا تجلس الا حيث تأمن معصية الله ولا
تصحب الا من تستعين به على طاعة الله ولا تصطفى لنفسك الا من تزداد به يقينا فينبغى
للمريد أن لا يتخذ شيخا الا اذا اجتمع فيه خصال احداها علمه بما يجب لله ولرسوله من
العقائد بالبراهين العقلية والسمعية حتى يقوى بذلك على ازالة التشويش والشكوك عن
المريد اذا عرض له ذلك الثانية ان يكون اعتقاده اعتقاد اهل الحق وجماعة المسلمين من
أهل السنة الثالثة ان يكون عالما باحكام الله المتعلقة بالقلوب والابدان ودقائق
الآفات الداخلة على العمال فى الاعمال الرابعة ان يكون مستعملا فيما يعلمه من
أحكام الله تعالى قائما بحدوده غير مخل بحق من حقوقه ولا مرتكب لشئ من مناهيه
المحرمة المخلة بعدالته اذ لا بد من العدالة فى صحة التقليد ثم ينبغى للمريد فيمن يقلده زيادة
اعتناء بمن تمكن فى المقامات مثل الورع والزهد وغير ذلك من بقية المقامات ليفيده الاخذ
عنه واعلم ان أصل هذا كله أخذ اكمل الكمل صلى الله عليه وسلم أولا يوم قال لست بقارئ
عن جبريل حتى رقى وارتفع الى قاب قوسين فاخذ من تيارات زواخر بحور فاوحى الى
عبده ما أوحى وقال تعالى واتبع سبيل من أناب الى وقال فبهداهم اقتده فليس شيخك
من دعاك الى الباب انما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب شيخك من خرج بك من سجن
الهوى ودخل بك على المولى شيخك الذى ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيه أنوار
ربك نهض بك الى الله حتى القاك بين يديه فزج بك فى نور الحضرة وقال ها أنت وربك
(قوله حفظ قلوب المشايخ) أى بلزوم الادب معهم والتسليم لما يبدو منهم والبعد عن
أسباب الاعتراض عليهم فى كامل حركاتهم وسكناتهم فاذا اختل شئ من ذلك انتفى
الانتفاع بهم بل ربما يؤدى الى حلول الضرر واعلم أن من أسباب حفظ قلوب المشايخ
النظر الى انهم الوسايط بين العبد وربه فرضاهم يدل على رضاه وسخطهم يدل على سخطه
والالتفات الى أن الشيخ مستغن عنه فى نفسه وانما غرضه ان يقربه ويدنيه الى فضائل
ربه شفقة ورحمة به فكلما قويت معرفته بهذه الجهات جرى على موافقته وكلما جرى
على موافقته أحبه وكلما أحبه خصه بخصائص معرفته ودقائق أسراره وكلما خصه بذلك
ترقى فى درجات القرب وحل بحظائر الشهود والانس فهذه فوائد حسن الادب مع
المشايخ الموصلين من العارفين والمحققين (قوله هل اتبعك على ان تعلمن الخ) استئذان
منه فى اتباعه على وجه التسليم وقوله مما علمت رشدا أى علما ذا رشد أرشد به فى دينى
والرشد اصابة الخير وقرئ بفتحتين مفعول ويجوز كونه علة لاتبعك أو مصدرا باضمار
فعله ولا ينافى نبوته وكونه صاحب شريعة ان يتعلم من نبى آخر ما لا تعلق له باحكام شريعته
من أسرار العلوم الخفية وقد راعى معه فى سوق الكلام غاية التواضع وفى صحيح البخارى

وذلك ممدوح ومطلوب لينتفع به تلامذتهم ولان التقليد أمانة فمتى خالف فيه التلميذ فقد خان وقد (قال الله تعالى فى قصة موسى) حكاية عنه (مع الخضر عليهما السلام هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا) لا خلاف فى ان موسى نبى واختلفوا فى الخضر هل هو نبى أو ولى

والأكثر على انه نبيّ وجزم به ابن الصلاح واقره عليه النووى ورجحه الجهور وقد سئل موسى هل على وجه الارض أحد أعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل عبدنا خضر بمجمع البحرين أعلم منك فعزم على طلبه وقال لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا أى دهرا طويلا قيل انه مائة سنة فلما اجتمع به قال له هل اتبعك الى آخره (قال الامام) القشيرى (لما أراد) موسى (صحبة الخضر حفظ شرط الادب) معه (فاستأذن أولا فى الصحبة) له (ثم شرط عليه الخضر أن لا يعارضه فى شئ ولا يعترض عليه فى حكم) بقوله فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ

قال الخضر ياموسى انى على علم من علم الله تعالى علمنيه لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله تعالى لا أعلمه انظر بقية التفسير ان شئت (قوله والاكثر على انه نبي) أى ومع ذلك فموسى صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه أفضل منه لانه من المرسلين أولى العزم (قوله وقد سئل موسى) أى سؤال ابتلاء لاجل زيادة تأديبه ليدوم له شهود الادب وليزيدا نتفاعه الذى عام ترقيه به وقوله فقال لا أى قاله تحدثا بالنعمة لقوة محبته الحق تعالى وعظمة رجائه فيه لا افتخارا وتيها وعجبا حيث هو منزه عن مثل ذلك بواسطة العصمة الواجبة فى حقه (قوله اعلم منك) أى بما خص به من علوم الحقائق التى لا تتوقف عليها شريعتك (قوله فعزم على طلبه) أى لزيادة رغبته فى تحصيل الخيرات الدينية وقيل فى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا ان المعنى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره وذلك ظاهر فان من دلك على الدنيا فقد غشك ومن دلك على الله فقد نصحك (قوله وقال لا أبرح الخ) هو من برح الناقص كزال اى اسير فحذف الخبر اعتمادا على قرينة الحال واتكالا على ما يعقبه من قوله تعالى حتى أبلغ مجمع البحرين وهو ملتقى بحر فارس والروم مما يلى المشرق والمعنى لا يبرح سيرى حاصلا حتى أبلغ فحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه فينقلب الضمير البارز المجرور المحل مرفوعا فيتحول الكلام من صيغة الغيبة الى التكلم وقوله أو أمضى حقبا أى اسير زمانا طويلا والحقب الدهر او ثمانون سنة وقيل ان موسى عليه السلام لما ظهر على بنى اسرائيل واستقر بمصر بعد هلاك القبط أمره الله عز وجل ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا بخطبة بديعة رقت لها القلوب وذرفت لها العيون فقالوا له من اعلم الناس فقال انا فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه عز وجل فأوحى اليه بل اعلم منك عبد لى بمجمع البحرين وهو الخضر عليه السلام وكان فى أيام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر وبقى الى أيام موسى عليه السلام (قوله قال الامام القشيرى الخ) منه يعلم ان المريد لا بد له من شيخ كامل مرشد يقتدى بآثاره ويهتدى بهديه وأنواره فالشيخ واسطة الخير وحجاب الشيطان وأوليائه بل وحجاب من النار قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال تعالى اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وهم المشايخ الكمل ولله درّ من قال

وغنم مريد فى انقياد لكامل * له خبرة بالعلم والوقت والحال
هو الكنز والاكسير والكيميا لمن * أراد وصولا أو بغى نيل آمال

(قوله لما اراد موسى الخ) أقول وروى ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظانا وارتد لنفسك اخوانا وكل أخ أو صديق لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى (قوله ان لا يعارضه) أى على ما هو اللازم فى حق من يريد الاخذ والتعلم ليتوصل الى المقامات العلية (قوله فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ

حتى أحدث لك منه ذكرا فوافقه (ثم لما خالفه موسى عليه السلام) ثلاث مرات الاولى بقوله فى نزع لوح من السفينة أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيأ امرا والثانية بقوله فى قتل الشاب أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا والثالثة بقوله فى اقامة الجدار الذى أراد أن ينقض لو شئت لاتخذت عليه أجرا (تجاوز عنه المرة الاولى والثانية فلما صار الى الثالثة والثلاث آخر حد القلة وأول حد الكثرة سامه الفرقة) أى أولاه اياها وأرادها منه (فقال هذا فراق بينى وبينك) ثم بين له السبب فى فعله كل مرة بقوله أما السفينة فكانت لمساكين الى آخره فعلم انه لا ينبغى للتلميذ أن يعترض على شيخه فان وقع فى نفسه شئ فليمسك عن السؤال فلعله يبين له بعد ذلك ما أشكل عليه فان دعته حاجة الى معرفة ما سمع فليورد كلامه على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض (أخبرنا أبو الحسين الاهوازى) رحمه الله (قال حدثنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا أبو سالم) وفى نسخة أبو سليم وفى اخرى ابو سلمة (القزاز قال حدثنا يزيد بن بيان قال حدثنا أبو الرجال عن أنس بن مالك) رضى الله عنه

حتى أحدث لك منه ذكرا) اذن له فى الاتباع بعد التماسه والتى ثم قال له فلا تسألنى عن شئ من أفعالى أى لا تفاتحنى بالسؤال عن حكمته فضلا عن المناقشة والاعتراض حتى أحدث لك منه ذكرا أى حتى أبتدئ بيانه وفى ذلك ايذان بأن كل ما صدر عنه له حكمة وغاية حميدة البتة وهذا من أدب المتعلم مع المعلم والتابع مع المتبوع وقرئ فلا تسألنى بالنون المثقلة (قوله فوافقه) أى رغبة فى العلم والتعلم (قوله ثم لما خالفه موسى الخ) أى ومخالفته عليه السلام غيرة منه على ما للحق تعالى من الاحكام لا لحظ نفسه على ما هو اللائق بمقامه الشريف وذلك لان كل ذى شريعة لا صبر له على ما يخالف شريعته (قوله أخرقتها لتغرق أهلها) قيل خرقها بعدما لججوا حيث اخذ فأسا وقلع من الواحها لوحين مما يلى الماء قال موسى أخرقتها لتغرق أهلها من الاغراق وقرئ بالتشديد من التغريق لقد جئت أتيت وفعلت شيأ امرا اعظيما هائلا من امر الامر اذا عظم وقوله أقتلت نفسا زكية أى طاهرة من الذنوب وقرئ زاكية بغير نفس أى بغير قتل نفس محرم قتلها لقد جئت شيأ نكرا قيل معناه أنكر من الاول اذ يمكن تداركه الاول بالسد ونحوه وقيل الاول أعظم لان قتل نفس واحدة أهون من اغراق أهل السفينة وقوله لاتخذت عليه اجرا تحريض له على أخذ الجعل وتعريض بانه فضول لما فى لو من النفى لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك فى الصبر واتخذ افتعل من تخذ بمعنى اخذ كاتبع بمعنى تبع وقرئ لتخذت أى لاخذت وقرئ بادغام الذال فى التاء (قوله تجاوز عنه الخ) أى تخلقا باخلاق الله على ما جرت به عادته فى عباده المقصرين حيث يديم ستره عليهم المرة بعد المرة عسى أن يرجعوا ويتوبوا رأفة منه ورحمة (قوله سامه الفرقة) اى تأديبا له وارشادا الى طرق الكمال فى حق المشايخ (قوله ثم بين له السبب) اى لاجل ان يطمئن قلبه ويسكن عما اصابه بظاهر الحال * (دقيقة) * لا يوافق المريد شيخه فيما علم تحريمه بالاجماع أو فى مذهب ذلك الشيخ فما يظهر من اخلاقهم من دخول النار بامر المشايخ او السفر بلا زاد ولا راحلة او الاجتماع بنحو السباع الضارية فذلك لعادتهم مع ربهم من كفايته لهم بوقوع الخارق لهم فليس فى ذلك من التغرير بالنفس شئ (قوله بقوله اما السفينة) اى التى خرقها فكانت لمساكين اى اضعفاء لا يقدرون على مدافعة الظلمة وقيل كانت لعشرة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون فى البحر وحينئذ فالاسناد للتغليب وقوله فاردت ان اعيبها اى اجعلها ذات عيب وقوله وكان وراءهم ملك اى كان أمامهم قيل اسمه جلندى بن كركر وقوله يأخذ كل سفينة اى صالحة غصبا نصب على المصدر وقوله واما الغلام اى الذى قتله فكان ابواه مؤمنين لم يصرح بكفره لظهوره وقوله فخشينا ان يرهقهما اى خفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا وكفرا لتعبهما بعقوقه وسوء صنيعه وقوله فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما اى طهارة من الذنوب واقرب رحمة وعطفا قيل ولدت لهما جارية تزوجها نبى فولدت نبيا هدى الله

على يديه امة وقيل ستين نبيا وقوله واما الجدار فكان لغلامين يتيمين مقيمين فى المدينة هى
القرية المذكورة فيما سبق وكان تحته كنز لهما اى من فضة وذهب وكان ابوهما صالحا
اى فصلاحه عمت بركته ذريته قيل كان هو الاب السابع لهما انظر بقية التفسير ان شئت
(قوله الاقيض الله له الخ) اى بجزاء وفاقا ويؤيد ذلك خبر لا تزال امتى بخير ما وقر صغيرهم
كبيرهم * (فائدة) * اذا اتخذ المريد شيخا له لا يخفى عنه شيأ من امره فانه يعامله على حسب
مايظهر منه قوة وضعفا لكن لا يخبره الا بما هو محتاج الى كشفه له بما يتعلق باحواله
اما لجهله باحكامه أو لمعرفته بوجه الرياضة والانتقال عما يعرفه من نفسه من سيء الخصال
لا ما لا حاجة له باظهاره ليحوز افضل اعمال البر مما الاوفق به الخفاء والسر لان ما امر
باظهاره هو ما احتاج اليه الى شفاء اسقامه بمحاسن ادوائه فما اشتهر من انه لا يخفى عن
شيخه شيأ من احواله فهو مخصوص بما هو محتاج الى بيانه اذ الغالب على المريد فى ابتداء
امره الجهل بالاحكام وقوة النفس والالتفات الى الشهوات ومألوف العادات فمن هذه
الجهة امر بكشف احواله حتى يتخلص من خبيث اسقامه ثم اذا وصل المريد على يد شيخه
وانتقل عن الفتور والكسل فعليه الشكر لمولاه على ما اولاه والموافقة لشيخه فى كل
ما يأمره به من امر دنياه واخراه فلا يخالفه فيما يأمره به من ترك مكاسبه وفيما تعلقت به
نفسه من اغراضه وما ربه وذلك لانه انظر لمصالحه من نفسه واشفق عليه منها لان نظره
بنور العلم وهو ينظر بظلمة الشهوة والجهل ولانه ينبغى له أن يوافقه فيما امره به لحقه
ومزيته ومراعاة حرمته اذ كيف يليق بمن توالى عليه الاحسان من المتفضل عليه به ان
لا يمتلئ قلبه بمحبته وتلزم عن ذلك الموافقة له حتى لو امر بترك ما لم يمنعه الشرع لكونه غير
محرم ولا مكروه فحقه موافقته فيه امتثالا لامره فان ادخال السرور على من له عليه
حق من اعظم القربات والموصل لنيل أعلى المقامات ولانه ربما تألم شيخه بمخالفته فكان
سببا لانحطاطه عن درجته والله اعلم (قوله قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان)
اى ما جزاء الاحسان فى العمل الا الاحسان فى الثواب فهو استئناف مقرر لمضمون
ما فصل قبله (قوله وكل فرقة بينك وبين غيرك المخالفة) اى كل فرقة تحصل فسببها المخالفة
وذلك لكونها تؤثر انصداع القلوب الذى لا ينجبر (قوله لتغير قلب الشيخ عليه) اى
والقلب اذا تغير يكون كالزجاج اذا انكسر قل ان ينجبر كسره شعر

ان القلوب اذا تنافر ودها * مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

(قوله فقد نقض عقد الصحبة) أى حل عهدها وقوله ووجبت عليه التوبة اى حيث
ارتكب العظيم من الذنوب فى طريق السلوك والسير الى الله تعالى (قوله لا توبة عنها)
لعله لا توبة جائزة بدون تأديب على الذنب الذى وقع من المريد كما هو اللائق بالرأفة من
المؤمنين بعضهم مع بعض (قوله بل بمعنى انه لا ينبغى للشيخ الخ) فيه ان العفو من صفات
الكرم وقد ندب اليه الحق تعالى لعباده بآيات الكتاب المبين قلت لعل ذلك فيما اذا عادت

(قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له من يكرمه عند) كبر (سنه) أى جاءه به حينئذ قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول بدء كل فرقة) بينك وبين غيرك (المخالفة يعنى به ان من خالف شيخه لم يبق على طريقته وانقطعت العلقة بينهما وان جمعتهما البقعة) لتغير قلب الشيخ عليه ونفرته عنه ولانه حينئذ لا يراه أهلا للانتفاع به (فمن صحب شيخا من الشيوخ ثم اعترض عليه) ولو (بقلبه فقد نقض عقد الصحبة) لانه بذلك ترك تقليد من لزمه تقليده (ووجبت عليه التوبة) من ذلك والرجوع الى تقليد شيخه (على ان الشيوخ قالوا عقوق الاستاذين لا توبة عنها) الاولى عنه وذلك لا بمعنى انه معصية لا يتوب الله على فاعلها فانه يقبل التوبة عن عباده فى الكفر فما دونه بل بمعنى انه لا ينبغى للشيخ ان يعفو عنه بل يؤدبه لان العفو عنه يجرئه ويزيل عنه حرمة الشيخ من قلبه بالكلية

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (يقول خرجت الى مرو فى حياة شيخى الاستاذ أبى سهل الصعلوكى وكان له قبل
خروجى) اليها (ايام الجمعة بالغدوات مجلس دور) بفتح الدال وفى نسخة درس (القرآن والختم) بان يختم بجماعته ختمة ثم يبتدى
باخرى (فوجدته عند رجوعى) منها (قد رفع ذلك المجلس وعقد لابى الغفانى فى ذلك الوقت مجلس القول) اى مجلساً يذكر به الناس وربما
أنشدهم فيه أشعارا ترق قلوبهم (فداخلنى من ذلك شئ) من الاعتراض عليه (فكنت أقول فى نفسى قد استبدل مجلس الختم
بمجلس القول فقال لى يوما) مكاشفة (يا أبا عبد الرحمن ايش يقول الناس فى) فى هذا استرسال الى حيث لم يقل له ما الذى تقوله فى
(فقلت) له (يقولون رفع) أبو سهل (مجلس) ختم (القرآن ووضع مجلس القول فقال) لى (من قال لاستاذه لم) فعلت كذا ولو على
وجه السؤال بلا حاجة (لا يفلح ابدا) لحقه الانقياد والتسليم له ولعل أبا سهل انما عدل عن مجلس ختم القرآن لما نقل عن الامام
مالك من أنه مكروه (ومن المعروف ان الجنيد قال دخلت على السرى) السقطى (يوما فامرنى بشئ) أى بشئ كما فى نسخة اى
بقضاء حاجة له (فقضيت حاجته ١٢٠ سريعا فلما رجعت اليه ناولنى رقعة وقال) خذ (هذا المكان قضاء حاجتك لى)
يعنى حاجتى (سريعا فقرأت
الرقعة فاذا فيها مكتوب سمعت
حاديا يحدو فى البادية) يقول
(أبكى وهل يدريك) بالبلى (ما يبكينى
ابكى حذارا) من (أن تفارقينى
وتقطعى حبلى وتهجرينى)
وفى نسخة بعد هذا
وتجعلين البعد منك دونى
جعل الرقعة جزاء السرعة فى قضاء
حاجته ورآها أسرع فى صلاح
حاله لان البكاء مع الله يختلف فقد
يكون العبد بعيدا فيبكى لبعده
طلبا للقربة وقد يكون قريبا فيبكى
خوفا من ابعاده فالسرى علم من
حال الجنيد انه نال من معرفة الله
ومحبته حالة رفيعة فدله على سبب
حفظها وانه يبكى خوفا من ان يبعده الله عنه فاعطاه هذا الشعر الدال على ذلك ولهذا أقام الله المشايخ ليداووا قلوب وترك
الطالبين ويردوا اليه الشاردين ومداواة كل مريد باللائق بمرضه وهو مما يختص به مشايخ هذا الفن فانهم عرفوه علما وسلوكا
وحالا (ويحكى عن أبى الحسن الهمدانى العلوى قال كنت ليلة عند جعفر الخلدى) لزيارته (وكنت أمرت فى بيتى ان يعلق طير)
وكان سمينا (فى التنور) وجعلت تحته جذابة (وكان قلبى معه فقال لى جعفر اقم عندنا الليلة) أى لمصلحة لى أولك (فتعللت
بشئ) لتعلق نفسى بالطير والجذابة (ورجعت الى منزلى فاخرج الطير) مع الجذابة (من التنور ووضع بين يدى فدخل كلب من
الباب وحمل الطير عند تغافل الحاضرين) باشتغالهم باسباب يكمل أكلهم بها (فاتى بالجوذاب) أى الجذابة (الذى
تحته فتعلق به ذيل الغلام) لما انزعج وتحرك فى طلب الكلب (فانصب) ما كان تحت الطير (فلما اصبحت دخلت على جعفر
فحين وقع بصره على قال) لى مكاشفة (من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط عليه كلب يؤذيه) عقوبة له فينبغى تجنب مخالفتهم فقد
يكون لهم مقاصد صحيحة تخفى على التلامذة فهذا الهمدانى عوقب بما ذكر فلم يأكل الطير ولا الجذابة

مصلحة التأديب الى نفس العافى وما نحن فيه المصلحة تعود على من فعل الذنب ويؤيد
ذلك ما نص عليه فى كتب الفروع من ان الوالد لا ينبغى له العفو عن ولده اذا جنى ذنبا
بخلاف الزوج فى ذنب زوجته والفرق عود مصلحة التأديب فى الاول على الولد الجانى
وفى الثانى على الزوج العافى والله اعلم (قوله فى هذا استرسال اه الخ) أى وذلك من
الاخلاق المحمدية والطرق الاحمدية لما ثبت من أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا كره امرا
من احد يقول ما بال اقوام يفعلون كذا و يقولون كذا (قوله لما نقل عن الامام مالك
الخ) انظر وجه الكراهة عنده رضى الله تعالى عنه واعل وجهها ما فيه من الابتداع
الذى لم يعهد فى زمنه صلى الله عليه وسلم ولا فى زمن أصحابه اذ كان المعهود مدارسة
القرآن من اثنين لاغير (قوله المكان قضاء الخ) أى جزاء السرعة قضائها منك (قوله فاذا
فيها الخ) لعله لكون محصل ما فيها الاشارة الى ان الذى ينبغى للمحب وان تمكن فى مقام
المحبة أن لا يغتر بذلك بل ينتظر خوف السقوط عن مقامه حيث هو من الجائز فى حقه كما
أشار اليه الشارح (قوله فانهم عرفوه) أى فكانوا بهذا الوصف أنجع من يداوى
(قوله وجعلت تحته جذابة) لعلها أشياء توضع فى اناء الطبخ تجذب ما فى اللحم من الدسم
وتؤكل مع الطعام بعد نضجه (قوله باسباب يكمل الخ) أى كاحضار خبز ونحوه (قوله
من لم يحفظ قلوب المشايخ الخ) اى وحفظها انما يكون بجمع القلب على ما يشيرون به

(وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت عبد الله بن علي الطوسي يقول سمعت أبا عبد الله الدينوري يقول سمعت الحسين الدامغاني يقول سمعت عمى البسطامي يحكى عن أبيه ان شقيقا البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد) البسطامي لزيارته (فقدمت السفرة و) هنالك (شاب يخدم أبا يزيد فقالا له كل معنا يافتى) وكان صائما نفلا (فقال) لهما (انا صائم فقال) له (أبو تراب كل ولك اجر صوم شهر فأبى فقال) له (شقيق كل ولك أجر صوم سنة فأبى) يعني كل منهما بما قاله انا كان معنا وادخالك السرور علينا أفضل من صومك (فقال) له شيخه (أبو يزيد دعوا) أي اتركوا (من سقط من عين الله تعالى) بمخالفته قول المشايخ (فاخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة وقطعت يده) عقوبة له (وسمعت الاستاذ أبا علي) الدقاق رحمه الله (يقول وصف سهل بن عبد الله رجلا بالولاية) وكان (خبازا بالبصرة فسمع رجل من أصحاب سهل بن عبد الله ذلك فاشتاق اليه فخرج الى البصرة) لزيارته (فاتى حانوت الخباز فرآه يخبز) الخبز (وقد تنقب لمحاسنه على عادة الخبازين) فانهم يتنقبون بان يلقوا على وجوههم المناديل وقت خبزهم خوفا من احتراق شعر وجهه بالنار وتشوه خلقه بحرق حرارتها ووجهه حين يميل بشقه ليضع الخبز في جوانب التنور (فقال في نفسه لو كان هذا وليا) كما قال الشيخ ١٢١ (لم يحترق شعره) ولم يتشوه خلقه (بغير نقاب) لان النار لا تسلط على الاولياء (ثم انه سلم عليه وسأله شيأ) أي مسئلة من المسائل (فقال) له (الرجل) الخباز مكاشفة (انك استصغرتني ولا) الاولى فلا كما في نسخ (تنتفع بكلامي وأبى ان يكلمه) عقوبة له بمخالفة شيخه لحق التلميذ تجنبها لانه وان سلم ان النار لا تسلط على الاولياء في الدنيا فلف هذا الولي وجهه بالمنديل استرحا له فانه يتعاطى الاسباب التي يتعاطاها العوام وهو عند ربه من السادة الكرام (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمع عبد الله الرازي أبا عثمان الحيري يصف محمد بن الفضل البلخي ويمدحه فاشتاق اليه

١٦ يج ع

فخرج الى زيارته) واجتمع به بنية الامتحان (فلم يقع بقلبه من محمد بن الفضل ما) كان (اعتقده) فيه (فرجع الى أبي عثمان وسأله فقال كيف وجدته فقال) له (لم أجده كما ظننته) به (فقال) لي (لانك استصغرته وما استصغر أحد احدا الاحرم فائدته ارجع اليه بالحرمة) له تنتفع به (فرجع اليه عبد الله) بالاحترام له (فانتفع بزيارته) لخبر انما الاعمال بالنيات وخبر انما هي أعمالكم ترد عليكم وقد قال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها (ومن المشهور أن عمر بن عثمان المكي رأى الحسين بن منصور) الحلاج (يكتب شيأ فقال) له (ما هذا) الذي تكتبه (فقال هو ذا) أي شئ (أعارض) به (القرآن فدعا عليه وهجره) لعظم ما سمعه منه (قال الشيوخ ان ما حل به بعد طول المدة كان لدعاء ذلك الشيخ عليه) في ذلك تحذير من دعاء المشايخ وتغيير قلوبهم بما يطلعون عليه من فساد احوال التلامذة (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول لما نفى أهل بلخ محمد بن الفضل من البلد دعا عليهم وقال اللهم امنعهم الصدق فلم يخرج من بلخ بعده) ولا في زمنه (صديق) هذا كالذي قبله مع زيادة في التحذير من تغيير قلوبهم من حيث انه يعذب به بعد موتهم (سمعت أحمد بن يحيى الابيوردي رحمه الله تعالى يقول من رضي عنه شيخه لا يكافأ) أي يجازى (في حال حياته لئلا يزول عن قلبه تعظيم ذلك الشيخ) فتنقص درجته باستنقاصه له لو كوفئ في حال حياة شيخه

وترك حظ النفس (قوله فقال له شيخه الخ) لعل الاولى ان يقول فقال لهما شيخه (قوله فاخذ) اي شرع ذلك الشاب الخ انظر عظم الجزاء تعلم منه قوة الذنب (قوله فقال في نفسه) أي لسابق عدم انتفاعه به وحرمانه من ذلك فالله تعالى يرزقنا السلامة والتسليم لما يجرى به الحكيم العليم (قوله ارجع اليه بالحرمة له تنتفع) اي بشاهد خبر لو اعتقد احدكم في حجر لنفعه (قوله لخبر انما الاعمال بالنيات) أي انما صحتها أو كمالها على الخلاف في ذلك بين الائمة رضي الله تعالى عنهم وقوله انما هي اعمالكم ترد عليكم أي يرد عليكم جزاؤها وثوابها (قوله وقد قال تعالى من جاء بالحسنة) أي فعلها فله عشر امثالها بالنسبة للبعض وقد يضاعف الله الثواب زيادة عما ذكر بالنسبة للبعض الآخر (قوله فقال هو ذا أي شئ أعارض به القرآن) أقول ذلك منه وان احتمل معنى صحيحا بحمله على بيان معانيه بعد عرض ألفاظه الشريفة على ذهنه غير انه لبشاعة ظاهره قد دعا عليه الاستاذ وهجره لخروجه عن طريق الادب فعاقبه وما حل به لذلك (قوله من حيث انه يعذب به الخ) اى لان العبد المقرب اذا تبرأ من حظوظه وآثر حق الحق قام الحق عنه في كامل مراداته (قوله لئلا يزول عن قلبه الخ) أي والزوال سببه عظم ما يصل اليه

فى مقابلة رضا الشيخ عنه فربما يغتر بذلك ويستنقص شيخه بجهله انه بسبب رضاه والله أعلم (قوله رحمة منه تعالى بهما) أى وذلك بالنسبة للشيخ لئلا يغتر فستر ذلك عنه رحمة به وبالنسبة للتلميذ فقد تقدمت الاشارة اليه قبل (قوله ولا حاجة اليه) أى للاستغناء عنه بقوله قبل فاذا مات الشيخ

(باب السماع)

أى الاصغاء الى الاصوات الحسنة المصاحبة للتلحين وذلك يختلف حكمه باختلاف ما منه الصوت المذكور فان كان من نحو آلات كعود وقانون وغيرهما فقد وقع فيه اختلاف بين الائمة رضى الله تعالى عنهم والمعتمد عند امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه تحريمه سدا للذريعة ودرأ للمفسدة لان شأنه استجلاب الشهوات والحظوظ النفسية وان كان بدون آلات بل من انسان ففيه تفصيل بين الذكر والانثى فهو من الانثى محرم عند خوف الفتنة والا فهو مكروه ومن الذكر فان كان أمرد جميلا فحكمه حكم الانثى على ما تقدم فيهما من التفصيل وان كان غير ذلك فلا بأس به ان كان كسماع قرآن أو ما اشتمل على توحيد الاله وتعداد نعمه على خلقه أو على ما يتعظ به العبد أو على مدح نبى او رسول او ولى بما يليق بكل بدون افراط ولا تفريط لا كمثل الغزل والتشبيب الخارج عن حد الاعتدال كالمشتمل على الكذب بالمبالغات المفرطة فتلك لا يحل سماعه والسماع كما فى نوادر الجنان قوة رتبت فى العصب المفترش على سطح باطن الصماخ هى مشعر الاصوات بتوسط الهواء والصوت هو ما يوجد عند تموج الهواء لقلع او قرع فينضغط بعنف فينتهى تموجه الى الهواء الراكد فى الصماخ وتموجه بشكل نفسه فيقع على جلدة مفروشة على عصب مقعره كما الجلد على الطبل فيحصل طنين فتدركه القوة المذكورة واعلم انه ليس المراد به عند اهل الطريقة الغناء مع رفع الصوت اذ هو من محل الخلاف وهم لا يقدمون الا على واجب او مندوب ويخرجون عن المختلف فيه والمكروه ولا سبيل اليه اذ هو عندهم كالمحرم والحاصل ان السماع عندهم لا يرجع مباحا الا بشروط منها ان يكونوا فى مكان لا يطلع فيه عليهم غيرهم وان يكون القوال هو الذى يدعهم يذكرهم من درر الشعر ونحوه ما يناسب حالهم وتقوى به قلوبهم على السير الى الله تعالى بالترقى الى المقامات العلية والنهوض اليها وترك التراخى والتسويف الشاغل عنها وان يكون القوال بغير اجرة وان لا يكون معهم احد من ابناء الدنيا وان لا يكون معهم شبان وان يكون سماعهم مع السكون والادب لا مع الحركة والرقص وضرب الارض بالاقدام باظهار التواجد ولا سيما اذا كان مثل ذلك فى مسجد من المساجد وعلى الطريقة المعلومة الآن من رفع الصوت بالالحان المهيجة للشهوات وتمايل مثل الامرد الجميل اذ مثل ذلك حرام باتفاق لم يقل بحله احد الا من ابتدع اوتزندق واقبح من ذلك ما جمعوه مع السماع من الدف والشبابة والتصفيق وكونه فى مسجد مع ان السلف كانوا يكرهون رفع الصوت فيه

(فاذا مات الشيخ أظهر الله عز وجل عليه ما هو جزاء رضاه) رحمة منه تعالى بهما وحفظا لمقاماتهما عليهما (ومن تغير عليه قلب شيخه لا يكافأ فى حال حياة ذلك الشيخ لئلا يرق له) فيرحمه (فانهم) أى المشايخ الصوفية (مجبولون على الكرم فاذا مات الشيخ فحينئذ يجد) تلميذه الذى تغير هو عليه (المكافأة) وقوله (بعده) ساقط من بعض النسخ ولا حاجة اليه

(باب السماع)

هو الانتباه بالقلب الى ما يحمد شرعا ويقال غير ذلك وسيأتى بعضه وهو ممدوح ومطلوب على ما يأتى

ولو بذكر أو قراءة أو غيرهما وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رفع الصوت بالقراءة فيه ومن ذلك ما ورد من نشد ضالة في المسجد فقولوا لا ردها الله عليك وورد من سئل في المسجد فاحرموه وروى أبو داود والترمذي والنسائي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الشراء والبيع في المسجد وأن تنشد فيه ضالة وأن ينشد فيه شعر وبعض الناس يفعلون السماع على ما هو عليه اليوم في المساجد ويرقصون فيها على حصرها الموقوفة تارة مع الدف والشبابة وتارة مع الضرب بالاكف مع ان امامنا الشافعي رضي الله عنه سئل عن مجرد السماع فاجاب بانه لهو وباطل أو يشبهه وانه مكروه ومذهب مالك رضي الله عنه أنه يجب على ولاة الامر زجرهم وردعهم واخراجهم من المساجد حتى يتوبوا ويرجعوا ومذهب الامام أحمد رضي الله عنه انهم لا يصلى خلفهم ولا تقبل شهادتهم وان عقد النكاح احد منهم فعقده فاسد ومذهب الامام أبي حنيفة رضي الله عنه ان الحصر التي يرقصون عليها لا يصلى عليها حتى تغسل والارض لا يصلى عليها حتى تحفر فاياك ومعاشرة هؤلاء أو الاجتماع معهم على شيء مما تقدم ذكره والله ولي هدايتك (قوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) أي وهم الموصوفون باجتناب الطاغوت البالغ أقصى غاية الطغيان فعلوت بني للمبالغة في المصدر كالرحموت والعظموت ثم وصف به للمبالغة في المصدر وبالانابة الى الله تعالى والاقبال عليه والاعراض عما سواه ومدار اتصافهم بهذين الوصفين الجليلين كونهم نقادا في الدين يميزون الحق من الباطل ويؤثرون الافضل فالافضل أولئك الذين هداهم الله الاشارة اليهم باعتبار اتصافهم بما ذكر من النعوت الجليلة وما في الاشارة من معنى البعد للايذان بعلو مرتبتهم وبعدها في الفضل والشرف وأولئك هم أولوا الالباب اي أصحاب العقول السليمة عن معارضة الاوهام ومنازعة الهوى فهم المستحقون للهداية لا غيرهم وفيه دلالة على ان الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها والله اعلم (قوله الذي اثنى الله عليه) اي في نحو القرآن الشريف كالاحاديث الصحيحة القدسية والنبوية وكالذي استنبطه الائمة من ذلك رضي الله تعالى عنهم (قوله والدليل عليه) اي على التعميم والاستغراق انه مدحهم باتباع الاحسن اي وهو يفيد التعدد اذ لا يكون افعل الا بين متعدد (قوله والسماع على ثلاث درجات) اي المشروع من السماع على ثلاث درجات وذلك باختلاف حال السامع واعلم هداني الله واياك انه ليس المراد به السماع مع الرقص الذي يسمونه الآن ذكرا والتواجد مع ذلك الناشئ عن حظوظ وشهوات دنيئة شيطانية واعلم ايضا ان اول من احدث الرقص اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل تبعهم فيه من اضله الله من اهل هذه الازمنة وقد سئل مالك عما يترخص فيه اهل المدينة من الغناء فقال انما يفعله عندنا الفساق ونهى عن الغناء واستماعه وابو حنيفة

(قال الله عز وجل فبشر عبادي الذين يستمعون القول) الذي اثنى الله عليه وأمر باستماعه والتدبر له واتباعه (فيتبعون أحسنه) وهو ما فيه كمال فلاحهم فكله حسن وهم يتبعون أحسنه وأحسن كل شيء ما تضمنه الكتاب العزيز (واللام) وفي نسخة والالف واللام (في قوله يستمعون (القول تقتضي التعميم والاستغراق) لافراده مما ذكرته (والدليل عليه انه مدحهم باتباع الاحسن وقال تعالى فهم في روضة يحبرون جاء في التفسير انه السماع) المذكور وسيأتي عن مجاهد انه السماع في الجنة من الحور العين وقال تعالى واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق والسماع على ثلاث درجات سماع العامة اي عامة المريدين وسماع الخاصة وسماع خاصة الخاصة فسماع العامة يحصل

يكره الغناء ويجعله من الذنوب وكل ذلك مذهب أهل الكوفة سفيان وحماد وابراهيم والشعبي لا اختلاف بينهم في ذلك والشافعي يقول انه مكروه يشبه الباطل فهذا كما ترى مذهب الجماعة وقد قال صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة مات ميتة جاهلية فهذه الطائفة الزاعمة انها صوفية ومن القراء القاعلون ما يخالف السلف قد فارقوا جماعة المسلمين لانهم قد جعلوا الغناء دينا وطاعة ورأت اعلانه في المساجد والجوامع مع ما انضم اليه من الرقص والتمايل مع ان الاولى بهم الاحتياط فانهم يتلبسون بالدين ويدعون الورع والزهد حتى يوافق بواطنهم ظواهرهم قال تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الآية قال الحسن ومجاهد والنخعي هو الغناء وقال ابن مسعود لهو الحديث الغناء والسماع وقوله تعالى واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال مجاهد بالغناء والمزامير وأجلب عليهم بخيلك ورجلك قال اكثر المفسرين كل راكب وماش في معصية الله فهو خيل ابليس ورجله وشاركهم في الاموال والاولاد قال قوم كل مال أصيب من حرام وانفق في حرام وقيل مشاركته لنا في الاموال والاولاد ما يزينه لنا من الايمان ثم الحنث فيها فنطأ الفروج بعد الحنث ونكتسب الاموال بالايمان الكاذبة وقال صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن رواه الترمذي وزاد ولا تعلموهن واكل اثمانهن حرام وروى ابو هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال يمسخ قوم من امتي آخر الزمان قردة وخنازير قالوا يارسول الله امسلمون هم قال نعم يشهدون ان لا اله الا الله واني رسول الله ويصومون قالوا فما بالهم يارسول الله قال اتخذوا المعازف والقينات والدفوف وشربوا هذه الاشربة فباتوا على شرابهم فاصبحوا قد مسخوا وقال الحسن رحمه الله ليس الدف من سنة المسلمين وروي عن عبد الله بن عمرو قال سأل انسان القاسم بن محمد عن الغناء فقال انهاك عنه واكرهه لك قال احرام هو قال أنظر يا ابن أخي اذا ميز الله بين الحق والباطل من أيهما يكون الغناء وقال الشعبي لعن الله المغني والمغنى له وقال الحكم بن عيينة رحمه الله حب السماع يورث النفاق في القلب كما ينبت العشب على الماء وقال الفضيل بن عياض الغناء رقية الشيطان وقال الضحاك الغناء مفسدة للقلب مسخطة للرب وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله الى مؤدب ولده ليكن أول ما يعتقدون من ذلك بغضهم الملاهي التي بدؤها من الشيطان وعاقبتها سخط الرحمن الخ وقال المحاسبي الغناء حرام كالميتة والكلام في ذلك يطول والله ولي السول

(فائدة) احتج بعض الناس على اباحة الغناء بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عائشة لابي بكر في شأن الجاريتين المغنيتين عند عائشة يوم العيد لما انتهرهما دعهما يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا والجواب عن ذلك ان المراد بالغناء في الحديث المذكور معناه اللغوي الذي هو رفع الصوت بانشاد الشعر ونحن لا نذم ذلك ولا نحرمه وانما الذي نصيره مذموما تلحينه حتى يطرب ويريح القلب بالشهوة الطبيعية وليس كل

من دواعى الاعمال كالرجاء والخوف ورؤية النعم وسماع الخاصة من طروق الاحوال لهم وسماع خاصة الخاصة من فضل الله لشغلهم به عن غيره فسبب سماع الطائفة الاولى التجريد للاعمال وسبب سماع الثانية توالى الواردات والاحوال على قلوبهم وسبب سماع الثالثة ما يجريه الله عليهم من فضله بلا واسطة (واعلم ان سماع الاشعار بالالحان الطيبة والنغم) بكسر النون (المستلذة اذا لم يعتقد المستمع) لها ان ثم (محظورا) أى ممنوعا منه (ولم يسمع على مذموم فى الشرع) كزمار وطنبور (ولم ينجر) بسماعه لها (فى زمام هواه ولم ينخرط فى سلك لهوه) ودنياه (مباح فى الجملة ولا خلاف ان الاشعار أنشدت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه سمعها) من منشديها (ولم ينكر عليهم فى انشادها فاذا اجاز استماعها بغير الالحان الطيبة فلا يتغير الحكم بان يسمع بالالحان) المطربة (هذا ظاهر من الامر) أى الحال (ثم ما) أى السماع الذى (يوجب للمستمع توفر الرغبة على الطاعات وتذكر ما أعد الله لعباده المتقين من الدرجات ويحمله على التحرز من الزلات ويؤدى الى قلبه فى الحال صفاء الواردات مستحب فى الدين ومختار فى الشرع وقد جرى على لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو قريب من الشعر وان لم يقصد) هو (ان يكون شعرا) فقد (أخبرنا أبو الحسين على بن أحمد الاهوازى قال أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال حدثنا الحرث بن أبى أسامة قال حدثنا ابو النضر قال حدثنا شعبة عن حميد قال سمعت أنسا) رضى الله عنه (يقول كانت الانصار يحفرون الخندق فجعلوا يقولون * نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا ابدا * فاجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم لا عيش الا عيش الآخره * فأكرم الانصار والمهاجره وليس هذا اللفظ منه صلى الله عليه وسلم على وزن الشعر لكنه قريب منه وقد سمع السلف والاكابر الابيات بالالحان

من رفع صوته بالشعر بلحن وألذ وأطرب فافهم * (تنبيه) * ان قال قائل نحن لا نسمع بالطبع بل بالحق فنسمع بالله وفى الله لا بحظوظ البشرية قلنا له كذبت على طبعك وكذبت على الله فى تركيبك وما وصفك به من حب الشهوات وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من فارق الفقه وادعى العصمة فاجلدوه فانه مفتر كذاب أى لان دعواه تفيد انه لا تجب عليه مجاهدة نفسه ومخالفة هواه وانه لا ثواب له على ترك الشهوات واللذات فيكون حينئذ من قبيل من قيل فى حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون فان قيل أليس قد روى عن جماعة من الصالحين انهم سمعوه قلنا ما بلغنا ان أحدا من السلف فعله وهذه مصنفات الائمة شاهدة بذلك كمصنف مالك بن أنس والبخارى ومسلم وسنن أبى داود وكتاب النسائى وباقى مصنفات الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ممن تدور على أقوالهم الفتيا قديما وحديثا فمن رأى هذا الرأى خلى من الفقه عاطل من العلم والله أعلم (قوله من دواعى الاعمال) اى مما يسوق العبد اليها كالرجاء والخوف (قوله من طروق الاحوال) أى يأتى من غلبات الاحوال على صاحبها (قوله من فضل الله) اى من طريق الواردات والهبات التى لا كسب للعبد فيها لانها من اللدنيات (قوله التجريد) المراد به افراغ القصد لها ودوام الجد فيها مع الصدق والاخلاص والله اعلم (قوله بلا واسطة) أى وبذلك يتحقق الفرق بين هذا وما قبله (قوله واعلم ان سماع الاشعار الخ) أقول لعل هذا بالنسبة لاول الارادة مع بقاء بعض حيوانية النفوس اما بالنسبة للعارف المحقق فلا تشغله زمزمة الشادى ولا نغمة الحادى كما يتفق ذلك للعامة من اهل الحجاب فانهم وان طربوا فطربهم كالنعم من الصوت والنغم (قوله اذا لم يعتقد المستمع الخ) أى اذا لم يغلب على ظنه محظور كنظر محرم أو تحرك شهوة والا فيحرم السماع لذلك (قوله كزمار وطنبور) اى ونحو عود وقانون وغير ذلك من بقية آلات اللهو المطربة (قوله ولم ينخرط الخ) اى لم يدخل فى سلك لهوه فيترك مطلوبا شرعيا واجبا أو مندوبا (قوله ولا خلاف ان الاشعار أنشدت الخ) أى فدل ذلك على عدم منعها بل على طلبها ولا سيما اذا ترتبت مصلحة على السماع وفيه نظر فتأمله (قوله بان يسمع بالالحان المطربة) أى من غير آلات الملاهى والا فيحرم السماع المذكور هذا وفيه نظر فتأمله (قوله مستحب فى الدين) أى لانه وسيلة لنيل الدرجات الفاضلة (قوله ما هو قريب من الشعر) أى لكونه موزونا بميزانه ونهاية الامر ان ذلك لم يقصده صلى الله عليه وسلم بل اتفق كذلك (قوله اللهم لا عيش) اى لا معيشة هنية الا عيش الآخرة اى الا

فمن قال بإباحته) أي سماع الشعر بالالحان (من السلف مالك بن أنس) رضي الله عنه (وأهل الحجاز كلهم يبيحون الغناء) المنقول عن مالك والحجازيين كراهته فان أريد بالاباحة ما قابل الحرمة وبالكراهة كراهة التنزيه فلا منافاة (وأما الحداء) بضم الحاء وكسرها وبالمد وهو ما يقال خلف الابل من رجز وغيره (فاجماع منهم على اجازته وقد وردت الاخبار واستفاضت الآثار في ذلك) أي باجازة ذلك (وروى عن ابن جريج انه كان يرخص في السماع فقيل له اذا أتى بك يوم القيامة ويؤتى بحسناتك وسيآتك ففي أي الجانبين سماعك فقال

لا في الحسنات ولا في السيآت يعني انه من المباحات) قيل بل المشهور عن ابن جريج منعه (وأما الامام الشافعي رحمه الله فانه لا يحرمه) أي سماع الغناء (ويجعله في) حق (العوام الذين يرتكبون (مكروها حتى لو احترف بالغناء أو اتصف على الدوام بسماعه على وجه التلهي ترد به الشهادة ويجعله) أيضا (مما يسقط المروأة ولا يلحقه بالمحرمات وليس كلامنا) أيها الصوفية (في هذا النوع من السماع) أي نوع سماع الغناء (فان هذه الطائفة جلت رتبتهم عن ان يستمعوا بلهو أو يقعدوا للسماع بسهو ويكونوا بقلوبهم مفكرين في مضمون لغو ويستمعوا على صفة غير كفء) للسماع (وقد روى عن ابن عمر رضي الله عنهما آثار في اباحة السماع) للغناء (وكذلك عن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب وكذلك عن عمر رضي الله عنهم اجمعين) فجميعهم أباحوا السماع (في الحداء وغيره) لاسيما اذا ترتب عليه ما ينتفع به القلب وينشرح به الصدر ويحمل على كمال الاعمال ويكشف شريف الاحوال ونقل عن ابن عمر خلاف ذلك (وأنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الاشعار فلم ينه عنها) وروى انه صلى الله عليه وسلم استنشد الاشعار) بين يديه (ومن المشهور الظاهر انه دخل بيت عائشة رضي الله عنها وفيه جاريتان تغنيان فلم ينههما) صلى الله عليه وسلم عن ذلك (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال أخبرنا محمد بن جعفر بن محمد بن مطر قال حدثنا الحباب بن محمد التستري قال حدثنا ابو الاشعث قال حدثنا محمد بن بكر البرساني قال حدثنا شعبة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل عليها وعندها قينتان) أي أمتان مغنيتان (تغنيان بما تقاذفت

الامة

معيشتها (قوله فمن قال بإباحته الخ) ظاهره ولو كان بالآلات المطربة وقد نقل عنه كذلك صراحة وعندي فيه توقف حيث ذلك غير لائق بورع مثل هذا الامام الجليل فحسبي الله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى (قوله فمن قال بإباحته الخ) جميع ما ذكره لا ينفع في الذي نحن بصدده من سماع الصوفية لان المباحات لا تتعلق بها همة الطالب للحق لان أمره يدور مع المطلوب واجبا كان او مندوبا نعم له في ابتداء السير أن يستعين بالسماع الخالي عن الالحان المطربة (قوله وأما الامام الشافعي الخ) أقول والله المستعان حاصل مذهبه رضي الله تعالى عنه وأرضاه عنا في السماع للقرآن الشريف بالالحان والانغام المأخوذة من علم الموسيقى انه في نص عنه الكراهة وفي آخر الاستحباب والجمع بين النصين ان الكراهة محمولة على نغم تخرج الحروف معه عن حقها ومستحقها وتغير الكلمات عن مواضعها بأن يقصر في محل المد وبالعكس او يفخم في محل الترقيق وبالعكس والكراهة حينئذ للتحريم وبهذه الصفة جرت العادة بين الفقهاء وقراء هذه البلاد الا قليلا ممن عصم الله تعالى والاستحباب محمول على ما اذا سلم القارئ بالنغم من هذه المفاسد قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال زينوا القرآن بأصواتكم وهذا من باب القلب اي زينوا أصواتكم بالقرآن والله اعلم (قوله فانه لا يحرمه) أي اذا كان بدون آلات الملاهي ومن الذكر غير الامرد الجميل وغير الانثى اومنهما وامنت الفتنة والا فانه يحرمه كما تقدم لنا توضيحه قبل فارجع اليه ان شئت (قوله حتى لو احترف بالغناء) اي جعله حرفة يتكسب بها (قوله ترد به الشهادة) أي لكونه يعد خارما للمروأة كما ذكره بعد (قوله ولا يلحقه بالمحرمات) أي على الوجه الذي قدمناه من التفصيل (قوله بلهو) أي بحظ نفس وقوله بسهو أي غفلة وقوله في مضمون لغو أي مما لا يعني الانسان وقوله على غير كفء اي قدرة على حبس النفس على ما يرضيه تعالى (قوله وقد روى عن ابن عمر الخ) ظاهره والذي بعده انهم اباحوا ذلك ولو مع آلات اللهو فحرر النقل عنهم والذي في ظني القوي البعد بل لقائل ان يقول الظاهر من هذه النقول ان الاباحة اذا خلى السماع عن آلات اللهو بل وعن التلحين والله اعلم (قوله استنشد الاشعار) اي طلب ان تقال وتذكر بين يديه (قوله قينتان) تثنية قينة وهي

وروى تقاولت (به الانصار يوم بعاث) بضم الباء وبالمهملة يوم الوقعة بين الاوس والخزرج (فقال ابو بكر رضي الله عنه) على وجه الانكار (مزمار الشيطان مرتين فقال) له (رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهما يا ابا بكر فان لكل قوم عيدا وعيدنا هذا اليوم) أي الذي نغني فيه (أخبرنا علي بن احمد الاهوازي قال حدثنا احمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا ابو كامل قال حدثنا ابو عوانة عن الاجلح عن ابي الزبير عن جابر عن عائشة رضي الله عنها انها انكحت ذات قرابتها من الانصار فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال) لها (أهديتم الفتاة) الى بعلها (فقالت) له (نعم قال فارسلت من يغني قالت لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الانصار فيهم غزل) أي رفع صوت بمحاسن العروس ليحببوها لبعلها (فلو أرسلتم من يقول اتيناكم اتيناكم * فحيانا وحياكم) وفي نسخة فحيونا نحييكم ويدل لجواز ذلك خبر اشهروا النكاح واضربوا عليه بالدف (أخبرنا الاستاذ الامام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال حدثنا احمد بن محمود بن خرزاذ قال حدثنا الحسين بن الحرث الاهوازي قال حدثنا سلمة بن سعيد عن صدقة بنت أبي عمران قالت حدثنا علقمة بن مرثد عن زاذان عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حسنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا دل هذا الخبر على فضيلة الصوت الحسن) لما فيه من زيادة المنفعة والتأثير في قلب السامع لكن قد يقال انما دل على فضيلته في كتاب الله لا في الغناء وفي قياسه عليه بعد (وأخبرنا علي بن احمد بن عبدان الاهوازي ١٢٧ رحمه الله قال حدثنا احمد بن عبيد قال حدثنا عثمان بن عمر الضبي قال حدثنا ابو الربيع قال حدثنا عبد السلام بن هاشم قال حدثنا عبد الله بن محرز عن قتادة عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل شئ حلية وحلية القرآن الصوت الحسن) في سنده عبد الله بن محرز وهو ضعيف لا يحتج به (وأخبرنا علي بن احمد الاهوازي رحمه الله) أيضا (قال اخبرنا احمد بن عبيد قال حدثنا محمد بن يونس الكريمي قال حدثنا الضحاك بن مخلد أبو عاصم قال حدثنا شبيب بن بشر البجلي عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوتان ملعونان صوت ويل عند مصيبة وصوت مزمار عند نعمة مفهوم الخطاب) اي مفهوم المخالفة (يقتضي اباحة غير هذا) أي ما ذكر من الصوتين (في غير هذه الاحوال) اى الحالين المذكورين (والا) اى وان لم يقتض ذلك (بطل التخصيص) الحق ان الصوت الحسن محبوب مطلقا وانما ذم في الحالين المذكورين لما قارنه من القصد الذميم (والاخبار في هذا الباب تكثر) اى كثيرة (والزيادة على هذا القدر من ذكر الروايات) الدالة على ذلك (تخرجنا عن المقصود من الاختصار وقد روى ان رجلا أنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلت) أي المحبوبة (فلاح لها * عارضان) أي فظهر لي عارضان لها (كالسبج) بالسين المهملة وفتح الباء والجيم وهو الخرز الاسود ثم (ادبرت فقلت لها) أي في شأنها (والفؤاد) اى القلب (في وهج) بفتح الهاء أي حر النار منها (هل علي ويحكما ايها العارضان (ان عشقت من حرج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا) حرج عليك هذا حديث موضوع (و) روى (أن حسن الصوت مما أنعم الله به على صاحبه من الناس قال الله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء قيل في التفسير من ذلك) أي مما يشاؤه من زيادة الخلق (الصوت الحسن)

الامة المعتبرة (قوله مزمار الشيطان الخ) هو على حذف همزة الاستفهام الانكاري (قوله فلو أرسلتم الخ) أي فدل ذلك على الجواز (قوله حسنوا القرآن باصواتكم الخ) أقول ذهب بعضهم الى ان في الخبر قلبا والمعنى عليه حسنوا أصواتكم بالقرآن وهو بعيد من قوله في الخبر فان الصوت الحسن الخ ونهاية الاعراب ما قاله أحق بطريق الادب والله اعلم (قوله يزيد القرآن حسنا) اى لان النفس تميل الى السماع معه أكثر من غيره (قوله يزيد القرآن حسنا) المراد الحسن بوجه الشرع لا بحكم الطبع الشهواني فلا ترجع الى من تأول على غير ما ذكرناه (قوله ملعونان) اى ملعون صاحبهما على معنى انه مبعد عن درجات المقربين أو المراد الزجر والتنفير (قوله كالسبج) التشبيه به لسواده (قوله لا حرج) أي حيث كان بالاذن الشرعي (قوله هذا حديث موضوع) أي فلا يصح الاستشهاد به (قوله مما أنعم الله به على صاحبه) اى وعلى غيره أيضا

ممن يسمعه (قوله فهو أمر موهبي الخ) اي لانه لا مدخل للقوة البشرية في ذلك (قوله مما لا يمكن جحوده) كيف وهو من جملة غذاء الأرواح اللطيفة (قوله فان الطفل يسكن الخ) اى واذا كان هذا حال الطفل مع عدم تمييزه يسكن الى الصوت الحسن ويتسلى به عما يضا هي مشقة الموت فما ظنك بالعارف الكامل فلا عجب ان نشط فتحرك ورقص فلا يكون ذلك من النقص في حقه حيث كان السماع على الوجه الذى قدمناه بدون تلحين وتطريب لان النقص انما هو في السماع والطرب بشاهد الهوى والميل الحيواني (قوله فان الطفل يسكن الخ) أقول قد استدل بعض الناس على اباحة الغناء بالالحان فقال ان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة اذا سمع الحداء قال وقد روى انه استدل على ذلك بصغير من أولاد الملوك ومات حبته للخلافة عن أبيه الذى مات وتركه يكون هش وضحك عند السماع فقبلوا الارض بين يديه والجواب انى أقول انظروا الى ذوى الالباب كيف قادهم ركوب الهوى وعشق الباطل وقلة الحيلة الى هذه السخافة وحسبك من مذهب امامهم فيه الانعام والصبيان في المهد وهكذا يفضح الله من اتبع الباطل وحسبك من عقول لا تقتدى باخيار المسلمين وعلمائهم وتقتدى بالابل والاطفال واعلم ان السماع طبعا من جهة الاستنباط هو جاسوس القلب وسارق المروأة والعقول به تتغلغل من مكامن القلوب ويطلع على سائر الافئدة ويثير الشهوة والسخافة والرعونة فترى الرجل وعليه سيما الوقار وبهاء العقل وبهجة الايمان وعظمة العلم كلامه حكمة وسكوته عبرة ثم هو اذا سمع اللهو نقص عقله وقل بهاؤه وحياؤه وذهبت مروأته فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه ويبدى ما كان قبل يكتمه فينتقل من السكون الى كثرة الكلام والكذب والهزهزة فيميل برأسه ويهز منكبيه ويدق الارض برجليه وهكذا كما تفعل الخمرة اذا مالت بشاربها فمثله مما يجب ان يجتنب والله اعلم (قوله فان الطفل يسكن الخ) اقول وذلك عجب اذ التحريك مناف للتسكين فالطفل بمهده لما عجز عن الحركة بمانع الضعف والكتف بانقماط حركه مربيه بتنزله الى طوره ومناغاته بما يبسطه ويزيح قبضه فيسكن عن ذلك الاضطراب فهكذا حال المريد السامع اذا هاجت بلابل اشواقه وفاضت سواكب اغراقه وهم ان يخرج من وجوده بشاهد تمزيق اطماره واطواقه حركه ربه وهو بمهد أرض طبيعته الكائنة من لطيفته فكان حاله مطابقا لحال الوليد فدام بوارد صدقه في رتب اهل المزيد هذا ولا يخفى ان كلامنا في السماع لا بالطبع ولا بالشهوة الحيوانية وحينئذ فما معنى هذا الاستدلال (قوله والجمل يقاسي الخ) أى مع بهيميته فالاولى ان يكون كذلك النوع العاقل من البشر (قوله بالحداء) أى صوت الحادى بالحداء (قوله أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) استئناف مسوق لتقرير ما فصل من حديث الغاشية وما هو مبنى عليه من البعث الذى هم فيه مختلفون بالاستشهاد عليه بما

فهو امر موهبي لا كسبي (وذم الله سبحانه الصوت الفظيع) أى الشنيع (فقال تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير واستلذاذ القلوب واشتياقها الى الاصوات الطيبة واسترواحها اليها مما لا يمكن جحوده) اى انكاره (فان الطفل يسكن الى الصوت الطيب والجمل يقاسي تعب السير ومشقة الحمولة) بضم الحاء أى الاحمال (يهونون عليه) ذلك (بالحداء قال الله عز وجل أفلا ينظرون) أى نظر اعتبار (الى الابل كيف خلقت) ليستدلوا بها على قدرة الله تعالى على الهامه لها السكون في الاصوات الحسنة

لا

(وحكى اسمعيل بن علية) انه (قال كنت امشى مع الشافعى رضى الله عنه وقت الهاجرة فجزنا بموضع يقول) أى ينشد (فيه أحد) الاولى واحد (شيأفقال) لى (مل بنا اليه) لنسمع صوته فملنا اليه فسمعناه (ثم قال لى ايطربك هذا فقلت لا فقال مالك حس) لعل اطرابه انما كان لتضمنه معانى حسنة يختص بادراكها بعض الناس دون بعض لا لمحض الصوت فان حسن الصوت لا ينكره احد كما مر (وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله) أى ما استمع ١٢٩ (لشئ كاذنه) بفتح الذال اى كاستماعه (لنبى) حسن الصوت (يتغنى بالقرآن) اى يجهر به والمراد باستماعه له الرضا والقبول (أخبرنا على بن أحمد الاهوازى رحمه الله قال اخبرنا أحمد بن عبيد قال حدثنا ابن ملحان قال حدثنا يحيى ابن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب انه قال اخبرنى ابو سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن الله لشئ ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن وقيل ان داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والانس والطير والوحش اذا قرأ الزبور وكان يحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن قد (سمعوا قراءته) وموعظته وفى نسخة من سماع قراءته (وقال صلى الله عليه وسلم لابى موسى الاشعرى) أى فى شأنه (لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود وقال معاذ بن جبل لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع) قراءتى (لحبرته لك تحبيرا) أى لحسنته لك تحسينا وزينته لك تزيينا والمراد تحسين ما يتلوه بحسن ايراده (أخبرنا أبو حاتم السجستانى قال أخبرنا عبد الله بن على السراج قال حكى ابو بكر محمد بن داود

الدينورى الرقى قال كنت فى البادية فوافيت قبيلة من قبائل العرب فاضافنى رجل منهم فرأيت غلاما اسود مقيدا هنالك ورأيت جمالا قد ماتت بفناء البيت فقال لى الغلام أنت الليلة ضيف) عند مولاى (وأنت على مولاى كريم) لانه يكرم الضيوف (فتشفع لى فانه لا يردك فقلت لصاحب البيت لا آكل طعامك حتى تخلى) وفى نسخة تحل (هذا العبد) أى تفكه من قيده

لا يستطيعون انكاره فالهمزة للانكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وكيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والمعنى اينكرون البعث من قدرة الله فلا ينظرون الى الابل التى هى نصب اعينهم كيف خلقت خلقا بديعا معدولا به عن سنن خلق سائر الحيوان فى عظم جثتها وقوة شدتها اللائقة بما يأتى ما يصدر عنها من الافاعيل كالنوء بالاوقار الثقيلة الى الاقطار النازحة وفى صبرها على الجوع والعطش واكتفائها باليسير من شوك ونحوه مما لا يكاد يرعاه غيرها (قوله الاولى واحد) فيه ان أحد بمعنى واحد لان أصله وحد من الوحدة نعم أحد لا يبدأ به العدد فلعل المنع من هذه الجهة (قوله فقال مالك حس) اى احساس تدرك به الطرب من ذلك الصوت (قوله انما كان لتضمنه معانى حسنة) اى وهى من غذاء الارواح وحياة القلوب التى هى محل تجلى الحق تعالى وخزائن أسراره فاذا تجلى نفسه الحق تجليا جماليا أو جلاليا قام القلب باذنه تعالى خليفة عنه فى أرضه فيبرزه الى عوالمه وجوارحه الجثمانية فكان القلب حينئذ صاحب الحق تعالى وكان أيضا بمقتضى ذلك الاستخلاف كانه رب الاسرار التى دونه من النفس وما فوقها وما دونها واليه الاشارة بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك يعنى القلب فافهم أوسلم تسلم (قوله وقال رسول الله الخ) أقول وهو أقوى ما يستدل به على مدح الصوت الحسن واباحة سماعه بل طلب سماعه (قوله لم يأذن الله لشئ الخ) قال بعضهم المراد بالتغنى بالقرآن الجهر به يعنى ما استمع لشئ كاستماعه لنبى يجهر بالقرآن لان أصل الغناء لغة رفع الصوت وبهذا فسره فى آخر الخبر فقال يجهر به فلا يجوز القرآن بالتلحين وانما معنى الحديث التحبير والتحزين قال بعضهم فان سألوا عن معنى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن بأصواتكم اقول معناه التحزين قال شعبة نهانى أيوب ان احدث بهذا الحديث مخافة ان يتأول على غير وجهه (قوله لم يأذن الله لشئ الخ) المعنى على ما تقدم من القبول والرضا (قوله كان يستمع لقراءته الجن الخ) اى وذلك لحسن صوته وتأثير موعظته فى قلوب السامعين (قوله وكان يحمل الخ) أى وسببه شدة تأثرهم بالسماع منه عليه السلام (قوله لقد اعطى مزمارا الخ) أى حيث كان حسن الصوت ولكلامه تأثير فى القلوب (قوله لحبرته لك تحبيرا) أى لرفعت صوتى به متحزنا ومرققا له لا على معنى التلحين والتطريب المعهود عند أهل الفسوق (قوله اخبرنا ابو حاتم الخ) فيه تنبيه على ان الحق تعالى يخص من يشاء من

(فقال لي هذا الغلام قد أفقرني وأتلف مالي فقلت) له (ما فعل فقال له صوت طيب وكنت أعيش) بجمال تسببه (من ظهر هذه الجمال فحملها أحمالا ثقيلة وحدا لها حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم واحد فلما حط عنها ماتت كلها ولكن قد وهبته) أي ذنبه (لك) وقبلت شفاعتك فيه (وحل عنه القيد فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته فسألته) أي الواهب (ذلك فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك يستقى عليه فحدا فهام الجمل على وجهه وقطع حباله ولم أظن أني سمعت صوتا أطيب منه فوقعت لوجهي حتى أشار إليه بالسكوت) فسكت (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت محمد بن عبد الله بن عبد العزيز يقول سمعت أبا عمرو الأنماطي يقول سمعت الجنيد يقول وقد سئل ما بال الإنسان يكون هادئا فإذا سمع السماع اضطرب) بقلبه مع جوارحه وبدونها (فقال) زائد (إن الله سبحانه لما خاطب الذر في الميثاق الأول بقوله) وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ١٣٠ (ألست بربكم قالوا بلى استفرغت عذوبة سماع الكلام) المخاطب به (الأرواح) فالمراد بالذرية والذر الأرواح التي خلقت قبل الأشباح (فلما سمعوا السماع حركهم) السماع (ذكر ذلك) الذي خوطبوا به فالأرواح كلها أقرت لله بالربوبية وعلى هذا حمل خبر كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها فمن سبق في علمه تعالى أنه يدوم على الفطرة بعد خلق جسمه ويكمل شرف روحه بالطاعات وبالمواهب الربانية قرت روحه اليه تعالى عند طروق سماعه ما ذكره ذلك الميثاق (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول السماع حرام على العوام لبقاء نفوسهم) فهي لما تسمعه من الشعر ونحوه بالألحان مائلة إلى ما اعتادته من الشهوات (مباح للزهاد لحصول مجاهداتهم) لأنهم عرفوا الله وجاهدوا أنفسهم في طلبه وأعرضوا عنها فلا يتضررون بالسماع بل يرجى لهم به الانتفاع (مستحب لأصحابنا) الصوفية الذين ارتقوا عن مجاهدة أنفسهم وغلب على قلوبهم مناجاة ربهم وتمكنوا في الأحوال حتى صارت مقامات (لحياة قلوبهم) فالسماع في حقهم يزيدهم حياة وقربا ويوالي عليهم برا ولطفا (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر الصوفي يقول سمعت الوجيهي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول كان الحرث بن أسد المحاسبي يقول ثلاث إذا وجدت تمتع) وفي نسخة متع (بهن) في الدنيا وذلك قليل قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فلا يجد العبد الراحة إلا بهذه الثلاث (وقد فقدناها) أحدها (حسن الوجه) أي الإقبال والملتقى في الظاهر بين الإخوان (مع الصيانة) للباطن عن التكلف ومخالفة الظاهر

التكلف

العبد بالنعم العظيمة وإن الحيوان يتأثر بالسماع حتى يؤدي ذلك إلى الموت (قوله هذا الغلام قد أفقرني) أي تسبب في فقري وإتلاف مالي (قوله ولكن قد وهبته الخ) المراد قد أسقطت حقي لأجلك (قوله فقال إن الله سبحانه الخ) محصله أن الطرب من سماع الأصوات الحسنة لتذكر سماع كلام القديم جل شأنه وقت أخذ الميثاق بالإيمان (قوله الأرواح التي خلقت قبل الأشباح) فيه أن الأرواح حادثة وهو كذلك وإن كانت مما لا يفنى بعد على الصحيح في ذلك كله والله أعلم (قوله كل مولود يولد على الفطرة) أي على معنى أنه لو خلي ونفسه لدام على توحيد الله تعالى وهذا كما ترى لا ينافي استعداد كل على حسب قسمته الأزلية من خير وشر والله أعلم (قوله السماع حرام على العوام الخ) أي فيختلف حكم السماع باختلاف حال السامع قوة وضعفا وكله فيما إذا كان بدون آلات الملاهي وإلا فهو ممنوع منه مطلقا وكذا لو كان من امرأة أو أمرد جميل مع خوف الفتنة فيهما (قوله لحياة قلوبهم) أي والحق تعالى ناظر إلى حياتها ويحبه حتى قيل إن القلب أفضل من الكعبة لأنها ما خلقت من أجله قال تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس وخلق القلب وما حواه من الأسرار من أجل الله تعالى الواحد القهار كما قال تعالى واصطنعتك لنفسي وما خوطب به موسى الكليم فيصدده كل عارف وعالم فافهم (قوله متع بهن في الدنيا) أي وفي الآخرة أيضا لأنها قد تكون وسيلة إلى ذلك باعتبار شهود من تفضل ومن بها عليه (قوله فلا يجد العبد الراحة الخ) أي الراحة الدنيوية بل والأخروية كما قدمناه (قوله أي الإقبال) أي فليس المراد خصوص الجمال وتناسب الأعضاء فقط (قوله عن التكلف) أي لغير المداراة أما

(و) ثانيها (حسن الصوت) بأن لا يتكلم الا بما يثاب عليه (مع الديانة) الحاصلة بالطاعات (و) ثالثها (حسن الاخاء) بأن ينظر كل واحد فى حق أخيه كما ينظر فى حق نفسه بل يؤثره على نفسه (مع) دوام (الوفاء) بذلك (وسئل ذو النون المصرى عن الصوت الحسن فقال) هو (مخاطبات واشارات أودعها الله كل) ذكر (طيب ١٣١ و) كل أنثى (طيبة وسئل مرة أخرى عن السماع فقال) هو (وارد حق يزعج القلوب) أى يحركها (الى الحق تعالى (فمن أصغى اليه) أى الوارد (بحق تحقق) وتمكن من حاله (ومن أصغى اليه بنفس) وباطل (تزندق وحكى جعفر بن نصير عن الجنيد انه قال تنزل الرحمة على الفقراء فى ثلاثة مواطن) أحدها (عند السماع) كما قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا غشيتهم الرحمة وتنزلت عليهم السكينة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده (فانهم لا يسمعون الا عن حق ولا يقولون الا عن وجد) صادق ويستحيون من ربهم ان يطلع على قلوبهم وهم يتكلفون لغيره (و) ثانيها (عند أكل الطعام فانهم لا يأكلون الا عن فاقة) لينشطوا للعبادة (و) ثالثها (عند مجاراة العلم فانهم لا يذكرون) مع صفات الله تعالى ورسله (الا صفات الاولياء) من احوالهم ومقاماتهم (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت الحسين بن احمد بن جعفر يقول سمعت أبا بكر بن ممشاد يقول سمعت الجنيد يقول السماع فتنة) أى امتحان وابتلاء (لمن طلبه) لان من طلبه تكلف له ومن تكلف له استجلبه بظاهره ومن استجلبه قارنه الرياء والتشبع بما لم ينل فليحذر من طلبه (ترويح لمن صادفه)

التكلف لها مندوب اليه (قوله بأن لا يتكلم الخ) تصوير لما يحسن سماعه والاصغاء اليه من ذى الصوت الحسن (قوله بأن ينظر كل واحد الخ) اى عملا بما ورد فى ذلك من الخبر الصحيح من قوله صلى الله عليه وسلم حب لاخيك ما تحب لنفسك (قوله بل يؤثره على نفسه) اى عملا بالكتاب العزيز حيث اثنى الحق به على الفضلاء من عباده (قوله مع دوام الوفاء) اى ليتحقق صدقه فى ذلك المقام (قوله فقال هو مخاطبات الخ) تعريفه بذلك باعتبار متعلق الصوت لا نفسه وكذا ما بعده ويحتمل انه باعتبار انه اذ فى كل شئ آية تدل على الحق تعالى وانفراده فى الملك (قوله فمن أصغى الخ) اى فلا بد من كون الاصغاء على طريق الموافقة لظاهر الشريعة المطهرة وقوله تحقق اى حيث يجرى على السداد والتمكين (قوله ومن اصغى اليه بنفس وباطل) اى بأن كان على وجه يخالف ظاهر الشرع والنص ويوافق الطبيعة والشهوة تزندق اى سلك طريق الزندقة (قوله أحدها عند السماع) اى الذى ندب الاصغاء اليه كما بينه الشارح (قوله قال تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له) فيه ارشاد الى طريق الفوز بما أشير اليه من المنافع الجليلة التى ينطوى عليها القرآن اى واذا قرئ القرآن الذى ذكرت شؤنه العظيمة فاستمعوا له استماع تحقيق وقبول وأنصتوا أى امكثوا فى خلال القراءة وراعوها الى انقضائها تعظيما له وتكميلا للاستماع وقوله لعلكم ترحمون اى تفوزون بالرحمة التى هى أقصى ثمراته وظاهر النظم الكريم يقتضى وجوب الاستماع والانصات عند قراءة القرآن فى الصلاة وفى غيرها وقيل اذا تلى عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل انهم كانوا يتكلمون فى الصلاة فأمروا باستماع قراءة الامام وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى المكتوبة وقرأ الصحابة رضى الله عنهم خلفه فنزلت أما خارج الصلاة فعامة العلماء على استحبابه وعند امامنا الشافعى حملها على الخطبة والله أعلم (قوله ويتدارسونه الخ) المراد بالمدارسة ان يقرأ الجملة واحد القراء ثم يقرأها بعينها آخر منهم (قوله الا غشيتهم الرحمة) اى عمتهم وتنزلت عليهم السكينة اى طمأنينة القلب وحفتهم الملائكة اى طافت بهم مستغفرين لهم وذكرهم الله فيمن عنده أى أثنى عليهم فى الملا الاعلى (قوله الا عن حق) اى عن أمر مرضى له تعالى (قوله ولا يقولون الا عن وجد) اى فهم رضى الله تعالى عنهم مراقبون لله تعالى فى سائر عباداتهم وحركاتهم وسكناتهم (قوله ولا يأكلون الا عن فاقة) اى عن حاجة شديدة لما ينشأ عن الاكل من الفتور وقسوة القلب وظلمته (قوله فانهم لا يذكرون الخ) اى فلا يذكرون غير ما ذكر مما مرجعه سفه النفس من الغير المأذون فيه شرعا (قوله السماع فتنة) اى

أى راحة لمن أتاه بغتة وقهره من فضل ربه فهو تزويح لقلبه وعون له فى سلوكه ونيل لطلبه (وحكى عن الجنيد انه قال السماع
يحتاج الى ثلاثة أشياء الزمان) أى سلامته مما يشوش على القلوب من الاسباب لتتفرغ للسماع (والمكان) اى سلامته من
الاغيار والاضداد بأن يكون خاليا ١٣٢ عما لا يوافقه ليسلم من القبض والتكلف فى الاحوال (والاخوان) ليتخذ المقاصد
وتحصل المساعدة فى نيل الفوائد
(وسئل الشبلى عن السماع فقال
ظاهره فتنة) لما فيه من سماع غناء
باصوات حسنة وربما كان
معه آلات (وباطنه عبرة) للسامع
بما يفهمه مما سمعه مما يدل على
المحبة والشوق والقرب والبعد
ونحوها (فمن عرف الاشارة) من
الكلام (حل له استماع العبرة
والا فقد استدعى الفتنة وتعرض
للبلية) لعدم معرفته الاشارة
(وقيل لا يصلح السماع الا لمن كانت
له نفس ميتة وقلب حى فنفسه)
ماتت لانها (ذبحت بسيوف
المجاهدة) فخرجت بها عن
شهواتها وعاداتها (وقلبه حى
بنور الموافقة) للاوامر والنواهى
فان موافقتها سبب لتوالى النعم
والمعرفة والمناجاة ودوام المشاهدة
(وسئل أبو يعقوب النهرجورى
عن السماع فقال) هو (حال يبدى)
أى يظهر (الرجوع الى الاسرار)
أى المعاملات التى بين السامع
وربه (من حيث الاحتراق)
فالسماع حال يظهر هذه الاسرار
على ظاهر السامع من المحبة
والشوق والقرب والبعد ونحوها
(وقيل السماع لطف غذاء الارواح
لاهل المعرفة) أى أرواحهم تتغذى وتعيش بالمعانى اللطيفة التى تفهم من السماع ويتقوى بها جدها مقصورا
وطلبها ويدوم أنسها بمحبوبها ويظهر عليها طربها (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول السماع طبع) بأن يستجلبه
السامع بالغناء والآلات (الا عن شرع) أى سبب مأذون فيه شرعا بأن يستجلبه بسماع القرآن والمواعظ

لان المكلف الكامل مشغول بالافضل من الوظائف الوقتية التى هى من أسباب القرب
اليه تعالى فاذا طلب غيره فقد تعرض للفتنة بعدوله عن الافضل فى حقه وهذا بخلاف
ما اذا صادفه من غير قصد كما ذكره (قوله اى راحة الخ) أى حيث هو حينئذ من واردات
الحق واشارات الصدق (قوله الزمان) اى صفاء الزمان وفراغه من الوظائف الاهمية
من السماع وسلامته من شواغل القلوب بما غلب عليها من الطوارق الوقتية (قوله اى
سلامته من الاغيار) أى المغايرين له فى تخلقه (قوله والاخوان) اى لاجل المساعدة
فى تحقيق المقاصد ونيل الفوائد (قوله ظاهره فتنة) اى محنة باعتبار نظر غير العارف
لوقوفه مع المحسوسات وهو فى نفس الامر قد يكون باطنه عبرة باعتبار قوة حال السامع
ولا يخفى عليك ان الفرض فى السماع الجائز فى ابتداء الارادة لا فى مطلق السماع الشامل
لما منع شرعا وطريقة وبما قررناه يظهر لك ما فى كلام الشارح (قوله حل له استماع
العبرة) اى بشرط ان يكون السماع على طريقة المتابعة والا امتنع لان درء المفاسد
مقدم على جلب المصالح (قوله الا لمن كانت له نفس ميتة الخ) المراد فناء النفس
الحيوانية عن عاداتها ومألوفاتها والمراد بحياة القلب دوام ذكره للرب ومراقبته له جل
جلاله (قوله فنفسه ذبحت بسيوف المجاهدة) اى المجاهدة التامة فى تحقق مقامات
الصدق فى أنواع الطاعة الشبيه ذلك بذبح السيف المعتاد (قوله بنور الموافقة) اى
المتابعة لظواهر أحكام الشريعة (قوله حال يبدى الخ) اى فكل سامع انما يسمع مما
غلب على قلبه من معاملات ربه ولذلك يختلف السماع اختلافا كثيرا باعتبار مقامات
وأحوال السامعين فما يظهر على ظاهر صور السامعين فهو مما أضمر من أسرار المحبين
على اختلاف شرب المقربين وخالص شراب المخلصين (قوله اى ارواحهم تتغذى الخ)
أى فمعانى معارج المعرفة ولطائف المنن المتحفة هى قوت ارواح اهل المعرفة وحياة
نعيمهم المترفة (قوله السماع طبع) اى يكون سببا فى الطبع على قلوب السامعين وذلك
حيث كان على وجه غير مأذون فيه كما أشار اليه الشارح (قوله السماع طبع) أى
ينشأ عن موافقة الطبع الحيوانى والمألوف الشهوانى وحينئذ فثمرته الطبع على القلب حتى
لا تؤثر فيه المواعظ فقول الشارح بان يستجلبه الخ تصوير للسماع الذى يحذر وقوله الا
عن شرع اى الا السماع الناشئ عن سبب مأذون فيه شرعا بأن يستجلبه بسماع القرآن
والمواعظ والشعر الجائز كما ذكره الشارح فانه من الوسائل المدنية من على المقامات
(قوله بسماع القرآن) اى ولو كان بالالحان مادام القارئ يراعى احكام القراءة فلا بد

أو الشعر الجائز (وخرق) بان يقوم فى السماع ويرقص ويصيح (الاعن حق) اى غلبة (وفتنة) بان يستجلبه بسماع الاشعار الموضوعة لمدح المخلوقين و جمالهم وقربهم وبعدهم (الاعن عبرة) بان يعتبر بما سمعه من ذلك حال السمع مولاه فيسلم من الفتنة (ويقال السماع على قسمين سماع بشرط العلم والصحو فمن شرط صاحبه) أى ماذكر من العلم والصحو (معرفة الاسامى والصفات) التى لله تعالى ليصفه بما يليق بجلاله مما سمعه وينفى عنه ما سواه (والا وقع فى الكفر المحض) والعياذ بالله (وسماع بشرط الحال فمن شرط صاحبه الفناء عن أحوال البشرية والتنقى من آثار الحظوظ بظهور) غلبة (أحكام الحقيقة) على السامع بشغله بربه ودوام مراقبته له بحيث نسى سائر خلقه (وحكى عن احمد بن أبى الحوارى انه قال ١٣٤ سألت أباسليمان عن السماع) أى احبه (فقال) هو (من اثنين) أى دليلين أو صوتين (أحب الى منه (من الواحد) لان تأثير القلب بالاثنين أبلغ وأقوى وأنفع من تأثيره بالواحد (وسئل أبو الحسن النورى عن الصوفى فقال) هو (من سمع السماع وآثر الاسباب) أى أسباب السماع فاذا كان سبب سماعه كلام الله تعالى أو موعظة من أخ صادق كان ايثاره له ومحبته له آكد من غيره (وسئل أبو على الروذبارى عن السماع يوما فقال ليتنا تخلصنا منه رأسا برأس) أى لا لنا ولا علينا خوفا من التكلف واستجلاب الاحوال مع الجماعة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول من ادعى السماع ولم يسمع صوت الطيور وصرير الباب وتصفيق الرياح) أى ولم ينتفع بسماعه لها (فهو مفتر مدع) لان الصوفى الكامل قد رق قلبه وقوى ادراكه فله فى كل صوت سماع سواء كان من طير أم رعد أم تصفيق ريح أم غيرها على غفلة لتأثر قلبه وانزعاجه بادنى سبب كما قال بعضهم ما رأيت شيأ حتى رأيت الله معه أى كل حادث يذكره المحدث (سمعت ابا حاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت أبا نصر السراج الطوسى يقول سمعت أبا الطيب احمد بن مقاتل العكى يقول قال جعفر كان ابن زيرى من اصحاب الجنيد شيخا فاضلا فربما كان يحضر موضع سماع فان استطابه) ووجد فيه خيرا (فرش ازاره وجلس) لكمال الخير (وقال الصوفى) راحته (مع قلبه وان لم يستطبه قال السماع لارباب القلوب) اخبر ان قلبه فى هذا الوقت ليس بطيب (ومر) اى انصرف (وأخذ نعله) ولم يتكلف لسماع (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت عبد الواحد بن بكر يقول سمعت عبد الله ابن عبد المجيد الصوفى يقول سئل رويم عن وجود الصوفية) أى عما يجدونه (عند السماع

مقصورا ولا يقصر ممدودا ولا يخرج حرفا عن مخرجه مثلا (قوله او الشعر الجائز) أى مثل المشتمل على التوحيد والمواعظ أو مدح نبى او ولى بدون الاطراء والمبالغات التى ربما أخرجته عن مواطن الصدق والا فيحرم سماعه كما لا يخفى على من له المام بالاحكام (قوله وخرق) اى ثلم مروءة حيث يرجع الى حظ النفس وشهواتها (قوله وفتنة) اى افتتان اى سبب فيه الاعن عبرة اى الا اذا ادى الى اعتبار السامع فلا يكون حينئذ فتنة (قوله بشرط العلم والصحو) اى على طريقهما وقوله فمن شرط صاحبه الخ اى فمن شرط حل سماع الانسان علمه ومعرفته بما يصح اطلاقه عليه تعالى من الاسماء والصفات ليحذر من غيره (قوله والا وقع فى الكفر المحض) اى اذا علم وتعمد اطلاق ما يفيد النقص وما لا يليق بجنابه تعالى (قوله وسماع بشرط الحال) اى على طريق غلبتها على قلب السامع (قوله فمن شرط صاحبه الفناء الخ) محصله وثوق السامع بالقيام على نفسه بواسطة دوام مراقبته للحق تعالى فيما يسمعه (قوله اى احبه) مراده بالاحب الافضل باعتبار ما يترتب عليه من حق الحق لا من جهة ميل النفس بدون شاهد الصدق (قوله لان تأثير القلب بالاثنين) أى ما يحصل فيه من العلم واليقين بخبر الاثنين ابلغ واقوى وأنفع من تأثيره بالواحد أى بخبره لضعفه بالنسبة للاثنين (قوله فقال هو من سمع السماع وآثر الاسباب) أقول لعل ذلك باعتبار ابتداء حال التصوف اذ عند نهاية التصوف غير السماع أهم منه كما لا يخفى على ذى الذوق السليم والعقل المستقيم (قوله فقال ليتنا الخ) أشار نفعنا الله به الى ان السماع من مواطن الخطر لا يحسن الا عند من عظم صدقه وتحقق عنده الحق (قوله من ادعى السماع الخ) أى ويشير اليه ان فى كل شئ آية تدل على انه تعالى واحد فمن فرق فى السماع فما تحقق ولذا قيل * وكل ناطقة فى الكون تطربنى * والله اعلم (قوله فان استطابه الخ) فيه دليل على انه من الكاملين الذين لا يتكلفون اسباب السماع ويتحرون فى الاتفاق منه لا كل احواله (قوله راحته مع قلبه) اى مع حالة حضور قلبه ومراقبته (قوله قال السماع لارباب القلوب) أى القلوب

فقال يشهدون المعانى) المرضية لله (التى تعزب عن غيرهم فتشير اليهم) اتسوا (الى "الى" فيتنعمون بذلك من الفرح) لان كل
عارف بالله له معه معاملة وقرب بحسب حاله وما فتح الله به عليه فمنهم خائف ومنهم راج ومنهم مقبوض ومنهم مبسوط ومنهم محب
ومنهم مشتاق ومنهم واجد ومنهم مراقب ومنهم مشاهد فاذا سمعوا السماع دل المسموع كل واحد منهم على المعنى الذى بلغ
اليه فى معاملته وقربه من مولاه فان كان متمكنا قوى عليه الفرح والانس والانبساط (ثم يقع الحجاب) لهم ليتأكد شوقهم ويقوى
طلبهم لما كانوا فيه (فيعود ذلك الفرح بكاء فمنهم من يخرق ثيابه ومنهم من يصيح ومنهم من يبكى) ومنهم من يغشى عليه ومنهم
من يموت (كل انسان على قدره) أى قدر تعلقه بربه ورفعة مقامه وعظم بعده وحجبه (سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول
سمعت عبد الله بن على يقول سمعت الحصرى يقول فى بعض كلامه ايش اعمل بسماع ينقطع اذا انقطع من يسمع منه) فلا ينبغى
للسامع هذا السماع وهو السماع المعتاد ١٣٤ الذى بالآلات وجميل الاصوات بل (ينبغى ان يكون سماعك (سماعا) متصلا غير
منقطع قال وقال الحصرى) أيضا
ماهو كالتفسير لذلك (ينبغى ان
يكون) للسامع (ظمأ دائم
وشرب دائم فكلما ازداد شربه
ازداد ظمؤه) وذلك بدوام معرفة
الله ومحبته ومناجاته والاشتغال
به حتى تتأنس القلوب به وتنال
من فضله وعطاياه وما يمنحها الله
فاذا وصل العبد الى هذا السماع
لم يصبر عنه بحال وكلما ازداد شربه
منه والانتفاع توالى عطشه عليه
وتواردت على قلبه الاوجاع فعمل
المؤمن دائم لا ينقطع قال تعالى
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
اى الموت وقال النبى صلى الله
عليه وسلم أحب العمل ما دام عليه
صاحبه (وجاء عن مجاهد فى تفسير
قوله تعالى فهم فى روضة يحبرون
انه) أى معناه (السماع من الحور
العين باصوات شهية نحن الخالدات
فلا نموت أبدا نحن الناعمات فلا نبأس أبدا) كسائر أهل الجنة اذ لا موت فيها ولا شدة والبأس الشدة فى الحرب ليدوم
ونحوه يقال منه بؤس الرجل يبأس بأسا اذا كان شديد البأس (وقيل السماع نداء) من الله للعبد (والوجد) من العبد (قصد)
واجابة له (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت أبا عثمان المغربى يقول قلوب أهل الحق قلوب حاضرة واسماعهم اسماع
مفتوحة) فى ذلك دلالة على دوام تكلف القلوب للحضور والسماع فلما كملت أحوالها كشف لها فى وقت عن الجلال والجمال
ليكمل ادراكها وستر ذلك عنها فى وقت ليعظم لهبها واشتياقها فهى بين كشف واستتار وحياة ودمار ونيل وانتظار
قال تعالى فى وصف المؤمنين ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ووصف الكفار بأنهم فى اذانهم وقر وبانه
ختم على قلوبهم وعلى سمعهم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت الاستاذ أبا سهل الصعلوكى يقول المستمع بين استتار وتجل

التى تخلصت من العلائق والشواغل (قوله يشهدون المعانى الخ) اى فكل يسمع
على حسب شربه فى مقامه وحاله ويصل بالسماع الى ماذاقه من شراب وصاله فيزيد
سروره بما بدا ثم يعود بعد كما بدا فافهم (قوله ثم يقع الحجاب) اى وذلك باعتبار
حال السائرين أما العارفون الكاملون فلا يغيرهم شئ لخروجهم عن احساس
انفسهم باستغراقهم فى مشاهدهم (قوله اى قدر تعلقه بربه الخ) أقول ويحتمل ان المراد
على قدره اى المقدر له فى سابق علم الحق تعالى (قوله بل ينبغى الخ) مراده الحث على سبب
دوام السماع ليكون من امارات الانتفاع بحيث يصير كلما ازداد سماعه عظمت اوجاعه
وكلما ورد شراب المحبين وكرع من اشارات المقربين اشتد ظمؤه وصدق نبؤه فافهم
(قوله ما دام عليه صاحبه) اى وان قل كما ورد هكذا فى رواية أخرى (قوله نحن
الخالدات الخ) لعل ذلك بيان لما سيسمع منهن (قوله وقيل السماع نداء الخ) أى نداء
اشارى واجابة حقيقية فافهم والله اعلم (قوله قلوب حاضرة) اى بدوام ذكر الحق
ومراقبته بالصدق والمراد قلوب العارفين المحققين اذ ما ذكره الشارح يفيد ما ذكر
(قوله ان فى ذلك لذكرى) اى فيما ذكر فى السورة لتذكرة وعظة وقوله لمن كان له قلب
اى قلب سليم يدرك به كنه ما يشاهده من الامور ويتفكر فيها كما ينبغى فان من عرف
ذلك بقلبه رأى ان مدار الدمار على الكفر وقوله أو ألقى السمع اى الى ما يتلى عليه من
الوحى الناطق بما جرى للكفرة واو فى قوله او ألقى السمع لمنع الخلو دون منع الجمع فان
القاء السمع لا يجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى وهو شهيد اى حاضر
بفطنته لان من لا يحضر ذهنه كأنه غائب (قوله المستمع بين استتار وتجل) اى وذلك

فالاستتار يوجب التلهيب) اى الاشتياق (والتجلى يورث) وفى نسخة يوجب (الترويح والاستتار يتولد منه حركات المريدين وهو) أى الاستتار (محل الضعف والعجز والتجلى يتولد منه سكون الواصلين) الى الله تعالى (وهو محل الاستقامة والتمكين وذلك صفة الحضرة ليس فيها الا الذبول تحت موارد الهيبة قال الله تعالى فلما حضروه قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا) أى اصغوا لاستماعه (وقال أبو عثمان الحيرى السماع) لكونه انما طلب للاستمتاع والخلق فيه ثلاثة أقسام مبتدئ ومنته ومتوسط (على ثلاثة أوجه فوجه منها للمريدين والمبتدئين يستدعون بذلك الاحوال الشريفة ويخشى عليهم فى ذلك الفتنة والمراآة) فسماعهم لتحصيل مالم يحصل وهم متكلفون عاملون فى أسباب التحصيل بالفكر والبكاء ومخالطة أرباب الاحوال فيخشى عليهم دخول افات الاعمال من الرياء والعجب وغيرهما مما يفسد الاحوال (والثانى للصادقين يطلبون الزيادة فى أحوالهم ويسمعون من ذلك) السماع (ما يوافق أوقاتهم) فسماعهم لكمال الاحوال والترقى فى درجات الكمال (والثالث لاهل الاستقامة من العارفين) بالله (فهؤلاء لا يختارون على الله) أى لا اختيار لهم (فيما يرد) من الله (على قلوبهم من الحركة والسكون) بل هى محل لذلك فسماعهم لدوام الكمال (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الفرج الشيرازى يقول سمعت ابا على الروذبارى يقول كان ابو سعيد الخراز يقول من ادعى انه مغلوب) على قيامه وحركاته (عند الفهم يعنى فى السماع وأن الحركات مالكة له فعلامته) أى علامة صدقه فى دعواه (تحسين أهل المجلس الذى هو فيه بوجده) بأن يؤثر فيهم حاله بما ظهر عليه من امارة الغلبة والقهر فى حركاته وسكناته فيوقع الله صدقه فى قلوبهم فينال كل منهم نصيب من حاله (قال الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى فذكرت هذه الحكاية لابى عثمان المغربى فقال هذا) أى ماذكر من علامات صدقه (أدناه) اما (علامته الصحيحة) الدالة على كمال صدقه وتناهى حاله فهى (ان لا يبقى فى المجلس محق الا أنس به) لانه وجد بعض ما وجد أو مثله (ولا يبقى فيه مبطل) منكر (الا استوحش منه) لانه أنكر عليه حاله (وقال بندار بن الحسين السماع) الحاصل للناس (على ثلاثة أوجه فمنهم من يسمع بالطبع ومنهم من يسمع بالحال ومنهم من يسمع بحق) وفى نسخة بالحق (فالذى يسمع بالطبع يشترك فيه) أى فيما يسمعه (الخاص والعام فان جبلة) الاولى الجبلية (البشرية استلذاذ الصوت الطيب) والنغم الحسن

يسدوم اشتياقه ويقوى بذلك رجاؤه فهو اذا احتجب التهب واذا كوشف اقترب واضطرب فهو بين عذاب عذب ولذة غارق فى أبحر تلك النعمة فافهم (قوله يوجب التلهيب) اى الاحتراق بنيران الاشواق (قوله يورث الترويح) أى بطلوع بشائر التفريح (قوله يتولد منه حركات المريدين) أى بما يظهر من عدم تحمل وارد رب العالمين (قوله وهو محل الضعف والعجز) أى عن تحمل الواردات الالهية وبوارق أنوار الصمدية فيبدو منهم الاضطراب من عدم القوة على تحمل ما أصاب (قوله والتجلى يتولد منه الخ) أى وان كان التجلى يختلف لانه قد يكون بالجلال والكمال وقد يكون بالجمال والدلال (قوله السماع على ثلاثة أوجه الخ) محصله ان المبتدئ سماعه من بواعث العمل والمتوسط سماعه من صدق الحال والمنتهى سماعه مما يجريه الحق تعالى فيه من تصاريف الاحكام (قوله يستدعون بذلك الخ) أى لانهم يستمعون من باعث الخوف والرجاء وقوله ويخشى عليهم الخ أى يخشى عليهم ابقاء نفوسهم حية تطالب حظوظها (قوله يطلبون الزيادة فى أحوالهم) أى لان سماعهم من واردات قلوبهم بواسطة ملك أو الهام (قوله فهؤلاء لا يختارون على الله الخ) أى لان سماعهم بقلوبهم بما يرد عليها منه تعالى بدون واسطة والله أعلم (قوله فسماعهم لدوام الكمال) أى بواسطة المحبة والاجلال (قوله فعلامته الخ) محصله وقوع صدقه فى قلب من رآه ممن صفت قلوبهم لا مطلقا (قوله أن لا يبقى فى المجلس الخ) أى وذلك لان من ذاق عرف ومن وصل الى البحر اغترف (قوله الا استوحش) أى لان الجاهل عدو للعالم وقوله لانه أنكر عليه حاله أى وان كان الانكار بالحال لا بالقال (قوله فمنهم من يسمع بالطبع) أى بالجبلة وقوله بالحال اى حال القلوب وقوله بحق أى وذلك هو الله تعالى (قوله يشترك فيه الخاص والعام) اى وان كان هناك فرق بين العالى غير المريد والعامى المريد لان الاول يسمع من حيث

(و) أما (الذي يسمع بالحال فهو) من (يتأمل مايرد عليه من ذكر عتاب أو خطاب او وصل أو هجر او قرب أو بعد أو تاسف على فائت أو تعطش الى آت او وفاء بعهد أو تصديق لوعد أو نقض لعهد أو ذكر قلق او اشتياق أو خوف فراق أو فرح وصال أو حذر انفصال وما يجري مجراه وأما من يسمع بحق فيسمع بالله ولله ولا يتصف بهذه الاحوال التي هي ممزوجة بالحظوظ البشرية فانها مبقاة مع العلل يسمعون من حيث صفاء التوحيد ١٣٦ بحق لا بحظ) حاصل ذلك أن الاول وهو المبتدئ موقوف على خلاصه من ضرر الاثم والثاني وهو صاحب الحال سماعه للزيادة مما هو فيه من معاملته مع الله وقربه منه فلا علم عنده لعدم المجاهدة وهو يتنعم بما يتوالى عليه من المشاهدة والثالث وهو صاحب الحق مستغرق فيما هو فيه من شغله بالله حتى لم ير ماعداه وانما سماعه منه وبه واليه لا اله سواه (وقيل أهل السماع على ثلاث طبقات) اى اضرب ضرب اول هم (أبناء الحقائق يرجعون في سماعهم الى مخاطبة الحق سبحانه لهم) بأن يسمعوا منه ما يخلقه في قلوبهم من الفهم مع انهم لم يقطعوا العلائق الآتي بيانها (وضرب) ثان (يخاطبون الله تعالى بقلوبهم بمعاني مايسمعون) بأن يخاطبوه بما يلهمهم اياه من الدعاء والالتجاء والنجوى (فهم مطالبون بالصدق فيما يشيرون به الى الله تعالى) بقلوبهم (و) ضرب (ثالث هو فقير مجرد قطع) اى هم فقراء مجردون قطعوا (العلاقات من الدنيا والآفات) لا يخاطبون الله بل (يسمعون) منه (بطيبة قلوبهم) ما يلهمه لهم فانهم لكونهم فرغوا من تدبير أنفسهم ورياضة أحوالهم صاروا محالا لما يجريه الله عليهم من المعاني التي يتلذذون بها (وهؤلاء اقربهم) اى فمعناه اقرب الاضرب الثلاثة (الى السلامة) لبعدهم عن دعوى الصدق فيما يخاطبون الله به لانهم لا يخاطبونه كما مر (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت ابا بكر الرازي يقول سمعت أبا علي الروذباري يقول وقد سئل عن السماع فقال) هو (مكاشفة الاسرار)

ما للنفس من الحظ والثاني يسمع من بواعث الاعمال (قوله فهو من يتأمل مايرد عليه) اى بواسطة الهام أو ملك يتقشف في روعه واردا من تلك الواردات (قوله من ذكر عتاب الخ) ماذكره من الواردات يناسب كامل احوال الخلق العارفين وغيرهم (قوله وما جرى مجراه) أي فيشتغل بما بداله من آثار هذه الواردات المتقدمة (قوله فيسمع بالله ولله) أي بما يرد عليه منه تعالى بدون واسطة بخلاف من قبله فان ما يرد عليه لا يكون الا بالواسطة من الهام أو ملك وقوله ولله اى فيكون سماعه لحقه تعالى لا لغير ذلك من الاغراض النفسية (قوله موقوف على خلاصه الخ) فيه قصور يظهر مما قدمناه من الفرق بين العاصي غير المريد وبين العاصي المريد فما ذكره الشارح انما يناسب العاصي غير المريد واما العاصي المريد فيقال فيه انه موقوف على التثبت في مراعاة المتابعة لسنة سيد الكاملين عليه صلاة وسلام رب العالمين (قوله للزيادة) أي فهو طالب ومن بعده صامت (قوله حتى لم ير ماعداه) أي لانه قد فني عن مراده في مراد مولاه سبحانه وتعالى (قوله وانما سماعه منه وبه واليه) اى بدأ واعانة ومرجعا (قوله أهل السماع على ثلاث طبقات الى آخره) حاصله ان الطبقة الاولى مخاطبون بخطاب الحق سامعون له وعاملون به والثانية تخاطبه تعالى بمعاني مايرد على قلوبهم فهم حينئذ مدعون ولذلك طولبوا بالصدق فيه والثالثة صامتة خرساء تجردت عن العلائق شاهدة انها محال لما يجريه الحق تعالى في الخلق والله أعلم (قوله يرجعون في سماعهم الخ) أي فهم دائما يشاهدون المتابعة غير ان قلوبهم متطلعة الى ما وعد به الحق تعالى من الحظ الآجل (قوله وضرب ثان يخاطبون الله الخ) أي يخاطبونه على معنى اشتغال قلوبهم بما يسمعونه في الوقت فيتخلقون باشارته على حسب وارده ويحتمل ان معنى يخاطبون الله أي من حيث ان السنتهم لهجة بذكره وقلوبهم مشتغلة بفكره فلا تعلق لهم في الظاهر والباطن الا به تعالى وهذا أولى مما قبله (قوله هو فقير مجرد) أي متخل عن الإرادة والاختيار لشيء غير ما اراده مولاه (قوله قطعوا العلاقات من الدنيا) أي بل ومن الآخرة أيضا (قوله لكونهم فرغوا من تدبير أنفسهم) أي من ترتيبها على طريق المتابعة (قوله ورياضة أحوالهم) أي بعرضها على ظاهر الشرع فما وافق منها عمل به وغيره يترك العمل به (قوله لبعدهم عن دعوى الصدق) الاولى لبعدهم عن سائر الدعاوى لانهم صامتون راضون بكل ما يجريه الحق تعالى فيهم من تصاريف الاحكام ولوم اللائم (قوله فقال هو مكاشفة الاسرار الخ) أي

الموصلة (الى مشاهدة المحبوب) بان يكون العبد فى غطاء من غفلته عن ربه ثم يكشف عنه الغطاء فيذكر ربه ويتمتع برؤيته ومشاهدته بقلبه فانتقاله عن غفلته الى ذكر ربه ورؤيته هو ما يعبر عنه بالسماع الصحيح (وقال) ابراهيم (الخواص رحمه الله تعالى وقد سئل ما بال الانسان يتحرك) ويجد (عند سماع غير القرآن) من الشعر ونحوه (ما لا يجد ذلك فى) وفى نسخة عند (سماع القرآن فقال) زائد (لان سماع القرآن صدمة لا يمكن لاحد ان يتحرك فيه لشدة غلبته وسماع القول ترويح) لقلب السامع (فيتحرك) بسماعه لانه مطابق لما عنده فيسرع الفهم اليه فيقبله و يانس به وقد قيل القرآن

ذكر فلا يقدر على فهمه ووجود الاحوال فى سماعه الا الذكور من الرجال بخلاف الشعر ونحوه الذى هو لمخاطبة المخلوقين (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله تعالى يقول سمعت عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازى يقول سمعت الجنيد يقول اذا رأيت المريد يحب السماع فاعلم أن فيه بقية من البطالة) لانه لم تكمل معرفته بمولاه ولا جاهد نفسه فى مفارقة هواه بخلاف سماع من كملت معرفته فانه انما يكون بعد تقدم المجاهدات والرياضات والاعراض عن الشهوات شغلا بالله وطمعا فى وجود الراحات فيكون سماعه من باب العون له على مقاصده الصحيحة وأحواله الرفيعة (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا عبد الله البغدادى يقول سمعت أبا سعيد الرملى يقول) زائد (قال سهل بن عبد الله السماع علم استأثر الله) أى اختص (به لا يعلمه الا هو) لانه ليس مكتسبا بل موهبة من الله لمن اختصه به (وحكى أحمد بن مقاتل العكى قال لما دخل ذو النون المصرى بغداد اجتمع اليه الصوفية ومعهم قوال) منشد الشعر (فاستأذنوه) أى ذا النون (بأن يقول) القوال (بين يديه شيأ) وكان محتاجا الى السماع من غيره (فاذن) بذلك (فابتدأ يقول صغير هواك) أى حبك (عذبنى * فكيف به اذا احتنكا) اى استولى وقهر (وأنت جمعت من قلبى * هوى) أى حبا (قد كان مشتركا أما ترثى لمكتئب *) أى شديد الحزن (اذا ضحك الخلى) أى الخالى من الهم (بكى قال فقام ذو النون وسقط على وجهه) من شدة حاله

فمعناه تنبيه القلب الى ما كان غافلا عنه من كمالات ربه وهو كما ترى من اخلاق المريدين لا العارفين من المحققين اذ لا غفلة لهم لانها عندهم من أكبر الذنوب التى لو وقعت بتقدير الحكيم العليم لوجبت عليهم التوبة منها حالا (قوله الموصلة الى مشاهدة المحبوب) أى فحينئذ السماع وارد حق منبه للقلب المستعد للكمالات على مراقبة مولاه فيما أولاه بعد غفلته فى مهد رقدته وذلك هو السماع الصحيح كما ذكره الشارح نفعنا الله ببركات أنفاسه (قوله ما بال الانسان يتحرك الخ) اعلم ان الحركة وقت السماع المشروع لا تعد نقصا عند تجرد السماع عن شوائب الحظوظ النفسية وانما النقص فى الحركة عند السماع الهوانى الممازج للشهوات نعم الكمال فى الكمال وله الاشارة بقوله جل ذكره ما زاغ البصر وما طغى وغير البصر منها احرى فافهم (قوله فقال لان سماع القرآن الخ) حاصله ان القرآن كلام الله القديم ولا نسبة بين القديم والحادث حتى يصح الترويح بسماعه لان نسبته العظمة والجلال والقهر ووصف العبد الذل والضعف فلذا كان سماع القرآن صدمة وجبروتا وعظمة بخلاف سماع كلام من ماثلك فى النعوت البشرية فهو يوجب الترويح لقوة المناسبة بينك وبينه (قوله وقد قيل القرآن ذكر الخ) المراد به انه من مجالى الجبروت والعظمة وحينئذ فلا يتروح به الا الذكور من الرجال لكونهم فى الثبات كالجبال بخلاف غير القرآن من الشعر ونحوه الذى لا يصدر غالبا الا من خنثا ناهم فانه هو الذى يتروح به الامثال من الخناثى (قوله يحب السماع) أى يحبه من جهة ما للنفس فيه من الحظ باعتبار ما جبلت عليه النفوس (قوله بخلاف سماع من كملت معرفته) أى وكان من المتوسطين فى طريق السير الى الله تعالى (قوله السماع علم الخ) لعل المراد أن تأثير السماع فى قلوب السامعين مما استأثر الله بعلمه اذ هو الذى لا يعلمه غيره تعالى (قوله وكان محتاجا الى السماع) أى كان فى ذلك الوقت الاهم عنده السماع لا غيره (قوله صغير هواك الخ) اى حبى اياك الذى مننت على به الذى هو فى نفس الامر صغير بالنسبة لما يليق بجلالك وعظمتك عذبنى أى صيرنى متقلقا لاجل محبة اقاتك فكيف اذا احتنكا باستيلائه وقهره على قلبى وزاد على طاقتى وقوله وأنت جمعت الخ محصله انه كان قبل يميل الى أشياء متعددة ثم بتوفيق الحق تعالى له صار لا يميل الا اليه سبحانه وقوله أما ترثى الخ

(والدم يقطر من جبينه ولا يسقط على الارض) وفي نسخة ولا يشعر أي به (ثم قام رجل من القوم) لم يبلغ حاله حال ذي النون (يتواجد فقال له ذو النون الذي يراك حين تقوم فقعد الرجل سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول في هذه الحكاية كان ذو النون صاحب اشراف على ذلك الرجل حيث نبهه) على (ان ذلك ليس مقامه وكان ذلك الرجل صاحب انصاف حيث قبل ذلك منه فرجع وقعد سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمي يقول سمعت عبد الله بن على الصوفي يقول سمعت الرقي يقول سمعت ابن الجلاء يقول كان بالمغرب شيخان لهما أصحاب وتلامذة يقال لاحدهما جبلة وللثاني رزيق) بتقديم الراء (فزار رزيق يوما جبلة في أصحابه فقرأ رجل من أصحاب رزيق شيأ فصاح واحد) صادق (من أصحاب جبلة ومات) لقوة حاله عليه وفي ذلك دلالة على صدق القارئ والمستمع في السماع (فلما أصبحوا قال جبلة لرزيق أين الذي قرأ بالامس فليقرأ فقرأ آية فصاح جبلة صيحة فمات القارئ) على أحسن احواله (فقال جبلة واحد بواحد) أشار به ١٣٨ الى ان في أصحاب كل منهما صادقا (و) لكن (البادى) منهما بالقراءة (أظلم) من الظلمة لا من الظلم لان قلبه لم يتأثر بقراءته كما تأثر بها قلب سامعه فكان قلب سامعه اصفى وأنور من قلبه فمات بسماع قراءته دونه ولما كمل صفاء قلبه وزالت عنه ظلمته بقراءته ثانيا وبصيحة جبلة بقوة الحال مات فرحم الله الجميع (وسئل ابراهيم المارستاني عن الحركة عند السماع فقال بلغني ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل) أي ذكر لهم قصة (فمزق واحد منهم قميصه فأوحى الله اليه قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثيابك) فالمراد من السماع سماع القلب واصلاحه وحفظه لا سماع الجوارح من غير غلبة اذ يخشى على من ظهر عليه الرقص والتواجد والقلق من غير غلبة دخول الرياء والكذب في دعواه ان ذلك عن غلبة فيدخل في خبر المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور (وسأل أبو على المغازلي الشبلي) (قوله رحمهما الله (فقال) له (ربما يطرق) وفي نسخة طرق (سمعي آية من كتاب الله تعالى فتحدوني) أي تسوقني وتحملني (على ترك الاشياء) المشتهاة (والاعراض عن الدنيا) والاقبال على الله (ثم ارجع الى أحوالى) واحساسى (والى الناس فقال الشبلى ما اجتذبك) وساقك (اليه) تعالى (فهو عطف منه عليك ولطف) واكرام منه لك (وما رددت) به (الى نفسك) واحساسك والناس (فهو شفقة منه عليك لانه لم يصح لك) لكونك لم تكمل (التبرى من الحول والقوة في التوجه اليه) تعالى فهو تعالى يربيك ويعاملك به ويذيقك أشرف الاحوال معه لتعرف قدر نعمه ويردك الى نفسك واحساسك لتعرف عجزك عن نيل ذلك ويتكامل همك وتقوى رغبتك في الاشتغال به والاعتماد عليه دون غيره

شاهد لما قبله والله أعلم (قوله ولا يسقط على الارض) أي صيانة له وحفظا لكرامته عند ربه (قوله فقال له ذو النون الذي يراك الخ) أي ذكره بالرقيب القريب وقوله فقعد الرجل اى قعد خوفا وحياء (قوله حيث قبل ذلك منه الخ) أي فكان ذلك دليلا على قوة خوفه وحيائه وهو من أسباب القرب وبلوغ درجة الكمال (قوله وفي ذلك دلالة على صدق القارئ) أي بواسطة ما شوهد من تأثيره مايدا من قوة حاله وقوله والمستمع أي لما شوهد من تأثره حتى كان ذلك سبب موته ولا يخفى الفرق بينهما والله أعلم (قوله ولكن البادى منهما بالقراءة أظلم) أي حيث لم يتم له نور القلب وقت القراءة أول مرة والا لتأثر مثل السامع الاول (قوله بقراءته ثانيا) أي مع ملاحظة المشايخ له في حال قراءته (قوله فقال بلغني أن موسى الخ) فيه تنبيه على ان معاملة الحق تعالى لا تكون الا بالقلوب حتى تثمر غاية المطلوب لان ما يظهر عرضة للامتحان وقد يكون من أسباب الافتتان (قوله فالمراد من السماع سماع القلب واصلاحه وحفظه) أي فالسماع النافع الموصل الى الله تعالى هو ما يكون كذلك بخلاف غيره من سماع الجوارح مع غفلة القلوب فانه من أقوى أسباب العطب (قوله فتحدوني) من الحداء وهو رفع الصوت بالرجز لسوق الابل غير أن المراد به هنا الحث والسوق على ما ذكره الشارح نفعنا الله به (قوله فقال الشبلى الخ) محصله ان كلا من حالتى السائل من باب اللطف منه تعالى والرحمة بالعبد بظهر حقيقة اسمه الرب الذى هو من التربية لغرض التنبيه على أشرف الاحوال من التبرى من الحول والقوة والله أعلم (قوله فهو تعالى يربيك) من التربية وهى ابلاغ الشئ درجة الكمال على التدريج شيأ فشيأ (قوله عن نيل ذلك) أي بدون اعانة اللطيف الخبير

(سمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر السراج يقول سمعت أحمد بن مقاتل العكي يقول كنت مع الشبلي في مسجد ليلة في شهر رمضان وهو يصلي خلف امام له وأنا بجنبه فقرأ الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا اليك فزعق زعقة قلت) في نفسي (طارت) بها (روحه وهو يرتعد ويقول بمثل هذا يخاطب الاحباب) فكيف بغيرهم (ويردد ذلك كثيرا) على نفسه وهو مغلوب عليه فالعارفون وان بلغوا من معرفة الله ومحبته وكرامته ما بلغوا لا يأمنون المكر ولا ييأسون من الفضل لعلمهم بانه تعالى يفعل مايشاء (وحكي عن الجنيد أنه قال دخلت على السري يوما فرأيت عنده رجلا مغشيا عليه فقلت ماله فقال) لي (سمع آية من كتاب الله تعالى) فغشي عليه واستغرق فيها (فقلت) له (تقرأ عليه ثانيا) لعله يفيق (فقرئ) الاولى فقرئت عليه (فأفاق فقال لي من أين علمت هذا فقلت) له (ان قميص يوسف) الذي لطخ بالدم (ذهب بسببه) مع ما أتى (عين) ١٣٩ وفي نسخة عينا (يعقوب عليهما السلام ثم به) أي بعوده يعني بعود جنسه فانه غير القميص الذي لطخ بالدم (عاد بصره فاستحسن مني ذلك) لان ذهاب بصر يعقوب كان بسبب بعد يوسف وغيبته عنه وأسفه عليه مع اتيان قميصه ملطخا بالدم فلما أتاه قميصه تحقق وجوده وسلامته وقرب الاجتماع به فزال عنه ما كان فيه ورد الله عليه بصره (سمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر السراج يقول سمعت عبد الواحد بن علوان يقول كان شاب يصحب الجنيد فكان اذا سمع شيأ من الذكر يزعق فقال له الجنيد يوما ان فعلت ذلك مرة أخرى لم) الاولى لا (تصحبني) لان اخفاء الاحوال عن غير الله أفضل لمن قدر عليه (فكان اذا سمع شيأ يتغير ويضبط نفسه حتى كان يقطر كل شعرة من بدنه بقطرة) وفي نسخة قطرة أي قطرة ماء مما يقاسيه في الكتم من الشدة (فيوما من الايام صاح صيحة تلفت بها نفسه) لغلبة قوة الحال عليه فكان ذلك سبب موته على أحسن أحواله وما قاله الجنيد هو شأنه في القوة وله ذا لما حضر سماعا وقيل له مالك في هذا السماع من نصيب أجاب بقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب (وسمعت أباحاتم السجستاني يقول سمعت أبانصر السراج يقول حكى لي بعض اخواني عن أبي الحسين الدراج قال قصدت يوسف بن الحسين الرازي من بغداد) لزيارته وكان بالري (فلما دخلت الري سألت عن منزله فكل من أسأله عنه يقول لي ايش تفعل بذلك الزنديق فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف) عنه (فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت) في نفسي (جئت هذا البلد

(قوله فالعارفون وان بلغوا الخ) أي وذلك لانهم دائرون بين الرجاء والخوف بل الخوف أغلب على قلوبهم وذلك بشهودهم ان الحق تعالى يفعل ما يريد ولا معقب لحكمه ولا تعلل أحكامه (قوله فقرأ عليه فأفاق) أي لانهم كما يغيبون بالآيات يصحون بها باعتبار مايؤثر من أسرار ذي الآيات جل شأنه (قوله فلما أتاه قميصه الخ) اي فكما كان سببا للحزن المفرط كان سببا للفرح الدائم وهما ضدان وربك يخلق مايشاء ويختار * (تنبيه) * اتفق ان سائلا سأل كيف يصح ماوقع لسيدنا يعقوب من الحزن على فقد سيدنا يوسف عليهما السلام المؤدي لذهاب بصره مع انه في ضعفاء الامة المحمدية من له الصبر التام على مثل هذا المصاب قلت حزنه عليه السلام ليس هو المعهود البشري الطبيعي بل هو من الخوف على فقد غمرة وجود يوسف عليه السلام من هداية الكافة به وانتفاعهم على يديه فعض عليه بالنواجذ ولا تظن سوأ والله أعلم (قوله الاولى لا) أي لان لم للنفي في الماضي ولا له في المستقبل وهو المراد (قوله أفضل لمن قدر عليه) أي لما فيه من حفظ السر الذي هو من أسباب دوام البر ولانه أبعد عن المعطلات من كبير المرآت (قوله وما قاله الجنيد هو شأنه الخ) أي ولذا أمر به تلميذه لحسن ظنه به انه يقوى على مثله والا فالعارف طبيب يداوي بحسب حال المريض (قوله أجاب بقوله تعالى وترى الجبال الخ) أي فقد أشار الى أن حال الكامل السكون في الظاهر لا بتنائه على اخفاء مابينه وبين مولاه عن سائر ماسواه وذلك كما لا يخفى لا ينافي طيران القلوب في الذي يتجلى عليها به المحبوب حيث هي شأنها التقلب باعتبار مايرد عليها من الواردات شعر

وما سمي الانسان الا لنسيه * وما القلب الا أنه يتقلب

(قوله يقول لي ايش تفعل الخ) أي وذلك منهم لقوة الحجاب عليهم فلم يشهدوا كماله (قوله فضيقوا صدري) اي من كثرة وقوعهم فيه بالغيبة الناشئة لهم عن شدة غفلتهم (قوله

فلا أقل من زيارته فلم أزل أسال عنه حتى وقعت الى مسجده وهو قاعد فى المحراب و بين يديه رحل) بالحاء المهملة (وعليه مصحف يقرأ) فيه (واذا هو شيخ بهى حسن الوجه واللحية فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام وقال) لى (من أين) جئت (فقلت من بغداد قصدت زيارة الشيخ فقال) لى مكاشفة وامتحانا فيما وقع لى من ترددى فى زيارته بسبب ما قيل لى انه زنديق ومن قولى بعده فلا أقل من زيارته ثم زيارتى له بهذه النية و رؤيتى له على صورة حسنة وهو يقرأ فى المصحف (لو أن فى بعض البلدان) التى بيننا و بين بغداد (قال لك انسان أقم عندى حتى اشترى لك دارا أو جارية أ كان يمنعك) ذلك (عن زيارتى فقلت) له (ياسيدى ما امتحننى الله بشىء من ذلك ولو كان) قد امتحننى (لا أدرى كيف كنت اكون) يعنى ما كنت ادرى ما يكون ففهم من كلامه أنه عاقل عالم بقدر الله صادق فى زيارته (فقال) لى هل (تحسن أن تقول شيأ) من الشعر المناسب للحال (فقلت) له (نعم وقلت رأيتك) ياعبدى (تبنى دائبا) اى مجدا (فى قطيعتى * ولو كنت) أنت (ذا حزم لهدمت ما تبنى) أشار به الى أن العبد يشتغل فى أ كثر عمره بغروره وما يغلق له (فاطبق الشيخ المصحف) لما سمع منه هذا البيت (ولم يزل يبكى حتى ابتلت لحيته وثوبه حتى رحمته من كثرة بكائه ثم) اراد أن يعرفنى ايضا كمال حاله وان زيارته لم تخب حيث (قال لى يابنى تلوم أهل الرى على قولهم يوسف بن الحسين زنديق ومن وقت الصلاة هو ذا) اى أنا (اقرأ) وفى نسخة يقرأ (القرآن ثم لم تقطر من عينى قطرة وقد قامت على القيامة) وجرى على ما رأيت (بهذا البيت) أى بسماعى له وهذا كله يدل على كماله لاشتغاله بكتاب الله من وقت الصلاة الى وقت الاجتماع مع ما رايت وأين هذا من الزندقة وبالجملة فالغرض أن العبد لا يلتفت لمدح العوام ولا ذمهم لانهم يوقعون ذلك بغير أصل ولو سمع هذا الزائر من كلامهم افاتته هذه الخيرات (سمعت محمد بن احمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت الرقى يقول سمعت الدراج يقول كنت أنا وابن الفوطى مارين على الدجلة) وفى نسخة دجلة (بين البصرة والابلة) بضم الهمزة والموحدة وتشديد اللام مدينة بجنب البصرة (واذا) نحن (بقصر حسن له منظر وعليه رجل و بين يديه جارية تغنى وتقول فى سبيل الله ود *) أى حب (كان منى لك يبذل) أى يعطى (كل يوم تتلون *) على ياعبدى وتلونه مع مولاه دليل قلة معرفته به فتارة يذكر فضل ربه عليه وما والاه وتارة يضعف حاله و يرجع الى دنياه ولذلك قال (غير هذا بك أجمل واذا شاب تحت المنظرة بيده ركوة وعليه مرقعة يسمع) هذا البيت (فقال) لها (ياجارية بحياة مولاك أعيدى كل يوم تتلون * غير هذا بك أجمل فاعادته) باذن مولاها (فقال) لها (الشاب قولى) أى أعيديه ايضا (فاعادته) أيضا باذن مولاها (فقال الفقير) أى الشاب (هذا والله تلونى مع الحق) تعالى (وشهق شهقة خرجت) بها (روحه فقال صاحب القصر للجارية) لما أثر فيه صدق الشاب

فلا أقل من زيارته الخ) فيه دليل على انه قد تأثر بما قيل له فيه ويحتمل انه على اعتقاده لم يتغير حاله وهذا هو الاولى بمثله وان أشار الشارح الى خلافه (قوله لو أن فى بعض البلدان الخ) محصله امتحانه هل يؤثر العاجل من الحظوظ أو الآجل منها (قوله ففهم من كلامه الخ) أى لانه لم يدع مقاما ولا حالا بل فوض علم ما يحصل له عند الامتحان الى الحق تعالى (قوله رأيتك) أى علمتك تبنى أى تؤسس أفعالك دائبا من الدأب وهو الجد فى قطيعتى أى مقاطعتى ومخالفة أمرى ولو كنت ذا حزم اى صاحب رأى سديد لهدمت ما تبنى بطاعة أمرى ومخالفة هواك (قوله وهذا كله الخ) ان قلت كيف يبكى عند سماع الشعر دون سماع القرآن قلت ذلك لجلالة القرآن وبعد مناسبة العبد منه بخلاف الشعر كما تقدم (قوله لمدح العوام) أى ولا غير العوام بعدا عن طرق المهلكة بالرجوع الى غيره تعالى (قوله فى سبيل الله الخ) محصله انه يفهم من اشارته الرائقة وعبارته الفائقة ان الحق تعالى يحب كمال العبد و يريد له الاحسان والعبد تارة يقبل على مولاه وعلى عبادته وتارة يحجم وذلك يتكرر منه كل وقت و بمثل هذه المعاملات لا تعامل العظماء فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله فقال لها ياجارية الخ) أى قال ذلك لما ظهر له من اشارة اللفظ وعبارة الوعظ حيث كان مثل هذا حاله وعلى هذا المنوال أعماله (قوله وشهق شهقة) أى لما أثر فيه من عتاب الاحباب وشريف التنبيه برقيق الخطاب وهكذا السعداء تفهم الالطاف وتدركهم سوابق الاسعاف رضى الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا بمنه وكرمه (قوله لما أثر فيه من صدق

رامى حرة لوجه الله تعالى وخرج اهل البصرة) فى جنازته (وفرغوا من دفنه (والصلاة عليه فقام صاحب القصر وقال) لهم (ألبس تعرفونى أشهدكم أن كل شئ لى) فهو (فى سبيل الله وكل مماليكى احرار ثم اتزر بازار وارتدى برداء وتصدق بالقصر ومر فلم يرله بعد ذلك وجه ولاسمع له أثر) أى خبر (سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على الطوسى يقول سمعت يحيى بن الرضا العلوى قال سمع أبو سليمان الدمشقى طوافا ينادى) على السعتر الذى يؤتى به من البرية (ياسعتر برى فسقط مغشيا عليه فلما أفاق سئل) عن ذلك (فقال حسبته) أى وقع فى سمعى أنه (يقول) ياعبدى (اسع) الىّ (ترى برى) اى اكرامى لك وسمع بعضهم مناديا ينادى فى السوق على الخيار أربعة بربع فبكى وانتحب وقال اذا كان هذا قدر الخيار فكيف يكون قدر الشرار (وسمع عتبة الغلام رجلا يقول سبحان رب السماء ان المحب لفى عناء) ١٤١ أى تعب ومشقة (فقال عتبة صدقت وسمع رجل آخر ذلك القول فقال كذبت فكل واحد) منهما (سمع من حيث هو) متصف بحاله الذى هو فيه فأخبر عن نفسه بما وجده من ربه (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت أبا الحسن على بن محمد الصوفى يقول سمعت رويما وقد سئل عن) حال (المشايخ الذين لقيهم فى السماع فقال) هو (كالقطيع) من الغنم (اذا وقع فيه الذئب) فان كل واحدة منه تشرد الى جهة فكذلك كل واحد من المشايخ الذين يسمعون القول يسمع من حاله الذى هو فيه فكل منهم مضى الى جهة وهذا يدل على كمال صدقهم وأن كلا منهم مع الحال الذى فتح الله عليه به (وحكى عن أبى سعيد الخراز قال رأيت على ابن الموفق فى السماع يقول أقيمونى فأقاموه فقام وتواجد) ورقص (ثم قال أنا الشيخ الزفان) هذا ذم لنفسه واظهار لعجزه عن كتم حاله (وقيل قام الرقى ليلة الى الصباح يقوم ويسقط على) سماع (هذا البيت والناس قيام يبكون) لما يشاهدون من حاله وشدة ما هو فيه ولم يشعر بنفسه والبيت هو (بالله فاردد فؤاد مكتئب) أى شديد الحزن (ليس له من حبيبه خلف) أى بدل (سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت على بن الحسين بن محمد بن أحمد بالبصرة يقول سمعت أبى يقول خدمت سهل بن عبد الله سنين كثيرة فما رأيته تغير عند سماع شئ كان يسمعه من الذكر والقرآن وغيره فلما كان فى آخر عمره قرئ بين يديه) قوله تعالى (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية رأيته تغير وارتعد وكاد يسقط) على الارض (فلما رجع الى حال صحوه سألته عن) سبب (ذلك

الشاب) أى الشاب الذى كانت الجارية سببا فى موته (قوله فقام صاحب القصر الخ) أى نهض من نوم الغفلات وسكر العادات والتهافت على الشهوات والعكوف على تحصيل المرادات بما نبهه من حال الشاب الصادق واتلاف روحه بالخوف الفائق فالله سبحانه يمنحنا الاعتبار ويهبنا الاستبصار بجاه السيد المختار صلى الله وسلم عليه (قوله ألبس تعرفونى الخ) لعل مراده ألبس تعرفونى بصفة صحة التصرف (قوله قال سمع أبو سليمان الخ) تأمل ياأخى اسباب السعادة اذا أريدت للانسان حيث يأخذ من اشارات الحق الواقعة على السنة أبناء الزمان فيكمل سعده بالكرامات فيدعوه سيده بما يقع من المنادات (قوله فكل واحد منهما الخ) أى وذلك لان كل اناء بما فيه ينضح (قوله فقال هو كالقطيع من الغنم) التشبيه فى مطلق الفرار من أسباب الضرر فالمراد ان كلا يسمع من شربه ويفر الى حزبه بحسب حاله مع ربه (قوله فكل منهم مضى الى جهة) أى اشتغل بما نفثه الملك فى روعه وقلبه من دواعى أسباب وصوله وقربه (قوله هذا ذم لنفسه) أى لان الكمال فى كتم الاشواق وان قطعت السيوف الاعناق كما تقدم عن الجنيد حيث قال وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب (قوله والبيت هو بالله الخ) أى فلعل ما بدا له منه التنبيه على كمال شاهده فى سره ثم حجبه عنه لتدوم له الاشواق وتتزايد فيه نيران الاحتراق (قوله بالله فاردد فؤاد مكتئب الخ) معناه انه لما تزايدت أحزانه وعظم شوقه وغرامه بحجبه عن المناظر العلا بعد أن كوشف بالجمال الاسمى أقسم على الله باسم ذاته أن يرده الى سنى عاداته حيث لا يرى لها خلفا ولا أعظم منها شرفا ولهذا قيل من وجد الله ما فقد شيأ ومن فقد الله ما وجد شيأ والله أعلم (قوله فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) أى يوم القيامة لا يقبل من أحد افتداء بل كل واحد منوط بما جنى فى حال حياته مؤاخذ به مسئول عنه فلا يغنى أحد عن أحد شيأ (قوله فقال

فقال يا حبيبى) لما كبرنا واستشعرنا قرب الاجل والوقوف بين يدى الله وأنه لا يؤخذ فدية ممن عليه حق فدية (ضعفنا) عن
ركم أحوالنا فظهرت (وحكى ابن سالم قال) الاولى فقال (رأيته) اى سهل بن عبد الله (مرة أخرى قويا بين يديه) قوله تعالى (الملك
يومئذ الحق للرحمن فتغير) حاله (وكاد يسقط فقلت له فى ذلك) أى ماسببه (فقال ضعفت) عن كتم حالى (وهذه صفة الاكابر لا يرد
عليه) أى على الكبير (وارد وان كان) الكبير (قويا الاوهو) أى الوارد (أقوى منه) اى الكبير وهذا كالذى قبله (سمعت
الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول دخلت على أبى عثمان المغربى و واحد يستقى) الماء (من البئر على بكرة فقال) لى أبو
عثمان (يا أبا عبد الرحمن تدرى ايش تقول البكرة فقلت) له (لا فقال) لى (تقول الله الله) بحسب ماوقع فى
نفسه من صوتها (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت على ابن طاهر يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت رويما يقول روى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه سمع صوت ناقوس) وهو ماتضرب به النصارى لاوقات الصلوات (فقال لاصحابه أتدرون مايقول هذا) الناقوس (فقالوا له (لا فقال) لهم (انه يقول سبحان الله حقا حقا ان المولى صمد) وفى نسخة حق (يبقى) بحسب ماوقع فى نفسه من صوتها (سمعت محمد بن أحمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أحمد بن على الكرخى الوجيهى يقول كان جماعة من الصوفية مجتمعين فى بيت الحسن القزاز ومعهم قوالون يقولون) الشعر (و يتواجدون فاشرف عليهم ممشاد الدينورى فسكتوا فقال) لهم (ارجعوا الى ما كنتم فيه فلو جمع ملاهى الدنيا فى أذنى
ماشغل) ذلك (همى) بربى يعنى صرفه عنى (ولا شفى بعض مابى) لكمال شغله بربه فلا يحس بمن يحضره . يشاهد
ولا بمن يكلمه (وبهذا الاسناد عن الوجيهى قال سمعت أبا على الروذبارى يقول بلغنا فى هذا الامر) أى التصوف (الى مكان
مثل حد السيف ان ملنا كذا ففى النار) سقطنا هذا هو الصراط المستقيم فى الدنيا وذلك ان من عرف مولاه حق معرفته
فهو مضيف الى ربه ماتفضل به عليه من توفيقه لطاعته مستحقر لما عمل خائف من الزلل و بذلك يكون أبدا عاملا بما طلب منه
خائفا مما سبق له فى الازل

(قوله يا حبيبى لما كبرنا الخ) أى لانهم فى حالة الشباب يؤملون سعة مدة العيش والتوفيق فيما
لحاب الاله فاذا قرب الوقت على جارى عادة الله فى خلقه تزيد خوفهم منه تعالى والله أعلم
(قوله الملك يومئذ الحق للرحمن) أى السلطنة القاهرة والاستيلاء الكلى العام الثابت
صورة ومعنى ظاهرا وباطنا بحيث لا زوال له أصلا ثابت للرحمن يومئذ فالملك مبتدأ والحق
صفته وللرحمن خبره ويومئذ ظرف لثبوت الخبر للمبتدا وفائدة التقييد ان ثبوت الملك
المذكور له تعالى خاصة يومئذ وأما فيما عداه من ايام الدنيا فيكون لغيره ايضا تصرف
صورى فى الجملة فالجملة مسوقة لبيان أحوال هذا اليوم وأهواله وايراده تعالى بعنوان
الرحمانية للايذان بان اتصافه تعالى بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة لعدم
استحقاقهم للرحمة كما فى قوله تعالى يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم والله أعلم (قوله
فتغير حاله) أى حيث تنبه لمقام أحدية الحق تعالى وانفراده بالحكم فى ملكه (قوله
الاوهو أقوى منه) أى ويشهد لذلك والمخلصون على خطر عظيم (قوله فقال لى تقول
الله الله) أى وذلك لان العبد اذا كمل لا ينظر لشىء من الكائنات الا ويشهد الله تعالى
مع ذلك الشىء أو فيه أو قبله أو بعده على حسب الدرجات لارباب السيادات والله أعلم
(قوله فقال لهم انه يقول سبحان الله الخ) أى فهو لما شغل قلبه وامتلأ من توحيد
الاله وتفرده بالملك فهم منه ذلك ويحتمل الحقيقة والله على كل شىء قدير (قوله ماشغل
ذلك همى) اى زيادة عما أنا فيه من الشغل لان تجدد التنبيه لمن تجدد له الغفلة ولا كذلك
مثله وقوله ولا شفى بعض مابى أى لانه لا يكتفى بالذكر والفكر فى حقه تعالى والله أعلم
(قوله بلغنا فى هذا الامر الخ) المراد انهم وصلوا فى مقام التصوف الى حد مثل حد
السيف ان مالوا عن ذلك الحد ففى النار سقطوا فالمكان المذكور حد اعتبارى والنار
المراد منها مايعم نار العذاب وظلمة الحجاب بحسب قوة الميل وضعفه والمال اليه كذلك
(قوله وذلك ان من عرف مولاه) أى من عرفه بالآيات والدلالات العقلية والسمعية
(قوله فهو مضيف الى ربه) أى خلقا وتقديرا (قوله مستحقر للعمل) أى لما

فان مال الى ما سبق له خشي عليه الوقوع في الجبر وان مال الى عمله وطاعته خشي عليه الوقوع في القدر فهذا هو الصراط المستقيم في الدنيا الذي هو أحد من السيف وأرق من الشعر فمن يسره عليه مولاه وسار فيه السير المطلوب نجاه والا زلت به قدمه وتغير والعياذ بالله (وقال خير النساج قص موسى ابن عمران عليه السلام على قوم قصة فزعق واحد منهم زعقة فانتهره موسى عليه السلام) فيه دلالة على أن كتم الاحوال أولى من اظهارها لكنها ان غلبت السامع عذر كما ذكره بقوله (فاوحى الله تعالى اليه ياموسى بطيبي ناحوا وبحبي باحوا وبوجدي صاحوا فلم تنكر على عبادي) فاني خلقت لهم من الوجد ما لاقدرة لهم على حمله فناحوا وباحوا وصاحوا (وقيل سمع الشبلي قائلا يقول الخيار عشرة ١٤٣ بدانق فبكى و(صاح وقال اذا كان الخيار عشرة بدانق فكيف الشرار) لم ير الخيار قدرا او وزنا من جهة انفسهم بل بكرم الله وفضله ومن كان عند نفسه من الاشرار لا ييأس من فضل الله عليه فالكل منه تعالى فانه يفعل في خلقه ما يشاء يعز من يشاء ويذل من يشاء ولو شاء ربك ما فعلوه ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا فمن رحمه الله فبفضله ومن اهلكه فبعدله (وقيل اذا تغنت الحور العين في الجنة تورد الاشجار) التي فيها اي تخرج وردها وزهرها وتغير حالها بسماع الصوت الطيب الموافق وكذا من يسمع السماع الصحيح لاسيما اذا كان بصوت حسن فانه يعيش من موت غفلته وتظهر آثار الخيرات عليه (وقيل كان عون بن عبد الله يأمر جارية له حسنة الصوت) بالغناء (فتغني بصوت حزين حتى تبكي القوم) باستماعهم لها بناء على ان استماع صوت المرأة ليس بحرام مع انها انما كانت توردة على وجه الوعظ لا على وجه الغناء المطرب (وسئل أبو سليمان الداراني عن السماع) أهو الميل الى الصوت الحسن أو غيره (فقال كل قلب يريد الصوت الحسن فهو ضعيف) لانه موقوف مع الاصوات دون المعاني والا التقف ذلك من كل قائل لصحة قلبه وكمال فهمه فقلب من لم يسمع الا بواسطة الصوت الحسن ضعيف (يداوى كما يداوى الصبي اذا أريد أن ينام ثم قال ابو سليمان) أيضا (ان الصوت الحسن لايدخل في القلب شيأ انما يحرك من القلب ما فيه قال ابن أبي الحوارى صدق والله أبو سليمان) في ذلك (وقال الجريري كونوا ربانيين أي) مشغولين بالرب تعالى بان تكونوا (سامعين من الله تعالى قائلين بالله تعالى) لان من كملت معرفته بالله كان سامعا لله وبالله وناطقا بالله والربانيون هم العلماء العباد والاحبار هم العلماء خاصة

يشاهد من تقصيره فيه وقوله خائف من الزلل اي الذي ربما يسقطه عن حاله ومقامه (قوله فان مال الى ما سبق الخ) المراد بذلك اعتماده عليه والتهاون بهذا النظر فيما أمر به ونهي عنه وقوله وان مال الى عمله أي بأن استحسنه ووقف معه وغفل عما يجوز في حقه من فعل ربه حيث هو الفاعل المختار خشي عليه الوقوع في القدر والله أعلم (قوله والا زلت به قدمه) أي بالتخلق بما تقدم من الجبر أو القدر (قوله على ان كتم الاحوال أولى) أي لانها من الاسرار بين العبد وربه (قوله فأوحى الله تعالى اليه الخ) المراد أنه بين له انهم مغلوبون فيما ظهر منهم لعدم طاقتهم على تحمل ما ورد عليهم من واردات الحق تعالى (قوله فلم تنكر على عبادي) استفهام معناه الانكار (قوله فناحوا) أي ناحوا على أنفسهم بسبب رؤية تقصيرهم وقوله وباحوا أي اظهروا ما كانوا يكتمونه من لاعج اشواقهم وقوله وصاحوا أي وكان صياحهم بواسطة غلبة أشواقهم وقوة ما ورد على قلوبهم من واردات الحق واشارات الصدق (قوله تورد الاشجار الخ) أي واذا ثبت مثل هذا التأثر للاشجار فاولى ثبوته لذوي التذكار والله أعلم باسرار خلقه (قوله ليس بحرام) أي عند أمن الفتنة بسماع صوتها كما هو الموضوع (قوله والا التقف ذلك الخ) أي ولذلك قيل * وكل ناطقة في الكون تطربني * فافهم (قوله يداوى) أي يعالجه أستاذه حتى ينقله عن هذا الخلق السيء (قوله لايدخل في القلب شيأ) أي لايجدد شيأ في القلب أي لان ذلك معلوم من قلب الخلي فهو حينئذ انما يحرك ما في القلوب ولذلك قيل شعرا

الراح كالريح ان مرت على عطر * تذكو وتخبث ان مرت على الجيف

(قوله اي مشغولين بالرب الخ) أي فمعنى رباني انه مملي القلب بالحق تعالى وما له عليه من الطاعة والافكل الخلق ربانيون بمعنى عبيد الرب تعالى (قوله سامعين من الله) أي من أوامره ونواهيه لامن دواعي النفس والشيطان وقوله قائلين بالله اي بتوحيده

(وسئل بعضهم عن السماع فقال) هو (بروق تلمع ثم تخمد وأنوار تبدو) اى تظهر للقلب (ثم تخفى ما أحلاها لو بقيت مع صاحبها طرفة عين) لأنه يتنعم بها (ثم أنشأ يقول خطرة في السر منه خطرت * خطرة البرق ابتدى ثم اضمحل) أى انه كالمع ذهب (أى زورلك) بفتح الزاى اى أى زائر زارك (لو قصد اسرى *) اى لو قصد الاقامة عندك (و) اى (ملم بك لو حقا فعل) اى لو قصد الالمام بك ففعل ولكنه ألم وانطفأ فبين بالبيتين ان السماع كالبرق الذى لم يثبت وكالنور الذى لم يدم (وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو فما يقع الى العين تبكى وما يقع الى اللسان يصيح وما يقع على اليد يمزق الثياب و يلطم) الوجه وغيره (وما يقع على الرجل يرقص) فالسماع النافع ما يقبله القلب ١٤٤ وان كان طريقه الآذان لان السماع هو قبول المعنى الذى ينشئه الله فى القلب

وصدق رسله (قوله هم العلماء العباد) أى المتبتلون للعبادة المكثرون منها وقوله والاحبار هم العلماء خاصة اى القائمون باعباء التكاليف وان كانوا غير متبتلين (قوله فقال هو بروق تلمع الخ) أشار رضى الله تعالى عنه الى أن ما يتحرك فى قلب العبد المخلص عند سماعه من اشارات الحق وامارات الصدق لطائف واردات تطرق القلب ثم تزول سريعا كلمعان البرق وشرائف أحوال تظهر للقلب بواسطة نور الالهام ثم تخفى وقوله ما أحلاها الخ هذه أمانى لدوام استغراقه فيما يرد عليه وقت السماع ليدوم له التنعم به غير أن حكمة البارى اقتضت سرعة زوال تلك الواردات ليدوم العبد على مشاق المجاهدات (قوله ثم أنشأ يقول الخ) هو بمعنى ما قبله ودليل عليه (قوله وقيل السماع فيه نصيب لكل عضو الخ) محصله أن السماع المعتبر هو ما طرق آذان القلوب واثر فيها ثم هى اذا امتلأت بأنواره واحترقت باسراره فاض منها ذلك النور على الجوارح الظاهرة فما يقع للعين تبكى منه الخ والله أعلم (قوله وقيل مات بعض ملوك العجم الخ) الغرض الاستئناس بما ذكر من ميل الصبيان الى الصوت الحسن لما نحن بصدده من السماع النافع فى الطريق الحق وان كانت ذات الصوت غير منظور اليها ولا معول عليها فيه بل نهاية الامر أن الصوت الحسن مما يعين الله تعالى به من أراد له الخير من عباده ضعفاء القلوب والاقالاقوياء فانهم الاستغراق فى ذات الله تعالى والفناء فيها عن شواهدهم كما يدل له ما تقدم نقله عن الروذبارى من قوله بلغنا فى هذا الامر الى مكان مثل حد السيف ان ملنا عنه ففى النار سقطنا على ما تقدم لنا توضيحه (قوله علموا كياسته) أى حذقه وذكاءه وعقله (قوله فقبلوا الارض بين يديه) أى على عادة الاعاجم وان كان مثله ممنوعا شرعا (قوله اذ من الصغار الخ) أقول ذلك من محسوس العادات (قوله ومدت أعناقها وجدت) أى بل ربما ماتت بذلك شغلا به وغيبة عن أنفسها (قوله وان حصل فيه رياء) أى للقائل أو غيره ممن يسمع باظهار ما لم يجده من حاله وشربه فيكون متشبعا بما لم ينل (قوله وان حصل فيه رياء) منه يعلم ان سماع القوال خطر لانه قد يؤدى الى المرا آت وهى من أقبح

واذا أنشأه فيه ظهرت آثاره على الجوارح (وقيل مات بعض ملوك العجم وخلف ابنا صغيرا) رضيعا (فارادوا أن يبايعوه) على الولاية (فقالوا كيف نصل الى معرفة عقله وذكائه) حتى نبايعه (فتوافقوا على أن يأتوا بقوال يقول) أى ينشد (شيأ فان أحسن الاصغاء اليه) علموا كياسته فاتوا بقوال) يقول (فلما قال القوال شيأ ضحك الرضيع فقبلوا الارض بين يديه وبايعوه) لما علموا من تمييزه الحسن لما امتحنوه بذلك اذ من الصغار من اذا سمع زمرا أو نحوه فرح وضحك ومنهم من اذا سمع شيأ مفزعا بكى ومنهم من اذا طلب حاجة وشغل باخرى أحسن منها سكن وقبل الثانية فيدل على حسن تمييزه ومنهم من اذا خطر بباله شئ أو غيب عنه شئ أو شغل بغيره لم يرجع اليه ويدوم بكاؤه على ما خطر له وليس ذلك الا لسوء خلقه وقوة رأسه والغرض ان من عنده

أدنى تمييز يميل الى السماع وهذه الابل اذا حدا الحادى بها حسن الصوت وحملت الاثقال لا تبالى باحمالها وطاب لها سماع الحادى ومدت أعناقها وجدت فى سيرها (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول اجتمع أبو عمرو بن نجيد والنصراباذى والطبقة) أى طبقتهما (فى موضع فقال النصراباذى انا اقول اذا اجتمع القوم) لسماع شئ من الشعر (فواحد) منهم (يقول شيأ ويسكت الباقون) أى فان قول واحد منهم شيأ وسكوت الباقين لسماعه وان حصل فيه رياء (خير من أن يغتابوا أحدا) لما قام عنده من ان الغيبة اقبح من الرياء

(فقال أبو عمرو ولأن تغتاب أنت ثلاثين سنة أنجى لك من ان تظهر فى السماع ما لست) متصفا (به) لما قام عنده من ان الرياء أقبح من الغيبة وقيل لا مخالفة اذ كلام النصراباذى فى السماع حقيقة فهو دائر بين حرام ونفل لان الغيبة حرام والسماع نفل وترك الحرام مقدم على كل نافلة وكلام أبى عمرو فى السماع المراءى به فهو دائر بين محرمين الرياء والغيبة ورأى ان الرياء أقبح واضر والغرض من ذلك التحذير من آفات السماع من قيام وصياح وتكلم وتحرك بغير حق (سمعت الاستاذ أبا على يقول الناس فى السماع ثلاثة متسمع ومستمع وسامع فالمتسمع) من (يسمع بوقت) بأن يتكلف ويستجلب فى وقته حاله ليجد ما يطلبه فى السماع (والمستمع) من (يسمع بحال) بان يصير السماع حاله بحيث يثور عليه ويغلبه بأول استماعه (والسامع) من (يسمع بحق) بان يجريه الحق تعالى عليه بلا تكلف منه ولا حال فهو أرفع من الاولين والثانى ارفع من الاول (وسألت الاستاذ أبا على رحمه الله غير مرة شبه) أى نوع (طلب رخصة فى السماع فكان يحيلنى على ما يوجب الامساك ١٤٥ عنه ثم بعد طول المعاودة) له فى ذلك (قال ان المشايخ قالوا ما جمع قلبك الى الله تعالى) ولا يكون الا مشروعا (فلا بأس به) توقف الشيخ عن اجابته أولا لكونه لم ير له السماع نافعا لانه كان شابا ومعرفته بربه ضعيفة فلما ارتفعت درجته وصلح أمره وهو مستمر على طلبه اجابه مع انه لم يبن عليه أن يجيبه عن نفسه بل عن المشايخ (أخبرنا ابو الحسن على بن أحمد الاهوازى قال اخبرنا أحمد بن عبيد البصرى قال حدثنا اسمعيل ابن الفضل قال حدثنا يحيى بن يعلى الرازى قال حدثنا حفص بن عمر العمرى قال حدثنا أبو عمرو عثمان بن بدر قال حدثنا هرون ابن حمزة عن الفدافدى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أوحى الله تعالى الى ١٩ يج ع موسى عليه السلام انى جعلت فيك عشرة آلاف سمع) يعنى معنى (حتى سمعت كلامى وعشرة آلاف لسان حتى أجبتنى) اذ لا قدرة للعبد على ما يرد عليه من الله الا اذا أمده بزيادة فى قوته (واحب ما تكون) أنت (الىّ وأقربه) منى (اذا اكثرت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم) وقد روى أن احب ما يتقرب به الى الله تعالى الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وقد سئل كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد (وقيل رأى بعضهم النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال) له (الغلط فى هذا أكثر) منه فى غيره (يعنى به السماع) والغلط فيه يرجع الى أصله من حيث انه مشروع أم لا أو الى السامع من حيث انه يسمع بحق أو بتكلف

الزلات (قوله فقال أبو عمرو ولأن تغتاب الخ) محصله انه استقبح المراآة عن الغيبة وخالف من قبله وقلبى الى ما ذهب اليه النصراباذى أميل فتأمل (قوله وقيل لا مخالفة الخ) محصله انهما لم يتواردا على موضوع واحد حتى يتحقق الاختلاف فيه بل نقول لكل منهما موضوع غير الآخر هذا وفيه نظر فتأمله (قوله اذ كلام النصراباذى الخ) أى وعليه فقوله خير على غير بابه اذ لا خير فى الغيبة (قوله فى السماع حقيقة) أى الخالى عن الرياء (قوله والغرض من ذلك التحذير) أى على كلام أبى عمرو (قوله الناس فى السماع ثلاثة الخ) محصله الفرق بالتكلف وبدونه وبمجرى السماع وبدونه (قوله وسألت الاستاذ الخ) فيه دلالة على ان المريد لا يفعل شيأ من قبل نفسه بل حتى يستفتى شيخه وطبيب روحه عن ذلك الشئ وهو كذلك (قوله ما جمع قلبك الى الله) أى ما أحالك على مراقبته تعالى فى سائر حركاتك وسكناتك فلا بأس به أقول بل يكون مطلوبا حيث ان الوسائل لها حكم المقاصد (قوله انى جعلت فيك الخ) الذى يظهر لى منه والله أعلم ان المراد لولا أقدرتك واعنتك على سماع كلامى ومكالمة خطابى حتى سمعت وأجبت ما امكنك ذلك وذكر العدد لبيان قوة التهيىء بما خلقه الله فيه من القوى والله أعلم (قوله واحب ما تكون الخ) أى وذلك لان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم واسطة كافة الخلق والانبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم نواب عنه بل هو الممد لجميع الخلق (قوله فقال قولوا الخ) وهذه الصيغة الابراهيمية من أفضل صيغ الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم (قوله فقال له الغلط فى هذا أكثر) أى فهو من مواطن الخطر باعتبار انه مما تميل اليه النفس بطبعها فربما كان سببا لغيره من المحظورات (قوله

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (يقول سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول سمعت أبا بكر النهاوندي يقول سمعت عليا السائح يقول سمعت أبا الحرث الاولاسي يقول رأيت ابليس لعنه الله في المنام على بعض سطوح أولاس وأنا على سطح وعلى يمينه جماعة وعلى يساره جماعة وعليهم ثياب لطاف فقال لطائفة منهم قولوا) شيأ (فقالوا وغنوا فاستفزعني طيبه) أى طيب قوله (حتى هممت أن أطرح نفسي من السطح ثم قال) للقوم (ارقصوا فرقصوا أطيب ما يكون ثم قال لى يا أبا الحرث ما أصبت شيأ أدخل به عليكم الاهذا) ١٤٦ السماع من حيث اشتماله على الرياء والعجب فان العبد يستفزه السماع حتى يقوم قبل وقته فلا يكون مغلوبا ولا معذورا وربما قام مغلوبا وسرى عنه فلا يهون عليه أن يقعد ويتمادى في التواجد متكلفا فيكون مرائيا لانه فعل ذلك خوفا من نسبته الى ضعف حاله وقلة وجده (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الله بن على يقول اجتمعت ليلة مع) ابى بكر (الشبلي رحمه الله تعالى فقال القوال شيأ فصاح الشبلي وتواجد قاعدا فقيل له يا أبا بكر مالك من بين الجماعة قاعد افقام وتواجد وقال

لى سكرتان وللندمان واحدة
شئ خصصت به من بينهم وحدى)

يعنى شاركتهم في واحدة واختصصت بأخرى اذ كانت له محبتان محبة شارك فيها الناس وهي محبة الانعام والافضال ومحبة اختص بها وحده وهي محبة الكمال والجلال والجمال وتقدم ذلك في باب المحبة (وسمعته) أيضا (يقول سمعت منصور بن عبد الله الاصبهاني يقول سمعت أبا على الروذباري يقول جزت بقصر فرأيت شابا حسن الوجه مطروحا وحوله ناس) وكان عارفا بالله كثير الطلب لاولياء الله وانفصال ليجد معهم راحة ماوجده من معرفتهم بالله وكمال أحوالهم مع محبوبهم (فسألت عنه فقالوا انه جاز بهذا القصر وفيه جارية تغنى وتقول (كبرت همة عبد * وفى نسخة عين (طمعت في أن تراكا) فعرف انها همته فوقف اسماع باقى البيت وهو (أوما حسب لعين) اى أوما يكفيها (ان ترى من قد رآكا) وهم العارفون بالله فكان فيه رد لهمته العالية المتعلقة برؤيته تعالى وتعزية له في فوات مقصوده فلم يحمله قلبه (فشهق شهقة ومات) على أحسن احواله * (باب) اثبات (كرامات الاوليا) * الكرامة ظهور

من حيث اشتماله الخ) أقول وهذا النوع الخسيس مما يندر في أهل زماننا هذا ولو وقع لكان كالكمال فالغالب فيه السماع لجلب الشهوات وذلك في العام والخاص بدون نكير فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (قوله لى سكرتان الخ) تقدم ذلك وانما اعاده لمناسبة المقام والسلام ختام (قوله وفيه جارية تغني الخ) أى فوجد من معاني ما سمعه منها ما وافق شربه وما اشتغل به من على احواله فغاب بذلك عن حسه وغرق في بحار أنسه (قوله كبرت همة عبد) أى عظمت وارتفعت عن حضيض العادات الى أوج ذوى السيادات طمعت في أن تراك اى قوى رجاؤها في الشغل والاستغراق في نعوت جلالك وجمالك (قوله أوما حسب لعين الخ) المراد حث النفس على القنع بمشاهدة من هذه نعوته من المحبين استصغارا للنفس عن اللحوق بدرجة المقربين (قوله فكان فيه رد لهمته الخ) أى لاجل الرضا بما أراده الحق له على حسب سابق حكمته الازلية والله أعلم

(باب اثبات كرامات الاولياء)

اعلم ان الكرامة أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى يوجب لصاحبه الاحترام والتخصيص لا التقديم والاتباع الا أن يظهر عليه كمال الاستقامة وهي الاستواء في اتباع الحق ظاهرا وباطنا على منهج السداد بلا علة فهي حينئذ توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات وتعيين بلا تردد واستسلام بلا معارضة وتفويض بلا تدبير وتوكل بلا وهن واعلم ان الولاية قسمان عامة وخاصة والخاصة أقسام باعتبار أهل الخصوص اذ هم منقسمون الى أقسام عباد وزهاد وعمال وابدال ونجائب وعصائب ونقباء وأقطاب وقطب اقطاب والجميع من اهل الحضرة الالهية غير انهم متفاوتون في الشرب بحسب ما تقدم لهم في القضاء الازلى على ما اقتضاه اسم الله المقسط هذا وامارة قطب الاقطاب ما ذكره العارف الشاذلى حيث قال للقطب خمس عشرة كرامة فمن ادعاها أو شيأ منها فليبرز بمدد الرحمة والعصمة والخلافة والنيابة ومدد حملة العرش ويكشف له عن حقيقة الذات واحاطة الصفات ويكرم بكرامة الحلم والفصل بين الوجودين

أمر خارق على يد الولي غير مقارن لدعوى النبوة وهي عون له على طاعته ومقوية لبقينه وحاملة له على حسن استقامته ودالة على صدق دعواه الولاية ان ادعاها لحاجة وشهدت لها الشريعة ثم ظهور الكرامات على الاولياء جائز) بل واقع (والدليل على جوازه انه أمر موهوم حدوثه في العقل لا يؤدي حصوله الى رفع اصل من الاصول فواجب وصفه سبحانه بالقدرة على ايجاده) في الولي فوجب كونه مقدورا لله (واذا وجب كونه مقدورا لله تعالى فلا شئ يمنع جواز حصوله) فثبت جواز ظهور الكرامات على الاولياء (وظهور الكرامات علامة صدق من ظهرت عليه في أحواله فمن لم يكن صادقا

وانفصال الاول عن الاول وما انفصل عنه الى منتهاه وماثبت فيه وحكم ماقبل ومابعد وعلم البدء وهو العلم المحيط بكل علم و بكل معلوم بدأ من السر الاول الى منتهاه ثم يعود اليه فهذا معيار أعطاه الشيخ يختبر به من ادعى هذه الرتبة العظيمة القائمة بكفالة الاسرار والمحيطة بعدد الانوار وهو نحو ماذكره أبو عبد الله الترمذي الحكيم في كتاب ختم الاولياء حيث قال من ادعى الولاية فيقال له صف لنا منازل الاولياء فذكر مسائل معيارا على من ادعى الولاية اه واعلم ان آخر مقام الولاية أول مقام الصديقية وآخر مقام الصديقية أول مقام النبوة وآخر مقام النبوة أول مقام الرسالة وآخر مقام الرسالة أول مقام ذوي العزيمة من أولي العزم وآخر مقام أولي العزيمة أول المقام المحمدي فما بالك بنهايته وغايته فلا مطمع لاحد في ذلك المقام نعم قد يغبطه فيه أولو العزم من الرسل واعلم ان ما أجراه الله تعالى على أوليائه في الدنيا من الكرامات وخوارق العادات فبحر لا يقدر على نزحه متعاطيه وعدد يشق حصره على من يعانيه فان القدرة الازلية صالحة لايجاد سائر الممكنات وما يقوي الله به قلوب أوليائه مختلف الانواع والصفات فما من نوع أجراه الحق من خوارق العادات فيما تقدم من الزمان الا واعادته أو مثله أو خلافه جائزة في سائر الاوقات فحيث كان هذا من قسم الامكان ونقل وقوعه العدول كان رده من باب الخذلان اذ لو استحال خرق العادة لتعذرت المعجزات وما يسبقها من الارهاصات وأوضحها لنبينا عليه الصلاة والسلام القرآن وغيره كنبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل من الطعام وحنين الجذع وتكليم الضب وانشقاق القمر وغير ذلك مما ورد في صحيح الروايات ونقله العدول السادات (قوله غير مقارن لدعوى الخ) أقول وبهذا يحصل الفرق بين المعجزة والكرامة فان قيل يغني عنه قوله قبله على يد الولي قلنا لا يغني لان للنبي ولاية أيضا (قوله وهي عون له الخ) الغرض منه بيان حكمة ايجاد الكرامة للولي فقوله فهي عون له الخ هو بالنسبة لحال المبتدئين والمتوسطين وقوله ودالة على صدق دعواه الولاية الخ بالنسبة للواصلين من المرشدين (قوله ان ادعاها لحاجة) اى مثل قوة قلب المريدين المقلدين له ليدوموا على طريق الارشاد والرشاد والله ولي الاسعاف والاسعاد (قوله جائز) أي لان خرق العادة من جملة الممكن وقدرة الحق تعالى متعلقة بسائر الممكنات تعلقا صلوحيا قديما وتنجيزيا حادثا فتأمل (قوله موهوم حدوثه) أي لعدم المانع منه شرعا وعقلا (قوله الى رفع أصل من الاصول) أي من الاصول الواجبة الثبوت عقلا أو شرعا (قوله فواجب وصفه سبحانه الخ) أي لعموم تعلق القدرة بسائر الممكنات (قوله فلا شئ يمنع جواز حصوله) أي لان سائر الممكنات في قبضة قدرته تعالى (قوله علامة صدق من ظهرت عليه) أي فهي كالمعجزة من حيث هي دالة على صدق مدعي النبوة أيضا فهي بمنزلة قوله سبحانه صدق عبدي فيما يبلغ عني فكذلك الكرامة على يد الرجل الصالح فانها تدل على صدقه في حاله وشربه والله أعلم

فظهور مثلها عليه لا يجوز والذي يدل عليه ان تعريف القديم سبحانه ايانا) الكرامة (حتى نفرق بين من كان صادقا في أحواله وبين من هو مبطل من طريق الاستدلال أمر موهوم) حدوثه في العقل (ولا يكون ذلك الا باختصاص الولي بما لا يوجد مع المفتري في دعواه وذلك الامر) الموهوم (هي الكرامة التي أشرنا اليها) آنفا فلو ظهر أمر خارق للعادة على يد كاذب كان مكرا واستدراجا لا كرامة ان وافق مراده والا كان اهانة روي ان مسيلمة الكذاب دعا لاعور أن يفتح الله عينه العوراء فعمي (ولا بد أن تكون الكرامة فعلا ناقضا) أي خارقا (للعادة في أيام التكليف) لا في ايام الآخرة لانها ليست دار تكليف (ظاهرا على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله) الذي اتصف به (وتكلم الناس في الفرق بين الكرامات وبين المعجزات من أهل الحق) هو بيان للناس (فكان الامام أبو اسحق الاسفرايني رحمه الله يقول المعجزات دلالات صدق الانبياء) عليهم الصلاة والسلام (ودليل النبوة لا يوجد مع غير النبي كما ان العقل المحكم لما كان دليلا للعالم) به (في كونه عالما لم يوجد ممن لا يكون عالما) به (وكان يقول) ايضا (الاولياء لهم كرامات شبه اجابة الدعاء) كالاخبار بمجيء زيد من سفره وبعافيته من مرضه (فاما جنس ما هو معجزة للانبياء) كاحياء الموتى وتسبيح الحصا (فلا) تكون للاولياء (واما الامام أبو بكر بن فورك رحمه الله فكان يقول المعجزات دلالات الصدق) أي صدق الانبياء (ثم ان ادعى صاحبها النبوة فالمعجزة تدل على صدقه في مقالته وان أشار صاحبها الى الولاية دلت المعجزة على صدقه في حالته فتسمى كرامة) له وان كان نبيا (ولا تسمى معجزة وان كانت من جنس المعجزات للفرق) بينهما بان المعجزة ما قارنها دعوى النبوة بخلاف الكرامة فعنده أن ما يكون من جنس المعجزات يكون للولي أيضا وهو المختار الذي دل عليه كلام المصنف فيما يأتي (وكان رحمه الله يقول) أيضا (من الفرق بين المعجزات والكرامات ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مأمورون باظهارها) أي المعجزات (والولي يجب عليه سترها واخفاؤها) أي الكرامات (والنبي يدعي ذلك) أي ما ذكر من المعجزة (ويقطع القول به) لشدة قوة حاله (والولي لا يدعيها) أي الكرامة

(قوله فظهور مثلها عليه لا يجوز) أي لا يجوز على انه من نوع الكرامة بل يكون من نوع الاهانة أو الاستدراج (قوله أمر موهوم حدوثه في العقل) أي اعدم ما يحيل وجوده من شاهد العقل أو النقل (قوله بما لا يوجد) أي بامر خارق لا يوجد مع المفتري الكذاب على انه من نوع الكرامة (قوله كان مكرا) أي خداعا له (قوله فعمي) أي لقصد اهانته قبحه الله تعالى (قوله لا في أيام الآخرة الخ) انظر هل البرزخ مدته من حكم الدنيا أو من حكم الآخرة والظاهر انها من حكم الدنيا نعم التعليل لا يساعد ذلك (قوله على موصوف بالولاية) أي مشتهر بالخير والصلاح بين الناس على نهج المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم (قوله المعجزات دلالات صدق الانبياء الخ) محصله ان نوع المعجزة لا يصح أن يكون كرامة أقول ومن باب المعجزات ما رواه الترمذي يرفعه الى ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بم أعرف انك نبي قال ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة فتشهد أني رسول الله فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل ينزل من النخلة حتى سقط الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فعاد فاسلم الاعرابي وقال فيه هذا حديث حسن صحيح وهذا انما يجري مجرى المعجزة لانه خاص بالاعرابي المذكور وليس عاما حتى يكون من حقيقة المعجزة اذ هي ما قارن دعوى النبوة العامة وروى الترمذي أيضا يرفعه الى أنس ابن مالك قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة والتمس الناس الوضوء فلم يجدوا فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الاناء وأمر الناس ان يتوضؤا منه فنبع الماء من تحت أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند آخرهم وقال فيه هذا حديث حسن صحيح هذا والمعجزات الثابتة عنه صلى الله عليه وسلم وزاده شرفا كثيرة جدا فلا نطيل بايرادها خوف الطول والخروج عن حد الاختصار (قوله فلا تكون للاولياء) لعل المراد انها لا تكون لهم على نعت الوقوعها على يد نبي وأما على وصف آخر ككونها كرامة فلا مانع منه لان ما وقع لنبي يجوز أن يقع مثله لولي وحينئذ يرجع الخلاف لفظيا والله أعلم (قوله واما الامام الخ) أقول الحق ما ذهب اليه هذا الامام اذ هو الموافق لما نص عليه في علم الكلام (قوله وكان رحمه الله يقول الخ)

ان النبي لابد من علمه بانه نبي ومن قصده اظهار الخوارق ومن قطعه بانها معجزات بخلاف الولي (وقال أوحد وقته في فنه القاضي أبو بكر الاشعري) الباقلاني (رحمه الله ان المعجزات تختص بالانبياء والكرامات تكون للاولياء كما تكون للانبياء ولا تكون للاولياء معجزة لان من شرط المعجزة اقتران دعوى النبوة بها والمعجزة لم تكن معجزة لعينها وانما كانت معجزة لحصولها على أوصاف كثيرة) وان شاركتها في بعضها الكرامة اذ الفعل الخارق للعادة من حيث انه خارق لا يدل على كرامة ولا معجزة الا اذا اقترن به مادل الشرع على استقامته (فمتى اختل شرط من تلك الشرائط لا تكون معجزة وأحد تلك الشرائط دعوى النبوة والولي لا يدعي النبوة فالذي يظهر عليه لا يكون معجزة وهذا القول) هو (الذي نعتمده ونقول به بل ندين) الله (به فشرائط المعجزات كلها أو كثرها يوجد في الكرامات الا هذا الشرط الواحد) وهو دعوى النبوة فلا تكون المعجزة كرامة (فالكرامة) كالمعجزة (فعل) من الله (لا محالة) فهي حادثة لا قديمة (لان ما كان قديما لم يكن له اختصاص بأحد) من الخلق بل ولا يشارك الله فيه غيره (وهو) أي ذلك الفعل (ناقض) أي خارق (للعادة وتحصل) أي الكرامة (في زمان التكليف) لا في غيره من أزمنة الآخرة وليس المراد انها لا تحصل من غير مكلف

الخ) أقول هو وجيه مغض عليه بالنواجذ (قوله لجواز أن يكون ذلك مكرا الخ) أي باعتبار نفس الامر لسابق عدم العناية فيكون الخارق حينئذ من قبيل المكر بالانسان وان كان ظاهر الحال الخير والصلاح فالعبرة بما في نفس الامر (قوله ان المعجزات تختص بالانبياء الخ) أفاد ذلك ان الخارق اذا وقع على يد النبي يقال له معجزة وقد يقع على انه من نوع الكرامة بخلاف الولي لا يقع على يده الا على وصف الكرامة دون المعجزة * (فائدة) * مما جرى للتابعين من الخوارق التي نقلها العدول أن سعيد بن المسيب رضي الله عنه قال لما توفي زيد بن خارجة الانصاري في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه فسجي بثوبه ثم سمعوا جلجلة في صدره ثم تكلم وذكره ابن أبي الدنيا فيمن تكلم بعد الموت رواه عن ابن المسيب سحنون بن سعيد عن ابن وهب عن سليمان بن أبي بلال عن يحيى بن سعيد وكلهم عدول * ومن خوارق التابعين قال سعيد بن المسيب لعلي بن زيد بن جدعان وكان جالسا في مجلسه مرقائدك ينظر الى وجه هذا واشار الى رجل قلت قال فعلت أو تحدثني انت قال انه كان يتناول عليا وطلحة والزبير فنهيته عن ذلك فابى فدعوت الله على ان يسود وجهه فسود وجهه رواه سعيد بن أسد بن موسى في فضائل التابعين (قوله وان شاركتها في بعضها الكرامة) أي من حيث مطلق كونها خارقة للعادة (قوله الا اذا اقترن به مادل الشرع على استقامته) أي وهو مختلف في النبي والولي (قوله وأحد تلك الشرائط) أي الشرائط المعتبرة في تحقق كون الخارق معجزة هو دعوى النبوة التي لا تصح الا من النبي دون الولي (قوله فالكرامة كالمعجزة) أي في جواز الوقوع على يد من أراد الله به خيرا من نبي أو ولي بشرطه (قوله فعل من الله) أي لحكمة التصديق أو تقوية اليقين * (فائدة) * من التابعين ذوي الكرامة الحسن البصري رضي الله عنه خرج عنه الامام أحمد بن حنبل ؟ قال أخبرنا أبو الحكم بن المنذر عن أبي محمد عبد الله بن قاسم السطوري عن أبي بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك البغدادي عن عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابيه عن موسى بن هلال عن هشام بن حسان عن الحسن قال كان عامر بن عبد الله عطاؤه ألفين فكان يا خذ عطاءه في كمه فيجيء الى منزله فما يلقاه سائل الا اعطاه بغير عدد فاذا جاء الى البيت فينثرها قال هشام فلا ادري أكانت الدراهم يومئذ وزنا أو عددا قال فتوزن أو تعد فلا تنقص درهما ومن كرامة استجابة دعائه رضي الله عنه ما رواه حماد بن زيد عن أيوب قال كنا عند الحسن البصري فغم على الناس هلال رمضان فقال الحسن اللهم ان كانت ليلته فبينه لنا فانجلى عنه الغيم حتى نظر الناس اليه (قوله فهي حادثة لا قديمة) ذكر ذلك بيانا لقوله فعل من الله الخ وليس للرد على من يقول بقدمها لانه لا قائل به (قوله وتحصل أي الكرامة في زمان التكليف) أي في مدة الحياة الدنيوية وقوله لا في غيره من أزمنة الآخرة انظر هل زمن البرزخ من ازمنة الآخرة فلا تحصل فيه الكرامة أيضا أولا فتحصل والذي يظهر لي والله أعلم ان الكرامة تحصل في زمن البرزخ على معنى أن الله

فقد صرح الامام اليافعي بأنها تحصل من الصبي غير المميز ويدل لذلك ما ذكره الماتن بعد ممن تكلم في المهد (وتظهر على عبد مطيع) تخصيصا له وتفضيلا) له على من لا كرامة له (وقد تحصل) الكرامة له (باختياره ودعائه) أي طلبه لها (وقد لا تحصل له وان اختارها وطلبها (وقد تكون) أي تحصل (بغير اختياره) وطلبه (في بعض الاوقات ولم يؤمر الولي بدعاء الخلق الى نفسه) بل الى الله فقط بخلاف النبي في ذلك فان المعجزة انما تحصل له باختياره وطلبه وهو مامور بدعاء الخلق الى نفسه كما انه مأمور بدعائهم الى الله لانه تعالى بعثه اليهم فطاعته طاعته من يطع الرسول فقد أطاع الله (ولو أظهر) الولي (شيأ من ذلك) اى مما ذكر من كراماته (على من يكون اهلا له لجاز) بل قد يندب لما يترتب عليه من الخيرات كزيادة يقينه (واختلف أهل الحق في الولي هل يجوز ان يعلم أنه ولي أم لا فكان الامام أبو بكر ابن فورك رحمه الله يقول لا يجوز ذلك لانه يسلبه الخوف ويوجب له الامن وكان الاستاذ ابو علي الدقاق رحمه الله يقول بجوازه وهو الذي نأثره) أي ننقله (ونقول به) وهو الصحيح ولا نسلم ان ذلك يسلب الخوف ويوجب الامن فالعشرة الذين بشرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة علموا ببشارته أنهم أولياء الله وكانوا مع ذلك خائفين مع كمال فضلهم واجتهادهم في الدين وسيأتي هذا في كلامه (وليس ذلك) أي علم الولي بأنه ولي (بواجب في جميع الاولياء حتى يكون كل ولي يعلم انه ولي واجبا) أي وجوبا (ولكن يجوز أن يعلم بعضهم ذلك كما يجوز ان لا يعلمه بعضهم واذا علم بعضهم انه ولي كانت معرفته تلك كرامة ليدوموا له انفردبها وليس كل كرامة لولي يجب ان تكون تلك بعينها لجميع الاولياء بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه وليا) بل قد يكون أفضل ممن ظهرت عليه كرامات لان الافضلية انما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة قال الجنيد وقد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقينا

تعالى يخلق الكرامة لاكرام من أراد من الموتى حيث هو الفعال الخلاق (قوله غير المميز) أي والمميز بالاولى وربك على كل شئ قدير (قوله وتظهر على عبد مطيع) أي حتى تسمى كرامة وقوله تخصيصا له أي اوليقوى يقينه ويدوم اجتهاده (قوله وقد لا تحصل له) أي ليدوم الانسان على نعت عبوديته وذله لعزربه (قوله وقد تكون) أي تحصل بغير اختياره أي لحكمة اكرامه وقوة يقينه أو يقين من اتبعه من المريدين (قوله وهو مأمور بدعاء الخلق الى نفسه) أي ليحترم ويصدق في دعواه اي ولذلك يقع الخارق باختياره بخلاف الولي فذلك حكمة الفرق بين النبي والولي (قوله ولو أظهر الولي الخ) محصله انه انما يجوز له ذلك اذا قوي رجاؤه في انتفاع غيره من المريدين بواسطة قوة اعتقادهم فيه بما أظهره عليهم من الكرامات بل قد يندب له ذلك كما ذكره الشارح * وروى حمزة عن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه عن السري بن يحيي عن رباح بن عبيدة قال صلى بنا عمر ابن عبد العزيز فلما انصرف اذا شيخ يتوكأ على يده قال فقلت في نفسي ان هذا الشيخ جاف يتوكأ على يد الامير قال فقلت أصلح الله الامير من الشيخ الذي رأيته يتوكأ على يدك قال ورأيته يا رباح قال قلت نعم قال أحسبك رجلا صالحا ذلك الخضر أتاني واعلمني اني سألي الامر وأعدل فيه وهو مذكور في سيرة عمر بن عبد العزيز ورجاله ثقات (قوله واختلف اهل الحق) أي اختلفوا على قولين جواز علم الولي بأنه ولي وعدمه والمعتمد الاول على ما سيذكره (قوله لا يجوز ذلك لانه الخ) فيه نظر مع ما يظهر منه من ترويج القول بوجوب فعل الصلاح والاصلح عليه تعالى تنزه الله عن ذلك والله أعلم (قوله وكانوا مع ذلك خائفين) أي ويشهد لذلك خبر والمخلصون على خطر عظيم على ان الخوف لو سلب لخلفه الهيبة والاجلال لله تعالى كما يشير اليه خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه فتأمله (قوله وليس ذلك بواجب الخ) استئناف يبين انه غير لازم علم الولاية لكل ولي بل هو من الجائز فلو فرض علمه بولايته كما هو جائز في حقه كان علمه بها كرامة أكرمه الله بها (قوله كانت معرفته تلك كرامة) أي اكراما منه تعالى لذلك الولي حيث اعلمه بولايته مع ان ذلك غير بعيد حيث هو من الخارق للعادة (قوله لم يقدح عدمها في كونه وليا) اقول كيف لا ولا كرامة كالاستقامة (قوله انما هي بزيادة اليقين) أي ويدل لذلك خبر ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصوم بل بشئ وقر في قلبه أو كما ورد (قوله ومات بالعطش الخ) أي وذلك

وقال اليافعي في كرامات مريم انه كان في بدايتها يعرف لها خرق العادات بلا سبب ليكمل يقينها فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا فلما كمل يقينها ردت الى السبب وقيل لها وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا (بخلاف الانبياء فانه يجب ان تكون لهم معجزات لان النبي صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الخلق فبالناس حاجة الى معرفة صدقه ولا يعلم صدقه (الا بالمعجزة) لان وجودها عقب دعواه النبوة منزل منزلة قول الله له صدقت في دعواك (وبعكس ذلك حال الولي) أي لا يجب ان تكون له كرامة (لانه ليس بواجب على الخلق ولا على الولي أيضا العلم بانه ولي) نعم يجوز ان يعلم انه ولي كما مر واحتج له بقوله (والعشرة من الصحابة رضي الله عنهم صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم ١٥١ فيما أخبرهم) به من (انهم من أهل الجنة) فقد علموا بذلك انهم أولياء الله واجتمعت الامة على فضلهم (وقول من قال لا يجوز ذلك) أي علم الولي بانه ولي (لانه يخرجهم من الخوف) الى الامن لا يضر في عدم خوف تغير العاقبة (فلا بأس ان لا يخافوا تغير العاقبة) بان يعلمهم الله بانهم يموتون على الاسلام وذلك حاصل لبعض الاولياء (و) اما (الذي يجدونه في قلوبهم من الهيبة والتعظيم والاجلال للحق سبحانه) ومن خوفهم مما توعدهم به ربهم من الوقوف بين يديه للسؤال والحساب فانه موجود فيهم بل (يزيد ويربو على كثير من الخوف) الحاصل لغيرهم بل لا يزول عنهم ذلك لانه ثمرة معرفتهم به تعالى وبجلاله وعظمته وان حصل لهم سكون باعلام الله لهم بعدم تغير العاقبة ولا يضر في علمهم بانهم أولياء احتمال التغير كما لا يضر في العلم بان الكافر حال كفره كافر احتمال اسلامه لان العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به (واعلم انه ليس للولي مساكنة) أي سكون (الى الكرامة التي تظهر عليه ولا له ملاحظة) لها (وربما يكون لهم في ظهور جنسها قوة يقين وزيادة بصيرة لتحققهم ان ذلك فعل الله تعالى فيستدلون بها على صحة ما هم عليه من العقائد وبالجملة) وفي نسخة وفي الجملة (فالقول بجواز ظهورها) بل وقوعها وفي نسخة اظهارها (على الاولياء واجب وعليه جمهور أهل المعرفة ولكثرة ما تواتر باجناسها الاخبار والحكايات صار العلم بكونها) أي بوجودها (وظهورها على الاولياء في الجملة علما قويا انتفى عنه الشكوك ومن توسط هذه الطائفة) ولم يخرج عنها (وتواترت عليه حكاياتهم وأخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك على الجملة ومن دلائل هذه الجملة)

لـدوموا على الاشواق ونيران الاحتراق لمحبة اللقاء والتلاق بحكمة الرب الخلاق (قوله وقال اليافعي الخ) الذي يظهر منه القول بولايتها لا نبوتها وهو أحد قولين في المسئلة (قوله بخلاف الانبياء) أي الانبياء المرسلين كما يرشد اليه التعليل مع ان الظاهر الاعم والله أعلم (قوله فلا بأس الخ) حاصل الغرض في تحقيق هذا أنه لا يلزم من علم الولاية سلب مطلق الخوف عن الولي لثبوت الخوف من العشرة المبشرين بالجنة مع علمهم بحسن عاقبتهم وبولايتهم على أنه لا يلزم من نفي خوف العاقبة نفي خلاف الخوف لثبوت الهيبة والاجلال له تعالى عندهم وغير ذلك مما ذكره المؤلف (قوله ولا يضر في علمهم بأنهم أولياء الخ) محصل ذلك منع القول بان علم الولاية يخرج عن الخوف أي وذلك لتعلقه بالحال واحتمال التغير من حكم الاستقبال كما يرشد اليه التنظير بقوله كما لا يضر في العلم الخ (قوله لان العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به) أي في زمن العلم وذلك تعليل لقوله ولا يضر في علمهم الخ (قوله واعلم انه ليس للولي الخ) أي فالواجب في حق الولي انه لا يعلق همته بما سواه تعالى سواء كان من الذوات أو الصفات ولا فرق في ذلك بين الشريف والمشروف والذميم والمحمود فلا يلتفت الى علوي أو سفلي سماوي او ارضي نعم لا بد من مراعاة الدليل والرفيق قبل الطريق ويدخل في ذلك الانبياء والمرسلون وخلفاؤهم فلا يجوز الاعراض عنهم كما لا يجوز الميل اليهم عبودية قال تعالى ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه ومن جملة من ينبغي تعليق الهمة به الشيخ الكامل فهو خير معتصم للمريد المسترشد ونعم هو عون للطالب والله أعلم (قوله واعلم انه ليس للولي الخ) أقول ولذلك أشار صاحب الحكم العطائية حيث قال الطي الحقيقي أن تطوى مسافة الدنيا عنك حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك قلت ظاهر الطي من الفعل والكرامة كطي الايام بلا طعام ولا شراب أو طي الارض بحيث يقطعها دون مشي ولا تعب في أقرب مدة فكلاهما لا عبرة به وانما الطي

أى اظهار الكرامات (نص القرآن فى قصة) آصف (صاحب سليمان عليه السلام حيث قال) لسليمان (أنا آتيك به) أى بعرش بلقيس (قبل ان يرتد اليك طرفك) وقد أتى به ١٥٢ مثل ما قال (ولم يكن نبيا والاثر) فى ذلك (عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صحيح انه قال) على المنبر بالمدينة لسارية وكان بالشام أو بمصر يقاتل العدو وأراد العدو ان يكيده ويسبقه الى الجبل (ياسارية الجبل) أى اصعده كشف الله له حال سارية مع العدو فقال له ذلك (فى حال خطبته يوم الجمعة) فسمعه سارية والناس فتحصنوا بالجبل (و) صحيح (تبليغ صوت عمر الى سارية فى ذلك الوقت) باخبار سارية عن نفسه بذلك (حتى تحرز من مكامن العدو من الجبل فى تلك الساعة) فلعمر فى ذلك كرامتان ما كشف له عن سارية وأصحابه وحال العدو وبلوغ صوته الى سارية فى بلاد بعيدة والاخبار والآثار والحكايات فى ظهور الكرامات مشهورة وسياتى شئ منها (فان قيل كيف يجوز اظهار هذه الكرامات الزائدة فى المعانى على معجزات الرسل وهل يجوز تفضيل الاولياء على الانبياء عليهم السلام) أولا (قيل) فى الجواب عن الاول (هذه الكرامات لاحقة بمعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم لان كل من ليس بصادق فى الاسلام لاتظهر عليه الكرامة فكل نبى ظهرت كرامته على واحد من أمته فهى معدودة من جملة معجزاته اذ لو لم يكن ذلك الرسول صادقا لم تظهر على يد من تابعه الكرامة) فظهورها على الولى دليل صدق النبى وصحة معجزته فانه تابع له فى الحق الذى أتى به فاكرام الله للولى يدل على أنه متبع للرسول هو بما أتى به عنه فكرامات الاولياء ترجع الى ما عضد الله به الانبياء من المعجزات الدالة على صدقهم والجواب عن الثانى ما ذكره بقوله

الحقيق طى الدنيا بالزهد كما قال بعضهم فى قوله عليه الصلاة والسلام الدنيا خطوة مؤمن اى انه يتخطاها بالزهد وكقول بشر رحمه الله من دخل فى طريقنا يومين فقد حاز ملك الدارين قيل لانه يترك فى الاول الدنيا وفى الثانى التعلق بالآخرة وفى الثالث يكون لربه بلا علة (قوله فى قصة آصف) أى وهو ابن برخيا وزير سليمان عليه السلام (قوله حيث قال لسليمان أنا آتيك به) قبل ان يرتد اليك طرفك الطرف تحريك الاجفان وفتحها للنظر الى شئ وارتداده انضمامها ولكونه أمرا طبيعيا غير منوط بالقصد أوثر الارتداد على الرد ولما لم يكن بين هذا الوعد وانجازه مدة كما كانت فى وعد العفريت استغنى عن التأكيد وطوى عند الحكاية ذكر الاتيان به للايذان بأنه أمر متحقق غنى عن الاخبار به هذا وقيل الذى جاء به رجل عنده الاسم الاعظم الذى اذا سئل به أجاب وقيل الخضر أو جبريل أو ملك آخر أيده الله به عليه الصلاة والسلام وقيل هو سليمان عليه السلام وفيه بعد لا يخفى (قوله والاثر فى ذلك الخ) أى ومنه ما روى عن ابن سيرين فروى عنه أبو عبد الله محمد بن يحيى القاضى عن محمد بن يحيى الخراز عن أحمد بن خالد عن الزبيدى عن عبد الرزاق عن هشام بن حسان عن ابن سيرين قال خرجت أم ايمن مهاجرة الى الله تعالى والى رسوله وهى صائمة ليس معها زاد ولا حمولة ولا سقاء فى شدة حر تهامة وقد كادت تموت من الجوع والعطش حتى اذا كان الحين الذى يفطر فيه الصائم سمعت حفيفا على رأسها فرفعت رأسها فاذا بدلو معلق برشاء أبيض قالت فاخذته بيدى فشربت منه حتى رويت فما عطشت بعد قال فكانت تصوم وتطوف لكى تعطش فى صومها فما قدرت أن تعطش حتى ماتت وروى الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى كتاب الزهد قال محمد بن جعفر حدثنا عوف بن أبى السليل قال حدثنا صلة بن أشيم قال كنت أسير على دابة لى بهذه الاهواز اذ جعت جوعا شديدا فبينما أنا اسير حسبت انه قال أدعو ربى واستطعمه اذ سمعت وجبة خلفى قال فالتفت فاذا انا بمنديل ابيض فنزلت عن دابتى فاخذت الثوب فاذا فيه دوخلة ملأى رطبا قال فاخذته وركبت دابتى وأكلت منه حتى شبعت وجاء بالثوب الى أهله وكانت امرأته تريه الناس وحسبك برواية الامامين ابن المبارك وابن حنبل وغيرهما من الثقات (قوله كشف الله له حال سارية) اى فهى كرامة أكرمه الله تعالى بها وقوله وتبليغ صوت عمر الخ هذه كرامة أخرى له رضى الله تعالى عنه (قوله الزائدة فى المعانى) اى بحسب سير افرادها الواقعة لآحاد الامة (قوله هذه الكرامات لاحقة الخ) محصله منع زيادتها عن المعجزات بواسطة كونها من جملة مقويات صدقها باعتبار موافقة من ظهرت على يده للنبى صلى الله عليه وسلم فى أعماله وباقى متابعاته (قوله لاتظهر عليه الكرامة) أى لاتظهر عليه بهذا العنوان اما الخارق بعنوان آخر فقد يقع (قوله دليل صدق النبى)

(فامارتبة الاولياء فلا تبلغ رتبة الانبياء عليهم السلام للاجماع المنعقد على ذلك وهذا أبو يزيد البسطامى سئل عن هذه المسئلة فقال مثل ماحصل للانبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل زق فيه عسل ترشح منه قطرة فتلك القطرة مثل مالجميع الاولياء وما فى الظرف مثل مالنبينا) مثلا (صلى الله عليه وسلم) *(فصل ثم هذه الكرامات قد تكون اجابة دعوة وقد تكون اظهار طعام فى أوان فاقة) أى حاجة (من غير سبب ظاهر) فى تحصيل الطعام (أو حصول) أى تحصيل (ماء فى زمان عطش أو تسهيل قطع مسافة فى مدة قريبة أو) تسهيل (تخلص من عدو او سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الافعال الناقضة) أى الخارقة (للعادة واعلم ان كثيرا من المقدورات يعلم اليوم قطعا انه لايجوز ان يظهر كرامة للاولياء وبضرورة أو شبه ضرورة يعلم ذلك) أى ويعلم ذلك بالضرورة أو شبهها من البراهين (فنها) أى من تلك المقدورات (حصول انسان لامن أبوين وقلب جاد بهيمة أو حيوانا) آخر (وامثال هذا كثيرة) وبحث بعضهم فى هذا ماوافق ماص عن ابن فورك فقال خرق العادة جائز مطلقا فى كل زمن ولا يختص ببعض المعتادات لكن هل يكفى فى مثل هذا النوع الآحاد أولابد من تواتره فان مثله لووقع لنقل الينا متواترا حتى لونقله الآحاد دل على كذب الناقل أو على خبله لان العادة تكذبه وقد قال الزركشى ماقاله القشيرى ضعيف والجمهور على خلافه وقد أنكروه عليه حتى ولده أبو نصر فى كتابه المرشد وامام الحرمين فى الارشاد والنووى فى شرح مسلم فقال انه غلط من قائله وانكار للحس بل الصواب جريانها بقلب الاعيان ونحوه *(فصل

هو على حذف مضاف تقديره زيادة دليل صدق النبى (قوله فلا تبلغ رتبة الانبياء الخ) أى وذلك لان غاية رتبة الولاية أول معارج الصديقين وغاية معارج الصديقين أول قدم الانبياء عليهم الصلاة والسلام (قوله فصل ثم هذه الكرامات الخ) شروع فى بيان أنواعها مما يجريه الحق تعالى على يد أوليائه واعلم انه اذا كانت جميع الخوارق الجارية على يد أهل التصريف من عالم القدرة الجائز فى حقها كل ممكن فلا يبعد ماذكر من أنواعها وأصنافها انه وقع على يد من شاء الله من عباده اذ عالم الحكمة منطو فى بساط القدرة والعالمان من اخلاقه صلى الله عليه وسلم فن بساط الحكمة قطعه صلى الله عليه وسلم مسافات اسفاره مفصلة على ماجرت به العادة من حيث اقتضاء الحكمة الالهية ذلك وشوهد ذلك منه فى هجرته وعمرته وغزواته وفى تلك الاسفار شاهد مقتضى الحكمة باتخاذ الزاد والاهبة والسلاح ومن بساط القدرة طيه صلى الله عليه وسلم مسافة الارض والسموات السبع ومافوق ذلك ومادونه ذهابا وايابا فى بعض ليلة والله أعلم (قوله قد تكون اجابة دعوة الخ) اى ومن ذلك قال يوسف بن الحسين جاء رجل الى ذى النون المصرى فشكا اليه دينا عليه نحوا من سبعمائة دينار قال فاخذ ذو النون حصاة من الارض فقال للرجل خذها فانى ارجو ان يكون فيها اقضاء دينك قال يوسف فقال لى الرجل فجئت بها الى صديق لى من أصحاب الجوهر فدفعتها اليه فقال ليس هذا وقت بيعها فان صبرت على رجوت ان أبيعها بالضعف قال فغبت عنه شهرا ثم عدت اليه فاذا هو قد باعها بالف وأربعمائة دينار فذلك من باب استجابة الدعاء والله أعلم (قوله أو تسهيل قطع مسافة الخ) أى ويقال لمثل هذا طى مكان كما يقال بسط زمان حتى يسع القليل منه الكثير مما يحصل فيه (قوله أو تسهيل تخليص من عدو) أى ومن ذلك ان ذا النون المصرى رضى الله عنه جاءته امرأة فقالت ان ابنى قد أخذه التمساح هذه الساعة فرأى حرقتها قال فاتيت النيل فاخذت التمساح وشققت جوفه فاخرجت ابنها اصحيحا فقالت كنت اذا رأيتك سخرت منك فاجعلنى فى حل فانا تائبة الى الله تعالى (قوله واعلم ان كثيرا الخ) هو كالتقييد لماقبله أى فليس كل ممكن خارق يجوز وقوعه على يد الولى لماذكره المؤلف وهو ضعيف لمافيه من التحكم بلا وجه ظاهر فتدبره (قوله جائز مطلقا) أى بأى نوع من أنواع الخارق (قوله لكن هل يكفى فى مثل هذا الخ) اى فى صحة نقله وصدقه (قوله ماقاله القشيرى) أى من تخصيص الكرامة بنوع من أنواع مطلق الخارق وقوله ضعيف أى لمافيه من التحكم بدون وجه ظاهر (قوله فقال انه غلط) أى لان كل ماصح ان يكون معجزة لنبى جاز ان يكون كرامة لولى بدون محذور فيه (قوله فصل

فان قيل فما معنى الولى الخ) يريد نفعنا الله به الولاية الخاصة والا فالمؤمنون جميعا أولياء الله تعالى قال تعالى الله ولى الذين آمنوا والولى يطلق على كل عبد تولى أمرا فهو الناصر والعاضد والحافظ ومتولى عقد النكاح وغيره من الافعال التى تستولى وأصل الولاية المبالغة فى الفعل الحسن وكون الحق ولى المؤمنين فهو على معنى ناصرهم ومعينهم وموالى نعمه الدنيوية والاخروية عليهم هذا والمراد هنا الولاية فى العرف وهى الخاصة بخواص المؤمنين لا غير والله أعلم (قوله قيل يحتمل الخ) منه يعلم على كل من المعنيين فيه اشتراط الموافقة فى أقواله وأفعاله للشريعة المطهرة وانه لا تتحقق الولاية لاحد عليه اعتراض من جهة الشرع فلا تغتر بغير ذلك قال الله تعالى فى بيان ما خص به الاولياء من النعوت الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فهو بيان على وجه التبشير والوعد بعدما اشير الى فظاعة حال المفترين وما سيعتريهم من الهول اشارة اجمالية على طريق التهديد والوعيد وصدرت الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها والمراد بالاولياء خلص المؤمنين اقربهم الروحانى منه تعالى لا خوف عليهم فى الدارين من لحوق مكروه ولا هم يحزنون من فوات مطلوب والمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر فى الجملة الثانية مضارعا لما هو معلوم من أن النفى اذا دخل على نفس المضارع يفيد الدوام والدوام بحسب المقام وانما لم يعتريهم ذلك لان مقصدهم ليس الا طاعة الله تعالى ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى وذلك مما لا ريب فيه ولا احتمال لفواته بموجب الوعد الصدق وقوله الذين آمنوا أى بكل ما جاء من عند الله تعالى وقوله وكانوا يتقون اى يتقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الافعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتى الماضى والمستقبل بيان وتفسير لهم واشارة الى ما به نالوا ما نالوا على طريق الاستئناف المبنى على السؤال كأنه قيل من أولئك وما سبب فوزهم بتلك الكرامة فقيل هم الذين جمعوا بين الايمان والتقوى المفضيين الى كل خير المنجيين من كل شر والمراد من التقوى المرتبة الجامعة لما تحتها من التوقى عن الشرك التى يفيدها الايمان أيضا ومرتبة التجنب لكل ما يؤثم من فعل وترك اعنى تنزه الانسان عن كل ما يشغل سره عن الله تعالى والتبتل اليه بالكلية وهى التقوى الحقيقية المأمور بها فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وبذلك يحصل الشهود والحضور والقرب الذى يدور عليه اطلاق الاسم نعم يتفاوت الحظ والشرب من ذلك بحسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم اقصاها ما انتهى اليه هم الانبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستى النبوة والولاية ولم يعقهم التعلق بعالم الاشباح عن الاستغراق فى عالم الارواح ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل الى جناب الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية فملاك أمر الولاية هو التقوى فاولياء الله هم المؤمنون المتقون ويقرب منه ما قيل من

فان قيل فما معنى الولى) ووزنه فعيل (قيل يحتمل أمرين أحدهما

اتهم

انهم هم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان وتولوا القيام بحق عبوديته والدعوة اليه وما
قيل من انهم هم الذين يذكر الله برؤيتهم أى بسمتهم واخباتهم وسكينتهم وما قيل من انهم
المتحابون فى الله وقوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة تفسير لتوليته تعالى
اياهم والبشرى مصدر اريد به المبشر به من الخيرات العاجلة كالنصر والفتح والغنيمة
ونحو ذلك والآجلة الغنية عن البيان عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه قلت يارسول الله
الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال صلى الله عليه وسلم تلك عاجل بشرى المؤمن
وعن النبى صلى الله عليه وسلم هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له وعنه صلى الله
عليه وسلم ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وعن عطاء البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة
قال تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة الآية والبشرى
فى الآخرة فتلقى الملائكة مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم
واعطاء الصحائف بايمانهم وغير ذلك من البشارات والله أعلم (قوله ان يكون فعيلا
مبالغة) أى باعتبار صيغته اذ هى من صيغ المبالغة (قوله فيكون معناه من توالت الخ)
أقول قال الشاذلى نفعنا الله به الكرامة كرامتان كرامة الايمان بمزيد الايقان وشهود
العيان وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوى والمخادعة فمن أعطى ماثم
جعل يشتاق الى غيرهما فهو عبد كذاب مفتر قد أخطأ فى العلم والعمل بالصواب لكن أكرم
بشهود الملك على نعت الرضا فجعل يشتاق الى سياسة الدواب هو ماذكره رضى الله تعالى عنه
بالغ فى بيان المقصود فافهمه (قوله حسب ما يمكن) أى على حسب ما يطاق والاخلق
المعرفة مما لا تسعه قدر البشر واعلم ان العارفين هم أهل الحضرة الالهية وهم أقسام شتى
بحسب مشاربهم وأذواقهم وهم متفاوتون فى شربهم بحسب اسم الله المقسط فأعطى
كلا بمقتضى اسمه الحكيم على ما سبق عليه اسمه العلام العليم فرفعهم باسمه الرافع رفيع
الدرجات وبسط على أرواحهم واشباحهم ما فاض عن خزائن اسمه الباسط وقبض عنهم
النقائص بما فاض من تيار بحر اسمه القابض فشأنهم انهم دائما محفوظون ولربهم
راكعون ساجدون يسبحونه تعالى الليل والنهار لا يفترون (قوله المواظب على
الطاعات) أى واجبها ومندوبها بل هو المواظب على الافضل من ذلك وقوله المتجنب عن
المعاصى أى عن المخالفات ولو المكروه منها وان جاز وقوع ذلك منه اذ لا عصمة الا للنبى غير
ان الولى اذا وقع فى المعصية بتقدير العزيز العليم لا يصر عليها بل يرجع حالا الى قرع باب
القبول بالتوبة الصحيحة النصوح والله أعلم (قوله المعرض عن الانهماك الخ) أشار
بذلك الى جواز وقوع المخالفة من الولى بتقدير العزيز العليم لانه عصمة ثبتت فى حق الولى
بل له الحفظ فقط والله أعلم (قوله ويجوز ان يكون فعيلا الخ) أى وعلى كلا المعنيين تلزم
المتابعة لسيد الكاملين صلى الله عليه وسلم وكل معنى أردته من المعنيين يلزمه المعنى الآخر
كما هو واضح (قوله وما قيل فى حق الانبياء الخ) محصله ان المعاصى من الانبياء صورية

ان يكون فعيلا مبالغة من
الفاعل كالعليم والقدير) بمعنى
العالم أو القادر (وغيره) الاولى
وغيرهما (فيكون معناه من توالت
طاعاته من غير تخلل معصية)
وهذا قريب من قول السعد
التفتازانى الولى هو العارف بالله
وصفاته حسب ما يمكن المواظب
على الطاعات المتجنب عن المعاصى
المعرض عن الانهماك فى اللذات
والشهوات (ويجوز ان يكون
فعيلا بمعنى مفعول كقتيل بمعنى
مقتول وجريح بمعنى مجروح
وهو الذى يتولى الحق سبحانه
حفظه وحراسته على الادامة
والتوالى فلا يخلق له الخذلان
الذى هو قدرة العصيان و) انما
(يديم) عليه (توفيقه الذى هو
قدرة الطاعة قال الله تعالى وهو
يتولى الصالحين) فلا يكله الى
نفسه لحظة وتقدم ذلك فى باب
الولاية * (فصل فان قيل فهل
يكون الولى معصوما) من
الذنوب (قيل اما) كونه معصوما
منها (وجوبا كما يقال فى حق
الانبياء) حتى لا يقع فى كبيرة
اجماعا ولا فى صغيرة على الاصح
(فلا) وما قيل فى حق الانبياء مما
يخالف ظاهره ذلك

كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى مؤول فاول عصى بخالف وغوى بتغير حاله عما كان عليه (واماان) أى انه (يكون محفوظا
حتى لا يصر على الذنوب ان حصلت) منه ١٥٦ (هنات) أى خصلات شر (اوآفات أوزلات فلا يمتنع ذلك فى وصفهم) بالولاية

الاولى وصفه فالولى يحفظ عما يجوز وقوعه فان وقع فى ذنب تاب منه سريعا ومحى اثره عنه والنبى يمتنع ان يقع له ما يجوز وقوعه فحفظ الولى عما ذكر جائز وان وقع له وتاب منه كان ذلك من جملة الحفظ له أيضا ولا يخرجه ذلك عن كونه وليا لله (ولقد قيل للجنيد رحمه الله العارف) بالله هل (يزنى يا أبا القاسم فاطرق) رأسه (مليا) بتشديد الياء أى طويلا (ثم رفع رأسه وقال وكان أمر الله قدرا مقدورا) أشار الى ان وقوع الذنب من الولى لا ينافى ولايته بان يحفظه الله بالتوبة منها سريعا

*(فصل فان قيل فهل يسقط الخوف عن الاولياء قيل اما الغالب على) الاولياء (الاكابر) فكان) هو (الخوف) كما مر بيانه حتى تمنى عمر رضى الله عنه مع بكائه الزائدات لم تكن أمه ولدته (وذلك) أى سقوط الخوف (الذى قلنا) ه (فيما تقدم على جهة الندرة) بضم النون بان يعلمه الله بانه يموت مسلما فيسقط عنه خوف موته كافرا (غير ممتنع وهذا السرى السقطى يقول لوأن واحدا دخل بستانا فيه أشجار كثيرة وعلى كل شجرة طير يقول له) على سبيل خرق العادة (بلسان فصيح السلام عليك يا ولى الله فلم يخف) من ذلك (انه مكر لكان ممكورا) به

فقط لاحقيقة كيف وهى قد يترتب عليها من الثمرات والفوائد الدنيوية والدينية بالنسبة للآدمى مالا يخفى على عاقل عالم (قوله كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى) اى عصى بما ذكر من أكل الشجرة فغوى اى ضل عن مطلوبه الذى هو الخلود أوعن المأمور به أوعن الرشد حيث اغتر بقول العدو (قوله فاول عصى بخالف) أى وخلافه كان خطأ لاعمدا وقوله وغوى بتغير حاله عما كان عليه اى من تطاير الحلل وهبوطه الى الارض وغير ذلك مما صار أمره اليه على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قوله حتى لا يصر الخ) الذى يظهر من كلامه انه يبعد حفظه من كل وجه بحيث لا يلابس ذنبا أصلا وهو كذلك باعتبار ماجبلت عليه نفس البشر والله تعالى على كل شئ قدير (قوله تاب منه سريعا الخ) أى ويشهد له خبر المؤمن مفتن تواب أوكما ورد (قوله كان ذلك من جملة الحفظ له) أى بواسطة الهام الرجوع سريعا (قوله العارف بالله الخ) المراد به العالم بربه على قدر طاقته الذى توالى على قلبه ذكر ربه ومراقبته حتى فنى فى ذلك عما سواه تعالى (قوله فاطرق رأسه الخ) أقول لم يكن ذلك منه لتذكر الجواب بل للاشفاق مما يجوز فى حقه رضى الله تعالى عنه (قوله وكان أمر الله قدرا مقدورا) أى فلا يمكن تخلف ما قدره الله على عبده بل لا بد من وقوعه ولو كان من قدر عليه وليا من أوليائه وحينئذ فالفرق بينه وبين غيره من عوام الامة عدم اصراره على ما قدر عليه من المخالفات بل يوفق للتوبة والرجوع سريعا بخلاف غيره وسبحان من لا يسأل عما يفعل والله أعلم (قوله فصل فان قيل الخ) محصله ان الخوف من نعت العبد الغالب عليه تحققا للعبودية فخروجه عن ذلك نادر بواسطة اخبار معصوم انه يموت مؤمنا ومع ذلك قد يخلف الخوف الهيبة والجلال بل ربما يكون تأثير ذلك أشد من تأثير الخوف فالولى دائما دائر بين الخوف والهيبة لا ينفك عن ذلك أبدا نعم قد يسقط الخوف بالنسبة لمن دخلت نفسه حرم الأمن باشارة جعلنا لهم حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فان النفس وقواها اذا دخلت حرم القلب أمنت من غوائل الهوى والشيطان واذا أمنت عم الامان الجوارح واذا خرجت منه فقد تعرضت لتخطف الهوى والشيطان نعم فى النادر من يدخل ذلك الحرم والله أعلم (قوله فكان هو الخوف) أقول والله أعلم لعل ذلك بالنسبة لقوم لم يبلغوا حرم القلب كما قدمنا القول فى ذلك بل كان محلهم برزخ الصدر فاذا هبت عليهم ريح الصبا من جهة يمين القلب والسر وجدوا نعيم الجمع واذا عصفت عليهم دبور الشمال من جهة الشهوات وجدوا عذاب الفرق فتدبر تفهم والله أعلم (قوله فيسقط عنه خوف موته كافرا) أى وذلك لا ينافى تحقق الخوف له من جهة أخرى كوجود الحجاب عما يجوز عروضه للاحباب أوسقوطه عن منازل المقربين ومقامات الكاملين أونحو ذلك مما لا ينافى الموت على الايمان (قوله وهذا السرى السقطى الخ) دليل على ما هو الغالب

وزالت معرفته بالله لانه تعالى قال انما يخشى الله من عباده العلماء فكل عالم به لابد ان يخشاه لمعرفته بجلاله وعظمته وكمال قدرته (وأمثال هذا من حكاياتهم) الدالة على عدم سقوط الخوف عنهم (كثيرة * فصل * فان قيل فهل تجوز رؤية الله تعالى بالابصار اليوم) أى (فى الدنيا على جهة الكرامة فالجواب عنه ان الاقوى فيه انه) اى ماذكر من الرؤية (لايجوز لحصول الاجماع عليه ولقد سمعت الاستاذ ابا بكر بن فورك رحمه الله يحكى عن أبى الحسن الاشعرى رضى الله عنه أنه قال) أى ذكر (فى ذلك قولين فى كتاب الرؤية الكبير) أحدهما الجواز اذ لو لم تجز رؤيته فى الدنيا لم تجز فى الآخرة لاستحالتها واللازم باطل فقد صحت الاخبار برؤيته فى الآخرة بل سأل موسى عليه السلام ربه رؤيته فى الدنيا ولا يسأل النبى الا فيما يجوز لكن أخبره الله بان وقوعها ممتنع فى الدنيا لضعف الخلق عنها ولهذا مثله بالجبل فقال ولكن انظر الى الجبل الذى هو أقوى منك فان استقر مكانه فسوف ترانى الآية وقد رآه نبينا صلى الله عليه وسلم فى الدنيا ليلة المعراج لقوته وأما فى الآخرة فيراه المؤمنون لما يخلق لهم من قوة الادراك الذى يدرك به ماليس فى جهة والثانى عدم الجواز للاجماع الذى ذكره المؤلف والحق الاول والاجماع انما هو على عدم وقوع الرؤية لا عدم جوازها مع انه محمول على غير نبينا صلى الله عليه وسلم لما تقرر ان المعتمد انها واقعة للنبى صلى الله عليه وسلم فى الدنيا والآخرة ولغيره من المؤمنين جائزة عقلا وشرعا فى الدنيا لا واقعة وواقعة فى الآخرة

فى حقهم رضى الله تعالى عنهم (قوله وزالت معرفته بالله) أى زالت وغابت عنه معرفته بان جواز التغيير والتبديل من نعت الربوبية (قوله فصل فان قيل الخ) محصله ان فى المسئلة قولين الجواز وعدمه فى الدنيا والحق الجواز بل الوقوع بالفعل بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم على ما عليه الجمهور والاتفاق على رؤيته تعالى فى الآخرة بالفعل على وجه يليق به جل جلاله (قوله ان الاقوى فيه الخ) ضعيف كما يعلم مما يأتى (قوله أحدهما الجواز) أى وهو المعتمد وقوله لاستحالتها اى والمستحيل لا ينقلب جائزا كما هو معلوم (قوله واللازم باطل) أى وهو عدم جواز الرؤية فى الآخرة ووجه بطلانه الاتفاق على وقوع الرؤية فى الآخرة والحاصل أن الرؤية فى الدنيا جائزة عقلا وشرعا بل واقعة فى الدنيا لنبينا صلى الله عليه وسلم وفى الآخرة واقعة لغيره من المؤمنين أيضا والله أعلم (قوله بل سأل موسى عليه السلام ربه رؤيته الخ) أى سأله بقوله تعالى حكاية عنه حيث قال رب أرنى أنظر اليك أى أرنى ذاتك بان تمكننى من رؤيتك أو تجلى لى فانظر اليك وأراك أى وفى ذلك دليل على ان رؤيته تعالى فى الدنيا جائزة لان طلب المستحيل مستحيل من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولاسيما ما يقتضى الجهل بشؤن الله تعالى ولذلك رده بقوله لن ترانى دون لن أرى تنبيها له على انه قاصر عن رؤيته تعالى لتوقفها على استعداد فى الرائى ولم يوجد فيه ذلك وجعل السؤال منه تبكيتا لقومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب تجهيلهم كما فعل ذلك حين قالوا اجعل لنا الها الخ حيث قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالة الرؤية أشد خطأ اذ لا يدل الاخبار بعدم رؤيته اياه على أنه لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا ودعوى الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية على ان تعليق الرؤية باستقرار الجبل دليل على جوازها ضرورة ان المعلق عليه من الممكن فالمعلق بالممكن ممكن أيضا وقوله ولكن انظر الى الجبل قيل هو جبل الاردن وقوله فان استقر مكانه فسوف ترانى استدراك لبيان انه لا يطيق الرؤية وقوله فلما تجلى ربه للجبل أى لما ظهرت له عظمته تعالى وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى الجبل حياة ورؤية حتى رآه جعله دكا أى مدكوكا مفتتا والدك والدق أخوان أو جعله أرضا مستوية وذلك على قراءته دكاء ومنه ناقة دكاء اى لاسنام لها وقوله وخر موسى صعقا أى مغشيا عليه من هول ما رآه (قوله والاجماع انما هو الخ) جواب عما يقال كيف يكون الحق الاول مع ان صاحب القول بعدم جواز الرؤية قد حكى الاجماع عليه فقال مجيبا عن ذلك والاجماع انما هو على عدم وقوع الرؤية الخ (قوله ولغيره من المؤمنين جائزة الخ) أى جائزة عقلا وشرعا لعدم ما يقتضى استحالتها مع ثبوت الرؤية له صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

(فصل فان قيل فهل يجوز ان يكون الولى وليا فى الحال ثم تتغير عاقبته) بان يخرج عن ولايته (قيل من جعل من شرط الولاية حسن الموافاة) لله تعالى بأن يعلم ١٥٨ الولى توالى الطاعات والقربات عليه الى الممات (لايجوز ذلك ومن قال انه فى الحال مؤمن على الحقيقة وان جاز ان تتغير حاله) بعد (لايبعد ان يكون وليا فى الحال صديقا ثم يتغير وهذا) هو (الذى نختاره) ولا يورث احتمال التغير فى العاقبة شكا فى كونه وليا أو مؤمنا فى الحال والا لا التبس الامر علينا فلا يشترط فى صدق ذلك دوامه الى الممات (و) مع ذلك (يجوز ان يكون من جملة كرامات الولى ان يعلم) باعلام الله له (انه مأمون العاقبة وانه لاتتغير عاقبته فتلتحق هذه المسئلة بما ذكرنا) من (أن الولى يجوز ان يعلم انه ولى) لله تعالى

(فصل فان قيل فهل يزايل الولى) أى يزول عنه (خوف المكر) أى مكر الله به (قيل اذا كان) العبد (مصطلما) أى مستغرقا (عن شاهده) أى مشهوده (مختطفا عن احساسه) أى لاشعور له (بحاله) ونفسه (فهو مستهلك عنه) أى عن احساسه (فيما استولى عليه) من الاحوال التى طرقته فاين هو من الخوف الذى هو من صفة حاضر كما قال (والخوف من صفات الحاضرين) أى منهم أو الاولياء أو الخلق بهم)

(فصل فان قيل فما الغالب على الولى فى أوان صحوه قيل) الغالب عليه (صدقه فى أداء حقوقه سبحانه ثم رفقه وشفقته على الخلق فى جميع أحواله ثم انبساط رحمته لكافة الخلق ثم دوام تحمله عنهم) اذاهم الخلق (بجميل الخلق و) دوام (ابتدائه لطلب الاحسان من الله تعالى اليهم من غير التماس) الشئ (منهم و) دوام (تعليق الهمة بنجاة

(قوله فصل فان قيل فهل يجوز الخ) اعلم ان هذه المسئلة باعتبار عموم المعنى فى الولاية العامة والخاصة يقال فيها تفصيل باعتبار العامة والخاصة والحال والاستقبال فاما العامة وهى ولاية المؤمنين بمجرد الايمان فيمكن العلم بها فى الحال فان من عرف حقيقة الايمان الذى كلفه الله تعالى به وأدركه من قلبه ونفسه فهو يعلم أنه من المؤمنين فى وقته وان لم يعلم الدوام عليه لما يجوز فى حقه من التغيير والتبديل والعياذ بالله تعالى وأما الخاصة الموقوفة على شروط زائدة على الايمان من جريانهم على أشرف الاحوال واشتغالهم بافضل الاعمال فهو باعتبار ما قد يعرض لهم من الآفات الجائز فى حقهم كل وقت يقال انهم اذا وزنوا أنفسهم بميزان التحقيق ووجدوها على سواء الطريق قام منهم الظن بحفظ المولى لهم ثم قد يخلق الله لهم علما بعاقبة أمرهم فيعلمون انهم أولياء الله وحينئذ فذلك خارج من هذا البحث والله سبحانه وتعالى أعلم (قوله لايجوز ذلك) الاشارة الى علمه فى الحال بانه ولى لله باعتبار اشتراط علمه بتوالى الطاعات والقربات عليه الى الممات (قوله وهذا هو الذى نختاره) أى علمه بانه ولى فى الحال هو الذى نختاره وان جوزنا تغيره فى المستقبل اذ حكم الاستقبال لا ينافى حكم الحال سواء كان المحكوم به الايمان أو الولاية (قوله والا لا التبس الامر علينا) أى فى تحقيق ولايته فى الحال (قوله قيل اذا كان العبد مصطلما الخ) أفاد بذلك ان العبد وان كمل يكون فى حال صحوه خائفا راجيا ولا يكون آمنا أصلا كيف وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم مع ما كانوا عليه من قوة اليقين وشهود النور المبين كان الغالب عليهم الخوف منه تعالى ومن جملتهم من بشرهم المقطوع بصدقه بالجنة ومع هذا لم ينفكوا عن خوف الله بشهود جلاله وعظمته نعم المصطلم يزول عنه الخوف فى حالة اصطلامه كمن أمن العاقبة بواسطة خبر معصوم من الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (قوله فصل فان قيل فما الغالب على الولى الخ) هذا شروع فى أمارات الولى وقت صحوه وهو حال تفرقه لاجل ان لا يلتبس بغيره ممن تضر متابعته دينا ودنيا والعياذ بالله تعالى (قوله قيل الغالب عليه صدقه الخ) أى دوام جده فى طاعة مولاه فحينئذ علامة اقامة العبد فى منازل الكرامة دوام جريانها عليه مع حصول نتائجها بواسطة علو الهمة والتعلق بالمعالى وكمال المعرفة بتحقيق اليقين والرضا عن الله فى كل وقت وعلى كل حال ونعوذ بالله من حال أهل النار (قوله ثم رفقه وشفقته الخ) أى لاجل ان يتخلق بالخلق المحمدى صلى الله عليه وسلم وقوله انبساط رحمته أى عمومها لكافة جميع الخلق (قوله ثم دوام تحمله عنهم اذاهم) أى لانه كما تقدم كالارض يطؤها البر والفاجر (قوله ودوام ابتدائه الخ) أى حيث هو لا يقف على حال ولا مقام (قوله ودوام تعليق الهمة بنجاة

الخلق) من المشقات والآفات (وترك الانتقام منهم) على قبائحهم (والتوقى عن عن استشعار حقد عليهم مع قصر اليد) والبعد (عن أموالهم وترك الطمع بكل وجه فيهم وقبض اللسان عن بسطه بالسوء فيهم والتصاون) أى صون نفسه (عن شهود مساويهم ولا يكون خصما لاحد فى الدنيا) لهوانها عليه فلا يخاصم عليها أحدا (ولا فى الآخرة) لرحمته للخلق وشفقته عليهم فلا يطالبهم فيما يحق له عليهم وجميع هذه المذكورات من علامات الولاية لدلالتها على الانكفاف عن النقائص (واعلم ان من أجل الكرامات التى تكون للاولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن) وفى نسخة من (المعاصى والمخالفات ومما شهد من القرآن على اظهار الكرامات على الاولياء قوله تعالى فى صفة مريم) بنت عمران (عليها السلام ولم تكن نبيا ولا رسولا) وفى نسخة نبية ولا رسولة (ان زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا وكان يقول أنى لك هذا فتقول مريم هو من عند الله) ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (وقوله سبحانه لمريم وهزى اليك بجذع النخلة) وكانت يابسة والباء زائدة (تساقط عليك رطبا جنيا) أى يسقط عليها فتستغنى عن ان تجنيه بيدها (وكان فى غير أوان الرطب وكذلك قصة أصحاب الكهف والاعاجيب التى ظهرت عليهم من كلام الكلب معهم) وفى نسخة لهم (وغير ذلك)

الخلق الخ) أى ليكون بهم رؤفا رحيما كما كان كذلك صلى الله عليه وسلم (قوله وترك الطمع الخ) أى اكتفاء به تعالى عما سواه (قوله وقبض اللسان الخ) أى حفظا لثمرات أعماله عن الضياع بالوقوع فى الخلق (قوله والتصاون الخ) أى اكتفاء بجمال نفسه واماطة معايبها (قوله ولا يكون خصما لاحد الخ) اى لقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن هين لين الحديث (قوله دوام التوفيق) أى وذلك لان أجل الكرامة دوام الاستقامة بل الاستقامة هى حقيقة الكرامة اذ غيرها قد يعقبه ندامة والحاصل ان التحقيق فى معنى الولاية أن يكون الولى محفوظا من المخالفات وميسرا للطاعات مع استعمال الخوف والرجاء كلا فى وقته وأى كرامة أعظم من الاستقامة على ان الخارق للعادة قد يكون لقصد قوة اليقين فى ابتداء السير لرب العالمين على يد من تخلق بأكمل الاخلاق وحاز قصب السباق أو لرد منكر جاحد او معاند حائد فاذا كمل العبد فى أحواله وتمكن فى مقامه ووصاله ولم تدع دواعى الخارق على يده بمثل ما تقدم لم يلتفت اليه لتوالى الاكمل منه من نعم مولاه عليه ودوام احسانه اليه (قوله والعصمة عن المعاصى) أى الحفظ عنها اذ لا عصمة الا لنبى أو رسول لا لذوى الكرامات من بقية المؤمنين (قوله وهزى) الهز تحريك الشئ الى الجهات المقابلة تحريكا عنيفا غير ان المراد منه هنا ما كان منه بطريق الجذب والدفع لقوله تعالى اليك أى الى جهتك وقوله بجذع النخلة الباء صلة للتأكيد كما فى قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقوله تساقط أى تسقط النخلة عليك اسقاطا متواترا على حسب تواتر الهز وقوله رطبا مفعول وقوله جنيا صفته وهو ما قطع قبل يبسه فعيل بمعنى مفعول أى رطبا مجنيا أى صالحا للاجتناء وقيل بمعنى فاعل أى طريا طيبا (قوله وكذلك قصة أصحاب الكهف الخ) أى فيما حكى الله تعالى عنهم بقوله وترى الشمس اذا طلعت تزاور الخ حيث بين حالهم بعدما أووا الى الكهف والخطاب الى النبى صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب وليس المراد الاخبار بوقوع الرؤية تحقيقا بل الانباء بكونه بحيث لو رأيته ترى الشمس الخ وقوله تزاور أى تتزاور وتتنحى بحذف احدى التاءين وقوله عن كهفهم أى الذى أووا اليه وقوله ذات اليمين أى جهة ذات اليمين وقوله واذا غربت أى غابت تراها عند غروبها تقرضهم أى تقطعهم ولا تقربهم ذات الشمال أى جهة ذات الشمال أى جانبه الذى يلى المشرق وذلك على منهاج خرق العادة وقوله وهم فى فجوة منه جملة حالية منبئة عن كون ذلك أمرا بديعا حيث لا تحوم حولهم مع انهم فى متسع من الكهف معرض لاصابتها وقوله ذلك أى ما صنع الله بهم من تزاور الشمس وقرضها حالتى الطلوع والغروب مع كونهم فى موقع شعاعها من آيات الله العجيبة الدالة على كمال علمه وقدرته وحقيقة التوحيد وكرامة أهله عنده سبحانه وتعالى وهذا كان قبل سد دقيانوس الكهف وقوله من يهد الله فهو المهتد أى من يهديه الى الحق بالتوفيق فهو الذى أصاب الفلاح والمراد اما الشهادة او الثناء عليهم باصابة المطلوب وقوله

ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا أي ومن يخلق فيه الضلال بصرف اختياره اليه فلن تجد له أبدا وان بالغت في التتبع والاستقصاء ناصرا يهديه الى الفلاح لاستحالة وجوده وقوله وتحسبهم أيقاظا أي تظنهم كذلك لما تبصره من انفتاح عيونهم على هيئة الناظر وقوله وهم رقود أي نيام وقوله ونقلبهم أي في رقدتهم ذات اليمين وذات الشمال أي جهتهما كيلا تأ كل الارض ما يليهما من أبدانهم قيل لهم تقليبتان في السنة وقيل واحدة يوم عاشوراء وقوله وكلبهم هو كلب مروا به فتبعهم فطردوه مرارا فلم يرجع وانطقه الله فقال لا تخشوا جانبي فاني أحب الله فناموا حتى أحرسكم وقيل هو كلب راع تبعهم على دينهم ويؤيده قراءة كالبهم وقيل هو كلب صيد أحدهم أو زرعه او غنمه واختلف في لونه فقيل كان اصفر وقيل اصهب وقيل غير ذلك واختلف ايضا في اسمه فقيل قطمير وقيل ريان وقيل تثود وقيل مطموت وقيل ثور قال خالد بن معدان ليس في الجنة من الدواب الا كلب اصحاب الكهف وحمار بلعام وقيل لم يكن من جنس الكلاب بل كان اسدا وقوله باسط ذراعيه حكاية حال ماضية والذراع من المرفق الى رأس الاصبع الوسطى وقوله بالوصيد أي بموضع الباب من الكهف وقوله لو اطلعت عليهم اي لو عاينتهم لوليت منهم فرارا أي هربا مما شاهدت منهم وقوله ولملئت منهم رعبا أي خوفا يملأ الصدر وذلك لما البسهم الله تعالى من الهيبة وقيل لعظم اجرامهم هذا وبقية الكلام على ما يتعلق بهم من توضيح قصتهم يطلب من كتب التفسير وانما ذكرنا هذه النبذة تبركا بهم والله أعلم (قوله وانهم يقلبون الخ) أي والتقليب لئلا تضر الارض أجسامهم بطول رقادهم (قوله ومن ذلك قصة ذي القرنين) اي التي حكاها الله تعالى بقوله ويسألونك عن ذي القرنين اي والسائل هم اليهود امتحانا او قريش بتلقينهم وهو ذو القرنين الا كبر واسمه اسكندر ابن فيلسوف اليوناني وقيل اسمه مرزبان بن مرزبة من ولد يافث وقيل مرزبان بن مدركة بن هشام وقيل انه افريدون بن النعمان وقيل غير ذلك ذكر أبو الريحان في كتابه المسمى بالآثار انه ملك مشارق الارض ومغاربها وهو الذي افتخر به التبع اليماني حيث قال شعرا

قد كان ذو القرنين جدي مسلما * ملكا علا في الارض غير معند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي * أسباب أمر من حكيم مرشد

والذي قاله الرازي ان الذي بلغ في القوة والسعة الى الغاية التي نطق بها القرآن انما هو الاسكندر اليوناني وهو الذي بنى الاسكندرية ومدينة سرنديب وغيرها من المدن العظام كان يدفن كنز كل بلد فيها وقال علماء النجوم انه يموت بارض من حديد وتحت سماء من خشب فلما بلغ بابل سقط عن دابته فبسط له درع فنام عليها فآذته الشمس فاظلوه بترس فنظر وقال هذه أرض من حديد وسماء من خشب فايقن بالموت فمات وهو ابن ألف وستمائة سنة وقيل ابن ثلاث آلاف سنة واختلف في نبوته بعد الاتفاق على اسلامه كان

قوله قال خالد بن معدان الخ الذي في حياة الحيوان نقلا عن خالد المذكور وحمار العزير بدل حمار بلعام وزاد ناقة صالح

فقد جاء في قصتهم أنهم مروا بكلب فتبع عليهم فطردوه فقال لهم لا تطردوني أنا أحب احباء الله فناموا حتى أحرسكم وأنهم لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا نياما وانهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم معهم باسط ذراعيه بالوصيد وكان ينقلب اذا انقلبوا وهو مثلهم في النوم واليقظة والشمس تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال وكلها خوارق للعادة (ومن ذلك قصة ذي القرنين وتمكينه سبحانه له) في الارض بكثرة المال (ما لم يكن لغيره) فيها كما هو مذكور في سورة الكهف

(ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر) بفتح الخاء وكسر الضاد وبكسر الخاء وفتحها مع اسكان الضاد (من اقامة الجدار) الذي كان مائلا بيده (وغيره من الاعاجيب) كخرقه السفينة وقتله الغلام (و) من (ما كان يعرفه مما خفي على موسى عليه السلام كل ذلك أمور ناقضة) أي خارقة (للعادة اختص بها الخضر عليه السلام ولم يكن نبيا وانما كان وليا) والذي جزم به ابن الصلاح واقره عليه النووي انه نبي ورجحه الجمهور (ومما روي من الاخبار في هذا الباب) شاهدا على اظهار الكرامات على الاولياء (حديث جريج الراهب) وهو ما (أخبرنا) به (أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفرايني قال حدثنا ابو عوانة يعقوب بن ابراهيم بن اسحق قال حدثنا عمار بن رجاء قال حدثنا وهب بن جرير قال حدثنا ابي قال سمعت محمد بن سيرين يحكي (عن ابي هريرة) رضي الله عنه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو عوانة وحدثني) أيضا (الصنعاني وابو امية قالا حدثنا الحسن بن محمد المروزي قال حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال 161 لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصبي في زمان جريج وصبي آخر فاما عيسى فقد عرفتموه) اى كلامه وهو مذكور في سورة مريم عليها السلام (وأما جريج فكان رجلا عابدا في بني اسرائيل وكانت له ام) موجودة (فكان يوما يصلي اذ اشتاقت اليه امه) فجأته (فقالت) له (يا جريج فقال يارب الصلاة خير ام آتيها) اى أجيبها وفي نسخة ام اجابتها (ثم صلى) اى استمر في صلاته (فدعته) ثانيا (فقال مثل ذلك ثم صلى ودعته) ثالثا (فقال مثل ذلك ثم صلى فاشتد) اى شق ذلك (على امه فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات) أي الزانيات (وكانت امرأة) زانية في بني اسرائيل) هناك (فقالت لهم انا افتن جريجا حتى يزني فاتته فلم تقدر على شئ) منه (وكان) هناك (راع ياوي بالليل الى أصل صومعته) أي صومعة جريج (فلما أعياها) جريج (راودت الراعي على نفسها فاتاها فولدت) منه (ثم انها قالت ولدي هذا من جريج فاتاه بنو اسرائيل وكسروا صومعته وشتموه ثم صلى ودعا ثم نخس الغلام) بيده وقال له يا غلام من أبوك (قال محمد) هو ابن سيرين (قال أبو هريرة كأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قال بيده) يحكي قول جريج (يا غلام من أبوك فقال) فلان (الراعي فندموا على ما كان) أى ما صدر (منهم) في حقه (واعتذروا اليه) وأقبلوا عليه يقبلونه و يتمسحون به (وقالوا) له (نبني صومعتك من ذهب أو قال من فضة فابى عليهم وبناها كما كانت) لفظ مسلم قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا (وأما الصبي الآخر فان امرأة كان معها صبي لها ترضعه اذ مر بها شاب جميل الوجه ذو شارة) أى هيئة حسنة (فقالت اللهم اجعل ابني مثل هذا فقال الصبي اللهم لا تجعلني مثله قال محمد قال أبو هريرة كأني أنظر الى النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يحكي الغلام) أي كلامه (وهو يرضع ثم مرت بها =

21 ع ج

الخضر على مقدمة جيشه (قوله ومن ذلك ما أظهر على يدي الخضر الخ) أي فما يقع على يد غيره من الاولياء رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين فهو من هذا القبيل فهم محفوظون بحفظ الله تعالى موافقون للشرع في حقيقة الامر وان بدا منهم ما ظاهره يخالف كشتم ونهب واتلاف أموال فهم فيه على أنهج سبيل وأكمل حال فذلك في قصة الخضر عليه السلام أكبر عبرة هل تراه خرج في خرق السفينة وقتل الغلام واصلاح الجدار عن الشرع قيد ذرة فالمدد واحد

عباراتنا شتى وحسنك واحد * وكل الى ذاك الجمال يشير

وتأمل قول سلطان العشاق قدس سره حيث يقول

وخلع عذاري فيك فرضي وان أبى اقـ * ـترابي قومي والخلاعة سنتي

فقد شبه أهل القيود بالنقول من علماء الظاهر بالدواب المذممة بارسانها فقوله وخلع عذاري يعني به خرقي للمغالي واختلاقي للمعاني هو الفرض المتفق عليه وهو الامر الذي دعا الداعي اليه ففروا الى الله قل الله ثم ذرهم فلبس خلعة الخلاعة هو سنتي أي طريقتي طريقة أهل السنة والجماعة لا أحب الآفلين لئن لم يهدني ربي لاكونن من الضالين ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض هكذا هكذا والا فلا ومن لا يوافقني يفارقني ومن لا يساعدني يباعدني تدبر رقة المقام ومني عليك السلام (قوله وهو مذكور في سورة مريم) أي في قوله تعالى قال اني عبد الله آتاني الكتاب الآية (قوله فقالت لهم انا افتن جريجا الخ) فيه تنبيه على وجوب بر الوالدين بالنظر

أيضا فأنكروا انها سرقت وزنت وعوقبت فقالت اللهم لا تجعل ابني مثل هذه فقال اللهم اجعلني مثلها فقالت له امه
في ذلك) أي ما سببه (فقال ان الشاب جبار من الجبابرة وان هذه) المرأة (قيل انها زنت ولم تزن وقيل) انها (سرقت ولم تسرق وهي
تقول حسبي الله وهذا الخبر) صحيح (روى ١٦٢ في الصحيح) فهؤلاء الثلاثة تكلموا في المهد وكلامهم خرق للعادة فكلام الاول
كرامة لمريم وبراءة لها مما نسب
اليها وكلام الثاني كرامة لجريج
وبراءة له مما نسب اليه وكلام
الثالث آية لوالدته وبراءة للمظلومة
وزيد على الثلاثة سبعة أحدهم
شاهد يوسف عليه السلام حيث
قال انظروا ان كان قميصه قد من
قبل الآية رواه الطبراني الثاني
ابن ماشطة فرعون حيث قال لامه
لما اطلع فرعون على ايمانها وأراد
القاءها في النار اصبري فانا على
الحق رواه الطبراني وروى ان
المتكلم بنت الماشطة وانه كان
للماشطة ابنتان فذبح الكبرى
على صدرها وقال لها ان لم تكفري
بالله ذبحت الصغرى وكانت رضيعة
فابت فاتي بها فلما اضجعت على
صدرها وارادوا ذبحها جزعت
الام فقالت ابنتها يا اماه لا تجزعي
فان الله قد بنى لك بيتا في الجنة
فاصبري فذبحت فلم تلبث الام
ان ماتت فاسكنها الله الجنة
الثالث صاحب الاخدود فقد كان
ملك من ملوك حمير بنجران قبل
مولد النبي صلى الله عليه وسلم
خد اخدودا وملاه نارا ثم عرض
من اسلم رجلا رجلا فمن رجع عن
الاسلام تركه ومن أبى القاه في
النار فاحرقه وكان فيهم امرأة ولها ثلاثة اولاد احدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك فابت فالقى احدهم في است
النار ثم قال لها مثل ذلك فابت فالقى الآخر فيها ثم قال لها مثل ذلك فأبت فاخذوا الصبي منها ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال
لها الصبي يا اماه لا ترجعي عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فالقي الصبي في النار ثم القيت امه فيها على اثره رواه مسلم

لما وقع لهذا العابد من الابتلاء مع تحريه وورعه في طلب الافضل من طرق ما يرضيه
تعالى (قوله فكلام الاول) أي وهو عيسى عليه الصلاة والسلام فيما حكاه الله تعالى
عنه بقوله قال اني عبد الله الذي قصد به الاستئناف المبني على سؤال نشأ من سياق النظم
الكريم الذي أنطقه الله تعالى به تحقيقا للحق وردا على من يزعم ربوبيته قيل ان الذي
استنطقه عليه السلام زكريا عليه السلام وعن السدي لما أشارت اليه مريم عليها السلام
غضبوا وقالوا لسخريتها أشد علينا مما فعلت وروي انه عليه السلام كان يرضع فلما
سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واشار بسبابته وقال ما قال ثم انه عليه السلام
لم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان (قوله وكلام الثاني) أي قوله فلان
الراعي جوابا لقول جريج له من أبوك (قوله وكلام الثالث) أي وهو قوله اللهم لا تجعلني
مثله في الشاب الحسن الهيئة وقوله في المرأة التي اتهمت بالسرقة والزنا وكانت في نفس
الامر بريئة اللهم اجعلني مثلها (قوله احدهم شاهد يوسف عليه السلام) أي المحكي
بقوله تعالى وشهد شاهد من أهلها قيل عنه انه ابن عمها وقيل هو الذي كان جالسا مع
زوجها لدى الباب وكان حكما يرجع اليه الملك ويستشيره وانما القى الله سبحانه الشهادة
الى من هو من أهلها ليكون أدل على نزاهته عليه السلام وانفى للتهمة وقيل كان ابن خالها
صبيا في المهد انطقه الله تعالى ببراءته وحينئذ فذكر كونه من أهلها لبيان الواقع
اذ لا يختلف الحال في هذه الصورة بين كون الشاهد من أهلها أو من غيرهم كما لا يخفى
(قوله الثالث صاحب الاخدود) أي المحكي بقوله تعالى قتل أصحاب الاخدود والذي
هو جواب قسم على حذف اللام وقيل تقديره لقد قتل وأياما كان فالجملة خبرية والاصل
انها دعائية دالة على الجواب كانه قيل اقسم بهذه الاشياء انهم اي كفار قريش ملعونون
كما لعن اصحاب الاخدود وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان لبعض الملوك
ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان في طريق الغلام راهب فمر الغلام ذات
يوم بدابة قد حبست الناس قيل كانت اسدا فاخذ حجرا وقال اللهم ان كان الراهب
أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص
ويشفي من الادواء فعمي جليس للملك فابرأه فابصره الملك فسأله من رد عليك بصرك
فقال ربي فغضب فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقده بالمنشار وابى
الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجي فذهب
به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجي فقال للملك

الرابع يحيى عليه السلام رواه الثعالبى الخامس ابراهيم الخليل عليه السلام ذكره البغوى السادس نبينا صلى الله عليه وسلم تكلم فى اوائل ما ولد رواه الدرقطنى السابع مبارك اليمامة وكان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم رواه البيهقى فقوله فى الخبر الاول لم يتكلم فى المهد الا ثلاثة اى فى بنى اسرائيل او انه قال ذلك قبل ان يعلم الزيادة على الثلاثة (ومن ذلك حديث الغار وهو مذكور مشهور فى الصحاح اخبرنا ابو نعيم عبد الملك بن الحسن الاسفراينى قال حدثنا ابو عوانة يعقوب بن ابراهيم بن اسحق قال حدثنا محمد بن عون وزيد بن عبد الصمد الدمشقى وعبد الكريم بن الهيثم الديرعاقولى وابو الخصيب بن المستنير المصيصى قالوا حدثنا ابو اليمان قال اخبرنا شعيب عن الزهرى عن سالم عن ابيه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم فآواهم المبيت الى غار فدخلوه فانحدرت) عليهم (صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه والله لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله بصالح أعمالكم) فان لذلك اثرا ظاهرا فى النجاة (فقال رجل منهم ١٦٣ انه كان لى ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق) بضم الباء اى اسقى (قبلهما اهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما) اى فلم اصل اليهما (حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما) اى مشروبهما (فجئتهما به فوجدتهما نائمين فتحرجت) اى تجنبت الاثم من (ان اوقظهما وكرهت ان اغبق قبلهما اهلا ولا مالا فقمت والقدح على يدى انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه) من هذه الصخرة (فانفرجت انفراجا لا يستطيعون الخروج منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر اللهم كانت لى بنت عم وكانت احب الناس الى فراودتها عن نفسها فامتنعت حتى المت بها سنة) مجدبة (من السنين فجاءتنى فاعطيتها عشرين ومائة دينار على ان تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت) لى (لا يحل لك ان تفض الخاتم الا بحقه) وهو عقد النكاح (فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى احب الناس الى وتركت الذهب الذى اعطيتها) اياه (اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة الا انهم لا يستطيعون الخروج منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال الثالث اللهم انى استأجرت أجراء فأعطيتهم أجورهم غير رجل واحد منهم ترك الذى له) وسخطه (وذهب فثمرت اجره) حتى كثرت منه الاموال (فجاءنى بعد حين فقال) لى (يا عبد الله اد الى اجرى فقلت له كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال) لى (يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت) له (انى لا أستهزئ) بك (فاخذ ذلك كله فاستاقه ولم يترك منه شيأ اللهم فان) وفى نسخة ان (كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه) فعلم الله صدقهم فى ذلك (فانفرجت الصخرة) عنهم (فخرجوا من الغار يمشون

لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد واحد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول بسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فامر باخاديد فى افواه السكك واوقد فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست فقال الصبى يا اماه اصبرى فانك على الحق وقيل قال لها اقتحمى ولا تقاعسى وقيل ان الغلام اخرج من قبره فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل والله اعلم (قوله الرابع يحيى عليه السلام) قيل انه نبئ وهو ابن ثلاث سنين كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما عند قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا حيث قال الحكم النبوة استنبئ وهو ابن ثلاث سنين وقيل الحكم الحكمة وفهم التوراة والتفقه فى الدين وروى انه دعاه الصبيان الى اللعب فقال ما خلقت للعب (قوله الى غار) الغار الشق فى الجبل (قوله فانحدرت) اى سقطت (قوله فقالوا انه) الضمير للشان (قوله من هذه الصخرة) اى من شر سقوطها (قوله الا ان تدعوا الله) اى تطلبوا منه متوسلين فى قبول دعائكم بصالح اعمالكم اى بما اخلصتموه اليه تعالى (قوله فان لذلك) اى المذكور من الدعاء والتوسل (قوله انه كان لى ابوان) اى اب وام (قوله وكنت لا أغبق الخ) الغبوق الشرب آخر النهار كما ان الصبوح الشرب أوله (قوله ولا مالا) اى حيوانا (قوله اى تجنبت الاثم) اى بعدت عنه (قوله حتى برق الفجر) اى ظهر (قوله فراودتها) اى طلبت وطأها بدون عقد نكاح (قوله حتى المت) اى نزلت بها

وهذا حديث صحيح متفق عليه) كما مرت الاشارة اليه في كلامه والكرامة في ذلك استجابة دعائهم وازالة العصرة عنهم بقدرة
الله خرقا للعادة والظاهران أقواهم الثاني فانه ترك شهوته مع تيسرها وكمال محبته لابنة عمه وبذله لها ما بذله لها من المال الجزيل
(ومن ذلك الحديث الذي قال النبي صلى الله عليه وسلم فيه ان البقرة كلمتهم أخبرنا أبو نعيم الاسفرايني قال أخبرنا أبو عوانة قال
حدثنا يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثني سعيد بن المسيب عن أبي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينا) وفي نسخة بينما (رجل يسوق بقرة قد حمل عليها) شيأ (التفتت) وفي نسخة فالتفتت
(البقرة وقالت اني لم اخلق لهذا انما خلقت للحرث فقال الناس) لما سمعوا كلامها (سبحان الله) تعجبا (فقال النبي صلى الله
عليه وسلم آمنت بهذا) انا (وأبو بكر وعمر) أي بانه حق وان الله قادر عليه وانه يفعل ما يشاء ووجه دخول ذلك في كرامات
الاولياء نصح البقرة لصاحبها حتى لا يحملها ١٦٤ ما لا تطيقه (ومن ذلك حديث أويس القرني وما شهد) له (به عمر بن
الخطاب رضي الله عنه من ساله
وصيته ثم التقاؤه) أي أويس (مع
هرم ابن حيان وتسليم أحدهما
على صاحبه من غير معرفة تقدمت
بينهما وكل ذلك احوال ناقضة)
اى خارقة (للعادة و) قد (تركنا شرح
حديث اويس لشهرته) وحاصله
ان عمر رضي الله عنه اجتمع به في
عرفات وعرفه بصفة النبي صلى
الله عليه وسلم التي وصفها له
وسأله أن يثبت له حتى يرجع
فقال له لا تراني ولا أراك بعد
اليوم وكان يرعى الابل في صورة
العبيد فبقي عمر ينادي عليه في كل
موسم فلا يجد من يدله عليه لخفاء
امره وقلة شهرته حتى دل عليه
رجل قرني من اهله ثم قال له وما
تسأل عن ذلك يا امير المؤمنين والله
ما فينا احمق منه ولا اجن ولا ادنى
فبكى عمر وقال ما سألت عنه الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدخل في شفاعته الجنة مثل ربيعة ثم
ومضر قال هرم بن حيان فلما سمعت ذلك من عمر قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب واسأل عنه حتى سقطت عليه جالسا
على شاطئ الفرات نصف النهار يتوضأ ويغسل ثوبه فعرفته بالنعت الذي نعت به فاذا رجل لحيم شديد السمرة محلوق الراس كث
اللحية متغير جدا كريه الوجه مهيب المنظر فسلمت عليه فرد علي فقلت حياك الله من رجل فمددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني
فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت قال وانت حياك الله يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قلت الله قال
لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فعجبت حين عرفني ولا رايته قبل ذلك ولا رآني فقلت له من اين عرفت اسمي
واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نبأني به العليم الخبير وعرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك

(قوله وبذله لها الخ) اى مع عدم رجوعه فيه بعد (قوله ومن ذلك حديث أويس
الخ) اى ومثله ما روى مالك بن أنس وخرج حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه
في الاخبار عن الجنين في البطن وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سؤاله وقوله
ادرك قومك فقد احترقوا وحديث الانصاريين اللذين حفر عنهما بعدما دفنا بستة
واربعين سنة فوجدا لم يتغيرا كانما ماتا بالامس وفي جامع الاحاديث المستخرجة في
رواية أشهب عنه حديث الذي اتته بارض الروم وعنده رطب في أرض ليس فيها رطب
ومن ذلك ما وقع للزبير يوم الجمل جعل يوصي بدينه الذي عليه لولده عبد الله ويقول يا بني
ان عجزت عن شئ فاستعن بالله قال فوالله ما دريت ما يقول حتى قلت يا أبت من مولاك
قال الله فوالله ما وقعت في كربة من دينه الا قلت يا مولى الزبير اقض عنه فيقضيه
وهذا من باب الدعاء والقصد والالتجاء وغير ذلك مما ورد في حقهم رضي الله تعالى عنهم
(قوله وقد تركنا شرح حديث أويس الخ) واعلم انه روى الامام ابن عبد الله عن أبي
بكر بن عياش قال مات أويس القرني بسجستان فوجد معه اكفان لم تكن معه وأبو
بكر بن عياش وأحمد بن عبد الله وأويس بن عامر كلهم قد اتفق البخاري ومسلم
على الاخراج عنهم في الصحيح وفي بعض الروايات فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن
وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره
لنستغفر له فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر خرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل عن ابن حمويه
في كتاب الزهد أقول ومن الخوارق ما وقع لعبد الله بن جحش يوم أحد وقوله اللهم
يا رب اذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسه شديدا حرده اقاتله فيك ويقاتلني

ان الارواح لها أنفس كانفس الاجساد وان المؤمنين ليعرف بعضهم بعضا ويتعاونون بروح الله وان لم يلتقوا ومن كراماته ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال مات أويس بسجستان فوجدنا معه أكفان وروى فاذا قبر محفور وماء مسكوب وكفن وحنوط فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه فقال بعضنا لبعض لو رجعنا فعلمنا قبره بشئ لنستغفر له فرجعنا فاذا لا قبر ولا أثر علامة كما كان يحبه في حياته من اخفاء عمله (ولقد ظهر على السلف من الصحابة والتابعين ثم على من بعدهم من الكرامات مابلغ حد الاستفاضة وقد صنف في ذلك كتب كثيرة وسنشير الى طرف منها ١٦٥ على وجه الايجاز ان شاء الله تعالى

فمن ذلك ان ابن عمر رضى الله عنهما كان في بعض الاسفار فلقى جماعة وقفوا على الطريق من خوف السبع فطرد) هو (السبع من طريقهم ثم قال انما يسلط على ابن آدم مايخافه ولو أنه لم يخف غير الله لما سلط عليه شئ وهذا خبر معروف) وقد جرى مثل هذا لابراهيم بن أدهم لما كان في قافلة وتعرض السبع لها فتقدم اليه وقال يا ابا الحرث ان كنت امرت فينا بشئ والا فتنح عن طريقنا فهمهم وتنحى عن الطريق فتعجبوا من ذلك فقال لهم ابراهيم ماعلى أحدكم ان يقول اذا أصبح وأمسى اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام واحفظنا بركنك الذى لايرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت الرجاء (وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى فى غزاة فحال بينهم وبين الموضع) المطلوب (قطعة من البحر فدعا الله تعالى باسمه الاعظم ومشوا على الماء) روى ان مادعا به العلاء يا على

ثم يأخذنى فيجدع انفى واذنى فاذا لقيتك غدا قلت ياعبد الله من جدع أنفك واذنك فاقول فيك وفى رسولك فتقول صدقت قال فلقد رأيته آخر النهار وان انفه واذنه لمعلقتان فى خيط وروى عنه سعيد بن المسيب رضى الله عنه قال قال عبد الله بن جحش اللهم أقسم عليك ان ألقى العدو غدا فيقتلونى ثم يبقروا بطنى ويجدعوا انفى واذنى ثم تسألنى فيم ذلك فاقول فيك قال سعيد بن المسيب فانى لارجوان يبر الله قسمه كما اراده ورفع جسد عامر بن فهيرة بعد قتله ببئر معونة الى السماء وحفظ الله تعالى جسد عاصم بن ثابت بالدبر عن المشركين فى نهاره وحفظه عنهم بالسيل فى ليله وحال سفينة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع السبع لما لقيه بالصحراء وقضية خبيب بن عدى لما رأوا فى يده قطفا من عنب وهو موثوق بالحديد بمكة وليس بزمان عنب بمكة وتسبيح البرمة او القصعة بين يدى سلمان وابى الدرداء وغير ذلك مما جرى للصحابة رضى الله تعالى عنهم من خوارق العادات وأنواع الكرامات (قوله ان الارواح لها انفس الخ) أى ويشهد لذلك خبر الارواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وماتناكر منها اختلف (قوله فاذا لاقبر الخ) أى ويدل لذلك خبر الجزاء من جنس العمل (قوله ثم على من بعدهم الخ) أقول اما ماجرى من ذلك بعد التابعين فحصر محتاج مشهور مستغن عن الاحتجاج فاذكره المؤلف نفعنا الله بعلومه قطرة من بحر أورشح من نهر ثم وذلك غير بعيد وكمالات الحق تعالى لاتتناهى ونعمه لايمكن عدها ولا احصاها والله أعلم (قوله ان يقول اذا أصبح) أى دخل فى الصباح وامسى اى دخل فى المساء والاول يدخل وقته بالفجر والثانى بغروب الشمس اللهم أى يا الله احرسنا اى احفظنا بعينك اى بحفظك وكلاءتك التى لاتنام أى لايجوز عليها النوم لكونه من عوارض الحادث وهى مستحيلة فى حقه تعالى ولا يخفى مافى المقام من التصوير فالمراد بقوله لاتنام لازمه وهو الحفظ الدائم الذى لايطرقه مانع وقوله واحفظنا أى امنع عنا كل شئ بركنك اى بركوننا اليك واعتمادنا عليك وقوله الذى لايرام أى لايقصد بالمعارضة وقوله وارحمنا أى أحسن الينا بقدرتك أى بسبب اقتدارك علينا اذ العفو هو ما كان عند القدرة وقوله فلا نهلك أى لانعدم الخير وأنت الرجاء أى المرتجى (قوله يا على الخ) أى ياذا الرفعة التى لاتضاهى وياذا العظمة التى

ياعظيم ياعليم ياحكيم انا عبيدك نقاتل فى سبيلك فاجعل لنا اليهم سبيلا ثم ضرب فرسه فخاض البحر ولاينافى هذا قوله ومشوا على الماء لاحتمال ان الماشى على الماء غيره فقط أو كلهم والخائض الفرس وحده (وروى ان عباد بن بشر واسيد بن حضير خرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم) فى ليلة مظلمة (فاضاء لهما رأس عصى أحدهما كالسراج) وروى فظهر عند طرف سوط أحدهما كالقنديل من النور يستضيآن به فقال صاحبه لو حدثنا الناس بهذا لكذبونا

(وروى انه كان بين يدى سلمان وابى الدرداء قصعة فسبحت حتى سمعا التسبيح) منها (وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال كم من اشعث اغبر ذى طمرين) اى ثوبين خلقين (لا يؤبه له) اى لا يبالى به (لواقسم على الله لابره ولم يفرق صلى الله عليه وسلم بين شئ وشئ فيما يقسم به على الله) أى سواء الاسم الاعظم أم غيره (وهذه الاخبار اشهرتها اضربنا) اى اعرضنا (عن ذكر اسانيدها وحكى عن سهل بن عبد الله انه قال من زهد فى الدنيا اربعين يوما صادقا من قلبه مخلصا فى ذلك ظهرت له الكرامات ومن لم تظهر له) بعدها الكرامات (فانه عدم الصدق فى زهده فقيل لسهل كيف تظهر له الكرامة فقال يأخذ ما يشاء كما يشاء من حيث يشاء) يعنى يلطف الله به ويسهل له سائر تصرفاته على وجه الاستقامة ويدل له خبر وما تقرب الى المتقربون عذا مع انه لا يلزم من الصدق ظهور الكرامة (اخبرنا على ابن احمد بن عبدان قال حدثنا احمد بن عبيد الصفار قال حدثنا ابو مسلم قال حدثنا عمرو بن مرزوق قال حدثنا عبد العزيز بن ابى سلمة الماجشون قال حدثنا وهب بن كيسان عن ابن عمير عن ابى هريرة) رضى الله عنه (عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بينا رجل ذكر كلمة اذ سمع رعدا فى سحاب فسمع صوتا فى السحاب) هو صوت الملك الموكل به (ان اسق) اى يقول للسحاب اسق (حديقة فلان فجاء ذلك السحاب الى سرحة) هى واحدة السرح وهو الشجر العظام يعنى حديقة فلان (فافرغ ماءه فيها فاتبع) السامع (السحاب فاذا رجل قائم فى حديقة فقال) له (ما اسمك قال فلان بن فلان باسمه قال فما تصنع بحديقتك هذه اذا صرمتها) 166 أى قطعت ثمرتها (قال ولم تسأل عن ذلك قال انى سمعت صوتا فى السحاب ان اسق حديقة فلان اما اذ قلت) أى سألت عن ذلك (فانى أجعلها أثلاثا فاجعل لنفسى ولاهلى ثلثا وأرد عليها) أى على مصالحها (ثلثا واجعل للمساكين وابن السبيل ثلثا) فى ذلك دلالة على انتفاع هذا السامع بكونه خرقت له العادة حتى سمع كلام الملك وجاء الى صاحب الحديقة وسأله عما يصنع فيها ليزداد حرصه فى الطاعات ويهون عليه اخراج ماله فى الخيرات لان الله يعوضه بذلك فى ماله الخيرات والبركات (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول دخلنا تستر فرأينا فى قصر سهل ابن عبد الله بيتا كان الناس يسمونه بيت السبع فسألنا الناس عن ذلك فقالوا كان السباع تجىء الى سهل فكان يدخلهم فى هذا البيت ويضيفهم ويطعمهم اللحم ثم يخليهم) الى حال سبيلهم شبه السباع بمن يعقل فاتى بها بضميره (قال ابو نصر ورأيت أهل تستر كلهم متفقين على هذا لا ينكرونه وهم الجمع الكثير) وسيأتى عن سهل انه كان قد اصابته زمانة فى آخر عمره فاذا حضرته صلاة الفرض انتشرت أعضاؤه فاذا فرغ من فرضه عاد الى زمانته وهذا من جملة الكرامة والحفظ له ليأتى بالفرض على أكمل وجوهه (سمعت محمد بن أحمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على الصوفى يقول سمعت حمزة بن عبد الله العلوى يقول دخلت على ابى الخير التينانى وكنت اعتقدت) أى قصدت (فى نفسى ان أسلم عليه وأخرج) من عنده (ولا آكل عنده طعاما فلما خرجت من عنده ومشيت قدرا) بعيدا من موضعه (فاذا به خلفى وقد حمل طبقا عليه طعام فقال) مكاشفا لى بما قصدته (يا فتى كل هذا) الطعام (فقد خرجت الساعة من اعتقادك) وابو الخير التينانى مشهور بالكرامات وحكى عن ابراهيم الرقى انه قال قصدته) اى أبا الخير (مسلما عليه فصلى صلاة المغرب فلم يقرأ الفاتحة مستويا)

لا تقدر ويا ذا العلم المحيط بكل شئ ويا ذا الحكمة والاتقان الذى لا يتطرق اليه خلل وقوله انا عبيدك اى خلقك لا رب لنا غيرك نقاتل فى سبيلك أى نقصد قتال أعدائك طلبا لمرضاتك وقوله فاجعل لنا اليهم سبيلا أى طريقا حتى نتوصل الى مقاصدنا من مقاتلتهم (قوله ولم يفرق صلى الله عليه وسلم) أى اشارة الى ان المدار على قوة التوجه مع صدق الحال والافاسماؤه تعالى جميعها عظيمة يجاب للداعى باى اسم منها (قوله من زهد فى الدنيا) أى من أعرض عنها بقلبه وان لابسها بظاهره مع القيام بحق الحق وحق الخلق وقوله أربعين يوما الخ تخصيص العدد المذكور ربما استأثر به الشارع (قوله فقال يأخذ ما يشاء الخ) أى يصرفه الله تعالى فيما يشاء لطفا منه ورحمة (قوله هذا أى افهم هذا مع انه لا يلزم الخ) أى لما تقدم من قول بعضهم مشى ناس على الماء بقوة يقينهم ومات ظما من هو أقوى منهم يقينا والله اعلم (قوله فى ذلك دلالة الخ) أى ويدل له أيضا قوله تعالى

لكن لايضر فى الصلاة كان لحن لحنا لايغير المعنى او كان به عجمة منعته من التعلم (فقلت فى نفسى ضاعت سفرتى) الى لايحسن قراءة الفاتحة (فلما سلمت) عليه (خرجت للطهارة فقصدنى السبع فعدت اليه وقلت) له (ان الاسد قصدنى فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض لضيفانى فتنحى) عن الطريق (فتطهرت فلما رجعت) الى أبى الخير (قال) لى مكاشفا (اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا بتقويم القلب فخافنا الاسد وقيل كان لجعفر الخلدى فص فوقع) منه (يوما فى الدجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة) اذا دعى به (ترد فدعا به فوجد الفص فى وسط أوراق كان يتصفحها) الكرامة فيه وجوده الفص الذى سقط منه فى البحر بين أوراق كان يتصفحها ولم يعرف من أتى به (سمعت أباحاتم السجستانى يقول سمعت أبانصر السراج يقول ان ذلك الدعاء) الذى دعا به جعفر هو اللهم (ياجامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع على ضالتى قال ابو نصر السراج أرانى أبو الطيب العكى جزأ ذكر فيه من ذكر هذا الدعاء على ضالة وجدها وكان الجزء اوراقا كثيرة سألت أحمد الطابرانى السرخسى فقلت له هل ظهر لك شئ من الكرامات فقال) لى (فى وقت ارادتى وابتداء أمرى ربما كنت أطلب حجرا استنجى به فلم أجده فتناولت شيأ من الهواء فكان جوهرا فاستنجيت به وطرحته) الكرامة فيه لكونه أخذه من الهواء واستنجى به مع انه صقيل لايزيل الاذى وقد أزاله (ثم قال) منفرا عن الالتفات الى الكرامات ١٦٧ (وأى خطر) أى قدر (للكرامات) اى لظهورها (انما المقصود منه) أى من ظهورها (زيادة اليقين فى التوحيد) لله (فمن لايشهد غيره) أى غير الله تعالى (موجودا فى الكون) وانما يشهد وجوده تعالى (فسواء أبصر فعلا معتادا أو ناقضا) أى خارقا (للعادة) فيه ان الكرامة لايغتر بها ولو أخر غيره عن موجودا فى الكون كان أوضح وفى نسخ بدل موجودا موجدا (سمعت محمد بن احمد الصوفى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت أبا الحسن البصرى يقول كان بعبادان رجل أسود فقير يأوى الى الخرابات فحملت معى شيا) اليه شفقة عليه (وطلبته فلما وقع عينه على) كاشفنى بما أتيته به حيث (تبسم وأشار بيده الى الارض) ليرينى ما تفضل الله به عليه وانه مستغن به عما أتيت به (فرايت الارض كلها ذهبا يلمع) ثم أمرنى بقبول ما أتيته به مع استغنائه عنه حيث (قال) لى (هات مامعك فناولته له (وهالنى) اى افزعنى (امره فهربت) منه فزعا (سمعت منصورا المغربى رحمه الله يقول سمعت احمد بن عطاء الروذبارى يقول كان لى استقصاء) ومبالغة (فى أمر الطهارة فضاق صدرى ليلة لكثرة ما صببت من الماء ولم يسكن قلبى فقلت يارب عفوك فسمعت هاتفا يقول العفو فى العلم) اى اتباعه (فزال عنى ذلك) الضيق الكرامة فيه ان الله استجاب دعاءه وازال عنه ما كان فيه من الوسوسة فى الطهارة (سمعت منصورا المغربى) ايضا (يقول فرايته) اى الروذبارى (يوما قعد على الارض فى الصحراء وكان عليها آثار الغنم) من بعرونحوه (بلا سجادة) بفتح السين (فقلت) له (أيها الشيخ هذه آثار الغنم) وانت قاعد عليها (فقال) قد (اختلف الفقهاء فيه) اى فى حكمه من طهارة وعفو وفيه اشارة الى انه قد زال عنه ما كان فيه من الوسوسة (سمعت اباحاتم السجستانى رحمه الله يقول سمعت ابانصر السراج يقول سمعت الحسين بن احمد الرازى يقول سمعت أباسليمان الخواص يقول كنت راكب حمار يوما وكان الذباب يؤذيه فيطاطئ) الحمار (رأسه فكنت اضرب رأسه بخشبة فى يدى فرفع الحمار رأسه =

تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب (قوله لكن لايضر فى الصلاة الخ) أى لاجل عذر منع من الاستواء وقوله كان لحن لحنا الخ أى او كان غير متعمد لذلك وحينئذ فلا اثم أيضا (قوله اشتغلتم بتقويم الظاهر) اى بتعديله وغفلتم عن الاحق وهو تقويم القلوب مع انه عرش تجلى الرحمن تبارك وتعالى (قوله فكان جوهرا فاستنجيت به) أقول لعل وجهه مما يخفى على امثالى والافمثل ذلك مما لا ينبغى شرعا وان اجزا فى الاستنجاء (قوله انما المقصود منه الخ) افاد بما ذكره ان الحاجة لوقوع الكرامة للعبد انما هو فى ابتداء سيره الى الله تعالى امابعد كماله وعرفانه وقوة يقينه فلا حاجة له بها بل قد تكون من اسباب الامتحان (قوله كان اوضح) اى لان المقصود نفى شهود الوجود لذلك الغير فتأمله (قوله كاشفنى الخ) اى وذلك من الخارق وكذا رؤية الارض ذهبا (قوله العفو فى العلم الخ) اى فمن اجرى حركاته وسكناته على طريق المتابعة كفى شر الوسواس فيها (قوله من طهارة) اى على طريق الامام مالك رضى الله تعالى عنه

يـه وقال) لى (اضربنى فالك على رأسك هوفة اضرب) أى فانك تجازى بما تعمل (قال الحسين فقلت لابى سليمان الك وقع هـذا فقال نعم كما تسمعنى) الكرامة فيه تكليم الجارله وفيـه تأديب وتنبيه له (وذكر عن ابن عطاء انه قال سمعت أبا الحسين النورى يقول كان فى نفسى شئ من هـذه الكرامات فاخـذت قصبة من الصبيان وقمت بين زورقين ثم قلت وعزتك ائن لم تخرج لى سمكة فيها ثلاثة ارطال من الفم (لاغرقن نفسى) فى البحر (قال فاخرج لى سمكة فيها ثلاثة أرطال) استجاب الله له ذلك رحمة له لما علم من صحة عزمه على ذلك فسلمه من الغرق اكراماله وفى الخبران من عباد الله من لواقسم على الله لابره (فبلغ ذلك الجنيد فقال حكمه) أى النورى أى جزاؤه (ان تخرج له افعى تلدغه) لتأليه على الله وادلاله عليه (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى رحمه الله يقول سمعت أبا الفتح يوسف بن عمر الزاهد القواس ببغداد يقول حدثنا محمد بن عطية قال حدثنا عبد الكبير بن أحمد قال سمعت أبا بكر الصائغ قال سمعت أبا جعفر الحداد استاذ الجنيد قال كنت بمكة فطال شعرى ولم يكن معى قطعة) من حديد (آخذ) بها (شعرى فتقدمت الى مزين توسمت) أى تفرست (فيه الخير فقلت) له (تأخذ شعرى لله تعالى فقال نعم وكرامة وكان بين يديه رجل من أبناء الدنيا فصرفه) لما سمع لله مع انه كان يرجو منه فائدة دنيوية (وأجلسنى) بين يديه (وحلق شعرى ثم دفع الى قرطاسا فيه دراهم وقال لى استعن بها على بعض حوائجك فاخذتها) منه (واعتقدت) أى عزمت (ان أدفع اليه أول شئ يفتح على) به (قال فدخلت المسجد فاستقبلنى بعض أصحابى وقال) لى ١٦٨ (جاء بعض اخوانك بصرة من البصرة من بعض اخوانك فيها ثلاثمائة دينار تصرفها فى بعض أمورك فاخذت الصرة وجئت بها الى المزين وقلت) له (هـذه ثلاثمائة دينار تصرفها فى بعض أمورك فقال) لى (الا تستحى يا شيخ تقول احلق شعرى لله تعالى ثم آخـذ عليه شيأ انصرف) عنى (عافاك الله) فيه دلالة على همته الشريفة واعراضه عن الدنيا (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول سمعت ابن سالم يقول لما مات اسحق ابن احمد دخل عليه سهل بن عبـد الله صومعته وصرت فوجد فيها سفطا) بفتح الفاء كالقفة قاله فى القاموس (فيه قارورتان فى واحدة منهما شئ أحمر وفى الاخرى شئ أبيض ووجد مع ذلك (شوشقة) يعنى قطعة (ذهب وشوشقة فضة قال فرمى بالشوشقتين فى الدجلة وخلط ما فى القارورتين بالتراب) سترا على اسحق لعلمه بانه كان يحب ستر ذلك (وكان على اسحق دين قال ابن سالم قلت لسهل ايش كان فى القارورتين قال) شيآن (أحدهما) وهو الاحمر (لوطرح منه وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهبا والآخر) وهو الابيض (لوطرح منه مثقال على مثاقيل من رصاص صار فضة فقلت له وايش عليه لو) أظهر هذا ثم (قضى منه دينه فقال) لى (أى دوست) بالعجمية أى يا صاحبى (خاف على ايمانه) فيـه دلالة على ان اسحق كان يعلم اصول الكيمياء التى تقلب النحاس ذهبا وفضة فستر سهل هاتين القارورتين كما سترهما اسحق وفى قوله خاف على ايمانه تنبيه على ان اسحق لم يعمل بهما شيأ والمعنى انه خاف ان جرب ذلك سكنت نفسه اليه دون ربه فينقص ايمانه ودرجته (وحكى عن) أبى على (النورى انه خرج ليلة الى شط الدجلة) بقصد مجاوزتها (فوجدها وقد التزق) له (الشطان) أى التقيا بحيث لومد رجله كان على الشط الآخر (فانصرف وقال) تأدبا واعترافا بتوالى نعم الله عليه فى كل خارق (وعزتك لا أجوزها الا فى زورق) كسائر الناس (سمعت أبا حاتم السجستانى يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أملى علينا الوجيهى حكاية عن محمد بن يوسف البناء قال كان أبو تراب النخشبى صاحب كرامات فسافرت معه سنة وكان معه أربعون نفسا

وارضاه عنا وقوله وعفوا أى على قول غير مالك من الائمة (قوله وفيه تأديب الخ) اى وفيه لطف من الحق حيث لا يتركه ونفسه بل ينبهه دائما الى طريق سداده (قوله لاغرقن نفسى) فيه ان ما توسل به لا يجوز فلعل ذلك لشاهد حالى والله اعلم (قوله فقال حكمه الخ) اعل ذلك منه لما قدمناه من توسله بما لا ينبغى شرعا (قوله فيـه دلالة على همته الشريفة) اى وهمة المزين ايضا بدوام صدقه فى حاله ومقامه (قوله قال فرمى الخ) فيه اضاعة مال نعم يقال جاز لغرض شريف مثل غرضه (قوله خاف على ايمانه) اى خاف نقصه بالسكون الى العادات (قوله كان يعلم اصول الكيمياء الخ) اقول هذا مما لم يصح عند كثير من المحققين وقد كتبوا فى عدم حقيقة الكيمياء كتبا ورسائل منهم عارف وقته الغزالى والله أعلم بالحقائق (قوله تأدبا) اى وخوفا من السكون الى مثل هـذا الخارق (قوله

ثم اصابتنا مرة فاقة) اى حاجة (فعدل أبو تراب عن الطريق وجاء بعذق موز) بالذال المعجمة (فتناولنا) منه (وفينا شاب فلم يأكل منه شيأ (فقال له ابو تراب كل فقال الحال الذى اعتقدته) أى صار عقيدتى (ترك المعلومات) من الخلق فلا ألتفت اليها (وصرت أنت معلومى) لو أكلت أنا من ذلك (فلا أصحبك بعد هذا فقال له أبو تراب كن مع ماوقع لك) واعتقدته أى ابق عليه ولا تأكل علم منه انه معه قوة وزيادة يقين ومن قبيل قول الشاب فلا أصحبك بعد هذا ماجرى للخواص مع الخضر لما لقيه فى سفره وطلب منه الخضر الصحبة فامتنع خوفا من ان تسكن نفسه اليه فيفسد عليه توكله على ربه وقد قال أبو تراب لذلك الشاب مايقول أصحابك فى الكرامات التى يكرم الله بها اولياءه فقال له ما اعرف أحدا ينكرها قال له ابو تراب من انكرها فهو كافر ولكن بلغنى ان اصحابك يزعمون انها خدع من الحق وليس الامر كما ذكروه وانما تكون خدعا لمن اقترحها لو سكن بقلبه اليها واما من اعطيها ولم يسكن اليها فتلك مرتبة الربانيين (وحكى ابو نصر السراج عن ابى يزيد) البسطامى (قال دخل على ابو على السندى وكان استاذه وبيده جراب فصبه فاذا هى) اى الاشياء التى فيه (جواهر فقلت) له (من أين لك هذا فقال) لى (وافيت واديا ههنا فاذا هو يضئ) بما فيه (كالسراج) بان جعل الله له حصى الوادى جواهر ١٦٩ (فحملت) منها (هذا فقلت) له (كيف كان وقتك الذى وردت الوادى) فيه (فقال وقت فترة عن الحال التى كنت فيها) مع الله من شغلى به واستغراقى فيه بحيث انى لم اشعر بنفسى فضلا عن الوادى وغيره من كرامة وغيرها فلما حصل له تلك الفترة وزال عنه استغراقه ورجع الى احساسه ادرك مافى الوادى واستحسنه وحمل منه فى جرابه فلما افرغه فى بيت ابى يزيد وسأله من أين هو اخبر بما ذكر (وقيل لابى يزيد فلان يمشى فى ليلة الى مكة) هذه كرامة طى الارض (فقال) منفرا عن

٢٢ يج ع

الالتفات اليها واى عجب فى ذلك (الشيطان يمشى فى ساعة من المشرق الى المغرب) وليس هو فى كرامة بل (فى لعنة الله وقيل له) ايضا (فلان يمشى على الماء) ويطير فى الهواء (فقال) واى عجب فى ذلك (الطير يطير فى الهواء والسمك يمر على وجه الماء) مع انهما دون بنى آدم فضلا عن الاولياء منهم قال تعالى ولقد كرمنا بنى آدم الآية وقال تعالى وسخر لكم مافى السموات ومافى الارض جميعا منه وفيما ذكر دلالة على كمال ابى يزيد فى المعرفة حيث لم يلتفت الى الكرامات ولم يسكن اليها اذ الكرامة الحقيقية هى الاستقامة على سلوك الطريق المستقيم (وقال سهل بن عبدالله اكبر الكرامات) اى افضلها (ان تبدل) انت (خلقا مذموما من اخلاقك) بخلق محمود اذ أفضل الكرامات الاستقامة على الصراط المستقيم ولا تحصل للعبد حتى تتغير اخلاقه المذمومة بالمحمودة من الزهد والصبر والصدق والتوكل ونحوها (سمعت محمد بن احمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبدالله بن على الصوفى يقول سمعت ابن سالم يقول سمعت ابى يقول كان رجل يقال له عبدالرحمن ابن احمد يصحب سهل بن عبدالله فقال له يوما ربما اتوضأ للصلاة فيسيل الماء بين يدى قضبان) أى أغصان (ذهب وفضة فقال) له (سهل) مؤدبا له ومنفرا له عن الالتفات الى الكرامات لئلا يسكن اليها على عادة الشيخ مع تلميذه فى مثل ذلك

وصرت انت معلومى) اى اسكون نفسى اليك فى حاجتى وذلك من القواطع عن الوصول وقوله فلا اصحبك بعد هذا أى خوفا من آفة السكون اليك (قوله وانما تكون الخ) افاد بذلك ان الكامل لا يقصد الكرامة ولو اتفقت لا يسكن اليها شغلا عنها بمولاه تعالى (قوله فقال وقت فترة الخ) أى ولذلك كان التفاته لغيره تعالى اذ لو دام على استغراقه ماشهد سواه (قوله وقيل له أيضا فلان يمشى على الماء الخ) اقول ومن ذلك مارواه عبدالله بن محمد بن قاسم عن ابى بكر مالك القطيعى عن عبدالله بن احمد بن حنبل عن ابيه عن هشام بن القاسم عن سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال ان ابا مسلم الخولانى مر بدجلة وهى ترمى بالخشب من مدها حتى مشى على الماء ثم التفت الى اصحابه فقال هل تفقدون من متاعكم شيأ حتى ادعو الله عز وجل فيه وهذا اسناده كله صحيح (قوله اذ الكرامة الحقيقية هى الاستقامة) أى المصحوبة بالدوام عليها وعدم الفتور عنها وذلك لان نوع الخارق قد يكون لحكمة الامتحان بخلاف الاستقامة حيث هى منشأ الاحسان من الرحمن تعالى (قوله ولا تحصل للعبد الخ) اى فالاستقامة والصدق فيها الازم فى سائر المقامات المقربة

(أما علمت ان الصبيان اذا بكوا يعطون خشخاشة ليشتغلوا بها) فيسكتوا " (سمعت أبا حاتم السجستاني يقول سمعت أبا نصر السراج يقول أخبرني جعفر بن محمد قال حدثني الجنيد قال دخلت على السري) السقطي (يوما فقال لي عصفور كان يجيء) الي (كل يوم) وينزل على يدي ولا ينفر مني (وأفت له الخبز فيأ كل من يدي فنزل وقتا من الاوقات فلم يسقط على يدي فتذكرت في نفسي ايش السبب) في ذلك (فذكرت اني أكلت ملحا بأبزار) من شمار وكمون ونحوهما (فقلت في نفسي لا آكل) شيا من ذلك (بعدها) أي بعد هذه المرة (وأنا تائب) الى الله (منه فسقط على يدي وأكل) على عادته معي في ذلك تأديب لطيف حيث أدرك السري ما نبهه به مولاه على بعض نقصه فيما عزم على الوفاء به من انه لا يأكل طعاما بشهوة ثم خطر له في وقت خلط الملح ببعض الابازير وغفل عن كونه دخل تحت عزمه لقلته (وحكى أبو عمرو الانماطي قال كنت مع استاذي في البادية) يوما (فاخذنا) أي أدركنا (المطر فدخلنا مسجدا نستكن فيه وكان السقف يكف) أي يقطر يقال وكف البيت وكفا ووكيفا ووكافا اي قطر واوكف لغة فيه قاله الجوهري (فصعدنا السطح ومعنا خشبة نريد اصلاح السقف) بها (فقصر الخشب عن الجدار فقال لي استاذي) وقد جعل طرف الخشبة على الجدار من جهته (مدها) من جهتك (فمددتها) فامتدت (فركبت الحائط من ههنا ومن ههنا) هذه كرامة لاستاذه حيث طولت له اليابسات بحسن النيات حيث قصد اصلاح شيء من المسجد لما وجده قد وقع سقفه وخشبه (سمعت محمد ابن عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد ١٧٠ النجار يقول سمعت الرقي يقول سمعت أبا بكر الدقاق يقول كنت مارا في تيه بني اسرائيل فخطر ببالي ان علم الحقيقة) وهو ما يهبه الله لعبده في قلبه (مباين لعلم الشريعة فهتف بي هاتف من تحت الشجرة كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر) أو بدعة لانه صلى الله عليه وسلم رتب الحقيقة على الحق في خبر حارثة فانه قال له كيف أصبحت فقال أصبحت مؤمنا حقا فقال له ان لكل حق حقيقة فرتبها على الحق والحق ما شهدت به الشريعة (وقال بعضهم كنت عند خير النساج فجاء رجل وقال له أيها الشيخ رأيتك يوم أمس وقد بعت الغزل بدرهمين) وصررتهما في طرف ازارك (فجئت خلفك فحللتهما من طرف ازارك وقد صارت يدي منقبضة على الدرهمين في كفي) لا أقدر على فتحها لاشتري بهما شيأ (قال فضحك خير) فرحا بصنع مولاه معه وحفظه له فيما يتعاطاه (وأومأ بيده) شفقة ورحمة علي (الى يدي) ودعا لي (ففتحها ثم قال) لي (امض واشتر بهما لعيالك شيأ ولا تعد لمثله) سمح له بهما ونهاه عن العود الى المنكر وفيما ذكر دلالة على حفظ الله تعالى لاوليائه ما يحتاجون اليه فهذا الرجل كان فقيرا ورأى خيرا النساج باع غزلا بدرهمين وصرهما في طرف ازاره واكتفى في حفظهما بذلك اعتمادا على الله فيه ولم يقو حرصه عليهما فترك القبض بكفه على الصرة المانع من حلها فلما حلها الفقير واخذ الدرهمين في كفه أيبس الله كفه عليهما فصارت كفه حرزا لخير حفظت له ماله فلما أحس من نفسه ذلك علم أنه من فعل الله فاتى الى خير واعلمه بذلك كما تقرر (وحكى عن احمد بن محمد السلمي قال دخلت على ذي النون المصري يوما فرأيت بين يديه طشتا من ذهب وحوله الند) بفتح النون ما خلط من مسك وكافور (والعنبر يسجر) اي يوقد في النار وفي نسخة يتبخر به اي بمجموع الامرين (فقال لي أنت ممن يدخل على الملوك في حال بسطهم ثم أعطاني درهما فانفقت منه الى بلخ) فيه دلالة على اكرام الله لذي النون بما جعله حواليه مما يتبخر به مما ذكر وبما أجراه على يده من خرق العادة في الانفاق من الدرهم الذي ناوله للداخل عليه الى بلخ بان بارك الله فيما اشتراه فصار ينفق منه الى ان وصل الى بلخ

اليه تعالى (قوله اما علمت الخ) الغرض افهامه ان الكرامة انما تكون لتقوية اليقين في ابتداء السير وان حاله لم يكمل وضرب له مثلا بما ذكره من حال الصبيان (قوله فذكرت اني اكلت ملحا الخ) اى وذلك فيه التفات الى تحسين الاطعمة بما يطيبها ومثله مما لا يليق بمقامه (قوله حيث طولت الخ) أقول لم تكن هذه الكرامة بأعجب من الانة الحديد الثابتة بالنص (قوله رتب الحقيقة على الحق) أي جعل الحقيقة ثمرة الشريعة فافاد بذلك انه كلما كان هنالك اعتراض من الشريعة على من ادعى التخلق بالحقيقة علمنا ان دعواه زور وبهتان (قوله والحق ما شهدت به الشريعة) أي فالحقيقة من نتائج الشريعة ومن ثمراتها كما قدمنا (قوله وقد صارت يدي الخ) أقول مثل هذا كثير وواقع (قوله فقال لي انت ممن يدخل على الملوك) اى وصدور هذا منه لغلبة حال

(وحكى عن ابى سعيد الخراز قال كنت فى بعض أسفارى وكان يظهر لى كل ثلاثة أيام شئ) من الطعام (فكنت آكله واستقل) اى اكتفى به (فمضى على ثلاثة ايام وقتا) اى فى وقت (من الاوقات لم يظهر) لى فيها (شئ) آكله (فضعفت وجلست) من الجوع (فهتف بى هاتف قال لى ايما احب اليك سبب او قوة فقلت القوة) احب الى (فقمت من وقتى ومشيت اثنى عشر يوما لم اذق فيها شيأ ولم اضعف) فى ذلك كرامة من جهة انه كان يظهر له فى كل ثلاثة ايام رزق من حيث لا يحتسب ومن جهة أنه سمع تخيير الهاتف له فيما ذكر ومن جهة انه بقى اثنى عشر يوما لم يأكل ولم يضعف بترك الاكل (وعن المرتعش قال سمعت الخواص يقول تهت فى البادية اياما فجاءنى شخص وسلم على وقال لى تهت فقلت نعم فقال) لى (الا أدلك على الطريق ومشى بين يدى خطوات ثم غاب عن عينى واذا أنا على) الطريق (الجادة) اى المسلوكة (فبعد ذلك ما تهت ولا اصابنى فى سفرى جوع ولا عطش) فى ذلك دلالة على كمال التجاء الخواص له به فى افتقاره اليه فى حال تيهه وخوفه من فوات مطلوبه فلما علم الله ذلك منه يسر له هاتفا من ملك او ولى فسكن خوفه بقوله تهت ثم دله على الجادة بخطوات يسيرة فيها طى الارض له ولمن تبعه فلما صار فى الجادة اعطاه الله بركة الافتقار اليه وعرفه توالى نعمه عليه حتى لم يته فى سفره ولا احتاج الى مطعم ولا الى مخلوق ببركة الالتجاء اليه وصدقه فيه (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت عمر بن يحيى الارديلى يقول سمعت الرقى يقول سمعت ابن الجلاء يقول لما مات ابى ضحك على المغتسل) لما رآه عند نزع روحه مما يستبشر به وسر به فبقيت صورة ضحكه وتبسمه فى وجهه كما قال تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فمن رآه ظنه حيا (فلم يجسر) اى يقدم عليه (احد يغسله وقالوا انه حى حتى جاء واحد من اترابه) اى اقاربه وفى نسخة اقرانه (وغسله) رضى الله عنه (سمعت محمد بن احمد بن محمد التميمى يقول سمعت عبد الله بن على يقول سمعت طلحة القصايرى يقول سمعت المنيحى صاحب سهل ابن عبد الله يقول كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوما وكان اذا أكل ضعف) لبعده بترك الطعام تلك المدة عن الاستئناس به (واذا جاع قوى) لرجوعه الى حالته التى تعودها واعانه الله عليها (وكان أبو عبيد البسرى اذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتا و يقول لامرأته طينى على الباب والقى الى كل ليلة من الكوة) بفتح الكاف أفصح من ضمها وهى الطاقة (رغيفا فاذا كان يوم العيد فتح الباب ودخلت امرأته البيت فاذا بثلاثين رغيفا فى زاوية للبيت فلا اكل ولا شرب ولا نام) لكمال شغله بربه وستره لاعماله حتى عن امرأته (ولا فاتته ركعة من الصلاة) ولعله كان له عذر فى ترك الجمعة والجماعة ويحتمل انه ما تركهما وكانت امرأته تظن انه لم يفارق البيت والحكمة فى انه أمر امرأته ان تاتيه كل يوم برغيف ان يسكن قلبها ولا تتكدر بتركه الاكل من حيث انه يضعفه وفى ترك الارغفة الى آخر الشهر مع امكان ان يتصدق بها اظهار هذه الكرامة وهو كونه يصبر عن الطعام شهرا ليكون حجة على منكرها (وقال أبو الحرث الاولاسى مكثت ثلاثين سنة ما) وفى نسخة لا (يسمع) اى ينطق (لسانى الا من سرى) أى الا ما تحققته فى سرى لكمال مراقبته له به فى اعماله (ثم تغيرت الحال) بى بان استقامت أحوالى فى هذه الثلاثين سنة وبعدت عن الشهوات (فمكثت ثلاثين سنة) اخرى (لا يسمع سرى الا من ربى) فصار شغله بربه فالثلاثون الاولى كانت فى عمارة الباطن بالاخلاق الحميدة من توكله وتفويضه ونحوهما والثلاثون الثانية كانت فى الفناء فى التوحيد (حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا أبو الحسين غلام شعوانة

جماله على حال جلاله فى ذلك الوقت فتبسط فيه قولا وفعلا رضى الله تعالى عنه (قوله ايما احب اليك سببا او قوة) مراده بالقوة الصبر على الفقد مع كونه يرى فيه قوة الطاعم والشارب بقدرته تعالى (قوله لما رآه عند نزع روحه) اقول ان كان هذا هو الواقع فلا كلام فيه والا فالمانع من حدوث الضحك بعد الموت تكرارا لما كان قبله من البشرى (قوله فلم يجسر الخ) أى اجلالا له وهيبة منه (قوله لرجوعه الى حالته الخ) أى فكانت قوته بدوام الذكر وقوة الفكر رضى الله عنه (قوله فلا أكل ولا شرب) أى فكان غذاؤه الذكر ونومه الفكر (قوله وكانت امرأته تظن انه لم يفارق البيت) أى مع انه قد يفارقه لنحو صلاة الجمعة (قوله اظهار هذه الكرامة الخ) أقول لا لحمل على انه قد غاب عن نفسه فى هذا الزمن لا يبعد بل ذلك الاولى بمثل هذا والله أعلم (قوله أى الا ما تحققته فى سرى) اى من احكام الشريعة المطهرة (قوله لا يسمع سرى الا من ربى) أى الا من واردات الحق

قال سمعت على بن سالم يقول كان سهل بن عبد الله أصابته زمانة فى آخر عمره فكان اذا حضر وقت الصلاة انتشرت يداه ورجلاه
فاذا فرغ من الفرض عاد الى حال الزمانة) هذا من جملة الكرامة والحفظ له ان يشفى من مرضه اذا حضر وقت الصلاة ليأتى
بالفرض على أكمل وجوهه وان كان الاتيان به مع العجز مساويا فى الفضيلة للاتيان به مع السلامة عند كثير من العلماء (وحكى
عن أبى عمران الواسطى قال انكسرت السفينة) بنا (وبقيت أنا وامرأتى على لوح) واحد (وقد ولدت فى تلك الحالة صبية
فصاحت بى وقالت لى يقتلنى العطش فقلت) لها (هو ذا) أى ما يرى (برى) وفى نسخة ترين (حالنا) عرفها بقلة حيلته وانصرف
رجاؤه الى ربه قال (فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس وفى يده سلسلة من ذهب وفيها كوز من ياقوت احمر) وهذا من
أوانى الجنة وكذا ما وصف من الشراب الآتى (وقال هاك) أى خذ هذا الكوز و (اشربا قال فاخذت الكوز وشربنا منه)
وفى نسخة منها انث الكوز باعتبار انه آنية (واذا هو) أى ما فيه (أطيب من المسك وابرد من الثلج واحلى من العسل فقلت) له
(من انت رحمك الله فقال عبد لمولاك فقلت) له (بم وصلت الى هذا) المقام (فقال تركت هواى لمرضاته) تعالى (فاجلسنى
فى الهواء ثم غاب عنى ولم أره) فى هذا موعظة لابى عمران وهو انك لو تركت الهوى لرفعت فى الهواء (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى
قال حدثنا بكران بن احمد الجبلى قال سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول رأيت شابا عند الكعبة يكثر
الركوع والسجود) وغيره مشتغل بالطواف (فدنوت منه وقلت) له (انك تكثر الصلاة فقال) الآن (انتظر الاذن من ربى فى
الانصراف) على ما جرت به عادته معه ١٧٢ من انه اذا دخل فى عبادة لازمها الى ان يحضره واجب او يأتيه اذن من ربه
بالانصراف (قال) ذو النون (فرأيت رقعة سقطت عليه مكتوب فيها من العزيز الغفور الى عبدى الصادق انصرف مغفورا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر) منه (وقال بعضهم كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده مع جماعة نتجارى الآيات)
أى نتحاكى كرامات الاولياء (ورجل ضرير بالقرب منا يسمع) كلامنا (فتقدم الينا وقال انست) انا (بكلامكم اعلموا أسباب
انه كان لى صبية وعيال وكنت أخرج الى البقيع احتطب) حطبا لابيعه وانفق عليهم من ثمنه (فخرجت يوما فرأيت شابا عليه قميص
كتان ونعله) معلق (فى اصبعه فتوهمت انه تائه) عن الطريق (فقصدته أسلب ثوبه فقلت له انزع ما عليك فقال) لى (مر فى حفظ الله
فقلت) له (الثانية والثالثة) مثل ذلك وربما لم يكن عليه سوى ذلك الثوب فلو نزعه انكشفت عورته (فقال) لى (لابد) ان تاخذ
ما على (فقلت) له (لابد) ان آخذ (فأشار من بعيد باصبعه الى عينى فسقطتا فقلت) له (بالله عليك من أنت فقال) أنا (ابراهيم
الخواص) ولم يوفق لما سأله بالله ذلك ان يسأله بالله ان يدعو له ليرد الله عليه بصره وفيما ذكر اظهار الكرامة وتحذير العبد من ان
يطلب ما تشتهيه نفسه من كل أحد من الناس ولا يخالف أحدا منهم مخالفة تؤديه الى ضرر فربما جازاه الله بفعله من حيث لا يشعر
وربما كان بسبب من خالفه (وقال ذو النون المصرى كنت وقتا فى السفينة فسرقت قطيفة) يقال انها قلادة فيها جواهر والمراد
انه سرق منها جوهرة وفى نسخة جوهرة (فاتهموا بها رجلا) شابا وكان عليه أمارات الخير (فقلت دعوه حتى ارفق به واذا الشاب
نائم فى عباءة فاخرج رأسه من العباءة فقال له ذو النون فى ذلك المعنى) اى اتهامهم له (فقال) متعجبا (الى تقول ذلك أقسمت عليك
يارب أن لا تدع) أى تترك (واحدا من الحيتان الا جاء بجوهرة قال فرأينا وجه الماء) أى عليه (حيتانا فى افواههم) الاولى فى
افواهها كما فى نسخة (الجواهر) اى فى افواه كل منها جوهرة ومد يده وأخذ جوهرة من فم حوت والقاها اليهم (ثم ألقى نفسه
فى البحر ومر) على الماء (الى الساحل) وغاب عنا

واشارات الصدق فكان ممن عنى صلى الله عليه وسلم بقوله استفت قلبك وان افتاك المفتون (قوله وان كان الاتيان به مع العجز الخ) أى وذلك هو المعتمد (قوله لو تركت الهوى الخ) أى ولذا تقدم عن الجنيد انه قال اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها (قوله قال ذو النون الخ) فيه اشارة الى أنه محمدى الاخلاق وفضل الله واسع (قوله وتحذير العبد الخ) أى لان الاسرار قد تخفى فى بعض العبيد فربما أصابه بجهله بسببه شديد التنكيد (قوله فربما جازاه الله بفعله الخ) أى وذلك غيرة على وليه وصفيه وقد لا تكون من الولى حركة فى ذلك (قوله ثم ألقى نفسه فى البحر الخ) أى بقصد الفرار من

(وحكى عن ابراهيم الخواص قال دخلت البادية مرة فرأيت نصرانيا على وسطه زنار) بضم الزاى (فسالنى الصحبة) فاجبته (فمشينا سبعة أيام فقال لى يا راهب الحنيفية) أى المسلمين (هات ما عندك من الانبساط) أى مما تقدر عليه (فقد جعنا فقلت الهى لا تفضحنى مع هذا الكافر فرأيت طبقا عليه خبز وشواء) بكسر الشين والمد (ورطب وكوز ماء فأكلنا وشربنا ومشينا سبعة أيام ثم بادرت وقلت يا راهب النصارى هات ما عندك فقد انتهت النوبة اليك فاتكى على عصاه ودعا فاذا بطبقين عليهما كأضعاف ما كان على طبقى قال فتحيرت) لا تحيرشك فى دينى بل تحيرا فى حال هذا الكافر وبأى وجه اجرى الله على يديه هذين الطبقين وهل هو زيادة مكر فى حقه أو أمر آخر تجدد له (وتغيرت) لذلك (وأبيت ان آكل) مما فيهما (فالح على) فى الاكل (فلم أجبه له (فقال) لى (كل فانى أبشرك ببشارتين احداهما انى اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وحل الزنار) من وسطه (و) البشارة (الاخرى انى) سألت الله بك فانى (قد قلت اللهم ان كان لهذا العبد خطر) اى قدر (عندك فافتح على بهذا) الذى رأيته (ففتح على به (قال فأكلنا ومشينا وحج) وفى نسخة وحججنا (وأقمنا بمكة سنة ثم انه مات) فيها (ودفن بالبطحاء) فى ذلك دلالة على ان هذا الكافر كانت تخرق له العادة فى اسباب الدنيا التى لا تزن عند الله جناح بعوضة وقد منعها أنبياءه واولياءه واسبغها على غيرهم ممن اراد ولما كان الله تعالى يجرى على هذا الكافر بعض هذه الالطاف الدنيوية اغتربه فلما القيه الخواص وسأله الصحبة وسافر اسبعة أيام قال له امتحانا وتعجيزا يا راهب الحنيفية قد جعنا فهات ما عندك فدعا الخواص فاجابه فتحقق الكافر منه ان ذلك كرامة له فحبيه الله فى الاسلام فاسلم (وقال محمد بن المبارك الصورى كنت مع) ١٧٣ أبى اسحق (ابراهيم بن أدهم فى طريق بيت المقدس فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمان فصلينا ركعات فسمعت صوتا من أصل الرمان) يقول (يا أبا اسحق أكرمنا بأن تأكل منا شيأ فطأطأ ابراهيم رأسه) أى نعم (فقال) كل منهما ذلك (ثلاث مرات) وقال فى الثانى بمعنى فعل (ثم قال) المصوت لابن المبارك (يا محمد كن) لى (شفيعا اليه) أى الى ابراهيم (ليتناول منا شيأ فقال) محمد (يا أبا اسحق لقد سمعت) ما قالته هذه الشجرة (فقام) أبو اسحق (واخذ) منها (رمانتين فأكل واحدة وناولنى الاخرى فأكلتها وهى حامضة وكانت شجرة قصيرة فلما) زرنا بيت المقدس ثم (رجعنا مررنا بها واذا هى شجرة عالية ورمانها حلو وهى تثمر فى كل عام مرتين وسموها رمانة العابدين ويأوى الى ظلها العابدون) من كل وجه كل ذلك ببركة ما رغبت فيه من أكل ابراهيم منها وقد نقل ان شجر الجنة اذا مر به الاولياء يناديهم هل لنا فيك من دولة يا ولى الله والكرامة فى ذلك كلام الشجرة وسؤالها وتشفعها (سمعت محمد بن عبد الله الصوفى يقول سمعت محمد بن الفرحان يقول سمعت الجنيد يقول سمعت أبا جعفر الخصاف يقول حدثنى جابر الرحبى قال أكثر اهل الرحبة على الانكار فى باب الكرامات) أى أكثروا على فى انكارها (فركبت السبع يوما ودخلت الرحبة وقلت أين الذين يكذبون أولياء الله قال فكفوا بعد ذلك عنى) وللولى ان يظهر الكرامة لمنكرها لتكون حجة عليه وتكذيبا له كما يظهرها لمن يقتدى به ليقوى حسن ظنه فى الاتباع له ومن ذلك ما حكى ان قدريا قال انه يفعل بنفسه ما يشاء فقال له ربيع الشامى قم فقام ثم قال له اجلس وسأل الله فيه ان لا يقدره على الجلوس فأجابه فلم يقدر على الجلوس فاعترف بعجزه وكذبه فى معتقده (سمعت منصورا المغربى يقول رأى بعضهم الخضر عليه السلام فقال له هل رأيت فوقك أحدا فقال نعم كان عبد الرزاق بن همام يروى الاحاديث) النبوية (بالمدينة المشرفة (والناس حوله يستمعون فرأيت شابا بالبعد منهم رأسه على ركبتيه فقلت له يا هذا عبد الرزاق يروى أحاديث رسول الله

أسباب الاشتهار وان تحدق به الابصار (قوله ففتح على به) أى فكان هذا الاستاذ من وسائل الرب ومن جملة من يرزق بهم أهل الارض (قوله وقد منعها أنبياءه الخ) أى تطهيرا لهم من دنسها وقوله وأسبغها على غيرهم ممن أراد اى ممن أراد امتحانه وخذلانه وافتتانه غالبا والله أعلم (قوله فحبيه الله فى الاسلام فاسلم) انظر كيف توصل هذا بقصد الامتحان الى درجات الايمان والاحسان وربك يخلق ما يشاء ويختار (قوله فسمعت صوتا الخ) فيه دلالة على ان من كملت محبته للحق خلق الله له المحبة فى سائر خلقه حتى الجمادات (قوله واذا هى شجرة الخ) اقول هذه الكرامة من نوع ما أكرم به نبينا صلى الله عليه وسلم فهى تشير الى قوة صدق المتابعة له صلى الله عليه وسلم (قوله وللولى الخ) يشير

صلى الله عليه وسلم فلا تسمع منه فقال) لى (انه يروى عن ميت وانا لست بغائب عن الله تعالى فقلت له ان كنت كما تقول فمن أنا
فرفع رأسه وقال انت أخى أبو العباس الخضر فعلمت ان لله عبادا لم أعرفهم) يؤخذ من ذلك ان الخضر ولى وانه حى وان الولى
انما يعرف من فى درجته أو دونه لا من فوقه وقد أخبر بحياته جمع كثير من الصالحين منهم ابراهيم الخوّاص وابراهيم بن ادهم
لكن الذى رجحه الجمهور انه نبى كامل (وقيل كان لابراهيم بن أدهم صاحب يقال له يحيى) بن سعيد (يتعبد فى غرفة ليس اليها سلم
ولا درج) عطفه على ما قبله عطف تفسير (فكان اذا أراد ان يتطهر يجىء الى باب الغرفة و يقول لا حول ولا قوة الا بالله ويمر
فى الهواء كأنه طير ثم يتطهر فاذا فرغ) من طهره (يقول لا حول ولا قوة الا بالله و يعود الى غرفته) الكرامة فى ذلك طيرانه فى
الهواء (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال سمعت عمر بن محمد بن أحمد الشيرازى بالبصرة قال سمعت أبا محمد جعفرا الحذاء بشيراز
قال كنت أتأدب بأبى عمر الاصطخرى فكان اذا خطر لى خاطر اخرج الى اصطخر) لاجتمع به فيها (فربما أجابنى عما احتاج اليه
من غير ان اسأله وربما سألته فأجابنى ثم شغلت عن الذهاب) الى اصطخر (فكان اذا خطر على سرى مسئلة أجابنى من اصطخر
فيخاطبنى بما يرد علىّ) فى ذلك دلالة على صحة الخواطر التى ينشئها الله فى قلوب أوليائه جوابا عما سألوا عنه وعلقوا هممهم به (وحكى
بعضهم) وفى نسخة وحكى عن بعضهم انه 174 (قال مات فقير فى بيت مظلم فلما أردنا غسله تكلفنا طلب سراج) يضىء علينا فلم
يتيسر (فوقع من كوة) من البيت
(ضوء فاضاء البيت فغسلناه فلما
فرغنا) من تجهيزه (ذهب الضوء
كأنه لم يكن) الكرامة فيه
ظهور النور عليه ليستكملوا به
تنظيفه وحسن تجهيزه (وعن آدم
ابن اياس قال كنا بعسقلان وشاب
يغشانا و يجالسنا و يتحدث معنا
فاذا فرغنا) من التحديث (قام
الى الصلاة يصلى قال فودعنى يوما
وقال أريد الاسكندرية فخرجت
معه وناولته دريهمات فأبى ان
يأخذها فالححت عليه فالقى كفا من الرمل فى ركوته واستقى) بها (من ماء البحر وقال) لى (كله فنظرت) اليه حقق
(فاذا هو سويق بسكر كثير فقال من كان حاله معه) وفى نسخة مع الله (مثل هذا يحتاج الى دراهمك ثم أنشأ يقول
بحق الهوى يا أهل ودى تفهموا * لسان وجود بالوجود غريب حرام على قلب تعرض للهوى * يكون لغير الحق فيه نصيب
غيره ليس فى القلب والفؤاد جميعا * موضع فارغ يراه الحبيب هو سؤلى ومنيتى وسرورى * و به ما حييت عيشى يطيب
واذا ما السقام) بفتح السين أى المرض (حل بقلبى * لم أجد غيره لسقمى طبيب) الكرامة فيه قلب الاعيان له وجعل فى ركوته
ما هو السبب لذلك مع ان الله قادر على ان يخلق ذلك بلا سبب ليعرف الرائى له ان الاسباب لا تنافى التوكل ولا الكرامات
(وحكى عن ابراهيم الآجرى قال جاءنى يهودى يتقاضى علىّ فى دين) أى يطالبنى بدين (كان له علىّ وأنا قاعد عند الاتون)
أى التنور (أو قد تحت الآجر) أى اطبخه (فقال لى اليهودى يا ابراهيم أرنى آية) اى كرامة (أسلم عليها فقلت له تفعل) أى
تسلم اذا اريتك آية (فقال) لى (نعم فقلت) له (انزع ثوبك فنزعه) ه (فلففته ولففت على ثوبه ثوبى وطرحته) أى الثوب المذكور
(فى النار ثم دخلت الاتون واخرجت الثوب من وسط النار وخرجت من الباب الآخر واذا ثيابى بحالها لم يصبها شىء وثيابه
فى وسطها) وفى نسخة وثوبه فى وسطه وفى أخرى وثيابه فى وسطه (صارت حراقة فاسلم اليهودى) لما رأى من ذلك

بذلك الى ان ذات الكرامة لا تقصد للكامل حيث هى من مواطن الخطر بل اذا دعاه
اليها داع والله أعلم (قوله فقال لى انه يروى عن ميت) أى بحسب ما تراه فى ظاهر الحال
مع انه عليه الصلاة والسلام حى فى قبره كيف وحياة الكائنات بأسرها من حياته أقول
وان كان ما ذكره حقا وصحيحا غير ان الكمال فى الكمال (قوله الكرامة فى ذلك الخ) أقول
وهو غير بعيد بالنسبة لمن تجرد عن ناسوته وقوى لاهوته (قوله فربما أجابنى الخ) أى ولا
يبعد بالنسبة لمن قويت بصيرته فهى لا تحجبها الكثائف (قوله فلما فرغنا من تجهيزه ذهب
الخ) أى وذلك اكرام ولطف منه تعالى بالميت (قوله ليس فى القلب الخ) مراده ان محبة
الحق تعالى استأصلته حتى اصطلم فيها وغاب عن حسه فهو حينئذ لا يسأل غيره ولا يهتم
ويسر الا به تعالى ولا يطلب عيشه الا بذكره ومراقبته وهكذا حال المحب الصادق اذا
أصابه مرض حسى أو معنوى لا يعول فى الشفاء الا عليه تعالى (قوله فقلت له انزع
ثوبك الخ) أقول الداعى لفعل الكرامة المذكورة قوة الرجاء منه فى اسلام اليهودى وقد

(وقيل كان حبيب العجمي يرى بالبصرة يوم التروية ويوم عرفة بعرفات) هي كرامة طي الارض (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت أحمد بن محمد بن عبد الله الفرغاني يقول تزوج عباس بن المهتدي امرأة فلما كانت ليلة الدخول وقع) وفي نسخة وقعت (عليه ندامة فلما أراد الدنو منها زجر عنها فامتنع من وطئها وخرج) من عندها (فبعد ثلاثة أيام ظهر لها زوج قال الاستاذ الامام) القشيري (رحمه الله هذا هو الكرامة على الحقيقة حيث حفظ عليه العلم) فانه تعالى حفظه عن ان يطأ امرأة لا سبيل له الى وطئها لكونها في عصمة غيره وان لم يكن له علم بذلك وهذا يشبه ما جرى للمحاسبي في كونه اذا مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على يده عرق (وقيل كان الفضيل بن عياض على جبل من جبال منى فقال لو ان وليا من أولياء الله تعالى أمر هذا الجبل ان يميد) أي يتحرك (لماد) أي لتحرك (قال فتحرك الجبل فقال) له الفضيل (اسكن لم اردك بهذا) القول (فسكن الجبل) في ذلك اشارة الى كمال ولاية الفضيل فانه انما أورد صنيعته على وجه الحكاية لا على وجه الامر والكرامة فيه تحرك الجبل وسكونه بقول الفضيل له اسكن وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حراء فتحرك به وبمن معه فقال اسكن حراء فانما عليك نبي وصديق وشهيد (وقال عبد الواحد بن زيد لابي عاصم البصري كيف صنعت حين طلبك الحجاج) بن يوسف الذي ابتلاه الله بطلاب أهل الخير المخالفين له وقد قتل منهم خلقا كثيرا وآخر من قتله سعيد بن جبير (قال) له (كنت في غرفتي فدقوا على الباب) ففتحت لهم (فدخلوا) عندي (فدفعت بي) أي بنفسي (دفعة) في الهواء (فاذا أنا على جبل

أبي قبيس بمكة) هذه كرامة الطيران في الهواء (فقال له عبد الواحد من أين كنت تأكل قال كانت تصعد الى عجوز كل وقت افطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة فقال عبد الواحد تلك الدنيا أمرها الله تعالى أن تخدم أبا عاصم) الكرامة فيه مع ما مر وصول الرغيفين له كل ليلة عند افطاره من حيث لا يحتسب (وقيل كان عامر بن عبد قيس يأخذ عطاءه) من بيت المال كل شهر (ولا يستقبله أحد) من الفقراء (الا اعطاه شيأ) من عطائه الذي أخذه (فكان اذا أتى منزله) أي اهل منزله (رمى اليه بالدراهم فتكون بمقدار ما اخذه لم ينقص) شيأ هذا كرامة نزول البركة في المال الحلال الذي مع الصالحين حيث لم ينقص شيأ بالتصدق منه (سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول سمعت أبا احمد الكبير يقول سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول سمعت أبا عمرو الزجاجي يقول دخلت على الجنيد وكنت أريد ان أخرج الى الحج فاعطاني درهما صحيحا) كان عنده (فشددته على مئزري) ودعا لي (فلم ادخل منزلا الا وجدت فيه رفقا) أي رفقة كما في نسخة أرتفق بهم فيما احتاجه من ما كل وغيره (فلم احتج الى الدرهم فلما حججت ورجعت الى بغداد دخلت على الجنيد) لاسلم عليه (فمد يده) الي (وقال) لي مكاشفة بأن الدرهم معي ولم احتج اليه (هات) أي الدرهم الذي اعطيتكه (فناولته الدرهم فقال) لي (كيف كان) الامر اي ما الذي جرى لك (فقلت) له (كان الحتم) بالمهملة أي الامر (نافذا) أي ماضيا بحسن همتك وبركة دعائك (وحكي عن أبي جعفر الاعور قال كنت عند ذي النون المصري فتذاكرنا حديث طاعة الاشياء للاولياء فقال ذو النون) لكونه رأى ثم رجلا منكرا للكرامات (من الطاعة أن أقول لهذا السرير يدور في أربع زوايا البيت ثم يرجع الى مكانه فيفعل) ذلك بقدرة الله تعالى (قال فدار السرير) بنفسه او بتدوير ولي أو جني لم يره أحد من الحاضرين (في أربع زوايا البيت وعاد الى مكانه وكان هناك شاب فأخذ يبكي) وفي نسخة شاب قاعد فبكى (حتى مات في الوقت)

حقق الحق ما ترجاه والا فمثله لا يلتفت الى الكرامة ولا يسكن اليها ولا يأنس بها (قوله فلما أراد الدنو منها زجر) لعل الزاجر له وارد حق قلبي جريا على عادة لطف الله تعالى بالمحبين له (قوله حيث حفظ عليه العلم) أي حفظ عليه الدوام على العمل بالافضل بشاهد العلم (قوله وقد كان النبي الخ) أي فهو محمدي الاخلاق حيث وقع له ما هو من نوع المعجزة وقوله على جبل حراء أقول الذي في حفظي انه جبل أحد فلعل ذلك وقع مرتين على كل جبل واقعة والله أعلم (قوله الذي ابتلاه الله الخ) اقول والله اعلم لم يكن اعظم من هذه البلية الا الابتلاء بالكفر على ان ايذاءه صلى الله عليه وسلم في ذريته قريب من الكفر اعاذنا الله واحبتنا من ذلك (قوله هذا كرامة نزول البركة الخ) أي فهي لغيره معنوية فقط وله معنوية وحسية يختص برحمته من يشاء (قوله من الطاعة ان اقول الخ) أي

لان قلبه لم يحمل ذلك (وقيل ان واصلا الاحدب قرأ وفى السماء رزقكم وما توعدون) فأثرت فى قلبه اثرا عظيما (فقال رزقى فى السماء وانا اطلبه فى الارض والله لا طلبته ابدا فدخل خربة ومكث يومين فلم يظهر له شئ) اى رزق (واشتد عليه) الحال (فلما كان اليوم الثالث اذا بدوخلة من رطب) وهى ما ينسج من الخوص ليجعل فيه الرطب (وكان له اخ احسن منه نية فصار معه فاذا) اى فلصيرورته معه (قد صار) ما معه (دوخلتين فلم يزل ذلك حالهما حتى فرق بينهما الموت) فى دخول واصل الخربة لينتظر الفرج من الله دلالة على توكله من غير تعاطى كسب واكمل منه ذلك مع تعاطى الكسب فقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن ناقة هل نعقلها ونتوكل أو نتركها فنتوكل فأمره بان يعقلها ويتوكل ففيه اشارة الى أن هذا أكمل وان الكسب لا ينافى التوكل ولما علم الله صدق نية واصل وانقطاعه اليه لطف به وسخر له من يعينه على غرضه وهو اخوه وجاءه بالرطب كما جاء به لمريم عليها السلام وفيما فعله دلالة على انه لما سمع الآية اثرت فى قلبه والافلا فرق بين السماء والارض فى تيسير الرزق قال ابن عباس رضى الله عنهما ما اعرف فى السماء رزقا الا المطر (وقال بعضهم أشرفت على ابراهيم بن أدهم وهو فى بستان يحفظه وقد أخذه النوم واذا حية فى فيها) وفى نسخة فمها (طاقة نرجس) بالقاف (تروحه بها) فيه دلالة على ان الولى تخدمه الحيوانات حتى المؤذيات ليعرف الناظر شرف الاولياء عند الله تعالى ويجد فى طريق سلوكهم ويتخلق باخلاقهم (وقيل كان جماعة مع أيوب السختيانى فى السفر فاعياهم طلب الماء فقال) لهم (أيوب) وهو ممن روى عنه الامام مالك (اتسترون على) ما يظهر على يدى من الكرامة (ماعشت فقالوا نعم فدوردائرة فنبع) فيها (الماء قال فشربنا) منه (فلما دخلنا البصرة) ومات أيوب (أخبر به

حماد بن زيد فقال عبد الواحد ابن زيد شهدت معه ذلك اليوم) فى ذلك دلالة على ان الاولياء يسترون ما بينهم وبين الله من الكرامات ويؤكدون فى سترها ولا يظهرونها الا لحاجة (وقال بكر بن عبد الرحمن كنا مع ذى النون المصرى فى البادية فنزلنا تحت شجرة من ام غيلان) التى هى ذات شوك عظيم (فقلنا ما اطيب هذا الموضع لو كان فيه رطب فتبسم ذو النون وقال تشتهون الرطب وحرك الشجرة وقال) لها (اقسمت عليك بالذى ابتدأك وخلقك شجرة الا نثرت علينا رطبا جنيا ثم حركها فنثرت علينا رطبا جنيا) مع انها ليست بنخلة وهذا محل الكرامة بل فى ذلك كرامتان (فأكلنا وشبعنا ثم نمنا فانتبهنا وحركنا الشجرة فنثرت علينا شوكا) من شوكها المتصفة به (وحكى عن أبى القاسم بن مروان النهاوندى قال كنت انا وأبو بكر الوراق مع أبى سعيد الخراز نمشى على ساحل البحر نحو صيداء) بفتح الصاد وبالمد اسم بلد (فرأى) أبو سعيد (شخصا من بعيد فقال) انا (اجلسوا لا يخلو هذا) الشخص (ان يكون وليا من أولياء الله قال فما لبثنا ان جاء شاب حسن الوجه) وهو ذلك الشخص (ومعه ركوة) أى قربة (و) معه (محبرة) بكسر الميم كما قاله الجوهرى أى دواة (وعليه مرقعة فالتفت اليه أبو سعيد منكرا عليه حمله المحبرة مع الركوة) كأنه وجد فى نفسه من حمل المحبرة ما يجده المريدون من ان بعض الفقهاء لم ينالوا من الحقائق ما نالوه هم فامتحنه (فقال له يا فتى كيف الطريق الى الله تعالى فقال يا أبا سعيد أعرف الى الله طريقين طريقا خاصا) بالخاصة وهم قوم فرغوا من صلاح أنفسهم فصار شغلهم بالله لا بغيره قد اعرضوا عن حظوظ أنفسهم الدنيوية والاخروية (وطريقا عاما) للعامة أى عامة الصالحين والمريدين الذين هم مع الاسفار وتعلم الاخلاق واصلاح القلوب وتحقيق التوكل والاخلاص والرضا والتسليم (فاما الطريق العام فالذى انت عليه واما الطريق الخاص فهلم) اى تعال الى لاعرفكه (ثم مشى على الماء حتى غاب عن أعيننا فبقى أبو سعيد حيران مما رأى) من حاله وهذه سنة الله مع أوليائه أن يؤدبهم بمن دونهم سنا أو غيره ومشيه على الماء كرامة واتم منه المشى على الهواء لما روى ان عيسى عليه الصلاة والسلام مشى على الماء فقال النبى صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا قليل بالنسبة لما أعده الله لهم فى الآخرة (قوله لان قلبه لم يحمل ذلك) أى لرقته بكثرة ما طرقه من طوارق المحبة والاجلال له تعالى (قوله واكمل منه الخ) أى لانه خلق محمدى ومظهر حقيقة العبودية وهى من أعظم مقامات الكمل (قوله ما اعرف فى السماء رزقا الا المطر) اقول كل الرزق من السماء حينئذ اذ المطر سبب حياة كل شئ ووجوده (قوله وهو ممن روى عنه الامام مالك) أى وكفاه بذلك شرفا (قوله فنثرت علينا رطبا الخ) أى فكانت كرامة مرعية بل زادت بكون الشجرة غير نخلة وليس من شأنها مثل هذا الثمر (قوله طريقا خاصا الخ) أى وهو لا يتم الا بعد التحقق بكامل

لوازداد يقينا لمشى على الهواء قيل أشار به الى حالته ليلة المعراج لما قال له جبريل عليه السلام وما منا أى ايها الانبياء الا له مقام معلوم (وقال الجنيد جئت مسجد الشونيزية فرأيت فيه جماعة من الفقراء يتكلمون فى الآيات) أى الكرامات (فقال فقير منهم اعرف رجلا) أى نفسه (لو قال لهذه الاسطوانة كونى ذهبا نصفك وفضة نصفك كانت) كما قال لها (قال الجنيد فنظرت فاذا الاسطوانة نصفها ذهب ونصفها فضة) ثم أعادها الله الى ما كانت عليه (وقيل حج سفيان الثورى مع شيبان الراعى فعرض لهما سبع فقال سفيان لشيبان اما ترى هذا السبع فقال لا تخف) منه (فأخذ شيبان اذنه) وفى نسخة باذنه (فعركها فبصبص و) معناه (حرك ذنبه فقال) له (سفيان ماهذه الشهرة فقال لولا مخافة الشهرة) وكراهتى لها (لما وضعت زادى الا على ظهره حتى آتى مكة) فيه دلالة على ان الكرامات انما يظهرها الاولياء لاقرانهم ومن قاربهم ليقوى يقينهم وترتفع هممهم ولا شهرة فى ذلك انما الشهرة أن يظهر العبد الكرامات لمن لا يقتدى به ولا ينتفع بها بل قد يتضرر بانكارها (وحكى أن السرى لما ترك التجارة وانقطع الى الله (كانت أخته تنفق عليه من ثمن غزلها فابطأت) عليه (يوما فقال لها السرى لم أبطأت فقالت لان غزلى لم يشتر وذكروا أنه مخلط فامتنع السرى من) اكل (طعامها) لتخيله من ذلك ان فيه غشا (ثم ان اخته) تأذت بذلك و (دخلت عليه يوما فرأت عنده عجوزا تكنس بيته وتحمل اليه كل يوم رغيفين) فازداد تألمها (فخزنت) وفى نسخة فحزنت (اخته وشكت الى أحمد ابن حنبل فقال أحمد بن حنبل للسرى فيه) اى تكلم معه بسببه (فقال) له ١٧٧ (لما امتنعت من أكل طعامها قيض الله لى الدنيا) أى جاءنى بها على يد من شاء من أوليائه (لينفق على) منها (وتخدمنى) هى وأظهر الله ذلك لاخته فى صورة امرأة ليسكن قلبها وتطلع عليه وتعلم انه تعالى لم يضيع أخاها (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا على بن هرون قال حدثنا على بن أبى محمد التميمى قال حدثنا جعفر بن القاسم الخواص قال حدثنا أحمد ابن محمد الطوسى قال حدثنا محمد ابن منصور الطوسى قال كنت عند أبى محفوظ معروف الكرخى فدعا لى) وخرجت من عنده (فرجعت اليه من الغد وفى وجهه أثر فقال له انسان يا أبا محفوظ كنا عندك بالامس ولم يكن بوجهك هذا الاثر فما هذا) أى ما سببه (فقال) له (سل عما يعنيك) دون ما لا يعنيك (فقال) له (الرجل) اى الانسان (بمعبودك) سألتك (ان تقول) لى ما سبب هذا (فقال) له لاجل قسمه عليه بالله (صليت البارحة ههنا واشتهيت ان أطوف بالبيت فمضيت الى مكة وطفت ثم ملت الى زمزم لاشرب من مائها فزلقت على الباب فاصاب وجهى ما تراه) الكرامة فيه طى الارض له أو طيرانه فى الهواء وفى ذلك اشارة الى ما مر من انهم يكرهون اظهار الكرامات الا لمن ينتفع بها أو ينكرها وكان سبب اظهارها الجرح والا فالكرخى من أعظم الناس بركات حتى ان قبره ترياق مجرب من أخذ منه شيأ عوفى (وقيل كان عتبة الغلام يقعد فيقول يا ورشان) بفتح الواو والراء طير (ان كنت اطوع لله عز وجل منى فتعال واقعد على كفى) ذكر ذلك ستراً لحاله (فيجىء الورشان ويقعد على كفه) فيه دلالة على ان الله تعالى يسخر لاوليائه الطير كما سخره لسليمان عليه السلام (وحكى عن أبى على الرازى انه قال مررت يوما على الفرات فعرضت لنفسى) أى عندها حاجتى للاكل (شهوة السمك الطرى فاذا الماء قد قذف) فى الحال (سمكة نحوى) أى جهتى (واذا رجل يعدو ويقول لى (أشويها لك فقلت نعم فشواها فقعدت وأكلتها) فى ذلك دلالة على اكرام الله لاوليائه ولطفه بهم

بكامل المقامات والصدق فيها وبعد التحلى بجليل الاحوال الشريفة ثم بعد ذلك يخرج من ضيق الطريق الى فضاء المعرفة ثم منه الى حظائر المشاهدات والمكاشفات (قوله لوازداد يقينا الخ) أشار الى ان درجته صلى الله عليه وسلم خاصة به لا يشاركه فيها غيره ذلك فضل الله يختص به من يشاء من عباده (قوله فيه دلالة الخ) أى فهى من قبيل الدواء لا يظهر الالمرض يناسبه ذلك الدواء والله أعلم (قوله قيض الله لى الدنيا) أى لانه تعالى لا يضيع عباده المحبين له بل يرزقهم من حيث لا يحتسبون (قوله صليت البارحة الخ) ذلك غير بعيد حيث ان لهم ما يشاؤن عند ربهم رضى الله تعالى عنهم (قوله فزلقت على الباب الخ) أقول وكونه لم يحفظ من الوقعة مع طى الارض له لا تناقض فيه لان له فى كل اجرا على ان ذلك كان سببا فى الاخبار بطى الارض ليزداد السائل يقينا والله أعلم (قوله كما سخره لسليمان) أى كرامة لنبيهم صلى الله عليه وسلم حيث جعل آحاد امته على انفاس من

(وقيل كان ابراهيم بن ادهم فى رفقة فعرض لهم السبع فقالوا) لابراهيم (يا أبا اسحق قد عرض لنا السبع فجاء ابراهيم) اليه (وقال) له (يا أسد ان كنت امرت فينا بشئ فامض) له (والا فارجع) عنا (فرجع الاسد) عنهم (ومضوا) هذا من جنس ما جرى لسفيان الثورى مع شيبان (وقال حامد الاسود كنت مع) ابراهيم (الخواص فى البرية فبتنا) فى ليلة (عند) وفى نسخة تحت (شجرة اذ جاء السبع فصعدت الشجرة) خوفا منه وبقيت (الى الصباح لا يأخذنى النوم ونام ابراهيم الخواص والسبع يشمه) من رأسه الى قدمه) لكمال يقينه وعدم خوفه من غير ربه (ثم مضى) السبع (فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد بقرية فوقعت بقة على وجهه فضربته) أى قرصته (فأنّ انة) أى ضج من قرصتها ضجة كضجة المريض (فقلت) له (هذا عجب البارحة لم تجزع من الاسد والليلة تضج من البق فقال) لى (أما البارحة فتلك حالة كنت فيها بالله تعالى) اى كامل الشغل به غير ملتفت الى غيره بالكلية (وأما الليلة فهذه حالة انا فيها) مشتغل (بنفسى) لفقدى تلك الحالة فرجعت الى نفسى وأحسست بادنى الم (وحكى عن عطاء الازرق انه دفعت اليه امرأته درهمين من ثمن غزلها ليشترى لهم) بهما (شيأ من الدقيق فخرج من بيته فلقى جارية تبكى فقال لها ما بالك) تبكى (فقالت دفع الىّ مولاى درهمين أشترى لهم) بهما (شيأ فسقطا منى فأخاف أن يضربنى فدفع عطاء الدرهمين اليها ومر وقعد على حانوت صديق له ممن يشق) الخشب (الساج وذكر له الحال وما يخاف من سوء خلق امرأته) بسبب ذلك (فقال له صاحبه) اى صديقه (خذ من هذه النشارة فى هذا الجراب لعلكم تنتفعون بها فى سجر التنور) اى حميه (اذ ليس يساعدنى الامكان فى شئ آخر فحمل) عطاء (النشارة) فى الجراب (وفتح باب داره ورمى بالجراب ورد الباب ودخل المسجد وابتدأ فيه (الى ما بعد العتمة) اى العشاء ١٧٨ (ليكون النوم أخذهم ولا تستطيل عليه المرأة) بكلام او غيره (فلما فتح الباب وجدهم يخبزون الخبز فقال لهم من أين لكم هذا الخبز فقالوا له من الدقيق الذى كان فى الجراب لا تشتر) لنا دقيقا (من غير هذا الدقيق فقال أفعل ان شاء الله تعالى) الكرامة فى ذلك قلب الاعيان للولى كما مر نظيره فى قلب الاسطوانة ذهبا وفضة والله تعالى هو الخالق لكل شئ من الجواهر والاعراض (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى) (قوله رحمه الله (يقول سمعت منصور بن عبد الله يقول سمعت أبا جعفر بن بركات يقول كنت أجالس الفقراء) وشأننا ان ما فتح الله به لبعضنا كان لكلنا (ففتح علىّ بدينار فاردت ان ادفعه اليهم) لينفقوه علينا (ثم قلت فى نفسى لعلى احتاج اليه فهاج) اى ثار (بى وجع الضرس فقلعت سنا فوجعت الاخرى حتى قلعتها فهتف بى هاتف ان لم تدفع اليهم الدينار لا يبقى فى فيك) وفى نسخة فمك (سن واحدة قال الاستاذ) القشيرى (وهذا) اى تنبيه الله له بواسطة الهاتف على ما هو سبب للسلامة (فى باب الكرامة أتم) عليه (من ان كان يفتح عليه دنانير كثيرة تنقض العادة) اى تخرقها وفيه اشارة الى تأكد طلب السلامة من الآثام بل السلامة منها آكد من فعل الطاعة ولهذا قال الامام القشيرى كرامة الحفظ من الزلل احسن من كثير من العمل (وحكى أبو سليمان الدارانى قال خرج عامر بن عبد قيس الى الشام ومعه شكوة) اى قربة (اذا شاء صب منها ماء ليتوضأ للصلاة واذا شاء صب منها لبنا يشربه) كل ذلك بفضل الله ورحمته وهذا كماء زمزم بعضهم يشربه ماء وبعضهم يشربه سويقا بسكر حكى ان بعضهم قال كنت ادخل فى زمن الحر الى زمزم واستريح فى زاوية فلما ذهب كثير من الليل دخل رجل ملفوف بعباءة فرفع الدلو وشرب فقمت لاشرب خلفه فاذا هو سويق بسكر من ماء زمزم فتعجبت منه وراقبته ليلة اخرى فرأيته دخل فى ذلك الوقت ورمى الدلو فى البئر ورفعه وشرب وتركه فذقته فوجدته كذلك فطفقته فقلت أنشدك الله بالذى أعطاك هذه المنزلة من أنت فقال تستره فقلت نعم فقال سفيان بن سعيد الثورى (وروى عثمان بن أبى العاتكة قال كنا فى غزاة فى أرض الروم فبعث الوالى) أى امير الجيش (سرية الى موضع وجعل الميعاد فى يوم كذا

تقدم من الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين (قوله كان ابراهيم الخ) قد تقدمت هذه القصة فاعادتها تأكيد ولرعاية المقام (قوله فقال أما البارحة الخ) أى فهم رضى الله عنهم لا يثبتون على حال كما تقدم ذلك من نعوتهم (قوله فدفع عطاء الدرهمين اليها) أى وذلك لان من امارات الولى عموم شفقته على الخلق كما تقدم (قوله قلب الاعيان للولى) أى وهو غير بعيد حيث هو من افراد الممكنات الداخلة تحت تصرف الحق تعالى (قوله بل السلامة منها آكد) اى لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح

قال فجاء الميعاد ولم تقدم السرية فبينا أبو مسلم) الخولاني (يصلي الى رمحه الذي ركزه بالارض اذ جاء طائر) اى ملك من الملائكة (الى رأس السنان وقال ان السرية قد سلمت وغنمت وسيردون عليكم يوم كذا في وقت كذا فقال ابو مسلم للطير من انت رحمك الله فقال انا مذهب الحزن عن قلوب المؤمنين فجاء ابو مسلم الى الوالي واخبره بذلك فلما كان اليوم الذي قال) الطير ان السرية تأتى فيه (اتت السرية) فيه (على الوجه الذي قال) من انها سلمت وغنمت وكان ابو مسلم صاحب كرامات حرقه بالنار العنسي كما فعل بابراهيم الخليل فلم تضره فلما لم تضره نفاه من أرضه لئلا يفسد عليه من اتبعه من اهل الضلال فوصل الى المدينة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم واستخلاف ابي بكر رضي الله عنه فربط دابته ودخل يصلي في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فبصر به عمر رضي الله عنه فسلم عليه وقال له من الرجل فقال من اهل اليمن فقال مافعل الذي أحرقه الكذاب قال ذلك عبد الله بن ثوب قال له عمر انشدك الله أأنت هو قال اللهم نعم وهذا من فراسة عمر فاعتنقه وقبله بين عينيه واتى به الى ابي بكر واجلسه بينهما وقال الحمد لله الذي لم يمتنا حتى رأينا في امة محمد صلى الله عليه وسلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الرحمن وسافر مع اصحابه في غزاة حال بينه وبين الكفار البحر فضرب فرسه وخاض البحر هو والعسكر على وجه الماء فهذه كرامة اخرى (وعن بعضهم قال كنا في مركب) اى سفينة (فمات رجل كان معنا عليل فاخذنا في جهازه) وكنا في وسط البحر (واردنا ان نلقيه في البحر فصار البحر جافا ونزلت السفينة) على الارض (فخرجنا) منها (وحفرنا له قبرا ودفناه فلما فرغنا) من دفنه وركبنا السفينة (استوى الماء) كما كان (وارتفع المركب) عليه (وسرنا) الى مقصدنا (وقيل ان الناس اصابتهم مجاعة ١٧٩ بالبصرة فاشترى حبيب العجمي طعاما بالنسيئة وفرقه على المساكين) لوجه الله تعالى (وأخذ) وفي نسخة وخاط (كيسه وجعله تحت رأسه فلما جاؤا يتقاضونه) ديونهم (اخذه) اى الكيس (واذا هو مملوء دراهم) فتح الله عليه بها من حيث لايحتسب بصحة قصده وحسن معاملته مع الله ومع خلقه

(قوله فلم تضره) أى فهى كرامة ابراهيمية زيادة في شرف نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام حيث جعل شريعته جامعة لما تفرق في غيرها من الشرائع (قوله فصار البحر جافا الخ) الكرامة فيه ارادة حفظ جسمه من أكل السمك كما يحفظ من الارض لكرامته عند ربه (قوله وهذا من اجابة الدعاء عند الاضطرار) اى ويدل له قوله تعالى أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (قوله فان في القراءة في المصحف الخ) أقول الذي في حفظي ان زيادة الاجر مرتبة على زيادة الخشوع والتدبر فمن زاد له ذلك في حالة القراءة في المصحف كان هو الافضل في حقه والا بان كان التدبر والخشوع يزيد له في حالة القراءة عن ظهر

(فقضى منها ديونهم) التى لهم عليه اكراما له (وقيل اراد ابراهيم بن ادهم ان يركب السفينة) مع أربابها (فابوا الا أن يعطيهم دينارا فصلى على الشط ركعتين وقال اللهم انهم قد سألوني ماليس عندى فصار الرمل بين يديه دنانير) واعطاهم منها ماطلبوه وهذا من اجابة الدعاء عند الاضطرار (اخبرنا محمد بن عبد الله الصوفي قال حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال حدثنا محمد بن احمد المروزي قال حدثنا عبد الله بن سليمان قال قال أبو حمزة نصر بن الفرج خادم أبي معاوية الاسود قال كان ابو معاوية) قد (ذهب بصره فاذا اراد ان يقرأ) القرآن (نشر المصحف) بين يديه (فيرد الله عليه بصره) اكراما له فان في القراءة في المصحف زيادة اجر على القراءة بالغائب لاستعمال اكثر الاعضاء فيها ولانها اقوى تدبرا (فاذا اطبق المصحف ذهب بصره) وصار على حاله (وقال احمد بن الهيثم المتطبب قال لى بشر الحافي قل لمعروف الكرخي اذا صليت) انا (جئتك قال فاديت الرسالة) كما قال (وانتظرته فصلينا الظهر ولم يجئ ثم صلينا العصر) ولم يجئ (ثم) صلينا (المغرب ثم العشاء) ولم يجئ (فقلت في نفسى) متعجبا منه (سبحان الله مثل بشر يقول انه يفعل (شيأ ثم لا يفعله) و (لايجوز) له (ان لا يفعله) وقد قال ما قال (فانتظرته وانا فوق) سطح (مسجد على مشرعة) هى موردة الشاربة (فجاء بشر بعد هدى) بفتح الهاء اى طائفة (من الليل وعلى رأسه سجادة) بفتح السين (فتقدم الى الدجلة ومشى على وجه الماء) وعبر الشط وتحدثنا معه ثم جاء وقت السحر وعبر على وجه الماء (فرميت بنفسى من السطح) اليه (وقبلت يديه ورجليه وقلت له ادع الله لى) أى لانى أسأت بك الظن (فدعا لى وقال استره) أى ما رأيته مني (على قال فلم أتكلم بهذا حتى مات) رضي الله عنه الكرامة فيه مشيه على الماء وقوله اذا صليت أتيتك

كان بنية صلاة العشاء مع ما عادته يصليه بعدها وظن الرسول انه أراد عقب صلاة واجبة من الصلوات المذكورة فلما تخلف عن ذلك اساء به الظن (سمعت أبا عبد الله الشيرازى قال حدثنا ابو الفرج الورثانى قال سمعت على بن يعقوب بدمشق قال سمعت أبا بكر محمد بن أحمد يقول سمعت قاسما الجرعى يقول رأيت رجلا فى الطواف لا يزيد على قوله الهى قضيت حوائج الكل ولم تقض حاجتى) فيه تدلل وقلة ادب فقد جاء فى الخبر لا يقولن أحدكم دعوت فلم يستجب لى (فقلت) له (مالك لا تزيد على هذا الدعاء فقال أحدثك) بما جرى لى (اعلم انا كنا سبعة أنفس من بلدان شتى خرجنا الى الجهاد فاسرنا الروم وقدموا بنا للقتل فرأيت سبعة أبواب فتحت من السماء وعلى كل باب جارية حسناء من الحور العين فقدم واحد منا) للقتل (فضربت عنقه فرأيت جارية منهن هبطت الى الارض وبيدها منديل فقبضت روحه) وهكذا فيمن بعده (حتى ضربت أعناق ستة منا فاستوهبنى بعض رجالهم) اى الروم (فقالت الجارية أى شئ) يعنى شئ عظيم (فاتك يا محروم) بتخلفك عن اصحابك (واغلقت الابواب فأنا يا اخى متأسف متحسر على ما فاتنى قال قاسم الجرعى اراه) اى أظنه (افضلهم) وان تحسر على ما فاته (لانه رأى) بعدهم (ما لم يروه وعمل على الشوق بعدهم) ما لم يعملوه بالقلب والجوارح لان تحسره على ما ذكر حمله على الجد فى العمل ودوام السؤال والتضرع وقوة اليقين والكرامة فى ذلك رؤية هذا الرجل الابواب والحور العين ۱۸۰ التى عليها (وسمعته) ايضا (يقول سمعت ابا النجم احمد بن الحسين بخورستان يقول سمعت ابا بكر الكتانى يقول كنت فى طريق مكة فى وسط السنة فاذا انا بهميان) اى كيس (ملآن يلمع دنانير فهممت ان احمله لافرقه بمكة على الفقراء فهتف بى هاتف ان اخذته سلبناك فقرك) الذى أنت فيه والكرامة فى ذلك تحذير العبد من الدخول فى الدنيا ليفعل بها الخير وارشاده الى ان بقاءه مع فقره افضل له عند ربه من ذلك وكان فى علم الله تعالى أنه اذا اخذ الكيس ركنت نفسه اليه ونسى فقره الى ربه والفقر عند التمكن فى الاحوال اعز من المال لانه اصلح له فى حاله مع مولاه كما قيل   نحو

اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة * وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر

(حدثنا محمد بن محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا احمد ابن يوسف الخياط قال سمعت أبا على الروذبارى يقول سمعت أبا العباس الشرقى يقول كنا مع ابى تراب النخشبى فى طريق مكة فعدل عن الطريق الى ناحية فقال له بعض أصحابه) أى فتى منهم (انا عطشان فضرب برجله الارض فاذا عين من ماء زلال) أى عذب (فقال) له (الفتى أحب أن أشربه فى قدح فضرب بيده الى الارض فناوله قدحا من زجاج أبيض كأحسن ما رأيت فشرب) منه (وسقانا وما زال القدح معنا الى مكة فقال لى أبو تراب يوما ما يقول أصحابك فى هذه الامور التى يكرم الله تعالى بها عباده) وكانوا يشكرونها ولا اعلم (فقلت) له (ما رأيت أحدا الا وهو يؤمن بها فقال لى من لم يؤمن بها فقد كفر) لنسبة القدرة الازلية الى العجز عنها (انما سألتك من طريق الاحوال) أى طريق معرفتك لاحوالهم (فقلت له ما أعرف لهم قولا فيه) أى فى انكارها (فقال بلى قد زعم أصحابك انها) ليست كرامة وانما هى (خدع من الحق) يوقف معها من أراد فتوره عن الطريق (وليس الامر كذلك انما الخدع) يكون (فى حال السكون اليها فاما من لم يقترح ذلك) اى لم يسألها (ولم يساكنها) قلبه (فتلك مرتبة الربانيين) يعنى ان الرب اذا أوصل عبده الى هذه الحالة فأى شئ طلبه منه فعله له (حدثنا محمد بن عبد الله الصوفى قال أخبرنا ابو الفرج الورثانى

القلب كانت القراءة على هذه الحالة هى الافضل لخبر (قوله كان بنية صلاة العشاء الخ) أى فلم يخالف موعده (قوله فيه تدلل وقلة ادب) اى بحسب سنة المتابعة والا فذله كان تجليه جماليا فلا لوم عليه بل هو الافضل من باقى اخوانه كما يأتى ذكره بعد (قوله ما لم يعملوه بالقلب والجوارح) اى وكل ذلك زيادة فضل له وان ثبتت الشهادة لاخوانه (قوله سلبناك فقرك) اى ثمرة افتقارك الينا من فراغ قلبك للشغل بنا عمن سوانا (قوله تحذير العبد من الدخول الخ) اى لان الدنيا قد تكون فى هذه الحالة من دسائس النفس والله اعلم (قوله لانه أصلح له الخ) اى بشاهد قوله جل جلاله كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فالبعد عنها اسلم والرب بالحال اعلم (قوله فضرب برجله الارض الخ) اقول لعل ذلك لغرض تقوية يقين السائل لما تفرس فيه من قبول الخير وتأثره بما يراه من نواقض العادة ولهذا اجابه فى كل سؤله (قوله فقلت له الخ) فيه تنبيه على انه كان شأنه الاعراض عما لا يعنيه شغلا عنه بما يعنيه (قوله وليس الامر كذلك) أى على الاطلاق بل على

قال سمعت محمد بن الحسين الخلدى بطرسوس قال سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول كنا فى غرفة سرى السقطى ببغداد فلما ذهب من الليل شئ لبس قميصا نظيفا وسراويل ورداء) لبس (رداء ونعلا وقام ليخرج فقلت) له (الى أين) تذهب (فى هذا الوقت فقال اعود فتحا الموصلى فلما مشى فى طرقات بغداد اخذه العسس) جمع عاس وهو الذى يطوف ليلا للخيانة (وحبسوه) ظلما (فلما كان من الغداة امر بضربه مع المحبوسين فلما رفع الجلاد يده ليضربه وقفت يده) أى يبست (فلم يقدر) على (ان يحركها فقيل للجلاد اضرب فقال بحذائى) اى بجانبى (شيخ واقف يقول لى لا تضربه) ويشفع فيه (فتقف يدى لا تتحرك فنظروا من الرجل) الشافع فيه (فاذا هو فتح الموصلى فلم يضربوه) انتفع السرى ببركة فتح و بنية عبادته و زيارته وان لم يصل اليه فالعبد اذا صدقت نيته فى الزيارة لصالح انتفع به فى الدنيا والآخرة ولعل المخبر بذلك هو السرى (أخبرنا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى) رحمه الله (قال حدثنا الحرث الخطابى قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا على بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصرى قال كان اناس من قريش يجلسون الى عبد الواحد بن زيد فأتوه يوما وقالوا) له (انا نخاف من الضيقة والحاجة فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم انى اسألك باسمك المرتفع الذى تكرم به من شئت من اوليائك وتلهمه الصفى من احبابك ان تأتينا برزق من لدنك) 181 اى عندك الساعة (تقطع به علائق الشيطان من قلوبنا وقلوب اصحابنا هؤلاء) بان لا تجعل له علينا ولا عليهم سبيلا بالوسوسة فى تأخير الرزق واراد بالاسم الذى دعا به الاسم الأعظم (فانت الحنان) الذى يقبل على من أعرض عنه (المنان) الذى يبدأ بالنوال قبل السؤال (القديم الاحسان اللهم) ائتنا به (الساعة الساعة قال فسمعت والله قعقعة للسقف) وفى نسخة فسمعت قعقعة والله للسقف (ثم تناثرت علينا دنانير ودراهم فقال عبد الواحد بن زيد استغنوا بالله عن غيره فاخذوا ذلك ولم يأخذ عبد الواحد بن زيد) منه (شيأ) لانه قصد الدعاء لهم خاصة الكرامة فى ذلك كون الدنانير والدراهم سقطت عليهم من السقف الذى كانوا تحته اجابة لدعاء عبد الواحد وفى ذلك تنبيه على ان دعاء العبد لغيره حال ضرورته أقرب للاجابة لبعده عن هوى نفسه (سمعت أبا عبد الله الشيرازى يقول سمعت أبا عبد الله محمد بن على الجوزى بجنديسابور) لعله اسم مكان (قال سمعت الكتانى يقول رأيت بعض الصوفية وكان غريبا ما كنت اثبته) أى أعرفه وفى نسخة رأيته (قد تقدم الى الكعبة وقال يا رب ما أدرى ما يقول هؤلاء يعنى الطائفين فقيل له انظر ما فى هذه الرقعة) فنظرت ما فيها (قال فطارت الرقعة فى الهواء وغابت) بعد ان نظرت ما فيها فعرفت ان حاجتى قضيت والكرامة فى ذلك تيسير من أعلمه بذلك حالا وطيران الرقعة مع غيبتها (وسمعته) أيضا (يقول سمعت عبد الواحد بن بكر الورثانى يقول سمعت محمد بن على بن الحسين المقرى بطرسوس يقول سمعت أبا عبد الله بن الجلاء يقول اشتهت والدتى على والدى يوما من الايام سمكا فمضى والدى الى السوق وانا معه فاشترى) لها (سمكا ووقف ينتظر من يحمله) له بأجرة (فرأى صبيا وقف بحذائه) بالذال المعجمة أى بجانبه (مع صبى) آخر وهو انا

نحو ما ذكره فى التفصيل * (تنبيه) * قد دلت هذه الاخبار المنقولة عن الثقات العدول أئمة الدين وسادات المسلمين على وقوع خوارق العادات للاولياء وليسوا بانبياء وان جرى كثير من الخوارق على ايدى الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كاحياء الموتى والمشى على الماء وعلى الهواء وطى الارض والاتيان بالطعام من حيث لا يحتسب وجعل البركة فى الدراهم التى يصرف منها ولا تنقص شيأ واستجابة الدعاء وغير ذلك مما تضمنته الاخبار فكيف تنكر وقد روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه انه قال لا ينكر كرامات الاولياء الا جهمى والله اعلم (قوله اخذه العسس الخ) اقول مثل هذا الامتحان لعل حكمته ارادة زيادة الاحسان لهذا الانسان رضى الله عنه وعنا به (قوله وبنية عبادته) أى ويدل له خبر نية المرء خير من عمله (قوله انا نخاف من الضيقة والحاجة) اى نخاف ما يترتب على ذلك من عدم الصبر الذى سببه وسوسة الشيطان (قوله فرفع رأسه) اى لما علم صدقهم فى الالتجاء الى الحق فما كان منه الا انه ساعدهم بالدعاء لاكرم الاكرمين ورب العالمين (قوله القديم الاحسان) لعله باعتبار تعلق القدرة الصلوحى والا فصفة الفعل حادثة (قوله اقرب للاجابة) اى حيث صدر بازاء الضرورة والله تعالى قد وعد باجابة المضطر من عباده حيث قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء (قوله ما ادرى ما يقول هؤلاء الخ) لعل مراده ما يقولونه وقت مشاهدتهم ما رتبه الحق تعالى

(فقال يا عم تريد من يحمله) لك (فقال نعم فحمله ومشى معنا فسمعنا الاذان) في الطريق (فقال) له (الصبي) يا عم قد (اذن المؤذن واحتاج ان اتطهر وأصلي فان رضيت) بذلك فذاك (والا فاحمل السمك ووضع الصبي السمك ومر) ولم يلتفت الى ما يحصل له من الاجرة فتطهر وصلى (فقال أبي فنحن أولى ان نتوكل) على الله (في السمك) وفي نسخة بالسمك (فدخلنا المسجد وصلينا وجاء الصبي وصلى فلما خرجنا) من المسجد (فاذا بالسمك موضوع مكانه) لم تصبه آفة ولم يأخذه أحد (فحمله الصبي ومضى معنا الى دارنا فذكروا الدي ذلك لوالدتي فقالت) له (قل له حتى يقيم عندنا ويأكل معنا) مجازاة له (فقلنا له) ذلك (فقال اني صائم فقلنا) وفي نسخة فقال (فتعود الينا بالعشي) بعد ان تحمل مرة ثانية وتفرغ من شغلك وقت الفطر لتأكل معنا من السمك بعد تجهيزه (فقال) أنا (اذا حملت مرة في اليوم لا أحمل ثانيا ولكني سادخل المسجد) وأمكث فيه (الى المساء ثم ادخل عليكم فمضى) الى المسجد (فلما أمسينا دخل الصبي) علينا (وأكلنا) معه (فلما فرغنا) من الاكل (دللناه على موضع الطهارة ورأينا فيه) أخذا من كلامه (انه يؤثر الخلوة فتركناه في بيت) خال (فلما كان في بعض الليل وكان لقريب لنا ابنة زمنة فجاءت) الينا البلاء على خلاف عادتها (تمشي فسألناها عن حالها) أي عن سبب قدرتها على المشي (فقالت قلت يارب بحرمة ضيفنا) أسألك (ان تعافيني فقمت) أي فعافاني الله في الحال ببركته مع الاضطرار (قال فمضينا لنطلب الصبي فاذا الابواب مغلقة كما كانت ولم نجد الصبي) لطيرانه في الهواء أو لاختفائه عنا (فقال أبي فنهم) أي الاولياء ١٨٢ (صغير ومنهم كبير) في ذلك كرامات لا تخفى ودلالة على ان هذا الصبي كان وليا وانه كان يأكل من كسبه وانه اذا حمل مرة لا يحمل ثانية وانه لما زهد في اجرته وهان عليه تركها لاجل الصلاة لما أذن المؤذن اثر صدقه في أصحاب السمك حتى تركوه وصلوا معه والسمك مكانه لم يصبه شيء (سمعت محمد بن الحسين يقول حدثنا أبو الحرث الخطابي قال حدثنا محمد بن الفضل قال حدثنا علي بن مسلم قال حدثنا سعيد بن يحيى البصري قال اتيت عبد الواحد بن زيد وهو جالس في ظل فقلت له لو سألت الله تعالى ان يوسع عليك الرزق لرجوت وان يفعل) لك ذلك في هذا الذي قاله دخول فيما لا يعنيه لكن حسن خلق عبد الواحد حمله على ان لا يؤاخذه (فقال) له (ربي اعلم بمصالح عباده ثم اخذ حصى من الارض ثم قال اللهم ان شئت ان تجعلها ذهبا فعلت فاذا هي والله في يده ذهب فالقاها الي) ليعرفني أن الله على كل شيء قدير (وقال) لي (أنفقها أنت فلا خير في الدنيا الا) ان تكون (للآخرة) أي للعون عليها عرفه بذلك ان الغنى حقيقة من استغنى بالله لا بالمال لان من استغنى به تعالى فعل له ما يحبه فلهذا صار الحصى في يده ذهبا تصديقا للمقال بالحال وسلمه الى سائله لينفقه لفقره وحاجته اليه (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت الحسين بن أحمد الفارسي يقول سمعت الرقي يقول سمعت احمد بن منصور يقول قال لي استاذي أبو يعقوب السوسي غسلت مريدا) من مريدي (فأمسك ابهامي وهو على المغتسل فقلت) له (يا بني خل يدي انا ادري) أي أعلم (انك لست بميت) بمعنى ان روحك لم تفن بل هي باقية كسائر الارواح لا بمعنى انها لم تفارق جسمك والا لم يجز له تغسيله ودفنه (وانما هي) اي ازالتها من جسمك (نقلة من دار الى دار فخلى يدي) الكرامة فيه امساك الميت يد المغسل له وارسالها بعد كلامه وما ذكره من ان الارواح لا تفنى هو مذهب اهل الحق وهي باقية في منازلها في الخير والشر في البرزخ الى ان يعيدها الى الاجسام يوم القيامة والميت يحيا في قبره للسؤال ويسمع خفق نعال المنصرفين عن قبره فان كان من السعداء فسح له في قبره سبعون ذراعا وان كان من الاشقياء ضيق عليه كالزج في القنا

لهم بتطهير اسمه الحسن المتفضل وقوله فقيل له انظر ما في هذه الرقعة الخ لعل الذي نظره فيها ما قوى به يقينه من اكرامه مع جنايتهم هذا ما ظهر لي والله اعلم بمراد احبابه لا يكلف الله نفسا الا وسعها (قوله فمنهم صغير ومنهم كبير) اقول حيث كان المتفضل على كافة العبيد من لا يسئل عما يفعل وهو بمصالح الخلق اعلم واحكم فلا يقال حينئذ كبير ولا صغير لان رب الجميع على كل شيء قدير (قوله لكن حسن خلق الخ) اى وشيمهم رضي الله تعالى عنهم تحمل الاذى الصادر من غيرهم (قوله غسلت مريدا الخ) المريد هو الساعي بالصدق الجد الى حضرة الحق او هو المختطف من الخلق الى حضرة الحق او هو من سبقت مجاهدته مكاشفته وعلمه جذبه وبالعكس المراد فالمريد محب والمراد محبوب كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك فافهم (قوله انك لست بميت) اى من غير كرامة

ثم يصير ترابا وروحه باقية كما قلنا (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر احمد بن محمد الطرسوسي يقول سمعت ابراهيم بن شيبان يقول صحبني شاب حسن الارادة فمات فاشتغل قلبي به جدا وتوليت غسله فلما أردت غسل يديه بدأت بشماله من الدهشة) التي حصلت لي بموته (فاخذها مني وناولني يمينه فقلت) له (صدقت يا بني انا غلطت) الكرامة في ذلك ظاهرة وفيه حفظ للغاسل والمغسول (وسمعته) ايضا (يقول سمعت أبا النجم المقرى البرذعي بشيراز يقول سمعت الرقي يقول سمعت احمد بن منصور يقول سمعت ابا يعقوب السوسي يقول جاءني مريد بمكة فقال) لي (يا استاذ انا غدا اموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار واحفر لي بنصفه وكفني بنصفه الآخر ثم لما كان الغد جاء وطاف بالبيت ثم تباعد) عنه (ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد ففتح عينيه فقلت) له (احياة بعد موت فقال) لي (انا حي وكل محب لله تعالى حي) اذ المحب له تعالى هو من جاهد نفسه في قربه وهان عليه بذل النفس حبه فاشبه المجاهد المقتول في سبيله وهو حي لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ١٨٣ امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون وفيما ذكر كرامات ظاهرة (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول سمعت ابا علي بن وصيف المؤدب يقول تكلم سهل ابن عبد الله يوما في الذكر فقال ان الذاكر لله على الحقيقة لو هم ان يحيي الموتى لفعل ومسح يده على عليل بين يديه فبرئ وقام) الكرامة فيه ابراء الاسقام والآلام وان الولي لو أراد احياء الموتى لكان وقد صح احياؤهم في قصة الذي مات حماره في الجهاد واحياه الله له بدعائه الله قال الراوي ولقد رأيته يباع في السوق بعد ذلك (سمعت أبا عبد الله الشيرازي يقول اخبرني علي بن ابراهيم بن أحمد قال حدثنا عثمان بن احمد قال حدثنا الحسين بن عمر قال سمعت بشر بن الحرث يقول كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه) يظله (والسباع حوله تحرك اذنابها) الكرامة فيه تظليل الغمام له وحراسة السباع له وتحريكها اذنابها له انسا به فضلا عن ان تؤذيه وكونه لا يخافها (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا عبد الله بن مفلح يقول سمعت المغازلي يقول سمعت الجنيد يقول كانت معي أربعة دراهم فدخلت على السري) السقطي (وقلت) له (هذه أربعة دراهم جئتها اليك فقال) لي (ابشر يا غلام بانك تفلح) فلقد (كنت احتاج) أي محتاجا (الى أربعة دراهم فقلت اللهم ابعثها) لي (على يد من يفلح عندك) فيه دلالة على كرامة الولي في استجابة دعائه في الحال وشهادته للجنيد بأنه يفلح وقد أفلح (وسمعته) أيضا (يقول حدثني ابراهيم بن احمد الطبري قال حدثنا احمد بن يوسف قال حدثنا أحمد بن ابراهيم بن يحيى قال حدثني ابي قال حدثني أبو ابراهيم اليماني قال خرجنا نسير على ساحل البحر مع ابراهيم بن ادهم فانتهينا الى غيضة) اي أشجار من قصب (فيها حطب يابس كثير وبالقرب منه حصن فقلنا لابراهيم بن أدهم لو اقمنا الليلة ههنا

وفعل ناقض للعادة وقوله بمعنى ان روحك لم تفن فيه ان ذلك غير خاص به كما اشار اليه الشارح (قوله لقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا) اي فهو كلام مستأنف مسوق لبيان ان القتل الذي يحذرونه ليس مما يحذر بل هو من اجل المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون اثر بيان ان الحذر لا يغني ولا يجدي والمراد بهم شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين وباقيهم من الانصار رضوان الله تعالى عنهم اجمعين والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد ممن له حظ من الخطاب اى ولا تحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا على ان المراد من توجيه النهي تنبيه السامعين على انهم احقاء بأن يسلوا بذلك ويبشروا بالحياة الابدية والنعيم المقيم وذلك عند ابتداء القتل اذ بعده يتبين حالهم لهم وقوله بل احياء أي بل هم احياء وقرئ بالنصب أي بل احسبهم احياء على ان الحسبان بمعنى اليقين وقوله عند ربهم في محل النصب خبر ثان للمبتدا المقدر أو على انه حال من الضمير في احياء يرزقون أي في الجنة تاكيد لكونهم احياء روى ان الارواح ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتسرح في الجنة حيث شاءت وفي ذلك دلالة على أن روح الانسان جسم لطيف لا يفنى بخراب البدن ولا يتوقف على البدن ادراكه وتلذذه (قوله وفيما ذكر كرامات) أي حاصلة باخباره عن وقت موته وفتح عينيه وكلامه بعد تحقق موته (قوله ومسح يده الخ) هذه الكرامة جارية على قدم عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام (قوله لكان) أي لان ذلك من جملة الممكنات التي هي تحت قبض قدرته تعالى (قوله يصلي والغمام فوق رأسه)

وأوقدنا من هيئنا الحطب فقال) لنا (افعلوا فطلبنا النار من الحسن وأوقدنا) هابالحطب (وكان معنا الخبز فأخرجنا) ه
(تأكل فقال واحد منا ما أحسن هذا الجمر) الذى حصل من الحطب الموقود (لو كان لنا لحم نشويه عليه فقال ابراهيم بن ادهم
انّ الله تعالى لقادر على ان يطعمكموه قال فبينا نحن كذلك اذا بأسد يطرد أيلا) بفتح الهمزة وكسرها وتشديد الياء الذكر من
الاوعال قاله الجوهرى (فلما قرب منا وقع فاندقت عنقه) ولم يصل الى حركة المذبوح وفى نسخة ومدّ عنقه (فقام ابراهيم بن
أدهم وقال اذبحوه فقد اطعمكم الله تعالى فذبحناه وشوينا من لحمه والاسد واقف ينظر الينا) الكرامة فى ذلك انهم لما تمنوا
من الله ان يأتيهم بلحم يشوونه ويأكلونه أتاهم الله تعالى به على الوجه المذكور (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت ابا القاسم
عبد الله بن على الشجرى يقول سمعت حامدا الاسود يقول كنت مع ابراهيم الخوّاص فى البادية سبعة أيام على حالة واحدة)
لم نطعم فيها شيأ (فلما كان اليوم السابع ضعفت فجلست فالتفت الىّ وقال) لى (مالك فقلت ضعفت فقال) لى (ايما اغلب عليك)
وفى نسخة أحب اليك (الماء أو الطعام فقلت الماء فقال) لى (الماء وراءك فالتفت فاذا عين ماء كاللبن الحليب فشربت وتطهرت)
منه (وابراهيم ينظر) الىّ (ولم يقربه فلما أردت القيام هممت ان أحمل منه) شيأ (فقال) لى (امسك) يدك عنه (فانه ليس مما يتزود
منه) الكرامة فيه خروج الماء ببركة الخوّاص لكنه تستر فانه لم يدع ولم يضرب برجله الارض واتمادعا فى نفسه ثم قال لحامد
الماء وراءك وفى آخر كلامه اشارة الى ان هذا الماء ليس من ماء الدنيا (سمعت أبا عبد الله بن عبد الله يقول سمعت أبا عبد الله
الدباس البغدادى يقول سمعت فاطمة اخت أبى على الروذبارى تقول سمعت زيتونة خادمة أبى الحسين النورى وكانت تخدمه
وخدمت أبا حمزة والجنيد قالت كان) ١٨٤ اى وجد (يوم بارد فقلت للنورى أحمل اليك شيأ فقال نعم فقلت) له (ايش تريد) ان
أحمل لك (فقال) لى مرادى (خبز
ولبن) لو قال خبزا ولبنا كان أولى
(فحملت) له ذلك (وكان بين يديه
فحم وكان يقلبها بيده وقد اشتغلت
يده) بسواد الفحم (فأخذ يأكل
الخبز واللبن يسيل على يده وعليها
سواد الفحم فقلت فى نفسى ما اقذر أولياءك يارب ما فيهم أحد نظيف قالت فخرجت من عنده فتعلقت بى امرأة وقالت) فى
لى (سرقت لى رزمة ثياب) وجمعت على جماعة (وجروني الى الشرطى فأخبر النورى بذلك فخرج وقال للشرطى لاتتعرضوا لها
فانها ولية من أولياء الله تعالى فقال) له (الشرطى كيف اصنع والمرأة تدعى) عليها (قال فجاءت جارية ومعها الرزمة المطلوبة
فاسترد النورى المرأة وقال لها تقولين بعد هذا ما اقذر أولياءك قالت فقلت قد تبت) الى الله تعالى فى ذلك كرامة لها وله امالها
فتعجيل أدبها فى الدنيا على ما قالت واما له فكاشفته لما قالت (سمعت محمد بن عبد الله الشيرازى يقول سمعت محمد بن فارس الفارسى
يقول سمعت أبا الحسن خيرا النساج يقول سمعت الخوّاص يقول عطشت فى بعض اسفارى وسقطت من العطش فاذا أنا بماء رش
على وجهى ففتحت عينى فاذا) أنا (برجل حسن الوجه راكب دابة شهباء فسقانى الماء وقال) لى (كن رديفى) فكنت رديفه
(وكنت بالحجاز فالتفت الايسيرا فقال لى) الرجل (ماترى فقلت ارى المدينة فقال انزل) وادخلها (واقرئ رسول الله صلى الله عليه
وسلم منى السلام وقل) له (أخوك الخضر يقرئك السلام) فى ذلك كرامات منها تخليص الخوّاص من شدة عطشه ببركة الخضر وارادفه
واكرامه له وطى الارض وفيه اشارة الى ان الخضر نبى وهو ما جزم به ابن الصلاح وأقره عليه النووى ورجحه الجمهور وقيل انه ولى
(سمعت الشيخ اباعبد الرحمن السلمى يقول سمعت محمد بن الحسن البغدادى يقول قال أبو الحديد سمعت المظفر الجصاص يقول
كنت أنا ونصر الخراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيأ من العلم فقال الخراط ان الذاكر لله تعالى فائدته فى أول ذكره ان يعلم ان الله تعالى
ذكره فبذكر الله) له (ذكره) هو (قال فخالفته) فى ذلك (فقال لو كان الخضر عليه السلام ههنا لشهد) لى (بصحته قال فاذا نحن بشيخ
يجيء بين السماء والارض) طائرا فى الهواء (حتى بلغ الينا وسلم) علينا (وقال صدق) الخراط (الذاكر لله تعالى بفضل ذكر الله له

أى فكان على قدم محمدى وطريق احمدى رضى الله عنه (قوله ولم يصل الى حركة المذبوح) أى بل كان فيه حياة مستقرة والا لما حل أكله لكونه ميتة (قوله ليس من ماء الدنيا) اى فوجوده من نواقض العادة كرامة له (قوله لو قال خبزا ولبنا الخ) أى بنصبه بفعل محذوف فيكون انص على مراده منه بخلافه على الرفع (قوله فتعجيل ادبها الخ) اى ويشهد له خبر اذا احب الله عبدا عجل له العقوبة فى الدنيا (قوله وفيه اشارة الخ) لعلها

ذكره) هو (فعلمنا) بذلك (انه الخضر) وبذلك علم ان الخراط اعلم ممن خالفه وبما قاله مع قوله تعالى فاذكروني اذكركم يعلم ان الله تعالى يذكر الذاكر قبل ذكره وبعده يذكره قبله باقداره له عليه وبعده بايصال فضله ورحمته اليه (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول جاء رجل الى سهل بن عبد الله وقال ان الناس يقولون انك تمشي على الماء فقال) سترا لحاله (سل مؤذن المحلة فانه رجل صالح لا يكذب قال فسألته فقال له المؤذن لا ادري هذا ولكنه كان في بعض هذه الايام نزل الحوض ليتطهر) فزلق (فوقع في الماء ولو لم أكن انا) هنالك (لبقي فيه قال الاستاذ أبو علي ان سهلا كان بتلك الحال الذي وصف به) من انه يمشي على الماء (ولكن الله تعالى يريد ان يستر أولياءه فاجرى ما وقع من حديث المؤذن والحوض سترا لحال سهل وسهل كان صاحب الكرامات وفي قريب من هذا المعنى) أي من ستر الولي حاله (ما حكي عن أبي عثمان المغربي) وقد (رأيته بخط أبي الحسين الجرجاني رضي الله عنه قال أردت مرة ان أمضي) واعدي (الى مصر) لحاجة لي (فخطر لي ان اركب السفينة ثم خطر ببالي اني أعرف هنالك فخفت الشهرة) فتركت الركوب (في المركب فبدا لي) ان امضي اليها (فمشيت على الماء ولحقت بالمركب ودخلت السفينة والناس ينظرون ولم يقل أحد) منهم (ان هذا ناقض) أي خارق (للعادة او غير ناقض) لها (فعرفت ان الولي مستور وان كان مشهورا) وذلك من فضل الله وكرمه (ومما شاهدنا من أحوال الاستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله معاينة انه كانت به علة حرق البول وكان يقوم في ساعة غير مرة حتى كان يجدد الوضوء غير مرة لركعتي فرض وكان يحمل معه قارورة في طريق المجلس) أي مجلس التكلم والوعظ (وربما كان يحتاج اليها في الطريق مرات ذاهبا وجائيا وكان اذا قعد على رأس الكرسي يتكلم لا يحتاج الى الطهارة ولو امتد به المجلس زمانا طويلا وكنا نعاين ذلك منه سنين ولم يقع لنا في حياته ان هذا ١٨٥ شئ ناقض للعادة وانما وقع لي هذا وفتح على عمله بعد وفاته وفي قريب من هذا ما يحكى عن سهل بن عبد الله انه كان قد أصابته زمانة في آخر عمره فكان ترد عليه القوة في أوقات الفرض فيصلي قائما ومن المشهور ان عبد الله الوزان كان مقعدا وكان في السماع اذا ظهر به

٢٤ يج ع

وجد يقوم) ويستمع في كل من هذه الحكايات الثلاث كرامة وعون لصاحبها على مطلوبه ودلالة على صدقه في طاعة الله (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول حدثنا ابراهيم بن محمد المالكي قال حدثنا يوسف بن أحمد البغدادي قال حدثنا أحمد بن ابي الحواري قال حججت أنا وأبو سليمان فبينا نحن نسير اذ سقطت السطيحة) أي القربة (مني فقلت لابي سليمان فقدت السطيحة وبقينا بلا ماء وكان) اذ ذاك (برد شديد فقال أبو سليمان يا راد الضالة ويا هادي من الضلالة اردد علينا الضالة فاذا واحد ينادي من ذهبت له سطيحة قال فقلت أنا فاخذتها) منه هذه كرامة اجابة دعاء أبي سليمان (فبينا نحن نسير وقد تدرعنا بالفراء من شدة البرد فاذا نحن بانسان عليه طمران) أي ثوبان خلقان (وهو يترشح عرقا) هذه كرامة له حيث لا يبالي بحر ولا برد لكمال شغله بربه (فقال) له (أبو سليمان تعال حتى ندفع اليك شيأ مما علينا من الثياب فقال يا أبا سليمان اتشير الى الزهد و) انت (تجد البرد انا أسيح في هذه البرية منذ ثلاثين سنة ما انتفضت ولا ارتعدت) من البرد بل (يلبسني) الله (في البرد فيحا) أي ريحا (من محبته ويلبسني في الصيف مذاق برد محبته ومر) الى حال سبيله والحر والبرد عارضان على الاجسام اذا أراد الله ان يخلقهما خلقهما واذا أراد أن يصرفهما صرفهما وقد يتعود جسم انسان يلبس قميص واحد فيستوي حاله في الحر والبرد والله لطيف بمن يشاء فيما يشاء (وسمعته) أيضا (يقول سمعت أبا بكر محمد بن علي البكري يقول سمعت محمد بن عبد الله الكتاني بمكة يقول سمعت الخواص يقول كنت في البادية مرة فسرت في وسط النهار فوصلت الى شجرة وبالقرب منها ماء فنزلت فاذا أنا بسبع عظيم) قد (أقبل) على (فاستسلمت) اى انقدت له (فلما قرب مني اذا هو يعرج فحمحم) اى صوت لطلب ما ينفعه يقال حمحم الفرس اذا صوت لطلب علفه (وبرك بين يدي

في قوله وقل له اخوك الخضر الخ (قوله وبما قاله) أي الخضر مع قوله تعالى فاذكروني اذكركم فذكر الحق قبل الذكر وبعده بالاقدار للعبد وايصال الفضل اليه (قوله ولم يقل أحد الخ) اى فيعلم منه ان الحق قد يمنع وليه عن اسباب الشهرة بدون كسب منه (قوله لا يحتاج الى الطهارة الخ) أي لطفا به وحفظا لوظائفه عن الضياع (قوله يلبسني الله الخ) محصله انه يجد بعوراض محبته لله تعالى ما يشغله عن البرد والحر بتدبير الهي فلا يتأثر بغير ما هو بصدده لطفا به وفضلا وحفظا لوقته (قوله وقد يتعود

(ووضع يده في حجري) كأنه يشكي مابه (فنظرت فاذا يده منتفخة فيها قيح ودم فأخذت خشبة وشققت الموضع الذي فيه القيح واخرجته منه (وشددت على يده خرقة) فوجد بذلك راحة (فمضى فاذا انا به بعد ساعة ومعه شبلان) بكسر المعجمة واسكان الموحدة اى ولدان له كأنه اتى بهما اليه ليرجو ابهما البركة منه قال (فبصبصا) اى حركا ذنبيهما (لى وحملا الى رغيفا) وفى نسخة رغيفين مجازاة لما فعلت مع ابيهما وفى ذلك دلالة على ان الحيوانات العجم تعرف المصالح والمفاسد ومن يكرمها ومن يؤذيها الا انها غير مكلفة وهذا الرغيف يمكن انه سقط من بعض الناس اوانه اتى به ولى او ان الله انشأه كل ذلك عبرة للخواص وآية لربه فى افعاله (وسمعته) ايضا (يقول حدثنا احمد بن على السائح قال حدثنا محمد بن عبد الله بن مطرف قال حدثنا محمد بن الحسن العسقلانى قال حدثنا احمد بن أبى الحوارى قال اشتكى) اى مرض (محمد بن السماك فأخذنا ماءه) يعنون بوله (وانطلقنا به الى طبيب نصرانى فبينما نحن نسير بين الحيرة والكوفة استقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب) هو الخضر كما سيأتى (فقال لنا الى اين تمرون فقلنا نريد فلانا الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال) لنا (سبحان الله تستعينون على) شفاء (ولى الله بعدو الله اضربوا به الارض وارجعوا الى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا الى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ما قاله الرجل) له (فعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام) فى ذلك دلالة على ان العبد ينبغى له ان يتداوى اولا بذكر الله اونبيه فيه الشفاء كما قال الله تعالى فيه شفاء للناس ورحمة للمؤمنين وقال النبى صلى الله عليه وسلم شفاء امتى فى ثلاث آية من كتاب الله اولعقة من عسل أو شرطة من حجام ونبه ايضا انه تعالى لم يرض لعبده ان يتداوى بعدوه والكرامة فيه ظهور الخضر ورؤيته وانه حى واستجابة دعاء ابن السماك فى الحال (سمعت محمد بن الحسين يقول سمعت عبد الرحمن ابن محمد الصوفى يقول سمعت عمى البسطامى يقول كنا قعودا فى مجلس ابى يزيد) البسطامى عنده (فقال) ابو يزيد مكاشفة (قوموا بنا نستقبل وليا من اولياء الله تعالى فقمنا وانما معه فلما بلغنا الدرب فاذا ابراهيم بن شيبة الهروى فقال له ابو يزيد وقع فى خاطرى ان استقبلك واشفع لك الى ربك) يعنى استغفر لك فيه اظهار انه كاشفه وانه اهل لان ينال الله فيه ويشفع له (فقال) له (ابراهيم بن شيبة) وما الذى حصل له بذلك (ولو شفعت فى جميع الخلق لم يكن بكثير) اى عظيم (انما هم قطعة طين فتحير ابو يزيد من جوابه وكرامة ابراهيم فى استصغار ذلك) الذى اظهره له ابو يزيد بالنسبة اليه (اتم من كرامة ابى يزيد فيما حصل له من الفراسة و) فيما (صدق له من الحال فى باب الشفاعة) والاستغفار ولا يخفى ان الشفاعة فى جميع الخلق خاصة بنبينا صلى الله عليه وسلم وعلى هذا فكرامة ابى يزيد اتم (سمعت الشيخ ابا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت ابا بكر الرازى يقول سمعت يوسف بن الحسين يقول سمعت ذا النون المصرى يقول وقد سأله سالم المغربى عن اصل توبته فقال خرجت من مصر الى بعض القرى فنمت فى الطريق فانتبهت وفتحت عينى فاذا انا بقنبرة) بضم القاف وفتح الباء (عمياء سقطت من شجرة على الارض فانشقت الارض فخرج منها سكرجتان احداهما من ذهب والاخرى من فضة وفى احداهما سمسم وفى الاخرى ماء ورد فاكلت من هذه وشربت من هذه) رزقها الله ذلك مع انها لا تستطيع حيلة فى الرزق (فقلت حسبى) اى كفانى ذلك قد (تبت ولزمت الباب الى ان قبلنى) ربى اطلعه ربه على هذه الخوارق تقوية ليقينه وتوكله وكمالا لشغله بربه واعراضا عما سواه (وقيل اصاب عبد الواحد بن زيد فالج فدخل وقت الصلاة واحتاج الى الوضوء فقال من ههنا فلم يجبه احد فخاف فوت الوقت فقال يارب احللنى من وثاقى حتى اقضى طهارتى ثم شأنك وامرك) وفى نسخة بأمرك (قال فصح) من فالجه

186

الخ) هو مشاهد محسوس (قوله وفى ذلك دلالة على ان الحيوانات الخ) أقول غير بعيد حيث هو من الممكن (قوله استقبلنا رجل الخ) ذلك من التسخير الالهى اكراما للمريض واطفا به (قوله فى ذلك دلالة على ان العبد الخ) أى لما يلزم من مراعاة الاهم فالاهم والافضل فالافضل كما هو واضح (قوله وكرامة ابراهيم فى استصغار ذلك) أى حيث نظر الى سعة رحمة ربه وفضله وان العباد بما يقترحون لاشئ بالنسبة لذلك الفضل والكرم وذلك من قوة الرجاء فى جانب الحق تعالى (قوله فكرامة أبى يزيد أتم) اى لانها من النفس المحمدى والقدم الاحمدى (قوله يقول وقد سأله سالم الخ) تقدمت هذه القصة

(حتى اكمل طهارته ثم عاد الى فراشه وصار كما كان) الكرامة فيه ظاهرة (وقال ابو ايوب الجمال كان ابو عبد الله الديلى اذا نزل منزلا فى سفر عمد الى حماره وقال فى اذنه كنت اريد ان أشدك فالآن لا أشدك وارسلك فى هذه الصحراء لتأكل الكلأ فاذا اردنا الرحيل فتعال فاذا كان وقت الرحيل يأتيه الحمار) كما قال له فى اذنه فيه كرامات له ظاهرة ودلالات على صدق همته وتعلق قلبه بمولاه فى اصلاح دابته ورفع الشغل عن قلبه بتكليف مؤنته (وقيل زوج أبو عبد الله الديلى ابنته واحتاج الى ما يجهزها به وكان له) من نسيجه كل وقت من أوقاته المعتادة له (ثوب يخرج به كل وقت) من تلك الاوقات (فيشترى) منه (بدينار فخرج له) من نسيجه عند ارادته تجهيز ابنته (ثوب فقال له البياع) أى السمسار لمريدى الشراء وفى نسخة البائع (انه يساوى أكثر من دينار فلم يزل) الاول (يزالوا) (يزيدون فى ثمنه حتى بلغ مائة دينار) بارك الله له فى ثمنه عونا له على مراده الدينى (فجهزها) بها (وقال النضر بن شميل ابتعت ازارا) لاتزر به (فوجدته قصيرا فسألت ربى ان يمغط) بالغين المعجمة (لى ذراعا ففعل أى) سألته أن (يمد) لى ذراعا فمده لى والمغط مأخوذ (من مغط القوس وهو مده قال النضر بن شميل ولو استزدته) فى المد على ذراع (لزادنى) هذا من زيادة البركة فى الاجرام وماقبله من زيادتها فى الاثمان وذلك كله من خوارق العادات يكرم الله به أولياءه عند الحاجات (وقيل كان عامر بن عبد القيس سأل ان يهون الله عليه طهوره) أى ما يتطهر به من الماء (فى الشتاء) فاجابه الله (فكان يؤتى به وله بخار) من سخونته بغير تسخين بنار (وسأل ربه ان ينزع شهوة النساء من قلبه) فاجابه (فكان) ١٨٧ بعد ذلك (لايبالى بهن) أى لايميل اليهن (وسأله ان يمنع الشيطان) أى وسوسته (من قلبه وهو فى صلاته فلم يجبه اليه) اجابه الى الاولين عونا له على طاعته ومنعه الثالث لانه أخبر ان الشيطان يوسوس فى صدور الناس غير انه حفظ عباده من وسوسته بان لا يقبلوها فقال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أى سلطان القبول (وقال بشر بن الحرث دخلت الدار فاذا انا برجل فقلت من انت) حتى (دخلت دارى بغير اذنى فقال) انا (أخوك الخضر فقلت) له (ادع الله لى فقال) لى (هون الله عليك طاعته فقلت) له (زدنى فقال وسترها عليك) خشية من الرياء فى أظهارها (وقال ابراهيم الخواص دخلت خربة فى بعض الاسفار فى طريق مكة بالليل فاذا فيها سبع عظيم فخفت) منه (فهتف بى هاتف اثبت) ولاتخف (فان حولك سبعين ألف ملك يحفظونك) فيه دلالة على ان الله تعالى يحفظ أولياءه بصرف الشر عنهم وبملائكة يحرسونهم (أخبرنا محمد بن الحسين قال أخبرنا أبو الفرج الورثانى قال سمعت أبا الحسن على ابن محمد الصيرفى يقول سمعت جعفرا الديلى يقول دخل النورى الماء) ليتطهر وترك ثيابه خارج الماء (فجاء لص فاخذ ثيابه ثم انه) بعد ان مشى بها (جاء ومعه الثياب ووضعها مكانها) (وقد جفت يده) أى يبست وتعطلت بسبب بيسها الذى هو سبب لجيئه بالثياب (فقال النورى) مكاشفا له بما أصابه يارب (قد رد علينا) اللص (الثياب فرد عليه يده فعوفى) بردها (وقال الشبلى اعتقدت وقتا) أى عزمت فى وقت على (ان لا آكل الا من الحلال فكنت أدور فى البرارى فرأيت شجرة تين فمددت يدى اليها لآكل) منها التين انها الامالك لها (فنادتنى الشجرة احفظ) عليك (عقدك) أى عزمك (لاتأكل منى فانى ليهودى) وهو لايصحبك لعداوة الدين بينك وبينه فلا يحب اكرامك بالاكل من ماله وفى ذلك زيادة ورع فانه لو أكل ولم يعلم الحال لم يأثم (وقال أبو عبد الله بن خفيف دخلت بغداد قاصدا الى) مكة لاجل (الحج وفى نفسى نخوة الصوفية) أى كبرهم وعظمتهم على غيرهم وقدرتهم على وصال القوم

وانما أعيدت تأكيدا ولمناسبة المقام (قوله الكرامة فيه ظاهرة) أى وهى اجابته فى طلبته حفظا لوقته (قوله فيه كرامات) أى حيث أكرمه الحق تعالى بكفايته مؤنة الحمار وحفظه له ورده عليه فى وقت حاجته اليه وربك على كل شئ قدير (قوله بارك الله له الخ) أى وذلك لحسن قصده ومشروعية سعيه وحكم الضد بالضد (قوله ولو استزدته الخ) اقول غير بعيد حيث وقع مد الخشب والانة الحديد فكل ممكن فى قبضة قدرة الحق تعالى (قوله لانه اخبر الخ) اى وخبره لايتخلف فلعله وقت الطلب غفل عن ذلك والا لما صدر منه طلبه (قوله فقال وسترها عليك الخ) اى سترعنك استحسانها ورؤيتها خيرها خشية من الوقوف مع ذلك الذى هو رياء العارفين بالله تعالى (قوله يحفظ أولياءه) أى زيادة عن غيرهم والا فحفظه تعالى شامل لكافة خلقه والا لما استقام والحظة على صفة الوجود (قوله فقال النورى الخ) أى قاله رحمة باللص لانه تقدم ان من جملة أمارات الولى عموم

(ن) لهذا (لم آكل الخبز اربعين يوما ولم ادخل على الجنيد) أى لم أزره (وخرجت ولم أشرب الماء الى) ان وصلت الى (زبالة) بضم الزاى موضع (وكنت) فى هذه المدة (على طهارتى فرأيت) فى طريق (ظبيا على رأس البئر وهو يشرب) من مائها (وكنت عطشان فلما دنوت من) وفى نسخة الى (البئر ولى الظبى نافرا (واذا الماء) صار (فى أسفله) الاولى أسفلها أى البير فمشيت فى الطريق (وقلت ياسيدى مالى) عندك (محل هذا الظبى) أى منزلته فى ان أشرب الماء من أعلى البئر كما شرب هو وفى هذا ادلال والتفات الى رؤيته مقام (فسمعت هاتفا من خلفى) يقول (جربناك) بذلك (فما صبرت) بل طلبت (أرجع) الى ما طلبته (وخذ الماء فرجعت فاذا البئر ملأى ماء فملأت ركوتى وكنت أشرب منه وأتطهر) منه (الى) ان وصلت الى (المدينة الشريفة (ولم ينفد) اى الماء اى لم يفرغ (ولما استقيت) من البئر وملأت ركوتى منها ووقع فى سرى الظبى شرب بلا ركوة ولا حبل وأنت انما تشرب بهما (سمعت هاتفا يقول ان الظبى جاء بلا ركوة ولا حبل وأنت جئت مع الحبل والركوة فلما رجعت من الحج دخلت الجامع) يوم الجمعة (ومضيت الى الجنيد (فلما وقع بصر الجنيد على قال) مكاشفا الى بما جرى لى مع الظبى (لو صبرت) ولم تطلب مافعله الله مع الظبى (لنبع الماء من تحت رجلك) وفى نسخة رجليك (لو صبرت صبر ساعة صبر ساعة) نبع الماء من تحت رجلك هو تأكيد لما قبله وفى نسخة صبر ساعة بلا تكرار ولو يحتمل ان تكون شرطية كما تقدم وان تكون للتمنى فلا يحتاج الى جواب (سمعت حمزة بن يوسف السهمى الجرجانى يقول سمعت أبا أحمد بن على الحافظ يقول سمعت أحمد بن حمزة بمصر ١٨٨

يقول حدثنى عبد الوهاب وكان من الصالحين قال قال محمد بن سعيد البصرى بينا انا امشى فى بعض طرق البصرة اذ رأيت اعرابيا يسوق جملا) فوقه رحل وقتب (فالتفت فاذا الجمل وقع ميتا ووقع الرحل والقتب) اللذان فوقه (فمشيت ثم التفت فاذا الاعرابى يقول يا مسبب كل سبب ويا مولى) وفى نسخة ويا مأمول (من طلب رد على ماذهب من جمل يحمل الرحل والقتب واذا الجمل قائم والرحل والقتب فوقه) هذه على كرامة احياء الموتى (وقيل ان شبلا المروزى اشتهى) يوما (لحما فاخذ بنصف درهم فاستلبته منه حدأة) بوزن عنبة (فدخل شبل مسجدا يصلى) فيه (فلما رجع الى منزله قدمت امرأته اليه لحما فقال) لها (من اين هذا) اللحم (فقالت له تنازعت حدأتان فسقط هذا منهما) فى دارنا ووصفته له فعرف انه لحمه وان الحدأة لما اخذته رأته حدأة اخرى فنازعتها فسقط اللحم منهما اذ لو لم يعرف ان لحمه لوجب تعريفه لكونه لقطة (فقال الحمد لله الذى لم ينس شبلا وان كان شبل كثيرا ينساه) الكرامة فيه من حيث ان الله حفظ عليه قوته وقوت عياله عند الحاجة اليه (أخبرنا محمد بن عبد الله الصوفى قال حدثنا عبد الواحد بن بكر الورثانى قال سمعت محمد بن داود يقول سمعت ابا بكر بن معمر يقول سمعت ابن أبى عبيد البسرى يحدث عن أبيه انه غزا سنة من السنين فخرج فى السرية فمات المهر الذى كان تحته وهو فى السرية فقال يارب اعرناه الى بسرى يعنى قريته فاذا المهر) قد (قام فلما غزا ورجع الى بسرى قال) لابنه (يابنى خذ السرج عن المهر فقلت له انه) قد (عرق فان اخذت السرج عنه داخله الريح فقال) له (يابنى انه عارية قال فلما اخذت السرج عنه وقع المهر ميتا) الكرامة فيه احياء الميت بالدعاء الصادق عند الضرورة (وقيل كان بعضهم نباشا للقبور (فتوفيت امرأة فصلى الناس عليها وصلى) عليها (هذا النباش ليعرف القبر) فيأخذ كفن صاحبه (فلما جن عليه الليل) أى اظلم (نبش قبرها) ليأخذ كفنها (فقالت) له تعجبا (سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن مغفورة) أى مغفور لها (قال هبى انك مغفور لك فأنا مغفور لى (من اين فقالت) له (ان الله غفر لى ولجميع من صلى على وأنت قد صليت على فتركتها ورددت التراب عليها

رحمته وشفقته وتحمله الاذى (قوله وهو لا يحبك الخ) أى وطعام من لا يحبك يضرك بشهادة خبر طعام اللئيم داء وطعام الكريم شفاء (قوله وفى هذا ادلال الخ) أى لانه فى وقت ذلك كان بتجليه الجمال والادلال على أدب الكمال (قوله وأنت انما تشرب بهما) ليس المراد ذم الاخذ بالاسباب حيث هو لازم بل ذم التعلق بها والمكون اليها (قوله هذه كرامة احياء الموتى) أى على طريق القدم العيسوى لتأكيد جامعية سيد الكل المتفرق فى خواص العباد من انواع الكرامات ونواقض العادات (قوله الحمد لله الذى لم ينس شبلا) أى لم يتركه محتاجا وان كان شبل ينساه اى يغفل عنه بعروض مايجوز فى حقه (قوله الكرامة فيه احياء الميت) اى وعلمه ان حياته انما تكون الى ان يصل بسرى

ثم تاب الرجل وحسنت توبته) هذه كرامة سماع كلام الميت في قبره وهي كرامة للنباش لانها سبب توبته وسلامته مما قصده (سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا الحسن اسمعيل بن عمرو بن كامل بمصر يقول سمعت أبا محمد نعمان بن موسى الحيرى بالحيرة يقول رايت ذا النون المصرى وقد تقاتل اثنان احدهما) جندى (من أولياء السلطان والآخر من الرعية فعدا الذى من الرعية عليه فكسر ثنيته فتعلق الجندى بالرجل) الذى من الرعية (وقال بيني وبينك الامير فجاز وابذى النون فقال لهم الناس اصعدوا الى الشيخ) ذى النون (فصعدوا اليه فعرفوه ماجرى فاخذ السن ثم بلها بريقه وردها الى فم الرجل في الموضع الذى كانت فيه وحرك شفتيه) بالدعاء بثباتها (فتعلقت) وثبتت (باذن الله فبقى الرجل يفتش فاه فلم يجد) هو ولا من حضره (الاسنان الاسواء) صرف الله السوء عنهما جميعا ببركة الشيخ وحسن دعائه وكمال همته (أخبرنا أبو الحسين محمد بن الحسين القطان ببغداد قال حدثنا أبو على اسمعيل بن محمد بن اسمعيل الصفار قال حدثنا الحسن بن عرفة بن يزيد قال حدثنا عبد الله بن ادريس الاودى عن اسمعيل بن أبي خالد عن ابي سبرة النخعى قال اقبل رجل من اليمن فلما كان في بعض الطريق نفق) أى مات (حماره فقام وتوضأ وصلى ركعتين ثم قال اللهم انى) قد (جئت مجاهدا في سبيلك ابتغاء مرضاتك واشهد انك تحيي الموتى وتبعث من في القبور لا تجعل لاحد على منة اليوم اطلب منك ان تبعث حمارى فقام الحمار) وهو (ينفض اذنيه) في ذلك كرامة احياء الموتى ودلالة على ان الله يبعث من في القبور لسؤال منكر ونكير وأما يوم الحشر فالميت ينشأ نشأة أخرى بعد ما تتفرق اجزاؤه وتصير ترابا ودودا وغيرهما كما قال تعالى لابراهيم عليه السلام ثم ادعهن يأتينك سعيا (سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت أبا بكر النابلسى يقول سمعت أبا بكر الهمدانى يقول بقيت في برية الحجاز اياما لم آكل شيأ فاشتهيت باقلا حارا وخبزا ١٨٩ من باب الطاق) موضع بالعراق (فقلت) في نفسي (انا في البرية وبيني وبين العراق مسافة بعيدة فلم اتم خاطرى الا واعرابي من بعيد ينادى يا باقلا حار وخبز فتقدمت اليه فقلت عندك باقلا حار وخبز فقال نعم وبسط مئزرا كان عليه وأخرج باقلا حارا وخبزا وقال لى كل فأكلت ثم قال) لى (كل فأكلت ثم قال كل فأكلت فلما قال لى في الرابعة) كل (قلت بحق الذى بعثك الى الا ما قلت لى من أنت فقال انا الخضر وغاب عنى فلم أره) في ذلك كرامتان رؤيته الخضر واتيانه بما يحتاجه خارقا للعادة لانه كان بموضع خال عن ذلك (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا العباس بن الخشاب البغدادى يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت ابا جعفر الحداد يقول جئت الثعلبية وهو خراب ولى سبعة ايام لم آكل شيأ فدخلت القبة وجاء قوم خراسانيون اصابهم جهد) أى مشقة من الجوع (فطرحوا أنفسهم على باب القبة فجاء اعرابى على راحلته) وكان واماالله (وصب تمرا بين ايديهم فاشتغلوا بأكل) منه (ولم يقولوا لى شيأ ولم يرنى الاعرابى فلما كان بعد ساعة) سار فيها اميالا (فاذا بالاعرابى جاء اليهم (وقال لهم) هل (معكم غيركم فقالوا نعم) معنا (هذا الرجل داخل القبة فدخل) الى (الاعرابى وقال ايش انت لم تتكلم حين جئت الى هنا فقد (مضيت) من هنا (فعارضنى انسان فقال لى قد خلفت انسانا لم تطعمه ولم يمكنى ان أمضى) ولم اطعمك (فقد طولت على الطريق) واتعبتنى (لانى رجعت عن اميال) سرتها (وصب بين يدى تمرا كثيرا ومضى فدعوتهم فأكلوا وأكلت) معهم في ذلك من الكرامة لابى جعفر رجوع الاعرابى اليه بعد اميال وايثاره مع الحاجة فانه لما جعل التمر بين يديه دعا القوم فأكلوا معه ولم يأكل وحده كما فعلوا به (سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت ابا طاهر الرقى يقول سمعت أحمد بن عطاء يقول كنت في جمل في طريق مكة فرأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت اعناقها) للسير (في الليل فقلت) تعجبا (سبحان من يحمل عنها ما هى فيه فالتفت الى جمل) منها (وقال) وفي نسخة فقال (قل جل الله فقلت جل الله)

على موافقة ماطلبه (قوله هذه كرامة سماع كلام الميت) انظر وتدبر عناية ربك كيف يتفضل على العبيد في حالة ملابسة الجرائم وارجع اليه فانه يقبل توبة التائبين ويرحم فهو أرحم الراحمين (قوله ببركة الشيخ الخ) اى فكان هذا الشيخ ممن يرحم الله بهم اهل الارض (قوله ودلالة على ان الله يبعث من في القبور) اى لانه لا يزيد على هذا الواقع حيث الكل من الممكن مع صدق الخبر بذلك (قوله ولم يقولوا لى شيأ الخ) لعل حكمة ذلك اظهار كرامة ابى جعفر والا فشلهم يبعد في حقهم الشح بما وجدوا على مثل هذا

الكرامة فيه كلام الحيوانات العجم وتقدم مثلها (سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول سمعت الحسن بن احمد الفارسي يقول سمعت الرقي يقول سمعت ابا بكر بن معمر يقول سمعت ابا ذرعة الجنبي يقول مكرت بي امرأة فقالت) لي (الا تدخل الدار فتعود مريضا) فيها (فدخلت فاغلقت الباب) علي (ولم أر احدا) فيها (فعلمت ما فعلت فقلت اللهم سودها فاسودت فتحيرت) في أمرها (ففتحت الباب فخرجت وقلت اللهم ردها الى حالها فردها الى ما كانت عليه) هذا يشبه ما جرى لامرأة العزيز مع يوسف عليه السلام فعصمه الله منها برؤية البرهان من ربه والبرهان هنا سواد المرأة وفي ذلك كرامة له باجابة دعائه في الحال (سمعت حمزة بن يوسف يقول سمعت ابا محمد الغطريفي يقول سمعت السراج يقول سمعت أبا سليمان الرومي يقول سمعت خليلا الصياد يقول غاب ابني محمد فوجدنا عليه وجدا شديدا فاتيت معروفا الكرخي فقلت) له (يا ابا محفوظ غاب ابني وامه واجدة) معي (عليه) وجدا شديدا (فقال) لي (ما تشاء) أي تريد مني ١٩٠ (فقلت) له (ادع الله) لنا (ان يرده) علينا (فقال اللهم ان السماء سماؤك والارض ارضك وما بينهما لك ائت بمحمد قال خليل) الصياد (فاتيت باب الشام فاذا هو واقف) عنده (فقلت له (يا محمد) اين كنت (فقال) لي (يا ابت كنت الساعة بالانبار) فاحضرني الله الى هنا في الحال (قال الاستاذ أبو القاسم) القشيري (رضي الله عنه واعلم ان الحكايات في هذا الباب تربي) أي تزيد (على الحصر والزيادة على ما ذكرناه تخرجنا عن المقصود من الايجاز (وفيما ذكرناه مقنع) أي رضا يقنع به (في هذا الباب) وقد حصل فيه من الكرامات ما يفيد العلم بوقوعها فضلا عن جوازها ولا ينكر وقوعها الا أهل الاهواء واما انكار جوازها فمن باب الضلال والعمى

الاستاذ (قوله الكرامة فيه كلام الحيوانات) اى كلامهم بما يشير الى ادب التنزيه له تعالى لان في تعبيره اخلالا به (قوله فقال لي الخ) فيه كرامتان اجابة الدعاء وطي الارض (قوله ما يفيد العلم بوقوعها) اى لتواترها على السنة الثقات والله اعلم

* (باب رؤيا القوم في النوم) *

اعلم ان الرؤيا تنقسم الى رؤيا شيطان واضغاث وهم والى رؤيا ملك وهي المقصودة والمعول عليها وهي قد تكون لاشارة الترغيب او الترهيب ورؤيا الملك هو المقول فيها من طرف الشريعة انها جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة والنوم قد يكون عادة وقد يكون عبادة وسيأتي بيانه في كلام المصنف (قوله يكفي في اثباتها) اى في تحققها في نفسها واثباتها بالدليل (قوله ودخل معه السجن فتيان) اى ادخل يوسف عليه السلام السجن وقد اتفق انه ادخل حينئذ السجن آخران من عبيد ملك مصر صاحب شرابه وخبازه اتهما بانهما يريدان ان يسماه وذلك بواسطة اعداء الملك جعلوا لهم رشوة على سمه فقبل الرشوة الخباز وصدق صاحب الشراب فلما حضر الطعام قال صاحب الشراب للملك لا تأكل فان الطعام مسموم فقال صاحب الطعام لا تشرب فان الشراب ايضا مسموم فامر صاحب الشراب ان يشرب فشرب واطعم الملك دابة من الطعام فهلكت فحبسهما معا (قوله قيل هي الرؤيا الحسنة الخ) ذلك ظاهر لعموم البشرى واصرح الحديث الآتي ذكره في تفسير الآية وقيل هي تنزل الملائكة عليهم ويدل له قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل

* (باب رؤيا القوم في النوم) * يكفي في اثباتها ما نص عليه في قصة يوسف عليه السلام بقوله ودخل معه السجن فتيان الآيات والرؤيا الحسنة ممدوحة (قال الله تعالى لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قيل هي الرؤيا الحسنة يراها المرء وترى له أخبرنا أبو الحسن الاهوازي قال أخبرنا احمد بن عبيد البصري قال حدثنا اسحق بن ابراهيم المنقري قال حدثنا منصور بن ابي مزاحم قال حدثنا ابو بكر بن عياش عن عاصم عن أبي صالح عن ابي الدرداء) رضي الله عنه (قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال صلى الله عليه وسلم) لي (ما سألني عنها احد قبلك هي الرؤيا الحسنة يراها المرء وترى له اخبرنا السيد ابو الحسن محمد بن الحسين العلوي قال اخبرنا ابو علي الحسن بن محمد بن زيد قال حدثنا علي بن الحسين قال حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن يحيى بن سعيد عن ابي سلمة عن ابي قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله تعالى والحلم من الشيطان فاذا رأى احدكم رؤيا يكرهها

فليتفل عن يساره وليتعوذ فانها لن تضره أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكى قال اخبرنا ابو احمد حمزة بن العباس البزار قال حدثنا عباس بن محمد بن حاتم قال حدثنا عبد الله بن موسى قال حدثنا اسرائيل عن ابى اسحق عن ابى الاحوص وابى عبيدة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى) حقا (فان الشيطان لا يتمثل فى صورتى) اى لا يقدر على ان يتمثل فيها اكرامًا له وتشريفًا له صلى الله عليه وسلم (ومعنى) هذا (الخبر ان تلك الرؤيا رؤيا صدق وتأويلها حق وان الرؤيا نوع من انواع الكرامات) وعلامة صحة رؤياه صلى الله عليه وسلم ان من رآه لا يسمع منه ما يخالف ما جاءت به الشريعة بأن يكون له تأويل صحيح عند علماء هذا الفن وحقيقة الرؤيا الحسنة أن يخلق الله فى قلب النائم أو فى حواسه الاشياء كما يخلقها فى اليقظان فربما يقع ذلك فى اليقظة كما رآه وربما جعل ما رآه علما على أمور أخر يخلقها فى ثانى الحال أو كان قد خلقها فتقع تلك كما جعل الله الغيم علامة للمطر ١٩١٠ وهذا أولى من قوله (وتحقيق الرؤيا) أنها (خواطر ترد على القلب وأحوال تتصور فى الوهم) يخلق الله وان حملت الرؤيا فى كلامه على المرئيات ففيه نظر أيضا فان الخواطر انما ترجع الى الاقوال من أمر ونهى واخبار واستخبار على حسب ما يرد على قلب العبد وهو يقظان وأما المرئيات فى النوم فهى صور وأشكال وسواء كانت خواطر أم لا فهى انما تكون (اذا لم يستغرق النوم جميع الاستشعار فيتوهم الانسان عند اليقظة) من نومه (انه) أى ما يرد على القلب مما ذكر (كان رؤية فى الحقيقة) أى واقعا فى اليقظة (وانما كان ذلك تصورا وأوهاما للخلق تقررت فى قلوبهم وحين زال عنهم الاحساس الظاهر) بنومهم (تجردت تلك الاوهام عن المعلومات بالحس والضرورة فقويت تلك الحالة عند صاحبها فاذا استيقظ ضعفت تلك الاحوال التى تصورها بالاضافة الى حال احساسه بالمشاهدات وحصول العلوم الضرورية ومثاله) اى النائم الرائى (كالذى يكون فى ضوء السراج عند اشتداد الظلمة فاذا طلعت الشمس عليه غلبت) أى الشمس أى ضوءها (ضوء السراج فيتقاصر نور) وفى نسخة ضوء (السراج بالاضافة الى ضياء الشمس فمثال حال النوم كمن هو فى ضوء السراج ومثال المتيقظ كمن تعالى عليه النهار فان المستيقظ) من نومه (يتذكر ما كان متصورا له فى حال نومه ثم ان تلك الخواطر والاحاديث) اى الاحوال (التى ترد على قلبه فى حال نومه مرة تكون من قبل الشيطان) فتسمى أحلاما (ومرة عن هواجس النفس) فترجع الى ما يحدث به الرائى فى نفسه فتسمى هاجسا (ومرة تكون بخواطر الملك) فتسمى رؤيا (ومرة تكون تعريفا من الله تعالى بخلق تلك الاحوال فى قلبه ابتداء) فتسمى رؤيا أيضا

تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا الآية (قوله فليتفل عن يساره) اى ان يفعل ذلك ثلاثا من غير اخراج ريق وقوله وليتعوذ اى باى صيغة اراد والافضل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (قوله من رآنى فى النوم) أى بان تمثلت له صورتى فى حال نومه وقوله فقد رآنى حقا اى فما تمثل له من صورتى حق ثابت وقوله فان الشيطان الخ تعليل له (قوله وعلامة صحة رؤياه الخ) المراد تقييد ما ظهر من الحديث بانه مخصوص بمن رآه وسمع منه ما يوافق حكم ظاهر الشرع لا مطلقا (قوله الاشياء) اى أمثلتها (قوله علما) اى أمارة (قوله فى ثانى الحال) أى فى المستقبل من الزمان (قوله وهذا أولى الخ) اى لايهام تعبيره أن الخواطر مطلقا هى حقيقة الرؤيا وليس كذلك اذ حقيقتها ما قدمه الشارح (قوله فهى صور وأشكال) اى وهى أعم من الخواطر (قوله اذا لم يستغرق الخ) اى اما اذا استغرق جميع الاستشعار فلا توجد الرؤيا لعدم متعلقها (قوله فيتوهم الانسان الخ) توضيح لما قدمه من بيان حقيقة الرؤيا (قوله وانما كان ذلك الخ) محصله ان استشعار النائم بالصورة المخيلة له فى حالة النوم أضعف منه بها بعد تيقظه من نومه ومثاله موضح لهذا الذى أشرت اليه وعولت فى البيان عليه وتوضيح ذلك ان ادراك النائم لما يخلقه الله فى قلبه من الاشياء فى حالة نومه أضعف من ادراكه لما يشاهده فى حالة يقظته من تلك الاشياء (قوله ثم ان تلك الخواطر الخ) شروع فى تقسيم الرؤيا الى شيطانية وحديث نفس ورحمانية (قوله ومرة عن هواجس النفس الخ) اى وهى مختلفة فهى أمارة ولوامة ومطمئنة وراضية ومرضية وحديث كل على حسب شربه ومقامه (قوله ومرة تكون بخواطر الملك الخ) أفاد ان حقيقتها هى ما تكون بالخواطر أو بخلق

(وفي الخبر أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا) والذي يراه النائم ليس حقيقة المرئي وانما هو صورة وأشكال وذلك لانه صلى الله
عليه وسلم قد يراه جماعة في وقت واحد يراه بعضهم شابا وبعضهم شيخا وبعضهم كهلا ويراه واحد بالمغرب وآخر بالمشرق ومحال
ان تكون ذاته الواحدة بأماكنة وأحوال ١٩٢ مختلفة في وقت واحد (واعلم ان النوم على أقسام) بعضها يأتي وبعضها
الآخر (نوم غفلة) عما خلق العبد له (ونوم عادة) وهو ما قصد به التلذذ والتنعم (وذلك) اى كل منهما (غير محمود بل معلول) اى مذموم (لانه أخو الموت وفي بعض الاخبار المروية النوم أخو الموت وقال الله) تعالى (وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم) أي كسبتم (بالنهار وقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقيل لو كان في النوم خير لكان في الجنة نوم وقيل لما ألقى الله) تعالى (على آدم النوم أخرج منه حواء وكل بلاء) اتصل (به) أي بآدم (انما حصل حين حصلت حواء) التي أخرجها الله من آدم في حال نومه (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول لما قال ابراهيم عليه السلام لاسمعيل عليه السلام يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك فقال) م (اسمعيل يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه) حتى رأى هذه الرؤيا (ولو لم تنم لما أمرت بذبح الولد وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل) اى أظلم (نام عني والنوم ضد العلم) بواسطة انه ضد اليقظة التي لا يحصل العلم
الا فيها (ولهذا قال الشبلي نعسة في الف سنة فضيحة) على من لم يغلبه النوم لانه فيها حرم بركة لذة المناجاة (وقال الشبلي حجب
اطلع الحق على الخلق فقال من نام غفل ومن غفل حجب فكان الشبلي يكتحل بالملح بعده حتى كان لا يأخذه النوم وفي معناه أنشدوا

الاحوال في قلب العبد ابتداء الا غير (قوله وفي الخبر الخ) أي فهو يشير الى أن قوة صدق الرؤيا تابع لقوة صدق حديث اليقظة (قوله ومحال الخ) اى فتعين أن ما يرى في النوم من قبيل الصور والاشكال (قوله نوم غفلة) أي وهو نوم المنهمكين على شهواتهم المتهافتين على حظوظهم ومألوفاتهم (قوله وذلك اى كل منهما الخ) اى ولا يخفى الفرق بين نوم الغفلة ونوم العادة (قوله وقال الله تعالى الخ) دليل على انه أخو الموت (قوله وهو الذي يتوفاكم بالليل) أي ينيمكم فيه على استعارة التوفي من الاماتة للانامة لما بين النوم والموت من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز وأصل التوفي قبض الشئ بتمامه وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار أي ما كسبتم فيه والمراد بالليل والنهار الجنس المتحقق في كل فرد من افرادهما وتخصيص التوفي بالليل والجرح بالنهار مع تحقق كل منهما فيما خص بالآخر للجري على سنن العادة (قوله وقيل لو كان في النوم خير الخ) أي لو كان في ذات النوم خير والا فهو خير باعتبار ما يعتريه من المقاصد الحسنة (قوله وكل بلاء) أي باعتبار ما قسم له من الوجود في دار الامتحان بالنظر لبعض ذريته والا فلا تخفى الثمرات التي من جملتها سكنى الجنات فالله تعالى يرزقنا الادب في حقه وحق خلقه انه جواد كريم (قوله يا بني اني أرى في المنام أني اذبحك) اى أرى هذه الصورة بعينها أو ما هذه عبارته وتأويله وقيل انه رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما أصبح روى في ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان فمن ثمة سمي يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله تعالى فمن ثمة سمي يوم عرفة ثم رأى مثله في الليلة الثالثة فهم بنحره فسمي يوم النحر وقوله فانظر ماذا ترى هو من الرأي وانما شاوره فيه مع انه أمر محتوم ليعلم ما عنده فيما نزل من بلاء الله تعالى ليأمن عليه ان سلم وليوطن نفسه عليه ليهون ويكسب المثوبة بالانقياد قبل نزول البلاء بالفعل وقرئ ماذا ترى بضم التاء وكسر الراء وبفتحها مبنيا للمفعول هذا وان أردت توضيح هذه القصة فارجع الى التفاسير والله أعلم (قوله هذا جزاء من نام عن حبيبه) أي فكان عليه مثالا وعنوانا ليعتبر ذو اللب فيحفظ دواعي الحب (قوله كذب من ادعى محبتي الخ) أي ولهذا قال سلطان العشاق ابن الفارض قدس الله سره

ومن الغمض أن يزر بجفني * فكأني به مطيعا عصاك

(قوله ولهذا قال الشبلي الخ) اقول السالبة الكلية يناقضها موجبة جزئية فافهم (قوله فقال من نام غفل الخ) اى غفل عن أسباب الوصول وقوله ومن غفل حجب اى

عجباً للمحب كيف ينام * كل نوم على المحب حرام وقيل المريد أكله فاقة ونومه غلبة وكلامه ضرورة) أي ينبغي له أن يكون كذلك (وقيل لما نام آدم عليه السلام بالحضرة) الالهية (قيل له هذه حواء) خلقت (لتسكن اليها) قال الامام القشيري (هذا جزاء من نام بالحضرة) اذ لا يليق بمن كانت محبته بمحبوبه أن يشتغل بغيره (وقيل ان كنت حاضراً فلا تنم فان النوم في الحضرة سوء أدب وان كنت غائباً فانت أهل الحسرة والمصيبة والمصاب لا يأخذه نوم وأما اهل المجاهدات فنومهم صدقة من الله تعالى عليهم) لتستريح أبدانهم وينشطوا لعمل الطاعة؛ وان الله تعالى يباهي) ١٩٣ أي يفاخر (بالعبد اذا نام في سجوده) ملائكته (يقول انظروا الى عبدي نام وروحه عندي وجسده بين يدي قال الاستاذ) القشيري (اي روحه في محل النجوى وبدنه على بساط العبادة) وهذا النوم نوم ضرورة وهو محمود لانه معين على العبادة (وقيل كل من نام على الطهارة يؤذن لروحه أن تطوف بالعرش وتسجد لله تعالى قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا) اي راحة لابدانكم (سمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول شكا رجل الى بعض المشايخ من كثرة النوم) الذي يغلبه (فقال اذهب فاشكر الله تعالى على العافية فكم من مريض في شهوة غمضة من النوم الذي تشكو) أنت (منه) اي فالنوم لك نعمة من الله تعالى لانه بنية العبادة والمجاهدة (وقيل لاشئ أشد على ابليس من نوم العاصي) فانه (يقول متى ينتبه ويقوم حتى يعصي الله) فنومه رحمة له لانه لا يعصي في نومه لانه

٢٥ يج ع غير مكلف فيه (وقيل أحسن احوال العاصي أن ينام) فانه (ان لم يكن الوقت له) بان لم يعمل فيه خيرا (لم يكن عليه) لانه لم يعمل فيه شرا (سمعت الاستاذ أبا علي رحمه الله يقول نعودشاه الكرماني السهر فغلبه النوم مرة فرأى الحق تعالى في النوم فكان يتكلف النوم بعد ذلك فقيل له في ذلك) أي ما سببه (فقال

رأيت سرور قلبي في منامي * فاحببت التنعس والمناما)

حجب عن بلوغ المأمول (قوله كل نوم الخ) ليس المراد بالحرمة أخذ الاحكام بل حرمان لذة مناجاة أكرم الاكرمين (قوله المريد أكله فاقة) اى فلا يأكل الاعند الفاقة والضرورة بقدر ما تقوم به بنيته و يقوى به على سلوك سبيل السنة وقوله ونومه غلبة اى لدوام اشتغاله بما طلب منه وقوله وكلامه ضرورة اى لاجل الضرورة فقط ليتقي شر الكلام (قوله هذا جزاء من نام بالحضرة) أى في حالة كان ينبغي له فيها جمع قلبه على الحق ودوام اشتغاله فيها بأحوال الصدق فلذلك جوزي بحلق سبب الآلام ودواعي غلبات الاسقام (قوله ان كنت حاضرا) اى مجموع الهمة على الله تعالى فلا تنم اى فلا تغفل اذ النوم في هذه الحالة سوء أدب وسبب لحرمان لذة مناجاة الحق سبحانه وقوله وان كنت غائبا أى في حال التفرقة فانت حينئذ أهل الحسرة والحزن أى على ما فاتك في مقام المشاهدات والمكاشفات فتلك حينئذ لا ينام لاشتغاله بهما ومصيبته التي ابتلي بها (قوله وأما اهل المجاهدات الخ) فيه التفات الى النوم المشروع المثاب عليه بحسن المقاصد كالتقوي به على اداء كرائم العبادات (قوله اذا نام في سجوده) اى لان نومه هذا من نوم الغلبة وهو من المثاب عليه المحبوب فاعله ولاسيما في حالة السجود (قوله روحه في محل النجوى) اى في أشرف حال يناجي فيه العبد ربه اذ هو من محال القرب بشاهد خبر أقرب ما يكون العبد وهو ساجد وقوله وبدنه أى جسمه على بساط العبادة اى وهو ما يفرش ليصلي عليه (قوله وقيل كل من نام على الطهارة الخ) اى ولهذا كان من سنة سيد البشر صلى الله عليه وسلم (قوله وجعلنا نومكم سباتا) اى فالنوم المشروع ما كان كذلك لا للعادة ولا للغفلة (قوله اى راحة لابدانكم) أى وقيل سباتا اى موتا لانه احدى التوفيتين لما بينهما من المشاركة التامة من انقطاع أحكام الحياة وعليه قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل وقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها (قوله لانه بنية العبادة الخ) أي ولا تكليف في حالة النوم بل هو حينئذ به مأجور لا مأزور (قوله وقيل لاشئ أشد الخ) منه يعلم انه لاشئ أشد عليه ايضا من يقظة المطيع العابد لانه لا يغفل فيها عن عبادة ربه (قوله سمعت الاستاذ أبا علي الخ) في ذلك تنبيه على ان النوم لا يذم لذاته ولا يمدح لها بل الاعتبار في ذلك

فكان يطلب النوم لهذا الغرض الذى يريده يقينا واشتغالا به وفى ذلك دلالة على جواز رؤية الله تعالى فى النوم فالنوم كما قال أقسام نوم غفلة ونوم عادة وهما مذمومان لعدم الحاجة اليهما ونوم ضرورة وهو ممدوح للحاجة اليه كما فى القدر الذى يتناوله من الطعام لاقامة البنية ونوم استعانة على فعل الافضل كان ينام اول الليل ليقوم آخره مع تمكنه من قيامه اوله وهو أيضا ممدوح ولهذا كان نوم العالم عبادة ونوم يجد فيه النائم ما يقويه على سلوكه ويجمع همه لنيل مطلوبه وهو أيضا ممدوح لما عرفت لكنه وان كان ممدوحا فالظاهر ان اليقظة أفضل منه لان فيها نيل مطلوبه بالمجاهدة والنوم انما فيه ما يحمله ويقويه على مطلوبه (وقيل كان رجل) شيخ (له تلميذان فاختلفا فيما بينهما فقال أحدهما النوم خير لان الانسان لا يعصى الله تعالى فى تلك الحالة) لما مر (وقال الآخر اليقظة خير لانه يعرف الله فى تلك الحالة فتحا كما الى ذلك الشيخ فقال اما أنت الذى قلت بتفضيل النوم فالموت خير لك من الحياة واما أنت الذى قلت بتفضيل اليقظة فالحياة خير لك من الموت) فلا خلاف وانما ذلك محمول على حالين بعد الاتيان بالواجب والرواتب فمن خاف خللا فى العمل فالنوم خير له والا فاليقظة خير له ولهذا لما ضعف عمر بن الخطاب رضى الله عنه وخشى على نفسه من ضعف العمل تمنى الموت فتمنى الموت لخوف الخلل فى العمل أولى من الحياة مع ضعف العمل (وقيل اشترى رجل) تاجر (مملوكة) وكانت صالحة (فلما دخل الليل قال) لها (افرشى) لى (الفراش) لأنام (فقالت المملوكة) له (يامولاى ألك مولى فقال) لها (نعم فقالت) له هل (ينام مولاك فقال) لها (لا فقالت) له (ألا تستحى ان تنام ومولاك لا ينام) فى ذلك مع ما مر تحريض على ان النوم لا يكون من العبد الا على وجه الغلبة (وقيل قالت بنية لسعيد ابن جبير لم لا تنام فقال ان جهنم لا تدعنى) اى خوفى منها لا يتركنى (ان أنام وقيل قالت بنت لمالك بن دينار لم لا تنام فقال) لها (ان أباك يخاف) على نفسه (البيات) يعنى الموت فى نومه غافلا عما خلق له (وقيل لما مات الربيع بن خثيم قالت بنية لابيها الاسطوانة) اى السارية (التى كانت فى دار جارنا) الى (أين ذهبت فقال) لها (انه) لم يكن اسطوانة وانما (كان جارنا الرجل الصالح يقوم من اول الليل الى آخره فتوهمت البنية انه كان سارية لانها كانت لا تصعد السطح الا بالليل) تخفى عليها الامر (وقال بعضهم فى النوم معان ليست فى اليقظة منها انه) اى العبد (يرى) فيه (المصطفى صلى الله عليه وسلم والصحابة والسلف الماضين) رضى الله عنهم (فى النوم ولا يراهم فى اليقظة وكذلك يرى الحق) تعالى (فى النوم) ولا يراه فى اليقظة على ما مر (وهذه مزية عظيمة) لكن مزايا اليقظة أعظم لما مر ولان الادلة العقلية والنقلية أبلغ وانفع فى الدين والدنيا من الرؤيا المحتاجة الى التعبير الذى قد يخطئ (وقيل رأى ابو بكر الآجرى الحق تعالى فى المنام فقال له الحق سل حاجتك فقال اللهم اغفر لعصاة أمة محمد صلى الله عليه وسلم) اختار ذلك تحببا لحبيبه صلى الله عليه وسلم لان ما يحبه المحبوب محبوب وأمته من اقتدى به وهو صلى الله عليه وسلم يحبهم و يحرض على

بالعوارض التى تعرض له وهو كذلك (قوله وهما مذمومان) أى لما يلزمهما من ضياع الوقت وفوت الثمرات (قوله ونوم استعانة الخ) أقول ذلك هو المثاب عليه من أقسام النوم التى تقدمت غير نوم الضرورة (قوله ونوم يجد فيه الخ) أى والثواب على ذلك بحسن النية لا لذاته (قوله فالظاهر ان اليقظة أفضل منه) اى لان فضيلته بما قارنه من محاسن المقاصد فقط بخلاف اليقظة (قوله فقال الخ) محصله ان الموضوع قد اختلف فلا خلاف حينئذ وانما الكل شرب من حاله بحسن ما [illegible] من نواله (قوله فقالت المملوكة الخ) انظر اشارات الحقائق وفائقات أذواق الطرائق فالفضل انما يعرفه ذووه والخير لا يتم الا لمن عرفوه وقصدوه فالله يمدنا بمدد عباده المقربين و ينسبنا للمحبين المحبوبين بجاه سيد الخلق أجمعين (قوله فقال ان جهنم لا تدعنى الخ) اى فمن ادعى الخوف من الله تعالى ونام عما اليه دعاه كانت دعواه من البهتان وأحواله تقربه الى الخسران (قوله فقال لها ان أباك الخ) فيه دلالة على قوة مراقبته لاحواله رضى الله عنه وأرضاه و جعل الجنة مثواه (قوله قالت بنية لابيها الخ) فى ذلك دلالة على انه كان يديم القيام للصلاة ليلا حتى توهمته البنية انه سارية رضى الله عنه (قوله لكن مزايا اليقظة أعظم) اى مع ان المزية لا تقتضى الافضلية (قوله أبلغ) اى مع انها لا يطلع عليها الا فى حال اليقظة (قوله فقال اللهم اغفر الخ) آى فدل ذلك على

= لجانهم والحق يحبه ويحب من يحبه (فقال) له الحق (انا أولى بهذا منك) لانهم أمة حبيبي (سل حاجتك) التي تخصك (وقال الكتاني رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي من تزين للناس بشيء يعلم الله منه خلافه شانه الله) أي عابه وقبحه (وقال الكتاني أيضا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت) له (ادع الله) لي (أن لا يميت قلبي فقال) لي (قل كل يوم أربعين مرة ياحي ياقيوم لا اله الا أنت) هذا ينفع قائله في الدنيا والآخرة (ورأى الحسن بن علي رضي الله عنه عيسى بن مريم في المنام فقال) له (اني أريد ان اتخذ) لي (خاتما فما الذي اكتب عليه فقال) لي (اكتب عليه لا اله الا الله الملك الحق المبين فانه آخر الانجيل) أي خاتمته وهذا كالذي قبله في النفع ويشهد لكل منهما خبر أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وفي كل منهما دلالة على وقوع رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في النوم (وروي عن أبي يزيد) البسطامي (انه قال رأيت ربي عز وجل في المنام فقلت) له (كيف الطريق اليك فقال) لي (اترك نفسك وتعال) اي اترك العمل لحظها 195 واعمل لي خاصة فانك حينئذ تصل الي (وقيل رأى احمد بن خضرويه ربه في المنام فقال) لي (يا أحمد كل الناس يطلبون مني) افضالي (الا أبا يزيد فانه يطلبني) وفرق بين من يكفيه العطاء ومن لا يرضيه الا كشف الغطاء (وقال يحيى بن سعيد القطان رأيت ربي في المنام فقلت) له (يارب كم أدعوك ولا تستجيب لي) لم يقل ذلك استبطاء للاجابة حتى يقال انه ارتكب ما نهي عنه في خبر يستجاب لأحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي وانما سأله عن سبب ذلك (فقال تعالى يا يحيى احب أن اسمع صوتك) مع ان الذي أريده لك خير من الذي تريده لنفسك اذ المقصود من اجابة الدعاء المنفعة التي اختارها لنفسه ولا ريب ان ما اختاره له ربه أولى في حقه مما اختاره لنفسه فالاجابة تختلف بحسب ما يحبه الله ويرضاه للداعي وقد يكون دعاؤه أنفع له عند الله من حصول مطلوبه كما أريد من قصة يحيى وفي كل من هذه الحكاية والتين قبلها دلالة على وقوع رؤية الله تعالى في النوم (وقال بشر بن الحرث رأيت امير المؤمنين عليا رضي الله عنه في المنام فقلت) له (يا أمير المؤمنين عظني فقال ما أحسن عطف الاغنياء على الفقراء) بالزكاة وغيرها (طلبا لثواب الله) تعالى (وأحسن من ذلك تيه الفقراء) بكسر التاء الفوقية واسكان الياء التحتية اي تكبرهم (على الاغنياء ثقة بالله) تعالى وبقربه وبعطاياه فلا يذلون لهم لاجل مالهم ولا يخضعون لهم طمعا في نوالهم وانما كان هذا أحسن من ذلك لان ذاك اعراض مع السعة عن بعض ما يملكه وهذا اعراض مع العدم عما هو محتاج اليه ثقة بالله أن يأتيه به عند دعاء الضرورة اليه (فقلت) له لما أعجبني هذا الكلام (يا أمير المؤمنين زدني) في الموعظة فدلني على تصغير الدنيا في عينه وتحقيرها في قلبه فاخبرني بان أصلي من التراب وان الله أحياني وكلفني بما يترتب عليه الحساب وسيميتني ويردني الى ما كنت عليه ثم يحييني مرة أخرى للوقوف والحساب وغيرهما وقد ضمن ذلك شعرا (فقال قد كنت ميتا فصرت حيا * وعن قريب تصير ميتا عز بدار الفناء بيت فابن) انت (بدار البقاء بيتا)

علو مقامه لان من أمارات الولاية عموم الرحمة والشفقة الى كافة الخلق بشاهد العلم والله أعلم (قوله أنا اولى بهذا منك) اى حيث الله هو أرحم الراحمين واكرم الاكرمين (قوله سل حاجتك التي تخصك) أقول لم يكشف بعد ذلك ما سأله مما يخصه فكان عليه أن يبينها لا أن يقال انه لم يبلغه والله أعلم (قوله شانه الله الخ) اى ولهذا ورد ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة من يرى الناس ان فيه خيرا ولا خير فيه (قوله ويشهد لكل منهما) فيه انه لا يخصهما بهذا اللفظ ثم قد اشتمل التركيب على ما ورد (قوله اترك نفسك وتعال) أي فالدواء الاعظم في طريق الوصول مخالفة هوى النفس والشيطان (قوله الا أبا يزيد فانه الخ) اى فكانت عبادته ومحبته لذات الله وجلاله ولعظمته كما أشار اليه خبر نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه (قوله لم يقل ذلك استبطاء للاجابة) اى بل قاله دلالا لا لارادة كشف السبب كما أشار اليه الشارح (قوله مع ان الذي اريده الخ) اى بشهادة خبر لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع (قوله بحسب ما يحبه الله) أي بحسب ما يريده على مقتضى سابق حكمته (قوله على وقوع رؤية الله) اى وهو صحيح وثابت (قوله اى تكبرهم) مراده به نزاهة نفوسهم واعراضها عما بايدي الاغنياء لا حقيقة الكبر والانفة اذ هو ممنوع منه شرعا (قوله بان أصلي من التراب) اى الاصل العنصري العارض والا فالاصل العدم الكلي (قوله ثم يحييني) أي حياة النشأة الثانية (قوله قد كنت ميتا) أي مثله في عدم الحياة

اى اذا لم يمكنك فى هذه الدار الاقامة بيت لكون الله كتب عليها الفناء فابن لك بيتا بدار كتب الله لها البقاء (وقيل رؤى سفيان الثورى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال رحمنى فقيل له ماحال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه كل يوم مرتين) فى ذلك دلالة على ان أرواح السعداء ترى الله تعالى فى البرزخ وتتنعم بقربه فيما أعد لها من النعيم ويكمل لها ذلك يوم القيامة اذا حشرت باجسادها وقد جاء ان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تعلق فى ثمار الجنة (سمعت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله يقول رأى الاستاذ أبو سهل الصعلوكى اباسهل الزجاجى فى المنام وكان الزجاجى يقول بوعيد الابد) أى بان كل من توعده الله على معصية وفعلها لايغفرها الله لان توعده من باب الخبر وخبره صدق (فقال له مافعل الله بك فقال الزجاجى الامر ههنا) اى فى الآخرة (أسهل مما كنا نظنه) فى الدنيا فوجدان الحق خلاف ما كان يقول به وهو كذلك لان الله تعالى قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك (ورؤى الحسن بن عصام الشيبانى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال وايش يكون من الكريم) أى لايكون منه (الا الكرم) أى ١٩٦ فاكرمنى (ورؤى بعضهم فى المنام فسئل عن حاله فقال) بيانا لحاله (حاسبونا فدققوا * ثم منوا فاعتقوا ورؤى حبيب العجمى فى المنام فقيل له) يا أو أنت (حبيب العجمى فقال هيهات ذهبت العجمة وبقيت فى النعمة) فى كل من هذه المرائى دلالة على رحمة الله ولطفه بالمرئى وعلى قوة رجاء الرائى وحسن ظنه بربه (وقيل دخل الحسن البصرى مسجدا ليصلى فيه المغرب) مع جماعة (فوجد امامهم حبيبا العجمى) ولم يسمع قراءته لكن نقل اليه انه يلحن فيها (فلم يصل خلفه لانه خاف أن يلحن) لحنا يضر الصلاة وليس كذلك وانما كان يلحن لحنا يسيرا (لعجمة) كانت (فى لسانه فرأى فى المنام فى تلك الليلة قائلا يقول له لم تصل خلفه لو صليت خلفه لغفر لك ماتقدم من ذنبك) لان صلاته كانت صحيحة وكان فيها من الخضوع والخشوع والتذلل بين يدى الله تعالى ماتزيد فضيلته على فضيلة ذلك اللحن اليسير الذى لايضر وهو وان فاتته فضيلة لفظية امتاز على غيره بفضيلة قلبية هى أفضل عند الله فقيل للبصرى مع كمال فضله وورعه وحرصه على الفضائل لو صليت خلفه لنلت فضيلة أخرى اختص بها على غيره من الائمة (ورؤى مالك بن أنس فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال غفر لى بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضى الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحى الذى لايموت) فى ذلك دلالة على ان مالكا رضى الله عنه لقى من ربه بقوله ذلك كل خير فغفر له كل زلل (ورؤى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كأن أبواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادى الا ان الحسن البصرى قدم على الله تعالى وهو عنه راض) فيه دلالة على فضيلته وهى معلومة من حاله فى الدنيا (سمعت أبا بكر بن أبى اشكيب يقول رأيت الاستاذ أبا سهل الصعلوكى فى النوم على حالة حسنة فقلت) له (يا أستاذ بم وجدت هذا) الحال الحسن (فقال بحسن ظنى بربى بحسن ظنى بربى) مرتين فيه دلالة على فضيلته وهى معلومة من حاله فى الدنيا أيضا

فصرت حيا أى بعد التركيب المقيد ونفخ الروح بتأثير الله تعالى وعن قريب تصير ميتا اى حقيقة بعد قبض روحك عزأى تعزز بدار الفناء لما لها البيت أى سكناه فابن وأسس لك بيتا بدار البقاء حيث هو لايفنى والله أعلم (قوله فقال هو ممن يلج على ربه الخ) لعل المراد افادة زيادة تنعمه فى عالم البرزخ والا فما يظهر منه لايصح أن يراد (قوله يقول بوعيد الابد) اى بان الكبائر لايتعلق بها الغفران (قوله ويغفر مادون ذلك) اى وهو يعم مافيه وعيد شديد (قوله وايش يكون من الكريم) أى ولهذا قيل بدواعى قوة الرجاء

وحمل الزاد أقبح كل شئ * اذا كان القدوم على كريم

(قوله حاسبونا الخ) بقيته هكذا سيمة الملوك * بالمماليك يرفقوا (قوله فى كل من هذه المرائى الخ) أقول لايخفى ان الرجاء هو تعلق القلب بمرغوب فيه مع الاخذ فى الاسباب والا كان من الطمع المحرم (قوله وقيل دخل الحسن البصرى الخ) فيه تنبيه على ان عيب الظاهر لايضر اذا تحلى الباطن بمايسر فلا تقف مع الظاهر حيث المعتبر حسن السرائر (قوله فغفر له كل زلل) أى ولو كان من باب حسنات الابرار سيئات المقربين (قوله فيه دلالة على فضيلته الخ) كيف ولسان الحال ينادى بالنوال هذه آثارنا تدل علينا ومشاهدنا تشهد لنا نفعنا الله ببركات أنفاسه (قوله فقال بحسن ظنى الخ) اى ويؤيده خبر أنا عند ظن عبدى بى ان خيرا فخير وان شرا فشر (قوله

(وقيل رؤى الجاحظ فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال فلا تكتب بكفك) وفى نسخة بخطك (غير شىء يسرك فى القيامة ان تراه) لان العبد يسئل عن جميع أعماله ومنها الكتابة (وقيل رأى الجنيد ابليس) الخبيث (فى منامه عريانا) على عادته من تظاهره بكشف عورته عند أهل الشر ليحسن لهم ذلك ويتعودوا به (فقال له ألا تستحى من الناس فقال هؤلاء ناس) اى ليسوا بناس يستحى منهم (انما الناس) الذين يستحى منهم (أقوام فى مسجد الشونيزية أضنوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد رحمه الله) تعالى (فلما انتبهت) وأصبحت (غدوت الى المسجد فرأيت جماعة) استقبلوا القبلة ثم (وضعوا رؤسهم على ركبهم يتفكرون) فى خلق السموات والارض ويذكرون الله (فلما رأونى قالوا) لى مكاشفة بما رأيته فى النوم (لا يغرنك حديث الخبيث) لان كل مايقوله شر لاخير فيه (ورؤى) أبو القاسم (النصراباذى بمكة بعد موته فى النوم فقيل له مافعل الله بك فقال عوتبت عتاب الاشراف) أي عتابا يسيرا (ثم نوديت يا أبا القاسم) نودى بكنيته زيادة فى فضيلته (أبعد الاتصال انفصال) اى أيليق بك بعد أن اوصلناك أن تلتفت لغيرنا (فقلت لا ياذا الجلال فما وضعت فى اللحد حتى لحقت بالاحد) أى صرت عند الله فى منزلة رفيعة من التقريب والاكرام وهذا من تتمة جواب مافعل الله بك (ورؤى ذو النون المصرى فى المنام فقيل له مافعل الله بك فقال كنت أسأله ثلاث حوائج فى الدنيا فاعطانى البعض) فى الدنيا أى واحدة وفى نسخة 197 فاعطانى منها اثنتين وليست بصحيحة لما سيأتى (وأرجو ان يعطينى الباقى كنت اسأله أن يعطينى من) الكرامات (العشرة التى على يد رضوان) خازن الجنة (واحدة ويعطينى) أى ويتولى ذلك (بنفسه وان يعذبنى) وفى نسخة يعذبنى (عن الواحدة التى) وفى نسخة عن الواحدة الذى (بيد مالك) خازن النار (بعشرة ويتولى هو) العشرة بنفسه غرضه بذلك ان النعيم وان قلت افراده والعذاب وان كثرت أفراده اذا تولاهما الله له بنفسه يكمل سروره فى النعيم ولم يجد كمال الالم فى العذاب لان كل مايكون من المحبوب محبوب (وان يرزقنى أن اذكره بلسان الابدية) بان لايحجبنى عنه نعيمه ولاعذابه وهذا هو الذى اعطيه فى الدنيا (وقيل رؤى الشبلى فى المنام بعد موته فقيل له مافعل الله بك فقال لم يطالبنى بالبراهين على الدعاوى) التى كنت أتكلم بها (الا على شىء واحد) وهو انى (قلت يوما لاخسارة أعظم من خسران الجنة ودخول النار فقال لى وأى خسارة أعظم من خسران لقائى) لان النعيم وان شرف والعذاب وان عظم صغيران بالنظر الى رؤية الله والحجب عنه اذ أشرف النعيم الذى هو فى الجنة رؤية الله وأشد العذاب الذى هو فى النار الحجب عن الله (سمعت الاستاذ أبا على رحمه الله يقول رأى الجريرى الجنيد فى المنام فقال له كيف حالك يا أبا القاسم فقال طاحت تلك الاشارات) أى سقطت بمعنى خفت بالنسبة للتسبيحات (وبادت تلك العبارات) اى هلكت بمعنى ماذكر (وما نفعنا الا تسبيحات) من الذكر ونحوه (كنا نقولها بالغدوات) فيه دلالة على ان اكثر العبادات منفعة عند الله تعالى الذكر كما قال تعالى ولذكر الله أكبر (وقال النباجى تشهيت يوما شيأ فرأيت فى المنام كان قائلا يقول ايجمل) اى أيحسن (بالحر المريد أن يتذلل) أى يذل نفسه

رؤى الجاحظ) قال بعضهم كان مشوه الخلق وفيما ذكرهنا شىء فى الخلق عافانا الله تعالى واياه (قوله فلما رأونى قالوا الخ) ليس المراد منه كذب ما أخبر به الخبيث بل افادة شأنه الغالب عليه حكمه (قوله ثم نوديت الخ) لعل ذلك صورة العتب (قوله حتى لحقت بالاحد) أى غبت فى مقام أحدية الحق تعالى غافلا عن سائر الاكوان حيث هو مقام العمى الاول (قوله كنت أسأله الخ) حاصله ان غرضه ان الحق تعالى يتولى كلا من نعيمه وعذابه وذلك ليعظم الاول ويسهل الثانى ويشير اليه قول سلطان العشاق ابن الفارض قدس الله سره * تلذلى الآلام اذ أنت مسقمى * الى آخر ما قال رضى الله عنه (قوله بان لايحجبنى الخ) يشير الى أنه ممن يشهد البلاء من النعم فشكر عليه رضى الله تعالى عنه (قوله فقال واى خسارة الخ) أى فالذى ينبغى للكامل أن تكون همته عالية فلا يقصد غير معالى الامور ويدع سفسافها (قوله وما نفعنا الخ) اى ويدل له خبر كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (قوله تشهيت يوما شيأ) أى شيأ لايتيسر الا بسؤال الغير كما يدل له ما قيل له فى

(العبيد وهو يجد من مولاه ما يريد) فيه اشارة الى أن من كثرت نعمه وانه ذل فى طلبها للعبيد لتحصيلها (وقال ابن الجلاء دخلت المدينة) المشرفة (وبى فاقة فتقدمت الى القبر وقلت أنا ضيفك يا نبى الله فغفوت غفوة) أى نمت نومة (فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى نومى قد أعطانى رغيفا فأكلت نصفه وانتبهت وبيدى النصف) الآخر فى ذلك دلالة على صدقه فى حاجته وعلى ان الله أكرمه بهذه الكرامة لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم واستضافته (وقال بعضهم رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام يقول زوروا ابن عون فانه يحب الله ورسوله) فيه كرامة لابن عون بقول النبى صلى الله عليه وسلم زوروه وشهادته منه بانه يحب الله ورسوله (وقيل رأى عتبة الغلام) امرأة (حوراء) من الحور وهو شدة بياض العين فى شدة سوادها (فى المنام على صورة حسنة فقالت له يا عتبة أنا لك عاشقة فانظر أن لا تعمل من الاعمال شيأ يحال) به (بينى وبينك فقال لها عتبة) ليطمئن قلبها (طلقت الدنيا ثلاثا لا رجعة لى عليها حتى ألقاك) فيه دلالة على فضيلة عتبة بكمال زهده فى الدنيا واشتغاله بالآخرة (سمعت منصورا المغربى يقول رأيت شيخا فى بلاد الشام كبير الشأن وكان الغالب عليه الانقباض فقيل لى ان اردت أن ينبسط هذا الشيخ معك فسلم عليه وقل له رزقك الله الحور العين فانه يرضى منك بهذا الدعاء فسألت عن سببه فقيل انه رأى شيأ من الحور) العين (فى منامه فبقى فى قلبه شئ من ذلك) ١٩٨ فكان لا يزال مهموما بامر الآخرة حتى يذكر له الحور العين فينبسط ويستبشر بلقائهن (فضيت) اليه (وسلمت عليه وقلت) له (رزقك الله الحور العين فانبسط الشيخ معى) فى هذا وما قبله دلالة على وقوع رؤيا الحور العين فى النوم (وقيل رأى ايوب السختيانى جنازة عاص فدخل دهليزا) واختفى فيه (لئلا يحتاج الى الصلاة عليها) رأى ان هذا الميت ممن ينبغى لاهل الدين أن لا يصلوا عليه زجرا لامثاله عن المعصية (فرأى بعضهم الميت فى المنام فقال له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال لى قل لايوب السختيانى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى من الرزق والمطر (اذا لامسكتم) أى لبخلتم (خشية الانفاق) اى خوف نفادها بالانفاق فتفتقرون وآله فيه تنبيه على سعة رحمة الله وجواز مغفرته للكبائر من الذنوب بغير الشرك كما قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء (وقيل رؤى الليلة التى مات فيها مالك بن دينار كان أبواب السماء فتحت وقائل يقول الا ان مالك بن دينار اصبح من سكان الجنة) فيه بشرى له بانه من أهل الجنة (وقال بعضهم رأيت الليلة التى مات فيها داود الطائى نورا وملائكة صعودا وملائكة نزولا فقلت أى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائى وقد زخرفت الجنة لقدوم روحه على أهلها) فيه ما ذكر قبله (قال الاستاذ الامام) القشيرى رحمه الله (رأيت الاستاذ أبا على الدقاق رحمه الله فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال) لى (ليس للمغفرة ههنا كبير خطر) أى قدر عند الله بل يغفر ويكرم ويلطف (أقل من حضر ههنا خطرا) أى قدرا (فلان) وعنى انسانا ومع ذلك (أعطى كذا وكذا ووقع لى فى المنام ان ذلك الانسان الذى عناه قتل نفسا بغير حق) فى ذلك دلالة أيضا على سعة رحمة الله وانه بعد العفو يعطى الجزيل من فضله (وقيل لما مات كرز بن وبرة رؤى فى المنام كان أهل القبور خرجوا من قبورهم وعليهم ثياب جدد بيض فقيل) لهم (ما هذا فقيل ان أهل القبور كسوا ثيابا جددا) وفى نسخة لبسوا لباسا جديدا (لقدوم كرز بن وبرة عليهم) فيه كرامة له

(قوله وهو يجد من مولاه ما يريد) قال تعالى ولا تمدن عينيك الآية (قوله فأكلت نصفه الخ) يدل له خبر من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا فان الشيطان لا يتمثل بى (قوله فيه دلالة على فضيلة عتبة الخ) أى وفيه دلالة أيضا على ان الكمالات الاخروية لا تكون الا لمن تجرد عن الشهوات الدنيوية (قوله رأى ان هذا الميت الخ) اى فكان الاولى فى حقه ما فعله من اختفائه وعدم الصلاة عليه (قوله وقال لى قل لايوب السختيانى قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى خزائن رزقه التى أفاضت على كافة الموجودات وانتم مرتفع بفعل يفسره المذكور كما فى قول حاتم لو ذات سوار لطمتنى والغرض المبالغة فى حب الاختصاص وقوله لامسكتم أى لبخلتم خشية الانفاق أى مخافة النفاق اذ ليس فى الدنيا أحد الا وهو يختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لغرض يعود مرجعه اليه (قوله على سعة رحمة الله) أى وعدم صحة اليأس من مغفرته وان عظمت الجرائم اذ هى حقيرة فى جانب سعة الفضل الرحمانى (قوله على سعة رحمة الله وانه بعد العفو الخ) كيف وقد أمرنا معاشر الخلق ونحن الاشحاء طبعا بذلك فهو تعالى احق حيث هو رب العطاء

(وروى يوسف بن الحسين فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل له بماذا فقال لانى ما خلطت بجد ابهزل قط) فيه إشارة الى كمال ورعه وان اكثر أحواله جد وان مزح فبوجه حق كما قال النبى صلى الله عليه وسلم انى لأمزح ولا أقول الاحقا (وروى أبو عبد الله الزراد فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال أوقفنى وغفر لى كل ذنب أقررت به فى الدنيا الا) ذنبا (واحدا استحييت ان أقربه فوقفنى فى العرق حتى سقط لحم وجهى) ثم غفر لى (فقيل له وما ذاك) أى ما سببه (فقال نظرت يوما الى شخص جميل بشهوة (فاستحييت أن أذكره) فيه ان الاستحياء من ذكر الذنب يوم القيامة لا يفيد لان ذلك اليوم ليس يوم عمل وانما هو يوم جزاء (سمعت أبا سعيد الشحام يقول رأيت الشيخ الامام أبا الطيب سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت له أيها الشيخ فقال) لى (دع الشيخ) أى اسمه (فقلت) له (و) أين (تلك الاحوال التى شاهدتها) فيك (فقال) لى (لم تغن عنا) شيأ (فقلت) له (ما فعل الله بك قال غفر لى بمسائل كانت تسأل) نى (عنها العجز فاجيبهم عنها) فيه دلالة على سعة رحمة الله وعلى فضيلة المفتى للعوام المحتاجين الى معرفة الاحكام (سمعت أبا بكر الرشيدى الفقيه يقول رأيت محمدا الطوسى المعلم فى المنام فقال لى قل لابى سعيد الصفار المؤدب وكنا متعاهدين (على ان لا نحول عن الهوى *) أى الحب (فقد) داخله على حلتم (وحياة الحب) قسم معترض بينهما (حلتم) عن الهوى وما حلنا) عنه وفى نسخة بعده هذا تشاغلتم عنا بصحبة غيرنا * وأظهرتم الهجران ما هكذا كنا لعل الذى يقضى الامور بعلمه * سيجمعنا بعد الممات كما كنا (قال فانتبهت وقلت ذلك لابى سعيد الصفار فقال) لى (كنت أزور قبره كل يوم جمعة فلم ازره هذه الجمعة وحكى عن بعضهم انه قال رأيت فى المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وحوله ١٩٩ جماعة من الفقراء فبيناهو) وفى نسخة فبيناهم (كذلك اذ نزل) عليهم (من السماء ملكان وبيد أحدهما طست وبيد الآخر ابريق فوضع الطست بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسل) فيه (يده الكريمة) من الابريق (ثم أمر الملكين) بمثل ذلك مع الجماعة أو أمر بمثل ما فعله هو (حتى غسلوا أيديهم ثم وضع الطست بين يدى فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس قد روى عنك أنك قلت المرء مع من أحب فقال بلى فقلت أنا أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فانه منهم) حكما فيه دلالة على ان صحبة العبد للاخيار تنفعه وان لم يكن معهم فى المنزلة (وحكى عن بعضهم) وهو عمر الجمال كما يأتى (انه كان يقول أبدا) أى دائما (العافية العافية فقيل له ما معنى هذا الدعاء فقال كنت حمالا فى ابتداء أمرى وكنت حملت يوما صدرا) أى شيأ ثقيلا (من الدقيق فوضعته لاستريح فكنت أقول يا رب لو أعطيتنى كل يوم رغيفين من غير تعب لكنت اكتفى بهما) ولم أعذب نفسى بهذا العمل (فاذا رجلان يختصمان فتقدمت اصلح بينهما فضرب أحدهما رأسى بشئ أراد أن يضرب به خصمه فدمى وجهى فجاء صاحب الربع) أى المحلة وكان من أعوان السلطان (فاخذهما فلما رآنى ملوثا بالدم أخذنى) أيضا (وظن أنى ممن تشاجر) معهما (فادخلنى) معهما (السجن) تأديبا (فبقيت فى السجن مدة) طويلة (أوتى كل يوم برغيفين فرأيت ليلة فى المنام قائلا يقول لى انك سألته الرغيفين كل يوم من غير نصب) أى تعب (ولم تسأل العافية فاعطاك ما سألت) دون غيره (فانتبهت وقلت العافية العافية فرأيت باب السجن يقرع وقيل) أى وقائل يقول لاهل السجن (أين عمر الجمال) خلوا سبيله (فاطلقونى وخلوا سبيلى) فى ذلك دلالة على انه ينبغى للعبد ان لا يختار لنفسه شيأ كما فعل الجمال حيث كره ما كان فيه من الحمل واختار غيره بل يرضى بكل ما يجريه الله عليه وان سأل فليسأل العافية فى الدين والدنيا والآخرة

واله الفضل جل وعلا (قوله وان أكثر أحواله الخ) حمله الشيخ على هذا الوجه وان احتمل انه لا هزل له اصلا اعتبارا بالاغلب فى حق البشر (قوله فقال نظرت الى شخص الخ) تدبر عظم اثم مجرد النظر بشهوة عسى ان تعتبر فحيث ثبت هذا فيه فكيف يكون الحال بفاعل الفعلة القبيحة اعاذنا الله منها فلا حول ولا قوة الا بالله (قوله وعلى فضيلة المفتى للعوام الخ) اى ويدل له خبر لان يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم حيث عمومه يشمل ذلك (قوله تشاغلتم الخ) محصله عتب لطيف واستجلاب ظريف ودعاء شريف وهكذا حال المتحابين فى الله (قوله وان لم يكن معهم الخ) أقول ولا يظهر سر المحبة الا فى هذه الحالة (قوله فى ذلك دلالة على انه ينبغى الخ) أى ويشهد له قوله عز وجل وربك يخلق

(وحكى عن الكتانى انه قال كان عند نا رجل من أصحابنا هاجت عينه) أى ثار وجعها (فقيل له الا تعالجها فقال عزمت على ان لا أعالجها حتى تبرأ) بقسم العليان المداوى والمبرئ هو الله تعالى (قال فرأيت فى المنام كان قائلا يقول لو كان هذا العزم على أهل النار كلهم لاخرجناهم من النار) به لصحته وقوته (وحكى عن الجنيد انه قال رأيت فى المنام كانى أتكلم على الناس) أى اعظهم (فوقف على ملك) فى صورة آدمى (وقال لى) (أقرب) أى أفضل (ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت) له (عمل خفى بميزان وفى) أى بوقوعه على وجهه شرعا فقد اشتهر ان عمل السر يزيد على عمل العلانية بسبعين ضعفا لكونه بين العبد ورب به (قال) الجنيد (فولى الملك عنى وهو يقول كلام موفق والله) فى ذلك دلالة على فضيلة الجنيد فى العلم والعمل ومثله ما روى ان الحسن البصرى لما دخل مكة رأى شابا من أولاد الحسن بن على قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فاراد ان يمتحنه فقال يا فتى ما ملاك الدين فقال الورع فقال وما آفته ٣٠٠ فقال الطمع فقال مثلك من يصلح ان يعظ الناس (وقال رجل للعلاء بن زياد رأيت فى المنام كانك من أهل الجنة فقال) لى (لعل الشيطان أراد) منى (أمرا) أعصى الله به (فعصمت منه فاشخص) أى أرسل (الى رجلا) وهو انت (يعينه على مقصوده من اضلالى) فى ذلك دليل على حفظ العلاء من تلبيس ابليس وعدم انخداعه بالثناء عليه وهكذا ينبغى لكل متق ان لا ينخدع بذلك وانه اذا جرت على يده خوارق العادات لا يعدها كرامات الا بعد النظر فيها وفيما يثمر من زيادة اليقين والحمل على الاعمال الصالحات (وقيل رؤى عطاء السلمى فى المنام فقيل له لقد كنت طويل الحزن) أى على التقصير فى حق الله تعالى (فما فعل الله بك فقال أما والله لقد أعقبنى ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقيل له فى أى الدرجات أنت فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين الآية وقيل رؤى الاوزاعى فى المنام) فقيل له ما فعل الله بك (فقال ما رأيت ههنا درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المحزونين) على التقصير فى حق الله وانما يعلم ذلك من كملت معرفته بعظمة الله وجلاله فكل عمل عمله بعد ذلك وان اتقنه واحكمه يراه قليلا حقيرا بالنسبة الى جلال الله وعظمته (وقال البناجى قيل لى فى المنام من وثق بالله فى رزقه زيد فى حسن خلقه) لقلة حرصه على الدنيا وحسن معاملته فى تصرفه حينئذ (وسمحت نفسه فى نفقته) لسهولة البذل عليه حينئذ (وقلت وساوسه فى صلاته) لحسن توكله واعتماده على ربه حينئذ (وقيل رؤيت زبيدة) زوجة هرون الرشيد (فى النوم فقيل لها ما فعل الله تعالى بك فقالت غفر لى فقيل) لها (بكثرة نفقتك فى طريق مكة فقالت لا ان اجرها) اى الاموال التى انفقتها (عاد الى اربابها) اذ الاموال السلطانية الغالب عليها انها لم تؤخذ بوجه شرعى وانها باقية على ملك اربابها

ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة (قوله فقال عزمت الخ) فيه ان الدواء مشروع قلت لعله لمن لا قوة لصبره والا فلا ترك الدواء اعتمادا على الرقيب المداوى (قوله يزيد على عمل العلانية) أى بالنسبة لغير من يرجى الاقتداء به فيه والا فعمل العلانية لمثله أفضل (قوله فى ذلك دليل على حفظ الخ) أى بواسطة دوام اتهامه لنفسه وعدم استحسان حاله (قوله فقال مع الذين انعم الله عليهم) أى وهم المطيعون الرسول صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى من النبيين الخ بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعيتهم لسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع ان الكلام فى بيان حكم طاعة نبينا صلى الله عليه وسلم للاشارة الى ان طاعته عليه السلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التى لا تتغير بتغير الاعصار وقوله والصديقين أى المتقدمين فى تصديقهم البالغين فيه وفى الاخلاص قولا وفعلا وهم افاضل أصحاب الانبياء واماثل خواصهم المقربين وقوله والشهداء أى الذين بذلوا أرواحهم فى طاعته تعالى وقوله والصالحين أى الصارفين اعمارهم فى طاعته تعالى (قوله فقال مع الذين انعم الله عليهم) المعية لا تقتضى المساواة من كل وجه والا فمنزلة هؤلاء اعلى المنازل على انه يحتمل انه قد بلغ درجة الصديقية (قوله أرفع من درجة العلماء) أى العلماء العاملين بعلمهم والا كان علمهم شاهدا عليهم لا لهم (قوله ثم درجة المحزونين على التقصير فى حق الله) أى وانما ارتفعت درجتهم على غيرهم ممن لم يكن كذلك جزاء لهم على دوام حزنهم فى الدنيا الملهية لغيرهم عن مثل هذه الحالة الشريفة (قوله من وثق بالله) أى اعتمد عليه وعدر به فى الرزق (قوله وحسن معاملته) أى لفراغه من الشواغل

(ولكن غفرلى بنيتى) يعنى بقصدها للناس الخير وتيسيرها المياه والمنازل للحاج والمسافرين وفى ذلك اشارة الى آن الاموال اذا اخذت من غير وجهها وتاب آخذها ولم يعرف اربابها ليردها اليهم تصرف فى جهات البر ويكون أجرها لاربابها وللصارف اجر طاعته ونيته وذلك بعد توبته وصدق نيته فى انه ماقدر على ردها الى اربابها (ورؤى سفيان الثورى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمى على الصراط والثانى فى الجنة) هذا من التسهيل فى جواز الصراط فان من الخلق من يمر عليه كالريح ومنهم من يمر كالبرق كسيقيان ومنهم من يمر كالطير ومنهم من يمر كشديد الرجال ومنهم من يمشى ومنهم من يتعثر والعياذ بالله (وقال احمد بن ابى الحوارى رايت فى النوم جاريه) من الحور العين (ما رايت احسن منها يتلألأ وجهها نورا فقلت) لها (ما انور وجهك فقالت) لى (تذكر الليلة التى بكيت فيها فقلت نعم فقالت حملت الى دمعتك) اى قطرة من دمعك (فمسحت بها وجهى فصار وجهى هكذا) فى ذلك دلالة على فضيلة البكا من خشية الله وان اجرها عند الله عظيم (وقيل راى يزيد الرقاشى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقرأ عليه) شيأ من القرآن (فقال له هذه القراءة فاين البكاء) من خشية الله فيه دلالة على ان القراءة اذا لم يصحبها البكاء والخشوع كانت افضل (وقال الجنيد رايت فى المنام كان ملكين نزلا من السماء ٢٠١ فقال احدهما) لى (ما الصدق فقلت) له (الوفاء بالعهد فقال الآخر صدق ثم صعدا) الى السماء الصدق يكون غالبا فى الاقوال فهو الاخبار بالشئ على ما هو عليه وقد يكون فى صدق النية فهو قوة العزم حتى يقع الفعل المعزوم عليه وقد يكون فى صدق الوفاء فيما عوهد عليه من الاقوال والافعال والنيات فهو الوفاء بما عوهد عليه كما مدح الله قوما بوفائهم العهد فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية وكلام الجنيد من هذا الاخير (ورؤى بشر الحافى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وقال) لى قبل أن غفر لى على وجه العتاب اللطيف (أما استحييت يا بشر منى) حيث (كنت تخافنى كل ذلك الخوف) الذى يخشى منه ان يكون قنوطا أى فكان الاكمل لك ان

٢٦ ج ع

تخافنى خوفا معتدلا برجائى فبشر نظر الى ذنوبه لا الى أعماله الصالحة ونظر الى بطش ربه وأخذه ولم ينظر الى سعة فضله ورحمته فلو نظر كمال النظر اعتدل خوفه ورجاؤه (وقيل رؤى أبو سليمان الدرانى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى وما كان شئ أضر على) فى السؤال (من اشارات القوم) حيث فهمت منها غير مرادهم أو حدثت أو همت غيرى تخلق بها او باحكامها ولم أكن تمكنت فيها (وقال على بن الموفق كنت أفكر يوما) تغيرت فيه الأحوال والاسباب كتضييق الرزق وقلة المطر والسيل (فى سبب عيالى والفقر الذى) نزل (بهم فرأيت فى المنام رقعة فيها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم يا ابن الموفق اتخشى الفقر وأنا ربك) عاتبه بذلك لكونه لم يعتمد عليه (فلما كان وقت الغلس اتانى رجل بكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لى خذها اليك يا ضعيف اليقين) حيث لم تعتمد على الخالق وأرسل الله اليه هذا المال الكثير ليقوى به يقينه ويزيل عنه خوف الفقر بالكلية

والقواطع (قوله ولكن غفرلى بنيتى) أى ولهذا وردنية المرء خير من عمله (قوله فان من الخلق الخ) أى وذلك جميعه على حسب الهمم فى حال الحياة الدنيا وبحسب القسمة الازلية (قوله فاين البكاء) أى ولهذا ندب ان لم يبك القارى فليتباك (قوله فقلت له الوفاء الخ) انما حمل الصدق عليه لكونه أعم متعلقا لشموله جميع ما كلف به الانسان وعوهد على القيام به (قوله من الاقوال الخ) أى فالقصد من الاقوال ان تكون مطابقة للحق ومن الافعال ان تقع على اكمل وجوهها ومن النيات ان تكون خالصة لوجهه الكريم (قوله فقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أى من الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمقاتلة لاعداء الدين وهم رجال من الصحابة رضوان الله عليهم نذروا انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر وغيرهم ومعنى صدقوا اتوا بالصدق من صدقنى اذا قال الصدق (قوله فلو نظر كمال النظر الخ) اقول انما كان ذلك كمال النظر لانه بعيد عن الافراط والتفريط المهلك كل منهما (قوله وما كان شئ اضر على الخ) لعل ذلك محمول على اشارات التخويف الزائدة عن الحد التى ربما أدت السامع الى اليأس مما كان يذكره للمريدين رضى الله تعالى عنه بقصد تربيتهم والا فاذكره الشارح بعيد من مرتبته ومن تخلقه (قوله ليقوى بها يقينه) أى

(وقال) أبو القاسم (الجنيد رأيت في المنام كاني واقف بين يدي الله تعالى فقال لي يا ابا القاسم من أين لك هذا الكلام الذي تقول) ه (فقلت) له (لا اقول الا حقا فقال) لي (صدقت) فيه ذلك تشريف له ودلالة على ان جميع كلامه كان حقا (وقال ابو بكر الكتاني رايت في المنام شابا لم ار احسن منه فقلت له من انت فقال) انا (التقوى) هي اسم جامع للاعمال الصالحة المقارنة للخوف والرجاء (فقلت) له (واين تسكن قال) اسكن (في كل قلب حزين) على التقصير في القيام بما ينبغي لرب العباد لدلالة التقوى على كمال الخشية من الله قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا ٢٠٢ (ثم التفت فاذا امراة سوداء كاوحش ما يكون) من النساء (فقلت لها) من انت فقالت) انا (الضحك فقلت لها (واين تسكنين فقالت) أسكن (في قلب كل فرح) اى مسرور (مرح) اى شديد الفرح لدلالتهما على كمال الغفلة وتمكن القسوة قال الله تعالى ان الله لا يحب الفرحين والمراد الفرح بالدنيا اما الفرح بنعم الله وبما يرد منه من اللطف والبر فمحمود قال تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله (قال فانتبهت واعتقدت) اى عزمت على (ان لا اضحك الا غلبة) فيما ذكر دلالة على ان ما يرى ليس ذات المرئي وانما هو صورة ومثال كما مر (وحكى عن ابي عبد الله بن خفيف قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم كانه قال لي من عرف طريقا الى الله تعالى) من طرق عبادته (يسلكه ثم رجع) اى اعرض (عنه عذبه الله عذابا لم يعذب به احدا من العالمين) فيه دلالة على ان عذاب العالم على المعصية اشد من عذاب الجاهل عليها (و) قيل (رؤى الشبلي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال ناقشني حتى أيست) من نفسي ففي الخبر من نوقش الحساب عذب (فلما راى ايسي تغمدني) اى غمرني (برحمته) وفضله قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ولكن الله يزكي من يشاء (وقال ابو عثمان المغربي رايت في النوم كان قائلا يقول لي يا ابا عثمان اتق الله في الفقر ولو) كانت التقوى (بقدر سمسمة) والمراد الفقر من المال او الى الله دون غيره اى اتق الله في حال فقرك وضرورتك من تناول ما فيه شبهة أو اتق الله في ان لا تعتمد على غيره من الاسباب المبالغة

فكان ذلك لطفا به ورحمة (قوله في ذلك تشريف) أي اظهار لشرفه والا فالحق تعالى أعلم به منه (قوله رأيت في المنام شيأ الخ) ذلك التمثيل له من اللطف به ليحذر ما يضر ويدوم على ما يسر بشاهد محاسن المتابعة (قوله قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا) المراد بالمعية الولاية الدائمة التي لا يحوم حول صاحبها شائبة شيء من الجزع وضيق الصدر وما يشعر به دخول كلمة مع من متبوعية المتقين انما هو من حيث انهم المباشرون للتقوى والمراد بالتقوى المرتبة الجامعة لما تحتها من التوقي من الشرك والتجنب عن كل ما يؤثم من فعل وترك أي التنزه عن كل ما يشغل السر عن الحق والتبتل اليه بشراشر النفس وهي التقوى الحقيقية المؤثرة للولاية المقرونة ببشارة قوله سبحانه الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقوله والذين هم محسنون المراد بهم من اتى بالاعمال على الوجه الاكمل اللائق الذي هو حسنها الوصفي المستلزم لحسنها الذاتي المشار اليه بخبر ان تعبد الله كانك تراه الحديث وفي تكرير الموصول اشارة وايذان بكفاية كل من الصلتين وتقديم التقوى على الاحسان لما ان التخلية بالخاء المعجمة مقدمة على التحلية بالحاء المهملة (قوله لدلالتهما على كمال الغفلة) أي الغفلة عما الانسان عرضة له في الدنيا والدين من الابتلاء والامتحان وسبب قسوة القلب الانهماك على الحظوظ والمالوفات (قوله قال تعالى فرحين بما آتاهم الله من فضله) أي وهو شرف الشهادة والفوز بالحياة الابدية والزلفى من الله تعالى والتمتع بالنعيم السرمدي (قوله من عرف طريقا الى الله) أي مما يطلب الدوام عليه من أنواع العبادات (قوله أشد من عذاب الجاهل) أي لان العالم لا عذر له بعد علمه والجاهل قد يعذر في الجملة (قوله تغمدني الخ) مأخوذ من غمد السيف الذي يعمه ويستره فالمراد شمول الرحمة كما قاله الشارح (قوله قال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته) الخطاب لجميع الخلق والمعنى لولا تقدم ارادته الخير والاحسان ما زكى منكم من أحد بمجرد قوته ولكن الله يزكي من يشاء بان يخلق فيه قدرة العبادة والطاعة فله الفضل أولا وآخرا ظاهرا و باطنا (قوله اتق الله في الفقر الخ) ووجه تخصيص الفقر انه مظنة التعدي لما فيه شبهة من أنواع المكاسب وقوله ولو كانت الخ الغرض منه

انه لا تكون كذا بامد عما لابس فيك (وقيل كان لأبي سعيد الخراز ابن مات قبله فرآه في المنام فقال له يا بني أوصني فقال) له (يا أبت لا تعامل الله على الجبن) أي قلة الشجاعة من الفتور والكسل في الطاعات (فقال) له (يا بني زدني) في الموعظة (فقال) له (لا تخالف الله تعالى فيما يطالبك به) من الطاعات (فقال) له (زدني فقال لا تجعل بينك وبين الله قميصا) أي لا تقف مع شئ يحجبك عن طاعته فإن حبك الشئ يعمي ويصم فمن أحببت شيأ من الدنيا منعك حبه عن القيام بالمأمورات واوقعك في بعض المحرمات وفوت عليك اعلى الدرجات (فما لبست القميص ثلاثين سنة) لئلا يشغله ويحجبه عن الطاعات (وقيل كان بعضهم يقول في دعائه اللهم الشئ الذي لا يضرك وينفعنا لا تمنعه عنا) فهذا ايهام ان ثم شيأ يضره تعالى وشيأ ينفعه وليس مرادا (فرأى في المنام كأنه قيل له وأنت فالشئ الذي يضرك ولا ينفعك فدعه) ٢٠٣ أي اتركه في نومه بذلك على ما ينتفع به وهو امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه (وحكى عن أبي الفضل الأصبهاني انه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت) له (يا رسول الله سل الله أن لا يسلبني الايمان) بأن يختم لي بخير (فقال) لي (ذلك شئ قد فرغ الله منه) أي قضاه وقدره في الازل فاعمل بما أمرك الله به واجتنب ما نهاك عنه مع الخوف والرجاء (وحكى عن أبي سعيد الخراز أنه قال رأيت ابليس في المنام فأخذت عصاي لأضربه) ليهرب مني (فقيل لي انه لا يفزع) أي يخاف (من هذا انما يفزع هذا من نور يكون في القلب) مراده بالنور كمال معرفة الله تعالى وجمال مناجاته أي فإن كمل نور قلبك خاف منك وهرب ففيه تحريض له على كمال الشغل بالله والاعراض عما سواه (وقال بعضهم كنت أدعو لرابعة العدوية) بعد موتها (فرأيتها في المنام تقول) لي (هدايا تأتينا على اطباق من نور مخمرة) أي مغطاة (بمناديل من نور) فيه تعريف للداعي بأن دعاءك لنا بالاخلاص يأتينا بركته على أحسن وجه (ويروى عن سماك بن حرب انه قال كف بصري فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي ائت الفرات فاغتمس) وفي نسخة فاغتسل (فيه وافتح عينيك قال ففعلت فأبصرت) هذا من جملة المداواة للابصار اذا منعها من الرؤية بعض الغشاء اللطيف لأن الماء الصافي اذا نزل الانسان فيه وفتح عينيه تصرف منهما من البخار ما كان يتوالى منه على محل الابصار والادراك (وقيل رؤي بشر الحافي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال لما رأيت ربي عز وجل قال لي مرحبا يا بشر لقد توفيتك يوم توفيتك وما على الأرض أحب الي منك) فيه مدح له وبيان مرتبته عند ربه ومزيته على العباد في زمنه وفائدة ذلك أن الرائي يزداد به عملا في الطاعات

(باب الوصية للمريدين) قال الاستاذ الامام) القشيري رضي الله عنه

المبالغة في التحذير عما فيه شبهة ولو كان قليلا جدا (قوله لئلا تكون كذا بامد الخ) أي فتكون حينئذ كالمتشبع بما لم ينل (قوله أي لا تقف مع شئ الخ) أي ولو كان ذلك الشئ قليلا فالمكاتب قن ما بقي عليه درهم (قوله فما لبست القميص الخ) لعل مراده ما لبس قميصا يزيد على قدر الحاجة بشاهد العلم (قوله فقال لي ذلك شئ قد فرغ الله منه) أي فالعبرة بما سبق به القضاء الازلي ومع ذلك فلا ينبغي الاشتغال بذلك بل بمقتضيات الاوامر والنواهي (قوله ففيه تحريض على كمال الشغل بالله) أي بما أمر به ونهى عنه والاعراض عما سوى ذلك (قوله فيه تعريف للداعي الخ) أي وفيه ان الميت ينتفع بدعاء الحي وتصل اليه بركته وهو كذلك على المعتمد (قوله قال ففعلت فأبصرت) أقول اذا كان هذا من دواء الحق بدون واسطة الخلق فلا يختص بعارض للبصر دون عارض (قوله وفائدة ذلك ان الرائي الخ) أي فهو من اللطف به ليقوى يقينه ويدوم سروره

(تنبيه) اذا تأملت ما يأتي في الذي سيذكره في وصيتهم ويعول عليه في سلوك طريقهم والاستشهاد على ذلك بواضح ادلتهم تعلم اتحاد الشريعة والطريقة وان أحكامهما واحدة في الحقيقة لانهما قد رجعا الى اصل واحد وهو الادلة والبراهين القاطعة من نص الكتاب وسنة سيد الاحباب واجماع المسلمين واتفاق العلماء المحققين وتبينت ان طريق المريدين مستندة الى ما استندت اليه سائر أحكام الشريعة من الآيات والاخبار الصحيحة وانهم انما اخذوا بافضل المندوبات واتصفوا بأكمل الاحوال والمقامات فالله هو المسؤول في الانعام بمثل ما أنعم به عليهم والتخلق بافضل الاخلاق لديهم انه سميع الدعاء جزيل النعماء في العطاء قال رضي الله تعالى عنه

(باب الوصية للمريدين)

أي الوصية بما يلزمهم التخلق به اذا أرادوا السير الى الله تعالى وحاصل ذلك على طريق الاجمال البدء بالاهم فالاهم فيبدأ المريد أولا بتصحيح عقيدته بالنظر في ادلة علم الكلام العقلية والسمعية حتى يعلم ما يجب للحق تعالى وما يجوز وما يستحيل وكذا يجب مثله في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام ثم بعد ذلك ينظر فيما يصحح اعماله في عبادة ربه على طريقة متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم يتوب الى الله تعالى مما جناه على نفسه من الذنوب صغيرها وكبيرها عمدها وخطئها وسهوها ويرد المظالم الى أهلها ثم يأخذ في طريق تجريد النفس عن حب الدنيا مالا وجاها وغير ذلك من باقي حظوظ النفس وعاداتها وما ألفتها فيجد في طريق خلافها على سبيل التدريج شيأ فشيأ حتى لا تمل ويبعد عن ابناء الدنيا المشتغلين بها وعن مشاهدة ما تميل اليه النفس بطبعها الخسيس وكل ذلك يكون على يد شيخ موفق عالم بطرق الوصول الى الله تعالى والحذر كل الحذر من مخالفته أو الاعتراض على شئ يبدو منه في حركاته وسكناته فاذا احتاج الى شئ سأله عنه على وجه الاستفهام بغاية الادب والخشوع فاذا سلك على الطريق الذي قدمناه ودام كذلك على فعل ما يرضي مولاه رجى له الخير والسداد وثبت في ديوان المحبين المحبوبين من العباد (قوله لما أثبتنا طرفا الخ) أشار بذلك الى ان ما ذكره نبذة لطيفة والا فمواهبه تعالى وانعاماته على عباده لا تستقصى فلا طريق الى سبر أهل المواهب رضي الله تعالى عنهم (قوله في سير القوم) أي التي نقلت عن ثقاة الامة وعدولهم (قوله أبوابا) جمع باب وهو لغة فرجة في ساتر يتوصل منها من خارج الى داخل وبالعكس وعرفا جملة من العلم مشتملة على فصول ومسائل غالبا (قوله من المقامات) جمع مقام وهو ما يدوم للعبد من الاخلاق المحمودة والحال ما لا يدوم له (قوله أردنا ان نختم الخ) اى بذلا للنصيحة لهم وشفقة ورحمة بهم كما هو لازم لاخوة الدين والله خير الشاهدين (قوله حسن توفيقهم) التوفيق خلق قدرة الطاعة في العبد المطيع (قوله وان لا يحرمنا القيام بها) أي التخلق بمعانيها وحقائقها (قوله وان لا يجعلها حجة علينا) أي شاهدة علينا بعدم التخلق بمضمونها (قوله فأول قدم للمريد الخ) مراده أول ما يقدم به المريد على عبادة ربه ان يتحلى بحلية الصدق في مقاصده وأعماله لتثمر له الفوائد ويرجع بمحاسن العوائد (قوله انما حرموا الاصول الخ) أي الوصول الى درجات الكمال والقرب وعوائد الافضال (قوله لتضييعهم الوصول) جمع أصل وهو ما يبنى عليه غيره من المقاصد والاعمال (قوله بتصحيح اعتقاد بينه الخ) الاعتقاد هو جزم القلب عن دليل عقلي أو سمعي أو هما معا وذلك بعد النظر في الدليل المذكور بأوجه النظر المعلومة هذا ويكفي الاعتقاد الناشئ عن التقليد في أصل الايمان وان جامع الاثم بالنسبة لمن قدر على النظر في الدليل وقصر فيه كما لا يخفى على من له المام (قوله صاف عن الظنون والشبه) أقول هو تأكيد لقوله اعتقاد الخ اذ لا يسمى اعتقادا الا اذا كان كذلك (قوله خال من الضلالة والبدع) اى كاعتقاد القدرية والجبرية

والجهمية

(لما أثبتنا طرفا من سير القوم وضمنا الى ذلك أبوابا من المقامات) والاحوال (أردنا ان نختم هذه الرسالة بوصية للمريدين) بل ولغيرهم (نرجو من الله سبحانه حسن توفيقهم لاستعمالها وان لا يحرمنا القيام بها) ولا بمضمونها (وان لا يجعلها حجة علينا فأول قدم للمريد في هذه الطريقة) أي طريقة الصوفية (ينبغي) له (ان يكون) بانيا أمره (على الصدق) مع الله تعالى (ليصح له البناء على اصل صحيح فان الشيوخ قالوا انما حرموا الوصول لتضييعهم الاصول كذلك) أي هكذا (سمعت الاستاذ أبا على) الدقاق رحمه الله (يقول) اذا تقرر ذلك (فيجب البداية بتصحيح اعتقاد بينه وبين الله) تعالى (صاف عن الظنون والشبه خال من الضلالة والبدع

صادر عن البراهين والحجج) وذلك لخبر انما الاعمال بالنيات وصحة الاعتقاد بموافقة ماعرف بالادلة الصحيحة (ويقبح بالمريدان ينتسب الى مذهب من مذاهب من ليس من هذه الطريقة) من الطرائق التى لا تجرنفعا (وليس انتساب الصوفى الى مذهب من مذاهب المختلفين سوى) أى غير (الطريقة (الصوفية الا نتيجة جهلهم) الانسب جهله (بمذاهب أهل هذه الطريقة فان هؤلاء) أى الصوفية (حججهم فى مسائلهم أظهر من حجج كل أحد وقواعد مذهبهم أقوى من قواعد كل مذهب والناس) قسمان لانهم (اما أصحاب النقل والاثر واما ارباب العقل والفكر وشيوخ الطائفة هذه ارتقوا) بعمارة بواطنهم بالاخلاق الجيدة وبعدهم عن الاخلاق الذمية ومراقبتهم لربهم فى أعمالهم (عن هذه الجملة) أى جملة القسمين (فالذى) هو (للناس غيب) عن أعينهم (فهو لهم ظهور والذى) هو (للخلق) من المعارف (مقصود فلهم) أى فهو لهم (من الحق سبحانه موجود) بلطف الله وفضله وكرمه (فهم أهل الوصال والناس أهل الاستدلال وهم كما قال القائل

ليلى بوجهك مشرق
وظلامه فى الناس سار
والناس فى سدف الظلا * م)

بضم السين وفتح الدال جمع سدفة بفتح السين وإسكان الدال وهى الظلمة (ونحن فى ضوء النهار)

والجهمية والمجسمة وغيرهم من بقية فرق اهل الاعتزال (قوله صادر عن البراهين والحجج) اى ناشئ عنهما وعطف الحجج على البراهين للتفسير وهذا الدليل اما عقلى واما سمعى على حسب ما يقتضيه الحال فى العقائد وهذا فى حق القادر على النظر والا فيكفيه الاعتقاد الصادر عن التقليد ويكفى ايضا الدليل الجلى بالنسبة للعامة على معنى انه لو عرض عليه ما افاده الدليل لاذعن اليه وانقاد له (قوله وذلك لخبر انما الاعمال بالنيات) أى وحيث كان معناه لا عمل بدون نية وجب الاعتقاد لاجل وقوع العمل المكلف به صحيحا وهذا الذى أوضحناه فى معنى الخبر من ان معناه نفى صحة العمل بدون النية هو ما ذهب اليه امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه خلافا لغيره ممن يقول المنفى الكمال لا الصحة والوجه مع امامنا فان نفى الصحة أقرب الى الحقيقة من نفى الكمال على ما يظهر لاولى الفضل والافضال (قوله وصحة الاعتقاد الخ) أى كفاية الاعتقاد فى ثبوت الايمان والتخلص من الاثم لا تكون الا اذا وافق الاعتقاد ما عرف من ذلك الدليل (قوله ويقبح بالمريدان ينتسب الخ) أى يقبح منه ذلك بعد تحققه بما تقدم من وجوب تصحيح اعتقاد بينه وبين الله تعالى على النعت المذكور (قوله وليس انتساب الصوفى الخ) غرضه ان من انتسب الى الصوفية وانتحل مذهبا يخالف ما ذهبوا اليه فى طريقهم كان ذلك دليلا على جهله ونتيجة لجهله لا غير لان مذهبهم مذهب أهل الحق من جماعات المسلمين رضى الله تعالى عنهم أجمعين (قوله فان هؤلاء) تعليل لقوله وليس انتساب الصوفى الخ (قوله اظهر من حجج كل أحد) أى لانهم انما بنوها على اصول صحيحة وطرق واضحة لا تخفى الا على ذى عمى فى بصيرته (قوله والناس قسمان الخ) هو علة لما ادعاه من اظهرية ما ذهب اليه الصوفية وذلك لان ما ذهب اليه غيرهم اما ان يكون صادرا عن دليل سمعى واما ان يكون صادرا عن نظر عقل واستعمال فكر صحيحين فى نظرهما وهم رضى الله تعالى عنهم ارتقوا عن ذلك بعد تحققه عندهم الى ما هو اعلى منه بواسطة زيادة انوار بصائرهم بعمارتها بالاخلاق الجيدة ومراقبتهم لربهم فى كامل حركاتهم وسكناتهم (قوله فالذى هو للناس الخ) تفريع على ما قبله من الارتقاء والمعنى ان ما غاب عن اعين غيرهم من أحكام الحق تعالى فهو لهم ظهور اى ظاهر وذلك انه بواسطة اشراق انوار بصائرهم صارت الاحكام عندهم بعد تحققها دليلا وبرهانا كشفا وعيانا بخلاف غيرهم ممن بقى على عقال عقله لم ينفك عنه (قوله والذى هو للخلق مقصود) اى مقصود تحصيله فهو لهم موجود اى بشاهد خبر من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم (قوله فهم اهل الوصال) اى اهل المواصلة حيث انهم وصلوا بزيادة النور القلبى الى مقام المشاهدات والمكاشفات دون غيرهم من بقية الخلق وقوله والناس اى غيرهم اهل الاستدلال اى لانهم وقفوا مع الظواهر بسبب عدم تمكنهم من احكام السرائر (قوله وهم كما قال القائل ليلى بوجهك مشرق * وظلامه فى الناس سار الخ) الذى محصله ان ظلمة الجهالات الثابتة لغيره قد محاها منه

ولم يكن عصر من الاعصار في مدة الاسلام الا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة ممن له علوم التوحيد وامامة القوم الا وأئمة ذلك الوقت من العلماء استسلموا) أى انقادوا (لذلك الشيخ وتواضعوا له وتبركوا به ولولا مزية وخصوصية لهم) يعنى للمشايخ عند أئمة ذلك الوقت (والا كان الامر بالعكس) ٢٠٦ يعنى كانوا مستسلمين لائمة ذلك الوقت (هذا أحمد بن حنبل كان عند الشافعى فجاء شيبان الراعى) رضى الله عنهم (فقال أحمد) للشافعى (أريد يا أبا عبد الله ان انبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم) التى يلزمه تحصيلها (فقال) له (لا تفعل) لان الله لا يخلى مثله عن ذلك (فلم يقنع) منه بذلك (فقال لشيبان ما تقول فيمن نسى صلاة من خمس صلوات فى اليوم والليلة ولا يدرى أى صلاة نسيها ما الواجب عليه يا شيبان فقال) له (شيبان يا احمد هذا قلب غفل عن مولاه فالواجب ان يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه بعد قال فغشى على احمد) من كلام شيبان حيث أثر فيه (فلما افاق قال له الشافعى الم اقل لك لا تحركه هذا وشيبان الراعى كان اميا منهم) وقد اجرى الله على لسانه الحق حتى انتفع به العلماء (فاذا كان حال الامى منهم هكذا فما الظن بائمتهم) ولا ريب ان من دام شغله بالله وبمراعاته احكامه وباستشعار نظر الحق اليه فى سائر تصرفاته من حركته وسكونه كان افضل من غيره وان تساويا فى العلم بالاصول والفروع (وقد حكى ان فقيها من اكابر الفقهاء كانت حلقته بجنب حلقة) ابى بكر (الشبلى بجامع المنصور وكان يقال لذلك الفقيه ابو عمران وكان يتعطل عليهم) اى على ابى عمران وأصحابه (حلقتهم لكلام الشبلى) برفع صوته فضيلته (فسأل اصحاب ابى عمران يوما الشبلى عن مسئلة فى الحيض وقصدوا) بذلك (اخجاله) ويحتمل انهم قصدوا ان يعلموا ما عنده فى ذلك (فذكر مقالات الناس فى تلك المسئلة والخلاف فيها فقام أبو عمران وقبل رأس الشبلى) لما عرف من

اشراق نور الحق على قلبه وهذه الظلمة سارية فى الناس الذين لم تسبق لهم عناية الحق فما وقفوا على حقائق اشارات الصدق وذلك على حسب القضاء الازلى السارى حكمه فيما لا يزال (قوله والناس الخ) ظاهر المعنى مما وضحناه قبله هذا والاولى ان يقول فهم كما قال القائل لتفريعه على ما قدمه (قوله ولم يكن عصر الخ) اى لم يكن زمن من الازمان وقرن من القرون الا وفيه شيخ من شيوخ هذه الطائفة قائما بالارشاد غيره من امة نبيه وحبيبه لطفا من الله ورحمة وزيادة لكرامة رسوله صلى الله عليه وسلم (قوله ممن له علوم التوحيد) اى مع اشارات التجريد والتفريد (قوله الا وأئمة ذلك الوقت) اى المقدمون فيه فى علوم الشريعة استسلموا وانقادوا لذلك الشيخ اى فدل ذلك على زيادة صدقهم وتحقيق صفاء سرائرهم ورفعة درجاتهم واحوالهم (قوله ولولا مزية وخصوصية لهم) اى مزية وخصوصية باطنية لم تتحقق لغيرهم اى فتأثر علماء الظاهر بهم يدل على عمارة الباطن منهم (قوله والا كان الامر بالعكس) اى الا نقل ان ائمة الوقت من علماء الظاهر استسلموا لهم لما شاهدوه من خصوصيتهم ومزيتهم لكان الامر بالعكس يعنى لكان الصوفية هم المستسلمون لائمة الوقت وذلك باطل لانه خلاف الواقع (قوله هذا أحمد الخ) شروع فى اثبات الدعوى بجزئيات من اخلاق أهل التقوى (قوله فقال أحمد الخ) من تقديم سؤاله تعلم ان الغرض له رضى الله تعالى عنه بذل النصح لاخوانه المؤمنين لا تقبيح آحاد الموحدين (قوله فقال له لا تفعل الخ) أقول يدل ذلك منه رضى الله تعالى عنه على انه أكمل فى النظر وأقوى بصيرة وبصر (قوله لان الله لا يخلى الخ) أى فالظاهر من حسن حاله يدل على زيادة نواله (قوله فلم يقنع الخ) أقول هو على باب ولكن ليطمئن قلبى فلا تظن الا خيرا أو لا تتوهم ضيرا (قوله فقال له شيبان الخ) أى فقد أجابه بالسبب الذى به كان العطب (قوله حيث أثر فيه) أى لانه نشأ عن عمارة القلوب وواردات الغيوب (قوله قال له الشافعى الم الخ) أى فهذا جزاء من لم يقنع وللنصيحة لم يسمع بل رام الافصاح نصحا حتى اتضح له الحق صبحا (قوله كان اميا منهم) أى فكان محمدى العرفان وأحمدى الفرقان (قوله فما الظن بائمتهم) أى من ثبت له العلم وفاق الفهم (قوله من دام شغله بالله) أى بواسطة تفكره فى مظاهر اسماء الله وصفاته وعجائب مصنوعاته (قوله وبمراعاته أحكامه) أى من أمره ونهيه ووعده ووعيده (قوله وباستشعار نظر الحق اليه) أى بواسطة دوام مراقباته فى سائر حركاته وسكناته (قوله كان أفضل من غيره) اى لما امتاز به مما ذكر من اخلاقه (قوله وكان يتعطل عليهم) اى بسبب تشويش رفع الصوت (قوله ويحتمل انهم قصدوا الخ) هو الاولى فى الحمل تحسينا للظن (قوله لما عرف من

فضيلته (وقال) له (يا أبا بكر) قد (استفدت) منك (فى هذه المسئلة عشر مقالات لم أسمعها) من غيرك (وكان عندى من جملة ما قلت) أنت فيها (ثلاثة أقاويل) فكان جملة ما قاله فيها ثلاث عشرة مقالة (وقيل اجتاز أبو العباس بن سريج الفقيه بمجلس الجنيد فسمع كلامه فقيل له ما تقول فى هذا) الكلام الذى يقوله الجنيد (فقال ما أدرى ما يقول ولكن أرى لهذا الكلام صولة) أى وثبة (ليست بصولة مبطل) حاصله انه سمعه يتكلم فى الاحوال والمقامات فلم يفهمه ولم يشتغل به ومع ذلك غلب على ظنه صحته وصدقه فلم يعترضه وفيه دلالة على فضيلته وانصافه لتسليمه الحق لاهله بحسب ما غلب على ظنه (وقيل لعبد الله بن سعيد بن كلاب) بضم الكاف وكان عالما بعلم الكلام (أنت تتكلم على كلام كل أحد وههنا رجل ٢٠٧ يقال له الجنيد فانظر هل تعترض عليه أم لا فحضر حلقته فسأل الجنيد عن التوحيد فاجابه) عن سؤاله (فتحير أبو عبد الله وقال) له (أعد على ما قلت فأعاده ولكن لا بتلك العبارة فقال له عبد الله هذا شئ آخر لم احفظه تعيده) ه (على مرة أخرى فأعاد) ه (بعبارة أخرى فقال) له (عبد الله ليس يمكننى حفظ ما تقول أمله علينا فقال ان كنت أجرته) أى سلكته ومشيت فيه (فأنا امليه) عليك (فقام عبد الله وقال بفضله واعترف بعلو شأنه) كما هو شأن العلماء الفضلاء انهم يرجعون الى الحق ويقرون بفضل من امتاز عليهم وتقدم ان علم التوحيد مباين لوجوده وحاله فالذى كان يعلمه عبد الله علم التوحيد والذى لم يفهمه وتكلم عليه الجنيد حال التوحيد وكماله ان يشتغل بربه حتى يغيب عن قلبه من سواه (فاذا كان أصول هذه الطائفة أصح الاصول ومشايخهم أكبر الناس وعلماؤهم اعلم الناس فالمريد الذى له ايمان بهم ان كان من أهل السلوك والتدرج الى مقاصدهم فهو يساهمهم فيما خصوا به من مكاشفات الغيب) وهم أولى الناس به لانهم قد نالوا منازلهم وعرفوا درجاته (فلا يحتاج) المريد (الى التطفل على من هو خارج عن هذه الطائفة وان كان مريدا طريقة الاتباع وليس بمستقل بحاله ويريد ان يعرج فى اوطان التقليد الى ان يصل الى) مقام (التحقيق فليقلد سلفه) فى ذلك (وليجر على طريقة هذه الطائفة) وفى نسخة الطبقة فهم اولى به أيضا كما قال (فانهم اولى به من غيرهم ولقد سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمى يقول سمعت أبا بكر الرازى يقول سمعت الشبلى يقول ما ظنك بعلم علم العلماء) الذين لم يبلغوا درجة أهله أى سماعهم له

فضيلته) أى ويدل لذلك ما اشتهر من قولهم ما اتخذ الله من ولى جاهل ولو اتخذه لعلمه (قوله فكان جملة ما قاله فيها) أى فى مسئلة الحيض ثلاث عشرة مقالة أى فى بيان حكمها (قوله فقال ما أدرى الخ) فيه تنبيه على قوة تسليمه وانصافه حيث اعترف بالعجز عن علم ما يقوله الجنيد بسبب عدم فهمه ورد العلوم لاربابها وعدم التعرض للانتقاد عليهم (قوله فقال ان كنت اجرته الخ) أى فالكلام لا يجدى الا لمن أراد التخلق بمضمونه *(فائدة)* قال حاتم الاصم ما من يوم أو ما من صباح الا والشيطان يقول لى ما تأكل وما تلبس وما تسكن فأقول آكل الموت والبس الكفن واسكن القبر فهذا منه ارشاد الى قصر الامل حيث هو الدافع لشر وساوس الشيطان ولاسيما للمتجردين من المريدين (قوله والذى لم يفهمه الخ) أى وحال التوحيد أقوى من علم التوحيد لانه بواسطة غلبة الاشتغال بادلة التوحيد يغلب أثره على القلوب فيصير ما يتضح بالادلة كشفا وعيانا بعد ان كان علما وبرهانا (قوله فاذا كان أصول هذه الطائفة الخ) شروع فى نتيجة ما قدمه *(فائدة)* قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى ومن خشع قلبه لم يقرب به الشيطان أقول وهو صحيح فان أحكام الله تعالى لا يتأتى للعبد القيام بها على وجه كمالها الا بمخالفة النفس والهوى لان النفس مائلة أبدا الى الراحات نافرة من المتعبات وخشوع القلب بواسطة امتلائه بذكر الرب وكمال تعظيمه له وخشيته منه يبعد من خواطر الشيطان بحفظ الملك الرحمن (قوله ومشايخهم أكبر الناس) أى اعظمهم فضيلة (قوله فهو يساهمهم) أى يقاسمهم وان لم يساوهم فى الحظ والنصيب (قوله لانهم قد نالوا الخ) اى فهم خبراء أدلاء على طريق الحق لان من ذاق عرف ومن وصل الى البحر اغترف (قوله وان كان مريدا طريقة الاتباع الخ) أى بأن كان قاصرا عن درجة العلم بالدليل بنفسه بل كان شأنه تقليد غيره فعليه بمتابعة ذلك الغير فيما

(فيه تهمة) لانهم لم يفهموا مقاصد أهله فيقعوا فيما لا ينبغى فيتهمهم غيرهم (وسمعته) أيضا (يقول سمعت محمد بن أبى على المخرمى
يقول سمعت محمد بن عبد الله الفرغانى يقول سمعت الجنيد يقول لو علمت ان لله علما تحت اديم السماء) أى وجهها
(أشرف من هذا العلم الذى نتكلم
فيه مع أصحابنا واخواننا)
الصوفية (لسعيت اليه ولقصدته)
لانال فضلته وبركته (واذا
احكم) أى اتقن (المريد بينه وبين
الله عقده) أى اعتقاده صحيحا
(فيجب ان يحصل) لنفسه (من علم
الشريعة اما بالتحقيق) أى بالاخذ
من العلماء بالبحث والنظر فى الادلة
(واما بالسؤال عن) بمعنى من
(الائمة ما يؤدى به فرضه وان
اختلف عليه) فى جواب السؤال
(فتاوى الفقهاء يأخذ) منها
(بالاحوط) كان قال له واحد فى
طعام يأكله حلال وقال له الآخر
مكروه فيأخذ بقول الثانى
(ويقصد) بالاخذ بالاحوط
(الخروج من الخلاف) وهل يجوز
تقليد المفضول فقيل نعم ورجحه
ابن الحاجب وقيل لا والمختار عند
التاج السبكى جوازه لمن اعتقده
أفضل من غيره أو مساويا له بخلاف
من اعتقده مفضولا ولا يتتبع
الرخص فى المذاهب بأن يأخذ
من كل منها ما هو الاسهل فيما يقع
من المسائل كما لا يأخذ
الصوفى الا بالاحوط كما مر (فان
الرخص فى الشريعة للمستضعفين
وأصحاب الحوائج والاشغال
وهولاء الطائفة) أى الصوفية
(ليس لهم شغل سوى القيام
بحقه سبحانه ولهذا قيل اذا انحط الفقير عن درجة الحقيقة الى رخصة الشريعة فقد

يقلده فيه حتى يصل الى درجة المعرفة ثم يقصد طريقة هؤلاء المشايخ فحاصل كلامه أولا وثانيا ان المريد قسمان عالم بالدليل أو مقلد فى السبيل وعلى كل المرجع فى الوصول لارباب الاصول (قوله فيه تهمة) أى سبب لوقوعهم فى اتهام الغير اهم بسبب عدم وصولهم لاشارات تلك العلوم وعدم ادراك هاتيك الرسوم * (تنبيه) * قال سهل بن عبد الله التسترى رضى الله تعالى عنه شكر العلم العمل به وشكر العمل زيادة العلم وما من قلب الا والله مطلع عليه فى ساعات الليل والنهار فايما رأى فيه حاجة الى ما سواه سلط عليه ابليس أقول وذلك لان من عرف قدر العلم وانه من أعظم النعم دام على العمل به اذ هو المقصود من الانتفاع بهذه النعمة وظهر تحققها له وقيام بما أحبه المنعم من تلك النعمة وذلك شكرها ولان من عرف مقدار نعمة الله تعالى عليه بما وفقه له من العمل الصالح قويت رغبته فى تحقيق العلم واجادته وتخليصه من الآفات فيزداد بذلك علما وهذا شكر لله على ما وهبه اياه من التوفيق الى القيام بطاعته وهو شكر العمل لله لانه قد استعمل النعم فى الطاعة وتوصل بنوع من القربات الى الغايات حسب الاستطاعة والقلب اذا التفت الى ما سواه تعالى فقد تفرق وتشتت وتعرض الى الوساوس الشيطانية والعوارض الخيالية فكان فى مواطن الخطر بعيدا عن الظفر (قوله لو علمت الخ) غرضه رضى الله تعالى عنه انه لا علم أشرف من علم الصوفية المتعلق بالحق تعالى لانه لو كان هناك أشرف لسعوا اليه حيث هم دائما بصدد الاهم والله اعلم (قوله واذا أحكم الخ) أفاد ان أول واجب على المكلف معرفة الحق تعالى بطريق الدليل أو غيره مما يكفى فيه وهو كذلك كما هو مقرر عند الجمهور (قوله فيجب ان يحصله الخ) أى فيلزمه السعى فى طرق تصحيح اعماله ومقاصده التكليفية على طريق المتابعة لاجل ان يوقعها على أكمل وجوهها حسبما ورد (قوله اما بالتحقيق الخ) أى ومحله ان كان ممن له قوة الاستقلال بدرجة الاجتهاد والا فبالسؤال من الائمة المجتهدين أو مقلديهم (قوله فى طعام يأكله) أى يريد أكله (قوله ويقصد الخ) أى حتى يكون عاملا بالسنة (قوله وهل يجوز تقليد المفضول) أى مع وجود الفاضل (قوله وهل يجوز تقليد المفضول) أى المفضول فى نفس الامر لا فى نظره كما يعلم من باقى كلام الشارح (قوله والمختار الخ) هو المعتمد (قوله بخلاف من اعتقده مفضولا) اى لعدم تحقيق جزمه بمذهبه (قوله ولا يتتبع الرخص) لعل مراده والله أعلم تتبع الرخص فى المذاهب قصد السهولة لا اذا دعى لها داع شرعى والرخص جمع رخصة وهى الحكم المنتقل اليه السهل فهى تقابل العزيمة التى هى الحكم الاصلى (قوله فان الرخص الخ) أى فهى انما شرعت للتخفيف عن المعذورين لا مطلقا (قوله ليس لهم شغل سوى القيام الخ) أى وذلك يلزمه الجد والاجتهاد والترخص بغير شاهد العلم ينافى ذلك (قوله عن درجة الحقيقة) أى التى لا تنال غالبا الا بشق الانفس (قوله فقد

فسخ

فسخ عقـده) أي عزمه وتصميمه (قوله فالمحمود ملازمته الخ) أي عملا بخبر لا يمل الله حتى تملوا الذي حاصـل معناه لا يترك الله عطاءه حتى يفتر العبـد ويترك العمل فالذي ينبغي لمن يريد السير الى الله تعالى القيام على نفسه بتدريجها حتى تتمرن على مشاق الطاعة شيأ فشيأ (قوله اذ اعمـال الطاعة الخ) علة لقوله فالمحمود ملازمته الخ وقوله لا بد فيها من مخالفة الهوى أي مخالفـة ما تهواه النفس الذي من جملته حب الراحات والتهاون في القيام بالمطلوبات (قوله بتحصيل الافضل) أي على الوجه الاكمل في حقه (قوله ان يتأدب) أي يسلك طريق الادب في السير الى الله تعالى بشيخ الخ (قوله لعدم معرفته الاحكام) أي فالشان ذلك فلو فرض خـلافه فلا يعتبر اذ للواسطة سر في ذلك (قوله ولكن لا تثمر) أي وحيث كان كذلك فلا فائدة بل ربما يحصل الضرر والله أعلم (قوله نفسا فنفسا) أي درجة فدرجة ومقاما فمقاما على حسب ما يراه شيخه في استعداده (قوله يجب ان يتوب الى الله الخ) أي ويـنـدب له أخذا مما يأتي ان يتوب عن العلاقات والعلالات وسائر الحظوظ النفسية على التدريج في هذا وعلى الفور فيما قبله * (تنبيه) * قال أبو سعيد الخراز رأيت ابليس في المنام وهو يمر بين ناحية فقلت له تعالى فقال وايش اعمل لكم وقد طرحتم عن أنفسكم ما اخادع به الناس فقلت ما هو قال الدنيا فلما ولى عني التفت الي فقال ثم ان لي فيكم لطيفة قلت وما هي قال صحبة الاحداث انتهى ولا يخفى ان المنام المذكور فيه بشرى وتنبيه على بركة الزهد في الدنيا وانذار وتحذير من صحبة الاحداث ومخالطتهم التي لا تدعو اليها ضرورة وفيـه اشارة الى ان العبـد اذا صح اقباله على مولاه آمنه من الشيطان بل ربما كان له به انتفاع كما سمعت واعلم ان التوبة هي باب الابواب الموصلة اليـه تعالى والمخلصة من كل ما يكرهه الشرع بالنقمة سليم الطبع ولا يتوقف وجوبها عند القوم على ترك الكبائر ولا على ترك الاصرار على الصغائر حيث عرضوا على أنفسهم عند كل ممنوع منـه قوله عز شأنه وتحسـبونه هينا وهو عنـد الله عظيم فكل ما اقترفوه من مكروهاته بادروا الى الاقلاع عنـه واراحوا الكتبة من كتابة ما يكرهـه الله فرب ذنب استصغرته تجده في القيامة أكبر مما استعظمته فاستصغار الذنب ذنب واستعظامه حسنة والحذر ان تكون توبتك باللسان تسويفا فانك تزداد بها عنـد الله مقتا بل اجعل منشأها قلبك تورثك خشـية الله ومحبته فليس الشأن كثرة قولك تبت الى الله بل الشان ان يهرب قلبك من الركون الى مخالفة الله وتكون مرارة المعصية عنـدك موجودة وحلاوة الطاعة لديك مشهودة ما من معصية تهرب بها الى الله الا كانت خيرا من طاعة تورثك الامن من الله وعلامة من صحت توبته وقبلت عند الله انابته ان يرى ذنوبه فوق كل الذنوب وانها كصخرة منهدمة تكاد ان تقع عليـه لولا عفو الله اذ قلب التائب لا يزال مرعوبا من خوف رد التوبة عليـه لا لشك في كرم ربه بل مقتا لنفسه حيث هي تجارأت على معصية الله وغفلة عن مراقبته في وقت الفـعل وحياء من الله ان يراها مكتسبة في

فسخ عقده مع الله تعالى ونقض عهده فيما بينه وبين الله) فالمحمود ملازمته من الافضل ما يجد من نفسه القدرة على الدوام عليـه وان كان فيـه بعض مشقـة اذ أعمال الطاعات لا بد فيها من مخالفة الهوى ولكنه لا يكلف نفسه منها ما يثقل عليه جدا خوفا من نفور نفسه منها ومن مخالفـة خبر اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمـل حتى تملوا أي لا يقطع عنكم الجزاء حتى تتركوا الاعمال فمتى كانت همة المريد متعلقـة بتحصيل الافضل فهو عامل في ذلك على حسب طاقته فهو مستقيم لم يسقط عن درجته (ثم يجب على المريد ان يتأدب) في أعماله (بشيخ) يتخذه استاذا له (فان لم يكن له استاذ لا يفلح أبدا) لعدم معرفته الاحكام (هذا أبو يزيد يقول من لم يكن له استاذ) يأتم به (فامامه الشيطان) يوسوس له بما يهواه (وسمعت الاستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول الشجرة اذا نبتت بنفسها من غير غارس فانها تورق ولكن لا تثمر كذلك المريد اذا لم يكن له استاذ يأخذ منه طريقة نفسا فنفسا فهو عابد) مطيع (هواه لا يجد) له (نفاذا) بخروج منه (ثم اذا أراد) المريد (السلوك فبعد هذه الجملة يجب ان يتوب الى الله من كل زلة فيدع) أي يترك (جميع الزلات سرها وجهرها صغيرها وكبيرها

او يجتهد فى ارضاء الخصوم أولا ومن لم يرض خصومه لا يفتح له من هذه الطريقة بشئ) يعتد به لعدم تخلصه من حقوقهم فيجب ردها اليهم ان كانوا او الى ورثتهم (وعلى هذا التصوير والترتيب بعد هذا يعمل) المريد (فى حذف العلائق والشواغل) الدنيوية غير الضرورية (فان بناء هذا الطريق) ٢١٠ أى طريق الصوفية (على فراغ القلب) من العلائق وهى ما يتعلق القلب به وعطف الشواغل عليها عطف تفسير (وكان الشبلى يقول للحصرى فى ابتداء أمره ان خطر ببالك) أى بقلبك (من الجمعة الى الجمعة الثانية التى تأتينا) وفى نسخة تاتيني ~~وفى نسخة~~ تاتى (غير الله) اى اذا سكن قلبك الى غير الله (فحرام عليك ان تحضرنى) أى فلا تصحبنى وفائدة قوله من الجمعة الى الجمعة تعليمه ودوام وقد ما خطر له من ذلك فانه اذا دام الود قوى القلب بما دام عليه (واذا أراد) المريد (الخروج عن العلائق فأولها الخروج عن) حب (المال) اى فضوله (فان ذلك) هو (الذى يميل به عن الحق ولم يوجد مريد دخل فى هذا الامر) أى التصوف (ومعه علاقة من الدنيا الا جرته تلك العلاقة عن قريب الى ما منه خرج فاذا خرج عن) حب (المال فالواجب عليه الخروج من) حب (الجاه) أيضا اى فضوله (فان ملاحظة حب الجاه مقطعة عظيمة ومالم يستو عند المريد قبول الخلق وردهم) له (لا يجئ منه شئ) يعتد به (بل اضر الاشياء له ملاحظة الناس اياه بعين الاثبات) له (والتبرك به لافلاس) غيره من (الناس عن هذا الحديث) أى عن الملاحظة والتبرك (وهو بعد لم يصحح الارادة فكيف يصح جعل ان يتبرك به لخروجهم من) حب (المال واجب عليهم) كخروجهم من حب الجاه (لان ذلك سم قاتل لهم) واذا تخلص من هذين

صحيفته ولو من غيرموآخذته بها قال الشيخ الاكبر قدس الله سره العزيز من النكت الجليلة التى ينبغى التنبيه عليها ان تعلم ان المؤمن لا يأتى قط معصية توعد الله عليها الا ويجد فى نفسه بعدها الندم وهو التوبة فاذا قبلها الحق سقطت عنه العقوبة فهو من حيث كونه كارها وموقنا بأنها معصية ونادما عليها ذو عمل صالح ومن جهة كونه فاعلا لها ذو عمل سيئ فهو ممن الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله ان يتوب عليهم وعسى من الله تعالى واجبة الوقوع ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله أعلم (قوله ويجتهد فى ارضاء الخصوم) أى ويكون ارضاؤهم على وجه الموافقة لما جاء من أحكام الشريعة (قوله ان كانوا الخ) أى وان لم يوجدوا ولا ورثتهم أو لم يعرفوا فتصرف فى مصالح المؤمنين (قوله فان بناء هذا الطريق الخ) أى وذلك لان الاشتغال بشيئين متنافيين فى آن واحد مما لا يمكن وأقل ما يتم ضياعهما معا أو أحدهما (قوله وفائدة قوله الخ) حاصله ان حكمة التخصيص بهذا الوقت انه اذا دام كذلك هذه المدة وجد لذة الطاعة بقوة قلبه فيها فلا يرجع عنها (قوله واذا أراد المريد الخ) شروع فى كيفية التخلص من العلائق المسهلة للخروج منها (قوله فأولها الخروج عن حب المال) أقول بل الخروج عن سائر الفضول على حسب اشارة سيد المرسلين فى خبر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه وذلك لان المريد لا يشتغل الا بما يحتاج اليه فى أمر آخرته وما يضطر اليه من أمر دنياه وفى كلامه نفعنا الله به الاشارة الى ان الضار انما هو تعلق القلب بالمال اما مجرد تعاطيه بالاذن الشرعى فغير ضار بل هو قد يوصل الى خير الآخرة (قوله أى فضوله) مراده به الفاضل عما يحتاجه اليه لنفسه ومؤنه (قوله فان ذلك) أى حب فضول المال (قوله ومعه علاقة) أى ولو قلت فينبغى التخلص منها رأسا اذ القليل يجر الى الكثير والتساهل يؤدى الى التكاسل (قوله فالواجب عليه الخروج من حب الجاه) أى من حب الرياسة والتقدم على الغير حيث هو من أسباب العطب وتعدى الحدود (قوله ومالم يستو عند المريد الخ) أقول بل ان لم تغلب عليه الوحشة منهم لا يجئ منه شئ (قوله بل أضر الاشياء له الخ) أى ومن هنا قيل حب الظهور يقصم الظهور وذلك لقلة التحفظ فيه (قوله لافلاس غيره من الناس الخ) أى لخلوهم عن معرفة من يتبرك به ممن صحح ارادته وحينئذ فلا يفسد تبركهم بمن لم يصحح ارادته الا غروره باستحسان ما هو عليه وذلك مقطعة وأى مقطعة (قوله وهو بعد لم يصحح الارادة) أى لم يتقن طريق عبادته وطاعته (قوله كخروجهم من حب الجاه) ان قلت جعل الكاف للتشبيه أو بمعنى مثل لا يلائم أول الكلام حيث جعل الخروج من حب المال أول واجب على المريد قلت يلائمه باعتبار

بنى عليه تخلصه من حب الرياسة فى كونه زهد فى الدنيا فيكون قد زهد فى امر دنيوى واستعوض عنه ماهو افضل منه فى دينه فان الزهاد جاههم أكمل من جاه ابناء الدنيا والسلاطين فانهم يذلون للزهاد ويقبلون أيديهم ويتبركون بهم فتى شربت النفس من هذا الغذاء جرعة خشى عليها التلف منها فان فيها من اللذة مايدعو الى الزيادة لطيبها (فاذا خرج عن) حب (ماله وجاهه ورياسته (فيجب) عليه (ان يصحح عقده بينه وبين الله تعالى و) هو ان (لا يخالف شيخه فى كل مايشير عليه) به (فان الخلاف للمريد فى ابتداء أمره عظيم الضرر لان ابتداء حاله دليل على جميع) أحوال (عمره ومن شرطه ان لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه) فانه جعله سببا بينه وبين ربه ووسيلة له فى نيل مرغوبه منه فليعزم على ان ٢١١ لا يتحرك ولا يسكن ولا يتصرف فى شئ حتى يأذن له شيخه فيه وان علم ان مايفعله مباح لان شيخه قد يرى ان تركه له اعون له على مقصوده (فاذا) وفى نسخة واذا (خطر ببال المريد ان له فى الدنيا والآخرة قدرا أو قيمة أو على بسيط الارض احد دونه لم يصح له فى الارادة قدم) لغيبوبة العاقبة عنه و(لانه يجب) عليه (ان يجتهد) فى الطاعات (ليعرف ربه لا ليحصل لنفسه قدرا) وجاها (وفرق بين من يريد الله وبين من يريد جاه نفسه اما فى عاجله واما فى آجله ثم) أى بعد ان صحح عقده بينه وبين الله (يجب عليه حفظ سره حتى عن زره) القريب من فمه حين يضعه فى طوقه (الا عن شيخه ولو كتم نفسا من انفاسه عن شيخه فقد خانه فى حق صحبته) لان الشيخ قد ترك شغله مع مولاه فى خاصته وعاهد الله على ان يفرغ قلبه فى صلاح هذا المريد فحقه ان لا يكتم عنه شيأ ليفعل به مايراه صلاحا له من جوع أو سهر أوغيرهما (ولو وقعت له مخالفة فيما اشار اليه) به (شيخه فيجب) عليه (ان يقر له بما يقع له (بين يديه فى الوقت ثم يستسلم) أى ينقاد (لما يحكم به عليه شيخه عقوبة له) أى يجب عليه ان يعترف له ليعاقبه (على مخالفته وجنايته اما بسفر يكلفه) له (أو بأمر مايراه) صلاحا فى حقه ووظيفته معه كالعليل مع الطبيب لا يخرج عما يأمره به من الادوية والاغذية والحمية (ولا يصح) أى لا ينبغى ولا يليق (للشيوخ التجاوز عن زلات المريدين لان ذلك تضييع لحقوق الله) المطلوبة منه ومن المريدين ولان ذلك خروج عما التزموه لهم من القيام بحقوقهم والنظر فيما يصلحهم فى سلوكهم فحقهم ان لا يتجاوزوا عن زلاتهم لا سيما فى أول أمورهم (ومالم يتجرد المريد عن) فضول (كل علاقة) دنيوية (لا يجوز لشيخه ان يلقنه شيأ من الاذكار بل يجب) عليه (ان يقدم) على ذلك (التجربة) أى تجربته وامتحانه بالاعمال والاوراد الشاقة والصبر على الجوع ونحوه

جعل التشبيه فى مطلق الوجوب وان كان الخروج عن حب المال واجبا مقدما (قوله بنى عليه تخلصه من حب الرياسة) أقول نص عليه مع شمول ماتقدم له للاهتمام به حيث هو اضر مما قبله اذ هو يقطع على العبد ماذاقه وتحقق له (قوله مايدعو الى الزيادة) أى باعتبار طبع النفس (قوله فيجب عليه ان يصحح عقده) أى عهده الذى جرى بينه وبين شيخه فيما يتعلق بسيره الى ربه تعالى (قوله لان ابتداء حاله الخ) أى لانه أساس ينبنى عليه مابعده فاذا خاب الاس تهدم البناء (قوله ان لا يكون له بقلبه اعتراض على شيخه) أى فى سائر مايبدو من حركاته وسكناته (قوله فليعزم الخ) أى لانه واسطة محمدى وقد كان هذا لازما للاصل فيجب مثله للفرع (قوله فاذا خطر الخ) أى ومن أجل ذلك قيل ماترك من الكبر شيأ من رأى انه خير من الكلب (قوله لغيبوبة العاقبة عنه) أى مع جواز التغيير والتبديل فى حقه لا يسئل الله عما يفعل (قوله اما فى عاجله الخ) أفاد ان علو الهمة فى العمل لوجهه تعالى لا لرغبة فى جنة ولا لرهبة من نار (قوله حتى عن زره) مبالغة فى كتم حاله فلا يفوه بما يراه من واردات الحق واشارات الصدق الا بحسب الاذن الشرعى (قوله ولو كتم نفسا الخ) المراد مايشمل خواطر قلبه والله أعلم (قوله قد ترك شغله مع مولاه الخ) أى ومثله لا يكتم عنه شئ بل يؤثر على كل شئ (قوله قد ترك شغله مع مولاه) أى ترك شغله الخاص بنفسه والا فهو مشتغل به بواسطة ارشاد مريده (قوله أوغيرهما) أى مما تلزم مراعاته بالنسبة للتربية (قوله ولو وقعت له مخالفة) أى نفسية (قوله ثم يستسلم الخ) أى عملا بآية فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم وحكم الاصل يلزم مثله فى الفرع (قوله ليعاقبه) أى والاولى فى حق الشيخ حينئذ عدم العفو عن المريد فان مصلحة التأديب يعود نفعها على المريد لا على الشيخ مثل الوالد مع ولده لا الزوج مع زوجته كما هو مقرر فى الفروع الشرعية (قوله لان ذلك تضييع الخ) أى ولما قدمناه من عود مصلحة التأديب على المريد (قوله ومالم يتجرد المريد الخ) محصله

(فاذاشهدقلبه المريدبصحة العزم) على ماالتزمه (فحينئذ يشترط عليه ان يرضى بمايستقبله فى هذه الطريقة من فنون) أى انواع
(تصاريف القضاء فيأخذ عليه العهدبان لا ينصرف عن هذه الطريقه بمايستقبله من الضرر والذل والفقر والاسقام والآلام
وان لايجنح بقلبه الى السهولة و) ان ٢١٢ (لايترخص عند هجوم الفاقات وحصول الضرورات و) ان (لايؤثر الدعة) أى
السكون والوقوف (و) ان
(لايستشعر الكسل) والفتور
وفرق بين الوقفه والفترة (فان
وقفة المريدشر من فترته) وقد بينه
بقوله (والفرق بين الفترة والوقفة
ان الفترة رجوع) واعراض (عن
الارادة) والسلوك (وخروج
منها) وترك لما هو فيه (والوقفة
سكون عن السير باستحلاء حالات
الكسل) واستلذاذها واذا
استلذها لم ينتقل عنها لمحبته لها
بخلاف الفترة فان صاحبها يرجى
له الرجوع الى ما كان عليه (وكل
مريد وقف فى ابتداء ارادته لايجىء
منه شئ) يعتدبه لانه يعتقد كمال
نفسه واستحسان حاله فيبعد منه
الانتقال الى ماهو أعلى (فاذا
جربه شيخه فيجب عليه ان يلقنه
ذكرا من الاذكار على مايراه) له
(شيخه) مصلحة فى حقه (فيأمره
ان يذكر ذلك الاسم) الذى لقنه له
(بلسانه) مدة بنية امتثال أمر
الله له بالذكر كما قال تعالى فاذكرونى
اذكركم (ثم) بعد تلقينه الذكر
(يامره ان يسوى قلبه مع لسانه
فيقول له اثبت على استدامة هذا
الذكر كأنك) حاضر (مع ربك
أبدا بقلبك) يسمع ذكرك
(ولايجرى على لسانك غير هذا الاسم ما امكنك) دون مالايمكنك كوقت الصلاة وقضاء الحاجة (ثم) بعد ذلك
(يأمره ان يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة وان لايكون نومه الاغلبة

التجرد عن التعلق بشئ من أمر الدنيا بشاهد حظ النفس لابشاهد الشرع (قوله فاذا شهد قلبه الخ) أى بعد التجربة والامتحان (قوله فحينئذ يشترط عليه الخ) تأمل شروط المريد تعلم أصول طريق السلوك ولا تغتر بماترى من فقراء هذا الزمان ممن استزلهم الشيطان فجعلوا سوء ادبهم اخلاصا وشره نفوسهم انبساطا ودناءة هممهم بلادة فعموا عن الطريق وسلكوا فيه المضيق فلا حياة تحوى فى مشاهدتهم ولا عبادة تزكو برؤيتهم ان نطقوا فبالغضب وان خوطبوا اعرضوا بالكبر وقلة الادب نخسة أنفسهم تنبئ عمافى ضمائرهم وشرههم فى المأكول يظهر مافى سويداء قلوبهم واسرارهم قاتلهم الله أنى يؤفكون (قوله تصاريف القضاء) أى ممايلائم ومالايلائم (قوله وان لايجنح بقلبه) أى لايميل بقلبه الى السهولة أعاده مع العلم به مماقدمه اهتماما به أو يقال ماتقدم من ذات المريد وهذا بواسطة الشيخ فلا تكرار (قوله وان لايترخص الخ) أى لايترخص بدون شاهد المتابعة (قوله وان لايستشعر الكسل) أى لايخطره بباله بل يدوم على الجد والاجتهاد (قوله والوقفة سكون الخ) أى فربما دامت تلك الحالة فتورث العطب والخذلان (قوله لانه يعتقد كمال نفسه) أى بزعمه انه وصل ومادرى بجهله انه قد انفصل (قوله فاذا جربه شيخه) أى وعلم صدقه بعد التجربة *(تنبيه)* اعلم ان المريد اذا ظفر بشيخ كامل وهو العارف الربانى المرشد الداعى الى الله تعالى على بصيرة فعليه ان يشكر الله تعالى على تلك النعمة فلقد ظفر بكنز عظيم ونال غنيمة نفيسة ومن شكره ان يبذل نفسه له ويسلمه مقاليدها بذاته وأجزاءه وروحه وبدنه بحيث لايكون له معه ارادة ولا حركة ولا اختيار بوجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب بل يكون كالميت فى يد الغاسل وكالعبد بين يدى سيده لا ينتقد له حالة ولا يعترض عليه قولا ولا فعلا لاسرا ولا جهرا بل يمكن شيخه من التصرف فى ظاهره وباطنه فاذا من الله تعالى عليه بهذه النعم وجب على الشيخ ان يشكر له أيضا بحيث يبلغه تلقين الذكر والثناء بعد ظهور صفاء سريرته واطمئنان قلبه وذكاء نفسه وتهذيب اخلاقه فيراعيه ظاهرا وباطنا ويبذل له النصح ويحمله على الاهم بنظر الشريعة والله سبحانه وتعالى اعلم (قوله كما قال تعالى فاذكرونى اذكركم) أى اذكرونى بالطاعة اذكركم بالثواب وفى ذلك كما لايخفى تحريض على الذكر مع الاشعار بما يوجبه (قوله يامره ان يسوى قلبه) أى فيرقيه الى درجة المراقبة فى حال ذكره (قوله ولايجرى على لسانك الخ) أى بحيث يكون دائما على حسب المتابعة لاحكام الشريعة (قوله ان يكون أبدا فى الظاهر على الطهارة) أى الطهارة الحسية والمعنوية

من

وان يقال من غذائه بالتدريج شيأ بعد شئ) بأن ينقصه كل يوم لقمة لقمة بل ينقصه لقمة ويستمر عليها أياما ثم أخرى ويستمر عليها أياما وهكذا (حتى يقوى على ذلك) الذى أمره به ويخف نومه وينشط للعبادة وحد ذلك ما أشار اليه خبر ثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه (ولا يأمره ان يترك عادته) فى الغذاء (مرة) أى بالكلية يعنى دفعة واحدة (فان) ذلك يغير مزاجه وأحواله وربما كان سبب مرضه لاسيما مع دوام ذكره ولان (فى الحسبان المنبت) بضم الميم وفتح الباء اى الرجل المنقطع به فى الطريق الذى حمل دابته ما لا طاقة لها به فماتت فصار (لا ارضا قطع ولا ظهرا أبقى) أى لا وصل الى مقصوده ولا دامت حياة دابته لينتفع بها (ثم) بعد أمره بما ذكر (يأمره بايثار الخلوة والعزلة) عن الناس (ويجعل) المريد (اجتهاده فى هذه الحالة) أى حالة الخلوة والعزلة (لا محالة فى نفى الخواطر الدنية) أى الخسيسة (والهواجس) أى خواطر النفس (الشاغلة عن) حضور (القلب واعلم ان فى هذه الحالة) وهى ايثار الخلوة والعزلة (قلما يخلو المريد فى أوان) أى وقت (خلوته فى ابتداء ارادته من الوساوس فى الاعتقاد لاسيما اذا كان فى المريد كياسة قلب) أى صفاء به يقبل تلك الوساوس (وقل مريد لا تستقبله هذه الحالة) وهى ابتلاؤه بالوساوس (فى ابتداء ارادته) لان الشيطان يعلم انه اذا شككه فى شئ من ذلك صار من حزبه فيوقعه فى الخسران الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون (وهذه) الوساوس اى الابتلاء بها (من الامتحانات التى تستقبل المريدين) فى خلواتهم (فالواجب على شيخه) انه (ان رأى منه كياسة أن يحيله على) تعلم (الحجج العقلية فان بالعلم يتخلص لا محالة المتعرف مما يعتريه) أى ما يغشاه (من الوساوس وان تفرس شيخه فيه القوة والثبات فى الطريقة) أى طريقة الصوفية (أمره بالصبر) على المشاق (واستدامة الذكر

من الحدثين والخبث فى الثوب والبدن والمكان الا لحاجة أو ضرورة (قوله وان يقال من غذائه الخ) أى وذلك ليرق قلبه ويخف جسمه وينشرح صدره فيقوى على عبادة ربه (قوله ويخف نومه الخ) اشار به الى ثمرة تقليل الغذاء (قوله وحد ذلك الخ) الاشارة الى تقليل الغذاء (قوله وربما كان سبب مرضه) أى الذى فيه هلاكه (قوله ان المنبت الخ) أى فيكون هذا مثله (قوله يأمره بايثاره) أى تقديمه الخلوة والعزلة على المخالطة واعلم ان الخلوة عزلة خاصة والعزلة خلوة عامة والعزلة قد عبر عنها بالخلوة فى حديث الغار والقرآن العزيز انما ذكرت فيه العزلة دون الخلوة فيما أعلم فالخلوة من اصطلاح بعض المشايخ ولا ينبغى انكارها لانه قد ثبت أصلها وهى العزلة والمقصود منها تصفية الباطن لا طلب الباطل مما سوى الحق تعالى فمن طلب نورا أو كشفا أو رؤية سماء أو عرش أو نحو ذلك فقد طلب باطلا وكان عبد همه وهواه وليس الشان ان تحبس نفسك بيت مظلم أو فى جبل أو بطن واد انما الشان ان تبعث قلبك الى حضرة ربك بصفاء واشراق قال العارف ابن أبى الوفاء قدس الله سره العزيز خلوة الصادق قلب قد صفى بشهود الحق مما حجبنا عنه وكذا تحريه ترك السوى لا الحبس ولا لبس العباءة انتهى هذا ثم أقول التزام الطريقة المحمدية على ما عليه مشايخنا أكمل وأقرب الى متابعة سيد الكمل صلى الله عليه وسلم فانه لم ينقل عنه منذ أوحى اليه انه أخلى أحدا من الصحابة أو أمره بالخلوة انما كان يجلس معهم فيعلمهم أحكام الشريعة والطريقة والحقيقة بالسؤال والجواب وان كان أمر الخلوة مسلما وراء غيران الكمال فى الكمال • (تنبيه) • قال أحمد بن عطاء كلما سئلت عن شئ فاطلبه فى مفازة العلم فان لم تجده ففى ميدان الحكمة فان لم تجده فزنه بالتوحيد فان لم تجده فى هذه المواضع فاضرب به وجه الشيطان وقوله فى مفازة العلم فيه تشبيه سعة العلم وكثرته بالمفازة وهى الصحراء المتسعة الجهات وذلك علم الشريعة وقوله فى ميدان الحكمة هى حكم العلماء وأقوالهم وشبهه بالميدان لانه معترك الفكر ومجال النظر وقوله فزنه بالتوحيد أى أعرضه على ما يعتقد فى الله تعالى وصفاته وجائزاته وقوله والا فاضرب به وجه الشيطان فانه لا خير فيه أى لكونه من وساوس الشيطان (قوله وقل مريد الخ) أى وذلك لانه ابتداء أسباب الخير دينا ودنيا وذلك مما يرغم الشيطان ويشير عداوته فيتسلط عليه بالوسوسة ليقطعه عن نيل مراده (قوله ان رأى منه كياسة) أى حذقا (قوله فان بالعلم يتخلص الخ) أى وذلك لانكشاف الحقائق له بما حصل عنده من علم النظر فى الحجج والبراهين العقلية والنقلية (قوله وان تفرس شيخه فيه القوة الخ) أى

حتى يسطع) اي يرتفع (فى قلبه أنوار القبول و يطلع فى سره شموس الوصول) و ينشرح صدره بما يخلقه الله له مما يكمل به معرفته و يقوى به يقينه و يضعف به خواطر الشيطان (وعن قريب) اذا امتثل ما أمره به شيخه (يكون ذلك) السطوع والطلوع والانشراح (ولكن لا يكون هذا) ٢١٤ .العلاج وهو الامر بما ذكر (الا لافراد المريدين فاما الغالب) منهم (ف) الواجب (أن تكون معالجتهم بالرد الى النظر) أى الدليل (وتامل الآيات بشرط تحصيل) شئ من (علم الاصول على قدر الحاجة الداعية للمريد واعلم أنه يكون للمريدين على الخصوص بلايا من هذا الباب) أى باب الوساوس (وذلك انهم اذا خلوا فى مواضع ذكرهم أو كانوا فى مجالس سماع أو غير ذلك فيهجس فى نفوسهم ويخطر ببالهم أشياء منكرة) مع انهم (يحققون ان الله تعالى منزه عن ذلك وليس يعتريهم شبهة فى ان ذلك باطل ولكن يدوم) عليهم (ذلك) المنكر (فيشتد تأذيهم به حتى يبلغ ذلك حدا يكون أصعب شتم وأقبح قول واشنع خاطر بحيث لا يمكن للمريد اجراء ذلك على اللسان و) لا (ابداؤه) أى اظهاره (لاحد وهذا أشد شئ يقع لهم فالواجب عند هذا ترك مبالاتهم بتلك الخواطر واستدامة الذكر والابتهال) والالتجاء (الى الله عز وجل باستدفاع ذلك) عنهم (وتلك الخواطر ليست من وساوس الشيطان وانما هى من هواجس النفس) اى خواطرها (فاذا قابلها العبد بترك المبالاة بها ينقطع ذلك عنه) وقد جاء بعض الصحابة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يقع فى أنفسنا أمور يود أحدنا ان يخر من السماء فتخطفه الطير ولا يقع له ذلك فقال أوجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الايمان يعنى ردهم لذلك وتألمهم وتمنيهم الموت مما وقع لهم لانه من الوسوسة الشيطان وفى بعض طرق الحديث فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق ربك فاذا كان ذلك فليستعذ بالله

تفرس فيه بذلك عدم احتياجه الى الرد للعلم أمره بالصبر الخ (قوله حتى يسطع) أى يرتفع و يظهر ذلك للشيخ بامارات حق واشارات صدق وقوله أنوار القبول أى مما يزيل ظلمات الشكوك والاوهام (قوله و ينشرح صدره) أى بازالة ما كان يجده من تلك الوساوس (قوله وعن قريب يكون ذلك الخ) أى بواسطة قوة الامتثال والانقياد الى الشيخ (قوله ولكن لا يكون هذا الخ) أى وذلك لان من السائرين الى الله تعالى عالم ومتعلم وعزب ومتأهل ومشتغل بالاسباب ومتجرد بالباب وضعيف وشديد الاول مريد والثانى مراد سديد والشيخ كالطبيب يخص كلا منهم بما له فيه نصيب اذ لكل منهاج يليق بحاله وسبيل يوصله الى نواله ومع هذا فالعبرة بما سبق فى الازل وجاءت اللاحقة على وفقه فيما لا يزال والله أعلم (قوله الا لافراد المريدين) أى ممن تفرس فيهم الشيخ الثبات والقوة فى سلوك الطريقة (قوله من علم الاصول) يحتمل انه يريد أصول الدين وهو الظاهر ويحتمل انه يريد أصول الفقه أى بحسب تلك الوساوس وما يكون به ردها من ذلك أقول والجمع حسن باعتبار الداعى والله أعلم (قوله ويخطر ببالهم أشياء منكرة) أقول ومن ذلك توهم النفس عظمة الخلق وان لهم حصة فى الضر والنفع أو ان للنفس كمالا وحولا وقوة فتعجب وتتكبر او النقص فى الغير فتزدريه وتسخر أو الفقر والحاجة فتحرص وتجمع أو ان الاكتساب له حصة فى جلب أو منع أو عطاء فتعتمد عليه وتستند اليه ولذلك قيل فى الحكم ما قاد لشئ مثل الوهم وكل ذلك من ضعف اليقين فى ابتداء السير لانه مع قوته لا يبقى شك ولا وهم ولا ظن ولا خاطر شيطانى أو نفسانى *(فائدة)* قال رجل لبشر بن الحرث أوصنى بوصية فقال له رضى الله عنه عليك بلزوم بيتك وترك ملاقاة الناس فاذا كان هذا فى زمان بشر و بيننا و بينه من السنين نحو الالف وأربعين عاما فانه قبض ببغداد سنة تسع وعشرين ومائتين من الهجرة وانه فى زمنه قد اختار العزلة ولزوم البيوت وترك ملاقاة الاخوان خوفا من دخول الآفات عليه مع انه فى وقت نشوة الاسلام وجده وكمال تعظيم أمر الدين فى قلوب المنتسبين اليه وكمال الاحترام فما ظنك بزماننا هذا مما هو خارج عن التفصيل فلا يوافق فيه الاجتماع بفاضل أو فضيل فالمخالطة فيه لا تصح ولا تجوز الا بقدر الحاجة او الضرورة وقلما يلزم من أمر الدنيا والدين عافانا الله واخواننا المؤمنين بجاه سيد المرسلين (قوله فالواجب عند هذا الخ) أى عند تحقق هذه الخواطر والهواجس فى وجدانهم ترك مبالاتهم الخ (قوله باستدفاع ذلك عنهم) أى بطلب دفعه (قوله وقد جاء بعض الصحابة الخ) دليل على ان تلك الخواطر من هواجس النفس وليست من وساوس

ولينته وحاصله انه اذا ضاق على المريد شئ من ذلك التجأ الى الله فيه واستعاذ به وأعرض عن الفكرة فيه فان الله يزيله عن قلبه ويقوى يقينه (ومن أدب المريد بل من فرائض حاله أن يلازم موضع ارادته) وسلوكه وهو الخلوة ليشتغل فيها بكمال المناجاة (وان لا يسافر قبل أن تقبله الطريق) أى طريق الصوفية (وقبل الوصول بالقلب الى الرب سبحانه فان السفر للمريد فى غير وقته سم قاتل ولا يصل أحد منهم الى ما كان يرجى له) بملازمة خلوته عند شيخه ٢١٥ (اذا سافر فى غير وقته) لانه ان سافر بغير اذنه فظاهر وباذنه فذلك دليل على انه عنده لم يصلح لهذا الشأن وقد امتحنه فلم يره أهلا لما رغب فيه فلعرض عنه وتركه (نعم ان تمكن فى حاله وصار يانس بربه فى خلوته وجلوته كان سفره زيادة فى تحقيق أحواله بكل حال لما فى بعده عن الاوطان حينئذ من التوكل والرضا بما يجريه الله عليه (فاذا أراد الله تعالى بمريد خيرا ثبته) وقواه (فى أول ارادته واذا أراد الله بمريد شرا) وفى نسخة سوأ (رده الى ماخرج عنه من حرفته أو حالته) لانه لم يقبله (واذا أراد الله بمريد محنة) وابتلاء (شرده) أى طرده (فى مطارح غربته هذا) الذى ذكرناه من منع المريد من السفر محله (اذا كان المريد يصلح للوصول) الى الاحوال الشريفة والاعمال السنية (فاما اذا كان شابا طريقته الخدمة فى الظاهر بالنفس للفقراء) وزيارة الصالحين والاقتداء بأعمالهم (وهو ادونهم فى هذه الطريقة رتبة فهو وأمثاله يكتفون بالترسم) برسم أهل هذه الطريقة (فى الظاهر فيقطعون فى الاسفار وغاية نصيبهم من هذه الطريقة حجات يعملونها أو زيارات لموضع يرتحل اليها أو لقاء شيوخ بظاهر سلام فيشهدون الظواهر ويكتفون بما فى هذا الباب من السير فهؤلاء الواجب لهم دوام السفر حتى لا تؤديهم الدعة) أى السكون والاقامة (الى ارتكاب محظور فان الشاب اذا وجد الراحة والدعة كان فى معرض الفتنة) وفى نسخة الفترة أى معرضا لها

الشيطان وفيه نظر (قوله ولينته) أى ينكف عن الاسترسال فى ذلك (قوله بل من فرائض حاله) أى مما يتعين فى حقه لبلوغ مأموله مما قصد حصوله (قوله وان لا يسافر) أى لا ينتقل الى جهة غير جهته وليس المراد حقيقة السفر عند الصوفية لانه أربعة أقسام سفر من الحق الى الخلق وعكسه وسفر فى الحق بالحق وسفر فى الخلق بالحق فافهم (قوله وان لا يسافر) أى لزيارة أو رياضة كما يظهر من عموم كلامه (قوله قبل ان تقبله الطريق) أى قبل ان يتمكن فيها وقوله وقبل الوصول الى الرب أى قبل ذوق لذة عبادته ومناجاته (قوله سم قاتل) أى لانه من مظان الامتحان وهو بعد لم يتمكن من الصبر عليها بسبب عدم قوة يقينه بحسب ابتداء سيره (قوله فظاهر) أى وجهه ظاهر وهو عدم استئذان شيخه (قوله نعم ان تمكن فى حاله) أى بقوة فراسة شيخه أو بامتحانه نفسه فى مقامات السير مثل الزهد والورع والصبر والتوكل والتفويض والتسليم وغير ذلك (قوله كان سفره الخ) أى وذلك باعتبار أن الغالب فيه عروض المشاق الغير الملائمة للنفس (قوله شرده) أى باعادته الى شهواته الخبيثة وعاداته الخسيسة (قوله فاما اذا كان شابا الخ) أقول هذا وماقبله مرجعه الى نظر الشيخ المسلك الآمر بهذا أو ذاك (قوله وغاية نصيبهم الخ) أقول وناهيك بهذه الفوائد ومحاسن العوائد اذا تخلص القصد فيها لله بالغيبة وعدم الالتفات الى ماسواه *(تنبيه)* قال السرى لسانك ترجمان قلبك ووجهك مرآة قلبك فيستبين على الوجه مايضمره القلب والقلوب ثلاثة قلب مثل الجبل لا يزيله شئ وقلب مثل النخلة أصلها ثابت والريح تقلبها وتميلها وقلب كالريشة يميل مع الرياح يمينا وشمالا فهذا مثل ضربه للقلوب باعتبار مايطرقها من نزغات الشيطان فى الله تعالى ورسوله وقواعد الايمان فالقلب الاول رسخت فيه المعرفة واليقين وتوالت عليه أنوار التوحيد فى كل حين فهو مثل الجبل فى الثبات لا تؤثر فيه اختلاف الاحوال ولا يلتفت الى قيل ولا قال والقلب الثانى قلب قويت معرفته بانفراد ربه بالافعال وتاصل عنده ذلك بواضح الاستدلال لكن خواطر شيطانه ودواعى نفسه يميلانه الى بعض الهوى فى أوقات ثم يرجع الى أصله المعلوم عنده بالندامة والحسرات والقلب الثالث قلب لم يلج فيه اليقين ولا وصل الى العلم بما لابد منه بدليل مبين فالشيطان يجاذبه عن اعتقاده ويزيله وقتا عن توفيقه وسداده فهو معرض الى الهلاك وعظائم الامتحانات والله أعلم (قوله فيشهدون الظواهر) أى

يميل نفسه الى الترويح وتشغل قلبه بالاهل والولد والشهوات الدنيوية فالسفر لهؤلاء أولى لهم لانهم يباشر ون في كل وقت من أحوال المشايخ على اختلاف آدابهم وعلومهم ومعاملاتهم لربهم ما ينتفعون به (واذا توسط المريد جمع الفقراء والاصحاب في بدايته فهو مضر له جدا) لما قاله مامر من أنه مأمور بملازمة الخلوة ان كانت واشتغاله بكمال المناجاة فكما انه لا يسافر لا يخالط الناس (فان امتحن واحد بذلك) بان دعت الى خلطته بهم ضرورة (فليكن سبيله احترام الشيوخ) وتنزيلهم منزلتهم في الحرمة والادب (و) سبيله (الخدمة للاصحاب) والاقران (وترك الخلاف عليهم) مع دوام الحذر منهم والخوف من فوات المطلوب (و) سبيله (القيام بما فيه راحة فقير) بان يوافقه في اغراضه الجائزة (و) سبيله (الجهد في ان لا يستوحش منه قلب شيخ) لما يرى من سوء أفعاله (ويجب ان يكون في صحبته مع الفقراء أبدا خصمهم على نفسه ولا يكون خصم نفسه عليهم) فيقبل عذرهم ولا يقبل عذر نفسه لما يعرف من سوء ادبه (و) ان (يرى ٢١٦ لكل واحد عليه حقا واجبا) ليزيد في اكرامه (ولا يرى لنفسه حقا (واجبا) بل يبذله مندوبا (على أحد) لئلا يطلب المكافأة عليه (ويجب ان لا يخالف المريد أحدا) حيث لم تجب المخالفة (وان علم ان الحق معه يسكت) لئلا يخجل من بحث معه (ويظهر الوفاق لكل أحد) فيما تجوز الموافقة فيه (وكل مريد يكون فيه ضحك ولجاج) اى غضب (ومماراة) أي مجادلة (فانه لا يجيء منه شيء) يعتد به في هذا الشان (واذا كان المريد في جمع من الفقراء اما في سفر او حضر فينبغي) له (ان لا يخالفهم في الظاهر لا في اكل) ولا شرب (ولا صوم ولا في سكون ولا حركة بل يخالفهم) في الباطن كما قال (بسره وقلبه فيحفظ قلبه مع الله) تعالى خوفا من ظهور ما يؤدي الى المقاطعة والمنافرة (واذا أشاروا عليه بالاكل مثلا يأكل لقمة أو لقمتين ولا يعطي النفس شهوتها) لئلا ينحل عزمه فيما قصده من وربه منفعته في الجوع (وليس من آداب المريد كثرة الاوراد) من الصلوات ونحوها (في الظاهر) وانما أدبه بكثرة شغله بذكره بلسانه وقلبه وملازمته للاسم الذي لقنه له شيخه (فان القوم) انما هم (في مكابدة اخلاء خواطرهم ومعالجة أخلاقهم ونفي الغفلة عن قلوبهم لا في تكثير اعمال البر) كـكثرة صلاة الضحى وصلاة الغفلة (والذي لابد لهم منه اقامة الفرائض والسنن الراتبة فاما الزيادة من الصلوات النافلة) المطلقة ونحوها (فاستدامة الذكر بالقلب) مع اللسان (اتم لهم) منها (ورأس مال المريد الاحتمال عن) يعني من (كل أحد) لما يصدر منه (بطيبة النفس وتلقي ما يستقبله بالرضا والصبر على الضر والفقر وترك السؤال والمعارضة) للناس (في القليل والكثير فيما هو حظ له ومن لم يصبر على ذلك فليدخل) معهم (السوق)

ويقنعون بها أي ولا بد لذلك من بركات وزيادة خيرات وان لم يبلغ صاحب هذا القدم مقام الاول ولا عول على مثل ما عليه عول (قوله يميل نفسه الخ) أي وكل ذلك من الشواغل والقواطع (قوله فهو مضر له جدا) أي حيث هو من مظان الدعوى والاشتغال عما هو به أولى (قوله فان امتحن الخ) تأمل اشارة الامتحان تعلم ان الخلطة قد تكون من دواعي الخسران (قوله وترك الخلاف عليهم) أي ترك مخالفتهم فيما لا يعترض بنظر الشرع (قوله خصمهم على نفسه) أي فيقوم معهم على بذل النوال وتحمل الاذى (قوله وان يرى لكل واحد الخ) أي وذلك باعتبار ما لهم من حق اخوة الدين (قوله ولا يرى لنفسه حقا) أي بشهود الفاعل المختار وانه هو المنعم والقهار (قوله ويجب أن لا يخالف المريد أحدا الخ) أعاده مع علمه مما قدمه لاجل قوله وان علم الخ (قوله يكون فيه ضحك الخ) أي حيث ذلك يدل على بقاء رعونة النفس وقوة حظوظها (قوله خوفا من ظهور الخ) اى بسبب ما تميز به عنهم (قوله لئلا ينحل عزمه الخ) أي لان استيفاء شهوة الاكل مما يوجب قسوة القلب و تثاقل البدن عن الطاعة (قوله كثرة الاوراد) اى لان ما قل ودام خير مما كثر ولم يدم (قوله وملازمته للاسم الخ) اى لان الشيخ هو طبيبه والحارس له مما عساه قد يصيبه (قوله ومعالجة الخ) عطفه على ما قبله للتفسير (قوله لا في تكثير اعمال البر) اي لان القليل مع المراقبة خير من الكثير مع الغفلة بل لا خير في الثاني في بعض الاحوال (قوله والسنن الراتبة) اى قبلية و بعدية مؤكدة أو غير مؤكدة (قوله فاستدامة الذكر الخ) اى استدامته بشهادة قوله جل شانه ولذكر الله اكبر (قوله ورأس مال المريد الخ) اى وفي ذلك من هضم النفس التي هي من اقوى الحجب بين العبد

ويكتسب الشهوات ككسبهم (فان من اشتهى ما يشتهيه الناس فالواجب) عليه (ان يحصل شهوته من حيث يحصلها الناس من كد اليمين وعرق الجبين) واذا فعل ذلك خرج عن مقصوده بالكلية وأعرض عن طريقته بالجملة والعياذ بالله (واذا التزم المريد استدامة الذكر) الذى لقنه له شيخه (وآثر الخلوة فان وجد فى خلوته مالم يجده قلبه) بدونها (اما فى النوم واما فى اليقظة أو بين اليقظة والنوم من خطاب يسمعه) (أو معنى يشاهده) م(مما يكون نقضا) أى خرقا (للعادة فينبغى) له (ان لا يشتغل بذلك) الذى وجده فى خلوته (البتة ولا يسكن اليه ولا ينبغى له ان ينتظر حصول أمثال ذلك فان هذه) الاحوال (كلها شواغل عن الحق سبحانه) ويجب له عما يرجوه من فضل الله فى الاستقبال (ولا بد له فى هذه الاحوال من وصف ذلك) أى وصفها (لشيخه) فلا يكتم عنه شيأ (حتى يصير قلبه فارغا من ذلك) يتحمله شيخه عنه فان كتم عنه شيأ ربما ضره (ويجب على شيخه ان يحفظ عليه سره ويكتم عن غيره أمره) لئلا يبلغه فيغتر به أو يعلم ان شيخه استحسنه ولم يناصحه ٢١٧ • فيه فيفسد ظنه فيه بانه لم يبالغ فى نصحه وارشاده (ويصغر) له (ذلك فى عينه) أى يزهده فيه ويأمره بالاعراض عنه لئلا يخشى عليه الوقوف معه فيختل عليه سلوكه (فان ذلك كله) أى تلك الاحوال التى يجدها المريد كلها (اختبارات) له (والمساكنة اليها مكر فليحذر المريد عن ذلك) أى عن سكونه اليها (وعن ملاحظتها وليجعل همته فوق ذلك واعلم ان أضر الاشياء بالمريد استئناسه بما يلقى اليه فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته عليه بانى خصصتك بهذا وافردتك عن اشكالك) أى أمثالك (فانه) أى المريد (لو قال بترك هذا) الذى وجدناه بان تركه وأعرض عنه (فعن قريب يستخطف عن ذلك) ويفتح عليه بما هو أجل منه وأدل على الاستقامة لربه (بما يبدو له من مكاشفات الحقيقة) وبالجملة فعليه الصبر

٢٨ يج ع

والاعراض عن أوائل الامور حتى يقوى ويتمكن فاذا ظهر له ما هو أشرف من ذلك لم يلتفت اليه وتصير خوارق العادات عنده بعون ربه كانها مما تجرى به العادات لا يقف معها ولا يلتفت اليها (وشرح هذه الجملة) المذكورة (باثباته فى الكتب متعذر) لان مواجيد القلوب لا تنحصر بالعبارة وانما يشار اليها اشارة وكل ما يكون فى الكتب لا بد ان تحصره العبارة ليفهم (ومن أحكام المريد) انه (اذا لم يجد من يتأدب به فى موضعه ان يهاجر الى من هو منصوب فى وقته لارشاد المريدين) اذ لا بد للمبتدى من شيخ يقتدى به فيلزمه السعى اليه (ثم) أى بعد ان يهاجر اليه (يقيم عليه ولا يبرح عن سدته) بضم السين وتشديد الدال أى باب داره (الى وقت الاذن) له فى ذلك فان خرج بغير اذنه فقد نقض عزمه وأفسد على نفسه ما أراده من السلوك الى أرفع الدرجات وخرج عن هذه الرتبة

وربه ما لا يخفى (قوله ويكتسب الشهوات) اى الشهوات المباحة يشاهد علم الشريعة (قوله واذا فعل ذلك) اى فعل ما دعته اليه شهوته لغلبتها عليه بقوة دواعى النفس (قوله واذا التزم المريد الخ) شروع فى ادب من راق له الشراب وظهرت له اشارات الاحباب بدوام الصدق والعمل على الطريق الاحق (قوله او بين اليقظة والنوم) اى كالحالة النعاسية (قوله فينبغى له الخ) أى ينبغى له ذلك خوفا من الوقوف والعود الى المألوف والله اعلم (قوله من وصف ذلك الخ) اى لان الشيخ طبيب يخبر العليل بعوارض صحته وسقمه (قوله ويصغر له ذلك) اى ليرغبه فى الارقى مما هنالك (قوله والمساكنة اليها مكر) اى لانه من موجبات الحجاب والبعد عن طريق الاحباب (قوله استئناسه الخ) اى لان من استأنس بشئ سكن اليه ووقف معه فيحجب عن الذى فوقه مع ان لسان الحال ينادى ذوى الافضال مقصودك امامك فدع خيالك (قوله لو قال بترك هذا) اى لو عزم وصمم على تركه (قوله بما يبدو له) اى بما يظهر له من مكاشفات الحقيقة بتكرر واردات اهل الطريقة (قوله وشرح هذه الجملة) اى جملة ما يلقى الى المريد فى سره من تقريبات الحق سبحانه له ومنته عليه (قوله لان مواجيد القلوب) اى ما تجده القلوب القدسية من المواهب الالهية لا تنحصر لان اللسان يعجز عن التعبير عما فى القلوب حيث هى من بحر فيض علام الغيوب (قوله ان يهاجر الخ) اى ولو بعدت المسافة ودنت بذلك المشقات اذ من طلب الكمالات قطع العلالات (قوله اذ لا بد للمبتدى الخ) تعليل لقوله ان يهاجر الى من هو منصوب الخ وذلك لان الوسائل تعطى حكم المقاصد (قوله فان خرج بغير اذنه الخ) أى

والتحق بالعوام الذين ليس لهم في الطريق سوى زيارة أماكن ولقاء مشايخ واستماع كلام وحصول بركة من أفواههم وهؤلاء
مع نفوسهم واغراضهم وشأنهم زيارة المشايخ وقصد الاماكن الشريفة كما يأتي في كلامه (واعلم ان تقديم معرفة رب البيت
على زيارة البيت واجب) لان تعظيم البيت انما هو لتعظيم ربه كما نبه عليه بقوله (فلولا معرفة رب البيت ما وجبت زيارة
البيت و) اما (الشبان الذين
يخرجون الى الحج ثم زيارة
البيت من هؤلاء القوم) يعني
الفقراء حيث يخرجون (من غير
اشارة الشيوخ فهي) أي
سفرتهم انما هي (بدلالات نشاط
النفس) وفي نسخة الخوس (فهم
متوسمون) وفي نسخة مترسمون
بالراء (بهذه الطريقة) اي طريقة
الصوفية أي مظهرون على
أنفسهم علامتها (وليس سفرهم
مبنيا (على أصل) مرضي (والذي
يدل على ذلك انه لا يزداد سفرهم
بهذا الوجه (الا وتزداد تفرقة
قلوبهم) لكونه بغير اذن الشيوخ
(ولو أنهم ارتحلوا من عند أنفسهم)
اي خرجوا عن حظوظها ولو
(بخطوة) واحدة (لكان احظى)
أي اعلى منزلة (لهم من الف سفرة)
الى ما ذكر على الوجه المذكور
(ومن شرط المريد اذا زار شيخا)
او مسجدا أو معظما (ان يدخل
عليه بالحرمة) والادب (وينظر
اليه بالحشمة) لينيله الله بركته (فان
أهله الشيخ لشيء من الخدمة)
او العبادة التي رآها مصلحة في
حقه (عد ذلك من جزيل النعمة)
في حقه فليغتنمه فانه اتاه على وجه
الفتح من الله * (فصل * ولا ينبغي
للمريد ان يعتقد في المشايخ العصمة) وان كانوا محفوظين لان ذلك يخالف الواقع ولانه يؤدي الى نفرته منهم والعارفون
وعدم انتفاعه بهم اذا صدر منهم ذنب والفرق بين العصمة والحفظ ان العصمة تمنع من جواز وقوع الذنب والحفظ لا يمنع منه

حيث الخروج كذلك من تعدي الحدود واسباب حرمان المقصود (قوله والتحق بالعوام) اي ممن قنع بالظواهر ولم يوفق لتعمير البواطن وتنوير السرائر (قوله واعلم ان تقديم معرفة رب البيت على زيارة البيت واجب) اي بل تقديمها على سائر العبادات واجب لاستحالة قصد غير المعروف بشيء (قوله لان تعظيم البيت) اي وغيره من بقية حق الحق تعالى لان تعظيمها من تعظيم موجدها (قوله فهي بدلالات نشاط النفس) اي من حظوظها او مطلوباتها (قوله فهم متوسمون الخ) اي فهم فقراء في الرسم وصوفية في الاسم مع انهم عن حقائق الفقراء مبعدون حيث هم عن اشارات الصوفية غافلون (قوله الا وتزداد الخ) اي وذلك لوقوفهم مع الظاهر المعتاد وبعدهم بذلك عن بلوغ المراد (قوله ولو أنهم ارتحلوا الخ) اي فالسفر الموصل الى ديار المحبوب والمبلغ فائق المطلوب انما هو السفر من الاخلاق الذميمة الى الحميدة والتنقل في المقامات السعيدة المفيدة (قوله بالحرمة) اي بالاحترام وقوله بالحشمة اي بالاحتشام

* (فصل * ولا ينبغي للمريد الخ) اي لان الراسخين في العلم جلاليين او جماليين يلزمهم الخوف مما يخافه غيرهم من الانسية وبقايا الحظوظ النفسية فمن كلام المشايخ ما يخطر للزنديق يخطر للصديق ودليله قوله جل شانه واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله وقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا وقوله صلى الله عليه وسلم الهتني آنفا عن صلاتي وقوله ان عفريتا تفلت علي البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فذعته اي خنقته ولكن لا يخفى عليك ان خطور الخاطر للصديق الذي في مثله يقع الزنديق انما هو تعرف من الحق لعبده لان ذلك الخاطر تجل من مجالي الاوصاف القهرية فكان كالمرآة تجلى فيه صورة الاسم المظهر له الذي ذلك مظهر من مظاهره فيشهد الصديق ما وراء هذه الستارة بقوة نفوذ نوره فيدرك مظهره ومظهره وسر ظهوره ويكون شاكرا لمن عافاه في ذلك المقام ساجد الوجه المتجلي فيه حقيقة ذي الجلال والاكرام كما ان أحدنا في الظاهر اذا رأى عاصيا أو مبتلى يشرع له السجود جهرا بالنسبة للعاصي وسرا في حق المبتلى فافهم (قوله ولا ينبغي للمريد الخ) أي لان هذا المقام مختص بالانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام (قوله لان ذلك يخالف الواقع) أي ما في نفس الامر وعند الله (قوله ولانه يؤدي الخ) أي مع ان المقصود دوام الاقبال عليهم (قوله والحفظ لا يمنع منه الخ) اقول في ذلك تنبيه على ان الكامل لا يغتر بحاله وان صفا ولا بعقده وان وفا ولا يكترث بوارد عليه ولا بطارق يصل اليه فان الشيطان مهماز المتقين ومنديل العارفين فالمتقون يسوقهم الى حضرة القرب قال تعالى تذكروا فاذا هم مبصرون

لكن الله يحفظ من يشاء ويترك من يشاء لان الاولياء لا يقدح زللهم فى قواعد الدين بخلاف الانبياء فان المعجزة دلت على عصمتهم فيما يخبرون به عن الله تعالى وفيما يفعلونه بيانا للتكاليف فعلم انه ليس للمريد ان يعتقد العصمة فى المشايخ (بل الواجب) عليه (ان يذرهم) أى يتركهم (وأحوالهم فيحسن بهم الظن) فيما يراه حقا ويسكت عما رآه خطا فان أراد ان يزيله من صدره فليسألهم عنه ويورده على وجه السؤال لا على وجه الاعتراض لئلا يمنعوه الجواب وكذا اذا أجابوه بجواب لم يشفه فلا يورد السؤال على وجه الاعتراض بل يقول لهم ما فهمت فانهم يكررونه له ان شاء الله بعبارة أقرب من ذلك (ويراعى مع الله تعالى حده) أى يقف عنده (فيما يتوجه عليه من الامر) والنهى (والعلم) باحكام الله تعالى (كافيه فى التفرقة بين ما هو محمود وما هو معلول) أى مذموم

(فصل وكل مريد بقى فى قلبه لشئ من عروض الدنيا مقدار وخطر فاسم الارادة له مجاز) لوجود النقص فيه بذلك (واذا بقى فى قلبه اختيار فيما يخرج عنه من معلومه) الدنيوى (فيريد أن يخص به نوعا من انواع البر) أى جهة من جهاتها (أو شخصا دون شخص فهو متكلف فى حاله وبالخطر) الحاصل بذلك يخشى عليه (أن يعود سريعا الى الدنيا) فلا يخص بذلك عمارة مسجد ولا رباط ولا فقيرا من أهله أو غيرهم (لان قصد المريد فى حذف العلائق) المشغلة لقلبه (الخروج منها) ليتفرغ لما هو بصدده من خلوص قلبه لربه وكمال شغله به عن غيره (لا السعى فى أعمال البر) فاذا خرج من الدنيا وأعرض عنها فليعرض عنها اعراضا كليا حتى لا يبقى لنفسه بها تعلق ولا اختيار فان ذلك أفرغ لقلبه واعون له على غرضه فمقصوده بذلك زوال المشغلات لا تحصيل المبرات (وقبيح بالمريد ان يخرج) هو (من معلومه) أى (من رأس ماله وقنيته ثم يكون أسير حرفة) دنيوية غير ضرورية لان ذلك يشغل قلبه ويمنعه أربه (وينبغى ان يستوى عنده وجود ذلك) المعلوم (وعدمه حتى لا ينافر لاجله فقيرا ولا يضايق به أحدا

والعارفون يتنقلون به من مواطن البعد والقرب وما أنسانيه الا الشيطان فالشيطان منه تنشأ الغفلة والضلال وبه تحصل الدعاوى الا القليل من كمل الرجال فانساه الشيطان ذكر ربه من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين فافهم (قوله لكن الله يحفظ من يشاء) أى ولعل الحكمة فى ذلك ان الحق سبحانه وتعالى يريد أن يظهر بقهره لكل من وليه وعدوه أما الولى فبما يراد الخاطر عليه قهرا عنه من غير قصد وأما العدو فبعدم نكايته له ويدل لما ذكر فى الولى قوله جل جلاله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان أى قهر فى تحقق ما أراده الخبيث منه بخلاف العدو فتدبر (قوله لان الاولياء لا يقدح زللهم الخ) تعليل لعدم جواز وقوع الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجواز وقوعه من الاولياء نفعنا الله تعالى ببركات أنفاسهم (قوله فيحسن بهم الظن) أى ولو بارتكاب طريق التأويل وقوله ويسكت الخ أى يمسك عن ذلك بلسانه وقلبه (قوله ويراعى مع الله تعالى حده) أى حتى يتحقق له اسم العبد لله ويعد ممن أحبه مولاه واجتباه (قوله كافيه فى التفرقة) أى لانه لا حسن الا فيما حسنه الشرع ولا قبح الا فيما قبحه (قوله مقدار الخ) أى ولو قل جدا لان المكاتب قن ما بقى عليه درهم (قوله لوجود النقص فيه بذلك) أى حيث هو ينشأ عن ظلمات الجهالات وبقاء بعض الرعونات والحظوظات وكل ذلك من النقص والحجاب (قوله واذا بقى فى قلبه الخ) أى بل ينبغى له ان يكون حاله العمل بالاهم على حسب مراد الشارع صلى الله عليه وسلم (قوله فهو متكلف فى حاله) أى متفعل لما تخلق به اذ حقه أن يكون لا مراد له بل مراده ما اراده مولاه عز وجل (قوله وبالخطر الحاصل بذلك) أى بما بقى من قلبه من الاختيار المذكور (قوله ان يعود سريعا الخ) اى لانجذابه بما بقى فيه الى الدنيا (قوله فلا يخص بذلك عمارة مسجد) مفرع على ما هو اللائق به من عدم الاختيار (قوله لان قصد المريد) اى مقصوده فى حذف العلائق أى جميعها بدلالة لام الاستغراق (قوله لا السعى فى أعمال البر) اى فى نوع دون آخر (قوله حتى لا يبقى لنفسه بها تعلق) أى تعلق خلاف مراد الحق تعالى (قوله لا تحصيل المبرات) أى بدون مراعاة الاهم بنظر الشرع (قوله أى من رأس ماله وقنيته) أى مما كان القلب متعلقا به (قوله ثم يكون أسير حرفة الخ) أى بل اللازم فى حقه ما يدفع ضرورته بشاهد علم الشريعة (قوله وينبغى أن يستوى الخ) أى ان يترقى بعد ذلك الى حب

ولو مجوسيا) ويكون الاولى به تعود الصبر حتى يكون فقره وصبره رأس ماله فيكون حاله كما قيل اذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة * وان أيسروا عادوا سراعا الى الفقر * (فصل * وقبول قلوب المشايخ للمريد أصدق شاهد لسعادته) وفلاحه لان شيخه لا يزنه بهواه لانه فارغ منه وانما يزنه بميزان الشريعة ٣٢٠ (ومن رده قلب شيخ) من الشيوخ ولم يقبله (فلا محالة) انه (يرى غب أى عاقبة (ذلك ولو بعد حين) لان رد قلبه له انما هو من رد الشريعة له فحقه انه اذا رده ان يتذلل لربه ويستغيث ويديم البكاء على نفسه لينقله ربه عما هو عليه من التصلف ويسلك به طريق التوفيق والسداد (ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم) أى علامة (شقاوته وذلك لا يخطئ) كما هو معلوم ومن دخل على شيخ ليختبره فهو جاهل فان الشيوخ لا يختبرون ولا يطلب منهم الكلام على الهواجس والمكاشفات وانما يراد منهم معرفة الامراض والادواء والمكاشفات من أحوال المريدين لا من أحوال المشايخ العارفين

*(فصل * ومن أصعب الآفات في هذه الطريقة صحبة الاحداث) أى الشباب (ومن ابتلاه الله بشئ من ذلك) أى مما ذكر من صحبتهم التى يخشى منها الفتنة (فباجماع الشيوخ ذلك) الذى ابتلى بما ذكر (عبد اهانه الله تعالى وخذله بل عن نفسه شغله ولو بالف ألف كرامة أهله وهب) أى احسب وافرض (انه بلغ رتبة الشهداء) أى الذين يشاهدون الصانع فى مشاهدتهم صنعته كرؤيتهم الشباب (لما فى الخبر) الذى فيه (تلويح بذلك) كخبر ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه على (الدبر قد شغل ذلك القلب بمخلوق) مستحسنا له (وأصعب من ذلك تهوين ذلك على القلب حتى يعد ذلك يسيرا) مع انه عظيم (وقد قال الله تعالى وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم وهذا الواسطى رحمه الله

ايثار العدم على الوجود استغراقا فى حق الرب المقصود (قوله ولو مجوسيا) أى وذلك لاجل ان تنتفى عنه الحظوظ لا من أجل احترام المجوسى (قوله ويكون الاولى به تعود الصبر) أى لاجل ان يترقى الى لذة مس الضر (قوله اذا افتقروا عضوا الخ) أى اذا اصابهم الفقر والعدم عضوا على الفقر ضنة أى أحبوا الدوام على حالة العدم بخلاف غيرهم عن الخروج عنها وقوله وان أيسروا أى تيسر لهم الرزق الحلال عادوا الخ أى بادروا بالصرف الى الغير على وجه الايثار وعادوا الى ما ألفوه من حلية الفقر مسرعين من غير فتور (قوله أصدق شاهد) أقول كيف لا وهم اطباء القلوب فمن المعلوم المحقق انهم لم يطالعوا الا بالحق ولم يكاشفوا الا بالصدق (قوله وانما يزنه بميزان الشريعة) أى ودلالات طوارق الحقيقة (قوله ومن رده قلب شيخ الخ) أى ووجهه ما ذكره الشارح بقوله لان رد قلبه له الخ وذلك لان من قبله الحق تعالى وأحبه أورثه ذلك القبول والمحبة عند الكافة (قوله فحقه انه اذا رده الخ) أى فالواجب على المريد فى مثل هذه الحالة التذلل لربه اذ هو المنفرد بالاحكام فى سائر الكائنات وبقدرته وارادته التغيير والتبديل وهو على كل شئ قدير (قوله ومن خذل) أى من رده الله خائبا خاسرا بسبب ترك احترام المشايخ (قوله والمكاشفات من أحوال المريدين) جملة من مبتدا وخبر أى وانما كانت من أحوال المريدين لحكمة قوة يقينهم فى عبادة ربهم وقوله لا من أحوال المشايخ العارفين أى لاستغراقهم فيما هو أعلى كشهود الحق على منصات الصدق (قوله صحبة الاحداث) أى ولاسيما اذا كانوا من أهل الجمال وذلك لانهم ان لم يكونوا مظان للشهوة بواسطة قوة التحفظ فلا أقل من كونهم سببا فى الوقيعة فى العرض والتعرض لذلك مهلكة عظيمة (قوله ولو بألف ألف كرامة الخ) أى وكونها كرامة بحسب ظاهر الحال والا فذلك من نوع الاستدراج والعياذ بالله تعالى (قوله وهب الخ) أى وذلك لان حكم الظاهر مقدم على أحوال الباطن مع ان ذلك قبيح فى النظر الصحيح (قوله لما فى الخبر الخ) أى على ما تقدم فى بعض تفاسيره (قوله الدبر قد شغل الخ) أى وذلك من أعظم القواطع عن الله تعالى (قوله الدبر قد شغل ذلك القلب الخ) فيه نظر مع فرض انه بلغ رتبة الشهداء نعم ان كان ذلك باعتبار الظاهر فيصح (قوله تهوين ذلك الخ) أى بالالتفات الى مسهلاته ومحسناته مع ان الحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه (قوله حتى يعد ذلك يسيرا) اى اغترارا بحاله ومقامه على ما يظنه (قوله وهذا الواسطى الخ) أى وكفى به حجة ودليلا

يقول اذا أراد الله هوان عبد ألقاه الى هؤلاء الإنتان) بالمثناة (والجيف) يعني الشباب (سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول سمعت محمد بن أحمد النجار يقول سمعت أبا عبد الله الحصري يقول سمعت فتحا الموصلي يقول صحبت ثلاثين شيخا كانوا يعدون من الابدال كلهم أوصوني عند فراقي اياهم وقالوا اتق معاشرة الاحداث ومخالطتهم) أي لانها تدعو الى سموم اللحظات الى الوجوه المستحسنات وخواطر الشيطان الداعية الى المحرمات والابدال قوم صالحون لاتخلوا الدنيا منهم اذا مات واحد منهم ابدل الله مكانه آخر وعددهم سبعة على خلاف فيهم قال الامام القشيري (ومن ارتقى في هذا الباب) أي باب صحبة الاحداث (عن حالة الفسق) بان صحبهم لا للفسق بل لتعليمهم العبادات والآداب ولامتحان نفسه هل ارتفعت عن هذا العالم الشهواني فيكون ذلك شاهد الله بموت شهواته أولا فيكون ذلك شاهدا عليه (وأشار) من ارتقى عن ذلك (الى ان ذلك) أي ما ذكر من صحبة

على ما تقدم (قوله اذا أراد الله هوان الخ) اى حيث هم من القذارة المعنوية وهي أشق في التطهير من الحسية اذ قبول التوبة غير معلوم وقضاء الحق السابق هو المقسوم (قوله وقالوا اتق الخ) اى قالوا انهم رأوا ذلك من أعظم المهالك لما اتفقوا اجماعا على النهي عنه (قوله اى لانها تدعو الى سموم اللحظات) أي بل ما تؤدي اليه أقوى ضررا من السموم اذ السم نهاية ما يفضي الى الموت وهو تحفة المؤمن ولعذاب الآخرة أشق (قوله ومن ارتقى في هذا الباب الخ) من فيه مبتدأ وقوله فذلك تطير الشرك الخ خبر كما صرح به الشارح والحاصل ان الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع نسأل الله تعالى التوفيق والعافية بمنه وكرمه (قوله ولامتحان نفسه الخ) أقول قد تقدم قبح هذا ولا تغفل حيث كان من التعرض لاسباب الفتنة (قوله فانه يؤدي الخ) اى فهو حينئذ انكار لما علم من أحكام الشريعة باثبات خلافه او ابتداع لحكم لم يعلم منها (قوله فليحذر المريد) اى وجوبا عند غلبة الشهوة وندبا اذا لم توجد لان من حام حول الحمى يوشك ان يواقعه (قوله فتح باب الخذلان) اى الرد والخسران (قوله ونعوذ بالله من قضاء السوء) اى المشار اليه بقوله جل شانه وكذلك زينا لكل امة عملهم (قوله من خفي الحسد) اى الذي سببه الحرص على نيل كامل الكرامات والغفلة عن شهود من له الخلق والامر (قوله وليعلم الخ) اشار رضي الله تعالى عنه الى طب هذا الداء العضال فان من شهد القسمة الازلية وانه لا تأثير لغير الحق تعالى في شيء وان حسده لا يضر سوى نفسه دنيا ودينا عاد الى طريق العبودية والتسليم لفعل مولاه العلي الحكيم (قوله تمني العبد الخ) اى وتمنيه بسبب عداوته للمحسود وبغضه له او زيادة حرصه على حب الرياسة والتقدم على الغير في سائر الكمالات وذلك من اعظم اسباب الحرمان وغضب الرحمن

الاحداث (من بلاء الارواح و) الى (انه لا يضر المريد) ضم الى (ما قالوه) الأنسب ما قاله (من وساوس القائلين بالشاهد) للصانع بمشاهدته لصنعته الجميلة (و) من (ايراد حكايات عن بعض الشيوخ لما) وفي نسخة بما (كان الاولى بهم اسبال الستر على هناتهم) أي قبائحهم (وآفاتهم الصادرة منهم فذلك) منه (تطير الشرك وقرين الكفر) فانه يؤدي الى استحلال ما علم تحريمه بالاجماع والى جعل ما ليس بطاعة طاعة فقوله من ارتقى مبتدأ خبره فذلك الى آخره (فليحذر المريد من مجالسة الاحداث ومخالطتهم فان اليسير منه) أي مما ذكر من مجالستهم ومخالطتهم (فتح باب الخذلان) وهو خلق قدرة المعصية (وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء) أي من قضاء الله به

(فصل ومن آفات المريد ما يتداخل النفس) أي ما يدخل النفس أي ما يدخل فيها (من خفي الحسد) وجلبه (للاخوان و) من (التأثر بما يفرد الله تعالى به اشكاله) أي أمثاله (من هذه الطريقة) أي طريقة الصوفية (وحرمانه) أي والتأثر بحرمان الله (اياه ذلك) الذي افرد به اشكاله (وليعلم) اى المريد (ان الامور قسم) بكسر القاف وفتح السين جمع قسم بكسر القاف واسكان السين أي حظ ونصيب قد قسمها الله في الازل فاياك ان ترى احدا رفع الله درجته فتتمنى زوالها عنه فتقع في الحسد الذي هلك به ابليس لما رأى ما فتح الله به على آدم عليه الصلاة والسلام وحقيقته تمني العبد زوال النعمة الحاصلة لغيره وكراهة حصول النعمة الممكنة له وهو يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

وقد تسمى المنافسة فى الخبر حسدا كما فى خبر لا حسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله علما فهو يعمل به و يعلمه ورجل آتاه مالا فهو يتصدق به و يصرفه فى وجوه الخير وهذا فى الحقيقة غبط لا حسد لانه لا يتمنى زوال ذلك وانما يتمنى ان يكون له مثله (وانما يتخلص العبد عن هذا) اى الوقوع فى الحسد (باكتفائه بوجود الحق) تعالى (وقدمه عن مقتضى جوده ونعمه) عليه (فكل من رايت ايها المريد) انه قد (قدم الحق سبحانه رتبته) عنده عليك (فاحمل انت غاشيته) يعنى كن له خادما كما يكون حامل غاشية المركوب خادما له لتنال بذلك ما ناله واياك ان تحسده فيرجع ضرر حسدك عليك (فان الظرفاء من القاصدين) للوصول الى الله (على ذلك) اى على القول بان المريد ينبغى له ان يكون خادما لمن ذكر (استمرت سنتهم) اى طريقتهم

(فصل واعلم ان من حق المريد اذا اتفق وقوعه فى جمع) من الناس وشيخهم واحد (ايثار الكل بالكل) اى ايثار المريد كلا منهم على نفسه بكل ما معه وان كان محتاجا ٣٢٢ اليه (فيقدم) المريد (الجائع الشبعان على نفسه) ليتعود الاخلاق الحميدة ويرتفع فى الدرجات الجليلة (ويتلمذ لكل من اظهر عليه التشيخ) اى انه شيخ له (وان كان هو اعلم منه) فليتواضع له ويتفهم منه ما يشير به اليه ويكون معه فى صورة التلميذ له فانه فى مقام ان يتعلم و يتخلق فلا يناسبه الترفع على احد حفظا لحاله وتمكنا فى مقامه (ولا يصل الى ذلك الا بتبريه عن حوله وقوته وتوصله الى ذلك) انما يكون (بطول الحق) تعالى اى بفضله (ومنته) اى نعمته

(فصل واما آداب المريد فى السماع) الخالى عن المحرمات (فالمريد لا تسلم له الحركة فى السماع اى لا يمكن منها (بالاختيار) منه (البتة) لما فيها من الرياء والعجب (فان ورد عليه وارد حركة) قوى عليه مقام (ولم يكن فيه فضل قوة) يدفع ذلك الوارد (فبمقدار الغلبة) اى غلبة الوارد اى عليه (يعذر فاذا زالت الغلبة) عنه (يجب عليه القعود والسكون) لزوال عذره (فان استدام الحركة مستجلبا للوجد من غير غلبة وضرورة لم يصح) سماعه لعدم سكونه بغير غلبة (فان تعود ذلك) واستمر عليه (بقى متخلفا) اى متأخرا عن اصحابه (لا يكاشف بشئ من الحقائق فغاية احواله حينئذ ان يطيب قلبه) و يتزايد طربه برؤية نفسه وغيره (وفى الجملة ان الحركة تأخذ) قوة (من كل متحرك وتنقص) شيأ (من حاله مريدا كان أو شيخا الا ان تكون) حركته (باشارة) ناشئة (من الوقت) بان يكون فى المجلس من الصادقين من غلب عليه حاله واقتضى الوقت القيام اجلالا له وعونا له على حاله (أو غلبة تأخذه) (عن التمييز) بأن يغلب عليه حاله بحيث لا يميز (فان كان) الذى ورد عليه الوارد (مريدا) وقد (أشار عليه الشيخ بالحركة فتحرك على اشارته) أى لاجلها (فلا بأس بحركته (اذا كان الشيخ ممن له حكم على أمثاله) بان يكون ممن له اطلاع على باطنه

(قوله وقد تسمى المنافسة فى الخبر حسدا) اى تسمى بذلك تسمية مجازية والا فالحقيقة ان تسمى غبطا وحقيقته تمنى مثل ما للغير مع عدم حب الزوال عن ذلك الغير (قوله وهذا فى الحقيقة غبط) اى فصاحبه ماجور ومن له الحسد مازور (قوله وانما يتمنى الخ) اى وذلك مشروع وجائز (قوله باكتفائه بوجود الحق تعالى) اى بالتسليم لما قضاه وامضاه بل والرضا والاذعان بالقلب والقالب لما اظهره تعالى من عباده الذين سبقت لهم العناية الالهية (قوله فان الظرفاء الخ) اى فصار الاتباع منهم على ذلك (قوله ايثار الكل) اى كل المريدين بالكل اى بكل ماله به ملك او اختصاص مما يتعلق بالحظ النفسى (قوله ايثار الكل) اى كل فرد من افراد جمع الناس بالكل اى بكل شئ من عرض الدنيا وقوله فيقدم الخ اى ولو على نفسه ولو كان محتاجا (قوله و يكون معه فى صورة الخ) ليس مراده انه يتكلف ذلك وباطنه بخلافه بل المراد حقيقة التبعية الظاهرة والباطنة (قوله وتوصله الى ذلك الخ) فيه اشارة الى صعوبة هذا التخلق وانه لا يمكن الوصول اليه الا بمعونة الحق تعالى (قوله الخالى عن المحرمات) أى فيشمل ما كان من طرق العبادات كسماع القرآن والعلم والمواعظ وغير ذلك (قوله لا تسلم له الحركة) أى كالتواجد (قوله لما فيها من الرياء والعجب) أى باعتبار الشان والغالب (قوله فبمقدار الغلبة الخ) اى فيجب ان يقتصر على مقدار الغلبة ليدوم له الصدق والا فربما جره ذلك الى الرياء (قوله أى متأخرا عن أصحابه) أى حيث لابس أكبر المخالفات حيث هو من حقيقة المرآة (قوله ان الحركة تأخذ الخ) أى الحركة الزائدة عن مقدار الغلبة اذ لا تكليف مع الغلبة (قوله او غلبة تأخذه عن التمييز) أى لسقوط الخطاب عنه حينئذ (قوله اذا كان الشيخ الخ)

(وأما اذا أشار اليه الفقراء بالمساعدة) لهم (في الحركة فليساعدهم في القيام وفي اداء ما لا يجد منه بدا مما يراعى عن) بمعنى في (الاستيحاش لقلوبهم) لان احوالهم تتزايد برؤية بعضهم بعضا وكل ذلك بشرط السلامة مما يخالف الشريعة من رياء وعجب ونحوهما (ثم ان صدقه في حاله يمنع قلوب الفقراء من سؤالهم) له (عند المساعدة معهم) يعني لا يحوجهم الى ذلك بل يساعدهم بغير سؤال منهم (واما طرح الخرقة) من المريد اذا طاب عيشه ووجده في السماع (فحق المريد ان لا يرجع في شئ خرج منه البتة) لخبر العائد في هبته كالعائد في قيئه ولان ذلك امارة غلبته وصدق قيامه وحركته (اللهم الا ان يشير عليه شيخ بالرجوع فيه فيأخذه) ليوافقه ظاهرا ويحفظ القلب لكنه انما يأخذه (على نية العارية بقلبه ثم) اى بعد ان يأخذه (يخرج عنه بعده من غير ان يستوحش قلب ذلك الشيخ) حيث وافقه ظاهرا (واذا وقع بين قوم عادتهم) في السماع (طرح الخرقة) للقوال او غيره اختيارا اذا طاب عيشهم ووجدهم (وعلم) منهم (انهم يرجعون فيها) عادة (فان لم يكن فيهم شيخ يجب) عادة (حشمته وحرمته) اى مراعاتهما (وكان طريق هذا المريد ان لا يعود في الخرقة فالاحسن له ان يساعدهم في الطرح ثم يؤثر به القوال) لكونه كان سببا لما حصل من الوجد الصحيح ولا يرجع فيه على عادته (اذا رجعوا هم فيها) أى في خرقهم (وان لم يطرح) ٢٢٣ معهم (فانه يجوز) له عدم الطرح (اذا علم من عادة القوم انهم يعودون فيما طرحوا فان القبيح انما هو سنتهم) أى طريقتهم وعادتهم (في العود الى الخرق لا مخالفته لهم على ان الاولى له الطرح) معهم (على الموافقة) لهم (ثم ترك الرجوع فيه ولا يسلم للمريد البتة التقاضى) أى الطلب (على) بمعنى من (القوال) أى لا ينبغى له ان يطلب منه تكرار ما أنشده (لان صدق حاله يحمل القوال على التكرار ويحمل غيره على الاقتضاء) أى الطلب من القوال مع ان اقتضاءه منه مضر له يفرق عليه ما حصل له من أوائل الوجد ويخشى عليه دخول آفة الرياء عند عدم الغلبة فصبره الى ان يظهر عليه ما يوجب للقوال التكرار أولى به وربما حرك حاله وصبره من في المجلس ممن يصلح له الاقتضاء على ان يقتضى بالتكرار ويحصل له مقصوده مع السلامة (ومن تبرك بمريد) غلب عليه حاله ووجده (فقد جار) أى مال (عليه لانه) ربما (يضره) ويفسد عليه حاله (لقلة قوته) على دفع الرياء والعجب (فالواجب على المريد ترك تربية الجاه) غير الضرورى (عند من قال بتركه واثباته) أى ومن قال باثباته لئلا يدخله الرياء والعجب

(فصل وان ابتلى مريد بجاه) غير ضرورى (أو معلوم) كذلك (أو صحبة حدث) أى شاب (أو ميل الى امرأة أو استنامة) بتاء فوقية ثم نون أى سكون (الى معلوم) دنيوى هذا يغنى عنه ما مر آنفا (وليس هناك شيخ يدله على حيلة يتخلص) بها (من ذلك فعند ذلك حل له السفر والتحول عن ذلك الموضع) فذلك اولى به من الاقامة (ليشوش) يعنى لئلا يشوش (على نفسه تلك الحالة) وفي نسخة الحالات اما الجاه والمعلوم الضرورىان فلا هروب منهما لانهما يدفعان الاذى ويقويان على الطاعة (ولا شئ أضر بقلوب المريدين من حصول الجاه) غير الضرورى (لهم قبل خمود بشريتهم) لانه يورث قسوة القلب ٠

أى بأن كان قد تولى تربيته وحراسته وله اشراف على أحواله (قوله مما يراعى في الاستيحاش) أى في طرق البعد عنه (قوله يمنع قلوب الفقراء الخ) أى لان عمارة الباطن تكتفى في حكم الظاهر (قوله وأما طرح الخرقة الخ) المراد خلعه اياها وتركه لها في حالة طيب عيشه خلعا وتركا تشهد به الشريعة وتدل عليه غلبات أحوال الحقيقة وقوله فحق المريد الخ اى لما ذكره المؤلف (قوله وأما طرح الخرقة الخ) اى تركها لغيره من قوال أو نحوه (قوله ثم يؤثر به القوال) أى جريا على عادته في ذلك (قوله فانه يجوز الخ) أى فهو بالخيار اما ان يطرح ولا يعود على عادته كما تقدم أو ان لا يطرح أصلا (قوله ولا يسلم للمريد البتة) أى لانه في غنية عنه بصدقه والا فلا حاجة له فيه (قوله يفرق عليه) أى لانه التفات عما غلب عليه من الاهم في حقه (قوله ويحصل له مقصوده مع السلامة) أى من ضرر طلب الاعادة من القوال (قوله فقد جار الخ) أى فالاولى ترك أسباب العطب بالغير من الاخوان وحسن القصد بالقلب يكفى في نيل رحمة المنعم المنان (قوله ترك تربية الجاه الخ) أى ترك أسباب الظهور خشية من عروض معطلات الاجور (قوله وان ابتلى الخ) شروع في مبيحات السفر في حال ابتداء الارادة خوفا من متاعب العادة (قوله ولا شئ أضر الخ) أى لانه قد يؤدى الى التشبع بما لم ينل فيقع في

(ومن آداب المريد ان لايسبق علمه فى هذه الطريقة) أى طريقة الصوفية (منازلته) أى منزلته من مقام وحال بان لايتكلم فى المقامات العالية ببعض العلم حتى يلعهها وينالها والا لتوهمت نفسه ان منازلته حصلت وليس كذلك وانما حصل علمه بها والى ذلك أشار بقوله (فانه اذا تعلم سيرهذه الطائفة) أى الصوفية (وتكلف الوقوف على معرفة مسائلهم وأحوالهم قبل تحققه) أى اتصافه (بها) أى (بالمنازلة والمعاملة) مع الله (بعد وصوله الى هذه المعانى) اى المنازلات (ولهذا قال المشايخ اذا حدث العارف عن المعارف) والعلوم (فجهلوه فان الاخبار) ٣٢٤ بكسر الهمزة انما هو (عن المنازل دون المعارف) والعلوم (ومن غلب علمه منازلته فهو صاحب علم لاصاحب سلوك) وارادة اذ لايلزم من تصور الشئ حصوله ولاعكسه

(فصل * ومن آداب المريدين ان لايتعرضوا التصدر) للتعليم وجذب القاصدين الى الله تعالى لضعفهم فيخشى عليهم الهلاك لجهلهم بطريق الرياضة ولانهم فى مقام من يتعلم لامن يعلم (و) من آداب المريد (ان يكون لهم) أى للخلق (تلميذا ومريدا) لاشيخا ومرادا (فان المريد اذا صار مرادا) للخلق لينتفعوا به (قبل خمود بشريته وسقوط آفته) عنه (فهو محجوب عن الحقيقة لاينفع أحدا اشارته و) لا (تعليمه) لعدم أهليته لما دخل فيه ومن آدابه ان لايتبع من المشايخ الا من يقع له فى قلبه حرمته وهيبته ويعلم انه يؤدبه ويهديه وانه اعلم منه بالطريق

*(فصل * واذا خدم المريد الفقراء فخواطر الفقراء رسلهم اليه فلا ينبغى ان يخالف المريد ما حكم به باطنه عليه من الخلوص فى الخدمة وبذل الوسع والطاقة) فيها لانه تعالى انما يجرى عليهم ما يوافقهم فأى شئ وقع فى قلب المريد فحقه ان يخدمهم به فانه مرادهم وهو مراد الله منه فانه تعالى يخلق لهم ما أحبوه واختاروه *(فصل * ومن شأن المريد اذا كانت طريقته خدمة الفقراء الصبر على جفاء القوم معه) وان يستحقر نفسه عن الخدمة وأنه لايصلح لها وان كان كاملا فيها ويعلم ان ما هو فيه من بركة خدمته لهم واذا لم يكن صبورا لم ينل سيادة الخادمين كما قيل سيد القوم

البهتان ومرآة الاخوان (قوله ان لايسبق علمه الخ) اى لما فيه من ايهام التحلق بما لم ينل بل ربما اكتفى بالقال عن الحال وذلك قاطع عن الكمال (قوله فانه اذا تعلم الخ) جواب اذا قوله ربما قنع بالعلم عن بلوغ الحال فحجب عن منزلة أصحاب الوصال (قوله فهو صاحب علم الخ) اى فيكون ممن تحلق بالقال والقيل واستند الى ما لايصح عليه التعويل (قوله ان لايتعرضوا للتصدر) اى فيكونون ممن دلسوا على أنفسهم واضروا بالغير لجهلهم بالطريق الموصلة الى الخير فمن تعجل بشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه ومن تخلق بخلق قبل الوقت لاينال خلاف المقت (قوله أى للخلق) اى لمن يصلح منهم لارشاد غيره ولو عبر بالمشايخ لكان اولى (قوله فان المريد اذا صار مرادا) اى تكلف هذا الخلق فى غير اوانه وقوله قبل خمود بشريته اى قبل موت نفسه الحيوانية وحياة اللطيفة الانسانية وقوله وسقوط آفته المراد بالآفة ما يعرض من الخواطر الدنية بتحقق الطبيعة البشرية (قوله فهو محجوب عن الحقيقة) أى لغروره بظن علم الطريقة مع انه على الباب لم يفهم معنى الخطاب ومن السائرين لامن الواصلين ومن المتعلمين لامن العارفين المحققين (قوله ان لايتبع من المشايخ الخ) اى حتى يأتمر بامره وينتهى بنهيه ويسر بوعده ويخاف بوعيده (قوله ويعلم انه يؤدبه) اى بقوة يقينه فى وصوله وزيادة ثمرات محصوله (قوله فخواطر الفقراء الخ) مراده بالفقراء المنقطعون لعبادة ربهم بطريق متابعته صلى الله عليه وسلم وحاصل ما اشار اليه انه بمجرد ما يخطر له بقلبه شئ مما يحتاج اليه الفقراء فى خدمتهم يجب عليه ان يسارع فى تحصيله حيث ذلك الخاطر قائم مقام مرسل منهم فكانهم طلبوا منه ما خطر له بالفعل فلا يتوقف فى خدمتهم على صريح طلبهم (قوله ان يخالف المريد الخ) أى لانها خواطر نشأت عن حقيقة بمقتضى هواتف الطريقة (قوله فانه تعالى يخلق لهم ما أحبوه واختاروه) أى ويدل لذلك قوله جل اسمه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب (قوله الصبر على جفاء القوم معه) أى شأنه حبس نفسه على الرضا بما يبدو من الفقراء مما لايلائم بواسطة جفائهم معه فانه بصدد تهذيب نفسه ورياضتها (قوله ويعلم ان ما هو فيه الخ) أى فلا ينال منزلة الا اذا دام على شهود انه لايصلح للخدمة وان ما هو فيه فببركة انفاسهم (قوله كما قيل سيد

خادمهم (وان يعتقد انه يبذل روحه فى خدمتهم ثم لا يحمدون له أثرا فيعتذر اليهم من تقصيره) فيها (و يقر بالجناية) أى و يقر لهم (على نفسه) بالجناية عليهم (تطييبا لقلوبهم وان علم انه برىء الساحة) منها (واذا زادوه فى الجفاء فيجب ان يزيدهم فى الخدمة والبر سمعت الاستاذ الإمام أبا بكر بن فورك رحمه الله يقول ان فى المثل اذا لم تصبر على) ضرب (المطرقة فلماذا كنت) وفى نسخة تكون (سندانا وفى معناه أنشدوا ربما جئته لاسلفه العذر لبعض الذنوب قبل التجنى) ٢٢٥ أى الجناية فانه اذا رأى نفسه انها لا تصلح للخدمة ثم وقع منه تقصير كان اعتذاره سابقا الجنايته وتقصيره

*(فصل * وبناء هذا الامر) أى التصوف (وملاكه) بفتح الميم وكسرها وهو ما يقوم به (على حفظ آداب الشريعة وصون اليد عن المد) أى مدها (الى الحرام والشبهة وحفظ الحواس عن المحظورات) أى المحرمات (وعد الانفاس مع الله سبحانه) لينكف (عن الغفلات) بأن يعبد الله كأنه يراه وهو مقام الاحسان (وان لا يستحل مثلا سمسمة فيها شبهة فى أوان الضرورات فكيف عند الاختيار ووقت الراحات ومن شأن المريد دوام المجاهدة فى ترك الشهوات فان من وافق شهوته عدم صفوته) أى خالصه لاشتغاله بغير ربه (واقبح الخصال بالمريد رجوعه الى شهوة تركها لله تعالى) كل ذلك مأخوذ من خبر ما تقرب المتقربون الى بمثل اداء ما افترضت عليهم

*(فصل * ومن شأن المريد حفظ عهوده مع الله تعالى) قال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم (فان نقض العهد فى طريق الارادة) لاهل الباطن (كالردة عن الدين لاهل الظاهر) من حيث ان كلا منهما يحتمل على من اتصف به ما سبق له من أحواله ومقاماته قال تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية (ولا ينبغى للمريد ان يعاهد الله تعالى على شئ باختياره ما امكنه) فعله بغير معاهدة

القوم خادمهم) اى حيث لا تثبت السيادة الا لمن آثر غيره بماله و بنفسه ومثله انما يتحقق للصبور على تحمل الاذى و بذل الندى بل والنفس (قوله وان يعتقد الخ) اى وذلك ليتحقق انه من الفتيان المشار اليهم فى مثل هذا الشان (قوله وان علم انه الخ) اى لان الدوام على اتهام النفس من امارات الكمال (قوله يقول ان فى المثل الخ) اى ولذلك قيل *عرضت نفسك للبلا فاستهدف* (قوله قبل التجنى) اى فهو قبل قد وطن نفسه على انه لا يليق لهذه الخدمة لشرفها مع قصوره عن واجب حقها (قوله وبناء هذا الامر الخ) تأمل يا اخى هذه الالفاظ القليلة مع ما فيها من المعانى الثمينة تجدها قد اغنت عن المطولات ودلت على اعلى المقامات وهكذا يكون العلم المحمدى والارشاد الاحمدى نفعنا الله ببركات علومهم اجمعين (قوله وبناء هذا الامر الخ) اى ما يبنى عليه التصوف ويتأسس عليه وقوله وملاكه اى ما تحقق به حقيقته وقوله على حفظ آداب الشريعة الآداب جمع ادب وهو كل مطلوب مستحسن عند الشارع سواء الواجبات والمندوبات وقوله وصون اليد اى صيانتها عن المد الى الحرام الخ وذلك كناية عن عدم تناوله وتعاطيه وانما اقتصر على اليد اعتبارا بالشان وقوله وحفظ الحواس اى الظاهرة والباطنة وقوله عن المحظورات من الحظر وهو المنع وقوله وعد الانفاس الخ هو كناية عن التفرغ لعبادة ربه مع دوام مراقبته بحيث لا يفوت وظيفة وقت من الاوقات بل يقوم بها على اكمل وجوهها (قوله بان يعبد الله كأنه يراه) اى وذلك اكمل ممن يعبد الله على ان الله يراه (قوله ومن شأن المريد دوام المجاهدة) اى دوام الجد فى البعد عما تميل اليه النفس بطبعها (قوله فان من وافق شهوته) اى ولو كانت مباحة قد عزم قبل على تركها رياضة لنفسه (قوله واقبح الخصال بالمريد رجوعه الخ) اى لان مثل ذلك يقال له وقفة وهى أضر به من الفترة لان من فتر يرجى له العود الى الجد بخلاف من وقف (قوله كل ذلك مأخوذ الخ) أقول كيف لا وقد خص الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بجوامع الكلم (قوله حفظ عهوده مع الله) أى على الايمان والعمل باحكام الشريعة (قوله ما سبق له) أى عما ذاق حلاوته وقطع مرارته (قوله ومنهم من عاهد الله الخ) أى ثم جرى عليه القضاء الازلى بما سبق على وفق العلم القديم والحكمة الباهرة (قوله ولا ينبغى للمريد الخ) اى ويدل له خبر ان يشاد الدين أحد الا غلبه (قوله ولا ينبغى للمريد ان يعاهد الله الخ) اى لعلم كل عبد بانه لا طاقة له على شئ الا باعانة ربه على ان النفس لا يوثق بوفائها والله أعلم

(فان فى لوازم الشرع ما يستوفى منه كل وسع) أى كل ما فى الوسع بغير معاهدة (قال الله تعالى فى صفة قوم ابتدعوها) أى الرهبانية وهى رفض النساء واتخاذ الصوامع (ما كتبناها عليهم) أى ما آمرناهم بها (الا) أى لكن فعلوها (ابتغاء رضوان الله ثم قال فما رعوها حق رعايتها) اذ تركها كثير منهم وكفروا بدين عيسى عليه الصلاة والسلام ودخلوا فى دين ملكهم

*(فصل * ومن شأن المريد قصر الامل فان الفقير ابن وقته) لا التفات له الى ماض ولا الى مستقبل (فاذا كان له تدبير فى المستقبل وتطلع لغير ما هو فيه من الوقت) الحاضر (وأمل) أى رجا (فيما يستأنفه لا يجيء منه شئ) يعتد به فقصر الامل ينفع المطيع والعاصى اما المطيع فلخوفه ان يقطع عليه ٢٢٦ الموت ما يؤمله من الخيرات فيجد فى الطلب ويعرض عن كل سبب واما العاصى فلأنه اذا استشعر هجوم الموت تخلص عما هو فيه من الآثام وندم على ما كان فيه من الاجرام

*(فصل * ومن شأن المريد أن لا يكون له) وفى نسخة معه (معلوم) دنيوى فاضل عن كفايته (وان قل لا سيما اذا كان بين الفقراء) الذين تجردوا لله (فان ظلمة المعلوم تطفئ نور الوقت) وفى نسخة القلب لما فى ذلك من الاعتماد على غير الله اللازم له فوات التوكل والتفويض

*(فصل * ومن شأن المريد بل من طريقة سالكى هذا المذهب) أى مذهب الصوفية وان لم يكن مريدا (ترك قبول رفق النسوان) أى اكرامهن له (فكيف التعرض لاستجلاب ذلك) منهن لان الاكرام سبب عظيم فى المحبة والشرع ملتفت الى المباعدة بين الرجال والنساء ولان رفقهن لا يخلو عن شبهة غالب الاحتمال انه من مال أزواجهن أو من فى حجرهن أو نحوه (وعلى هذا) الحكم (درج شيوخهم) أى الصوفية (و بذلك نفذت وصاياهم ومن استصغر هذا) الحكم (فعن قريب يلقى ما يفتضح القانى به) عند الله وعند خلقه *(فصل * ومن شأن المريد التباعد عن ابناء الدنيا فان صحبتهم سم مجرب لانهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم) ولانه يسمع منهم ضد مقصوده (قال الله تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا الآية و ان) أى ولان (الزهاد يخرجون المال عن) وفى نسخة من (الكيس تقربا الى الله تعالى وأهل الصفاء يخرجون الخلق والمعارف من القلب تحققا بالله عز وجل) بحيث لا يبقى فيه غيره ولانه يخشى عليه من صحبته اياهم ان يرجع عما عزم عليه من الخير و يملك حب الدنيا قلبه بالكلية فيحصل فيه كل شر

(قوله فان فى لوازم الشرع) اى ما الزم المكلف فعله واجبا كان او مندوبا وقوله ما يستوفى منه كل وسع أى كل طاقة والغرض من ذلك بيان العجز عن القيام بما طلبه الشارع صلى الله عليه وسلم من المكلف فينبغى له حينئذ ان لا يضيق على نفسه زيادة عن ذلك بمعاهدة الله تعالى على فعل شئ او تركه وذلك وما بعده من قوله قال الله تعالى الخ علة لقوله ولا ينبغى للمريد أن يعاهد الله تعالى على شئ باختياره (قوله اى ما امرناهم بها) اى لا امر ايجاب ولا امر ندب (قوله ابتغاء رضوان الله) اى طلبا الرضاء عنهم (قوله قصر الامل) اقول وقصر الامل هو جماع الخيرات والسبب فى معظم البركات والبعد عن الشهوات والغفلات (قوله فان الفقير ابن وقته) اى وانما كان كذلك لانه يرى ان الماضى قد مضى بعاقبته والمستأنف امره لا يدرى به فهو اذا نظر اليهما فقد ضيع الوقت الحال بما هو اولى به فيه (قوله لا يجيء منه شئ) اى لتضييعه ما هو الأولى فى حقه من القيام بوظيفة وقته الحاضر (قوله فقصر الامل الخ) الغرض بيان وجه قوله ومن شأن المريد قصر الامل على طريق واضح (قوله فاضل عن كفايته) اى وكفاية من تلزمه مؤنته من عائلته (قوله فان ظلمة المعلوم) اى ظلمة مساكنة النفس اليه بحجبها تطفئ نور الوقت اى الاهم فيه (قوله ترك قبول رفق النسوان) اى ترك الارتفاق والانتفاع بما فى ايديهن من عرض الدنيا (قوله ومن استصغر هذا الحكم) اى عده صغيرا والمراد بالحكم قبول رفق النسوان (قوله فعن قريب يلقى ما يفتضح به) اى باعتبار ما قدمه الشارح من التعرض للفتنة بهن واحتمال كون الرفق لغيرهن من الازواج مثلا ولم يأذن الغير لهن فى التصرف (قوله ومن شأن المريد التباعد عن ابناء الدنيا) اى المشتغلين بها المتهافتين على تحصيلها (قوله سم مجرب) أقول بل ضرر هذا اعظم عن ضرر السم لان السم يعود ضرره على تلف الجسم الفانى وضرر صحبة ابناء الدنيا يعود على نقص الدين قال تعالى ولعذاب الآخرة اشق (قوله وهو ينتقص بهم) أى حقيقة ان مال مثل ميلهم أو هو قد تعرض لذلك (قوله وان الزهاد الخ) أى وفرق بين منفق

القانى و بين من ابدى سر الباقى (قوله ماسقى كافرا الخ) أى وانما اقتصر عليه لحقارته وخسته وثبوت عداوته (قوله فاذا تمكن الزهد) أى بوثق من نفسه بواسطة تكرر امتحانه لها مثلا (قوله فهذه وصيتنا للمريدين) اعلم هداك الله انه قد تداول بين الناس من أهل هذا الشان التفرقة بين المريد والعابد والمراد والفقير والصوفى والشيخ المرشد وغير ذلك وذلك يرجع الى اختلاف أحوال السالكين فالمريد هو من اشتغل بتبديل الاخلاق الذميمة بالحميدة وطلب الاكمل فى أوقاته السعيدة والعابد هو من لم يلتفت الى ذلك بل عول على فضائل الاعمال واحسن المسالك فدام على امتثال الاوامر واجتناب النواهى واخلاقه بحالها كما هى والمراد فهو كالمريد فى الاخلاق الا انه معان محمول حتى ادرك قصب السبق واما الفرق بين الفقير والصوفى فدقيق على ما ثبت من اشارات أهل التحقيق اذ لكل منهما صفات خاصة ومقاماتهم وأحوالهم للكل عامة غير ان اسم المريد باعتبار معناه يشمل الجميع اذ كل فاعل غير غافل مريد فالاختصاص لما اتضح لهم من المعانى ولاح هذا وقد يقولون صالح ومنهم من يعبر عن هذا بولى ناجح فالصالح اذا صلح للحضرة وقع عليه من الله الغيرة غير ان صالح الاعمال الزكية غير صالح الحضرة القدسية فالاول من الابرار والثانى من المقربين الكبار والانسان الكامل هو الموصل الواصل والمحقق من لا وصف له ولا ذات ولا حيطة تحوطه من الكائنات والمدقق هو من ابرز الحقائق الخفيات من الجليات والراسخ هو راسخ القدم فى ادراك المعلومات المزيح بعلمه ظلمة المشكلات والعالم الربانى هو من ألحق الاصاغر بالاكابر وفتح مقفلات جميع الاسفار والدفاتر وصاحب العلم اللدنى هو من تلقى منه القلب أسرار تجليات الرب وعالم النهاية هو من جمع بين الرواية والدراية شعر

وما السيف الا مستعار لزينة * اذا لم يكن امضى من السيف حامله

والمربى هو من انكشفت له طرق النجاة فسلك عليها ثم أذن له بالتسليك والدعاء اليها والشيخ هو من علمك بقاله ونهضك بحاله والاستاذ هو من وهب المواهب وأباح من تعب المكاسب وصاحب الوقت هو رحمة لكل العباد وسحابة ماطرة فى كافة البلاد وجوده فى الوجود حياة لروحه الكلية وتنفس نفسه مد الله تعالى به العلوية والسفلية ذاته مرآة مجردة يشهد كل قاصد فيها مقصده ما شهدته فيه خلعه عليك وما نسبته اليه صيره اليك فالكمال صفة لا تحتمل الزيادة ولا يمكن فيها النقصان المتصف به محبوب مبرأ من العيوب فصاحب الزمان موجود بالعين فى الاعيان وأصحاب دائرته من الرجال مفرقون فى المدن والاودية والجبال وهذا الرجل يسمى الفرد والقطب والغوث وفوقه القطبية الكبرى وهى مرتبة قطب الاقطاب فرجاله الامامان واحد عن يمينه والآخر عن شماله والاوتاد أربعة واحد فى المشرق وآخر فى المغرب وآخر فى الشمال والرابع فى الجنوب والبدلاء وهم سبعة والنجباء وهم أربعون والنقباء وهم ثلاثمائة والافراد

ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء فبعده منها ومن أهلها أسلم له فى دينه ما دام ضعيفا فاذا تمكن الزهد من قلبه وقويت رغبته فى الخير وكملت معرفته لا يبالى بصحبتهم فان زهده ومعرفته يحفظانه من جانب الميل الى ما هم فيه بل ربما يعرض بهما عن جمال الآخرة فضلا عن الدنيا وسائر لذاتها (فهذه وصيتنا للمريدين)

وهم الخارجون عن نظر القطب والاعراف وهم أصحاب الاطلاع والاشراف على المقامات وخاتم الاولياء وهو الذى يختم به الله دائرة الولاية كما ختم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم دائرة الرسالة وقد قرب له ظهور الحركة فعليه منا السلام والرحمة والبركة فان قيل ان هذا لم يرد به حديث ولا أثر كما زعم بعض المتفقهة قلنا كذب فيما أتى به من الانكار فقد أخرج السمرقندى فى كتاب الابدال ان على بن أبى طالب كرم الله وجهه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن الابدال فقال هم ستون رجلا قلت يارسول الله صفهم لى فقال ليسوا بالمتنطعين ولا بالمبتدعين ولا بالمتعمقين لم ينالوا ما نالوا بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة الا بسخاء النفس وسلامة القلوب والنصيحة لائمتهم انهم ياعلى فى امتى أعز من الكبريت الاحمر وروى عن أبى ذر رضى الله عنه انه قال لما ذهبت النبوة وكانوا أوتاد الارض اخلف الله مكانهم أربعين رجلا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال لهم الابدال لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله عز وجل مكانه آخر يخلفه وهم أوتاد الارض ثلاثون منهم على مثل يقين ابراهيم عليه السلام ولم يفضلوا الناس بكثرة صلاة ولا صيام ولا بحسن التخشع ولا بحسن الحلية ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة القلوب والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضات الله بصبر وخير لب وحلم وتواضع فى غير مذلة وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال البدلاء أربعون وخرج أيضا فى الكتاب المذكور قال لما قبض الله النبى صلى الله عليه وسلم شكت الارض الى ربها جل وعلا انه مابقى يمشى على نبى من الانبياء الى يوم القيامة فأوحى الله تبارك وتعالى اليها انى سأجعل من هذه الامة رجالا قلوبهم كقلوب الانبياء ويعضد هذا مارواه الامام أحمد فى مسنده باسناد صحيح والحافظ الطبرانى فى معجمه الكبير قال السمرقندى والقطب هو المقدم عليهم ثم حكى عن عبد الله الانطاكى رحمه الله انه قال رأيت القطب وهو الغوث واسمه أحمد بن عبد الله البلخى بمكة سنة خمس وثلاثمائة وهو على عجلة من ذهب والملائكة يجرون تلك العجلة فى الهواء بسلاسل من ذهب فقلت الى أين تمضى قال لى أخ اشتقت اليه فقلت ولو شاء الله عز وجل ان يسوقه اليك لفعل فقال نعم ولكن أين ثواب الزيارة واما حديث الخاتم للاولياء فقد روى ذلك الائمة الاعلام والاستاذ الكبير محمد الترمذى له فيه كتاب ختم الاولياء فلا ينكر حال المهدى الاغبى مهدى انتهى نقلت هذا عن القدوة الكامل العلامة الشيخ محمد التونسى الوفائى نفعنا الله به والعهدة عليه (قوله نسأل الله الكريم لهم التوفيق) أى نطلب من الله الكريم وهو من يعطى بلا سؤال أو هو من لا يمل من العطاء والتوفيق هو خلق قدرة الطاعة فى العبد وتسهيل سبيل الخير اليه (قوله ان الفضل) أى الاحسان منه مألوف أى محبوب وهو بالعفو موصوف العفو التجاوز عن الذنب بعد سبق التوبة من العبد أو مجانا بمحض الفضل والاحسان وقوله موصوف أى حيث وصف نفسه به ازلا هذا

نسأل الله الكريم لهم التوفيق) وهو خلق قدرة الطاعة (وان لا يجعلها) أى الوصية (وبالا) أى موجبة (علينا وقد نجز) أى انقضى (املاء هذه الرسالة فى أوائل سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة) وفى نسخة بعد هذا نسأل الله ان لا يجعلها علينا حجة ووبالا ان الفضل منه مألوف وهو بالعفو موصوف قال سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الاسلام مؤلف هذا الشرح فسح الله تعالى فى قبره هذا آخر ما أردنا ايراده من شرح رسالة الامام العارف بالله تعالى القشيرى بتاريخ رابع عشر جمادى الاولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة نجعله الله خالصا لوجهه الكريم ويغفر لنا ذنوبنا انه هو الغفور الرحيم والصلاة والسلام على أكرم عباده محمد وآله وصحبه كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

وأقول راجيا من امداد الكريم وعموم احسان ولي النعم ان يجعلنا ووالدينا واخواننا المؤمنين مندرجين في عموم عفوه ورحمته متوسلين في قبول دعائنا بالواسطة العظمى سيدنا ونبينا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وأرجو من اطلع على هفوة أو سبق قلم ان يصلح ذلك ويسامح ويعتذر حيث انى عبد قصير الهمة كاسد البضاعة قليل الاطلاع كثير الموانع ولم يساعدني الزمان على فراغ الذهن حتى احقق التحرير واراجع التحرير وكان الفراغ من جمع هذه الفوائد ونظم فرائد العوائد يوم الجمعة المبارك الموافق لاحدى وعشرين مضت من شهر جمادى الآخرة من شهور عام احدى وسبعين بعد

المائتين والالف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم لاربع

ساعات من اليوم المذكور ضاعف الله لي ولاخواني المؤمنين

الاجور وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله

وأصحابه وأنصاره وأزواجه وذريته وأهل

بيته والتابعين لهم باحسان الى

يوم الدين والحمد لله

رب العالمين .

تم .

(عقيدة المؤلف حفظه الله ونفع به آمين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المتوحد بجلاله المتفرد باحسانه وافضاله والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى اخوانه النبيين والمرسلين وآل كل وصحابتهم واتباعهم الى يوم الدين وبعد فالغرض بيان عقيدتي وتوضيح مذهبي وطريقتي فأقول وانا أشهد الله وملائكته واهل روحانيته من المؤمنين والمؤمنات ان عقيدتي اشعرية ومذهبي ما سلكه السادة الشافعية وطريقتي خدمة الفقراء الاحمدية فاشهد قولا وعقدا ان الله تعالى اله واحد منزه عما لا يليق به من صفات النقص متصف بسائر صفات الكمال خالق بالاختيار لا بالتعليل ولا بالطبع موجود بذاته لا مشير معه في الملك غني عما سواه بل جميع الكائنات مفتقرة اليه لا افتتاح لوجوده ولا نهاية لبقائه قائم بنفسه ليس بجوهر متحيز فيحتاج الى مكان ولا بعرض يستحيل عليه البقاء ولا بجسم له الجهة والتلقاء مرئي بالقلوب والابصار في هذه الدار وفي تلك الدار استوى على العرش كما قال على المعنى الذي أراده لا مثل له معقول ولا دلت عليه النقول لا يكر عليه الزمان ولا يحصره الاوان وهو على ما عليه كان لا يؤده حفظ المخلوقات ولا يعجزه اعادة الكائنات تنزه عن القبل والبعد وتقدس عن القرب والبعد وتعالى عن الحلول في الغير والحلول فيه وتسامى عما يضارعه ويضاهيه فهو القيوم الذي لا ينام والمدبر لسائر الكائنات على الدوام خالق العرش وجاعله حد الاستواء وابدع الكرسي واوسعه الارض والسماء وخلق اللوح والقلم الاعلى وأجراه كاتبا لما علمه الى يوم الفصل والقضا فلا تتحرك ذرة ولا تسكن الا باذنه وعنده السموات والارض وما فيهما جميعا منه أوجد الكل من غير حاجة اليه ولا موجب أوجب ذلك عليه الا ان علمه قد سبق فلذا قد خلق من خلق لم تتعلق قدرته الا بما أراده كما انه لم يرد الا ما علمه له الاسماء والصفات الحسنى والمقام الرفيع الاسمى يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور كيف لا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير يعلم الكليات والجزئيات كما دلت عليه دلائل الآيات البينات بقدرته أزمة الاشياء خيرها وشرها عاجلها وآجلها صغيرها وكبيرها يهدي من يشاء ويضل من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء والملك من يشاء وينزعه عمن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء لا راد لامره ولا معقب لحكمه وكما خلق وقدر كذلك سمع ورأى ما تحرك أو سكن من العالم الاسفل والاعلى لا يحجب سمعه البعد اذ هو القريب ولا بصره القرب فهو البعيد متكلم لا عن صمت متقدم ولا سكوت متوهم بكلام أزلي

منزه

منزه عن الحروف والاصوات وعن آلات النطق واللهات كلم به موسى عليه السلام
وسماه بذلك الكليم فارتفع مقامه وعزشانه وارتقى على كل عظيم وسماه الزبور
والتوراة والانجيل والقرآن العظيم كما ان سمعه منزه عن الاصمخة والآذان وبصره
عن الحدقة والاجفان وكما ان ارادته من غير قلب وجنان وعلمه من غير ضرورة ونظر
في برهان وكما ان حياته من غير بخار حدث عن امتزاج الاركان فذاته تعالى
لا تقبل الزيادة والنقصان فكل كائن فعن وجوده فائض وعن فضله وعدله الباسط
والقابض فهو لم يتصرف في غير ملكه فينسب الى الحيف ولا يتوجه اليه من الغير
سؤال بلم أو كيف أخرج العالم قبضتين وقدر لهم منزلتين فالكل تحت تصريف أسمائه
ونعوت بلائه ونعمائه فلا سبيل الى تبدل ما حكم به الحكيم ولا اعتراض عليه من
جاهل أو عليم وكما اشهدت الله تعالى وملائكته وأهل روحانيته بجميع ما تقدم أشهدهم
كذلك على نفسي بالايمان بمن اصطفاه الله واجتباه سيدنا محمد وانه أرسله الله
الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وانه قد بلغ جميع ما أنزل
من ربه عليه فادى الامانة ونصح الامة وجلى الظلمة وأني آمنت بكل ما جاء به مما علمته
وما لم أعلمه وان الموت حق وبأجل مسمى وسؤال القبر حق والسؤال حق والبعث
للاجساد حق والجنة حق والنار حق والصراط حق والميزان حق وان الساعة
آتية لا ريب فيها والعرض على الله حق وشفاعة أرحم الراحمين حق وشفاعته صلى
الله عليه وسلم حق وأن جماعة من أهل الكبائر يدخلون النار ويخرجون منها بالشفاعة
حق وخلود اهل الجنة في الجنة حق وخلود أهل النار من الكفار حق وأن جميع
ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام حق وان الكتب المنزلة عليهم حق واشهد ان
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عدول أمناء قد بلغوا جميع ما علموه ونقلوه عن سيد
الكائنات من أقواله وافعاله وتقريراته وانه قد وصلنا ذلك تواترا بنقل جماعة عن جماعة
يؤمن تواطؤهم على الكذب وان خلفاءه الكرام ونوابه في جميع الاحكام مرتبون في
الفضيلة بحسب ترتيبهم في الخلافة فافضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على رضي الله تعالى
عنهم أجمعين وارضاهم عنا بجاه رسوله الاكرم وحبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم وعلى
آله وأصحابه وشرف وكرم فهذه شهادتي على نفسي أمانة عند كل من وصلت اليه ان
يؤديها اذا سئلها حيثما كان في هذه الدار ودار الجنان الله تعالى يرزقنا الثبات في الحياة
وبعد الممات ويحلنا بكرمه واحسانه في حظائر الرضوان ويجعلنا من الحزب الذى
يأخذ الكتب وهو من الحوض ريان والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا
أن هدانا الله وصلى الله وسلم على خير أنبياه وعلى آله وأصحابه وأحبابه ومن والاه
انه على ما يشاء قدير وباجابة مثلي جدير آمين آمين آمين ثم بعد هذا أقول والله ولي السول
بعد حمد من فتح سبيل الخيرات ومنح بالفضل اصحاب السعادات وصلاتي وسلامي

على سيد ذوى السيادات ونقطة دائرة أهل الاشارات وعلى آله وأصحابه الذين هم فلك سماء الكمالات نصيحة لنفسى ووصية لابناء جنسى وطلبا لحسن التذكر ومرآة لمن شانه التفكر فلعل بمطالعة أحرفها القليلة مع التأمل فى معانيها الجليلة تكون سببا فى الرجوع عن سوء الطريق ووسيلة للعد فى زمرة محاسن الرفيق اذ يجب على كل مكلف عالم بذل النصيحة لكل قاعد وقائم على مادل عليه الدليل وثبت بواضح البرهان الذى عليه التعويل أن جميع ما تقدم من أحوال المشايخ ودواعى مقاماتهم العلية قد علم وتحقق فلا حاجة لى بذكره ولا باقامة دليل على صدقه لوضوح ان جميع نطقهم من اشراق أنوار قلوبهم فتلهم هم أهل الوصول عمن يعينك على ترك الفضول غير انى بذلا للنصيحة احذرك عن متابعة مشايخ هذا الوقت ممن لا يثمر الاجتماع بهم خلاف المقت اذ هم قطاع طريق الله على عباده واعداء الاولياء الداعين الى سبيل رشاده حيث لاهمة لهم الا جمع العرض الفانى ولا سعى لهم الا فى تجريد القاصى والدانى أزاحهم الله من جميع البلاد وأراح منهم الدواب والعباد فانهم قد سولت لهم أنفسهم أشياء وهمية فانتصبوا بذلك مفسدين للطريقة المحمدية فهم المشار اليهم فى الخبر انا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال قيل من قال أئمة مضلون نصبهم الحق امارة على اقتراب الساعة سئلوا فى علم الشريعة والحقيقة فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا فجانبهم تربح وتغنم وقاطعهم تسلم وتسلم قال تعالى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين واتبع سبيل من أناب الى ثم الى مرجعكم فشتان بين من يدعوك الى الحق ومن يدعوك الى الباطل افمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى فما لكم كيف تحكمون بدلوا وغيروا فبدل الله بهم وغير وخربوا معالم الدين فخرب الله قلوبهم ودمر تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون فعليك يا أخى فى مثل هذا الوقت بخاصة نفسك وتباعد عنهم تزيد قاذورات رجسك وتابع هدى سيد المرسلين وامام كل امام من النبيين والمرسلين فكافيك التمسك بالقرآن والتمسك على طريق سيد ولد عدنان ولا تغرنك لو فرض خوارق العادات فانها كما تكون للكرامة توجد لقصد الاهانة فهذه وصيتى اليك قد ذكرتها شفقة عليك دعانى الى ذكرها رعاية المقام فتقبلها ومنى عليك السلام كتبه بقلمه الكاسد ورقمه بفكره المتزاحم فيه كل فاسد الفقير مصطفى محمد العروسى الشافعى الاحمدى غفر الله ذنوبه وستر فى الدارين عيوبه ولوالديه ولجميع المؤمنين بجاه سيد المرسلين آمين رب العالمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه يقول المتوسل الى الله بالجاه الفاروقى ابراهيم عبد الغفار الدسوقى خادم قلم التصحيح بدار الطباعه اعانه الله على مشاق هذه الصناعه

تم طبع هذه الحاشية البهية المسماة بنتائج الافكار القدسية وقد سرحت النظر في رياضها ومتعت الفكر في غياضها فرأيتها حديقة باسمة الزهر يانعة الثمر قد سطعت مشارق الانوار من مشكاة مبانيها وتضمخ ربيع الابرار من نشر ازهار معانيها أوضحت بمصباح مباهج اساليبها وصحاح مناهج تراكيبها نفائس ما انطوت عليه مثاني آثار الصوفية واحتوت عليه معالي الاخبار المصطفوية من أسرار ارباب الطريقة والتخلق باخلاق أهل الحقيقة باقتحام الاخطار المحرزة رضا العزيز الغفار والحظوة بامتعة القصور ومحاسن الولدان والحور كيف لا وهي للعالم العلامة الحبر البحر الفهامة الاريب الالمعي واللبيب اللوذعي صاحب المظهر القدوسي حضرة شيخ مشايخ الاسلام السيد مصطفى العروسي وكان هذا الطبع الرائق والتمثيل الرقيق الفائق بدار الطباعة العامرة ذات الادوات الباهرة المتوفرة دواعي مجدها المشرقة كواكب سعدها في ظل من تعطرت الافواه بثنائه وبلغ من كل وصف جميل حد انتهائه بدر فلك الصدارة وقطب دائرة الامارة وانجع الليوث في آجامها ومخجل الغيوث عند انسجامها حامي حمى الاقطار النيلية والديار المصرية ذي المآثر الشهيرة والعطايا الغزيرة الراقي بهمته الى كل مقام معتلي جناب الخديو اسمعيل بن ابراهيم بن محمد علي متع الله الوجود بدوام وجوده ولا زال منهلا على رعاياه سحائب كرمه وجوده ولا فتئت مصر مؤيدة العزائم مشيدة الدعائم برعاية انجاله الكرام واشباله الفخام لا سيما الوزير الشهير النبيل الاصيل ذا المعارف المشهورة والعوارف المشكورة رئيس المجلس المخصوصي ومن له بولاية العهد أوصى ومن هو بمحاسن الثنا حقيق سعادة محمد باشا توفيق ثم رب الكمال ثاني الانجال وهو الشبل التالي دولتلو حسين باشا وزير المعالي ثم ثالث الانجال المعدود من فحول الرجال بحسن الوصف والاسم ومن له من حسن الشهرة أوفى قسم من انتعش به البهاء انتعاشا دولتلو حسن باشا لا زالت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالي منيرة ببدور حلاهم وكان طبعها الميمون وتمثيلها المصون مشمولا بادارة من خاطبته المعالي بيابك أعني سعادة حسين بك حسني ووكالة من عليه أخلاقه تثني

حضرة محمد أفندي حسني وملاحظة ذي الصنع المسدد حضرة

أبي العينين أفندي أحمد وقد وافق تمام طبعه أوائل رجب التالي

لاخرى الجمادين من سنة ألف وتسعين ومائتين

من هجرة سيد الكونين صلى الله وسلم

عليه وعلى آله وكل منتم

اليه ما سطع شارق

ولمع بارق

آمين